

الجواهر والالهي المصنوعة
في

تفسير القرآن العظيم

بالأحاديث الصحيحة المرفوعة

تأليف

الشيخ عبد الله بن عبد القادر العنبري

حفظه الله تعالى

لجزة الأوقاف

دار النشر الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

[النحل : ٤٤].

«ألا وإنِّي أُوتيتُ القرآنَ ومثله معه».

[حديث صحيح].

الجواهر والألائق المصنوعة

تفسير القرآن العظيم

بالحاديث الصحيحة المرفوعة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

دار البسائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٠٠٩٦١١

e-mail:

bashaer@cyberia.net.lb

ص ب: ١٤/٥٩٥٥

بيروت - لبنان

المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَالِاهِ وَهَجْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعِزِّهِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١]

والحمد لله ﴿ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان: ١].

و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكًا فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَاوِيًّا مِنَ الدُّلِّ

وَكِبْرَةً تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١].

والصلاة والسلام الأتمان اللاتقان بسيد خلقه وأشرف رسله سيدنا
محمد الطاهر المطهر، وعلى آله البررة الأطهار، وصحابته السابقين
واللاحقين الأخيار.

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو عصمتنا وطريق نجاتنا، وسبيل
سعادتنا، ومصدر ديننا، ودستور نظام حكمنا، والحكم العدل،

والقول الفصل، وهو النعمة العظمى لهذه الأمة وفخرها وذكرها، وقد جمع بين دفتيه من العلوم والمعارف، والحقائق، والتعاليم في العقائد والعبادات والأخلاق، وفي التشريعات المدنية، والجنائية، والحربية، والمالية، والحقوق الشخصية، والاجتماعية، والدولية، ما لم يجمعه كتاب.

وهو رسالة الله تعالى إلى عباده أنزله على خير خلقه، وأفضل أنبيائه سيدنا محمد بن عبد الله المطلبي الهاشمي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرف وعظم، ومجد وكرم، وأمره بتبليغه لعباده ليعملوا بمقتضاه، ويسيروا في حياتهم على نهجه ليسعدوا في دنياهم وأخراهم.

ثم من فضل الله تعالى ولطفه بهذه الأمة أن جعل هذا الكتاب العظيم بلغة العرب التي هي أشرف اللغات وأوسعها وأوعبها، فكان العربي أيام النبوة إذا سمع آية أو سورة من كتاب الله عز وجل فهم معانيها وما تنطوي عليه من مدلولات، لما كان لدى العرب من معرفة لأساليب هذه اللغة وبيانها وعلومها وفنونها.

بيان رسول الله ﷺ للقرآن الكريم

وبما أن القرآن الكريم كتاب هداية لجميع البشرية... وقد جاء بحقائق شرعية جديدة، وأمور لا تعرفها العرب في أساليبها، جعل الله عز وجل شرح ذلك وبيانه موكولاً إلى نبيه الكريم ﷺ بوحي منه عز وجل إليه، ولذا قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وقد تولى ﷺ شرح هذا الكتاب العظيم بأقواله وأفعاله وتقريراته وهدية

وسيرته صلوات الله وسلامه عليه، ولذا قال في حديث: «أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١).

والذي أُوتيه ﷺ مع القرآن، هي سنته الشريفة بأقسامها وأنواعها، فكل ما قاله أو فعله في حياته الزاهرة أيام النبوة مما لم يكن من شؤونه الجبليّة فهو شرح للقرآن الكريم إجمالاً وتفصيلاً، فبيّن مشكله، وفسّر مجمله، وخصّص عامه، وقيّد مطلقه، . . . فبيّن جميع القرآن الكريم لأصحابه.

ولذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما قاله رسول الله ﷺ فهو شرح للقرآن، وكل ما ذكره العلماء فهو شرح للسنة.

وقد كان الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى موفقاً في هذا الموضوع، حيث قال في مقدمة أصول التفسير: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، فقله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٦]، يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى: حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أنّهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل^(٢).

هذا وقد ارتأيت بتوفيق الله تعالى وإذنه أن أجمع ما ثبت لديّ عن النبي ﷺ من التفسير المرفوع، أو ما كان في حكمه، مستمداً ذلك من كتب التفسير الأثرية المعتمدة، ومن الجوامع وأمّهات السنّة المحمدية المشهورة.

(١) حديث صحيح رواه أحمد ٤/١٣٠، ١٣١، وأبو داود في السنّة ٤٦٠٤، والترمذي في العلم ٢٤٧٨.

(٢) انظر على هذا: ابن جرير ١/٣٦، وابن كثير، والإتقان ومقدمة التفسير لابن تيمية.

وهو الأول من نوعه لم أسبق إليه فيما أعلم مع كثرة ما كتب في التفسير بالمأثور الذي وقع فيه من الضعيف والواهي والمنكر والموضوع ما هو معلوم لأهل العلم، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى قولته المشهورة: ثلاثة أمور ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي^(١). ومراده أن غالبها ليس لها أسانيد صحاح، وليس المراد أنه لم يصح فيها شيء... بل صحَّ الكثير الطيب منه والحمد لله.

التفسير عند العلماء

التفسير في اللغة هو الإبانة والتوضيح وكشف المراد عن اللفظ المشكّل، هذا خلاصة ما قاله علماء اللغة.

وأما في الاصطلاح فهو علم يعرف به ما يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه سيدنا محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداده من علم اللغة والتصريف والنحو وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وبعبارة أبلغ وأخصر: هو كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكّل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره^(٢).

الحاجة ماسة إلى تفسير القرآن الكريم

إننا محتاجون إلى تفسير القرآن الكريم في كل عصر وجيل، وملزمون بتعلمه حفظًا لألفاظه وتفهُّمًا لمعانيه ومدلولاته، وهو أمر واجب يخاطب به كل المسلمين، ولا بد أن يوجد فيهم من يقوم بذلك.

(١) أورده السيوطي في الإتقان، وابن تيمية في أصول التفسير، والفتني في التذكرة، وابن الدبيع في تمييزه.

(٢) انظر: البرهان للزركشي ١٤٦/٢، ١٤٩، والإتقان للسيوطي ٤٩١/٢، ٤٩٢.

ولا شك أن فهم كتاب الله عزَّ وجل ولو على سبيل الإجمال يعين على تدبره الذي هو المقصود الأهم من تلاوته، فإن من لا يتدبره لا يجني منه ثماره المنشودة كالاتعاظ بوعده ووعيده، والاعتبار بأخباره وقصصه... وتجديد الإيمان بذكر أسماء الله وصفاته ودلائل توحيده وزيادة محبته تعالى وقوة اليقين والبراء من خشيته وجلاله وعظمته، والعزوف عن هذه الحياة الزائفة والعمل للآخرة، إلى غير ذلك من الثمرات التي لا يحظى بها ويجنيها إلا المتدبر لهذا الكتاب العزيز الذي يقول فيه عزَّ وجل: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول فيه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

للتفسير أربعة أوجه

ذكر العلماء أن التفسير على أربعة أوجه^(١):

أولاً: ما يعلمه كل أحد ممن له مبادئ في التعلم كعامّة طلبة العلم، بل وبعض العوام من العرب، وذلك كمثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [١١] أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢]، فإن هذه الآية الكريمة لا يخفى معناها على أحد. ومثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] الآية.

وأمثال ذلك مما هو واضح يستوي في معرفة معناه العامي والمتعلم والعالم على السواء، لأنه مما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص الشرعية وفرائض الدين ودلائل التوحيد، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من

(١) جاء نحو هذا عن ابن عباس مختصراً، رواه ابن جرير ١/٣٤، ٤١ بسند صحيح، وانظر: البرهان ٢/١٦٤، والإتقان ٢/٥١٤.

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وأنه عز وجل لا شريك له في ألوهيته وإن لم يعلم أن لفظة «لا» موضوعة في اللغة للنفي و«إلا» للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر.

وكذا يعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، و﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، و﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرَ فَلْيُصِمِّهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، و﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ وَلْتُنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، ونحو ذلك، هو طلب إيجاب المأمور به وإن لم يعلم أن صيغة «افعل» للوجوب.

وهكذا الحال في نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّيْلِ أَرْضَعْتِكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ...﴾ الآية [النساء: ٢٣]، وقوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]... إلخ.

فأمثال هذه لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعانيها لأنها معلومة لكل أحد ضرورة.

ثانياً: ما يعلمه المتمكن في علم اللسان العربي وما تقتضيه الألفاظ وتراكيبها من المعاني والمدلولات، ويشمل ذلك القواعد النحوية والتصريف واللغة والبلاغة، لأن القرآن نزل بلسان العرب فلا يعدل عن ذلك إلا لمدلولات شرعية جديدة جاء بها النقل.

ثالثاً: ما يعلمه العلماء الراسخون المتمكنون في سائر العلوم والقواعد التي تؤهلهم لفهم القرآن فهماً كاملاً، وتأتي هنا القواعد الأصولية والفقهية مضافة إلى ما سبق.

رابعاً: ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجل، كعلوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي استأثر بها، وكفواتح السور وآيات صفاته تعالى الموهمة للتشبيه كمثله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فإنه يجب أن نؤمن به على الوجه الذي أراده الله عزَّ وجل من غير أن نبحث عن الكيفية والحقيقة، وهكذا يقال في كل صفة لله عزَّ وجل جاءت في القرآن مما ظاهره يوهم التشبيه بخلقه، مثل: اليد واليمين والقدم والسمع والبصر والكلام والنفس والعجب والضحك والفرح والغضب...

وكل ما كان من هذا القبيل فلا مجال فيها للاجتهاد ولا التأويل إلا بتوقيف بنص من القرآن أو السنَّة الصحيحة أو الإجماع.

أمر لا يجوز الكلام فيها إلا بدليل نقلٍ صحيح

ومما يجب أن يعلم هنا أن هنالك أموراً تتعلق بالقرآن زيادة على سابقه لا يجوز الخوض والكلام فيها إلا بطريق السمع عن النبي ﷺ أو عن أصحابه الذين شاهدوا الوحي، وأخبروا عما رأوه أو سمعوه من حضرة النبي ﷺ، وهي أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأنبياء، والأمم الماضية، وأخبار الكوائن المرتقبة، وشؤون الآخرة، وأحوال القبور، والبعث والنشر، والجنة والنار...

فهذه الأمور علمها متوقف على السمع والنقل الحق، ويحرم الكلام فيها بلا حجة أشد التحريم.

مصادر التفسير

اعلم أن مصادر التفسير التي يرجع إليها لتفسير كتاب الله عزَّ وجل هي

ثلاثة:

أولاً: القرآن الكريم، فهو أصح وأعلى الطرق في ذلك، فما أجمله في

آية فسّره في أخرى، وما أبهمه في كلمة . . بيّنه في آية ثانية، وما أطلق حكمه أو عمّمه في موضع . . . قيّده أو خصه في موضع آخر . . . وهكذا، فالقرآن الكريم هو مصدر أساسي للتفسير .

ولتفسير أبي الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى الحظ الأوفى في ذلك، فقد اعتنى بذلك كثيرًا، وفي عصرنا كتب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى كتابه الرائق: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» استوفى فيه هذا الجانب وأتى فيه بالعجب، جاء في تسع مجلدات .

ثانيًا: السنّة المحمدية، فهي شارحة للقرآن الكريم على أوسع نطاق . فهذه الأمهات والدواوين التي كتبت فيها ألوف الأسفار والمجلدات من السنّة النبوية كلها تفسير وبيان لهذا الكتاب العظيم جملةً وتفصيلاً .

أما ما جاء عن بعض أهل العلم من أن ما فسّره النبي ﷺ من القرآن الكريم هو شيء قليل جدًّا، فليس على إطلاقه، بل مرادهم بذلك ما جاء عنه منصوصًا عليه بتعيين آياته وكلماته كما سنذكره في كتابنا هذا، وليس المراد أنه لم يفسر من القرآن إلاّ القليل، فإن هذا باطل بالإجماع ومخالف للقواطع والواقع .

وقد قدمنا كلامًا لابن تيمية في هذا حيث قال: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه . . إلخ .

ثالثًا: أقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم كالخلفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وأبي بن كعب وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم ممن شاهدوا الوحي والتزيل، فإن تفاسيرهم ترجع إلى أمرين اثنين :

إما لفهمهم القرآن بالوضع اللغوي والأساليب العربية لأنهم كانوا عربًا أقحاحًا، فهم حجة في ذلك .

وإما لسماعهم من النبي ﷺ ذلك وما شاهدوه من نزول الوحي

وما رأوه من القرائن، فتفاسيرهم على هذا من قبيل المرفوع فهي حجة أيضاً.
مذاهب العلماء في تفسير الصحابة:

نعم هناك نوع اختلاف في أقوالهم في التفسير، فذهب الجمهور إلى التقييد والتفصيل، فقال الحافظ العراقي:

وَعَدُّ مَا فَسَّرَهُ الصَّحَابِيُّ رَفْعًا فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَسْبَابِ

قال ابن الصلاح^(١): إنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر بها الصحابي أو نحو ذلك. ونحوه عند النووي في التقریب^(٢).

قال الحافظ ابن حجر في نكته^(٣) على مقدمة ابن الصلاح: تبع المصنف في ذلك الخطيب، وكذا قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: إذا أخبر الصحابي عن سبب وقع في عصر النبي ﷺ أو أخبر عن نزول آية له بذلك: مُسْنَدٌ. لكن أطلق الحاكم النقل عن البخاري ومسلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند، قال الحافظ: والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا منقولاً عن لسان العرب فحكمه الرفع وإلاً فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع.

وقد نظم هذا العراقي في ألفيته فقال:

وَمَا أَتَى عَنْ صَاحِبٍ بِحَيْثُ لَا يُقَالُ رَأْيًا حُكْمُهُ الرَّفْعُ عَلَى مَا قَالَ فِي الْمَحْمُولِ نَحْوُ «مَنْ أَتَى» فَالْحَاكِمُ الرَّفْعَ لِهَذَا أَثَبْنَا

(١) في المقدمة ص ٧٠.

(٢) مع التدريب.

(٣) ٥٣٢، ٥٣١، ٥٣٠/٢.

وقوله من أتى إشارة إلى قول ابن مسعود: «من أتى ساحرًا أو عرافًا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١). فهذا له حكم الرفع لأنه لا مجال فيه للرأي والاجتهاد.

قال الحافظ: وأما إذا فسّر آية تتعلق بحكم شرعي فيحتمل أن يكون ذلك مستفادًا عن النبي ﷺ وعن القواعد فلا يجزم برفعه، وكذا إذا فسّر مفردًا فهذا نقل عن اللسان خاصة فلا يجزم برفعه، وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة، كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي وأبي بكر ابن مردويه، والبيهقي وابن عبد البر في آخرين. انتهى نقل الحافظ.

وما ذكره هنا من رفع تفسير الصحابي هو مقيد أيضًا بما إذا لم يكن ممن يروي الإسراييليات كمسلمة أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكعبد الله بن عمرو الذي كانت له كتب كثيرة لأهل الكتاب كان يخبر بما فيها من الأمور الغيبية، وكذا من عرف بروايته عن أهل الكتاب. وما ذكر من هذه التفاصيل هو المعتمد وقول الجماهير من أهل الأصول والحديث.

وذهب بعضهم كالحاكم في المستدرک^(٢) إلى أن تفسير الصحابي عند البخاري ومسلم مسند مطلقًا، وتبعه على ذلك الزركشي في البرهان^(٣)، ووجهه بأنه من باب الرواية لا الرأي، والصحيح ما تقدم من التفصيل، هذا ما يتعلق بالبحث في حكم تفسير الصحابي.

(١) وهو عند الحاكم في علوم الحديث ص ٢٢، وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة مرفوعة، منها في صحيح مسلم.

(٢) ١/٢٣، ٢٧، ٥٤٢.

(٣) ١٥٧/٢.

ويبقى بعد ذلك الأمر فيما إذا وقع بينهم اختلاف فالمرجوع إليهم في ذلك وقتئذٍ مَنْ اشتهروا بالتفسير بكثرة وخاصةً مَنْ عُمِّر بعد الخلفاء كابن مسعود رضي الله تعالى عنه الذي كان يعتبر من علماء الصحابة الربانيين، والذي كان يقول: والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته^(١).

وكذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة، فقد كان إماماً في التفسير بحرّاً فيه تصديقاً لدعاء النبي ﷺ له حيث قال فيه: «اللَّهُمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٢)، فكان آية في ذلك لا يجارى، ولذا اعتمد البخاري في صحيحه تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة الذي أخذ تفسيره عن تلامذته كالقاسم بن محمد ومجاهد الذي قال: إنه قرأ على ابن عباس ثلاث ختمات يوقفه عند كل آية.

أمّا الإمام علي رضي الله تعالى عنه وإن كان من صدور مفسري الصحابة وعنه أخذ ابن عباس شيئاً كثيراً من التفسير، فإنه لم يتجرد لهذا الشأن كابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم.

فهذه الأنواع الثلاثة - التفسير بالقرآن، والتفسير بالسنة، والتفسير بأقوال الصحابة - هي مصادر التفسير، أما تفاسير التابعين فليست مصدراً مستقلاً، بل تفاسيرهم مأخوذة عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم...

(١) رواه ابن جرير ٣٦/١.

(٢) هو بهذا اللفظ رواه أحمد ٣٣٥/١، وهو في الصحيحين بلفظ: «اللهم علمه الحكمة»، وفي رواية: «علمه الكتاب».

التفسير عبر الأجيال

كان التفسير أيام النبوة وعصر الصحابة والتابعين فمن بعدهم بقليل محفوظًا في الصدور يتلقاه اللاحق عن السابق من الأفواه ولم يكن شيء منه مدونًا.

ولما جاء ابتداء وقت التدوين للسنة النبوية كان التفسير في طليعتها، فكتب جماعة من المحدثين كتبًا خاصة في التفسير بالمأثور دَوَّنوا فيها ما جاء عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين في ذلك على الخصوص.

وكان من أبرزهم عبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي شيبة، وابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وأضرابهم من المتقدمين، ثم محيي السنَّة البغوي^(١)، وابن كثير والسيوطي، من المتأخرين.

فهذه التفاسير تعتبر تفاسير سلفية محضة، وعندما دَوَّنت أمهات السنَّة وأصولها خصَّص كثير منهم أجنحة للتفسير الأثري، وكان من أعلامهم الإمام البخاري والنسائي والترمذي . . . ثم تخللتها تفاسير أخرى جاءت على نمط آخر جمعت بين الدراية والرواية المحذوفة الأسانيد، وكان من أشهرها الآتي: الكشاف للزمخشري، وتفسير النسفي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ومفاتيح الغيب للرازي، ولباب التأويل للخازن، والبحر لأبي حيان، وروح البيان للألوسي، وغيرها مما هو كثير جدًا.

(١) كان الإمام ابن تيمية رحمه الله يقول: إنه أحسن التفاسير . . . وهذا قاله قبل وجود ابن كثير.

أحسن التفاسير التي تكفي لفهم كلام الله تعالى

وقد يتساءل الكثيرون عن أحسن وأكمل تفسير يمكن معه فهم كلام الله عزَّ وجلَّ فهمًا كاملاً من جميع نواحيه .

وجواباً عن هذا نقول: إن أحسن التفاسير وأجملها وأوعاها بالنسبة للتفسير الأثري هو تفسير شيخ المفسرين محمد ابن جرير الطبري الذي قال فيه الإمام النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسيره، والذي قال فيه السيوطي: هو أجل التفاسير وأعظمها، والذي قال فيه قبلهما أبو حامد الإسفراييني: لو سافر أحد إلى الصين في تحصيله لم يكن كثيراً.

ثم بعده تفسير أبي الفداء ابن كثير وهو أحسن وأجل من تفسير ابن جرير من ناحية جمع الأحاديث والآثار وعزوها لأمهاتها وأصولها المختلفة مع النقد والاختصار النافع، وقد نصَّ على أفضليته جماعة من الأعلام كالسيوطي في كتبه، والزرقاني في شرح المواهب، وابن جعفر في الرسالة المستترفة.

نعم للحافظ السيوطي الدر المثور في التفسير بالمأثور لو كان أبقاه على أصله ترجمان القرآن بأسانيده لما كان في الدنيا أجمع منه، هذا بالنسبة للمأثور.

أما التفسير الكافي الشافي من جميع الوجوه فلا يوجد أصلاً في عالم المطبوعات، وإنما يمكن أن يجمع بين عدة تفاسير فتكون كافية إن شاء الله تعالى، وهي:

الأول: ابن كثير، وفائدته ما تقدم.

الثاني: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب، وهو للأبحاث اللفظية

واستخراج درر القرآن ونكته وفوائده، مع حل الإشكالات اللفظية والمعنوية.

الثالث: تفسير روح البيان للألوسي وهو في معنى الذي قبله إلا أنه يزيد عليه في تحقيق كثير من المسائل، وينقل فيه كلام المتأخرين ويعتمد على الحافظ في الفتح في الكلام على الأحاديث، ويورد فيه رسائل لبعض من قبله برمتها في أبحاث نفيسة كلامية وغيرها.

الرابع: تفسير القرطبي وفائده مع تفسير السلف التعرض للإعراب الصحيح والأحكام الفقهية مع نكت وفوائد لا توجد في غيره.

فمن حاز ما ذكرنا فقد جمع من التفاسير ما يكفي، ويمكن الاستغناء بابن كثير والفخر الرازي والألوسي^(١).

وما ذكرناه فبالنسبة لأعلى مراتب التفسير وفهم القرآن من جميع النواحي والوجوه.

أما أدنى مراتب التفسير أو وسطه وفهم كلام الله عز وجل فهما من غير تعمق ولا استيعاب مما يكون عوناً لقارئه على التدبر في الجملة فيكفي فيه من التفاسير واحد من الآتي: تفسير النسفي أو البيضاوي، أو الخازن^(٢). ومن المعاصرين: تفسير صفوة التفاسير، أو المقتطف من عيون التفاسير، فبعض هذه كافية إن شاء الله تعالى.

ما يكفي من العلوم لمن يريد فهم القرآن الكريم فهماً كاملاً فإن قيل: وماذا يلزم الإنسان من العلوم حتى يفهم القرآن الكريم ويعرفه على الوجه اللائق الكامل حسب الطاقة البشرية؟

(١) ملخصاً من رسالة للإمام السيد أحمد الصديق رحمه الله تعالى.

(٢) كان الشيخ عبد الله الصديق رحمه الله تعالى يقول: إنه أحسن التفاسير.

وأجيب: بأنه يجب عليه أن تتوفر فيه العلوم الآتية، وهي:

أولاً: العلوم العربية بجميع أنواعها: كالقواعد النحوية؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب وتقديم الكلام وتأخيرته وتقديره، ثم التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ لأنه قد توجد كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها، ثم الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالـمسيح مثلاً هل هو مشتق من المسح أو السياحة، وكالقرء في قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ قُرُوءٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، من أي شيء اشتق؟ ثم اللغة العربية وهي معرفة معاني المفردات. . وعلى ما تدل عليه بحسب الوضع العربي حقيقته ومجازته، ثم علوم البلاغة، وهي البيان والمعاني والبديع، فإن لها أهمية كبرى في التفسير، فإنه بالأول يعرف خواص الكلمات من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالتالي يعرف خواص التراكيب من جهة إفادتها المعنى، وبالتالي يعرف وجه تحسين الكلام، وهذه العلوم هي الأساس الأول.

ثانياً: علم القراءات المختلفة المتواترة منها والآحاد إذا صحّت، فإنه بها يعرف ترجيح بعض الوجوه المختلفة مع فوائد أخرى.

ثالثاً: العلم بأسباب النزول، إذ بذلك يعرف معنى الآية بحسب ما أنزلت فيه، وهو من المهمات في ذلك.

رابعاً: معرفة الناسخ والمنسوخ، إذ بذلك يعرف المحكم المعمول به من المنسوخ المرفوع حكمه، وقد ذكر المحققون من أهل التفسير أن الآيات المنسوخة لا تزيد على نحو من عشرين آية.

خامساً: أن يكون على علم واسع بالسنة المحمّدية، إذ هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي والشارحة للقرآن جملةً وتفصيلاً، ولذلك كان أكثر

المفسرين يخطون خبط عشواء في تفاسيرهم فيوردون من المناكير والموضوعات فضلاً عن الضعيف ما هو معروف لدى العلماء بالحديث، وهذا عيب كبير وقع فيه من لا دراية له بعلم الحديث الشريف .

سادساً: أن يكون عارفاً بأصول الدين والعقائد الإسلامية، ويكون له إمام كامل بما يجب لله ورسله، وما يستحيل وما يجوز، مع توابع ذلك .

سابعاً: أن تكون له معرفة بأصول الفقه وقواعده، إذ بذلك يعرف طرق الاستدلال على الأحكام واستنباط ما يحتاج إليه . . وهذا العلم ضروري للأحكام الشرعية . . .

ثامناً: أن يكون على علم ومعرفة بالفقه الإسلامي والمذاهب الإسلامية والخلاف العالي، فإن ذلك أكبر معين له على أخذ الأحكام من القرآن مباشرة . . .

فمن أحرز كل هذه العلوم فهم كلام الله تعالى فهماً كاملاً حسب الحالة البشرية لأنه يكون وقته كمطلق العرب الأقحاح الفصحاء مع زيادة معارف أخرى . . . وليس المراد أن تكون له هذه العلوم في حافظته حاضرة بكلياتها وجزئياتها، كلا بل يكون عارفاً بمبادئها وكلياتها وقواعدها العامة، فإذا أشكل عليه شيء منها رجع إلى ما ألف وكتب فيها، والأمر سهل على من سهله الله تعالى عليه .

أما من كان قاصراً عن هذه العلوم أو بعضها فله أن يرجع إلى أي تفسير من التفاسير المتوسطة ليكون له عوناً على ما يؤهله لفهم معاني القرآن في الجملة حتى يتدبره ويجني ثماره، والله الهادي الموفق إلى أقوم طريق .

عملي في هذا الكتاب

وكان عملي في هذا الكتاب بتوفيق الله تعالى وعونه حسب النقاط الآتية:

أولاً: أذكر السورة باسمها ونوعها، مكية أو مدنية، ثم عدد آياتها، ثم ما احتوت عليه من المقاصد على سبيل الإجمال.

ثانياً: أورد ما اختصت به كل سورة عن غيرها من العلوم والأحكام والأخلاق والعقائد والقصص والحكم والأسرار وما إلى ذلك، وبالرجوع إلى أقرب سورة يعرف القارئ ذلك، وهذا شيء لم أسبق إليه بحمد الله تعالى فيما أعلم، فينبغي أن يضم إلى أنواع علوم القرآن.

ثالثاً: أذكر الأحاديث النبوية المرفوعة المتعلقة بالسورة أو الآية أو الكلمة، ويشمل ذلك أحاديث أسباب النزول وهي كثيرة، والناسخ والمنسوخ وهي قليلة، والأحاديث الشارحة لبعض الآيات أو الكلمات، أو بيان لحقائق شرعية، وأحاديث جاء فيها استشهاد النبي ﷺ بآيات... وأحاديث فضائل السور والآيات، وذكر السور التي كان يقرأها في صلاته، وأحاديث سجدة القرآن، إلى غير ذلك مما أورده مفسرو السلف الذين استقيت من كتبهم واقتفيت أثرهم.

رابعاً: قد أذكر أحياناً تفاسير بعض الصحابة الموقوفة وخاصة ما جاء عن الإمام علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وهي قليلة.

خامساً: وهو مما خص به الكتاب والحمد لله، لا أورد إلا ما كان صحيحاً أو حسناً أو ما يقاربه من الضعيف الخفيف، كأحاديث ليث بن أبي سليم، وعطاء بن السائب، وعبد الله بن لهيعة، وابن إسحاق مع عننته، ونحوهم، وهي أيضاً قليلة.

سادساً: شرحت الأحاديث الواردة في الكتاب مع الآيات وذكرت فوائد وفرائد وتحقيقات لبعض ما اختلف فيه.

سابعاً: ذكرت من الآيات المشروحة نحواً من ثمانمئة وثلاثين آية .
 ثامناً: ذكرت من الخصائص التي استخرجتها من السور نحواً من
 تسعمائة ونيّف خصيصة .

تاسعاً: أوردت من الأحاديث ألفاً وثلاثمئة وسبعاً وثلاثين حديثاً
 تشمل أغلب الموضوعات الإسلامية، وفيها المتواتر بلفظه ومعناه، والآحاد
 بمشهوره وعزيزه وغريبه، والصحيح والحسن منها بأقسامها الأربعة، وفيها
 الضعيف المنجبر، وفيها الأحاديث القصار والطوال، وأطولها نحو
 أحد عشر حديثاً كحديث قصة موسى والخضر عليهما السّلام وحديث الإفك
 المتعلق بمولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وحديث صلح الحديبية،
 وحديث الكتابة إلى هرقل، وحديث بداية الوحي في أحاديث أخرى .

عاشراً: وضعت فهرس للكتاب، شملت:

- ١ - فهرساً للآيات التي ورد فيها سبب النزول .
 - ٢ - فهرساً للأحاديث الواردة في الكتاب، ذاكراً طرف الحديث،
 أو موضوعه الأبرز، وجعلته مرتباً على الحروف الهجائية .
 - ٣ - فهرساً للموضوعات والمسائل المستخرجة من الآيات والأحاديث .
- واللّهُ سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم خالياً من
 كل علة ومنزهاً عن كل شائبة شر، وأن يتقبله مني ويجعله هدية إلى حبيبتنا
 ومرشدنا ومعلمنا وإمامنا وقدوتنا، سيدنا أبي القاسم مولانا محمد رسول
 الرحمة وشفيع الأمة، صلّى الله تعالى عليه وآله وذريّته وزوجه وصحبه
 وحزبه، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

وكتبه

أبو الفتوح عبد الله عبد القادر التليدي

بتاريخ ١٥ صفر عام ١٤٢٢هـ

بطنجة المغرب

﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهْدَى اللَّهُ وَجْهَنَا لِلْإِسْلَامِ
وَأَلَّاهُ وَجْهًا وَعَزَبَهُ

هذه السورة الكريمة من السور المكية، وهي سبع آيات، وتعتبر نسخة مختصرة من القرآن الكريم، فقد اشتملت بالإجمال على كل ما بيّن وفُصّل في القرآن المبين.

مقاصد القرآن الكريم

ذلك أن المقاصد الأساسية التي يتحدث عنها القرآن هي الآتي:
التوحيد، الأحكام، القصص، الأخلاق، وبالتفصيل ما ذكرته في أوائل «دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون» ص ٤٧ وهو مطبوع، وهي:

أولاً: التوحيد والدعوة إلى معرفة الله عزّ وجل، والإيمان والإقرار به وإلى عبادته وحده، والنهي عن اتخاذ شركاء معه، والإفاضة في ذكر ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته بجميع أقسامها... وخاصة في السور المكية.

ثانياً: بيان الخلق والإبداع لهذه الكائنات، والإشادة بذلك بكثرة في كل السور والاستدلال بذلك على الوحدانية... والحياة بعد الموت.

ثالثاً: كلامه على الموت والقبور، وقيام الساعة وأشراتها، والبعث

والنشر، والمعاد، وأحوال القيامة، والحساب، والصراط، والجزاء، والجنة والنار وصفاتهما، وما أعدَّ لأصحابهما فيهما من نعيم وعذاب .

رابعًا: بيان الصراط المستقيم ونهج الله القويم، وذكر الأخلاق السامية التي تهذب النفوس، وتثير القلوب، وتحمل على الاستقامة والالتزام، مع ذكر أصدادها السافلة الساقطة، المزرية بالدين والإنسانية والفطرة .

خامسًا: ذكر المنعم عليهم من النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، والعلماء العاملين، والمؤمنين الصادقين، وصفاتهم، وأحوالهم أبرارًا ومقربين .

سادسًا: بيان الكفر والكافرين، والطغاة، والظالمين، والمجرمين، والمنافقين، وبيان مآلهم وعواقبهم في الدارين، وسنن الله عزَّ وجل فيهم .

سابعًا: ذكر قصص الأنبياء مع أممهم وكيف نصرهم الله تعالى وأهلك أعداءهم، وبيان مواقفهم معهم ومجادلاتهم . . . وقد احتلت هذه القصص نحو الثلث من القرآن .

ثامنًا: بيان الأحكام التشريعية من عبادات، ومعاملات، وجنایات، وحدود، وموارث، وعلاقات زوجية، والجهاد، والسيرة النبوية، والشؤون السياسية والدستورية، ونظام الحكم، والعلاقات الدولية . . .

تاسعًا: ذكر العلوم والمعارف، والكلام على المغيبات السابقة واللاحقة، وبيان حقائق علمية لم يهتدِ الإنسان إلى بعض منها إلا اليوم، ولم تزل فيه علوم وأسرار وحقائق لم تصل إليها البشرية بعد .

من خصائص السورة

إن هذه المقاصد التي مرَّ ذكرها، وما تفرع عنها من أنواع وجزئيات جاءت مجملة في هذه السورة الكريمة سورة الفاتحة . وبذلك يعلم السر في

تسميتها بأَم الكتاب، وبأَم القرآن، والقرآن العظيم... فهذه من خصائصها التي لم يشاركها فيها غيرها من السور.

ومن خصائصها أنها أعظم سورة في القرآن كما سيأتي في الأنفال في حديث بذلك. ومن خصائصها أنها تكفي عن غيرها في الصلاة عند عامة الأئمة، ولا يكفي عنها غيرها إلا في رواية عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه.

من فضلها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «من صَلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأَم القرآن فهي خداج»^(١) - ثلاثاً - غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٧)، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٨)، قال الله: مجّدي عبدي، وقال مرة: فوّض إليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٩)، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١٠) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ^(١١)، قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل.

رواه أحمد ١٤١/٢، ٢٥٠، ٢٨٥، ومسلم في الصلاة ١٠١/٤، ١٠٢،

(١) خداج، بكسر الخاء، أي: ناقصة. قسمت الصلاة: أراد بها القراءة لأنها جزء من الصلاة. وفي الحديث فضل قراءة الفاتحة ووجوب قراءتها في الصلاة. وستأتي أحاديث تتعلق بهذه السورة آخر البقرة وفي الأنفال وفي النحل.

وأبو داود ٨٢١، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٧، بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٢٨٣/٦، وفي المجتبى وابن ماجه في الصلاة ٨٣٨ وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.



عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى».

رواه أحمد ٥٤/٤، ٥٦/٢، ٥٨/٢، ٣٧٧/٢، ٣٧٩، والترمذي ٢٧٦٢، وابن جرير ٧٩/١، كلاهما في التفسير، وابن حبان ٦٢٤٦ بالإحسان، وغيرهم، وهو حديث حسن أو صحيح.

وفي الحديث الشريف تفسير وبيان لما أبهم في الآية الكريمة من المغضوب عليهم والضالين. وإنما كان اليهود مغضوباً عليهم لأنهم عرفوا الحق وكنموه، وفيهم جاء قوله تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]. أما النصارى فجاءهم الضلال من جهلهم وتقليدهم لرهبانهم، وفيهم قال الله عز وجل: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا﴾ [المائدة: ٧٧]. وهذا التفسير متفق عليه بين المفسرين.

والسورة الكريمة ليس فيها تفسير مرفوع إلا ما ذكرنا، وما يتعلق ببعض معانيها كصراط المنعم عليهم ونحوه يأتي في مناسبه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه إلى الأبد.



﴿ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَسَلَامٌ وَمَا يَنْبَغِي
وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ

هذه السورة الكريمة مدنية، تعتبر أطول سورة في القرآن العظيم على الإطلاق إذ آياتها ٢٨٦ آية، وهي أم السبع الطوال، وأفضلهن، وأجمعهن لمقاصد الدين وأسس وقواعده، فقلما موضوع أو مقصد من مقاصد القرآن إلا وله فيها ذكر، إما مجملًا أو مفصلاً.

فقد اشتملت على أصول الدين من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وذكرت من الأسماء والصفات كثيرًا بل اسم الله وحده ذكر فيها نحوًا من مائتين وخمسين مرة، واسم الرب كرر فيها سبعة وثلاثين مرة، وذكر فيها من الأسماء والصفات: الرحمن، الرحيم، الغفور، التواب، الرؤوف، العزيز، الحكيم، العليم، الغني، الحميد، العلي، العظيم، الحي، القيوم، الشاكر، الشديد، البديع، الواسع، السميع، الناصر، البصير، الباريء، المحيط، القدير، الواحد، إلى غير ذلك.

وتحدثت عن الرسالة والقرآن والجنة والنار... وفيها الكلام على: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وأحكام الأسرة، والاقتصاد،

والأيمان، والندور، والأطعمة، والأشربة، والدماء، والوصايا، والرهن، والدين، والشهادة، إلى غير ذلك من الأخلاق والفضائل ومقاصد الشريعة التي أودعت فيها، ولهذا كان لها شأن مما جعل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن يمكث في دراستها ثمان سنوات .

من خصائص هذه السورة

وهذه السورة تمتاز عن غيرها من باقي السور، المكي منها والمدني، بمزايا وخصائص لا توجد في غيرها، وهي كالآتي :

١ — ذكر أصناف البشرية إزاء الهداية والضلالة، وذلك بداية من أول السورة إلى آية ٢٠، وهم: المؤمنون الخُلص، والكافرون الخُلص، ثم المنافقون .

٢ — ذكر أول مثل في القرآن وضرب للمنافقين بالنار والماء، انظر آيات ١٧ — ٢٠ .

٣ — أول خطاب إلهي وجهه لعباده جميعاً أمراً لهم بأن يعبدوه، آية ٢١ .

٤ — ذكر البعوضة والسرف في ضرب المثل بها، آية ٢٦ .

٥ — ذكر أول آية امتن فيها الله عز وجل على عباده بأن كل ما في الأرض خلق لهم بالأصالة فضلاً منه تعالى ولطفاً بهم، آية ٢٩ .

٦ — اختصت بذكر قصة سيدنا آدم عليه السّلام مع الملائكة عليهم السّلام وإبليس اللعين، من بين سائر السور المدنية، وإنما ذكرت وكررت في السور المكية، آيات ٣٠ — ٣٩ .

٧ — إخبار الله تعالى ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، آية ٣٠ .

٨ — نعمة الله تعالى على آدم عليه السّلام وتفضيله وتكريمه بتعليمه الأسماء ومسمياتها، آيات ٣١ — ٣٣ .

- ٩ — ذكره تعالى بني إسرائيل وخطابه إياهم وتذكيره إياهم بنعمه تعالى عليهم، وذلك في نحو من ثلث السورة، بداية من آية ٤٠ إلى نهاية آية ١٢٣.
- ١٠ — ذم من يأمر غيره بالبر والمعروف وينسى نفسه، آية ٤٤.
- ١١ — ذكر قصة بني إسرائيل وقولهم لسيدنا موسى عليه السلام: لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض، آية ٦١.
- ١٢ — ذكر قصة البقرة وإحياء الميت وإخباره بمن قتله، وما في ذلك من العبرة، آيات ٦٧ — ٧٣.
- ١٣ — ذكر الآية في الحجارة وتصدعها من خشية الله وعظمتها وخروج الأنهار والينابيع منها وتدققها بغزارة ثم ترديها وتفتتها من خوف الله، انظر آية ٧٤.
- ١٤ — أن اليهود أحرص الناس على الحياة من كل الأمم، آية ٩٦.
- ١٥ — عداوة اليهود لجبريل عداوة سافرة، آيتان ٩٧، ٩٨.
- ١٦ — تبرئة سيدنا سليمان عليه السلام من السحر الذي نسب إليه اليهود كذبًا وزورًا، آية ١٠٢.
- ١٧ — ذكر هاروت وماروت وما كلفا به من تعليم السحر بعد النصيحة، آية ١٠٢.
- ١٨ — مشروعية النسخ في الإسلام وأنه تعالى قد يأتي بخير مما نسخ أو مثله، آية ١٠٦.
- ١٩ — بيان أنه لا أحد أظلم ممن يمنع الناس من ذكر الله في المساجد، آية ١١٤.
- ٢٠ — لا يرضى اليهود والنصارى على المسلمين حتى يكونوا مثلهم، آية ١٢٠.

- ٢١ — دعاء الخليل عليه السّلام ربه ببعثة نبينا ﷺ، آية ١٢٩ .
- ٢٢ — وصاية الخليل ويعقوب عليهما السّلام بِنِيهِمَا باتِّباع ملة الإسلام والثبات عليها حتى الموت، آية ١٣٢ .
- ٢٣ — قصة تحويل القبلة وما حصل عندها من انتقاد اليهود... ووجوب التوجه إليها واستقبالها من جميع جهات أهل الأرض... آيات ١٤٢ — ١٥٠ .
- ٢٤ — تفضل الله عز وجل على الأمة المحمدية بأنهم أمة وسط، أي خيار عدول، آية ١٤٣ .
- ٢٥ — مشروعية الاسترجاع عند المصيبة وثواب من صبر عندها، آيات ١٥٣ — ١٥٧ .
- ٢٦ — ذكر الصفا والمروة والطواف بهما، وأنهما من أعلام دين الله، آية ١٥٨ .
- ٢٧ — حكم كاتمي العلم وما أنزل الله عز وجل من الدين الحق، آيات ١٥٩ ، ١٦٠ .
- ٢٨ — بيان حكم الدماء وأن في الاقتصاص من القاتل حياة للناس، آيات ١٧٨ ، ١٧٩ .
- ٢٩ — بيان فرضية صيام رمضان وبعض أحكامه آيات ١٨٣ — ١٨٧ .
- ٣٠ — ذكر الاعتكاف وبعض أحكامه وأنه يكون في المساجد، آية ١٨٧ .
- ٣١ — النهي عن دفع الرشوة للحكام لأخذ أموال الناس بالإثم، آية ١٨٨ .
- ٣٢ — خلق الأهله والسر فيها، وما يتعلق بها من الأحكام، آية ١٨٩ .
- ٣٣ — الأمر بالقتال، والنهي عن القتال في الحرم المكي إلا دفاعًا... ، آيات ١٩٠ — ١٩٤ .

- ٣٤ - النهي عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة . . . وذلك عام، آية ١٩٥ .
- ٣٥ - وجوب إتمام الحج والعمرة لمن دخل فيهما، آية ١٩٦ .
- ٣٦ - الإحصار في الحج والعمرة وما يلزم في ذلك . . . ، آية ١٩٦ .
- ٣٧ - مشروعية الفدية في الحج والعمرة على من ارتكب محذورًا، آية ١٩٦ .
- ٣٨ - مشروعية التمتع بالعمرة إلى الحج وما يتبع ذلك، آية ١٩٦ .
- ٣٩ - ذكر مواقيت الحج الزمانية . . . ، آية ١٩٧ .
- ٤٠ - إباحة التجارة في الحج وأنه لا حرج في ذلك، آية ١٩٨ .
- ٤١ - مشروعية الإفاضة من عرفات والنزول بالمزدلفة، آيتان ١٩٨ ، ١٩٩ .
- ٤٢ - مشروعية ذكر الله في الأيام المعدودات أيام منى، آيات ٢٠٠ - ٢٠٣ .
- ٤٣ - ذكر أول آية نزلت في ذم الخمر والميسر، آية ٢١٩ .
- ٤٤ - النهي عن نكاح المشركات وإنكاح المشركين، آية ٢٢١ .
- ٤٥ - ذكر الحيض والنهي عن إتيان الحائض حتى تطهر، آية ٢٢٢ .
- ٤٦ - جعل الله عز وجل النساء حرثًا للرجال . . . ، آية ٢٢٣ .
- ٤٧ - بيان الإيلاء وهو الحلف على ترك وطء الزوجة، آيتان ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- ٤٨ - بيان عدة المطلقة التي تعتد بالأقراء، آية ٢٢٨ .
- ٤٩ - بيان أن المطلق له الحق في إرجاع الزوجة ما دامت في العدة إذا أراد الإصلاح، آية ٢٢٨ .
- ٥٠ - ذكر حقوق الزوجين وأن لكل منهما حقًا على الآخر، آية ٢٢٨ .
- ٥١ - بيان أنواع الطلاق التي يملك الزوج معها الرجعة، آية ٢٢٩ .

- ٥٢ — مشروعية الخلع وفدية المرأة نفسها من الزوج إن خافا سوء العشرة وعدم مراعاة حقوق الزوجية، آية ٢٢٩ .
- ٥٣ — بيان الطلاق الذي تحرم بعده الزوجة على زوجها، آية ٢٣٠ .
- ٥٤ — النهي عن الإضرار بالزوجة وإن ذلك من الاستهزاء بآيات الله، آية ٢٣١ .
- ٥٥ — النهي عن منع المرأة من رجوعها إلى زوجها بعد أن طلقها ثم هويها وهويته وصلحت الأحوال بينهما، آية ٢٣٢ .
- ٥٦ — بيان أمد الرضاع المشروع بين الزوجين، آية ٢٣٣ .
- ٥٧ — بيان عدة المرأة المتوفى عنها زوجها . . . ، آية ٢٣٤ .
- ٥٨ — النهي عن خطبة النساء وقت عدتهن، آية ٢٣٥ .
- ٥٩ — مشروعية الطلاق قبل فرض المهر وقبل الميسس، وقبل الدخول والميسس بعد فرض المهر والصداق وما يلزم ذلك، آيتان ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
- ٦٠ — وجوب المحافظة على الصلاة الوسطى على الخصوص وهي العصر، آية ٢٣٨ .
- ٦١ — قصة الإسرائيليين الذين خرجوا من ديارهم فارين من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم، آية ٢٤٣ .
- ٦٢ — ذكر قصة طالوت مع جالوت وما في ذلك من العبرة، آيات ٢٤٦ — ٢٥٢ .
- ٦٣ — ذكر آية الكرسي وهي أشرف آية في القرآن الكريم، آية ٢٥٥ .
- ٦٤ — ذكر قصة الطاغية الذي حاج إبراهيم في شأن ربه . . . ، آية ٢٥٨ .
- ٦٥ — قصة الرجل الذي مر على قرية هالكة فأماته الله مائة عام ثم أحياه، وما في ذلك من العبرة، آية ٢٥٩ .

- ٦٦ — قصة الخليل عليه الصّلاة والسّلام في الطيور وإحيائهم، آية ٢٦٠ .
- ٦٧ — تضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف، آية ٢٦١ .
- ٦٨ — ذم المن في الصدقة وأن ذلك مبطل لها، آيات ٢٦٢ — ٢٦٤ .
- ٦٩ — مثل رائع ضرب للمتصدق والصدقة، آيتان ٢٦٥، ٢٦٦ .
- ٧٠ — من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، آية ٢٦٩ .
- ٧١ — تحريم التعامل بالربا والوعيد الشديد في المرابين، آيات ٢٧٥ — ٢٧٩ .
- ٧٢ — الإرشاد إلى إنظار المعسر أو مسامحته، آية ٢٨٠ .
- ٧٣ — ذكر آخر آية نزلت من القرآن إطلاقاً، آية ٢٨١ .
- ٧٤ — ذكر أكبر آية في القرآن وهي آية المدائنة، آية ٢٨٢ .
- ٧٥ — بيان الشهود والشهادة وما يتبع ذلك، آيتان ٢٨٢، ٢٨٣ .
- ٧٦ — مشروعية الرهن عند عدم الثقة، آية ٢٨٣ .
- ٧٧ — ذكر خواتيم سورة البقرة وما جاء فيها من الفضل، آيات ٢٨٤ — ٢٨٦ .

هذا بعض ما يسر الله استخراجه من هذه السورة العظيمة مما لا يوجد في غيرها، وقد يوجد فيها غير ما ذكرنا لمن تتبعها بإمعان وتدبر كامل، وبالله المستعان.

من فضائل هذه السورة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة».

رواه أحمد ٢/٣٣٧، ٣٧٨، ٢٨٤، ومسلم في الصلاة رقم ٧٨٠، والترمذي في فضائل القرآن ٢٦٨٥، ورواية هذا: «إن البيت الذي تقرأ البقرة فيه لا يدخله شيطان».

لا تجعلوا بيوتكم مقابر: يحتمل معنيين: أي لا تهجروا الصلاة فيها كالمقابر، أو لا تدفنوا فيها موتاكم فتصيرها مقابر.

وفي الحديث فضل سورة البقرة، ولعظمتها وما فيها من أسرار وقوة الأنوار الإلهية يهرب الشيطان من المنزل الذي تقرأ فيه، وليس هذا لغيرها.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شافعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة».

رواه أحمد ٥/٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧، ومسلم في الصلاة رقم ٨٠٤.

وعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهم بعد، قال: «كأنهما غمامتان أو ظلّتان سَوْدَاوَانِ بينهما شَرَقٌ، أو كأنهما فَرَقَانِ من طير صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عن صاحبهما».

رواه أحمد ٤/١٨٣، ومسلم ٨٠٥، والترمذي ٢٦٩٢، كلاهما في فضائل القرآن.

الزهراوان تشنية زهراء، أي النيران المضيئة. غيايتان بفتحات هي كل ما أظلم الإنسان كالغمام وغيره. فرقان أي قطيعان من الطير، وفي رواية: حزقان وخرقان بالحاء والزاي، وبالحاء والراء، وكلاهما قريب في المعنى، وهي الجماعة أو القطعة من الشيء. صواف جمع صافة، أي مثل طير باسطات أجنحتها. شرق بفتح الشين وسكون الراء ثم قاف، أي نور وضوء. البطلة بفتحات هم السحرة.

وفي الحديثين فضل سورتي البقرة وآل عمران، وأنها تأتيان يوم القيامة تخاصمان عن قارئهما وحافظهما وتظللانه مما يسوءه، كما أن فيهما فضل أهل القرآن العاملين به وأنه سيكون شفيحاً لهم، جعلنا الله تعالى من أشرف أهله القائمين بحقوقه الذين يحلون حلاله ويحرّمون حرامه، والذين يتلونه حق تلاوته، آناء الليل وآناء النهار، آمين.

آية الكرسي

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبا المنذر أي آية من كتاب الله أعظم؟» قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر»، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية لساناً وشفيتين تقدس الملك عند ساق العرش».

رواه أحمد ١٤٢/٥، ومسلم في الصلاة ٨١٠، وأبو داود ١٤٦٠.

ليهنك بكسر اللام وفتح الياء وسكون الهاء وكسر النون، وهو مضارع هنا دخلت عليه لام الأمر، والتهنئة ضد التعزية فهي مقرونة بالسرور.

وفي الحديث فضل آية الكرسي وأنها أعظم آية في القرآن الكريم، وذلك لما احتوت عليه وجمعت من أصول الأسماء والصفات، من الألوهية والحياة والوحدانية والعلم والملك والقدرة والإرادة.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت».

رواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم ١٠٠، والطبراني وابن حبان كما عزاه إليهم المنذري في الترغيب وقال: بأسانيد أحدها صحيح، وجوده الهشمي كما في المجمع ١٠٢/١٠. وللحديث طرق وشواهد منها عن المغيرة بن شعبة عند أبي نعيم في الحلية ٢٢١/٣ وسنده لا بأس به في الشواهد...

وفيه فضل قراءة هذه الآية العظيمة دبر كل صلاة، وأن ذلك من موجبات الجنة، وسيأتي حديث أبي هريرة وغيره عند ذكر الآية إن شاء الله.

خواتيم سورة البقرة

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه».

رواه أحمد ١٥١/٥، والبخاري في فضل سورة البقرة رقم ٥٠٠٩، وفي المغازي ٤٠٠٨، ومسلم في الصلاة رقم ٨٠٧، والترمذي ٣٦٩٠، وباقي الجماعة والدارمي ٣٣٩١. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «بينما رسول الله ﷺ عنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضاً من فوقه، فرجع جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط. فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته».

رواه مسلم في فضائل القرآن من كتاب الصلاة رقم ٨٠٦. قوله: كفتاه، أي عن قيام الليل أو عن قراءة القرآن أو عن الإيمان... وقوله: نقيضاً، أي صوتاً.

وفي الحديثين فضل خواتيم هذه السورة وأن لها شأنًا عند الله عز وجل، ويأتي مزيد لهذا عند ذكر الآيتين إن شاء الله تعالى. وهذا أوان البداية في التفسير بإذن الله تعالى وعونه.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ طَائِعِينَ وَلَا غِبِّيَ لَهُ مَكْرُومٌ﴾ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

عن أبي جمعة رضي الله تعالى عنه قال: تغدينا مع رسول الله ﷺ

ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله هل أحدٌ خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك. قال: «نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني».

رواه أحمد ١٠٦/٤، والحاكم ٨٥/٤ وغيرهما بسند صحيح، وأورده النور في المجمع ٦٦/١٠ برواية أحمد وأبي يعلى والطبراني قال: بأسانيد وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات.

وله شاهد عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فقال: «أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً»، قالوا: يا رسول الله، الملائكة، قال: «هم كذلك ويحق لهم ذلك وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، بل غيرهم». ثم ذكر الأنبياء والشهداء ثم قال: «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً».

رواه أبو يعلى ١٦٠، والبخاري ٢٨٣٩، والحاكم ٨٥/٤، وصححه وحسن النور في المجمع ٦٦/١٠ بعض طرقه، وله شاهد آخر عن أنس رواه البخاري ٢٨٤٠، وعن ابن عمر ورواه الحسن بن عرفة.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي».

رواه أحمد ٢٤٨/٥، ٢٥٧، ٢٦٤، والطيالسي ٤٢، وابن حبان ٢١٦/١٦، قال الهيثمي ٦٧/١٠: رجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة. وللحديث شواهد عن أنس وأبي سعيد الخدري وأبي عبد الرحمن الجهني، وقد عزوتها في بداية الوصول.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بيننا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الرَّ ۙ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۙ ۞﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۙ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْمُفْلِحُونَ ۙ ۞﴾.

رواه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والحاكم ٢/٢٦٠، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

في هذه الأحاديث فضل الإيمان بالغيب المذكور في صفة المتقين. والغيب في الآية الكريمة هو ما غاب عنا مما لا نشاهده بحاستنا، فيشمل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، واليوم الآخر، والحياة بعد الموت، والبعث والنشور، ولقاء الله والجزاء والجنة والنار... فكل هذا غيب، فالتصديق بكل ذلك من صفات المتقين الأساسية التي علق عليها الفلاح.

قوله تعالى: ﴿الرَّ ۙ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۙ ۞﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۙ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۙ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۙ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۙ ۞ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۙ ۞ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۙ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۙ ۞ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۙ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۙ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۙ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۙ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِيمَانًا
فَخُنُّ مَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَاحَتِ يَعْتَرِثُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
أَسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٨﴾
ثُمَّ بَدَّلَهُمُ هَمَاقًا فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ ﴿١٩﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ
أَصْبِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ مِنَ الصُّوعِيقِ حَدَّرَ اللَّهُ النُّومَ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَتْ لَهُمْ مَشْأُو فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«القلوب أربعة: قلب أجرد مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه،
وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجة فيه
نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق فيه
الخالص، عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل
الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدّها القيح والدم، فأَيّ المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه».

رواه أحمد ١٧/٣، والطبراني في الصغير ١٠٩/٣، ١١٠ فيمن اسمه موسى،
وفيه ليث بن أبي سليم فيه كلام، وحسن له ابن كثير هذا الحديث.

افتتح الله عزَّ وجلَّ هذه السورة الكريمة بأربع آيات في صفة المؤمنين
الْخُلَّصِّ، وآيتين في الكفار الْخُلَّصِّ، وثلاث عشرة آية في المنافقين، وبذلك
يكون الناس بالنسبة للهداية والضلال ثلاثة أقسام.

ويبين أن المنافقين قسمان: خُلَّصِّ وهم المضروب لهم المثل
الناري: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا...﴾ إلخ. وقسم مترددون
تارة يظهر لهم لمع الإيمان، وتارة يخبوا، وهم أصحاب المثل المائي:

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَرَقٌّ... ﴾ الآية .

والحديث المذكور مفصل لصفات هذه الأصناف ومبين لها . قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار ، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ، وأن المنافقين أيضاً صنفان : منافق خالص ، ومنافق فيه شعبة من نفاق .

كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : «ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اتتمن خان» .

هكذا أورده ابن كثير ، والذي في الإيمان من البخاري ١/٩٧ ، ٩٨ ، ومسلم رقم ١٠٦ : «أربع من كن فيه . . .» وفيه : «وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» ، نعم جاء فيهما : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اتتمن خان» ، لكنه عن أبي هريرة لا عن ابن عمرو ، والكمال لله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» ، قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أي؟ قال : «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك» ، قلت : ثم أي؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك» .

رواه أحمد ١/٣٨٠ ، ٤٣٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، والبخاري في التفسير ٩/٢٣٠ وفي الأدب وفي اللديات وفي التوحيد ، ومسلم في الإيمان ٢/٨٠ ، وأبو داود رقم ٢٣١٠ ، والترمذي في تفسير سورة الفرقان ٢٩٧٦ ، والنسائي في التفسير من الكبرى ٦/٢٨٥ .

الند بكسر النون هو : المثل والنظير والشبيه . حليلة : أي زوجة .

والشاهد من الحديث قوله : أن تجعل لله نداً ، فاتخاذ الشريك مع الله تعالى هو أعظم الذنوب إطلاقاً ، ثم يأتي بعده قتل النفس بغير حق ، وأفحش

ذلك ما كان سائداً في الجاهلية من قتل الأولاد خوفاً من إطعامهم . . . ثم تأتي جريمة الزنا تلك الفاحشة العظيمة، وأعظمها وأشنعها جرماً أن تكون بزوجة الجار الذي أمر المسلم بالإحسان إليه وإكرامه ومراعاة حقوقه والحفاظ على حرمة. والترتيب في هذه الكبائر ليس على إطلاقه، فترك الصلاة ولو صلاة واحدة أعظم من قتل النفس عند الله وأكبر من الزنا، وتعاطي الربا أكبر من الزنا أيضاً . . .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْۤا اَجْعَلْ فِيْهَا مَن يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّيْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَۤ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اَنْبِئُوْنِيْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢١﴾ .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبث والطيب».

رواه أحمد ٤/٤٠٦، وأبو داود في السنة ٤٦٩٣، والترمذي في التفسير ٢٧٦٣، وابن حبان ٦١٦١، ٦١٨١، في الإحسان، والحاكم ٢/٢٦١، ٢٦٢ وغيره، وحسنه الترمذي وصححه.

قبضة: هي ملء الكف. والحزن بفتح الحاء وسكون الزاي هو: الغليظ الصعب.

وفي الحديث إعلام بأصل الإنسان وما ركب فيه من الأخلاق، وما جبل عليه من الطباع، وأنه تابع للأرض في جميع ما فيها. وفي الموضوع أحاديث لعله يأتي بعضها فيما يأتي من ذكر سيدنا آدم عليه السلام. وفي قوله تعالى: ﴿ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ﴾ إشارة إلى أنه لا بد للناس من خليفة

يخلف الله في الأرض في الحكم بالعدل والقيام بمهمات الدين والدنيا،
وباب الخلافة واسع له أحكام وشروط، وجاءت في الموضوع أحاديث
شتى.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يجتمع
المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا
هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك
ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من
مكاننا هذا»، الحديث بطوله في الشفاعة.

رواه أحمد ١١٦/٣، والبخاري في التفسير ٢٢٦/٩، ٢٢٧، وفي الرقاق وفي
التوحيد، ومسلم في الإيمان ٥٣/٣، ٥٨، والنسائي في الكبرى ٢٨٤/٦ وغيره.

قوله: «أنت أبو الناس»، في رواية: «أنت أبو البشر»، وفيه رد على
الدرونيين الذين يزعمون أن الإنسان أصله قرد، لعنهم الله وأخزاهم.

وقوله: «وعلمك أسماء كل شيء»، معناه أن الله عز وجل علمه جميع
أسماء الذوات وغيرها مما سيوجد من أنواع الكائنات بجميع لغات بنيه،
وكان ذلك من أعظم ما أكرمه الله عز وجل به، وأفاضه عليه من نعمه، وفضله
بذلك حتى على الملائكة المكرمين عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ...﴾ إلخ، صريح في أنه
كلم ملائكته بما ذكر وأنهم أجابوه بما في الآية. وقد ضل أقوام من
المعاصرين العقلانيين فردوا ذلك ولم تقبله عقولهم الضيقة فقالوا: إن ذلك
مجرد تمثيل فقط، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ومعنى الآيات: واذكر يا رسولي لقومك حين ما قال ربك لملائكته:
إني خالق في الأرض خليفة يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها، فقالوا أي

الملائكة على سبيل التعجب والاستعلاء: كيف تستخلف من يفسد في الأرض بالمعاصي ويريق دماء الأبرياء ونحن ننزهك عما لا يليق بك متلبسين بحمدك ونعظم أمرك ونظهر ذكرك؟!

قال تعالى لهم: إني أعلم من المصالح والحكمة في ذلك ما لا تعلمونه. وعلم آدم أسماء المسميات كلها حتى القصة والقصة والمغرفة والمخيطة... ثم عرض تلك المسميات على الملائكة فقال لهم: أخبروني بأسماء هذه المخلوقات التي تشاهدونها؟ فاعترفوا بالعجز وقالوا: سبحانك تنزيهاً لك عن النقص فنحن لا علم لنا إلا ما علمتنا فأنت العليم الذي لا تخفى عليك خافية، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة. فقال الله تعالى: يا آدم أعلمهم بأسماء ما عجزوا عن علمهم واعترفوا بتقاصر همهم عن بلوغ مرتبة ما هنالك. فأخبرهم بذلك.

وفي هذا العرض الإلهي لهذه القصة ما يدل على تكريم آدم عليه السلام وتفضيله ورفع درجته بالعلم الذي أفاضه على روحه الطاهرة مما لم يطلع عليه حتى ملائكته المقدسين، وفي ضمن ذلك تكريم لسائر هذا الجنس الإنساني، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥]، فلله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ويرضى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار».

رواه أحمد ٢/٤٤٠، ٤٤٣، ومسلم في الإيمان ٨١، وابن خزيمة ٥٤٩، وابن ماجه ١٠٥٣.

في الحديث فضل السجود عند المرور في القراءة على السجدة وأن ذلك من موجبات الجنة، وفي السجود لذلك إغاطة للشيطان، وفيه اعتراف إبليس بأنه من أهل النار لامتناعه من السجود الذي أمره الله به مع الملائكة عليهم السّلام. وكان هذا السجود المأمور به هو سجود حقيقي لآدم عليه السّلام إكرامًا له وإعظامًا واحترامًا وسلامًا وطاعة لله عزّ وجل، لأن ذلك امتثال لأمره، والله يأمر عباده بما يشاء. ورجح هذا القول الرازي وابن كثير وغيرهما وضعفوا ما عداه. وكان امتناع إبليس من السجود تكبرًا وحسدًا منه لآدم عليه السّلام، وقاس مع وجود النص الإلهي، فكفر بذلك وأصبح من الخاسرين اليائسين، ولذلك سمي إبليس من الإبلّاس ومن معانيه اليأس. فكان أول من عصى الله عن عمد وأول من تكبر، وأول من حسد، وأول من استدل بالقياس في مقابلة النص والدليل الصحيح، أعادنا الله تعالى من هذه الفواحش، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احتج آدم وموسى عليهما السّلام، فقال له موسى: يا آدم خلقك الله بيده، ثم نفخ فيك من روحه، ثم قال لك كن فكننت، ثم أمر الملائكة فسجدوا لك، ثم قال: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾»، فنهاك عن شجرة واحدة فعصيت ربك، فقال آدم: يا موسى ألم تعلم أن الله قدر هذا عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى».

رواه أحمد ٢/٢٤٨، ٢٦٤، ٣٩٨، والبخاري ١٤/٣٠٨، ومسلم ١٦/٢٠٠، ٢٠٢، وأبو داود ٤٧٠١، والترمذي ١٩٦٦، كلهم في القدر، ورواه البخاري في الأنبياء

وفي التفسير وفي التوحيد، والنسائي في التفسير من الكبرى ٢٨٤/٦، ٢٨٥، واللفظ له، وسيأتي بالفاظ ومن طرق أخرى في مواضع من الكتاب إن شاء الله تعالى.

قوله: فعصيت، كان ذلك نسياناً منه عليه السّلام كما قال تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]. وقوله: وحج آدم موسى، أي غلبه بالحجة، لأنه لأمه وعاتبه على شيء صدر منه على جهة النسيان مع سابق قدر الله تعالى، وقد غفر الله له ذلك وتاب عليه واجتباؤه، ومن كان كذلك فلا يوجه إليه اللوم...

وفي الحديث دليل على أن الله عز وجل قدّر كل شيء، من خير وشر وطاعة ومعصية... وفي الآية الكريمة دليل على أن الجنة التي أُسْكِنَهَا آدم هي الجنة المعهودة التي أعدها الله تعالى لأولياته المؤمنين، وهذا قول أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها...».

رواه أحمد ٤٠١/٢، ٤١٨، ٤٨٦، ٥١٢، ومسلم ١٤١/٦، وأبو داود ١٠٤٦، والترمذي ٤٣٩، والنسائي ٧٤/٣ وغيرهم. وفي الباب عن أوس بن أوس وأبي لبابة وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا...﴾ إلخ، أي حملهما على ارتكاب الزلة وقاسمهما إنه لمن الناصحين لهما، كما في الأعراف، وقوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا...﴾ إلخ، أي فكان هو السبب في إخراجهما من الجنة وما كانا فيه من العيش الرغد، فقال الله تعالى: اهبطا إلى الأرض فإنها مستقركم

أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا، كما قال تعالى في الأعراف: ﴿ قَالَ فِيهَا مَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥]، وقال في طه: ﴿ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥].

والحديث يدل على أن إخراج أبينا آدم عليه السَّلام من الجنة كان يوم الجمعة كخلقه، كما أن فيه سيكون اضمحلال هذا العالم وانتهاء هذه الحياة، فيكون بداية خلق الإنسان ونهايته يوم الجمعة، كما أن فيه ستكون نفخة الفرع ونفخة الصعق ثم قيام الساعة، مما يدل على أن لهذا اليوم لشأنًا.

قوله تعالى: ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ [٤١] وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوزِ ﴿٤١﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقال لهم: «هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟» قالوا: اللّهم نعم، فقال النبي ﷺ: «اللّهم اشهد».

رواه الطيالسي ١٩٢٣، وأحمد والترمذي والنسائي في الكبرى مطولاً، وسيأتي قريباً في هذه السورة وفي آل عمران وسنده حسن، وشهر تكلم فيه بغير حجة كما قال النووي وغيره.

الحديث يدل على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهذا لا خلاف فيه بين جميع الأمم المنتمية إلى الشرائع الإلهية، وأبناء إسرائيل هم اليهود والنصارى الذين تناسلوا من الأسباط.

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾ [٤٤] أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: قلت من هؤلاء؟ قالوا: خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون».

رواه أحمد ٣/١٢٠، ١٨٠، ٢٣١، ٢٣٩، وعبد بن حميد في مسنده ١٥٩، وأبو يعلى ٣٩٧٩، وابن حبان ٣٥ في صحيحه في الموارد، وابن جدعان تابعه مالك بن دينار كما عند ابن حبان فيحسن حديثه.

وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: يا فلان ما أصابك، ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية».

رواه أحمد ٥/٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، والبخاري في صفة النار، ومسلم في الزهد ١١٧/١١٨.

قوله: مقاريض، جمع مقراض وهي آلة قطع. قوله: فتندلق أي تخرج. قوله: أقتابه، جمع قتب بكسر القاف، والأقتاب الأمعاء.

وفي الحديثين كآلية الكريمة وعيد عظيم وزجر بالغ لمن يأمر الناس بالبر والمعروف وينهاهم عن الفواحش والمناكير ثم ينسى نفسه فيخالفهم إلى عكس ما يقول فيأتي المنكر ويترك المعروف كما هو الشأن في كثير ممن ينتمي إلى العلم اليوم، نعوذ بالله من أن يكون علمنا وبالأعلينا. وإذا كان هذا جزاء من يقول الحق ولا يعمل به، فكيف الحال فيمن يعكس فيأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ككثير من شياطين العلماء الذين غرتهم الحياة وفتنوا باتباع أهوائهم؟ إن أمرهم والله لشديد وعظيم.

قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَبَقَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

عن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «الكمأة من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين» .

رواه أحمد ١/١٨٧، ١٨٨، والبخاري في التفسير ٩/٢٣٠، وفي الطب وفي الأطعمة، ومسلم ٤/٣، ٤، والترمذي ١٩٠٨ كلاهما في الأطعمة، والنسائي في الكبرى ٦/٢٨٥، وابن ماجه في الطب ٣٤٥٤ .

الكمأة: هو نبات يخرج وينبت وحده . من المن، أي هو شبيه بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التيه، ووجه شبهها به من حيث إنها تنبت بلا زرع ولا علاج كما كان يأتي المن للإسرائيليين من السماء بلا كلفة ولا مشقة . وقوله: وماؤها شفاء . . . إلخ، هذا يحتاج إلى معرفة بذلك وكيفية العلاج بها وليس في الحديث شيء من ذلك، وقد قال ﷺ: «أنتم أعلم بديناكم»، رواه مسلم .

قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وبدلوا فقالوا: حنطة، حبة في شجرة .

رواه أحمد ٢/٣١٨، والبخاري في التفسير ٩/٢٣١، ٣٧٣، ٣٧٤، وفي الأنبياء، ومسلم آخر الكتاب ١٨/١٥٢، والترمذي في التفسير ٢٧٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/٢٨٦ .

قوله: حطة، أي طلبنا حطة، أي تحط عنا خطايانا . قوله: يزحفون، أي يمشون على أديبارهم . قوله: حبة في شجرة، في رواية: حبة في شعيرة .

لما فتح يوشع بن نون عليه السلام بيت المقدس أمر من قبل الله

عزَّ وجل أن يأمر بني إسرائيل الذين كانوا معه أن يدخلوا الحرم خاضعين متواضعين منحنين شكرًا لله تعالى على ما أولاهم من الظفر والنصر على عدوهم، وأن يسألوا الله عزَّ وجل حط ذنوبهم، فبدلوا ما أمروا به تمرّدًا على الله واستهزاء بأمره فعاجلهم تعالى بالعذاب من عنده. وكان فيما بدلوا: حطة، قالوا بدلها بلغتهم: هطى سمقا، وهي بالعربية: حنطة حمراء قوية فيها شعيرة سوداء...

قوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾.

عن أسامة وسعد وخزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم، فإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فرارًا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها.

رواه أحمد ١/١٨٢، ومسلم في السلام ١٤/٢٠٣، ٢٠٧، وفي رواية له عن أسامة: «إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد في الأرض»، ولسعد بن أبي وقاص نحوه أيضًا عنده. وفي رواية لأسامة ١٤/٢٠٣، ٢٠٧: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم... إلخ».

الطاعون كل مرض عام كالوباء فيعم الكثير من الناس في جهة خاصة، والمراد به في الحديث الشريف هنا ضرب الجن؛ لحديث: «الطاعون وَخَزُّ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ».

رواه أحمد ٤/٣٩٥، ٤١٣، بسند صحيح وهو من رواية أبي موسى. والمقصود أن هذا الطاعون هو بقية عذاب عذب الله به بني إسرائيل لما تمرّدوا على الله وبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فالحديث مبين للرجز المذكور في الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا لِمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين».

رواه أحمد ٤٠٧/١، وسنده حسن لوجود عاصم بن بهدلة المقرئ وعزاه النور ١٨١/١ للطبراني من طريق آخر، وعزاه الحافظان المنذري وعبد الحق الإشبيلي للبخاري، قال المنذري: بإسناد جيد.

قوله: «إمام ضلالة»، يصدق على العالم المضلل والأمير الجائر، فكلاهما إمام ضلالة. وقوله: وممثل، يعني المصور من فيه روح، وقد جاءت قوارع شديدة في المصورين.

والشاهد من الحديث قوله: رجل قتل نبيًا، فمن قتل نبيًا من الأنبياء كان أشد الناس وأعظمهم وأقساهم عذابًا كما فعل اليهود بأنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، ولذلك ضرب الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة والخزي الأبدي ورجعوا بغضب من الله.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ نَشَبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبُّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

رواه ابن جرير ٣٤٧/١ في التفسير بسند صحيح، ثم ذكره بنحوه معلقًا عن ابن جريج مرفوعًا.

ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما متفق عليه بين مفسري السلف وقد يكون ابن عباس أخذ من النبي ﷺ لأن هذا مما لا مجال للرأي فيه ، وفيما قصه الله تعالى علينا في هذه القصة عن بني إسرائيل بيان ما كان عليه اليهود من التمرد والتعنت وابتعادهم عن الاستسلام لله عز وجل والإذعان لأمره ، ولذلك لما شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن صفة البقرة شدد الله تعالى عليهم فذكر لها من الصفات ما صعب وشق عليهم وجودها .

قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رَأْيَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴾ (٧١) .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : نزلت في أهل الكتاب .

رواه البخاري في أفعال العباد ٤١٢ ، والنسائي في التفسير من الكبرى ٢٨٦/٦

بسند صحيح .

يعني ابن عباس أن الآية نزلت بسبب اليهود الذين غيروا التوراة ونسبوا ذلك لله تعالى فجمعوا بين سيئتين ، ثم أضافوا إلى ذلك أكل الحرام الذي كانوا يأخذونه من عوامهم في مقابلة ذلك الكذب ، عليهم لعائن الله المتتابعة .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ؕ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨١) .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما فتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ : « اجمعوا لي من كان من اليهود ههنا » ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : فلان ، قال : « كذبتم بل أبوكم فلان » ، فذكر الحديث وفيه : فقال لهم ﷺ : « من أهل

النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسأوا، والله لا نخلفكم فيها أبداً...» الحديث.

رواه أحمد ٤٥١/٢، والبخاري في كتاب الجزية وفي المغازي ٣٧/٩، ٣٨، وفي الطب وفي الهدية، والنسائي في الكبرى ٤١٣/٦، والدارمي في المقدمة.

ما ذكر في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف هو من ترهات اليهود وافتراءاتهم وغرورهم، حيث ادعوا أنهم لن تصيبهم النار يوم القيامة إلا مقدار الأيام التي عبد فيها أجدادهم العجل وهي أربعون يوماً، ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها مسلموا هذه الأمة، فكذبهم رسول الله ﷺ فيما زعموا...

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١١٥ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ١١٥ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

رواه أحمد ١٤٨/١ بسند صحيح، وأشار الحافظ في الفتح إلى أنه رواه أيضاً الإسماعيلي في المستخرج، وهو أيضاً عند ابن جرير ٤٢٤/١، وأصله في تفسير سورة العلق من صحيح البخاري وجامع الترمذي.

كان اليهود يزعمون أن الجنة خاصة بهم دون سائر الأمم الأخرى فأكذبهم الله وقال لهم: إن كنتم صادقين في ذلك فتمنوا الموت واشتاقوا إليه ليوصلكم إلى الجنة، ثم أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يتمنونه أبداً بسبب ما قدمت أيديهم من الآثام والجرائم، وجاء النبي ﷺ فأخبر بوحي من الله عز وجل أنهم لو كانوا تمنوا الموت لماتوا عن آخرهم ولشاهدوا منازلهم من جهنم.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ ۞

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمع عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل عليه السَّلام آنفاً»، قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة! فقرأ هذه الآية: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ... ۞ الحديث.

رواه أحمد ٣/١٠٨، ١٨٩، ٢٧١، والبخاري في التفسير ٩/٢٣٢، والنسائي في الكبرى ٦/٢٨٦، ٢٨٧.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك. فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، فذكر الحديث. وفيه: إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السَّلام»، قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ... ۞ الآية.

رواه أحمد ١/٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، والترمذي في التفسير ٢٩١٥، والنسائي في عشرة النساء من الكبرى ٥/٣٣٦، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وسيأتي بعضه في آل عمران.

وفي الحديثين بيان أن سبب نزول الآية هو تعنت اليهود وإغراقهم في الجحود والكفر وبغضهم لسيد الملائكة ورئيسهم ومناصبتهم إياه العداوة وذلك كفر بواح بإجماع المسلمين، قال ابن جرير ٤٣١/١: أجمع أهل العلم بالتأويل على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم.

قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْمَرَتْكُمْ أَلَمْ تَلْمَ أَنْ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: أقرؤنا أبي، وأفضانا علي، وإنا لنندع من قول أبي، وذلك أن أياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٢٣٣/٩، ٢٣٤، وفي فضائل القرآن ٤٢٩/١٠، والنسائي في التفسير من الكبرى ٢٨٩/٦.

قوله: وإنا لنندع، معناه أنه كان يترك بعض ما كان يقرؤه أبي من القراءات التي قد نسخت مع إصرار أبي على عدم تركها لكونه سمعها من رسول الله ﷺ، ولكنه ربما قرأ ما نسخ ولم يبلغه ذلك.

وفي الآية الكريمة دليل على ثبوت النسخ في الوحي الإلهي، وأنه عز وجل قد يرفع حكماً أو آية ويأتي بمثل ذلك أو بخير منه حسب حكمته ومصالح عباده، ولا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ في القرآن والسنة، وإنما أنكره اليهود ومن نحا نحوهم من الملحدين والزائغين الخاسرين.

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يَعْفُونَ عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ...﴾ الآية، وكان رسول الله ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله تعالى به حتى أذن الله فيهم بالقتل، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش.

رواه ابن أبي حاتم ٢٠٦/١ بسند صحيح وله أصل في الصحيحين.

الأمر كما قال هذا الحبيب ولا خلاف في ذلك والسور المكية وبعض المدينة ملآنة بالآيات الآمرة بالعفو عن المشركين وكلها واردة قبل نزول قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَجَهَّ اللَّهُ إِلَيْكَ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته مقبلاً من مكة إلى المدينة حيث توجهت به، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَجَهَّ اللَّهُ﴾.

رواه أحمد ٧/٢، ٣٨، ٧٥، ٤١/٢٠، ومسلم في باب جواز صلاة النافلة على الدابة ٢٠٩/٥، والترمذي ٢٧٦٧، والنسائي في الكبرى ١٨٢/٦ كلاهما في التفسير، وابن جرير ٥٠٣/١.

وعن عامر بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَجَهَّ اللَّهُ﴾.

رواه الترمذي ٣٠٨ في الصلاة، وفي التفسير ٢٧٦٦، وابن جرير ٥٠٣/١، ٥٠٤، وحسنه الترمذي، وللحديث طرق وشواهد يشد بعضها بعضاً كما قال ابن كثير.

ظاهر الحديثين أن الآية نزلت لسبيين ولا مانع من ذلك كما في سور

وآيات أخر وإن كان السبب الأول وهو الأصح، علمًا بأن كلا القولين قال بهما جمع من المفسرين، وبناءً على ما في الحديثين يستفاد منهما أمران اثنان:

أولهما: مشروعية صلاة النافلة على المركوب والاستقبال لأي جهة ويسقط شرطية استقبال القبلة، وبهذا قال عامة أهل العلم لصحة ذلك من فعل النبي ﷺ.

ثانيهما: صحة صلاة من أخطأ القبلة في صلاة الفريضة وتوجهه باجتهاد منه لجهة من الجهات، ولا ينبغي أن يختلف في هذا أيضًا للعمل عليه عند الأكثر، ولحديث عامر المذكور.

يبقى ما المراد بقوله: ﴿فَثَمَّ وَجَهُ اللَّهِ﴾؟ قال شيخ المفسرين ابن جرير ٥٠٤/١، ومعنى الآية إذا: والله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبد لهم بما شاء، ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته، فولوا وجوهكم أيها المؤمنون نحو وجهي، فإنكم أينما تولوا فهناك وجهي. قال: فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجيء العموم والمراد الخاص، وذلك أن قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجَهُ اللَّهِ﴾ محتمل أينما تولوا في حال سيركم في أسفاركم في صلاتكم التطوع، وفي حال مسايقتكم عدوكم، في تطوعكم ومكتوبتكم فثمَّ وجه الله، كما قال ابن عمر والنخعي ومن قال ذلك مما ذكرنا عنه أنفًا، ومحتمل فأينما تولوا من أرض الله فتكونوا بها فثمَّ قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها، لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها. . ويأتي مزيد في القبلة قريبًا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيرٌ﴾ (١١٦).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله

تعالى: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا». وفي رواية: «فأما تكذيبه إياي فقله: لن يعيدني كما بداني، وليس أول خلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كفورًا أحد».

رواه أحمد ٣١٧/٢، ٣٩٣، ٣٩٤، والبخاري في بدء الخلق رقم ٣١٩٣، وفي التفسير ٢٣٤/٩، والنسائي في الجنائز من المجتبى، وفي النعوت من الكبرى ٣٩٥/٤ وغيرهم.

قوله: وشتمني، سَمَّاهُ شَتْمًا لأن فيه تنقيصًا لله عزَّ وجل، فإن الولد يستلزم والدة، وهي طبعًا تستلزم ناكحًا... وكل ذلك محال على الله تعالى، فمن نسب ذلك إليه تعالى فقد شتمه.

واتفقوا أن هذه الآية: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، فيمن زعم أن الله عزَّ وجل ولدًا من يهود خبير، ونصارى نجران، ومن قال من مشركي العرب: الملائكة بنات الله، فرَّد الله تعالى عليهم. أفاده الحافظ، وهذا لا ينفي عموم الآية في كل المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّٰٓتٍ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّٰٓتٍ﴾.

رواه أحمد ٢٣/١، ٢٤، ٣٦، والبخاري في الصلاة ٥١/٢، وفي تفسير البقرة ٢٣٥/٩، وفي الأحزاب ١٤٦/١٠، وفي التحريم ٢٨٦/١٠، والترمذي في التفسير ٢٧٧٠، ويأتي مطولاً.

هذا من جملة موافقات سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه التي وافق فيها نزول القرآن. وقوله: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ...﴾ إلخ، المقام هو الحجر المنزل من الجنة الذي كان يقف عليه خليل الرحمن عند بنائه الكعبة، وهو الموجود هنالك أمام الكعبة المشرفة وعنده وخلفه أو حذاءه تشرع صلاة الطواف.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ بكسر الخاء.

رواه أبو داود في الحروف ٣٩٦٩ بسند صحيح، وفي حديث جابر الطويل في صفة الحج: «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾». رواه مسلم في الحج. وجمهور القراء قرأوا: واتخذوا بكسر الخاء على الأمر، وقرأ نافع وابن عامر بفتحها وكتاهما متواترة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَنضَرْتُهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾.

عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعّا لها، وحرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة».

رواه البخاري في البيوع وغيره، ومسلم في الحج ١٣٤/٩.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ

لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدنا،
اللَّهُمَّ إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة
وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة . . . الحديث .

رواه مسلم في الحج باب فضل المدينة، رقم ١٣٧٣، والأحاديث في الموضوع
كثيرة عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأنس، وابن عباس،
وعن أبي شريح وعن صفية بنت شيبة وغيرهم، وكلها في الصحيحين أو أحدهما .

وفي الآية الكريمة إخبار عما دعا به الخليل عليه الصلاة والسلام
للحرم المكي وأهله من حصول الأمن والثمرات . وجاءت الأحاديث النبوية
تؤكد ذلك وتؤذن بدعاء النبي ﷺ للمدينة ورزقها بالبركة، وقد استجاب الله
دعاءهما معاً، والطمأنينة وكثرة الثمار والبركة في الحرمين الشريفين ظاهرة
ملموسة .

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:
«ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت:
يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حدثان قومك
بالكفر . . .»، فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من
رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر
إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم .

رواه أحمد ١١٣/٦، ١٧٦، ١٧٧، ٢٤٧، والبخاري في الحج وفي التفسير
٢٣٦/٩، ٢٣٧، وفي كتاب الأنبياء، ومسلم في الحج باب نقض الكعبة ٨٨/٩،
والنسائي في الحج من المجتبى، وفي العلم من الكبرى ٣/٣٥٤، ٤٥٥ وغيرهم .

القواعد جمع قاعدة، والمراد به أساس البيت .

ومعنى الحديث أن قريشاً لما هدموا الكعبة وجددوا بناءها لم يجعلوها كلها على أساس إبراهيم بل اقتصروا على قاعدتين منها وهما الركنان اليمانيان، أما اللذان يليان الحجر فغير وهما وأخرجوا الحجر من البيت، فأخبر النبي ﷺ عائشة: لولا أن قريشاً حديثو عهد بالكفر لهدمها وردها لأصلها على قواعد إبراهيم، وقال كما في رواية للبخاري في العلم: «لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنتقضت الكعبة فجعلت لها بابين باباً يدخل منه الناس وباباً يخرجون منه». ففعل ذلك ابن الزبير أيام خلافته، ولما قتل أعادها عبد الملك بن مروان إلى ما كانت عليه. والأمر لله من قبل ومن بعد... .

وأخذ العلماء من حديث عائشة هذا أن المصلحة إذا عارضتها مفسدة قدم الأهم منهما، وهي قاعدة عامة معروفة يدخل تحتها جزئيات كثيرة.. .

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٦).

عن العرياض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمُنْجِدٌ في طينته، وسأخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأيت، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ، وإن أم رسول الله ﷺ رأيت حين وضعت نوراً أضاءت له قصور الشام».

رواه أحمد ١٢٧/٤، وابن حبان في صحيحه ٦٤٠٤ مع الإحسان، والحاكم ٦٠٠/٢، وابن جرير ٥٥٦/١، وابن أبي عاصم في السنة ٤٠٩، والطبراني في الكبير والبزار وغيرهم من طرق بعضها حسنة صحيحة. وله شاهد قوي عن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى... .» الحديث. رواه ابن إسحاق في السيرة ١٧٥/١،

والطبري في التفسير ١/٥٥٦، والحاكم ٢/٦٠٠، وضححه ووافقه الذهبي كأول.
 فهذا الحديث مطابق للآية الكريمة، حيث أخبرنا بأن الخليل وولده
 إسماعيل عليهما الصلاة والسلام دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ببعثة رسول من بينهما
 يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي الدين الذي
 لا يعرفونه إلاَّ به ﷺ، ويزكيهم، أي يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه.
 وقوله في الحديث: إني عند الله، في رواية: عبد الله، بالباء. وقوله:
 لمنجدل، أي منطرح.

قوله تعالى: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ وَلَا نُفَرِّقُ
 بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون
 التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:
 لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، و ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
 إِلَيْنَا... ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٩/٢٣٧، وفي الاعتصام وفي التوحيد رقم ٧٥٤٢،
 ويأتي أيضًا في العنكبوت.

الحديث يدل على أننا مع أهل الكتاب إذا حدثونا عن كتبهم
 لا نصدقهم ولا نكذبهم، لأن ما يقولونه يحتمل أن يكون صحيحًا على
 أصله، ويحتمل أن يكون كذبًا من الذي بدلوه وافتروه، وهذا فيما لا يكون
 مخالفًا للفطرة أو الدين المتفق عليه بين الأنبياء أو لديتنا، وإلاَّ كذبناهم فيه
 ورددناهم عليهم، وما لا نعلمه نقول لهم فيه ما أرشدتنا إليه الآية الكريمة:
 ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا... ﴾ الآية.

وفي الآية إرشاد لنا بأن نؤمن بالله وما أنزل إلينا بواسطة رسولنا ﷺ

مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص تعالى على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا نفرق بينهم فنؤمن بالبعض ونكفر بالبعض الآخر كما فعل اليهود فإن ذلك كفر بالإجماع. والأسباط هم قبائل بني إسرائيل الذين تناسلوا من أولاد يعقوب، وقد كان منهم أنبياء ورسول صلوات الله وسلامه على جميعهم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر به ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ الآية، والأخرى به ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٥٢]، وفي رواية: كان يقرأ في الأولى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ وَلَا نَسْمِعُ لِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [التى في البقرة، وفي الثانية: التى فى آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

رواه مسلم ٥/٦، ٦، وأحمد ١/٢٦٥، غير أن في رواية أحمد: بخواتيم سورة البقرة.

والحديث فيه مشروعية قراءة ما ذكر في ركعتي الفجر وهو قول جمهور الأئمة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول:

من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، والوسط العدل». وفي رواية: «فدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ أن الرسل قد بلغوا فصدقناه».

رواه أحمد ٣/٣٢، ٥٨، والبخاري في بدء الخلق، وفي التفسير ٩/٢٣٨، ٢٣٩، وفي الاعتصام، والترمذي ٢٧٧٢، والنسائي في الكبرى ٦/٢٩٢، كلاهما في التفسير، والرواية الثانية للنسائي.

في الآية والحديث شرف الأمة المحمدية وفضلها حيث جعلها الله عز وجل خياراً عدولاً وأنها ستشهد يوم القيامة على الناس.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً﴾، أي كما هديناكم إلى الإسلام وإلى طريق الله القويم، كذلك جعلناكم أمة خياراً عدولاً تستحقون الشهادة على غيركم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: . . . وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول القبلة رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٩/٢٣٨، والنسائي في الكبرى ٦/٢٩١، ونحوه عن ابن عباس رواه الترمذي ٢٧٧٥ بسند صحيح على شرط مسلم.

قوله: ليضيع إيمانكم، أي صلاتكم، فأطلق الإيمان على الصلاة لأنها جزء منه، على قول جماعة من السلف وغيرهم القائلين بأن العمل شرط للإيمان، والموضوع فيه كلام.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَمَعُلُونَ ﴾ .

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ . . . ﴾ الآية، فوجه نحو الكعبة، وكان يحب ذلك، فصلَّى رجل معه العصر، قال: ثم مرَّ على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة. قال: فانحرفوا وهم ركوع.

رواه البخاري في الإيمان، وفي الصلاة، وفي خبر الواحد، وفي التفسير ٢٣٧/٩، ٢٣٨، ومسلم في المساجد في تحويل القبلة ٩/٥، ١٠، والترمذي ٣٠٥ في الصلاة، وفي التفسير ٢٧٧٣، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى ٢٩٠/٦، وابن ماجه ١٠١٠، غير أنه عند مسلم: حتى نزلت الآية التي في البقرة: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة.

رواه مسلم في المساجد ١٠/٥، ١١، وأبو داود ١٠٤٥، والنسائي في الكبرى ٢٩٢/٦ وغيرهم، ونحوه عن ابن عمر في الصحيحين غير أن لفظه: بينما الناس في صلاة الصبح بقاء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

في هذه الأحاديث وقوع النسخ وتبديل الأحكام، وكانت القبلة من أول ما نسخ. ولما حولت القبلة قال اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، وكان الله عزَّ وجلَّ قد أخبر بما سيقوله هؤلاء وسماهم سفهاء، حيث قال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ . . .﴾ الآية. والسفهاء هنا هم ضعفاء العقول من اليهود، وكان في هذه الآية معجزة باهرة، حيث أخبر الله بمقولتهم قبل وقوعها فكانت كما أخبر.

انظر على هذه الآية: البخاري رقم ٣٩٩ في الصلاة، وكبرى النسائي ٢٩٠/٦ وغيرهما.

واختلف العلماء في أول صلاة جاء فيها النسخ للقبلة فذكر غير واحد من المفسرين كما قال ابن كثير أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ﷺ وقد صلى ركعتين من الظهر، وذلك في مسجد بني سلمة، فسمي مسجد القبلتين، وصحح هذا القول جماعة. وقال آخرون: كانت صلاة العصر لظاهر حديث البراء المذكور في الباب، بيد أنه غير صريح في ذلك لأنه يحتمل أن بعض الصحابة وصلهم ذلك في صلاة العصر والبعض الآخر في صلاة الصبح بعد أن صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح للكعبة. والأمر سهل.

وقوله: ﴿قَدْ زَيَّ . . .﴾ إلخ، أي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾، أي فلنجعلك مولياً إلى جهتها أو فلنعطينك ذلك.

وقوله: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾، أي: اجعل تولية وجهك تلقاء وجهة المسجد الحرام أي الكعبة، والمراد بالشطرن هنا الجهة. ولا خلاف بين العلماء أن استقبال الكعبة شرط في صحة الصلاة لجميع أهل الأرض، فعينها

للمعاني وغيره يستقبل الجهة والناحية، وللقبلة علامات في سائر أنحاء المعمور معروفة بالكواكب السيارة والثواب.

وفي أحاديث الباب قبول خبر الواحد في أمور الديانة ولا خلاف في ذلك بين عامة العلماء، وإنما اختلفوا في العمل به في العقائد، والصحيح قبوله عند المحققين، وفيها: أن من عمل بالمنسوخ قبل العلم بالناسخ كان على حق وصواب ولا لوم عليه.

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٧).

١٥٧

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.

رواه أحمد ٢/٢٥١، ٤١٣، ٤٨٠، ٥٠٠، ٥٣٥، وفي مواضع، والبخاري في التوحيد ١٦/١٥٥، ١٦٠، ومسلم في الذكر والدعاء رقم ٢٦٧٥، والترمذي في الدعوات ٣٣٧٠، وابن ماجه في الأدب، رقم ٣٨٢٢ وغيرهم. وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

الحديث من أحاديث الصفات فيجب الإيمان بما فيه ونكل حقيقة ما ذكر فيه إلى الله عز وجل فإنه ليس كمثله شيء.

والشاهد منه أن الله عز وجل يذكر عبده إذا ذكره، ولا ندرى كيف يذكره وإن تضاربت في ذلك أقوال المفسرين، فإن ذلك من عالم الغيب لا نحوم حوله.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

١٥٥

رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾.

١٥٦

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجزني في مصيبي - وفي رواية: اللهم عندك أحسب مصيبي فأجزني فيها - وأخلف لي خيراً منها؛ إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف له خيراً منها». فلما توفي أبو سلمة قلت: من هو خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ قالت: ثم عزم الله لي فقلتها، قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ.

رواه أحمد ٦/٣٠٩، ومسلم ٦/٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.

المصيبة هي كل ما يصاب به الإنسان في نفسه أو أهله أو ماله مما يسوءه ويؤلمه حتى الشوكة يُشاكها والهم يحزنه، فإذا أصيب بشيء من ذلك فليفزع إلى ما أرشد إليه القرآن والسنة النبوية من الاسترجاع فإنه إن فعل ذلك لا بد وأن يشيبه الله عزَّ وجل على ذلك ويخلف له خيراً مما نزل به، يضاف إلى ذلك ما سيغمره من صلوات الله ورحمته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حديث السن: رأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ الآية، فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾ الآية.

رواه أحمد ١٤٤/٦، ١٦٢، ٢٢٧، والبخاري في الحج وفي التفسير ٢٤٢/٩،
ومسلم في الحج ٢٢/٩، ٢٣، ٢٤، وأبو داود ١٩٠١، والترمذي ٢٧٧٦، والنسائي
٢٩٣/٦ كلاهما في التفسير.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سئل: أكنتم تكرهون السعي بين
الصفاء والمروة فقال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية، حتى أنزل الله
تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾، وفي رواية: كنا نرى ذلك من
أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ
الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ... الآية، وفي رواية: كانت الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين
الصفاء والمروة حتى نزلت: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ... الآية.

أخرجه البخاري في الحج وفي التفسير ٢٤٢/٩، ومسلم في الحج ٢٤،
والترمذي ٢٧٧٧.

الصفاء والمروة جبلان عند المسجد الحرام هما من شعائر الله،
أي من أعلام دينه، ولذلك كان السعي بينهما من أهم فرائض الحج
والعمرة بإجماع المسلمين. وقوله: ومناة، هو صنم كان لهذيل
وخزاعة. قوله: يتخرجون، أي كانوا لا يسعون بينهما خروجاً من
الحرج والإثم.

ويؤخذ من الحديثين تجنب شعائر الجاهلية والابتعاد عن أعمالهم
ومراسمهم لأنها من وحي الشيطان، فلتقارن بين أصحاب رسول الله ﷺ
وبين مسلمي عصرنا حيث أجمعوا - إلا من رحم الله - على اتباع الكفار في
جميع عجرهم وبجرهم حتى في الخارجة عن الإنسانية والملحقة
بالحيوانات.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما فرغ من
طوافه بالبيت عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفاء وهو

يقول: «إن الصفا والمروة من شعائر الله، ثم قال: أبدأ بما بدأ الله به...» الحديث.

رواه أحمد ٣/٣٢٠، ومسلم في الحج ٨/١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨ في حديثه الطويل في الحج.

فيه مشروعية قراءة هذه الآية عند إرادة السعي وأن يقال: نبدأ أو أبدأ بما بدأ الله به، ثم يبدأ بالصفا... إلخ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾، إلى قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ (١٥٩)، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشعب بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

رواه أحمد رقم ٧٢٧٣، ٧٢٧٤، ٧٦٩١، والبخاري في العلم ١/٢٢٤، وفي البيوع وفي الزراعة، ومسلم في الفضائل ١٦/٥٢، ٥٣، ٥٤.

الصفق بسكون الفاء، هو الضرب على اليد، وهو كناية عن البيع والشراء. وفي الحديث ما كان عليه أبو هريرة من حفظه للحديث النبوي، واعتناؤه به والرغبة فيه، ثم تحديثه به ونشره بين المسلمين. ولذا قال الشافعي رحمه الله تعالى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره. ولا يوجد في الصحابة من يقاربه في حفظه وإكثاره. وفي الحديث أيضاً وجوب تبليغ الشريعة وذم الكاتمين بالخلاء بالعلم وأنهم ملعونون يلعنهم الله وملائكته... غير أن هذا يكون عند كتم ما وجب بيانه عند السؤال ونحوه؛

للحديث الصحيح: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيام بلجام من نار». رواه أبو داود وغيره.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٥).

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ كلمة، وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو مع الله ندًا دخل النار»، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًا دخل الجنة.

رواه أحمد ١/٣٧٤، ٤٦٢، ٤٦٤، والبخاري في الجنائز وفي التفسير ٩/٢٤٢، ومسلم في الإيمان ٢/٩٢، ٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/٢٩٤ وغيره.

ما في الحديث متفق عليه بين أهل السنة لا خلاف فيه بينهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة القائلين بخلود صاحب الكبيرة في النار. والند بكسر النون، هو الشريك والنظير، فكان المشركون يتخذون الشركاء لله ويحترمونهم ويقدمونهم ويحبونهم كمحبة المؤمنين لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٦٦) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦٧).

عن عياض بن حمار رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...» الحديث.

رواه أحمد ٤/١٦٢، ٢٦٦، ومسلم في ذكر الجنة والنار ١٧/١٩٧.

قوله: نحلته بفتح الحاء، أي أعطيته من النحلة، قوله: حنفاء أي على الفطرة مستعدين لقبول الهداية، قوله: فاجتالهم الشياطين، أي استخفوهم وذهبوا بهم وأزالوهم على ما كانوا عليه.

والحديث موافق للآية الكريمة في أن الله عزَّ وجل جعل ما في الأرض حلالاً لعباده مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان، ولا للعقول، لكن الشياطين جاءتهم فحرمت عليهم الحلال وأحلَّت لهم الحرام، وغيرت عقائدهم وأضلتهم عن الفطرة، وأمرتهم بالشرك بالله وعبادة غيره، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أي لا تتبعوا آثاره فإنه عدو لكم ظاهر العداوة ولا يأمركم إلا بما يسوءكم ويحزنكم في الحال والمآل، ويحملكم على ارتكاب الفواحش وعلى كل ما عظم وقبح من المعاصي، كما أنه يأمركم بتحريم ما أحل الله تعالى لكم من البحائر والسوائب... إلخ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك».

رواه أحمد ٢/٣٢٨، ومسلم في الزكاة ٧/١٠٠، والترمذي في التفسير ٢٧٩٨، والدارمي ٢٧٢٠.

في الآية الكريمة امتنان من الله عزَّ وجل على عباده بما أعطاهم من

طيبات الرزق، وأرشدهم إلى الأكل من ذلك وأن يشكروه على ما أولاهم .

أما الحديث فيدل على أنه تعالى طيب ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وأنه لا يقبل من عباده إلا ما كان حلالاً طيباً، وأنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين في ذلك، وفي الحديث أيضاً أن كل من كان يعيش بالحرام أكلاً وشرباً . . . فلا تستجاب دعوته وإن تقشف وتذلل وتضرع وأطال السفر للحج أو الجهاد . . . لأنه أضرع الأصل الذي هو طيب العيش .

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبٌ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ .



عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان القصاص في بني إسرائيل، ولم يكن فيهم الدية، فقال الله تبارك وتعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحَرُّ بِالْحَرِّ . . .﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ . . .﴾ الآية، فالعفو أن تقبل الدية في العمد، واتباع بالمعروف أن تتبع هذا بمعروف وتؤدي هذا بإحسان فخفف عن هذه الأمة . . . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . قتل بعد قبول الدية .

رواه البخاري في التفسير ٢٤٣/٩ وفي الديات، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٢٩٥/٦، وابن حبان في صحيحه ٦٠١/٧ بالإحسان، والبيهقي ٥١/٨، ٥٢ وغيرهم .

القصاص هي المساواة والمماثلة في القتل والجراح والدية .

وفي الآية الكريمة دليل على شرعية العفو في القتل وأخذ الدية، وإن ذلك من تخفيف الله على هذه الأمة ورحمته بها، وقد كان عند اليهود قصاص بلا عفو، وعند النصارى عفو بلا دية، فجمع الله تعالى لهذه الأمة الأنواع الثلاثة .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن الرُّبَيْعَ عمته كسرت ثنية جارية، فطلبوا إليها العفو فأبوا، فعرضوا الأرش فأبوا، فأتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلاَّ القصاص، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع؟ لا، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

رواه أحمد ٣/١٢٨، ١٦٧، ٢٨٤، والبخاري في التفسير ٩/٢٤٣ وفي الجهاد، ومسلم في القسامة ١١/١٦٢، وأبو داود ٤٥٩٥، والنسائي في القسامة وابن ماجه ٢٦٤٩.

الأرش بفتح الهمزة، الدية.

وفي الحديث وجوب القصاص في الأطراف وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]. وفيه كرامة الأولياء، فإن أنس بن النضر لما حلف أن لا تكسر ثنية الربيع أبر الله قسمه ولم يحثه إكراماً له. وتوجيه حلفه على عدم القصاص بيّنه النووي في شرح مسلم فليراجع ١١/١٦٢.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨).

عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث».

رواه أحمد ٤/١٨٦، والترمذي ١٩٥٣، والنسائي في الكبرى ٤/١٠٧، وابن ماجه ٢٧١٢، والبيهقي ١/٢٥٦ بسند صحيح، وله شواهد صحيحة، بل قال الشافعي في الأم إنه متواتر نقل كافة عن كافة، وذكر غير واحد أنه وقع الإجماع على مضمونه يعنون عدم الوصية للورثة...

الآية الكريمة منسوخة بهذا الحديث وبآية المواريث بعد أن كانت الوصية للوالدين والأقارب واجبة. نعم بقيت للأقارب غير الورثة بالإجماع.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ (١٨٧).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فنزل صوم رمضان هو الفريضة، فمن شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء ترك.

رواه البخاري في التفسير ٢٤٥/٩، ومسلم في الصيام، والنسائي في التفسير من الكبرى ٢٩٥/٦، وعن ابن عمر نحوه رواه البخاري وغيره.

أجمع المسلمون على أن الواجب في الصيام هو رمضان، وإن عاشوراء نسخت فرضيته وبقي الاستحباب. وفيه مع الآية الكريمة أن الصيام كان واجباً على من قبلنا غير أنه كان عليهم شاقاً، أما هذه الأمة فهو عونٌ لهم على التقوى وجنته لهم من المعاصي ومن النار.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٩).

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، كان من أراد أن يطعم ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

رواه البخاري في التفسير ٢٤٧/٩، ومسلم ٢٠/٨، والترمذي ٧٠١، وأبو داود ٢٣١٥، والنسائي في المجتبى كلهم في الصيام، ورواه هذا في الكبرى أيضاً ٦/٢٩٥، والبيهقي ٤/٢٠٠.

الحديث ظاهر في أن الآية منسوخة، وهو قول عامة العلماء، وقد كان الصيام في الأول مفروضاً على التخيير، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً عن كل يوم، فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، تحتم الصيام وارتفع التخيير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ...» الحديث.

رواه البخاري في الإيمان ١/١٠١، ١٠٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٨، ٣٤٩.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُسِّرُوا وَلَا تَعْسُرُوا، وبشروا ولا تنفروا، وتطواعا ولا تختلفا».

رواه أحمد ٤/٤١٢، ٤١٧، والبخاري في مواضع المغازي ٩/١٢٣، والأحكام ١٦/٢٨٥، ومسلم في الجهاد ١٢/٤٠، ٤١ وغيره، ورواه عن أنس: خ في العلم ١/١٧٢، وم في الجهاد ١٢/٤٢.

في الحديثين دليل على أن دين الإسلام مبني على التيسير والتخفيف ونفي الحرج والتضييق والتشديد إلا في مناسبات عارضة.

وعنه ﷺ قال: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»، أي الشريعة السهلة.

رواه أحمد ٥/٢٦٦، ضمن حديث، وفيه أيضاً: «خير دينكم أيسره»، وسنده صحيح.

فالله عز وجل يريد بنا اليسر والترخيص والتسهيل لا التعسير

والتشديد، ولذلك ما سلك أحد طريق التشديد إلا كانت عاقبته الملل والفتور والرجوع إلى الوراء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦).

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون، سمياً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته...»، وفي رواية: «إنكم تدعون سمياً قريباً وهو معكم».

رواه أحمد ٤/٤٠٢، ٤١٨، والبخاري في القدر ١٤/٣٠٣، وفي الجهاد وفي الدعوات، ومسلم في التوبة ١٧/٢٥، ٢٦، ٢٧، وأبو داود وغيرهم.

قوله: شرفاً، أي موضعاً مرتفعاً، قوله: اربعوا بهمزة وصل مع فتح الباء، أي ارفقوا بأنفسكم.

وفي الآية والحديث بيان أن الله معنا قريب، بل هو أقرب إلينا من جبل الوريد، وقد أول هذا القرب بالعلم، والأولى إبقاؤه على ظاهره مع نفي الحلول والتشبيه، ومقام الربوبية عظيم لا يدرك كنهه ولا تتصوره العقول، فليس كمثلته شيء... وفي الآية دليل على أن من دعا الله ولو في نفسه سمعه وأجاب دعاءه، وهذا من اليقينيات.

قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ اللَّيْلِ الْأَصْيَارِ الرَّفْتِ إِلَىٰ نِسَابِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ مَخْتَلِفُونَ أُنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تَبْشِرُوا مَهْرًا وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٥﴾ .

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضره الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ فقالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجاءته امرأته فلما رآته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾، ففرحوا بها فرحًا شديدًا.

رواه أحمد ٢٩٥/٤، والبخاري ٣١/٥، ٣٢، وأبو داود ٢٣١٤، والترمذي ٢٧٧٩، والنسائي في الكبرى ٢٩٧/٦ وفي المجتبى.

وفي رواية للبخاري وغيره: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بَشِيرُوهُمْ وَأَتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .

وجاء في سبب نزول الآية ما ذكر عن جماعة عن كعب بن مالك، رواه أحمد وابن جرير وغيرهما بسند حسن في الشواهد بلفظ: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من عند النبي ﷺ ذات ليلة وقد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأيقظها وأرادها فقالت: إني قد نامت، فقال: ما نامت، ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾... وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس ومراسيل عن جماعة، انظر: ابن جرير والدر المنثور.

﴿الرَّفَثُ﴾ هنا المراد به الجماع. وقوله: ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي تخونونها بمقارفة الجماع ليلة الصيام. وقوله: ﴿وَأَتَعُوا﴾، أي اطلبوا

بمباشرة نسائكم ونكاحهن ما كتب الله لكم من الولد، ولا يكون قصدكم مجرد قضاء الشهوة.

وفي هذه الآية نعمة عظيمة على المسلمين ورحمة بهم بعد امتحانهم وتحريم الطعام والشراب وقربان النساء ليالي رمضان، وكان في ذلك مشقة عظيمة وعنت بالغ.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾.

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾، ولم ينزل ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود. ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ﴿ مِنَ الْفَجْرِ... ﴾ فعلموا إنما يعني بذلك الليل والنهار.

رواه البخاري في الصيام وفي التفسير ٢٤٩/٩، ومسلم في الصيام ٢٠١/٧، ٢٠٢.

وعن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾، قال عدي بن حاتم: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقالاً أبيض، وعقالاً أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار».

رواه البخاري في التفسير ٢٤٩/٩، ومسلم في الصيام ٢٠٠/٧، وأبو داود ٢٣٤٩، والترمذي ٢٧٨١، والنسائي ٢٩٦/٦، ٢٩٧ كلاهما في التفسير.

قوله: عقال، هو الحبل الذي يشد به البعير ونحوه. قوله: وسادك لعريض، أي نومك لعريض، فهو من باب الكناية، وقيل غير ذلك.

وفي الحديثين مع الآية الكريمة بيان لنهاية الأكل والشرب في ليالي رمضان، وأن ذلك يبقى حتى يبدو ظاهراً بياض النهار من سواد الليل وهو الفجر الصادق الذي يمتد يميناً وشمالاً جهة الشروق. وفي الحديثين بيان أن النصوص الشرعية تحمل على ظواهرها اللغوية وحقائقها حتى يأتي البيان الشرعي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾.

١٨٧

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده.

رواه البخاري ١٧٧/٥، ومسلم ٦٧/٨، ٦٨، وأبو داود ٢٤٦٢، والترمذي ٧٠٥ وغيرهم.

الاعتكاف في اللغة هو اللزوم، وفي الإسلام لزوم بيت من بيوت الله لعبادته، وله شروط وأحكام تتعلق به مذكورة في مظانها. وانظر: إتمام المنة ٤٧٥ لكاتبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

١٨٨

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرثشي.

رواه أحمد ١٦٤/٢ وفي مواضع، وأبو داود ٣٥٨٠، والترمذي ١٢١١، وابن ماجه ٢٣١٣، والحاكم بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم والذهبي. ورواه أحمد ٣٨٧/٢، ٣٨٨، والترمذي ١٢١٠، وابن حبان ١١٩٦ بالموارد وغيرهم. وفيه زيادة: «في الحكم»، وللحديث شواهد.

الراشي الذي يدفع الرشوة، والمرثشي أخذها. وجاء في رواية عند

أحمد من رواية ثوبان زيادة والرائش، وهو الوسطة الماشي بينهما .
وهو يدل على تحريم الرشوة وأن كلاً من الثلاثة تشملهم لعنة الله عياداً
بالله، لأن ذلك سبب لأخذ أموال الناس بغير حق والحكم بالظلم والجور .
وقوله تعالى: ﴿ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَىٰ الْحُكَّامِ ﴾، أي تدفعوها إلى الحكام رشوة
ليعينوكم على أخذ طائفة من أموال الناس بأن يحكموا لصالحكم ظلماً
وعدواناً .

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم
تختصمون إلي وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من
بعض، فإن قضيت لأحد منكم بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له من النار،
فلا يأخذ منه شيئاً» .

رواه البخاري في الأحكام ٢٩٦/١٦، ومسلم في الأفضية ٥/١٢، وباقي الجماعة .

قوله: ألحن، أي أبلغ وأبين وأقدر على الكلام وبيان الحجة ولو
بالباطل .

والحديث يدل على أن حكم الحاكم لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً،
وإنما العبرة بالواقع، فإذا حكم الحاكم على بينة جائزة فالحكم باطل عند الله
تعالى ولو وقع تنفيذه، والذي يأخذه المحكوم له هو قطعة من النار، أخذه
بالباطل من أخيه المسلم . وفي الآية الكريمة تحريم أخذ أموال الناس بأي
طريق كان إلا بحق شرعي .

قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ .

١٨٩

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل
الله الأهلة مواقيت للناس، فصوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم
فعدوا ثلاثين يوماً» .

رواه عبد الرزاق في الصيام من المصنف ٧٣٠٦، والحاكم ٤٢٣/١، وصححه

على شرطهما، ووافقه الذهبي، وله شاهد عن طلق بن علي، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٢/١، والطبراني وغيرهما.

وعن ابن عباس، قال: سأل الناس النبي ﷺ عن الأهلة فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ...﴾ إلخ، جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم ولحجهم ومناسكهم، ولعدة نسايتهم ومحل دينهم.

أخرجه ابن جرير ١٨٥/٢ وابن أبي حاتم ٣٢٢/١، وجاء مثله عن جماعة من المفسرين: قتادة وأبي العالية ومجاهد وغيرهم، ولا خلاف بينهم في ذلك.

وسؤال الناس كان عن سبب صغر الهلال وكبره، فأجابهم الله عز وجل عن حكمة تجدده كل دورة من دوراته في فلكه وأن ذلك هو المقصود الأهم الذي ينبغي الاهتمام به والسؤال عنه.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾ الآية. وفي رواية: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في الحج وفي التفسير ٢٤٩/٩، ومسلم آخر الكتاب ١٦١/١٨، والنسائي في الكبرى ٢٩٧/٦، ٢٩٨.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كانت قريش يدعون الخمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من الأبواب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان فخرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر، إنه خرج معك من الباب، فقال: ما حملك على ذلك؟

قال: رأيتك فعلت ففعلت، فقال: إني أحمس، قال: إن ديني دينك، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ...﴾ الخ.

رواه الحاكم ٤٨٣/١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو على شرط مسلم فقط، وكذا رواه ابن أبي حاتم ٣٢٣/١.

الحُمس بضم الحاء وسكون الميم، جمع أحمس وهو المتشدد في الدين.

هكذا كان أهل الجاهلية يبتدعون أمورًا من عندهم ويعدونها من البر والخير، وهي مجرد وحي من الشيطان، فعرّفهم الله عزَّ وجل بأن الدخول للبيوت من ظهورها أو أبوابها لا دخل له في البر، وإنما البر هو تقوى الله عزَّ وجل بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾.



عن أبي شريح العدوي رضي الله تعالى عنه قال لعمر بن سعيد: إيذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح فسمعتة أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب.

رواه البخاري في الحج ٤/٤١٣، ٤١٦ وغيره، ومسلم في الحج أيضًا ٩/١٢٧، ١٢٨ وغيرهما، وفيهما عن ابن عباس بلفظ: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار...» الحديث، وفي الباب عن جماعة في الصحيح وغيره.

في الحديثين وما في معناهما دليل على تحريم القتال في حرم الله المكي وأنه لا يحل لأحد أن يريق به دمًا، وإنما أباح الله تعالى لرسوله ﷺ القتال فيه ساعة من نهار يوم الفتح، ثم عادت حرمتها كما كانت. غير أن القرآن الكريم صرّح بجواز قتال من قاتل فيه دفاعًا لا ابتداءً، وهكذا فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح فلم يقاتل أحدًا إلا من قاتل... كما هو معروف. وههنا كلام طويل لا داعي لإيراده لأنه ليس من شروطنا.

قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [١١٣].

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أتاه رجلان في فتنه ابن الزبير فقالا: إن الناس قد ضُيعُوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، قالوا: ألم يقل الله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنه وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنه، ويكون الدين لغير الله. وفي رواية: قال: ثكلتك أمك، أتدري ما الفتنه؟ إنما كان رسول الله ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنه وليس يقاتلهم على الملك.

وفي رواية: أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عامًا وتعمّر عامًا وتترك الجهاد في سبيل الله عزّ وجل وقد علمت ما رغب الله عزّ وجل فيه، قال يا ابن أخي: بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله، والصلاة الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت، قال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِئَةَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾، قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلًا، فكان الرجل يفتتن في دينه، إما

قتلوه وإما يعذبه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، أما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون. وفي رواية: هذه بنته حيث ترون.

رواه البخاري بالرواية الأولى والأخيرة في التفسير ٢٤٩/٩، ٢٥٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ورواه النسائي في الكبرى ٢٩٨/٦ بالرواية الثانية. وعزاه في الدر المنثور مع البخاري لأبي الشيخ وابن مردويه ٤٩٦/١.

قوله: فتنة ابن الزبير: يعني حربه مع بني أمية حيث كان استقل بالخلافة على الحرمين وما معهما دونهم، فكانت بينه وبينهم معارك أودت بانهزامه وقلته بالحرم الشريف على يد الحجاج الثقفي الطاغية المشهور. وكان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ممن لم يتدخل في ذلك واعتزل الفتنة، فجاءه بعض من كان مغرمًا بالفتن والطعن في الصحابة يلومه على تأخره ويأمره بالقتال، فأجابهم بما ذكر في الباب وعرفهم بأنهم يسعون في الفتنة والقتال على الملك والرياسة، لا كما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في القديم.

وفي الحديث فضل الخليفتين سيدنا علي وسيدنا عثمان رضي الله تعالى عنهما، وقد ذكرت ما تيسر من فضائلهما في كتاب فضائل الصحابة. والآية الكريمة تدل على وجوب قتال الكفار وخاصة الوثنيين واللادينيين حتى لا تبقى فتنة الكفر ويصبح الدين كله خالصًا لله عز وجل لا يشاركه فيه أحد... والآية محكمة معمول بها إلى يوم القيامة.

وقد جاء في صحيح مسلم عنه ﷺ: «اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله...» الحديث. وفي الحديث المتواتر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله...» الحديث، واستثنى من

هذا العموم أهل الكتاب فيقاتلون حتى يعطوا الجزية ثم يقرون على دينهم . . .

قوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١١٩).

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى وتغزوا^(١)، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ.

رواه أحمد ٣/٣٣٤، ٣٤٥ بسند صحيح.

الأشهر الحرم: وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، حرم الله تعالى فيها الظلم والقتال . . . وأمر باحترامها وكان ذلك معروفاً حتى عند أهل الجاهلية على ما كانوا عليه من النسيء فيها. وكان النبي ﷺ يحترمها ويعظمها ويأمر بمراعاتها، ولذلك فلم يكن يقاتل فيها حتى تنسلخ إلا إذا قوتل، حتى إنه لما كان بالحديبية وبعث عثمان رضي الله تعالى عنه سفيراً إلى أهل مكة وبلغه أنه قتل نادى في الصحابة بالبيعة استعداداً لقتال كفار مكة رغم أنه كان شهر حرام، فلما جاء الخبر بسلامة عثمان عمد إلى مصالحتهم فشرطوا عليه أن يرجع العام ويأتي في العام المقبل، فكان كما اشترطوا، فاعتمر من قابل وكان في القعدة كسابقه فأنزل الله عز وجل: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ . . . ﴾ إلخ، فيكون معناه: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ﴾ الذي دخلتم فيه مكة، ﴿ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ الذي صددتم فيه عن دخولها.

وانظر: الدر المنثور ١/٤٩٧، ٤٩٨، وابن أبي حاتم ١/٣٢٨، ٣٢٩.

وقيل: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام، وكما هتكوا حرمة الشهر واستحلوا دماءكم فافعلوا بهم مثله. وهذا هو الموافق لهديه ﷺ وحديث الباب.

(١) يعني: يغزوه الكفار.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ، قال: نزلت في النفقة .

رواه البخاري في التفسير ٢٥١/٩ .

وعن أسلم ابن عمران رحمه الله تعالى قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

رواه أبو داود في الجهاد ٢٥١٢، والترمذي في التفسير ٢٧٨٢، والنسائي في الكبرى ٢٩٨/٦، ٢٩٩، وابن حبان ١٦٦٧، بالموارد، والحاكم ٢/٢٧٥، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

قوله: من الروم، المراد بهم معروف .

وقوله: شاخصًا، أي لم يزل متنقلًا من بلد إلى بلد حتى دفن بإسطنبول وبه قبره إلى الآن رضي الله تعالى عنه.

والحديث كسابقه يدل على أن سبب نزول الآية الكريمة هو ترك النفقة والجهاد في سبيل الله وأن ذلك هو المراد بالقائم أيديهم إلى التهلكة، لأن ترك ما ذكر يتسبب عنه هجوم الأعداء على المسلمين وانتصارهم عليهم وانهمامهم أمامهم، كما حصل للمسلمين في هذه العصور المتأخرة. وأخذ بعض العلماء من حديث أبي أيوب مشروعية العمليات الاستشهادية ضد الأعداء، ولذلك أدلة كثيرة من السنة وأثار الصحابة.

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.



عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت: يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية، فقال: حجني واشترطي إن محلي حيث حبستني.

رواه البخاري في النكاح ٣٥/١١، ومسلم ١٣١/٨، ١٣٣ في الحج، ونحوه عن ابن عباس عند أحمد ٣٣٧/١، ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أحصر رسول الله ﷺ فحلقت وجامع نساءه ونحر هديه حتى اعتمر عامًا قابلاً.

رواه البخاري في الإحصار من كتاب الحج ٣٧٨/٤.

وعن المسور رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق وأمر أصحابه بذلك.

رواه البخاري في الحج ٣٨١/٤ في الشروط، وفي الباب غير ما ذكرنا في خ ٣٨١/٤.

عامة المفسرين على أن الآية نزلت في عمرة الحديدية حيث منع كفار

قريش النبي ﷺ من دخول مكة فنحر هديه وحلق رأسه . . . وأمر أصحابه بذلك، وكان الصلح بينه وبين المشركين، فاتفق العلماء على أن كل من أحصر ومنع من الحج أو العمرة فعليه أن يحل ويهدي ويحلق، وألحق جماعة من الأئمة بالمحصر بالعدو كل مانع من إتمام الحج كمرض وسيول ونار وحيوان . . . ولا سيما إذا اشترط كما في حديث ضباعة المذكور.

قوله تعالى: ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

عن عبد الله بن معقل رحمه الله تعالى قال: قعدت إلى كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن فدية من صيام، فقال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا! أما تجد شاة؟» قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك»، فنزلت في خاصة، وهي لكم عامة.

رواه أحمد ٤/٢٤١، ٢٤٣، والبخاري في الحج وفي التفسير ٩/٢٥٢ وفي مواضع، ومسلم في الحج ٨/١١٨، ١٢١، والترمذي في التفسير ٢٧٨٣، وأبو داود ١٨٥٦ - ١٨٦١، والنسائي في المجتبى ٥/١٩٤، ١٩٥، وفي الكبرى ٦/٢٩٩، ٣٠٠، وابن ماجه ٣٠٧٩.

الحديث جاء مفسراً للآية التي نزلت بسبب كعب، وذلك يدل على أن المحرم إذا احتاج إلى حلق رأسه أو كان به مرض أو حاجة فله أن يأتي ما منع منه، ثم عليه الفدية في ذلك إما صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة يتصدق بلحمها. والكلام في هذا مستوفى في كتاب الحج.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَنَّعَ بِالْمُهْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: نزلت آية المتعة في

كتاب الله تعالى، ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات رسول الله ﷺ، قال رجل برأيه ما شاء.

رواه البخاري في التفسير ٢٥٢/٩ وغيره، ومسلم في الحج، والنسائي في الكبرى ٣٠٠/٦.

المراد بالمتعة هنا متعة الحج وهي تقديم العمرة والتحلل منها ثم يحج من العام، وقد أخبر الله تعالى بها في هذه الآية تشريعاً لعباده، وأمر بها النبي ﷺ كل من لم يكن معه هدي من أصحابه وتمنى هو فعلها. وأحاديث مشروعيها متواترة، ولترجع خلاصة ذلك في كتاب إتمام المنة لكاتبه. ومن أحرم بالتمتع وجب عليه ما تيسر له من الهدي، فمن لم يتمكن منه لفقدانه أو فقدان ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام قبل عرفة، وسبعة إذا رجع لبلده. وقول عمران: قال رجل برأيه: يقصد به سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، فإنه كان له رأي واجتهاد في ذلك.

قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَلْمَهُهُ اللَّهُ وَتَكَرَّرُوا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْقُبُورِ وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج، فإن من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج.

رواه ابن خزيمة بسند صحيح، وقول الصحابة: من السنة كذا؛ في حكم المرفوع عند جمهور المحدثين.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج».

عزاه ابن كثير لابن مردويه، وقال: وإسناده لا بأس به. لكن روى الشافعي والبيهقي من طرق عن ابن جريج عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل: أيهل

بالحج قبل أشهر الحج؟ فقال: لا. قال: وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع، ويبقى حينئذ مذهب صحابي يتقوى بقول ابن عباس: من السنة أن لا يحرم بالحج إلا في أشهره...

اتفق جميع العلماء على أن أشهر الحج ومواقيته الزمانية هي شوال وذو القعدة وذو الحجة أي عشر منها... وكان ذلك معروفاً عند الجميع، ولذلك قال تعالى: ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾، وحديث ابن عباس وجابر يدلان على أنه لا يصح الإحرام بالحج قبل وقته، وقد وقع خلاف في ذلك والصحيح عدم صحته لأنه مخالف للقرآن والسنة...

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

عن أبي العالية رحمه الله قال: كنت أمشي مع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو محرم وهو يرتجز بالإبل ويقول: «وَهَنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا». فقلت: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما روجع به النساء.

رواه ابن جرير ٢/٢٦٣، والحاكم ٢/٢٧٦، وصححه، ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وفي رواية: رجع كيوم.

رواه البخاري ٤/١٢٥، ومسلم ٩/١١٩، وغيرهما.

الرفث في الآية والحديث هنا هو الجماع ومقدماته من: كلام، وغمز، وتقيل، ومعانقة... وذلك محرّم حالة الإحرام بالإجماع، والآية جاء فيها بلفظ النفي ومعناه النهي. أما الفسوق: فهو ارتكاب المعاصي ومنها السباب كما جاء في الصحيح عنه ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر». والجدال الخصام مع الرفاق وغيرهم. فقوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ

الْحَجِّ ﴿١١٧﴾، أي فمن أوجب بإحرامه حجًا فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل حالته...

قوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾، قال: كان ناس يحجون بغير زاد فنزلت: ﴿وَتَكَرَّوْذُوا...﴾ الآية. وفي رواية: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْذُوا...﴾ الآية.

رواه البخاري في الحج ٤/١٢٧، والنسائي في الكبرى ٦/٣٠٠، وابن جرير ٢/٢٧٩ وغيرهم.

المحققون على أن التوكل لا يكون مع السؤال، وأن التزود لا ينافي التوكل المطلق كسائر الأسباب، وهذا بالنسبة للزاد المادي، أما الزاد الأخروي فلا بد أيضًا منه وهو التقوى، ولذا قال: ﴿فَأِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. وهو سبب لدخول الجنة، فالتوكل والاعتماد على الله في دخولها بلا عمل هو أمنية بل جهالة وسفاهة.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا...﴾، في مواسم الحج.

رواه البخاري في الحج ٤/٣٤٢، ٣٤٤، وفي التفسير ٩/٢٥٢، وابن جرير ٢/٢٨٣، والحاكم ٢/٢٢٧ بنحوه، وعزاه ابن كثير إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور.

وعن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري فهل لنا حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعرف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم، فقلنا: بلى، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ إلخ، فقال النبي ﷺ: «أنتم حجاج».

رواه أحمد ٢/٢٥٥، وأبو داود في الحج ١٧٣٣، وابن جرير ٢/٢٨٢، والحاكم ١/٤٤٩، والبيهقي في الكبرى ٤/٣٣٣ بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
قوله: عكاظ بضم العين، سوق جاهلية كانت بين الطائف ونخلة.
وقوله: مَجَنَّةً بفتحات مع تشديد النون، سوق جاهلية ثانية أيضاً، وكان موقعها بمر الظهران، وقيل: بأسفل مكة. وقوله: ذو المجاز هي الأخرى سوق ثالثة لهم وكانت بناحية عرفة.

فكان أهل الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق أيام موسم الحج ويشربون الخمر ويفجرون ويتفخرون، وقد يقضون فيها شهوراً قبل الموسم، فلما جاء الإسلام وعرفوا ما كانوا يصنعون بهذه الأسواق خافوا من الوقوع في الإثم إن اتجروا فيها أيام موسم الحج، فرفع الله عز وجل عنهم الحرج، وأباح لهم طلب الربح والفضل بالتجارة ما داموا يؤدون مناسك الحج كاملة على وجهها الأتم. ولذلك قال ﷺ لذلك السائل الذي سأله عن الكري في الحج: «أنتم حجاج».

رواه أحمد وعبد الرزاق.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾.

﴿١٣٨﴾

عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحج عرفة - ثلاثاً - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك...»، الحديث سيأتي مطولاً.

رواه أحمد ٤/٣٠٩، ٣١٠، وأبو داود ١٩٤٩، والترمذي ٧٨٨، والنسائي ٥/٢١٤، وابن ماجه ٣٠١٦ بسند صحيح.

وعن عروة بن مضر رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حيث خرج إلى الصلاة، فقلت: يا رسول الله إني جئت من جبل طي، أكلت راحلتي وأتعبت نفسي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال رسول الله ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفته».

رواه أحمد ٤/١٥، وأبو داود ١٩٥٠، والترمذي ٧٨٩، والنسائي ٥/٢١٣، وابن ماجه ٣٠١٦، بسند صحيح.

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «كل عرفات موقف، وارفعوا عن عرفات، وكل مزدلفة موقف، وارفعوا عن محسر، وكل فجاج مكة منحراً».

رواه أحمد ٤/٨٢، ولا يضر ما قيل فيه من الانقطاع فإنه صحيح لشواهد.

وفي حديث جابر الطويل في صفة الحج عنه ﷺ أنه قال: ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلها موقف.

رواه مسلم في الحج ٨/١٩٥.

الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم للحج فمن فاته بطل حجه بالإجماع، ويصح الوقوف بها ليلاً ونهاراً كما في حديث عروة المذكور والسنة الجمع بين النهار وشيء من الليل كما فعل النبي ﷺ، فإنه بقي بها حتى غربت الشمس، ثم أفاض أي دفع منها حتى أتى مزدلفة ويقال لها جمع والمشعر

الحرام فصلى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصرًا بأذان وإقامتين، ثم رقد حتى طلع الفجر فصلى الصبح، ثم استقبل القبلة فلم يزل يدعو حتى أسفر جدًا فدفع قبل طلوع الشمس كما جاء في صفة حجه ﷺ عند مسلم ١٨٩/٨ . . .

وذكر الله عند المشعر الحرام يشمل صلاة العشاءين والصبح والدعاء بعده، واختلف السلف وغيرهم في المبيت بالمزدلفة، فقال قوم بأن ذلك ركن للحج، وقال آخرون: واجب ينجر بالدم، وقال فريق ثالث: إنه سنة، وحط الرحال واجب، والذي نختاره القول الأول لقوة دليبه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَقِفُوا اللَّهَ بِحَجِّهِ﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ .

رواه البخاري في التفسير ٢٥٣/٩، ومسلم ١٩٧/٨، وأبو داود ١٩١٠، والترمذي ٧٨٤، والنسائي في المجتبى، وابن حبان ١٧٣٠ بالموارد كلهم في الحج، ورواه النسائي في الكبرى ٣٠٠/٦.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهل بالحج، فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هدية من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك، أي ذلك شاء، غير إن لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه، ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام، ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعاً الذي يتبرر فيه، ثم ليذكروا الله كثيراً أو أكثروا التكبير والتهليل قبل أن

تصبحوا ثم أفيضوا، فإن الناس كانوا يفيضون، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حتى ترموا الجمرة.

رواه البخاري في التفسير ٢٥٣/٩ وهو من أفراده.

قوله: الحمس بضم الحاء وسكون الميم، سماوا بذلك لتشددهم في دينهم كما كانوا يزعمون. ثم أفيضوا: الإفاضة الزحف والدفع بكثرة، والمراد هنا الدفع من عرفات إلى المزدلفة عشية يوم عرفة بعد الغروب.

والحديثان يدلان على أن الوقوف يكون بعرفة ثم الإفاضة منها إلى المزدلفة مع الناس كما كان عند العرب قبل الإسلام تبعاً لخليل الرحمن. وكان النبي ﷺ يقف معهم إلهاماً من الله، خلاف ما كانت عليه قريش ومن كان على دينهم حيث كانوا يقفون بالمزدلفة ولا يخرجون من الحرم، فلما جاء الإسلام خالفهم النبي ﷺ فوقف بعرفة وأفاض منها امتثالاً لأمر الله عز وجل، ثم خالفهم ثانياً بنزوله من المزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس من يوم النحر.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

عن قتادة رحمه الله تعالى أنه سأل أنساً رضي الله تعالى عنه أي دعوة كان أكثر يدعو بها النبي ﷺ؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ».

رواه أحمد ١٠١/٣، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٧٧، والبخاري في التفسير ٢٥٤/٩ وفي الدعوات، ومسلم في الذكر والدعاء ١٦/١٧ وغيرهما.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: فجمعت هذه الدعوة كل خير

في الدنيا وصرفت كل شر؛ فإن الحسنه في الدنيا تشمل كل مطلوب دينوي من عافية، ودار رحبه، وزوجه حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، وأما الحسنه في الآخرة فأعلى ذلك^(١) دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والمحرمات.

قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

عن نبیثة الهذلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله».

رواه أحمد ٧٥/٥، ومسلم في الصيام ١٧/٨ باب تحريم صوم أيام التشريق. وتقدم حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفات، الحج عرفات، أيام منى ثلاث، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج».

رواه أحمد والأربعة بسند صحيح، وتقدم مختصراً قبل آيتين. أيام التشريق هي أيام منى وهي الأيام المعدودات المأمور بذكر الله تعالى فيها، وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾، معناه أن من رمى الجمار يومين ثم انصرف وتعجل فلا حرج عليه ولا إثم، ومن أتم الثلاث فلا إثم عليه

(١) بل أعلى ذلك رضاء الله والنظر إلى وجهه المقدس.

أيضاً، وهي السنة الكاملة التي فعلها النبي ﷺ في حجته .

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله، الألدُّ الخصم» .

رواه أحمد ٥٥/٦، ٦٣، ٢٠٥، والبخاري في التفسير ٢٥٤/٩ وفي المظالم وفي الأحكام، ومسلم في العلم ٢١٩/١٦، والترمذي في التفسير ٢٧٨٥، والنسائي في الكبرى ٣٠١/٦، وفي المجتبى . . .

الألد الخصم بفتح الخاء وكسر الصاد، وهو الكثير الخصام، والألد الشديد الخصومة. فهذا الصنف من الناس أبغض الناس إلى الله عزَّ وجل، والحديث يتجلى في المحامين وخاصةً المبطلين، وكذا بعض المنتسبين للعلم المغرمين بالجدال والخصام في المسائل الخلافية .

وقد قال ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» .

رواه أحمد ٢٥٢/٥، والترمذي في التفسير وصححه .

قوله تعالى: ﴿ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، فغداً لليهود، وبعد غد للنصارى» .

رواه عبد الرزاق في التفسير ١/٨٢، ٨٣، وأحمد ٢/٢٧٤، والبخاري ٣/٤، ٦، ومسلم ٦/١٤٣، ١٤٤ وغيرهم في الجمعة، لكن بدون ذكر الآية، وهي عند ابن جرير ٢/٣٣٨، ٣٣٩، وابن أبي حاتم ٢/٣٧٧ مع عبد الرزاق وسنده صحيح.

في الحديث فضل هذه الأمة حيث هداها الله تعالى لاختيار يوم الجمعة، وأضل عنها اليهود والنصارى. وقوله في الحديث: «نحن الآخرون»... إلخ، معناه نحن آخر الأمم في الدنيا علينا تقوم الساعة، والأولون يوم القيامة السابقون للقضاء بيننا والحساب ودخول الجنة. وقد جاء في صحيح مسلم حديث لحذيفة موضحاً لحديث الباب.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

رواه أحمد ٦/١٥٦، ومسلم في صلاة الليل ٦/٥٦، ٥٧.

في الدعاء بعض اقتباس من الآية الكريمة. وهو من أدعية التوجه واستفتاح الصلاة، فينبغي للمسلم الدعاء به لما فيه من سؤال الهداية إلى الطريق القويم الذي طالما اختلف فيه العباد.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْلَفِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: اللّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ... ﴿ الآية، فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بَيْنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ١٩]، قال عمر: انتهينا انتهينا.

رواه أبو داود ٣٦٧٠، والترمذي في تفسير سورة المائدة ٢٨٥٣، والنسائي في الأشربة، والحاكم ٢٧٨/٢، والبيهقي ٢٨٥/٨ وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ونقل ابن كثير في التفسير، ثم ابن حجر في الفتح أن علي بن المديني والترمذي صححا هذا الحديث، ولمعناه شاهدان في الجملة عن أبي هريرة عند أحمد وعن ابن عمر عند الطيالسي.

كان لتحريم الخمر ثلاثة أدوار كما بينه الحديث، وذلك نظرًا لما كان عليه الناس من تأثرهم بشربها، فاقتضت الحكمة الإلهية تحريمها تدريجيًا وحتى يقفوا على مضارها عقليًا واجتماعيًا ويشاهدوا ما يؤول إليه أمر شاربها، كما سيأتي بيان ذلك في المائدة إن شاء الله تعالى. وفي الآية الكريمة دليل على أن جانب المفسدة مقدم على جانب المصلحة وهي قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي، وأصل من أصول الدين الذي جاء به الإسلام، لأن الشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد فأياها كان أرجح قُدم. ومنافع الخمر والميسر لا تقاوم مفاسدتهما ولذلك قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَسِعَلُونَا مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْؤُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَلَكِكُمْ تَنْفَكُونَ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا».

رواه مسلم في الزكاة ٨٣/٧، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

رواه مسلم في الزكاة، أيضاً ١٢٦/٧، ١٢٧، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

في الحديثين الشريفين بيان لما ينبغي أن ينفقه الإنسان مما سأل عنه الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وهو الفضل والعفو الذي يفضل عن الشخص من النفقات الواجبة عليه، وفي حديث أبي أمامة بيان أن إمساك المال لغير حاجة شر للإنسان، وأنه لا لوم عليه ولا عتاب فيما يحتاجه من الرزق الضروري، وهو المسمى بالكفاف، أي الكافي بلا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي قُلَّ إِصْلَاحُ لَهَا وَإِنْ تَحَايَرْتُمْ فِيهَا فَاسْأَلُوا اللَّهَ يَخْبِرُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الَّتِي إِلاَّ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الَّتِي طَلَمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ... ﴾ الآية. فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم.

رواه أبو داود في الوصايا ٢٨٦٣، والنسائي في الكبرى ٦٤٩٦، ٦٤٩٧، وابن جرير ٣٦٩/٢، ٣٧٠، وابن أبي حاتم ٣٩٥/٢، والحاكم ٢٧٨/٢، ٢٧٩، وصححه ووافقه الذهبي ولا يضر عطاء بن السائب هنا لاتفاق المفسرين على ما في الحديث، وورود ذلك عن مفسري الصحابة والتابعين...

قوله تعالى: ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾، العنت هو المشقة، أي لو شاء سبحانه لأدخل عليكم الحرج وشدد عليكم في أمور اليتامى، ولكنه تعالى يسر عليكم في مخالطتهم بأموالكم على وجه المصلحة، وفي الآية الكريمة دليل على أن القيام بشؤون أموال اليتامى يجب أن يكون بقصد مصلحتهم، ذلك أن الإساءة إلى اليتامى بأي طريق كانت تعتبر من كبار الجرائم، ولذلك رغب الإسلام في الإحسان إليهم ومراعاة جانبهم وجعل كافل اليتيم مع النبي ﷺ في الجنة، وقال ﷺ: «خير بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فيه يتيم يساء إليه».

قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْمَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْمَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ... ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله تعالى عنهما

فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول: كذا وكذا فلا نجامعهن، فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاها فعرفا أن لم يجد عليهما.

رواه أحمد ١٣٢/٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ومسلم ٢١١/٣، وأبو داود ٢٥٨، ٢١٦٥، والنسائي في المجتبى ١/١٥٣، وفي الكبرى ٣٠١/٦، والدارمي ١٠٥٨، وابن ماجه ٦٤٤ وغيرهم.

لم يؤاكلوها، أي لم يأكلوا معها على مائدة واحدة. ولم يجامعوهن في البيوت، أي لم يسكنوهن في البيوت ما دُمن متلبسات بالحيض.

والحديث يدل على وجوب مخالفة اليهود في شؤونهن التي يختصون بها، وقد ذكر العلماء أن مخالفة الكفار من أهم مقاصد البعثة النبوية، وفيه جواز التمتع بالزوجة ولو كانت حائضاً، وإنما الممنوع منها هو موافقتها في محل الأذى أيام الحيضة، ولا خلاف بين المسلمين في تحريم إتيان الحائض أيام دورتها الشهرية.

ويلاحظ أن هذا السؤال الواقع في شأن الحيض هو أحد الأسئلة السبعة التي جاءت في هذه السورة الكريمة، وهي الآيات السابقة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [آية: ١٨٩]، و ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ﴾ [آية: ٢١٥]، و ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [آية: ٢١٩]، و ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْءُ﴾ [آية: ٢١٩]، و ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَامِ قَاتِلٍ فِيهِ﴾ [آية: ٢١٧]، و ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [آية: ٢٢٠]، و ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [آية: ٢٢٢].

وهذا من خصائص هذه السورة فلا يوجد في غيرها مثل هذه الأسئلة على هذه الوتيرة، فليضف إلى خصائصها.

قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٢٢﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته في قبيلها من دبرها كان الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٢٥٧/٩، ومسلم في النكاح ٦/١٠، ٧، والترمذي في التفسير ٢٧٨٧، وأبو داود ٢١٦٣، وابن ماجه ١٩٢٥، وغيرهم.

زاد مسلم عن الزهري: «إن شاء مُجَبِّئَةٌ، وإن شاء غير مجبية، غير أن ذلك في صمام واحد».

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يعني صماماً واحداً.

رواه أحمد ٣٠٥/١، ٣١٨، والترمذي ٢٧٨٨، بسند صحيح على شرط مسلم وحسنه الترمذي وصححه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عمر رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «وما أهلكك؟» قال: حوّلت رحلي، قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ هذه الآية: «﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ...﴾»، أقبل وأدبر واتقِ الدبر والحیضة».

رواه أحمد ٢٩٧/١، والترمذي ٢٧٨٩، والنسائي في الكبرى ٣٠٢/٦، وابن حبان رقم ٤١٩٠، والبيهقي ١٩٨/٧ بسند صحيح.

وعنه قال: إن ابن عمر والله يغفر له أوهم، إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون أن لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل

الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا منكراً، ويتلذذون منهن مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى شري أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾، أي مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد.

رواه أبو داود في النكاح ٢١٦٤، والحاكم ٢٧٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

وعن نافع رحمه الله تعالى قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان، قال: تدري فيم أنزلت، قلت: لا، قال: أنزلت في كذا وكذا، ثم مضى. وفي رواية: قال: فقرأت ذات يوم هذه الآية: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ... ﴾، قال: أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن.

رواه البخاري في التفسير بالرواية الأولى المبهمة ٢٥٥/٩، ورواه ابن جرير في تفسيره ٣٩٤/٢ بالرواية الثانية ونحوها مفسراً من طرق صحيحة، وكذا رواه مفسراً إسحاق بن راهويه في مسنده والإسماعيلي في مستخرجه، والطبراني في الأوسط، والدارقطني في غرائب مالك وغيرهم، كما أورده في الدر المشور ٦٣٥/١، ٦٣٦، ٦٣٨. وأورده الحافظ في الفتح ٢٥٥/٩ وقال: من طرق ثابتة، وقال ابن عبد البر: الرواية عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحة معروفة عنه مشهورة.

قوله: أحول، يعني تكون عيناه مائلتين إحداهما لأنفه، والأخرى لصدغه. وقوله: مُجَبِّية، بضم الميم وفتح الجيم وكسر الباء المشددة، أي على وجهها باركة على ركبتيها. وقوله: في صمام واحد، يعني به الفرج.

وقوله: حولت رحلي، يريد أنه واقع زوجته من جهة ظهرها في قبلها، وكنى بالرحل عن الزوجة لأن المجامع يعلو ويركب المرأة مما يلي وجهها فحيث ركبها من جهة ظهرها فقد حوّل رحله، وهذا أدب في التعبير من سيدنا عمر جميل. وقوله: على حرف، أي كانوا يجامعون منحرفات على جوانبهن. وقوله: يشرحون، يعني يطؤونهن مستلقيات على القفا كالمعتاد الحالي. وقوله: شرّري، بفتح الشين وكسر الراء، أي ارتفع وتفاقم شأنهما وما فعلاه.

وأحاديث الباب كلها تحوم حول قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ...﴾ الآية. فحديث جابر في قول اليهود، من جامع امرأته من دبرها... إلخ. وحديث ابن عباس في قصة سيدنا عمر في تحويل رحله... إلخ. وحديثه الثاني في عادة المهاجرين والأنصار في غشيان النساء... إلخ. هذه الثلاثة تدل على أن الآية الكريمة نزلت بهذه الأسباب ولا مانع من تعدد أسباب النزول كما هو معلوم.

وجميعها مع حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها تدل على أن قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾، أي على أي هيئة أردتم منهن إذا كان في موضع الحرث والإنتاج وهو الفرج، فيكون معنى أنى شئتم، أي كيف شئتم، وعلى هذا مشى عامة العلماء والفقهاء من الصحابة فمن بعدهم، وأيدوا ذلك بأدلة وأحاديث كثيرة صحيحة تحرّم إتيان المرأة في دبرها بإيلاج كما تؤتى في الفرج. غير أن حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما المذكور في الأخير يقتضي أن الآية نزلت في الرخصة في إتيان النساء في الأحشاء مع صحة الرواية في ذلك، ولهذا اختلف الناس في ذلك، فأخذ بظاهر هذا الحديث جماعة منهم محمد بن كعب القرظي، وسعيد بن يسار المدني، ومحمد بن المنكدر، وابن أبي مليكة وغيرهم، وصح ذلك عن الإمام مالك.

وقال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن: جوزته طائفة كثيرة، وقد

جمع ذلك ابن شعبان في كتاب «جماع النسوان وأحكام القرآن»، وأسند جوازه إلى زمرة كبيرة من الصحابة والتابعين وإلى مالك من روايات كثيرة ١٧٣/١، ١٧٤. وقال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن: المشهور عن مالك إباحته، وأصحابه ينفون عنه هذه المقالة لقبحها وشناعتها... إلخ. وقال الشافعي: ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في تحريمه ولا تحليله شيء والقياس أنه حلال، ثم رجع فقال بالتحريم، نقله عنه غير واحد من أتباعه.

والحق الذي لا ريب فيه أنه حرام، قال ابن كثير: بإجماع العلماء إلا قولاً شاذاً لبعض السلف. وأقل ما يقال فيه أنه شبهة، والمؤمن وقاف عند الشبهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه... .

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال: أين المتألي على الله لا يفعل المعروف، قال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب.

رواه البخاري في أوائل الصلح ٢٣٦/٩، ومسلم في المساقاة، باب الوضع من الدين ٢١٩/١٠، ٢٢٠.

قوله يستوضع، أي يطلب منه أن يضع عنه بعض ما عليه من الدين ويطلب منه أن يرفق به. والمتألي: بضم الميم وفتح التاء والهمزة ثم لام مشددة مكسورة، هو الحالف.

والحديث موافق للآية الكريمة في المنع من الحلف بالله على ترك البر

والخير وأن يجعل الإنسان يمينه بالله مانعة له من المعروف وحائلة بينه وبين فعل الخير، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ [النور: ٢٢] إلخ.

فالاستمرار على اليمين آثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما جاء عن النبي ﷺ: «والله لأن يَلَجَّ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ»، رواه الشيخان.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نزل في قول الرجل: لا والله، بلى والله.

رواه البخاري في التفسير ٣٤٤/٩، ٤٤٥، ورواه أبو داود في الإيمان والندور ٣٢٥٤ مرفوعاً، والنسائي في الكبرى ٣٣٦/٦ موقوفاً. وهو من قبيل المرفوع.

لغو اليمين هو الذي لا يعتد به وليس فيه كفارة ولا إثم لأنه يكون عن غير قصد ولا عقد بالقلب، ولذلك عقب الله ذلك بقوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي عقدتم بقلوبكم كما في آية المائدة: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

ومن هذا القبيل ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله». لأن القوم كانوا حديثي عهد بجاهلية قد أسلموا وألستهم قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد، فأمرُوا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد، لتكون هذه بهذه، قاله ابن كثير.

﴿ ٢٢٦ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ ٢٢٦ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ألى رسول الله ﷺ من نسائه وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة له تسعاً وعشرين، فقيل: يا رسول الله إنك آليت شهراً، قال: «إن الشهر تسع وعشرون».

رواه البخاري في النكاح ٢١١/١١ وغيره، ونحوه عنده ٢١٣ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، وفي الصحيحين عن عمر مطولاً وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة التحريم.

يؤلون: الإيلاء هو الحلف في اللغة، وفي العرف الشرعي الحلف بالامتناع من وطء الزوجة، وفي حديث أنس وأم سلمة وغيرهما ما يدل على أن النبي ﷺ ألى من نسائه شهراً لأسباب اقتضت له ذلك كما هو مبين في أحاديث أخرى، والآية الكريمة صرحت بأن من آلى من نسائه له أن يتربص ويبقى أربعة أشهر فإذا مضت كان بين أمرين إما أن يفي، ويرجع إلى معاشره زوجته، وإما أن يطلق. هذا هو ظاهر الآية الكريمة وللفقهاء والأئمة مذاهب في ذلك.

﴿ ٢٢٨ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُمَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ ٢٢٨ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ... ﴾ إلخ، وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثاً، فنسخ ذلك فقال: ﴿ أَلْطَلْقُ مَرَّتَانٍ فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَنِ ﴾ .

رواه أبو داود ٢١٩٥، والنسائي بنحوه ٦/٢١٢ كلاهما في الطلاق وسنده حسن .

وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك ، وإن طلقها ألف مرة ، فعمد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ، ثم قال : لا والله لا أويك إلي ولا تحلين أبداً . فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلْطَلَّقَ مَرَّتَانٍ فَاَتَسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ . فاستقبل الناس الطلاق جديداً من ذلك من كان طلق أو لم يطلق .

رواه مالك في الموطأ رقم ١٢٨٢ ، وابن أبي حاتم ٤١٨/٢ ، وابن جرير ٤٥٦/٢ وغيرهم . هكذا مرسلًا وسنده صحيح ، ورواه الترمذي في الطلاق ١٠٧٤ موصولًا ومرسلًا ، وكلاهما صحيح . ورواه الحاكم ٢/٢٧٩ ، ٢٨٠ موصولًا وصححه ووافقه الذهبي .

قوله تعالى : ﴿ يَرْبِّصَنَّ ﴾ ، أي ينتظرن ، وقوله : ﴿ قُرُوءٍ ﴾ هو جمع قرء بضم القاف ، وهو من المشترك اللفظي جاء في اللغة بمعنى الطهر والحيض ، وبالمعنى الأول أخذ المالكية والشافعية . . . وبالتالي قال الحنفية . وقوله في الحديث : شارفت ، أي قاربت ، وقوله : لا أويك ، أي لا أسكنك في منزلي كزوجة لي ، وقوله تعالى : ﴿ أَلْطَلَّقَ مَرَّتَانٍ . . . ﴾ إنخ معناه أن الطلاق الذي تصح بعده المراجعة هو الطلاق الأول والثاني ، فبعد ذلك إما أن يمسخها ويعاشرها بالمعروف ، وإما أن يسرحها ويطلقها بإحسان ، بلا إضرار . وبعدها تحرم عليه فلا تحل حتى تتزوج ، فكانت الآية الكريمة إبطالاً لما كان عليه أهل الجاهلية من ظلم المرأة والإضرار بها ، ثم إعطاءها حقها وحل مشكلتها وبيان ما تعامل به من طرف زوجها بالعدل والإحسان .

قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .



عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

رواه مسلم في الحج في صفة حجة النبي ﷺ ١٨٣/٨، مطولاً ونحوه عن أبي الأحوص. رواه الترمذي في التفسير وغيره.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت.

رواه أحمد ٤٤٧/٤ و ٣/٥، وأبو داود ٢١٣٥، وابن ماجه ١٨٥٠ كلاهما في النكاح بسند صحيح.

قوله: بأمانة الله وكلمة الله، هي قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَنْزِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾، أو كلمة التوحيد، أو قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، أو الإيجاب والقبول. وقوله: مُبْرَحٌ بضم الميم وفتح الباء وكسر الراء المشددة، هو الضرب الشديد الشاق. وقوله: ولا تقبح، أي لا تقل لها: قبحك الله.

وفي الحديثين بيان بعض حقوق كل من الزوجين على الآخر، والآية الكريمة صريحة في أن لكل منهما حقاً على الآخر بالمعروف، وحقوقهما مستوفاة في كتب السنة المشرفة والفقهاء الإسلامي من كتاب النكاح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْطِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، والله ما أعتب على ثابت بن قيس في

دين ولا خُلُق ولكنني أكره الكفر في الإسلام لا أطيقه بغضاً، فقال لها النبي ﷺ: «أتردين إليه حديقته؟»، قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

رواه أحمد والبخاري ٣١٦/١١، ٣٢٠، والنسائي رقم ٣٢٤٠، ورواه النسائي ٣٢٣٩ عن حبيبة بنت سهل بسند صحيح.

قولها: ما أعتب على ثابت، في رواية: ما أعيب عليه، وقولها: لا أطيقه بغضاً، في رواية عند ابن ماجه: والله لولا مخافة الله إذا دخل علي بصقت في وجهه، وقولها: ولكنني أكره الكفر في الإسلام، أي أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضي الكفر.

امرأة ثابت بن قيس المذكورة هي جميلة بنت أبي أخت عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وكانت ذات حسن وجمال، وكان ثابت بن قيس فيه دمامة، كان شديد السواد قصير القامة قبيح الوجه، مع صلاحه وفضله وبشارته بالجنة، فأبغضته أشد البغض، فشكت حالها إلى رسول الله ﷺ وأنها لا تطيق معاشرته والبقاء معه، فأشار إليها بالخلع وفداء نفسها بردها عليه ما أصدقها في مقابلة طلاقها.

وفي هذا الحديث مشروعية خلع المرأة نفسها من زوجها وإعطائها إياه شيئاً في مقابلة الطلاق إذا تعذرت العشرة الزوجية مع قيام حدود الله تعالى وكان الشقاق حاصلًا من قبل المرأة، كما في هذه القصة وهي مبينة للآية الكريمة، أما في غير ذلك فلا يحل له أخذ شيء منها كما يدل عليه أول الآية ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا...﴾ إلخ، وآية النساء: ٢٠، ٢١: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾. فما يفعله بعض

من لا دين له من الإضرار بالمرأة لتنخلع منه ضلال وإثم مبين، نعم، لا يجوز للمرأة الاختلاع بلا سبب، بل عدها النبي ﷺ منافقة.

وقد قال ﷺ: «المختلعات هن المنافقات»، وفي رواية: «المنتزعات والمختلعات هن المنافقات».

رواه الترمذي ١٠٦٨، ١٠٦٩، وابن ماجه ٢٠٥٥، وابن حبان ١٣٢٠، والحاكم ٢٠٠/٢ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي من حديث ثوبان. ورواه أحمد ٤١٤/٢، والنسائي ٣٨/٦، والبيهقي ٣١٦/٧، من حديث أبي هريرة بسند صحيح.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلُ لَهَا مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ قال: لا، حتى يذوق عُسَيْلَتَهَا.

رواه البخاري ٢٨٣/١١، ومسلم ٤/١١ كلاهما في الطلاق.

وعنها قالت: جاءت امرأة رفاعة إلى النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبتّ طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير وأن ما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتِكَ».

رواه البخاري في النكاح ٣٨٨/١١، ٣٩١ وغيره، ومسلم فيه ٢/١١، ٣، ٤ وغيرهما.

قوله: حتى يذوق عسيلتك... إلخ، هو كناية عن حلاوة الجماع الذي يحصل بتغيب الحشفة في الفرج.

والحديثان يدلان كآلية على أن المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها الأول حتى تتزوج رجلاً آخر ويدخل بها بإيلاج، وقد أجمع الأئمة والعلماء على ذلك إلا سعيد بن المسيب فقال: تحل للأول بمجرد العقد الصحيح. وهو قول لم يوافقه أحد عليه.

ومن متعلقات الموضوع التزويج بقصد التحليل وهو حرام بالإجماع لقوله ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له».

رواه أحمد وأهل السنن عن علي، والترمذي عن ابن مسعود وجابر، والنسائي عن ابن مسعود. انظر: تهذيب سنن الترمذي لجامعه رقم ١٠٠٠، ١٠٠٣، وسماه ﷺ في رواية: بالتيس المستعار...

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْخِذُواْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة».

رواه أبو داود ٢١٩٤، والترمذي ١٠٦٥، وابن ماجه ٢٠٣٩، والحاكم ١٩٧/٢، ١٩٨، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم وهو حسن لشواهد.

جاءت الآية الكريمة عقب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، ثم قال: ﴿وَلَا تَنْخِذُواْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا﴾. وقد تقدم حديث عروة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ بيان ما كان يفعله أهل الجاهلية بالمرأة في الطلاق، وهو تفسير لما هنا في الآية. فصرح هنا سبحانه وتعالى أن فاعل ذلك مستهزئ بآيات الله وأحكامه ولذلك نهى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَنْخِذُواْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا﴾. وقد جاءت آثار في أن سبب نزول الآية هو اللعب في الطلاق ونحوه.

عن الحسن، قال: كان الرجل على عهد النبي ﷺ يقول: زوجتك ابنتي ثم يقول: كنت لاعباً، ويقول: قد اعتقت ويقول: كنت لاعباً. فأنزل الله الآية.

أخرجه ابن جرير ٤٨٢/٢ وابن أبي شيبة رقم ١٨٤٠٦. وفي رواية عند ابن أبي حاتم: وكان الرجل يطلق.. ويقول: كنت لآعباً... إلخ ٤٢٥/٢.

فمن الاستهزاء بآيات الله اللعب بالطلاق وما معه في الحديث، فلا يجوز العبث بذلك، فمن صدر منه الطلاق أو النكاح أو الرجعة هازلاً ولاعباً كان قد اتخذ آية الله هزواً ولزمه ما قال، نعوذ بالله من السخرية والاستهزاء بآيات الله وشرعه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: كانت لي أخت تُحطَبُ فأمنعُها، فخطبها ابن عم لي فزوجتها إياه، فاصطحبا ما شاء الله أن يصطحبا، ثم طلقها طلاقاً له عليها رجعة، فتركها حتى انقضت عدتها، وخطبها الخطاب، جاء فخطبها، فقلت: يا لكع حُطِبَتْ أختي فمَنَعْتُهَا النَّاسَ وَأَثَرْتُكَ بِهَا طَلَقْتُهَا فَلَمَّا انقَضَتْ عَدَّتْهَا جِئْتُ تَحْطِبُهَا لَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا أَزْوَاجَكُهَا، ففِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾ الْآيَةُ. فقلت: سمعاً وطاعة، كَفَرْتُ عَنِ يَمِينِي وَأَنْكِحْتُهَا.

رواه البخاري في التفسير ٢٥٨/٩، ٢٥٩، وفي النكاح ٩١/١١، ٩٢، ٤٠٨، وأبو داود في الطلاق ٢٠٧٨، والترمذي: في التفسير ٢٧٩٠ وغيرهم، وعند الترمذي: فهوها وهويته.

الآية مع سبب نزولها نص في أن المرأة لا ولاية لها في النكاح لا لنفسها ولا لغيرها كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وبه قال كل الأئمة إلا بعض من شذ وخالف النصوص. وقال الإمام الترمذي في جامعه: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم

تحتج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله تعالى في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ...﴾ الآية، ففي هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهن، وقد جهل هذا أو تجاهله بعض من زاغ من أهل هذا العصر عن طريق الله القويم فتأثروا بأفكار العلمانيين والملحدين فأصبحوا ينادون بتحرير المرأة وجعلوا من تحررها أن تزوج نفسها، في أشياء أخرى مرقوا بسببها عن دين الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٣٤).

عن ابن الزبير قلت لعثمان رضي الله تعالى عنه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ...﴾ الآية، قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه. رواه البخاري ٢٥٩/٩ والإسماعيلي كما في الفتح.

ما حصل بين ابن الزبير وعثمان رضي الله تعالى عنهم هو المتفق عليه بين العلماء بله كل الأمة. فآية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، هي منسوخة بآية الباب رغم أن النسخة مقدمة في المصحف الكريم والمنسوخة مؤخره، لأنها كذلك كتبت في زمن النبي ﷺ، ولذلك أباهما سيدنا عثمان على حالتيهما عند كتابته المصحف، وذلك يدل على أن ترتيب المصحف بآياته وسوره توقيفي لا دخل لأحد في اختيار ترتيبه، وقد نقل غير واحد الإجماع على هذا، وقالوا: إن ترتيب القرآن الموجود بين أظهرنا نزل كذلك من اللوح المحفوظ، ولهذا قال سيدنا عثمان لابن الزبير: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه، فرضي الله تعالى عنه. فالأمة بأجمعها مدينة لعمله في القرآن

كأخويه السابقين أبي بكر وعمر وجميع من شارك في جمعه وكتابته،
فرضي الله تعالى عنهم وجزاهم عن خدمة القرآن وعنا خير الجزاء.

وعن زينب بنت كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنهما أن الفُرَيْعَةَ بنتَ مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أخبرتها أنها جاءت رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خُدْرَةَ، وأن زوجها خرج في طلب أعْبُدٍ له أبْقُوا، حتى إذا كان بطرف القُدوم لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي، فإن زوجي لم يترك لي مسكنًا يملكه ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: نعم، قالت: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد ناداني رسول الله ﷺ أو أمر بي فنوديت له فقال: كيف قلت؟ قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، قال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، فلَمَّا كان عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به.

رواه أحمد ٦/٣٧٠، ٤٢٠، وأبو داود ٢٣٠٠، والترمذي ١٠٨٦، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/٣٠٣، وابن ماجه ٢٠٣١، والدارمي ٢٢٩٢، وابن حبان بالإحسان ٤٢٩٢، والحاكم ٢/٢٠٨ وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قولها: أبْقُوا: أي فروا وهربوا من سيدهم، قوله: حتى يبلغ الكتاب... إلخ، أي حتى تتم عدتك.

والآية الكريمة مع حديث فريعة دالان على وجوب عدة الوفاة وأن المرأة تتربص وتنتظر أربعة أشهر وعشرًا، ولا خلاف في ذلك بين العلماء، غير أن هذا في غير الحامل، أما هي فعدتها وضع حملها قُرْبَ الأجل أم بعد للإجماع على ذلك، ولقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ

حَمَلَهُنَّ... ﴿[الطلاق: ٤]﴾. وفي الحديث وجوب قضاء عدة الوفاة في البيت الذي توفي عنه الزوج ولو لم يكن ملكاً له وأنها لا تخرج منه، وبهذا قال جمهور العلماء؛ للنص النبوي: «امكثي في بيتك...» إلخ.

وعن أم عطية رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوباً مصبوغاً، إلا ثوب عصب، ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت من محيضها نبذة من قسط أظفار».

رواه أحمد ١٨٤/٦، ١٨٥، والبخاري ٤١٧/١١، ومسلم ١١٨/١٠، وأهل السنن إلا الترمذي. وفي الباب عن زينب بنت أم سلمة وعائشة وغيرهما وكلها في الصحيح.

قوله: أن تُحد، بضم التاء وكسر الحاء، الإحداد هو حزن المرأة على زوجها ولبسها ملابس الحزن وتركها ما فيه زينة.

والحديث يدل على منعها أيام عدة الوفاة من لبس المعصفر من الثياب أو مصبوغاً أو الاكتحال أو استعمال الطيب أو التحلي بذهب أو فضة أو نحوهما كما جاء في أحاديث أخرى، غير أنه رخص لها إذا طهرت من حيضتها أن تتبخر بما فيه رائحة طيبة... وهذا خاص بالزوجة على زوجها، أما الغير فلا يجوز ذلك فوق ثلاثة أيام كما هو نص الأحاديث.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال في قوله تعالى: ﴿فِيمَا

عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴿ هو أن يقول: إني أريد التزوج، وإن النساء لمن حاجتي، ولوددت إن تيسر لي امرأة صالحة.

رواه البخاري في النكاح ٨٣/١١، وابن جرير في التفسير ٥١٧/٢، ٥١٨، وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وغيرهم.

قوله: عَرَضْتُمْ، التعريض هو أن يذكر المتكلم شيئاً يدل به على شيء آخر لم يذكره، وهو كما ذكر ابن عباس هنا، وهذا التفسير متفق عليه بين السلف وغيرهم، فلا يجوز التصريح للمرأة في عدتها بالخطبة ولكن تجوز بالتعريض كما ذكر، وكما جاء في حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها ألبته، فقال لها النبي ﷺ: فإذا حَلَلْتِ فَأَذِينِي، وفي رواية: لا تفوتينا بنفسك، فهذا من باب التعريض. ويجب أن يعلم أن التعريض بالخطبة في العدة خاص بالمتوفى عنها زوجها أو كانت مطلقة ثلاثاً، أما في غير ذلك فلا يجوز بالاتفاق. وأجمع العلماء على تحريم هذه الخطبة صراحة والعقد في العدة، وبالغ المالكية فقالوا: تحرم عليه أبداً إن عقد عليها في العدة.

قوله تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾.

عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله تعالى عنهما قالا: تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين.

رواه البخاري في الطلاق ٢٧٥/١١، وفي رواية أنه ﷺ قال لها: هَبِي نَفْسِكَ لِي فَقَالَ: وهل تهب الملكة نفسها للسُّوقَةِ، فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: قد عدت بمعاذ، فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقين وألحقها بأهلها. ونحوه عن عائشة رواه البخاري أيضاً ٢٧١/١١.

الآية الكريمة تدل على جواز طلاق المرأة قبل المسيس، أي الدخول بها، وقبل فرضية الصداق، وأن على الزوج أن يتمتعها بأن يعطيها شيئاً غير معين ثياباً أو حلياً أو مالاً أو غير ذلك مما تنتفع به.

والحديث يدل على بعض ما في الآية أيضاً وهو الطلاق قبل الدخول والتمتع، واختلف العلماء في التمتع للمرأة المطلقة هل هي واجبة على الزوج مطلقاً أم هي خاصة بغير المدخول بها، فرض لها الصداق أم لا، على أقوال، والظاهر أنها واجبة لغير المفروض لها قبل الدخول بها... وفي غيرها مستحبة. وهذا في غير المتوفى عنها زوجها الذي لم يدخل بها، فهذه لها صداق مثلها والعدة والميراث كما يأتي في موضعه.

قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ (٢٣٨).

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً»، ثم صلاها بين العشاءين، بين المغرب والعشاء.

رواه أحمد ٨١/١، ١١٣، ١٤٦، ١٥١، والبخاري في التفسير ٩/٢٦١، ومسلم في المساجد ٥/١٢٨، وأبو داود ٤٠٩، والنسائي في الكبرى ٦/٣٠٣، ٣٠٤، والترمذي ٢٧٩٣، وابن ماجه ٦٨٤.

الحديث نص في تفسير الصلاة الوسطى وأنها صلاة العصر، وهو قول جمهور العلماء.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ (٢٣٨).

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

أخرجه أحمد ٤/٣٦٨، والبخاري ٩/٢٦٥، ومسلم ٥/٢٦، وأبو داود ٩٤٩،
والترمذي ٢٧٩٥، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/٣٠٤ وغيرهم.

الحديث دل على أن الآية نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، وأن
معنى القنوت هنا السكوت، أي قوموا له ساكتين، وهذا أحد معاني القنوت،
وله معانٍ أخرى تجاوز العشرة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا
عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٨).

عن نافع رحمه الله أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان إذا
سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام، وطائفة من الناس فيصلي بهم
الإمام ركعة وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا، فإذا صلوا الذين
معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم
يصلوا فيصلون معه ركعة ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين، فيقوم كل
واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام فيكون كل
واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين، فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا
رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركباناً مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، قال
مالك: قال نافع: لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ.

رواه البخاري بهذا السياق في التفسير ٩/٢٦٧، ومسلم في صلاة الخوف
٦/١٢٤، ١٢٥، وغيرهما، زاد مسلم في رواية: فإذا كان خوف أكثر من ذلك فصل
راكباً أو قائماً تومئ إيماءً.

صلاة الخوف وردت على هيئات وصفات، وأصولها ست، وما ذكر
هنا واحداً، وقد صلاها النبي ﷺ في عدة غزوات.

والآية الكريمة دالة على الرخصة في صلاتها قياماً وقعوداً رجالاً

وركبانا، وهذا من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده عند اشتداد الخوف. ويأتي مزيد للموضوع في سورة النساء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُ اللهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللهُ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة.

رواه ابن أبي شيبة والبخاري في المغازي ٨/٢٩٣، ٢٩٤، وابن جرير ٢/٦٢١ وغيرهم.

الآية الكريمة جيء بها لبيان قصة طالوت في قتاله لجالوت، وكان الله تعالى اختبر جيشه الإسرائيليين بنهر من الماء، وقد عطشوا، فمن شرب منه، كان بريئا منه ومن لم يشرب كان وليا له مخلصا لله تعالى، فجاوز النهر هو وثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ممن لم يشرب إلا غرفة بيده، فلما رأوا جيش جالوت الجرار قالوا: لا طاقة لنا اليوم بهم، فطمأنهم أهل اليقين من علمائهم وصالحهم الربانيين بأن النصر ليس بكثرة القوة والعدد، فكثيرا ما غلبت الجماعة القليلة الجماعة والجيش الكثيرة العرمرمة بإرادة الله وعونه وإذنه وإنما النصر من عند الله ينصر من يشاء. ولذلك لما اصطف الجيشان وتقاتلوا، قتل نبي الله داود عليه السلام الرئيس الطاغية جالوت، فانهزم جيشه وانتصر المسلمون. والقصة مبسطة في القرآن وتفاسيره. والمقصود هو أن الله تعالى كما أكرم طالوت وجيشه بالنصر مع قلة العدد وكانوا أقل من عدوهم بكثير، كذلك تفضل على نبيه ﷺ حبيبنا محمد وأصحابه فأيدهم على كفار قريش

ونصرهم ببدر مع وفور جيش العدو وقله الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وجعلهم كعدد من قاتل مع طالوت، فللّهِ العزة ولرسوله وللمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: وكلفني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «إنه سيعود»، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ... فوقع منه ذلك ثلاث ليال فقال له: وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ إلخ، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب،

تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال أبا هريرة؟» قال: لا، قال: «ذلك شيطان». رواه البخاري في الوكالة رقم ٢٣١١، وفي بدء الخلق وفي فضائل القرآن معلقاً مجزوماً به، ورواه النسائي في الكبرى ٢٣٨/٦ متصلاً، ونحوه عن أبي أيوب وغيره. في الحديث أن قراءة هذه الآية حرز من الشيطان وأن لها ملائكة مكلفين من قبل الله عز وجل بحفظ قارئها. وفيه دليل على جواز رؤية الجن. وما جاء في سورة الأعراف من نفي رؤيتهم فمحمول على رؤيتهم في خلقتهم الأصلية فلا تعارض، والقرآن لا يخالف الواقع أبداً.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ و ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢] أن فيهما اسم الله الأعظم.

رواه أحمد ٤٦١/٦، وأبو داود ١٤٩١، والترمذي في الدعوات ٣٢٤٩، وحسنه الترمذي وصححه، واللفظ لأحمد، وذكر الأخير أن بدل آية الكرسي: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَجِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

فيه أن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، هو فيما ذكر من آية الكرسي وأوائل سورة آل عمران والآية الأخرى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَجِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. وقد جاءت بتعيينه أحاديث أوردت أغلبها وأصحها في زاد المتقين. وانظر ما يأتي أوائل سورة آل عمران.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

رواه أحمد ٤/٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٥، ومسلم في الإيمان ١٧٩، وابن ماجه ١٩/١٩٦، وابن حبان في صحيحه رقم ١٦٦ بالإحسان، وأبو يعلى ٧٢٢٦، والبخاري في شرح السنة رقم ٩١ وغيرهم.

قوله: لا ينام، النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط معه الإحساس، والله تعالى منزه عن ذلك، فهو مستحيل في حقه جل وعلا. وقوله: يخفض القسط... إلخ، القسط بكسر القاف الميزان، وسُمي به لأن به يقع العدل. والمراد أن الله يرفع الميزان ويخفضه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة، وهذا تمثيل لما يقدر تنزيله، وقيل: المراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه فيقتره، ويرفعه فيوسعه، قاله النووي. وقوله: سُبُحات، بضم السين والباء، جمع سُبُحة، أي نور وجهه وجلاله وبهاؤه، والمراد بالحجاب هنا المانع من رؤيته تعالى، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات، لأن بصره تعالى محيط بجميع الكائنات.

والحديث من أحاديث الصفات يجب الإيمان به وتنزيه الله عما يوهم التشبيه بخلقه، فالواجب فيها إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تعطيل ولا تشبيه، ومذاهب الناس في مثل هذا الحديث مختلفة فلا ينبغي الاشتغال بها. والمقصود من إيراد الحديث هو قوله: إن الله لا ينام، فهو موافق للآية الكريمة: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

فائدة: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر جمل كل جملة منها مستقلة بمعنى خاص وهي كالاتي:

أولاً: أنه لا إله إلا هو.

ثانياً: أنه الحي القيوم.

ثالثاً: أنه لا تأخذه سنة ولا نوم.

رابعًا: أن له ما في السموات وما في الأرض .

خامسًا: أنه لا يشفع أحد إلا بإذنه .

سادسًا: أن علمه محيط بجميع الكائنات .

سابعًا: أنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء .

ثامنًا: أن كرسیه وسع السموات والأرض .

تاسعًا: أنه تعالى لا يثقله ولا يؤوده حفظ السموات والأرض وما

فيهما وما بينهما .

عاشرًا: أنه العلي العظيم .

وللوقوف على أسرار هذه الآية وعظمتها وما احتوت عليه من

التوحيد، يجب أن يرجع فيه إلى مطولات التفاسير .

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ .



عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأة من الأنصار

لا يكون لها ولد تجعل على نفسها لثن كان لها ولد لتهودنه، فلما أسلمت

الأنصار قالوا: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية. وفي رواية: لما أجليت

بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار قالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله

عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ .

رواه أبو داود ٢٦٨٢ في الجهاد، والنسائي في الكبرى ٣٠٤/٦، وابن حبان

١٧٢٥ موارد، والبيهقي في الكبرى ١٨٦/٩ بسند صحيح .

جمهور المفسرين على أن الآية الكريمة منسوخة، وأنها كانت قبل

الأمر بقتال الكفار كافة بدليل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ وَأَخْلَصْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿ [التوبة: ٣٦] ، وقوله جل وعلا: ﴿ وَقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ لِلَّهِ ﴾ ، مع قوله ﷺ الذي تواتر عنه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...» الحديث. وقد ثبت أن النبي ﷺ قاتل العرب على الإسلام، وهكذا كان شأن الخلفاء بعده.

وقال قوم إنها خاصة بأهل الكتاب، وأنهم إذا قبلوا أداء الجزية لا يكرهون على الدخول في الإسلام، ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]. فأمر بقتالهم وجعل غايته إعطاءهم الجزية، وهذا واضح بحمد الله تعالى. وقد انحرف أقوام في معناها تبعاً لساداتهم الكفار المستشرقين.

وقوله: ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ ، أي قد بان ووضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ .

(٥٦)

عن قيس بن عباد قال: قلت لعبد الله بن سلام: إنك لما دخلت قبل قال رجل كذا وكذا [يعني: هذا رجل من أهل الجنة]، قال: سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك، رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه، رأيتني في روضة ذكر سعتها وعشبتها وخضرتها، ووسط الروضة عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: إرقه، فقلت: لا أستطيع، فجاءني منصف - قال ابن عون: والمنصف الخادم - فقال بشيبي من خلفي، - وصف أنه رفعه من خلفه بيده - ، فرقيت حتى كنت في أعلى العمود

فأخذت بالعروة، فقيل لي: استمسك، فلقد استيقظت وإنما لفي يدي فقصصتها على النبي ﷺ فقال: تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت. وفي رواية: «يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى»، وفي رواية: «ولن تزال متمسكاً بها حتى تموت».

رواه البخاري ٨/١٣٠، ١٣١، ومسلم ٤٢/١٦، ٤٣، ٤٤ بالنسبة والنسبة واللفظ لمسلم.

العروة كل ما يستمسك به وهي من الكوز مقبضه. والوثقى: مؤنث أوثق وهو الأقوى. ومعناه أن من كفر بغير الله من الطواغيت والأنداد وآمن به عزَّ وجل فقد تمسك واعتصم بأقوى سبب وهو دين الإسلام. ورؤيا عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه تفسر العروة الوثقى وأنها دين الإسلام الذي تمسك به ومات عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ...﴾ الآية».

رواه أحمد ٢/٣٢٦، والبخاري في التفسير ٩/٢٦٨، وفي بدء الخلق ٧/٢٢٢، ومسلم في الإيمان وفي الفضائل ١٥/١٢٣ وغيرهم.

ظاهر الحديث أن الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام شك في كيفية إحياء الموتى، والآية بخلاف ذلك، وقد وجه العلماء الحديث بأن إبراهيم لم يشك، ولو شك لكانا أولى بذلك منه، ولكنه لم يطرأ عليه شك، وكيف يعترى الأنبياء الشك في صفة من صفات الله عزَّ وجل، وهم سادات الموحدين صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ .

عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله، فقال: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة» .

رواه أحمد ١٢١/٤، ٢٧٤، ومسلم في الإمارة، والنسائي في الكبرى ٣٣/٣ واللفظ لمسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله...» الحديث .

رواه مسلم في الصوم وغيره مطولاً في فضل الصوم وفي الموضوع أحاديث عدة .
في الآية الكريمة والحديثين الشريفين فضل الصدقة والإنفاق وخاصة في سبيل الله، وأن ذلك سيضاعف لصاحبه يوم القيامة إلى سبعمائة ضعف، وقد ضرب الله عز وجل لذلك مثلاً بحبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة... .

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقَةً نَّائِسٍ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءِآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ .

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»، وفي رواية: «المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منه» .

رواه مسلم في الإيمان ١١٤/٢، وأحمد ١٥٨/٥، وأبو داود ٤٠٨٧ في اللباس،
والترمذي ١٠٩٣ في البيوع وباقي الجماعة، غير البخاري.

في الحديث عظم هذه المعاصي وأن أصحابها هالكون مغضوب
عليهم... إن لم يتوبوا. والمنان هو الذي لا يعطي لأحد شيئاً من مال
أو غيره إلا امتن به عليه وتناول بذلك، وفي ذلك من الإذاية ما لا يخفى،
ولذلك جعله الله تعالى في هذه الآيات من مبطلات الصدقة، وقال في آية
قبلها: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى... ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَن تَحْمِلُوا
فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: نزلت فينا معشر
الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته،
وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس
لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاء أتى القنو فضره بعصاه فيسقط البسر والتمر
فيأكل، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص
والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية، قال: لو أن أحدكم أهدي إليه
مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض أو حياء، قال: فكان بعد ذلك يأتي
أحدنا بصالح ما عنده.

رواه الترمذي ٢٧٩٦، وابن ماجه ١٨٢٢، وابن جرير ٨٢/٣، وابن أبي حاتم
٥٢٨/٢، والحاكم ٢٨٥/٢ بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه
الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

القنو: بكسر القاف هو العذق يكون فيه الرطب والتمر. والشيص

بالكسر: التمر غير القوي الذي لا نوى له. والحشف: بفتحين هو أردأ التمر وأقبحه، وقوله: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا...﴾ إلخ، أي لا تقصدوا.

وفي الآية الكريمة إرشاد العباد إلى الإنفاق من الكسب الطيب الجيد الذي يحبه المرء ويرضاه لا من الخبيث الرديء الذي يكرهه ولا يقبله إن أعطيه إلا إذا تساهل وأغمض بصره.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

رواه أحمد ١/٣٨٢، ٤٣٢، والبخاري في العلم ١/١٨٦، ومسلم في الصلاة رقم ٨١٦.

وفي رواية لابن عمر: «رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار».

رواه أحمد ٣/٩٠٣، والشيخان وغيرهم.

وفي رواية لأبي هريرة: «رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار».

رواه أحمد ٢/٤٧٩، والبخاري.

الحكمة تطلق على معان، والمراد بها هنا معرفة القرآن والسنة والعمل بهما. والحديث نص في أنها القرآن، ولا شك أن السنة تابعة له لأنها المبينة له بنص القرآن. والحسد في الحديث المراد به الغبطة وهو تمنى ما يراه المسلم من خير عند غيره من غير أن يتمنى زواله عنه، وهو محمود وهو من

التنافس في الخير. والآية الكريمة نصٌّ في أن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه الخير الكثير جعلنا الله تعالى منهم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

عن عقبه بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

رواه أحمد ٤/١٥١، ١٥٨، وأبو داود ١٣٣٣، والترمذي ٢٧٢٦، والنسائي ٥٩/٥ بسند صحيح.

دلَّت الآية الكريمة مع الحديث الشريف على أن الإسرار بالصدقة خير وأفضل من إظهارها، لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص والقبول، وأبعد من الرياء والعُجب، علمًا بأن إظهار ذلك مع الإخلاص هو عمل مبرور أيضًا من أسباب تكفير الذنوب.

وقد جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وهو في الصحيحين عن أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُنْفِسُكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

رواه ابن جرير ٣/٩٤، ٩٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣٠٥، وابن أبي حاتم ٢/٥٣٧، ٥٣٩، والحاكم ٢/٢٨٥، و ٤/١٥٦، ١٥٧، والبيهقي في السنن ٤/١٩١ بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: يرضخون، الرضخ هو العطاء القليل من الغنيمة والفيء.
وقوله: لأنسابهم، أي قراباتهم.

قال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: يعني تعالى ذكره بذلك، ليس عليك يا محمد هدي المشركين إلى الإسلام فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة. والمراد بإعطاء المشركين هنا من الصدقة والفيء تأليفاً لهم ليدخلوا في الإسلام، وقد جعل الله عز وجل لهم في الزكاة حصة خاصة بهم حيث قال: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ فُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ٦٠] إلخ.

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، واللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرأوا إن شئتم يعني قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴾.

رواه أحمد ٢/٣٩٥، ٤٦٩ من طرق، والبخاري في الزكاة وفي التفسير ٩/٢٦٩، ومسلم في الزكاة ٧/١٢٩، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٦/٣٠٦ وغيرهم.

قوله: ﴿ إِلْحَاقًا ﴾، أي إلحاحًا، وفي الحديث بيان الفقير الوارد في القرآن الذي ينبغي أن يتصدق عليه وهو المسكين الذي يتعفف ولا يعرفه الناس، وليس ذلك الذي يتعرض للتسول مع الإلحاح.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ



الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: آخر ما نزل على رسول الله ﷺ آية الربا.

رواه البخاري في التفسير ٢٧١/٩.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: من آخر ما نزل آية الربا وأن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة.

رواه أحمد ٣٦/١، وابن ماجه ٢٢٧٦ وغيرهما بسند صحيح، وله شاهد عن أبي سعيد الخدري عند ابن ماجه.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا فقرأها رسول الله ﷺ على المنبر ثم حرم التجارة في الخمر.

رواه البخاري في التفسير ٢٧٠/٩، ٢٧١، وفي البيوع وفي المساقاة ٥/١١، وأبو داود ٣٤٩٠، ٣٤٩١، والنسائي في الكبرى ٣٠٦/٦ وفي المجتبى.

وعن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر من الحجارة في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رأيت في النهر آكل الربا».

رواه البخاري في الجنائز وفي البيوع ٢١٧/٥ وفي التعبير مطولاً.

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لعن النبي ﷺ أكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه.

رواه أحمد ١/٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢، ومسلم في المساقاة ١١/٢٦، وأبو داود ٣٣٣٣، والترمذي ١٠٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/٣٠٦، وفي المجتبى وابن ماجه ٢٢٧٧، وابن حبان ١١١٢، ١١٥٤ موارد. وعن جابر مثله رواه أحمد ٣/٣٠٤، ومسلم ١١/٢٦، وابن الجارود ٦٦٦، وزاد فيه: هم سواء.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا».

رواه أحمد ٢/٣٥٣، ٣٦٣، وابن ماجه ٢٢٢٣، ورجاله ثقات غير ابن جدعان، ففيه ضعف وحسن له بعضهم.

قوله تعالى: يتخبطه، التخبط هو الصرع والضرب الشديد في الأرض والسقوط كما يشاهد في الذي يصرع بالجن. وقوله: من المس، أي الجنون. وقوله: الربا، هو في الأصل الزيادة مطلقاً ثم استعمل عند العرب أيضاً في الزيادة على رأس المال، فجاء الإسلام فأبطلها وحرمها.

والربا في الشرع الإسلامي على ثلاثة أنواع:

أولاً: ربا النسئة وهي الزيادة التي يأخذها رب الدين في مقابلة دينه، وهذا النوع هو الذي كان سائداً في الجاهلية وهو المعمول به اليوم عالمياً في سائر البنوك الربوية الدولية.

ثانياً: ربا الفضل وهو يكون عند التبادل في الأصناف الستة التي جاء بها النص النبوي وهي: القمح، والشعير، والتمر، والزبيب، والملح، والذهب، والفضة. فالتفاضل في الجنس الواحد منها ربا.

ثالثاً: ربا التأخير، ويكون في تبادل هذه الأصناف مع الاختلاف

والتأخير، ومنه الصرف، فلا يجوز فيه تأخير أحد العملتين لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد.

والأحاديث المذكورة تدل على أمرين اثنين:

أولاً: أن آية الربا من آخر ما نزل كما هو صريح قول ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهم، غير أن هذا يعارض ما سيأتي في آخر سورة النساء عن البراء أن آخر سورة أنزلت براءة، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقد جمع بينهما الحافظ في الفتح وغيره وسيأتي ذلك في الآية المشار إليها.

أما قول سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها لنا، يقصد بذلك تفصيل جزئيات الربا التي تفوق الحصر، كما قال أيضاً في رواية له: ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهد إلينا فيهن عهداً تنتهي إليه: الجدة، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا. يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا مثل المزبنة، والمحاقلة، والمخابرة، والعينة وغير ذلك مما يكثر.

وقد جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم».

رواه الحاكم ٣٧/٢ عن ابن مسعود بسند صحيح، وابن ماجه ٢٢٧٤ عن أبي هريرة والطبراني عن البراء وغيرهم، فالمراد بالربا هنا ما هو أعم وهو الذي أرادته أمير المؤمنين سيدنا عمر.

ثانياً: فيها كآلية الكريمة الوعيد الشديد للمرابين وأنهم ملعونون الآخذ منهم والمعطي والكاتب والشاهد والآكل والموكل... كلهم سواء وأن المرابي يحشر يوم القيامة يتخبط ويصرع كالمجنون ويعذب في البرزخ في نهر من الدم بالرمي بالحجارة ثم يجازى مرة أخرى بتعذيبه بالأفاعي

تلدغه في بطنه عيادًا بالله تعالى . وكفى بهذا الوعيد زجرًا للمرابين ومساعدتهم . . . إلا من تاب وانتهى عن ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٧٥) ، هو ظاهر في أن المرابين مخلدون في النار . وهذا محمول على من استحله وأباحه لأن المعصية وإن عظمت لا يكفر مرتكبها إن اعتقد تحريمها خلافًا للخوارج . وفي قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا . . . ﴾ الخ ، جهل منهم وسفاهة وقياس باطل يدل على غباوتهم . فإن الربا امتصاص أموال المضطرين بدون كبير تعب بخلاف البيع فإن فيه تبادلًا من الجانبين .

هذا وظهور الربا مع الزنا من أسباب هلاك الأمم كما جاء في حديث : « ما ظهر الربا والزنا في قوم إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله » . رواه أحمد وغيره .

قوله تعالى : ﴿ يَمْحُؤُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٢٧٦) .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُلٍّ » . وفي رواية : « ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قُلٍّ » .

رواه أحمد ٣٩٥/١ ، ٤٢٤ ، وابن ماجه ٢٢٧٩ ، والحاكم ٣٧/٢ من طريق أحمد وصححه ووافقه الذهبي ، وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه ، حتى يكون مثل الجبل .

رواه أحمد ٣٣١/٢، والبخاري في الزكاة ٢٠/٤، ٢١، وفي التوحيد، ومسلم في الزكاة ٩٨/٧، ٩٩.

الحديث الأول مفسر لقوله تعالى: ﴿يَمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، والمَحْق نقصان الشيء حالاً بعد حال، فالربا مآله النقصان والإفلاس لصاحبه كما هو مشاهد.

أما الحديث الثاني فجاء تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي يكثرها وينميها، فلذلك جاء في الحديث بأن الله يأخذها بيده فيربيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدنا الفصيل من الإبل حتى تصبح في العظمة مثل الجبل. والله ذو فضل عظيم.

أما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، فقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلم آثم يأكل أموال الناس بالباطل... والله لا يحب مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ ءَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٩).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ﴾ إلى ﴿فَإْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. قال: فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتبهه فإن نزع وإلاً ضرب عنقه. وعنه قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب، قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

رواهما ابن جرير ١٠٨/٣، وابن أبي حاتم ٥٥٠/٢ وكلاهما سنده صحيح إلا ما قيل في عبد الله بن صالح وهو حسن الحديث.

وعن عمرو بن الأحوص رضي الله تعالى عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: «أيُّ يوم أحرّمُ...» فذكر الحديث. وفيه: «ألا وأن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله» الحديث، يأتي في التوبة وغيرها.

رواه أبو داود في البيوع ٣٣٢٧، والترمذي في تفسير سورة التوبة ٢٨٨٨، والنسائي في الحج من الكبرى ٤١٠٠، وابن ماجه في المناسك ٢٦٦٩ بسند صحيح وحسنه ت وصححه. ورواه ابن أبي حاتم ٥٥١/٢، وفيه: «أول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله».

ذكر المفسرون أن قومًا من بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه اختلفوا في ذلك فأخبروا النبي ﷺ بما حصل لهم، فنزلت الآية فكتب بها رسول الله ﷺ، فقالوا: نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا.

وفي الآية الكريمة تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار. ولذلك ذهب ابن عباس إلى قتل المرابي إن لم يتب لأنه محارب لله عز وجل لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ...﴾ إلخ، أي فإن لم تتوبوا وتتركوا التعامل بالربا أو ما بقي لكم منه فأذنوا واعلموا وتيقنوا بحرب من الله ورسوله. وكفاهم بذلك خسارة. وحديث عمرو بن الأحوص يدل على وجوب وضع الربا مطلقًا ولا يؤخذ إلا رؤوس الأموال كما في الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠).

عن أبي اليسر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله».

رواه أحمد ٤٢٧/٣، ومسلم آخر الزهد ٣٠٠٦، ومثله عن أبي هريرة رواه أحمد والترمذي.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من أنظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة».

رواه أحمد ٣٥١/٥، ٣٦٠، وابن ماجه ٢٤١٨، والحاكم ٢٩/٢ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي وإما أن تُربي، أي تعطي الفائدة والزيادة فجاء الإسلام فأمر الله عز وجل رب الدين أن يُنظر المُعسر ويؤخره إلى وقت اليُسْر ثم ندبهم إلى الوضع عنهم مطلقاً وأن يتصدقوا عليهم بذلك المال الذي عليهم. وجاءت السنة الشريفة بالأجر الجزيل، والثواب العظيم على ذلك وأن من أنظر المعسر أو وضع عنه كان يوم القيامة تحت ظل الله حيث لا يكون إلا ظله وأنه سيجازي على دينه بكل يوم صدقة مثله قبل حلول وقت الأداء، فإذا حل فأنظره كان له بذلك مثلاه صدقة في كل يوم، وهذا شيء عظيم يعطاه رب الدين المنظر لا يستهين به إلا من لا خير فيه.

قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٣٠٧/٦، وابن جرير ١١٤/٣، ١١٥، والبيهقي في الدلائل ١٣٧/٧ بسند صحيح.

هذا الأثر ظاهره يعارض ما تقدّم عن ابن عباس نفسه في آية الربا وأنها آخر ما نزل وهو في صحيح البخاري ولا تعارض بينهما، لأن هذه الآية هي خاتمة آية الربا، فهما متفقان معنى، وكلا الأثرين يدلان على أنّ الآية هي آخر ما نزل من القرآن، حتى قال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه: وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم مات الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

رواه ابن أبي حاتم ٢/٥٥٤، وابن مردويه، وهكذا رواه ابن جرير ٣/١١٥ عن ابن جريج قال: يقولون إن النبي ﷺ عاش بعدها تسع ليالٍ... إلخ.

ومعنى الآية الكريمة: احذروا ذلك اليوم العظيم الذي سترجعون فيه إلى الله تعالى وتوفى كل نفس حسابها وجزاءها بدون ظلم لا من نقص ولا زيادة، فاجعلوا بينكم وبينه وقاية من الإيمان الصادق والعمل الصالح الخالص، وترك الفواحش والموبقات. وقد أسند سبحانه هنا التقوى إلى اليوم، وأسندها في آيات كثيرة إلى نفسه المقدسة، كما أسندها في آي آخر إلى النار، والكل يرجع إلى معنى واحد، وهو التحفظ من غضب الله وعذابه، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرْ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْفُرُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَسْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقَوْمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَذَىٰ ۗ أَلَّا تَرْتَابُوا ۗ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا

تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ
فُسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٧﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم
يسلفون في الثمار السنة والستين فقال: «من أسلف في تمر فليسلف في كيل
معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» .

رواه البخاري ٥/٣٣٥، ومسلم ١١/٤١، ٤٢، كلاهما في البيوع باب السَّلَمِ .
وعنه أنه قال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله أحله
وأذن فيه، ثم قرأ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ٢/٥٥٤، والحاكم ٢/٢٨٦ وصححه على شرط الشيخين .
وعنه أنه قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «إن أول من
جحد آدم عليه السَّلَام؛ أن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار
إلى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلاً يزوهو فقال: أي رب
من هذا؟ قال: هو ابنك داود قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عاماً،
قال: رب زد في عمره، قال: لا إلا أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف
سنة فزاده أربعين عاماً فكتب عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة فلما
احتضر آدم وأتته الملائكة، قال: إنه قد بقي من عمري أربعون عاماً، فقيل
له: إنك قد وهبتها لابنك داود، قال: ما فعلت، فأبرز الله عليه الكتاب
وأشهد عليه الملائكة فأتتها الله لداود مائة، وأتمها لآدم ألف سنة» .

رواه أحمد ١/٢٥١، ٢٥٢، ٣٧١، والطيالسي رقم ١٩٣٥، وابن أبي عاصم في
السنة ١/٩٠، وابن أبي حاتم ٢/٥٥٥، وابن سعد في الطبقات ١/٩٨، والبيهقي
١٠/١٤٦، ورجاله ثقات وابن جدعان مختلف فيه . لكن الحديث صحيح فإن له شاهداً
عن أبي هريرة، رواه ابن أبي عاصم ١/٩٠، والحاكم ١/٦٤ من طرق وسنده صحيح
وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي .

الحديث الأول يدل كآلية على ضرب الأجل في الدين ولا خلاف في ذلك بين العلماء، بينما الحديث الثاني يوافق قوله تعالى: ﴿فَأَكْتُبُوهُ﴾ وأن ذلك أقسط عند الله وأقرب أن لا يشك في قدر الدين والأجل ولا سيما إذا طال الزمان كما وقع لأبينا آدم عليه السّلام، فإنه أنكر ما وهبه لابنه داود عليه السّلام لطول المدة، ولكنه كان قد كتب عليه بذلك وشهدت عليه الملائكة فلم يجد بداً من الاعتراف.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»، قالت: يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان عقلها، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين».

رواه أحمد ٢/٦٦، ٣٧٣، ومسلم في الإيمان ١/٦١، والترمذي في الإيمان رقم ٢٤٣٢، وهو في الصحيحين عن أبي سعيد، وفي مسلم وغيره عن ابن عمر وغير ذلك.

الشاهد من الحديث هو أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وذلك موافق للآية الكريمة، وفي الحديث فوائد ليس هذا محل إيرادها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها».

رواه أحمد ٤/١١٥، ١١٧ و ٥/١٩٢، ١٩٣، ومسلم ٢/١٧، وأبو داود
٣٥٩١، والترمذي في أول الشهادات ٢١٢، وابن ماجه في الأحكام ٢٣٦٤.

في الحديث فضل الإدلاء بالشهادة لمن كانت عنده، كما أن الآية
الكريمة تنهى من كانت لديه شهادة الامتناع من أدائها إذا ما دعي إليها.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.



عن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن
النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه
فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون
الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى
الأعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلاً بعتُهُ، فقام
النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: «أوليس قد ابتعتُهُ منك؟»، فقال
الأعرابي: لا والله ما بعتكهُ، فقال النبي ﷺ: «بلى، قد ابتعتُهُ منك»،
فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيداً، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد
ابتعتهُ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة، فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا
رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

رواه أحمد ٥/٢١٦، وأبو داود في الأقضية رقم ٣٦٠٧، والنسائي في البيوع رقم
٤٣٣٢، وابن سعد ٤/٣٧٨، ٣٧٩، والحاكم ٢/١٧، ١٨، والبيهقي ٧/٦٦
و ١٠/١٤٦، والطحاوي في معاني الآثار ٤/١٤٦ بسندٍ صحيح، وصحَّحه الحاكم
ووافقه الذهبي.

في هذا الحديث مشروعية الإشهاد في البيع والشراء لإقراره ﷺ
خزيمة بن ثابت على شهادته له ﷺ عندما طلب ذلك الأعرابي الشهيد.

والآية صريحة في الأمر بذلك، غير أنه غير واجب عند عامة العلماء،
والله أعلم.

خلاصة آية المدائنة :

قد قدمنا أول السورة أن آية المدائنة هي أطول آية في القرآن إطلاقاً، وقد اشتملت على عدة أحكام:

- أولاً: مشروعية المدائنة إلى أجل .
- ثانياً: كتابة ذلك ليكون أوثق وأقوم .
- ثالثاً: بيان ما يجب على الكاتب والمدين في ذلك .
- رابعاً: بيان الشهود المعترين شرعاً .
- خامساً: عدم الامتناع من أداء الشهادة إذا احتيج إليها .
- سادساً: عدم السأمة من كتابة ما يحتاج إلى كتابته سواء كان صغيراً أو كبيراً .

سابعاً: الإشهاد عند البيع والشراء .
ثامناً: لا يضُرُّ صاحب الحق الكتاب والشهود .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقاً من شعير، رهنها قوتاً لأهله .

رواه البخاري في البيوع ٢٠٦/٥، وفي الرهن ٦/٦٥، ٦٦، والترمذي ١٠٩٧، والنسائي . ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، رواه البخاري في الرهن ٦/٦٧، ٧٠، وفي الجهاد ٦/٤٤٠، وفي آخر المغازي، ومسلم في الرهن ١١/٣٩، ٤٠، وعن ابن عباس عند ابن ماجه ٢٤٣٩ بسند صحيح .

الرهن في الأصل: الاحتباس، وفي الشرع: جعل مال وثيقة على دين، وهو مشروع بالإجماع . والسفر في الآية خرج مخرج الغالب، فإن السنة الصحيحة جاءت بمشروعيتها في الحضر أيضاً، كما في حديثي الباب وأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرهما . وخالف بعضهم فخصه بالسفر كالظاهرة، والسنة ترد عليهم .

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْثِقَ أَمْنَتَهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾

﴿٢٨٣﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾، حتى إذا بلغ: ﴿فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ قال: هذه نسخت ما قبلها.

رواه البخاري في التاريخ الكبير، وابن ماجه في الأحكام ٢٣٦٥، وابن جرير ١١٩/٣، وابن أبي حاتم ٥٧٠/٢ بسند جيد كما قال ابن كثير والسيوطي.

ومعنى الآية الكريمة أنه إذا اتتمن بعضهم بعضاً فلا حرج في عدم الكتابة والإشهاد، لأن المقصود من ذلك هو الاستيثاق، فإذا حصل الأمان من الخيانة فلا حاجة حينئذٍ إلى شيء آخر، وبذلك يبدو ما قاله أبو سعيد من النسخ.

وعن سمرة عن النبي ﷺ قال: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».

رواه أحمد ٨/٥، ١٣، وأبو داود ٣٥٦١، والترمذي ١١٤٤، وابن ماجه ٢٤٠٠، والدارمي ٢٥٩٩، والحاكم ٤٧/٢، وقال الترمذي: حسن صحيح.

في الحديث وجوب أداء ما أخذه الإنسان من أمانة وغيرها سواء كان ديناً أو عارية أو ما إلى ذلك، ومعناه موافق للآية الكريمة وسيأتي حديث: «أد الأمانة إلى من ائتمنك»، في سورة النساء إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ

﴿٢٨٤﴾

تُخْفَوُهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ ءَامِنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُكَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ ﴿٢٨٦﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا

تُؤَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾ الآية. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطبق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، قالوا: سمعنا وأطعنا... إلخ، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى ﴿الْمَصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾. فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الحديث، وفيه عقب كل دعاء منها نعم، نعم، نعم.

رواه أحمد ٤١٢/٢، ومسلم في الإيمان ١٤٥/٢، ١٤٦، وابن جرير ١٤٣/٣، وابن أبي حاتم ٥٧٣/٢.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، دخل قلوبهم منها شيء لم يدخله من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا»، قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ الآية، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ إلخ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن دَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: قد

فعلت، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِإِطَاقَةِ لَنَا بِهِ، وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾، قال: قد فعلت.

رواه أحمد ٢٣٣/١، ومسلم في الإيمان ١٤٦/٢، والترمذي ٢٨٠١، والنسائي في الكبرى ٣٠٧/٦، وابن جرير ١٤٣/٣، والحاكم ٢٨٦/٢، كلهم في التفسير.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدثت بها أنفسها ما لم تكلم أو تعمل.

رواه أحمد ٣٩٣/٢، ٤٢٥، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩١، والبخاري في العتق رقم ٢٥٢٨، وفي الطلاق ٥٢٦٩، وفي الإيمان والنذور ٦٦٦٤، ومسلم في الإيمان ١٤٦/٢، ١٤٧، وأبو داود ٢٢٠٩، والترمذي كذلك ١٠٦٤، والنسائي في الكبرى ٣٦٠/٣، وابن ماجه ٢٠٤٠، ٢٠٤٤، أربعهم في الطلاق.

أحاديث الباب تدل على أن قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ... ﴾ منسوخة بالآيتين بعدها أو مخصوصة كما قيل، وفي حديث أبي هريرة الأخير بيان ما تفضل الله تعالى به على هذه الأمة بعدم مؤاخذتهم على ما يحدثون به أنفسهم من الوسوس والخواطر القلبية ككفر وقتل وزنا وطلاق ونحو ذلك ما لم يقع عزم أو كلام أو عمل، وهذا من رحمة الله تعالى ولطفه بعباده.

وفي حديثي أبي هريرة الأول وابن عباس بشارة عظيمة لأمة الإسلام حيث رفع عنها الحرج والإصر وتكليف ما لا نطبق إضافة إلى ما فيها من إجابة الله عز وجل قارئ الآيتين بقوله: قد فعلت قد فعلت قد فعلت، ونعم نعم نعم، فيا لها من بشارة ويا له من خير وفضل جعلنا الله عز وجل بمنه وكرمه من أهل ذلك، آمين.

من فضائل خواتيم هذه السورة

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى

به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَتَنَسَّى آلِ سِدْرَةَ مَا يَتَشَوَّنُ﴾، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات.

رواه مسلم في الإيمان ٢/٣، ٣.

«المُقَحَّمَات» كبار الذنوب.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي».

رواه أحمد ١٥١/٥، ١٨٠، والحاكم ٥٦٢/١ بسند صحيح، وصحّحه الحاكم على شرط البخاري.

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فإني أعطيتها من كنز تحت العرش».

رواه أحمد ١٤٧/٤ بسند حسن.

وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بها سورة البقرة ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان.

رواه الترمذي في التفسير ٢٦٩١، والحاكم في ٥٦٢/١، وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. ورواه أيضاً الدارمي ٣٣٩٠، وابن حبان ١٧٣٦، وأحمد ٢٧٤/٤.

قوله: من كنز تحت العرش... إلخ، هذا من عالم الغيب يجب أن نؤمن به وكفى فإنه لم يأت شيء يبين لنا كيفية هذا الكنز وصفته. وتحت العرش يشمل كل العالم، فإن العرش فوق السموات السبع وفوق الجنة، بل هو سقف الفردوس كما جاء في الصحيح.

وقوله: إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، هذا يعارض ما جاء في صحيح مسلم وغيره أن الله قدّر المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وجمع بينهما بجواز اختلاف أوقات الكتابة في اللوح المحفوظ، أو بجواز مغايرة الكتابين، أو بكونه أريد به مجرد الكثرة لا التحديد، والله أعلم.

وعلى أيّ، فهذه الأحاديث تدل على فضل هذه الخواتيم وأن لها لشأنًا عند الله عزّ وجلّ.

ومن خصائصها أنها تكفي قارئها عن كل شيء، كما تقدّم أول السورة، وأن الدار التي تقرأ فيه ثلاث ليالٍ لا يقربها شيطان، وما ذلك إلاّ لما لها من الأسرار الإلهية التي لا نعرفها.

وبهذا تم تفسير سورة البقرة بالحديث الصحيح، وكان الفراغ منه ضحوة الخميس والعشرين من صفر عام تسعة عشر وأربعمائة وألف ١٤١٩هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّٰه العلي العظيم.

* * *

﴿ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا سَأَلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِيُجِزُوا عَلَى سَيِّئَاتِكُمْ يَا مَعْجِزَاتُ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُؤُوفٌ

هذه السورة الكريمة مدنية، من السبع الطوال أيضًا، إذ فيها مائتا آية، وتعد ثاني الزهراوين، وتقدم فضلها مع البقرة.

وأهم أهدافها الكلام مع النصارى في شأن روح الله عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام، في أشياء أخرى لها تعلق بالعقيدة مع ذكر بعض الأحكام الشرعية، ومنها تعرضها لغزوتي بدر وأحد...

من خصائص هذه السورة

في السورة الكريمة خصائص لا توجد في غيرها، وهي كالآتي:

- ١ - بيان أن القرآن الكريم فيه آيات محكمات، وأخر متشابهات، آية ٧.
- ٢ - بيان موقف أهل الزيغ والراسخين في العلم في شأن المتشابه، آية ٧.
- ٣ - ذكر أنواع الشهوات التي زينت للناس، وبدأ بأعظمها وألذها وأشهرها فتنة وهي النساء، آية ١٤.
- ٤ - قران أهل العلم بالله وملائكته في الإقرار وبيان أنه لا إله إلا هو، آية ١٨.

- ٥ - بيان أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام خاتمة الأديان، آية ١٩ .
- ٦ - مشروعية التقية عند الخوف من الإذاية، آية ٢٨ .
- ٧ - علامة محبة الله تعالى تظهر في اتباع رسول الله ﷺ، آية ٣١ .
- ٨ - ذكر قصة امرأة عمران والدة مريم ونذرهما ما في بطنها محرراً لله تعالى، آيات ٣٥ - ٣٧ .
- ٩ - ذكر أول موضع ذكرت فيه مريم وقصة ولادتها، آية ٣٦ .
- ١٠ - عناية الله بمريم وتفضله تعالى عليها بكرامات، آية ٣٧ .
- ١١ - وصفه تعالى نبيه يحيى عليه السَّلام بأنه حصور، آية ٣٩ .
- ١٢ - مخاطبة الملائكة مريم بأنها مصطفاة ومطهرة، آية ٤٢ .
- ١٣ - ذكر أصل القرعة متمثلة في كفالة زكرياء لمريم، آية ٤٤ .
- ١٤ - بيان أول آية ذكر فيها رفع عيسى عليه السَّلام إلى السماء، آية ٥٥ .
- ١٥ - تشبيه عيسى بآدم عليهما الصَّلاة والسَّلام، آية ٥٩ .
- ١٦ - ذكر آية دعوة النبي ﷺ النصارى للمباهلة، آية ٦١ .
- ١٧ - أولى الناس وأحقهم بالانتساب إلى إبراهيم الذين اتبعوه، آية ٦٨ .
- ١٨ - بيان خبث اليهود وزعمهم أن أموال العرب حلال لهم، آية ٧٥ .
- ١٩ - ما ينبغي لنبي أوتي الكتاب والحكم . . . أن يأمر الناس بعبادة غير الله، الآيتان ٧٩، ٨٠ .
- ٢٠ - أخذ الميثاق على الأنبياء . . . بأن يؤمنوا برسول الله . . . ، آية ٨١ .
- ٢١ - من طلب ديناً غير دين الإسلام كان من الخاسرين، آية ٨٥ .
- ٢٢ - لا ينال الإنسان البر حتى ينفق مما يحبه، آية ٩٢ .
- ٢٣ - بيان ما حرّم إسرائيل على نفسه، آية ٩٣ .
- ٢٤ - أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله بيت الله الحرام، آية ٩٦ .
- ٢٥ - ذكر آية توجب الحج على من استطاع، آية ٩٧ .

- ٢٦ - الأمر بتقوى الله حق تقاته، آية ١٠٢ .
- ٢٧ - وجوب الاعتصام بحبل الله والنهي عن التفرق، آية ١٠٣ .
- ٢٨ - تذكير العرب بنعمة الإسلام والاتلاف بينهم، آية ١٠٣ .
- ٢٩ - وجوب تكوين طائفة للقيام بالأمر بالمعروف . . . ، آية ١٠٤ .
- ٣٠ - بيان أن الأمة المحمدية هي خير أمة أخرجت للناس، آية ١١٠ .
- ٣١ - ضرب الذلة والمسكنة على اليهود إلا بحبل من الله وحبل من الناس، آية ١١٢ .
- ٣٢ - ذكر غزوة أحد مطولة وما حصل فيها وما ترمي إليه من عبر، بداية من آية ١٢١ إلى ١٧٥ .
- ٣٣ - ذكر ما نزل في غزوة بدر من ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف ملك، آية ١٢٥ .
- ٣٤ - كثير من الأنبياء وأتباعهم وأنصارهم قاتلوا وقتلوا وما ضعفوا، آية ١٤٦ .
- ٣٥ - الأمر الإلهي لنبي الله بمشاوره أصحابه ومعاشرته إياهم بالرفق، آية ١٥٩ .
- ٣٦ - ذكر آية ثانية لا ثالث لهما تخبر بحياة الشهداء، آية ١٦٩ .
- ٣٧ - بيان أن مانع الزكاة سيطوق في عنقه بأفعى تأخذ بلهزمته، آية ١٨٠ .
- ٣٨ - افتراء اليهود على الله بأنه فقير وهم أغنياء، آية ١٨١ .
- ٣٩ - بيان أن من أبعد عن النار وأدخل الجنة كان فائزاً سعيداً، آية ١٨٥ .
- ٤٠ - ذكر خاتمة السورة بصفات أولي الألباب ودعواتهم وابتهالاتهم، آيات ١٩٠ - ٢٠٠ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ .

عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهًا وَجَدُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ .

رواه أحمد ٤٦١/٦، وأبو داود في الصلاة ٤٩٦، والترمذي في الدعوات ٣٢٤٩، وابن ماجه ٣٨٥٥، وابن أبي حاتم ٥٨٣/٢. وحسنه الترمذي وصححه، يعني لشاهده عن أبي أمامة، رواه ابن ماجه ٣٨٥٦، والحاكم ٥٠٥/١ بسند حسن فهو به حسن صحيح.

والحديث يدل على أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين، وهذا لا يعني أنه لا يكون في غيرهما، وذلك لمجيء أحاديث أخرى تدل على أنه جاء في أسماء أخرى، ك: «لا إله إلا أنت الأحد الصمد»، كما جاء في السنن من حديث بريدة. و «لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام»، كما في حديث لأنس رواه أحمد وابن ماجه والحاكم من طرق صحيحة، وانظر ما سبق في آية الكرسي.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾ إلخ، فقال ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم».

رواه أحمد ٢٥٦/٦، والبخاري في التفسير ٢٧٧/٩، ٢٧٨، ومسلم في العلم ٢١٧/١٦، وأبو داود في السنة ٤٥٩٨، والترمذي في التفسير ٢٨٠٢ وغيرهم.

وفي الآية الكريمة ذم الزائغين المائلين عن الحق والمحكم من الكتاب المتبعين ما استأثر الله بعلمه أو ما هو غير واضح الدلالة فيؤولونه بتأويل باطلة منحرفة طلبًا للفتنة كما هو شأن أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والشيعية الروافض الذين يتركون المحكم الواضح ويتعلقون بالمتشابه، وهكذا أعمى الله بصائرهم. وفي الحديث إرشاد إلى وجوب الحذر منهم وعدم الاستماع إليهم أو قراءة كتبهم، واختلف العلماء والمفسرون رحمهم الله تعالى في المراد بالمحكم والمتشابه على أقوال كثيرة، فقال المتقدمون: المحكم ما عرف المراد منه إما بظهوره أو بتأويله، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه. واختار هذا القول أبو منصور البغدادي، وقال ابن السمعاني: إنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة. واختار المتأخرون أن المحكم ما وضح معناه والمتشابه ضده. وراجع أقوال المفسرين بإسهاب في تفسير المنار.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر — قالها ثلاثاً — ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله».

رواه أحمد ٣١٠/٢، وابن جرير وأبو يعلى رقم ٥٩٩٠ وسنده صحيح وعزاه في المجمع ١٥١/٧ لأحمد، وقال بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه. ورواه أحمد ١٧٠/٤ عن أبي جهيم بنحوه أيضًا.

الحديث يدل على أن الجدل في القرآن إثم عظيم وأنه قد يكون كفرًا، فالواجب على المسلم أن يعمل بما علم منه مما هو ظاهر الدلالة، وما جهل معناه والمراد منه فوض أمره إلى الله الذي أنزله وكفى، وفي الآية الكريمة كلام طويل ليس إيراده من شرطنا.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ﴿١٢﴾
 الْإِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِي الثَّقَاتِ فَمَا تَقْنَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجِي ﴿١٣﴾
 كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ ﴿١٤﴾
 لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدرٍ وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً»، قالوا: يا محمد لا يغرناك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْإِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِي الثَّقَاتِ فَمَا تَقْنَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجِي كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ .

أخرجه أبو داود في الخراج ٣٠٠١، وابن جرير ١٩٢/٣، ورجاله ثقات غير محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان، لكن رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ٦٠٤/٢ وغيرهما من طريق آخر مرسلًا فيتأيد، ولذلك لم يذكر ابن جرير ولا ابن كثير في سبب نزول الآية غير ذلك.

وفي الآية معجزة ظاهرة للقرآن الكريم حيث أخبر الله تعالى عن اليهود أنهم سيكونون من المغلوبين المنهزمين، ثم يحشرون إلى أمهم جهنم، فوقع ذلك لهم كما أخبر تعالى ولم يعتبروا بما حصل لإخوانهم في الكفر بيد رغم أنه قال لهم ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ - أي عبرة - ﴿ فِي فِتْنَتِي الثَّقَاتِ ﴾ وهما جماعة المسلمين وجماعة كفار قريش، ولذلك ختم الآيتين بقوله: ﴿ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾، ولكنه أنى لليهود أن تكون لهم الأبصار حتى يعتبروا.

قوله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النُّسْكَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ (١٤).

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة».

رواه أحمد ١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥، والنسائي في الكبرى ٢٨٠/٥، والحاكم ١٦٠/٢ وغيرهم، بسند صحيح، وصحّحه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذا رواه أبو يعلى رقم ٣٤٦٩، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ٢٢٩، ٣٣٠.

محبة الرجال للنساء والعكس هو شيء طبيعي في الإنسان غير أن محبة النبي ﷺ لهن تختلف عن محبة غيره. وقد نتج عن هذه المحبة فتنة عظيمة للرجال ليس بعدها فتنة أضمر عليهم منها، ولذلك جاء عن نبينا ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضمر على الرجال من النساء».

رواه أحمد ٢٠٠/٥، ٢١٠، والبخاري ٤١/١١، ومسلم ٥٤/١١ وغيرهم من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما.

قال الحافظ في الفتح: إن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد لذلك قوله عز وجل: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النُّسْكَاءِ . . . ﴾ الآية، فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض».

رواه أحمد ٣٦٣/٢، وابن ماجه رقم ٣٦٦٠، وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) وراجع «المرأة المتبرجة» لكاتبه تستفد.

في الحديث بيان مقدار القنطار الوارد في الآية، وهذا أصح ما ورد فيه رغم أنه جاءت فيه آثار مختلفة، ولذلك قال ابن جرير ٢٠١/٣، فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير.

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرِئُ الْعِبَادِ عَلِيمٌ ۝٢١﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعليه فمرض، فاتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي ﷺ: «يا فلان قل لا إله إلا الله»، فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد عليه النبي ﷺ، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه بي من النار».

رواه أحمد ١٧٥/٣ والبخاري في الجنائز ٤٦٤/٣.

في الحديث مشروعية استخدام أطفال الكفار، وفيه جواز بل استحباب عيادة الكافر بقصد عرض الإسلام عليه، وفيه بركة خدمة الصالحين.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٣١﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها».

رواه أحمد ٢٧٤/٢، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/٢٨٠، وفي التفسير ٢٧٩/٩، ومسلم في الفضائل ١٥/٢٢٠، وكذا الحميدي ١٠٤٣، وابن جرير ٣/٢٣٨، ٢٣٩.

وفي الحديث بيان استجابة دعوة امرأة عمران في حفظ مريم وابنها من الشيطان، وفيه أنه لا ينجو أحد من مس الشيطان عند ولادته غير مريم وابنها فإن الله تعالى اختصهما بذلك، وذكر القاضي عياض أن هذا عام في كل الأنبياء، غير أنه لم يأت نص في ذلك عن الشارع، أما ما طعن به الزمخشري وغيره في هذا الحديث فهو مما لا يلتفت إليه، وانظر: رد الحافظ عليه في التفسير من فتح الباري.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد».

رواه أحمد ١/٨٤، ١١٦، ١٣٢، والبخاري في بدء الخلق، وفي الفضائل ٨/١٣٤، ومسلم في الفضائل ٩٨/١٥، وأبو يعلى ٥٢٢، ٦١٢، والحاكم ٣/١٨٤.

الاتفاق على أن مريم أفضل أهل زمانها، فقوله في الحديث: «خير نسائها»، أي نساء أمتها وعالمها، واختلفوا في أفضل نساء هذه الأمة فقال بعضهم: خديجة رضي الله تعالى عنها وهو ظاهر هذا الحديث، وقال آخرون عائشة رضي الله تعالى عنها للحديث الصحيح: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». والصحيح المختار أن أشرف نساء هذه الأمة وأفضلهن مولاتنا فاطمة عليها السلام ثم خديجة ثم عائشة رضي الله تعالى عنهن جميعاً. واستدل بهذه الآية وغيرها من قال بنو مريم عليها السلام، والخلاف فيها وفي غيرها من النساء مشهور، والجمهور على أنه لم تكن امرأة نبيه.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج» فذكر الحديث، وفيه: الصبي الذي ترك الثدي وقال: اللّهُمَّ لا تجعلني مثله... وقال: اللّهُمَّ اجعلني مثلها.

رواه البخاري أواخر الصلاة، وفي المظالم وفي أحاديث الأنبياء ٧/٢٨٧، ٢٩٢، ومسلم في البر ١٦/١٠٥، ١٠٨ روياه مطولاً.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان معجزة لروح الله عيسى عليه الصّلاة والسّلام حيث أجرى الله الكلام على لسانه وهو لا يزال صغيراً في مهده.

والحديث حصر المتكلمين في المهد في هؤلاء الثلاثة، والواقع أنهم أكثر كما وردت بذلك الأحاديث، فمنهم صاحب الأخدود، ففي صحيح مسلم ١٨/١٣٠، ١٣٣، والمسند ٦/١٦، ١٨، من حديث صهيب عنه ﷺ في حديث طويل وفيه المرأة التي جيء بها لتلقى في النار أو لتكفر ومعها صبي يرضع فتقاعست فقال لها: يا أُمَّة اصبري فإنك على الحق. ومنهم رضيع ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف، جاء بذلك حديث لابن عباس رواه أحمد ١/٣٠٩، ٣١٠، والحاكم في الأنبياء وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، فاجتمع من ذلك ستة ولم يصح سواها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير».

رواه البخاري في الجهاد والسير، ومسلم في الفضائل ١٥/١٨٨، وأهل السنن وغيرهم.

الحواري هو الناصر. وفي الحديث فضل للزبير رضي الله تعالى عنه وحق له ذلك، فإنه أحد العشرة وأحد السابقين والمهاجرين وصاحب

المشاهد، قتل شهيداً يوم الجمل سنة ست وثلاثين. والحديث يدل على أن لكل نبي حوارياً وليس ذلك خاصاً ببعيسى عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَكُمْ عَلَى الْكُذُوبِ﴾ (١١).

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ الآية، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

رواه أحمد ١/١٨٥، ومسلم ١٥/١٧٥، ١٧٦، والترمذي ٣٧٢٤، كلاهما في الفضائل، والنسائي في الكبرى رقم ٨١٤٩، وكذا الترمذي أيضاً في التفسير ٢٩٩٩ مطوياً ومختصراً.

كان هذا الدعاء عندما أراد ﷺ مباهلة النصارى الذين جادلوه في شأن عيسى عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ يعني رسول الله ﷺ والإمام علياً، و﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين، و﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فاطمة عليهم السلام، قاله جابر. وفي الآية مع الحديث فضل ظاهر لهؤلاء السادات، وأنهم خاصة رسول الله ﷺ وآله الأقربون، وأن لهم من المزايا والخصائص ما ليس لغيرهم، وهذا مما لا ينبغي أن يجادل فيه مسلم يحترم مقام النبوة.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قال: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلاً أميناً.

رواه البخاري ٨/٩٤، ٩٥، ومسلم ١٥/١٩٢، والترمذي ٣٥٢٨، كلهم في المناقب.

في الحديث بيان صدق نبينا ﷺ لمن أراد مباہلتهم وأنهما خشيا على أنفسهما الهلاك إذا باهلاه، ولذلك عدلا عنها إلى الصلح وأداء الجزية.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو جهل قَبَّحَ الله وأخزاه: إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته، قال: فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً.

رواه أحمد ١/٢٤٨، ٣٦٨، والإسماعيلي في صحيحه كما في الفتح وسنده صحيح، وأوله عند البخاري في تفسير العلق ١٠/٣٥٣، ٣٥٤، والترمذي ٣١٣٠، والنسائي في الكبرى ٦/٥١٨، وابن جرير، كلهم في التفسير ويأتي في العلق.

المباهلة: التلاعن، بأن يتلاعن المتجادلان فيلعنا المبطل الكاذب، ويأتي أيضاً في الجمعة وفي العلق.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبيننا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. قال: فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم. قال: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم

دعا بترجمانه فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذّبي فكذّبوه. قال أبو سفيان: وأيم الله لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت. ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا. ثم قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واركبوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان في آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرفهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان

حتى يتم ، وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم سجالاً ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله. وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وهذه صفة النبي، قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأء فإذا فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَزُ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾» .

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

رواه أحمد ١/٢٦٣، والبخاري في بدء الخلق ١/٣٥، ٤٨، وفي الجهاد وفي التفسير ٩/٢٨١، ٢٩٠، ومسلم في الجهاد ١٢/١٠٣، ١١١ وغيرهم.

هذا حديث عظيم فيه فوائد هامة، وفيه مشروعية إرسال الرسائل إلى عظماء الكفار لدعوتهم إلى الله ودين الحق، وفيه العمل بخبر الواحد العدل في كل ميادين أمور الديانة ولذلك أدلة كثيرة، وفيه بيان ما كان يدعو إليه النبي ﷺ من مكارم الأخلاق وخصال الخير التي يحبها ويرضاها كل ذي عقل سليم فطري، وفيه بيان علامات الرسل وأن لهم صفات يعرفهم بها علماء الكتب الإلهية، وفيه غير ذلك مما لا يتسع له المقام، وقوله تعالى:

﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ . . . ﴾ إلخ، الكلمة هنا هي لا إله إلا الله، باتفاق.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربي، ثم قرأ: ﴿ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ . . . ﴾ الآية».

رواه أحمد ٤٠١/١، والترمذي ٢٨٠٣، وابن جرير ٣/٣٠٢، والحاكم ٢/٢٩٢، ٥٩٣ كلهم في التفسير، وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي ولا عبرة بمن ضعفه بالانقطاع فإنه صح اتصاله من طريق ثقتين.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَوْلَى . . . ﴾ إلخ، أي إن أحقهم باتباعه وولايته ونصرته هذا النبي وأتباعه.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين صبرٍ ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه

غضببان»، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ... ﴾ الآية. قال: فدخل الأشعث بن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا، قال: في أنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ: «بيئتك أو يمينه»، فقلت: إذا يحلف يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان».

رواه البخاري في المساقاة وفي الخصومات وفي الشهادات وفي التفسير ٢٨٠/٩، ومسلم في الإيمان ١٥٨/٢، ١٥٩، وأبو داود في الإيمان والنذور ٣٢٤٣، والترمذي في التفسير ٢٨٠٤، والنسائي في الكبرى ٣٠٩/٦، وابن ماجه ٢٣٢٢ وغيرهم.

وقوله: فاجر، أي كاذب. وقوله: ليقطع، أي يأخذ. وقوله تعالى: ﴿ لَا خَلْقَ ﴾، أي لا نصيب ولا خير لهم في الآخرة، وذلك إذا لم يتوبوا.

وفي الآية والحديث وعيد شديد للمحالف للفاجر الذي يحاول أخذ مال أخيه المسلم بيمينه الكاذبة. وفي الحديث بيان القاعدة العامة في القضاء والشهادات وهي البينة على المدعي، واليمين على المنكر.

وعن ابن مسعود أيضًا قال: نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ... ﴾ الآية، ثم لم ينسخها شيء، فمن اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه فهو من أهل هذه الآية.

رواه النسائي في التفسير من الكبرى ٣٠٩/٦ بسند صحيح.

وفي الباب عن عدي بن عميرة الكندي في قصة امرئ القيس مع الحضرمي بنحو حديث قصة الأشعث بن قيس.

رواه أحمد والنسائي في الكبرى رقم ٥٩٩٦، ٤٨٦/٣ وغيرهما وعن عمران بن حصين، رواه أبو داود وابن جرير والحاكم وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾ .

عن الحسن هو البصري رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال، كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب، أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي». قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾ .

رواه أحمد ٣٦٢/٢، وأبو يعلى ٦٢٣١ ورجال أحمد رجال الصحيح غير عباد بن راشد وثقه عبد الله بن أحمد وأبو حاتم وضعفه جماعة. وانظر: المجمع ١٠/٦٢٥ رقم ٨٣٦٧.

وفي هذا الحديث تصريح الحسن بسماعه من أبي هريرة، وجاء ذلك في غير ما حديث. والآية نص في أن الله لا يقبل ديناً غير دين الإسلام، والحديث يدل على أن الأعمال الصالحة ستشفع لصاحبها يوم القيامة وأن الإسلام هو أعظمها خيراً وبركة، فبه يأخذ الله عز وجل وبه يعطي، أمانتنا الله على الإسلام والدين الحق.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ

الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنَّ

عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَأْنَاكُمْ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلَّيْنِ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ

وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم، فأرسل إلى قومه سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلاناً ندم وأنه قد أمرنا أن نسألك هل له من توبة، فنزلت: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَفْوٌ رَجِيمٌ ﴾. فأرسل إليه فأسلم.

رواه أحمد ١/٢٤٧، والنسائي في تحريم الدم من المجتبي، وفي التفسير من الكبرى ٦/٣١١، والطبري ٣/٣٤٠، وابن حبان ١٧٢٨ بالموارد، والحاكم ٢/١٤٢، والبيهقي في الكبرى ٨/١٩٧ وسنده صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في المصدرين.

والآية مع الحديث يدلان على قبول توبة المرتد إذا صح ندمه، وأنه يغفر له كفره وما صدر منه لقوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا... ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ... ﴾ الآية.

رواه البزار قال ابن كثير في التفسير: وسنده جيد.

ظاهر الآية الكريمة وسببها أن من كفر وازداد كفرًا بردة أو غيرها لا تقبل توبته وهو خلاف المعلوم المقطوع به أن الله عز وجل يقبل توبة الكافر والعاصي مطلقًا قبل موته ما لم يغرغر، فيجب أن تحمل الآية على قوم خاصين أو من تاب بعد أن حضره الموت وشاهد مقامه وذلك عند الغرغرة، واختار ابن جرير أن الآية في اليهود الذين كفروا بنبينا ﷺ بعد إيمانهم به قبل بعثته ثم ازدادوا كفرًا بما أصابوا من الذنوب، في كفرهم ومقامهم على

ضلالهم فلن تقبل توبتهم من ذنوبهم حتى يتوبوا من كفرهم بنينا محمد ﷺ،
والله أعلم .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ
الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١١﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل
النار يوم القيامة: أرايت لو كان ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟
قال: فيقول: نعم، فيقول الله: قد أردت منك أهون من ذلك، أخذت عليك
في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك» .

رواه أحمد ٣/١٢٧، ٢٩١، والبخاري في الرقاق ١٩٣، ١٩٥، ٢١٦، ومسلم
في المنافقين ١٧/١٤٧، ١٤٨، ورواه ابن جرير ٣/٣٤٦، وقال في أخرى فذلك قوله
تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا ۚ .

وهذا وعيد بالغ متناه عيادًا بالله من الكفر وأسبابه وطرقه وأهله .

قوله تعالى: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ
بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أبا طلحة كان أكثر أنصاري مالا
بالمدينة بالنخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد،
وكان رسول الله ﷺ يدخلها فيأكل من ثمرها ويشرب من ماء فيها طيب، قال
أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، قام أبو
طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول: ﴿ لَنْ نَنَالُوا
الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو
برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى، فقال
رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت وإني أرى أن

تجعله في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعَل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة بين أقربائه وبني عمه.

رواه أحمد ١٤١/٣، ٢٥٦، والبخاري في الزكاة وفي الوكالة وفي الوقف وفي التفسير ٢٩٠/٩، ٢٩١، وفي مواضع، ومسلم في الزكاة ٨٤/٧، ٨٥، وأبو داود ١٦٨٩، والترمذي في التفسير ٢٨٠٥، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٣١١/٦، ٣١٢. وفي رواية لمسلم ٨٥/٧، والنسائي ٣١٢/٦، وأبي داود ١٦٨٩: قال أبو طلحة: أرى ربنا يسألنا أموالنا فأشهدك يا رسول الله أنني قد جعلت أرضي بيرحاء لله، فقال رسول الله ﷺ: «اجعلها في قرابتك»، قال: فجعلها في حسان بن ثابت وأبي بن كعب.

بيرحاء: بكسر الباء بعدها ياء ثم راء مضمومة وحاء ممدودة، ويقال بفتح الباء، وهو اسم بستان كان لأبي طلحة قبالة المسجد لجهة الشام، وهو الآن ضمن التوسعة السعودية، وقوله: بخ بإسكان الخاء وتوניהا مع الكسر وفيها لغات، ومعناه تعظيم الأمر وتفخيمه. وفي الآية الكريمة إرشاد المسلم إلى التصديق بأحب الأموال إليه وأن ذلك من كمال البر، وفي الحديث فضل أبي طلحة رضي الله تعالى عنه وسخاؤه ومسارعته إلى التقرب إلى الله تعالى بأحب ما كان يملك، وفيه مشروعية الوقف والحبس، وأفضله أن يكون على الأقارب.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَّبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ﴾.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: «سلوني عما شئتم» فذكر الحديث، وفيه: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه، وفيه: «أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه

ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها. . . الحديث.

رواه أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى، وحسنه الترمذي وصححه، وتقدم بعضه في البقرة: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] الآية، ويأتي بعضه أيضًا في سورة الرعد.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بيان أن إسرائيل وهو يعقوب عليه السَّلام حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وكانوا قبل ذلك لهم أن يأكلوا جميع دواب الأرض مطلقًا، فلما حرم يعقوب ما حرم على نفسه اتبعه بنوه على ذلك، وهذا النذر الذي فعله يعقوب غير جائز في شرعنا فلا يحل لمسلم أن ينذر تحريم شيء مباح على نفسه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنى منكم؟» قالوا: نُحَمِّمُهُمَا ونضربهما، فقال: «لا تجدون في التوراة الرجم؟» فقالوا: لا نجد فيها شيئًا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدرَّاسُها الذي يدرسها منهم كَفَّه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يحنا عليها يقيها الحجارة.

رواه أحمد ٥/٢، والبخاري في التفسير ٢٩٢/٩، وفي المحاربين وفي التوحيد، ومسلم في الحدود ٢٠٨/١١، ٢٠٩، وأبو داود ٤٤٤٦، والنسائي في الكبرى ٣١٢/٦ وغيرهم.

وقوله: نُحَمِّمُهُمَا بضم النون وفتح الحاء وكسر الميم الأولى المشددة،

أي نسود وجوههما بالحُمَم، بضم الحاء وفتح الميم، أي الفحم.

وفي الحديث مشروعية رجم الزناة والزواني إذا ثبت الإحصان، وأن هذا الحكم كان موجوداً في التوراة، وفيه إقامة الحدود على اليهود من حكام المسلمين ولا خلاف في ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٦).

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه سأله عن أول مسجد وضع للناس؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون عام»، ثم قال: «حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض مسجد لك».

رواه أحمد ٥/١٥٠، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٦، والحميدي ١٣٤، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/٢٧٣، ومسلم في المساجد ٥/٣/٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٢، ٣١٣، وفي المجتبى وابن ماجه ٧٥٣.

في الآية والحديث دليل على أن الكعبة المكرمة هي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله عز وجل، كما يدل الحديث على أن أول من بناه خليل الرحمن عليه السلام، أما المسجد الأقصى فالجمهور على أن أول من بناه يعقوب عليه السلام، وقيل إبراهيم، وكان بين المسجدين أربعون سنة، أما ما جاء من بناء سليمان عليه السلام للمسجد الأقصى فمعناه تجديده.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَنِيٌّ﴾ (١٧).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا

رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لوقلت نعم لوجبت ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

رواه أحمد ٢/٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣ وفي مواضع، والبخاري في الاعتصام باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ١٧، ١٩، ٢١، ومسلم في الحج باب فرض الحج مرة في العمر ٩/١٠٠، ١٠١، واللفظ لأحمد ومسلم، ورواه أيضاً الترمذي في العلم والنسائي في الحج.

في الآية والحديث وجوب الحج مرة في العمر على من استطاع إليه سبيلاً، ولا خلاف في ذلك للإجماع عليه.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة».

رواه الترمذي في الحج ٧١٩، وابن ماجه ٢٨٩٦، والدارقطني ٢/٢١٧، وحسنه الترمذي يعني لشواهده الكثيرة التي تجدها في نصب الراية ٣، ٧، ١٠، وهداية الرشد ٥/٢٧١، ٢٧٢، والتلخيص الحبير ٢/٢١٧، وقد صحح الحاكم ١/٤٤٢ بعض طرقه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي. وانظر تفسير ابن كثير والدر المشور ٢/٢٧٣، ٢٧٤.

والحديث مبين للاستطاعة الواردة في الآية الكريمة، قال الترمذي في الجامع: والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل إذا ملك زاداً وراحلة وجب عليه الحج. ويزاد على ذلك صحة الجسم وأمن الطريق ولا خلاف في ذلك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ... » ، لو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأفسدت على أهل الأرض معيشتهم، فكيف من هو طعامه، أو ليس له طعامٌ غيره» .

رواه أحمد ١/٣٠١، ٣٣٨، والترمذي في صفة جهنم ٢٤٠٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٣ وابن ماجه ٤٣٢٥، وابن حبان ٢٦١١، والحاكم ٢/٢٩٤، ٤٥١، ٤٥٢، وصححه الترمذي والحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي .

فسرت تقوى الله حق تقاته بأن يُطاع الله تعالى فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يكفر. غير أن الآية الكريمة خصت بقوله تعالى: ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]. وفي الحديث الشريف زجر بالغ لمن نسي الآخرة وانساق مع الحياة وشهواتها معرضاً عن ذكر النار وأهوالها وعذاب أصحابها وما أعد لهم فيها من شر وعقاب، نعوذ بالله تعالى منها ومن أهلها ومن الأعمال التي توصل إليها.

قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً، قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» .

رواه أحمد ٢/٣٦٧، ومسلم في الأفضية ١٢/١٠، والبغوي في شرح السنة ٢٠٢/١ .

حبل الله: عبر به عن القرآن الكريم، والاعتصام به هو التمسك بما فيه من الشرائع والعمل بمقتضاه، وإنما نهى عن التفرق لأن ذلك يمزق شمل الأمة ويضعفها، وفي الحديث فوائد لها محل آخر .

قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤).

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

رواه أحمد ٢٠/٣، ٤٩، ٥٤، ومسلم في الإيمان ٢١/٢، ٢٥، وأبو داود ٤٣٤٠، والترمذي رقم ٢٠٢ وفي الفتن، والنسائي في الكبرى ٥٣٢/٦، وابن ماجه ٤٠١٣، ١٢٧٥.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم».

رواه أحمد ٣٨٨/٥، ٣٨٩، والترمذي في الفتن ١٩٩٩ وحسنه، لشاهد له عن عائشة، رواه ابن ماجه ٤٠٤٣ في الفتن... ويأتي حديث الصديق في المائدة.

في الحديثين وجوب تغيير المنكر حسب الاستطاعة وأذناه الكراهة بالقلب وهو أضعف الإيمان. وهو من فروض الكفاية ولذلك قال تعالى هنا: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...﴾ إلخ، أي ولتقم منكم طائفة للدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه...

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (١٠٥).

عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله...».

رواه أحمد ٤/١٠٢، والطيالسي ٢٧٥٤، وأبو داود في السنة ٤٥٩٧، والدارمي ٢٥٢١، والحاكم ١/١١٨ وغيرهم، وسنده صحيح وله شواهد عن جماعة أوردتهم في بداية الوصول.

قوله: تتجارى، أي يتواقعون في الأهواء ويتداعون فيها تشبيهاً بجري الفرس. وفي الحديث: تنبؤ بما وقع في هذه الأمة من التفرق في الدين وأن الفرق ستبلغ ثلاثاً وسبعين فرقة كلها خاسرة هالكة إلا الجماعة التي على قدم الرسول ونهجه ﷺ وهي قليلة بالنسبة لغيرها من أهل البدع الضالة، وهذه الفرق المذكورة مفصلة مع عقائدها ونحلها في كتب الفرق والملل والنحل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.



عن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾ الآية، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال: لو لم أسمعها إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عد سبعمائة ما حدثتكموه.

رواه أحمد ٥/٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، والترمذي في التفسير ٢٨٠٨، وابن ماجه ١٧٦. وسنده حسن.

أصحاب هذه الرؤوس كانوا خوارج، والحديث نص بأنهم سيمسخون في النار كلاباً، وأنهم شر قتلى، وأن من قتلوه كان خير قتلى، وفي ذلك إشارة إلى أن هؤلاء الخوارج من شر خلق الله لما لهم من عقائد منحرفة وتصرفات شائنة وأفعال مخالفة للقرآن والسنة والإجماع. وكان أولئك من الخوارج الذين كفروا أكابر الصحابة وخيارهم كالإمام علي وطلحة والزبير وعثمان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم. ولا يزال هذا الصنف موجوداً حتى عصرنا، وإذا كان هذا الوعيد جاء في هؤلاء فكيف بالشيعة الروافض الذين فاقوا هؤلاء بمراحل في تضليل كل الأمة سلفها وخلفها.

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. قال: إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله.

رواه أحمد ٣/٥، ٥، والترمذي ٢٨٠٩، والدارمي ٢٧٦٣، وابن ماجه ٤٢٨٨، والحاكم ٢٩٤/٢ وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم وهو كما قال الترمذي. وجاء في حديث للإمام علي عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء»، وفيه: «وجعلت أمتي خير الأمم». رواه أحمد ٩٨/١ وسنده حسن.

الخطاب في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ﴾ للصحابة ومن كان على شاكلتهم. وقال ابن عباس: هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

رواه النسائي في الكبرى ٣١٣/٦، وأحمد ١٧٣/١، ٣١٩، والحاكم ٢٩٤/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وفي الآية فضل هذه الأمة المحمدية التي هذه صفتها وهي كونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. والحديث يدل على أن هذه الأمة هي خاتمة الأمم وأنه قد سبقها تسع وستون أمة، وأنها أكرم الأمم على الله عز وجل وخيرها عنده، ولا شك أن هذه الفضيلة أسعد الناس بها الملتزمون بشرع الله، أما غيرهم من المنحرفين والمصرين على الآثام والفواحش فإنما تشملهم بالتبعية والتدخل بالشفاعات.

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءِذَا نَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف

﴿١١٥﴾ وَيَتَهَوَّنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٧﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أخر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ .

رواه أحمد ٣٩٦/١، والنسائي في الكبرى ٣١٣/٦، وابن جرير ٥٣/٤، وابن حبان ٢٧٤ بالموارد، زاد في الدر المنثور ٢٩٧/١ البزار وأبا يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧٣٨/٣ والطبراني. وسنده حسن.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار يهود أهل الكفر: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ .

رواه ابن جرير ٥٢/٤، ٥٣، وابن أبي حاتم ٧٣٧/٣، وابن إسحاق وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر كما في الدر المنثور، قال نور الدين في المجمع ٣٢٧/٦: ورجاله ثقات.

وظاهر الحديثين أن الآية نزلت بالسبيين ولا مانع يمنع من ذلك غير أن سياق الآية يشهد للثاني، فقد ذكر الله عز وجل من قبل الفريقين المؤمنين والكافرين من أهل الكتاب حيث قال: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٥﴾، ثم ذكر بعض صفة

فجرتهم، ثم قال في أعقاب ذلك: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، أي ليس فريقا أهل الإيمان منهم والكفر متساوين ومتعادلين، بل هم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر، ثم بيّن سبحانه صفة من آمن منهم فقال: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾... إلخ.

قوله تعالى: ﴿يَكَايِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَذُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله.

رواه أحمد ٣/٣٩، والبخاري في الأحكام ١٦/٣١٤، والنسائي في الكبرى ٤/٤٣٣، وأبو يعلى ١/٥١٨، ونحوه عن أبي أيوب، رواه النسائي بسند صحيح، وعن أبي هريرة عند أحمد ٢/١٣٧، ٢٨٩، والترمذي في الزهد وغيرهما وحسنه وصححه.

البطانة: الأصدقاء والأصدقاء، والآية الكريمة جاءت تنهى المسلمين أن يتخذوا أولياء وأصدقاء من غير أهل دينهم لأنهم لا يألونهم خبالاً ولا يقصرون في الإفساد.

وقد جاءت في ذلك آثار عن السلف. انظر: الدر المنثور ٢/٣٠٠. وقد أخرج ابن جرير ٤/٦١، وابن أبي حاتم ٣/٧٤٣ وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم: ﴿يَكَايِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ...﴾ الآية، وسنده حسن لو صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وحديث أبي سعيد يدل على أن كل الأنبياء والخلفاء تكون لهم

بطانتان بطانة خير وبطانة شر، ويعني ببطانة الشر المنافقين، لأن الأنبياء ومن على نهجهم لا يتخذون بطانة يعلمون أنها من غير أهل دينهم.

قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: فينا نزلت: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ... ﴾ إلخ، قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سلمة، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٣٩٣/٩، وفي المغازي ٣٦٠/٨، ومسلم في الفضائل.

في الآية الكريمة فضل بني حارثة وبنو سلمة حيث أخبر تعالى بأنه وليهما، والآية وإن كان في أولها نوع من الغض غير أن في آخرها شرفاً عظيماً لهم.

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللَّهُمَّ أَلْعَنِ أَبَا سَفِيَانَ، اللَّهُمَّ أَلْعَنِ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَلْعَنِ سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو، اللَّهُمَّ أَلْعَنِ صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةٍ»، فنزلت هذه الآية: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ... ﴾ الآية، فَتَيَّبَ عَلَيْهِمْ كُلَّهُمْ، وفي رواية: فهداهم الله للإسلام.

رواه أحمد رقم ٥٦٧٤، ٥٨١٢، ٥٩٩٧، والبخاري في المغازي وفي التفسير ٣٩٣/٩، والنسائي في الكبرى ٣١٤/٦، والترمذي في التفسير ٢٨/١، وابن جرير ٨٨/٤، وابن أبي حاتم ٧٥٦/٣، ٧٥٧.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد

وشج وجهه شجة في جبهته حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/٢٥٣، ٢٨٨، ومسلم في السير ١٣/١٤٩، والترمذي ٢٨١٠، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٤ كلاهما في التفسير، وابن جرير ٤/٨٦، ٨٧، وابن أبي حاتم ٣/٧٥٦ وعلقه البخاري في المغازي.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع: «اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلْمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأْتِكَ عَلَى مُضَرَ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللَّهُمَّ أَلْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا» لأحياء من أحياء العرب يجهر بذلك حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٩/٢٩٣، ومسلم في الفضائل، وابن جرير ٤/٨٩، وابن أبي حاتم ٣/٧٥٧ وغيرهم.

في هذه الأحاديث دليل على أن الآية نزلت بسبب ما ذكر فيها، ومن المعروف في علوم القرآن وأسباب النزول أن الآية قد يكون نزولها بسبب واحد أو بسببين أو بأسباب، وهذه منها. وفي حديثي ابن عمر وأبي هريرة مشروعية الدعاء على الكفار باللعنة والدعاء مع المؤمنين ولو كان ذلك داخل الصلاة، وهو المعبر عنه بالقنوت، وهو مشروع للنوازل في قول الجمهور في سائر الصلوات الخمس بعد الرفع من الركعة الأخيرة.

وفي الآية الكريمة إرشاد إلى التسليم لله تعالى مع الصبر على ما يصاب به الإنسان وخاصة الدعاء إلى الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: رأيت قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ . فأين النار؟ قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء، فأين النهار؟»، قال: حيث شاء الله، قال: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عزَّ وجلَّ» .

رواه البزار ٢١٩٦، والحاكم ٣٦/١، وابن حبان ١٠٤ بالموارد، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع رقم ١٠٩٠٢: ورجاله رجال الصحيح.

هذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ جواب مفحم مقنع، علمًا بأن كل ذلك من عالم الغيب لا ينبغي لنا الخوض فيه، فحسبنا الإيمان بما جاء في ذلك، نعم بالنسبة للنهار إذا جاء الليل يكون في جهة أخرى وكذا العكس كما هو معلوم في علم الهيئة والفلك.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، فقال: عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، لا والله يا رسول الله لا بد أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

رواه أحمد ١٣٦/٣، ومسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد ٤٥/١٣، والحاكم ٤٢٦/٣.

بخ بخ، بسكون الخاء وكسرهما مع التنوين، ومعناها تفخيم الأمر

وتعظيمه في الخير. والحديث يدل على فضل الشهادة والترغيب فيها، وفيه كآلية أن الجنة كعرض السموات والأرض لو بسطت جميعها ثم ألصق بعضها إلى بعض فهي عرضهن.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤).

عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء».

رواه أبو داود ٤٧٧٧، والترمذي في صفة القيامة ٢٣١٣، وابن ماجه ٤١٨٦ وحسنه الترمذي لطريقين له عند أحمد ٤٣٨/٣، ٤٤٠، ولمعنى الحديث شواهد يصح بها.

الغيظ هو شدة الغضب، وكظمه رده في الجوف وعدم إظهاره والعمل بمقتضاه، وهذا الحديث فيه أجر جزيل لمن كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه، والآية الكريمة مصرحة بأنه من صفات المتقين حققنا الله بذلك، أمين. وهذا هو الصُّرْعَة الوارد به الحديث المخرج في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَرٍّ أَصَابَهُمْ إِلَّا مَا كَسَبَتْ بِإِذْنِهِمْ أُولَٰئِكَ يُجْرُ اللَّهُ بِهِمُ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذَا شَأْنٍ﴾ (١٣٥) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَرٍّ أَصَابَهُمْ إِلَّا مَا كَسَبَتْ بِإِذْنِهِمْ أُولَٰئِكَ يُجْرُ اللَّهُ بِهِمُ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذَا شَأْنٍ﴾ (١٣٦) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَرٍّ أَصَابَهُمْ إِلَّا مَا كَسَبَتْ بِإِذْنِهِمْ أُولَٰئِكَ يُجْرُ اللَّهُ بِهِمُ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذَا شَأْنٍ﴾ (١٣٧).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً أذنب ذنبًا فقال: رب إنني أذنبت ذنبًا فاغفره لي، فقال الله عز وجل: عبدي

عمل ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إنني عملت ذنبًا فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إنني عملت ذنبًا فاغفره لي، فقال عز وجل: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إنني عملت ذنبًا فاغفره، فقال الله عز وجل: عبدي علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أنني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء».

رواه أحمد ٤٠٥/٢، ٤٩٢، والبخاري في التوحيد باب قول الله تعالى: يريدون أن يدلوا كلام الله ٢٤٨/١٧، ومسلم في التوبة ٧٥/١٧، ٧٦ وغيرهما.

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: إنني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، فإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور ثم يستغفر الله تبارك وتعالى إلا غفر له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾ الآية. وفي رواية: فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله... إلخ.

رواه أحمد ٢/١، ٨، ٩، ١٠، والحميدي ٤٩، وأبو داود ١٥٢١، والترمذي في الصلاة ٣٦٣، وفي التفسير ٢٨١٢، والنسائي في الكبرى ٣١٤/٦، وابن ماجه ١٣٩٥ بسند صحيح.

في الآية الكريمة والحديثين الشريفين بشارة عظيمة عامة للمذنبين التوابين المستغفرين غير المصرين على ما يأتون من فاحشة وذنب.

قال النووي في شرح مسلم على الحديث الأول: في الحديث أن

الذنوب ولو تكررت مائة مرة بل ألفاً وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته .

وقوله تعالى في الحديث: فليعمل ما شاء، معناه: ما دام يذنب ويتوب غفر له .

وللتوبة شروط أهمها الندم على ما فعل مع الإقلاع عن الذنب ونية عدم الرجوع إليه لثلاث يكون من المصرين كما في الآية: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا...﴾ الآية، نعم التوبة والاستغفار يمنعان من الإصرار لحديث الصديق عنه رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة» .

رواه أبو داود في الصلاة باب في الاستغفار رقم ١٥٠٩، والترمذي في الأدعية ٣٥٥٩، وأبو يعلى ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، وحسنه ابن كثير ويؤيده الحديث الأول .

وقوله تعالى: ﴿فَجِحْشَةٌ أَوْ ظَلْمٌ أَنفُسِهِمْ﴾، الفاحشة كل ما فحش وعظم من الذنوب، وظلم النفس يشمل الصغائر وغيرها .

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْفُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ ١٤٣ .

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف .

رواه البخاري في الجهاد ٣٨٥/٧، وفي التمني ٣٥٢/١٦، ومسلم في الجهاد ٤٦/١٢، ورواه مسلم فيه والبخاري كذلك معلقاً عن أبي هريرة .

المراد بتمني الموت في الآية تمنيهم لقاء العدو ليحفظوا بالشهادة، ولكنهم لما رأوا ما حصل من قتلٍ من قتلٍ انهزموا، وفي الآية عتاب

للمنهزمين يوم أحد، ولهذا جاء الحديث بالنهي عن تمني لقاء العدو، لأنه بلاء ولا يطبق الصبر عليه إلا الأكابر والأفضل سؤال الله العافية لأن فيها السلامة.

قوله تعالى: ﴿سُئِلَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

رواه عنه جابر في الصحيحين، وأبو أمامة عند أحمد والترمذي وصححه، وعن أبي موسى رواه أحمد، وعن أبي هريرة رواه مسلم، وغير ذلك.

وهي كلها مطابقة للآية الكريمة، فقد ألقى الله عز وجل الرعب والخوف في قلوب الكفار فكانوا يخافون النبي ﷺ حتى إن الروم لما هموا بحربه وجمعوا الجموع العرمرمة من الجيوش والشجعان خافوا جيش المسلمين لما سمعوا عنهم بأنهم بتبوك فانصرفوا منهزمين خائبين عليهم لعائن الله المتوالية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ مَّا تَحِبُّونَ ۗ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر في يوم أحد، فقال ابن عتبة: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، إن الله عز وجل يقول في يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ﴾. يقول ابن عباس: والحسُّ القتل. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ عنى بهذا

الرماة، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا»، فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً فدخلوا العسكر ينتهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم كذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ ففرض بعضهم بعضاً والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار...

رواه مطولاً أحمد ١/٢٨٧، ٢٨٨، ٤٦٣، والحاكم ٢/٢٩٦، ٢٩٧، وصححه ووافقه الذهبي.

الآية الكريمة جاءت تتحدث عن غزوة أحد وكانت من أخطر الغزوات، فأخبر تعالى بأنه صدقهم ما وعدهم به من النصر حيث قتلوا الكفار قتلاً ذريعاً وهزموهم ولكنهم سرعان ما انقلبت عليهم الدائرة لفشلهم وتنازع رماة الجبل ومخالفتهم أمر النبي ﷺ، فحصل ما حصل بعدما أراهم ما يحبون ولكن الله بفضلته وإنعامه عفا عنهم وسامحهم لأنها هفوة صدرت منهم في جنب حسنات لهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَضَعُودُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُكُم مِّنَ غَمٍّ لَّيِّنٍ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد، - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم مكاناً وقال لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، فإن رأيتمونا هزمننا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى

أرسل إليكم»، قال: وسار رسول الله ﷺ ومن معه قال: فهزمهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن على الجبل بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، قد ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؛ فقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذاك حيث يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمداً؟ أفي القوم محمداً؟ فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة (ثلاث مرات) قال: أفي القوم ابن الخطاب (ثلاث مرات)، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله إن الذي عدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم سترون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعلُّ هُبْل، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلا وأجل»، قال: إنا لنا عَزَى ولا عَزَى لكم، قال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

رواه أحمد ٤/٢٩٣، ٢٩٤، والبخاري في الجهاد ٦/٥٠٣، وفي المغازي ٨/٣٦٧، وفي التفسير ٩/٢٩٥، وأبو داود في الجهاد ٢٦٦٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٥ وغيرهم.

الحديث الشريف جاء شارحاً لبعض مواقف غزوة أحد وما حصل فيها للصحابة بعد انتصارهم بادىء بدء، وأن ما وقع لهم من المحنة إنما كان من

جاء مخالفتهم للرسول الأعظم ﷺ، ففي ذلك عبرة أي عبرة ودرس بالغ لهم ولكل من جاء بعدهم من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّي نَاطِقَاتِكُمْ مِّنكُمْ﴾.

عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وأخذه ويسقط فأخذه. رواه أحمد ٤/٢٩، والبخاري في المغازي ٨/٣٦٧، وفي التفسير ٩/٢٩٦، والترمذي ٤/٢٨، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٦ وغيرهم ونحوه عن الزبير. انظر: المطالب العالية رقم ٤٣١٥.

هذه الآية أيضًا والحديث يشيران إلى ما وقع للصحابة يوم أحد من النعمة والرفق بهم حيث أخذهم النعاس والأمان بعد الغم، وإن ذلك أصاب طائفة خاصة منهم وهم المؤمنون الصادقون أهل الثبات والتوكل على الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن».

رواه أبو داود ٥١٢٨، والترمذي في الأدب ٢٦٣٣، وابن ماجه ٣٧٤٥، والبخاري في الأدب المفرد ٢٥٦، والحاكم ٤/١٣١ وغيرهم مطولاً ومختصراً بسند صحيح وصححه الترمذي والحاكم وغيرهما، وللحديث شواهد كثيرة حتى عدّ في المتواتر. الحديث كالأية يدلان على مشروعية الاستشارة في الأمور التي لا نص فيها من الشرع.

وقد كان من هدي نبينا ﷺ استشارته أصحابه امتثالاً لهذا الأمر الإلهي. فقد شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقال له الأنصار: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى

برك الغماد لسرنا معك ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون. وشاورهم أيضًا أين يكون المنزل حتى أشار إليه المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم، وشاورهم في أحد في الخروج أو القعود في المدينة فأشار جمهورهم بالخروج فخرج. وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلك ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك السعدان، سعد بن معاذ، وسعد بن عباد فترك ذلك.

وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين فقال له الصديق: إنا لم نجىء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

وقال في قصة الإفك في شأن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: «أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أبئوا [أي: عابوا] أهلي ورموهم، وإيم الله ما علمت على أهلي من سوء وأبئوهم بمن والله ما علمت عليه إلا خيرًا».

وهكذا كان شأنه مع أصحابه رضي الله عنهم. وهذا خلقٌ عزيز قلَّ من يقوم به على الوجه الأكمل.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَفْغُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦١).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحة فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد

بلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك».

رواه البخاري في الجهاد ٥٢٦/٦، ومسلم في الإمارة ٢١٦/١٢، ٢١٧ وغيرهما.

وعن عدي بن عميرة الكندي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطةً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة».

رواه مسلم ٢٢٢/١٢، وكذا أحمد ١٩٢/٤ وأبو داود وغيرهم.

في الآية الكريمة كالحديثين تحريم الغلول، ويطلق على السرقة من المغنم قبل القسمة. وأطلق في الحديث الثاني أيضاً على ما يأخذه جابي الصدقة من الهدايا. والغلول من الكبائر، وقد جاءت أحاديث كثيرة في ذلك كلها تؤذن بالوعيد الشديد للغال ولو كان صحابياً، وأن رسول الله ﷺ لا يغني عنه من الله شيئاً. وفي الآية وحديث أبي هريرة دليل على أن الغال يأتي يوم القيامة حاملاً على رقبته ما غله أيّاً كان: حيواناً أم غيره، تشهيراً به وفضيحة له أمام الخلائق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَكَسْتَشِيرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ

أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾.

عن مسروق رحمه الله قال: إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا...﴾ إلخ، فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ

فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم بطلاعة

فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

رواه مسلم في الإمامة ١٣/٣٠، ٣١.

فيه فضل الشهداء وأنهم يسرحون في الجنة حيث شاؤوا، وقد صرحت الآية الكريمة كآية البقرة بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٧﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِيَابَ الْمُنِزَلِ لَمَّا تَوَسَّكُم مِّنَ الْأَنْهَارِ لِذُنُوبِكُمْ فَكُنْتُمْ لَهَا فَهْدَىٰ فَأَبْصَرُوا كَمَا كُنْتُمْ وَخِيبُوا عَنْ مَّا حَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما انصرف المشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، وبئس ما صنعتم، ارجعوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد وبئر أبي عتيبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ...﴾ الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعذك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا. فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فلم يجدوا بعد أحداً وتسوقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِيَابَ الْمُنِزَلِ لَمَّا تَوَسَّكُم مِّنَ الْأَنْهَارِ لِذُنُوبِكُمْ فَكُنْتُمْ لَهَا فَهْدَىٰ فَأَبْصَرُوا كَمَا كُنْتُمْ وَخِيبُوا عَنْ مَّا حَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٣١٧/٦، والطبراني في الكبير ١١٦٣٢، وابن أبي حاتم ٨١٦/٣، وابن جرير ١٨٠/٤ بنحوه بسند صحيح، وقال

نور الدين في المجمع: ١٢١/٦، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة.

وعنه: قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السّلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وفي رواية: كان آخر كلام إبراهيم عليه السّلام حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال نبيكم ﷺ مثلها...

رواه البخاري في التفسير ٢٩٧/٩، والنسائي في الكبرى ٣١٦/٦، وابن جرير ١٨٢/٤، وابن أبي حاتم ٨١٨/٣.

لا زالت الآيات تتحدّث عن غزوة أحد وما جاء في أعقابها من خروج النبي ﷺ وراء جيش أبي سفيان إلى أن وصل حمراء الأسد فلم يلق حرباً بل رجع سالماً، ولما كان شعبان من السنة الرابعة خرج ﷺ إلى بدر لموعده أبي سفيان فلم يجد به أحداً فرجع بنعمة الله وفضله، وكان قبل خروجه من المدينة قدم عليه نعيم بن مسعود مرجفاً بما جمعه أبو سفيان، وقال للمسلمين: إن الناس قد جمعوا لكم الآية، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي إن الله كافينا شروركم، ونعم الوكيل سبحانه وتعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحنى بجهته ينتظر متى يؤمر فينفخ»، قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا».

رواه النسائي في الكبرى ٣١٦/٦ بسند صحيح، وله شاهد عن أبي سعيد، رواه أحمد والحميدي والترمذي، وعن ابن عباس رواه أحمد والحاكم، وسيأتي في النفخة. وانظر: تهذيب الجامع ٢٢٥٢، وابن كثير ١٦٢/٢.

في الحديث إرشاد إلى ذكر الحسيلة عند الأمور العظام وترقب نزول الدواهي لما في ذلك من التفويض إلى الله تعالى والتوكل والاعتماد عليه، فمن لجأ إلى ذلك وذكره كفاه الله ما أهمه وكان وكيله الأكبر الذي لا يضام ولا يقهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ وَبِاللَّهِ الْأَرْضُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه، يعني: شذقيه، يقول: أنا مالك، أنا كنتك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٨٩، والبخاري في التفسير ٩/٢٩٨ وغيرهما. ورواه أحمد ١/٣٧٧، والترمذي في التفسير ١٨١٨، والنسائي في الكبرى ٣١٧/٦، وفي المجتبى، وابن ماجه ٧٨٤ وغيرهم من حديث ابن مسعود بنحوه وسنده صحيح.

قوله: شجاعا أقرع، هو الذكر من الحيات الكثير السم الخبيث.

وفي الآية والحديث وعيد شديد لمانعي الزكاة، وأن ذلك المال سيمثل لصاحبه ثعبانا عظيما يأخذ بلحييه ويطوق على عنقه ويناديه قائلاً له: أنا مالك الذي لم تؤد حق الله في، نعوذ بالله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْفُرُورِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ...﴾ الآية.

رواه الترمذي في التفسير ١٨١٩، وابن أبي شيبة وابن جرير ٢٠٠/٤، وابن أبي حاتم ٨٣٣/٣، والحاكم ٢٩٩/٢ مختصراً بسند صحيح، ورواه مطولاً الترمذي ٣٠٧٥، والنسائي في الكبرى ٣١٧/٦، وصححه الترمذي، وبعضه في الصحيحين كرواية الباب لكن بدون ذكر للآية.

وفي الآية والحديث بشارة للمؤمن المقضي له بالجنة والمبعد من النار حيث جعل من الفائزين، فيا لها من بشارة جعلنا الله تعالى من أهلها السابقين آمين.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه».

رواه الإمام أحمد ١٩٢/٢ بسند صحيح.

في الحديث أن الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان إلى الناس من موجبات الجنة والإبعاد من النار.

قوله تعالى: ﴿وَلْتَسْمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَبُوا وَتَقَوُا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد ورائه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن

أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمّر عبد الله ابن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء أنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: «يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا». قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصططح أهل هذه البُحرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شريقاً بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله عز وجل ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ مَعِيَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْمَى كَثِيرًا...﴾ الآية، وقال الله: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾ الآية. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صنديد كفار قريش، قال ابن أبي ابن سلول

ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمرٌ قد تَوَجَّهَ، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا.

رواه البخاري في التفسير ٢٩٨/٩ وغيره، ومسلم في السير ١٥٧/١٢، ١٥٨، ١٥٩، ورواه مسلم عن أنس بسياق آخر.

وفي الحديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من تحمل الأذى من المشركين والمنافقين في سبيل الدعوة إلى الله تعالى مع عفوه عن الجاهلين والسفهاء منهم وكان ذلك بمكة المكرمة أكثر منه بالمدينة، وفي الآية الكريمة إخبار منه بما سيصاب به المسلمون من طرف الكفار من أنواع الإذابات.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا...﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٣٠١/٩، ومسلم في صفات المنافقين ١٢٣/١٧.

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رحمه الله تعالى أن مروان [قال لبوابه]: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لتعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية، إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ الآية،

وتلا: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكنتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما آتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه.

رواه البخاري في التفسير ٣٠١/٩، ٣٠٢، ومسلم في صفات المنافقين ٣١٨/٦، ١٢٣/١٧، ١٢٤، وأحمد ٢٩٨/١، والترمذي ٢٨٢٠، والنسائي في الكبرى ٣١٨/٦ كلاهما في التفسير.

ظاهر الحديثين أن الآية نزلت بالسببين معاً ولا مانع من ذلك كما سبق مراراً، وفي الآية والحديثين ذم الفرح وحب المدح بما لم يفعله الإنسان كما كان شأن المنافقين واليهود مع رسول الله ﷺ وإن صانع ذلك والراضي به له وعيد شديد إن لم يرفع عما هو متصف به ويندم على ما فعل، ويدخل في ذلك كل من يفرح بمدح الناس له بما هو عار عنه من الفضائل فإن ذلك من علامة الإفلاس وصاحبه مغرور معجب بنفسه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٢) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١١٣) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ (١١٤) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبَرَارِ (١١٥) رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ (١١٦) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنٓتِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَّحَّرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ (١١٧) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١١٨) مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ

قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبك، وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟! لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها».

رواه عبد بن حميد وابن حبان في صحيحه ٦٢٠ مع الإحسان وأبو الشيخ في أخلاق النبي ١٨٦، وابن أبي الدنيا في التفكير وابن المنذر كما في الدر المنثور ٤٠٩/٢ وسنده صحيح على شرط مسلم عند ابن حبان.

في الحديث الأول مشروعية قراءة هذه الآيات عند قيام الليل للتهجد، وهي آيات عظيمة، ففيها إرشاد المؤمنين للتفكير في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من عجائب الكائنات كما فيها مدح فاعلي ذلك والداعين الله عز وجل بأنواع الأدعية وابتهاهم إليه مع إخباره تعالى بأنه يستجيب لهم وأنه لا يضيع أجر عمل عامل منهم، أما الحديث الثاني ففيه ما كان عليه الحبيب الأعظم ﷺ من التعبد لربه وكثرة بكائه قياماً يشكر الله تعالى على ما أتم عليه وأسبغ من النعم التي منها غفران ما تقدم له وما تأخر. وفيه ذم من قرأ هذه الآيات ولم يتفكر فيها وأنه يوشك أن يكون من الخاسرين الهالكين الغافلين، لقوله: «ويلٌ لما قرأها ولم يتفكر فيها»، جعلنا الله تعالى من أهل الذكر والفكرة والتيقظ، وحفظنا من أهل الغفلة والقسوة والملل والفتور.

وقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَن تَبْعُوا مِّنْ بَعْضِ مَا كَفَرْتُمْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَتْلُوهُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا غَدِيرًا﴾

﴿١١٩﴾

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ...﴾ الآية.

رواه سعيد بن منصور وعبد الرزاق، والترمذي ٢٨٢٨، وابن جرير ٢١٥/٤، وابن أبي حاتم ٨٤٤/٣، والحاكم ٣٠٠/٢، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

وفي الآية إخبار منه تعالى بأنه سيؤتي كل عامل بقسط عمله ذكراً كان أم أنثى، وأن الجميع في ذلك سواء ولا فضل لهذا على ذاك إلا بالتقوى والاستقامة، أما المفاضلة بين الرجال والنساء فذلك بالنسبة للجنس، أما الأفراد فقد يوجد نساء كثيرات أفضل وأشرف وأكرم على الله من كثير من الرجال، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُؤْتِيَتْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا عَلَيْهِ»، قالوا: يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ...﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٣١٩/٦، والبخاري في مسنده ٨٣٢، والطبراني في الأوسط ٢٦٨٨، وابن أبي حاتم ٨٤٦/٣ وغيرهم، وهو حديث حسن أو صحيح لطرقة، وقال في المجمع ٣٨/٣: رجال الطبراني ثقات.

نَعِيُّ النَّبِيِّ ﷺ النجاشي عند موته والصلاة عليه في الصحيحين. والحديث يدل على أن الآية نزلت بسبب نعي النجاشي.

وقد جاء في سبب نزولها حديث آخر، رواه الحاكم ٣٠٠/٢ من حديث ابن الزبير وصححه ووافقه الذهبي. وانظر: الدر المنثور ٤١٦/٢، وابن جرير ٢١٨/٤، ٢١٩.

واختار ابن جرير رحمه الله تعالى عموم الآية في جميع أهل الكتاب من النصارى واليهود، وهذا لا ينبغي فيه الخلاف فالعبرة بالعموم، وإنما كلامنا في سبب النزول، وفي الآية فضيلة للنجاشي بمدح الله تعالى له ولأمثاله بما ذكر فيها من الصفات الحميدة كالإيمان بالله والإيمان بالكتب الإلهية مع الخشوع لله عز وجل وعدم الكتمان لما في كتبهم من الحق وأخذ الرشا في مقابلة ذلك كما كان سائداً بين أوساط أحبارهم الفجرة.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

عن سلمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان.

رواه مسلم في الإمارة ٦١/١٣، والترمذي ١٥٢٧، والنسائي في المجتبى ٣٣/٦، والحاكم ٨٠/٢، والسياق لمسلم، وفي الباب عن جماعة يفوقون العشرة، وقد أوردها ابن كثير في تفسيره معزوة بألفاظها فانظره تستفد.

الرباط هو ملازمة الثغور الإسلامية للحراسة من الأعداء، وفي ذلك فضل عظيم، وحسب المرابط أن يحفظ من فتنة القبر ويجرى عليه رزقه وعمله. وقد أطلق الرباط على بعض الأعمال الصالحة كما جاء في الطهارة من صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟»، قالوا: بلى يا رسول الله،

قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»، ويطلقه بعض المتصوفة على لزوم العبادة في الرباطات والزوايا، والله أعلم.

وبهذا تم تفسير سورة آل عمران، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وزوجه وحزبه.



﴿ سُورَةُ النِّسَاءِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّلَى اللّٰهَ وَرَكَعَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَهَجَبَ وَزَوْجَهُ وَهَزَبَ

هذه السورة الكريمة مدنية كسابقتها، وأهدافها كباقي السور المدنية من بيان الأحكام التشريعية، ولذلك فقد تحدثت هذه السورة على عدة أحكام لا توجد في غيرها وبالأخص ما يتعلق بالنساء والأسرة وحقوق الزوجية، وما يحرم من النساء في الأنكحة، وبيان أحكام اليتامى وتفصيل الموارث وفرائض التركات، وما يتبع ذلك من بيان بعض فضائل الأخلاق والمكارم إلى آخر ما فصل في السورة تفصيلاً.

غير أن طابعها الغالب عليها هو بيان أحكام النساء، ولذلك سميت باسمهن إخلاداً لذكرهن وإكراماً لهن خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية من إهانتهم، وهناك سورة أخرى أطلق عليها سورة النساء القُصْرَى وهي سورة الطلاق، علماً بأنه تعالى ذكر النساء وأحكامهن في عدة سور أخرى كما سبق في البقرة ويأتي في سورتين النور والأحزاب... اهتماماً بهن كإنسان له حقوق، وهذه السورة تعتبر أيضاً من السبع الطوال، إذ فيها مائة وست وسبعون آية.

من خصائص هذه السورة

- وفي هذه السورة أيضًا خصائص لا ذكر لها في غيرها وهي كالاتي:
- ١ — إباحة تعدد الزوجات لمن يعدل بينهن، آية ٣.
 - ٢ — النهي عن إتيان الأموال للسفهاء، الذين لا يحسنون التصرف، آية ٥.
 - ٣ — بيان أحكام اليتامى مفصلة، الآيات ٦ — ١٠.
 - ٤ — ذكر أحكام المواريث وأصحابها مفصلة تفصيلاً، الآيتان ١١، ١٢.
 - ٥ — بيان النساء اللاتي يحرم على الرجل التزوج بهن، الآيات ٢٢ — ٢٤.
 - ٦ — النهي عن أكل أموال الناس إلا بطريق مشروع كتجارة، آية ٢٩.
 - ٧ — النهي عن قتل الإنسان نفسه، الآيتان ٢٩، ٣٠.
 - ٨ — بيان قوامة الرجال على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، آية ٣٤.
 - ٩ — بيان المراتب التي تتخذ مع الناشز من النساء، الآيتان ٣٤، ٣٥.
 - ١٠ — ذكر الحقوق العشرة، وهي تشمل حقوقاً لله تعالى وحقوقاً للإنسان، آية ٣٦.
 - ١١ — النهي عن قربان الصلاة مع الإسكار وقربان المسجد أو الصلاة حالة الجنابة، آية ٤٣.
 - ١٢ — أول آية ذكر فيها غسل الجنابة والتيمم، آية ٤٣.
 - ١٣ — أول آية تخبر بأن الشرك لا يغفره الله عز وجل، آية ٤٨.
 - ١٤ — ذكر الجبت والطاغوت، آية ٥١.
 - ١٥ — بيان بعض أنواع عذاب أهل النار كتبديل الجلود كلما فضجت، آية ٥٦.
 - ١٦ — الأمر بالحكم بالعدل بين الناس، آية ٥٨.

- ١٧ - إطاعة أولي الأمر تبعًا لطاعة الله ورسوله، آية ٥٩ .
- ١٨ - وجوب الرجوع إلى الله وإلى الرسول عند التنازع، آية ٥٩ .
- ١٩ - تحريم التحاكم إلى الطاغوت وهو ما سوى الله والرسول، آية ٦٠ .
- ٢٠ - من جاء الرسول ﷺ ظالمًا لنفسه مستغفرًا من ذنبه غفر الله له، آية ٦٤ .
- ٢١ - ذكر آية تنفي الإيمان عن من لم يحكم رسول الله ﷺ . . . ، آية ٦٥ .
- ٢٢ - بيان المنعم عليهم المذكورين في فاتحة الكتاب، آية ٦٩ .
- ٢٣ - بيان أنه لا ينجو أحد من الموت أينما كان، آية ٧٨ .
- ٢٤ - وجوب رد تحية الإسلام، آية ٨٦ .
- ٢٥ - ذكر قتل الخطأ وأحكامه . . . ، آية ٩٢ .
- ٢٦ - بيان جزاء قتل العمد . . . ، آية ٩٣ .
- ٢٧ - مشروعية قصر الصلاة في السفر، آية ١٠١ .
- ٢٨ - ذكر صلاة الخوف وصفتها، آية ١٠٢ .
- ٢٩ - وجوب توقيت الصلاة، آية ١٠٣ .
- ٣٠ - امتنان الله على نبيه بإنزاله عليه الكتاب والحكمة، آية ١١٣ .
- ٣١ - بيان فضل الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، آية ١١٤ .
- ٣٢ - ضلال من اتبع غير سبيل المؤمنين، آية ١١٥ .
- ٣٣ - ذكر آية ثانية في عدم غفران الشرك بالله تعالى، آية ١١٦ .
- ٣٤ - الاستفتاء في النساء . . . ، آية ١٢٧ .
- ٣٥ - مشروعية الصلح بين الزوجين عند النشوز ونحوه، آية ١٢٨ .
- ٣٦ - بيان تعذر العدل بين الزوجين بإطلاق، آية ١٢٩ .
- ٣٧ - الإذن في التفرقة بين الزوجين، آية ١٣٠ .

- ٣٨ - وجوب قول الحق ولو على النفس أو الأهل، آية ١٣٥ .
 ٣٩ - لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، آية ١٤١ .
 ٤٠ - بيان صفات خاصة بالمنافقين، الآيتان ١٤٢، ١٤٣ .
 ٤١ - بيان أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، آية ١٤٥ .
 ٤٢ - بيان أنه لا حاجة لله في عذاب الناس إن آمنوا . . . آية ١٤٧ .
 ٤٣ - مشروعية جهر المظلوم بالسوء إن ظلم، آية ١٤٨ .
 ٤٤ - إبطال مزاعم النصارى . . . في صلب المسيح وقتله، آية ١٥٧ .
 ٤٥ - الاستفتاء في الكلاله وبيانها، آية ١٧٦ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

فضيلة خمس آيات منها

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن في النساء لخمس آيات ما يسرنى بها الدنيا وما فيها، وقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها. قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٤١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

رواه الحاكم ٣٠٥/٢ وصححه وأشار إلى الاختلاف في اتصاله وعزاه النور في المجمع رقم ١٠٩٥٤ للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

وعنه قال: إن في كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر

الله عزَّ وجلَّ إلاَّ غفر له: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّاهُ وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء:].

أورده النور في المجمع ١٠٩٥٢ برواية الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح. فيما ذكره ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن هذه الآيات يحمل خيرا كبيرا وبشارة عظيمة لمن عقل وعمل بمقتضى ذلك، جعلنا الله تعالى من أهلها بمنه وكرمه، آمين.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

رواه مسلم في الرضاع ٥٧/١٠، والترمذي آخر النكاح رقم ١٠٧٠ وغيرهما ونحوه عن عائشة في خ م.

الحديث مبين للآية الكريمة وأن الزوجة خلقت من ضلع آدم عليه السلام. وفي الحديث إرشاد لنا لملاطفة النساء والصبر على سوء أخلاقهن واعوجاجهن وتحمل إذايتهن، وذلك لضعف عقولهن، ولكونهن غير مستقيمات أصالة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

مَثْنٍ وَثُلَّةٍ فَرِحَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ .

عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ . . . ﴾ إِنْخ، فقالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تُشْرِكُهُ في ماله، ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقتها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سَنَّتِهِن، فأمرُوا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . . . قالت: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ . . . ﴾ إِنْخ، قالت: وقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَرَغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ . . . ﴾ إِنْخ، رغبة أحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا أن ينكحوا ممن رغبوا في ماله وجماله من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

رواه البخاري في الشركة وفي التفسير ٣٠٧/٩، ٣٠٩، ومسلم آخر الكتاب ١٨/١٥٤، ١٥٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣١٩، والبيهقي ٧/١٧١، ١٤٢، وكذا ابن جرير ٤/٢٣١، ٢٣٢، وابن أبي حاتم ٣/٨٥٧، ٨٥٨ وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تُقْسِطُوا ﴾ أي لا تعدلوا. وقوله: ﴿ مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ أي ما أحل لكم . . .

وفي الآية وأثر السيدة دليل على وجوب العدل في المهر بين اليتيمة وغيرها وإن الأوصياء لا يجوز لهم غضب اليتيمات اللاتي تحت أيديهم بالنقص من مهورهن . . . كما أن الآية صريحة في إياحة تعدد الزوجات ونهاية ذلك أربع بالإجماع، والزيادة على ذلك من خصائص نبينا ﷺ.

وقد جاء في حديث غيلان الثقفي أنه أسلم وله عشر نسوة فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعاً.

رواه الترمذي في النكاح رقم ١٠١١، وابن ماجه ١٩٥٣، والحاكم ١٩٢/٢،
١٩٣، وصححه، والحديث صحيح صححه ابن حزم وابن كثير وابن القطان وآخرون.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

⑥

عن عائشة رضي الله تعالى عنها ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ . . .﴾
الآية، قالت: أنزلت في ولي اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجًا بقدر ما
له بالمعروف. وفي رواية: إذا كان فقيرًا إنه يأكل منه مكان قيامه عليه
بمعروف.

رواه البخاري في الوصايا ٣٢٢/٦، وفي التفسير ٣٠٩/٩، ٣١٠، ومسلم آخر
الكتاب ١٥٦/١٨، ١٥٧.

الآية نص في وجوب استعفاف وصبي اليتيم عن أخذ ماله إذا لم يكن
محتاجًا، فإن احتاج فله أن يأخذ بقدر حاجته ولا يعتدي، فإن أخذ مال اليتيم
عد من الكبائر الموبقات.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ

⑧

فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن ناسًا يزعمون أن هذه
الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون الناس، هما واليان،
وال يرث، وذاك الذي يرزق، ووال لا يرث، فذاك الذي يقال له بالمعروف،
يقول: لا أملك لك أن أعطيك. وفي رواية: هي محكمة وليست بمنسوخة.

رواه البخاري في الوصايا ٣١٨/٦، وفي التفسير ٣١٠/٩.

ما قاله ابن عباس من أن الآية محكمة غير منسوخة ظاهره يقتضي أنه
عن توقيف من النبي ﷺ، لكن جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ذهبوا
إلى أنها منسوخة بأية الموارث، نعم يستحب أن يعطى الأقارب الذين

لا يرثون من التركة إذا حضروا كما يعطى اليتامى والمساكين، ويقال لهم قول معروف، كأن يقال لهم مثلاً إن هذا المال مشترك بين الورثة وأنتم خارجون عنهم فسامحونا ولا تعتبروا علينا، فإن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فخذوا ما أعطيناكم هدية منا وانصرفوا سالمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله ما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

رواه البخاري في الوصايا رقم ٢٧٦٦، وفي الطب ٥٧٦٤، وفي الحدود ٦٨٥٧، ومسلم في الإيمان رقم ٨٩، وأبو عوانة ١/٥٥، وأبو داود والنسائي في الوصايا والنسائي أيضاً في الكبرى ١١٤/٤.

الموبقات: الذنوب الكبار التي توبق صاحبها في النار، وهي ليست محصورة في هذه السبع بل هي تناهز الأربعمئة كما ذكرها مفصلة ابن حجر الهيثمي في الزواجر، وحد الكبيرة هي كل ما جاء بها نص من كتاب أو سنة أو إجماع، أو لعن صاحبها، أو علق على مرتكبها حد، أو جاء فيها عقاب شديد، أو نحو ذلك. والمحصنات هن الحرائر العفيفات كن أبكاراً أم ثيبات بشرط الإسلام.

وفي الحديث عظم هذه الذنوب وأنها من كبائر السيئات ولا خلاف في ذلك، ومنها تناول مال اليتيم كما نصت على ذلك الآية الكريمة أيضاً وقرنته بذلك الوعيد الشديد وجعلت آكله كأنه الآن يأكل النار عياداً بالله.

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ

نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوَيْبٌ لِكُلِّ
 وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ
 الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنًا ؕ أَبَاؤُكُمْ
 وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿١١﴾ .

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني
 سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش
 عليّ فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت:
 ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ . . .﴾ الآية .

رواه البخاري في الطهارة وفي الفرائض وفي التفسير ٣١١/٩، وفي الاعتصام،
 ومسلم في الفرائض ٥٥/١١، والترمذي في التفسير ٢٨٢١، وأبو داود ٢٨٨٦،
 ٢٨٨٧، والنسائي في الكبرى ٣٢٠/٦ وفي مواضع . . . وابن أبي حاتم ٨٨٠/٣، وابن
 جرير ٢٧٦/٤ .

هكذا جاء في هذه الرواية أن الآية المذكورة نزلت بهذا السبب وسيأتي
 ما يعارض هذا بعده وفي آخر السورة .

وفي الآية مشروعية أخذ الذكر من تركة أحد والديه مثل نصيب الأثنيين
 وهو إجماع لا خلاف فيه بين المسلمين لما في ذلك من الحكمة الظاهرة التي
 تتجلى في تصرفات الجنسين، فإن الذكر هو الذي يحتاج إلى تكوين الأسرة
 والإنفاق عليها بخلاف الأنثى فإنها مكفية من طرف زوجها أو ابنها
 أو أخيها . . . فكان من الحكمة الإلهية أن يكون للذكر أكثر من الأنثى، فما
 يسعى فيه ملاحظة عصرنا من تشريك المرأة مع الذكر في تسوية قسم
 التركة . . . هو إلحاد وردة ومحاربة لله ولرسوله محاربة سافرة . . .

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ .

عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلاّ ولهما مال، قال: فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك.

رواه أحمد ٣/٣٥٢، وأبو داود ٢٨٩١، والترمذي ١٩٢٧، وابن ماجه ٢٧٢٠، والحاكم ٤/٣٤٢ كلهم في الفرائض، وابن أبي حاتم ٣/٨٨١ وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث أن هذه القصة إحدى أسباب نزول آية المواريث، وانظر آخر السورة. وفي الحديث دليل على أن العم مع الزوجة والبنتين فأكثر عاصب يأخذ ما بقي بعد أخذ ذوي الفرائض أنصباؤهم وهو إجماع أيضاً، وللحديث الصحيح: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر».

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾

١٢

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والرابع، وللزوج الشطر والرابع.

رواه البخاري ٩/٣١٣، وابن جرير ٤/٢٧٥، وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الكبرى ٦/٢٢٦ وغيرهم.

في هذا الأثر بيان الأنصباؤ والفرائض التي قدرها الله عز وجل للذين يرثون بالفرضية وهي ستة: السدس للأبوين إن كان للميت ولد، والثلث للأم

والثلثان للأب عند فقدان ولد للميت، والثلثان للزوجة من زوجها إذا كان له ولد، أو الربع إن لم يكن له ولد، وله منها النصف إن لم يكن لها ولد، والربع إن كان لها ولد، وهنالك ورثة آخرون يرثون بالفرضية أو التعصيب مستوفون في كتب المواريث.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

١٢

عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية، وإن أعيان بني الأم يرثون دون بني العلات، الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه.

رواه أحمد ٥٩٥، ١٠٩١، ١٢٢١، والترمذي ١٩٢٩، وابن ماجه ٢٧٣٩، والحاكم ٣٣٦/٤، وسنده صحيح والحارث ثقة على القول الصحيح، ولا يضر هنا السبيعي فإنه وقع الإجماع على العمل بمقتضاه.

والحديث يدل على أن إخراج الديون من تركة الميت مقدم على تنفيذ الوصية. ويدل أيضًا على أن من مات وترك إخوة وأخوات أشقاء وآخرين لأب، كان الإرث خاصًا للأشقاء دون الإخوة للأب، وهذا أيضًا لا خلاف فيه. والمراد بأعيان بني الأم هم الأشقاء، وبنو العلات هم الإخوة للأب من أمهات شتى...

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾.

١٣

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهم الموت فيضاران في الوصية فيجب لهما النار، ثم قرأ أبو هريرة: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

رواه أحمد ٢٧٨/٢، وأبو داود ٢٨٦٧، والترمذي ١٩٤٩، وابن ماجه ٢٧٠٤

بسند حسن رجاله ثقات ، وشهر تكلم فيه بغير حجة كما قال النووي في شرح مسلم والمهذب .
والحديث يدل على تحريم المضارة في الوصية ، وللناس فنون في ذلك ، والظاهر أن ذلك من كبائر الذنوب للتوعد عليها بالنار .
وورد عن ابن عباس أنه قال : الإضرار في الوصية من الكبائر .
رواه ابن جرير ٤/٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وابن أبي حاتم ٣/٨٨٩ ، وورد مرفوعاً ،
وصحح ابن جرير وغيره وقفه .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ
اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۗ ﴾ .

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : نزل على رسول الله ﷺ ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَةُ . . . ﴾ إلخ ، قال : ففعل ذلك بهن رسول الله ﷺ ، فبينما رسول الله ﷺ جالس ونحن حوله وكان إذا نزل عليه الوحي أعرض عنا وأعرضنا عنه وتربد وجهه وكُرب لذلك ، فلما رفع عنه الوحي قال : «خذوا عني خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة ثم الرجم» .

رواه أحمد ٥/٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ومسلم في الحدود ١١/١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، وأبو داود ٤٤١٥ ، والترمذي ١٣٠٤ ، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٠ ، وابن ماجه ٢٥٥٠ ، وابن جرير ٤/٢٩٣ ، وابن أبي حاتم ٣/٨٩٤ وغيرهم .

قوله : تربد وجهه ، أي تغير حتى صار كلون الرماد ، وقوله : كُرب بضم الكاف ، أي أصابه كرب وشدة .

والحديث يدل على أن الآية منسوخة ، فقد كان الحكم أولاً إذا زنت المرأة حبست في البيت حتى تموت ، فلما جاء الأمر بالحد رفع ذلك فكان الواجب ما صرح به الحديث ، وهو جلد الزاني والزانية الأعزبين مائة جلدة

لكل منهما مع تغريب عام، فإن كان قد سبق لهما أن تزوجا كان على كل منهما مائة جلدة ثم الرجم قتلاً بالحجارة إذا ثبت ذلك عليهما بالاعتراف أو أربعة شهود عادلين يشاهدون ذلك عياناً كالميل في المكحلة . . .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧).

عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عَصِي الله به فهو جهالة، عمدًا كان أو غيره.

رواه ابن جرير ٢٩٨/٤ من طريق عبد الرزاق في تفسيره ١٥١/١ بسند صحيح، ورواه من طريق آخر عن أبي العالية، وورد أيضًا عن مجاهد وابن عباس والضحاك وغيرهم، انظر ابن جرير ٢٩٨/٤، ٢٩٩، وابن أبي حاتم ٨٩٧/٣.

ما قاله هؤلاء يدل على أن كل عاص جاهل سواء كان عالمًا أم لا، وسواء أتى المعصية عن عمد أم غيره، فكل عاص يعتبر حالة عصيانه سفيهاً جاهلاً، حفظنا الله من مواقع سخطه وغضبه وجنبا الفتن والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغْرِغْ».

رواه أحمد رقم ٦١٦٠، والترمذي في الدعوات رقم ٣٣٠٤، وابن ماجه ٤٢٥٣، وابن حبان ٢٤٤٩ بالموارد، والحاكم في التوبة ٢٥٧/٤ بسند حسن، وصححه الحاكم والذهبي، وهو صحيح لشواهد عن أبي هريرة وعن أربعة من الصحابة وعن أبي ذر . . .

والآية تدل على أن من أذنب ثم تاب من قريب تاب الله تعالى عليه، والقرب بينه الحديث وهو ما دام على قيد الحياة ولم تصل الروح إلى الحلقوم حيث تقع الغرغرة ويشاهد المحتضر مقامه، فإذا بلغ إلى هذه الحالة لا يقبل الله توبته ولا إيمانه لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾.

وقد جاء في رواية لابن عمر عند الطيالسي: من تاب قبل موته بعام تيب عليه، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه.

وهو عند ابن أبي حاتم ٨٩٨/٣، ٨٩٩ أيضاً، وهو وإن كان في سنده رجل مجهول فمعناه صحيح.

وقد اتفقت كلمة المفسرين على أن القرب في الآية ما كان قبل الموت. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ولطفه بهم، فإن رحمته قد سبقت غضبه.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَحِيَّتُهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَعْلَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ...﴾ الآية، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوَّجوها، وإن شاؤوا لم يزوَّجوها وهم أحق بها من أهلها، فنزلت الآية في ذلك.

رواه البخاري في التفسير ٣١٥/٩ وفي الإكراه، وأبو داود في النكاح ٢٠٨٩، والنسائي في التفسير من الكبرى ٣٢١/٦، وابن جرير ٣٠٥/٤، وابن أبي حاتم ٩٠٢/٣.

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده فكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٣٢١/٦، وابن جرير ٣٠٥/٤ بسند حسن.

هذا من مخازي الجاهلية وعاداتها الساقطة الهابطة، فقد كانت المرأة

عندهم تورث كما يورث المتاع حتى زوجة الأب يأخذها الابن، ويكون له الخيار في التزوج بها، أو تزويجها، أو منعها حتى تموت، فحرم الله ذلك وأعطى للمرأة حريتها تتزوج بمن تشاء بعد عدتها، ولها هي الأخرى حق في الإرث كالرجل ولا فارق. وفي ذلك إكرام من الله للمرأة بعد إهانتها وهضم حقوقها أجيالاً...

قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

رواه أبو داود ٤٨٩٩، والترمذي ٣٦٦٠، والدارمي ٢٣٦٥، وابن حبان ١٣١٢ بسند صحيح وكذا حسنه الترمذي وصححه، وهو مع ذلك له شواهد عن أبي هريرة وابن عباس ومعاوية.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ».

رواه أحمد ٢/٣٢٩، ومسلم في الرضاع رقم ١٤٦٩، وأبو يعلى ٤٥٩/٥.

الآية الكريمة ترشد الرجال إلى معاملة النساء بطيب القول والمعاملة الحسنة والأفعال الجميلة، وجاء الحديث الأول يؤيده ذلك ويبين بأن أفضل الناس وخيرهم خيرهم معاملة لذويهم وأهل بيوتهم، وأنهم ينبغي لهم أن يأتسوا به ﷺ، فإنه كان المثل الأسنى في ذلك كما هو معروف من سيرته وشمائله ﷺ. أما الحديث الثاني فيشير إلى ما عسى أن يصدر من الرجل في جانب زوجته من كراهته إياها، فأرشدنا ﷺ إلى الصبر وتحمل ما يصدر منها من سيء الأخلاق، فإن لها أخلاقاً كريمة وآثاراً حسنة في مقابلة ذلك، فليغض الطرف وليستفح بصالح أخلاقها فعسى الله تعالى أن يجعل له في ذلك

خيرًا كثيرًا كما نطقت بذلك الآية الكريمة. وقوله في الحديث: لا يَفْرَكُ، من باب تَعَبَ، أي لا يبغض.

قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٢٦).

عن جابر رضي الله تعالى عنه في خطبة حجة الوداع أن النبي ﷺ قال فيها: «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

رواه مسلم في الحج ٨/١٨٣، وقد تقدّم في البقرة ص ١١٠.

الحديث جاء مفسرًا لقوله تعالى: ﴿ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٢٦)، أي أخذن منكم عهدًا وثيقًا مؤكدًا وهو عقد النكاح، وهو الوارد عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢٧).

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: مرّ بي خالي أبو بردة ابن نيار ومعه لواء، فقلت: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتبه برأسه.

رواه أحمد ٤/٢٩٢، وأبو داود ٤٤٥٧، والترمذي في الأحكام ١٢٣٣، والنسائي في مواضع من الكبرى في النكاح وفي الحدود، وابن ماجه ٢٦٠٧، وابن حبان ١٥١٦، والحاكم ٤/٣٥٦، ٣٥٧، والدارقطني ٣/١٩٦ وغيرهم، وحسنه الترمذي وصحّحه الحاكم، وللحديث طرق منها ما رجاله رجال الصحيح ومنها سندها حسن كطريق عند أبي داود ٤٤٥٦.

إن نكاح أزواج الآباء محرم بالإجماع، وقد كان سائدًا بين أهل الجاهلية فحرمه الله تعالى وجعله فاحشة ومقتًا، أي شيئًا عظيم القبح، فهو أمر كبير في نفسه يؤدي إلى مقت الله وغضبه وبغضه، وجاء الحديث الشريف

يبين حكم من فعل ذلك في الإسلام وأنه يجب قتله وإعدامه أحسن أم لم يحسن.

قوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ الرِّضَاعَةِ ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة»، وفي رواية: «من النسب».

رواه أحمد ٤٤/٦، ٥١، ٦٦، والبخاري ٤٣/١١، ومسلم ١٤٤٤، ج ١٩/١٠، ٢٠، وأبو داود ٢٠٤٨، والنسائي ٨١/٦، ٨٢، وابن ماجه ١٩٣٧ وغيرهم، ونحوه عن ابن عباس في صحيح مسلم وغيره.

لا خلاف في تحريم التزوج بالأم والأخت من الرضاعة كما هو صريح القرآن، وجاء هذا الحديث الشريف بالتسوية في التحريم بين ما حرم من النسب وبين مثله من الرضاعة، فالأمهات والأخوات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت من الرضاعة كلهن محرمات كمثلهن من النسب ولا فارق، وبسط ذلك في كتب الأحكام.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾.

عن فيروز الديلمي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان، فقال رسول الله ﷺ: «طلقت أيتهما شئت».

رواه أحمد ٢٣٢/٤، وأبو داود ٢٢٤٣، والترمذي ١٠١٢، وابن ماجه ١٩٥١، وابن حبان ١٢٧٦ وغيرهم، وهو حديث حسن.

وهذا أيضاً لا خلاف في تحريمه، والحديث جاء موافقاً للآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أوطاس أصبنا نساء لهن أزواج في المشركين فكرههن رجال منهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٨٤/٣، ومسلم في الرضاع ٣٥/١٠، وأبو داود ٢١٥، والترمذي في النكاح، وفي التفسير ٢٨٢٢ والنسائي في الكبرى ٣٢١/٦، وهو عند مسلم مطولاً مبسوطاً.

الآية الكريمة معطوفة على المحرمات من النساء المتدمات بداية من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ إلخ، ومعناه أن المتزوجات من النساء يحرم الزوج بهن ما دمن تحت عصمة أزواجهن إلا ما أخذت بملك اليمين من نساء الكفار، فللمسلم أن ينكحهن كإماء وجوارٍ إذا استبرئن بحيضة ولا عبرة بعصمة أزواجهن الكافرين. ويوم أوطاس كان بعد حنين في السنة الثامنة من الهجرة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْكَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْنَ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه أنه خطب فقال: يا أيها الناس أقيموا على أرفائكم الحد من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديثة عهد بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها فذكرت ذلك لنبي الله ﷺ فقال: «أحسنت». وفي رواية: «تركها حتى تتماثل». وفي رواية: «فإذا تعافت من نفاسها فاجلدها خمسين».

رواه أحمد ١٥٦/١، ومسلم في الحدود ٢١٤/١٨، والرواية الأخيرة عند عبد الله بن أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن قال: «إن زنت فاجلدها، ثم إن زنت فاجلدها، ثم إن

زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضعفير»، وفي رواية: «ولا يثرب عليها».

رواه أحمد ٢/٢٤٩، ٤٩٤، ٤٢٢، ومسلم في الحدود ١٨/٢١١، ٢١٢.

الحديثان مبيّنان للآية الكريمة، وأن الأمة إذا زنت وجب عليها الحد خمسين جلدة على النصف من الحرية، وبين الحديثان أن إحصان الأمة المذكور في الآية لا مفهوم له، بل تحد مطلقاً سواء أحصنت أم لا. وفي الحديث الأول بيان على أن عصيان موالي النبي ﷺ بل وأقاربه لا يخذش في عصمته ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ءَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِٱلْبَطْلِ ءِلَّا ءَن تَكُونَ بَحْرَةً ءَن تَرٰضِ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا ءَنْفُسَكُمْ ءِنَّ ءللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢١﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ءَمْوَالِكُمْ...﴾ إِنْخ، فكان الرجل يَخْرُجُ أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية، فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في النور فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ءَن تَأْكُلُوا مِنْ بِيوتِكُمْ^(١)﴾ إلى قوله: ﴿ءَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١]، فكان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى الطعام فيقول: إني لأَجْنَحُ أن أكل منه، والتجنح الحرج، ويقول: المسكين أحق به مني. فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وأحل طعام أهل الكتاب.

رواه أبو داود في الأطعمة ٣٧٥٣ بسند حسن.

قوله: يَخْرُجُ، بفتح الياء والراء، أي يرى ذلك إثمًا وجناحًا أن يأكله.

إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لما سمعوا الله عز وجل ينهى عن

(١) كذا ورد في الأثر، والآية هي في سورة النور، وهي: ﴿لَيْسَ عَلَى ءالْعَمَى حَرَجٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ءَنْفُسِكُمْ ءَن تَأْكُلُوا مِنْ بِيوتِكُمْ...﴾ إِنْخ الآية ٦١.

أكل مال الغير بالباطل غير التجارة ظنوا أن كل ما عدا ذلك ممنوع فكانوا يتخرجون من الأكل عند الغير مطلقاً، فبيّن الله تعالى لهم في آية النور أن لا حرج ولا إثم في أن يأكل الرجل مما ذكر في الآية الكريمة وهم عشرة أصناف بدايةً من بيت الأب إلى بيت الصديق .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٩﴾ .

﴿٢٩﴾

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٩﴾ ، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً .

رواه أحمد ٢٠٣/٤ ، ٣٠٤ ، وأبو داود ٣٣٤ والحاكم ١٧٧/١ بسند صحيح وله طرق، وانظر ما ذكرته في إتمام المنة ص ١٢٥ .

في الحديث دليل على أن كل ما يؤدي إلى قتل الإنسان نفسه من الوسائل هو محرم، فمن ظنَّ أو تيقَّن أنه إن اغتسل بالماء البارد مات بذلك كان منتحرًا، وهكذا من اقتحم نارًا أو خاض بحرًا أو نهرًا وهو لا يعرف السباحة فمات كان قاتلاً نفسه كالمتعمد، وإذا كان هذا آثمًا فكيف بمن يقدم على الانتحار عالمًا عامدًا، فلا شك أن مآله العذاب الخالد كما جاءت بذلك السنة الصحيحة . وفي الآية والحديث مشروعية العمل بالعمومات الشرعية وأن إقرار النبي ﷺ عمرو بن العاص على ما فعل وقال هو شرع ثابت لنا .

قوله تعالى: ﴿ إِنْ جَحْتَبُوا كَبَابِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ .

﴿٣١﴾

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في الكبائر قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وقول الزور.

رواه أحمد ١٣١/٣، ١٣٤، والبخاري في الشهادات وغيرها، ومسلم في الإيمان، والترمذي في البيوع، وفي التفسير ٢٨٢٣ وغيرهم. ونحوه عن أبي بكره عند خ م ت في التفسير ٢٨٢٤.

قد قدمنا بيان الكبيرة من الذنوب، وفي هذا الحديث التنصيص على بعضها التي منها: الشرك بالله والإساءة إلى الوالدين وقتل النفس بغير حق وقول الزور. والآية تدل على أن من اجتنب الكبائر غفر الله له ما عداها مما لا يخلو منه أحد من اللمم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت يا رسول الله، يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ إلخ، قال مجاهد وأنزل فيه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

رواه أحمد ٣٢٢/٦، والترمذي في التفسير ٢٨٢٧، وابن جرير ٤٧/٥، والحاكم ٣٠٥/٢، ٣٠٦، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحقق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى صحة سماع مجاهد من أم سلمة، وصحح الحديث لذلك.

في الآية الكريمة النهي عن تمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض وبالأخص ما جعله الله من الفرائض والتكاليف الشرعية وما خص به كلاً من الرجال والنساء. وقد تناول نساء عصرنا المستغربين على ما قضى الله به عز وجل من تفضيل الرجال على النساء بما أعطاهم من القيومية والرياسة

السياسية والولايات وما فضلهم عليهن في الإرث وملك النكاح والطلاق وما إلى ذلك من خصائص الرجال، فقمّن يعترضن على الله وينتقدن حكمه تعالى العادل... والناعقون من الملاحدة والعلمانيين وراءهن هنا وهناك، يمهّدون لهن السبل ويسعين جادين في مساوتهن مع الرجال في كل شيء حفظ الله الإسلام والمسلمين من شرورهم وفتنهم آمين، وبالله المستعان وعليه التكلان.

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٢).

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل».

رواه الترمذي في الدعوات ٣٣٣٩، وهو حديث حسن لشاهد له عن ابن عباس رواه ابن مردويه، وآخر عن رجل رواه ابن جرير ٤٩/٥، والحديث حسنه الحافظ وصححه السيوطي.

في الآية والحديث إرشاد لنا إلى سؤال الله تعالى من فضله وخيره ورحمته، فإنه ذو الفضل الواسع ويحب السائلين من عباده، وفي الآية إرشاد ثانٍ لعباد الله سواء منهم الذكور والإناث أن يقنعوا ويرضوا بما أعطى الله لكل منهم وأن لا يسيؤوا الأدب معه في تمنّيهما ما ليس لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٣٣).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾، قال: ورثة. ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾، كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى

النبي ﷺ بينهم فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾، نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له.

رواه البخاري في الكفالة، وفي الفرائض وفي التفسير ٣١٦/٩، ٣١٧، وأبو داود ٢٩٢٢، والنسائي في الكبرى ٣٢٢/٦، وابن جرير ٥٣/٥، وابن أبي حاتم ٩٣٧/٣.

وعنه قال: كان الرجل يعاقد الرجل فإذا مات ورثه الآخر فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٦]، يقول: إلا أن توصوا لأوليائكم الذين عاقدتم.

أخرجه ابن جرير ٥٢/٥، وجاء هذا عنه من طرق أوردها ابن جرير أيضاً.

ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الواقع المتفق عليه.

فمعنى الآية الكريمة إذا: ولكل إنسان من ذكر وأنثى جعلنا له موالى، أي عصابة وأقارب من أولاد وآباء وإخوة وأخوات وأعمام. . يرثون ماله مما تركه الوالدان والأقربون، والذين عاقدت إيمانكم أي الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصر والإرث فأعطوهم شيئاً كالوصية لهم، وما إلى ذلك، أما الإرث فقد نسخ بينكم وبينهم. هذا ما اختاره ابن عباس ومن تبعه.

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة».

رواه أحمد ٨٣/٤، ومسلم ٢٥٣٠، والنسائي في الكبرى ٩٠/٤، وأبو داود ٢٩٢٥، وفي الباب عن جماعة كابن عباس وأم سلمة وقيس بن عاصم وأنس وغيرهم.

وعن عاصم الأحول رحمه الله تعالى قال: قيل لأنس بن مالك

رضي الله تعالى عنه: بلغك أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام»، فقال أنس: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داره بالمدينة.

رواه مسلم في الفضائل رقم ٢٥٢٩.

كان أهل الجاهلية يتحالفون بالأيمان المؤكدة ويتعاقدون فيما بينهم على التناصر والتوارث، فلما جاء الإسلام حالف النبي ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فكانوا يتوارثون... ثم نسخ كل ذلك وبقي الحلف على التناصر والتعاون على الحق.

قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

عن الحسن رحمه الله تعالى قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأنزل الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص.

رواه ابن جرير ٥٨/٥، وابن أبي حاتم ٩٤٠/٣ وغيرهما. وجاء نحوه أيضاً عن قتادة وعن السدي رواه عنهما ابن جرير ٥٨/٥، وهي مراسيل ثابتة. وجاء نحوها متصلاً عن الإمام علي، رواه ابن مردويه كما أورده ابن كثير.

فالآية الكريمة تنص على أفضلية الرجل على المرأة في الجملة وأن له القوامية عليها والإمارة والرئاسة، ولذلك كانت الخلافة والإمارة والولاية العامة والقضاء العام وشؤون المسلمين العامة خاصة بالرجل دون المرأة.

ولذا جاء عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه قال: لما قتل كسرى سأل النبي ﷺ عن من ولوا بعده، فذكروا له أنهم ولوا بنته فقال ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلُوا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً».

رواه أحمد ٤٧/٥، ٥١، والبخاري ٩/١٩١، ١٦/١٦٤، ١٦٦، والترمذي ٣/٢٤٦، والنسائي ٨/٢٠٠ وغيرهم، وانظر مذاهب الأئمة، وأقوالهم في كتابي المرأة

المتبرجة ص ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، فإن الموضوع يحتاج إلى بسط.

قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ مَا لِيَهُنَّ وَأَعْيُنُهُنَّ لِلَّهِ وَالنَّبِيِّ لِكُنْهِنَّ وَأَلْبُسُهُنَّ زِينةَ اللَّهِ وَالنَّبِيُّ كُنْهِيَ رَسُولَهُ فَوَقَاهُنَّ زِينةَ اللَّهِ وَأَعْيُنُهُنَّ لِلَّهِ وَالنَّبِيِّ لِكُنْهِنَّ﴾.

٢٤

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ مَا لِيَهُنَّ وَالنَّبِيِّ لِكُنْهِنَّ﴾.

رواه ابن جرير ٦٠/٥، وابن أبي حاتم ٩٤١/٣، والطيالسي وأحمد ٢/٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨، والنسائي والحاكم ١٦١/٢، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وذكر الآية خاص بالأوليين.

الحديث مبين للصالحات من النساء الحافظات للغيب، وأنهن اللاتي يحفظن مال أزواجهن ونفوسهن من الحرام عند غيابهم. قال ابن جرير: معناه صالحات في أديانهم، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في أنفسهم وأموالهم. وفي الحديث أيضاً بيان خير النساء.

وقد جاء في الحديث الآخر الصحيح: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة» أو كما قال ﷺ. رواه مسلم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ سُوءَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا يَخَافُونَ فِيكُمْ أَن تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ كَمَا تَأْكُلُ بَنَاتُكُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

٢٤

عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه سأله رجل: ما حق المرأة على زوجها؟ قال: «تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضربن الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

رواه أحمد ٤/٤٤٦، ٤٤٧، وأبو داود في النكاح ٢١٤٢، ٢١٤٣، ٢١٤٤، والنسائي في التفسير ٣٢٣/٦، وفي عشرة النساء، وابن ماجه في النكاح ١٨٥٠، وابن

حبان ١٢٨٦ بالموارد، والحاكم ١٨٧/٢، ١٨٨ بسند صحيح، وصححه الحاكم والذهبي .
في الحديث بيان بعض حقوق المرأة على الزوج وهو أن يطعمها إذا
طعم ويكسوها إذا اكتسى، وإذا ضربها فليجتنب الوجه ولا يقول لها قبحك
الله، وإذا أدى الحال إلى هجرانها فلا يهجرها إلا في البيت، ولا يخفى ما في
هذه الأحكام من آداب طيبة .

أما الآية الكريمة فمعناها أن النساء اللاتي يتعالين على الأزواج
ويتمردن عن طاعتهم فعليهم أن يسلكوا معهن ثلاث مراحل: الوعظ
والتذكير، ثم الهجران في مضاجعهن، ثم في النهاية ضربهن ضرباً غير
مبرح، والآية مع الحديث صريحان في الإذن بضربهن، لكنه ينبغي للزوج أن
لا يكون ضرباً ولا خشناً شديداً، وخير الهدي هدي حبيبنا وسيدنا
محمد ﷺ ولم يكن يضرب نساءه .

قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْحَنْبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
فَخُورًا ﴾ (٣٦) .

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«أتدري ما حق الله على العباد؟»، فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حقه
عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال: فتدري ما حقهم على الله إذا
فعلوا ذلك؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم» .

رواه أحمد ٥/٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، والبخاري في الرقاق ١٤/١٢٢، ١٢٣،
١٢٤، وفي الجهاد وفي التوحيد وفي مواضع، ومسلم في الإيمان ١/٢٣٠، ٢٣٣، وأبو
داود في الجهاد ٢٥٥٩، والترمذي في الإيمان ٢٤٥٩، وابن ماجه في الزهد ٤٢٩٦
مطولاً ومختصراً .

في الحديث أن حق الله على عباده في هذه الحياة هو قيامهم بعبادته عقيدة وعملاً، وطاعته أمراً ونهيًا، وأن لا يتخذوا معه أي شريك، فإذا فعلوا ذلك كان حقًا عليه فضلًا منه عليهم أن لا يعذبهم .

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى .

رواه أحمد ٥/٣٣٣، والبخاري في الأدب ١٣/٤٣، وأبو داود في الأدب ٥١٥٠، والترمذي في البر والصلة ١٧٦٤، ورواه مسلم عن أبي هريرة في الزهد ١١٣/١٨ .

في الحديث فضل الإحسان إلى اليتيم وأن كافلة سيكون مع النبي ﷺ في الجنة، وهي بشارة لأوصياء اليتامى وما أعظمها من بشارة. واليتيم هو من فقد أباه قبل الاحتلام .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار» .

رواه أحمد ٢/٣٦١، والبخاري في الأدب ١٣/٤٤، ومسلم ١٨/١١٢ في الزهد، والنسائي ٥/٦٥، والترمذي في البر والصلة ١٨١٤، وابن ماجه في التجارة ٢١٤٠ .

في الحديث فضل عظيم للقائم بالأرملة التي توفي عنها زوجها أو طلقت وأصبحت بلا قيّم عليها، وكذا المسكين الضعيف الحال المحتاج، فمن وفق للقيام بهما والسعي عليهما حسب المستطاع كان كالمجاهد الشاهر سلاحه في سبيل الله، وكالصائم النهار القائم الليل، وما أعظمه من فضل .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيُورثُهُ».

رواه أحمد ٨٥/٢، ١٦٠، والبخاري في الأدب ٤٩/١٣، ومسلم في البر والصلة ١٧٦/١٦، وأبو داود ٥١٥٢، والترمذي في البر والصلة ١٧٨٨ وغيرهم؛ ومثله عن عائشة في خ م.

فيه الحض الشديد على الإحسان إلى الجار وإكرامه ورفع الإذابة عنه، وأن حقه قريب من حق القريب الوارث، وقد جاء في الصحيح: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره...».

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

رواه أحمد ١١٧/٣، والبخاري في الأدب المفرد ١٥٨، وأبو داود في الأدب ٥١٥٦ وابن ماجه في الوصايا ٢٦٩٧، ٢٦٩٨ من طريقين هو بهما صحيح، وله شاهد عن أم سلمة، رواه ابن ماجه في الجنائز ١٦٢٥ بسند صحيح، قال البوصيري: على شرط الصحيحين.

فيه الوصايا بالأرقاء والإحسان إليهم، وقد جاءت أحاديث في معاملتهم بالجميل ومعاونتهم والعفو عنهم، ربما يأتي بعضها في مناسبات.

والآية الكريمة تعتبر ذات الحقوق العشرة، وقد ذكرنا بعض ما جاء فيها من السنة النبوية، أما ما يتعلق بالوالدين فيأتي في سورة لقمان وغيرها، وكذا ما جاء في الأقارب يأتي في سورة الروم وغيرها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه في الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما

الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» .

رواه أحمد ٣/١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣، ومسلم في صفة القيامة ١٧/١٤٩، ١٥٠ .

ومعنى الآية الكريمة أن الله تعالى لا يبخس وينقص أحداً من عمله شيئاً ولو كان وزن ذرة وهي أقل شيء كالهباءة فما دونها، وإن كانت تلك الذرة حسنة ينميها تعالى ويجعلها أضعافاً كثيرة، ويعطي من عنده تفضلاً على ثواب العمل أجراً عظيماً وهي الجنة وما يتبعها من نعيم ورضوان .

والحديث يدل على أن المؤمن يجازى بعمله الصالح في الدنيا والآخرة، بينما الكافر يجازى به في الدنيا صحة في جسمه وسعة في رزقه ونصراً على عدوه . . . ولكنه لا حظ له في الآخرة، وهذا من كمال عدل الله عز وجل .

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ، قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذر فان .

رواه أحمد ١/٣٨٠، والبخاري في التفسير ٩/٣١٩، وفي فضائل القرآن، ومسلم في فضائل القرآن أيضاً ٦/٨٦، ٨٧، وأبو داود في العلم ٣٦٦٨، والترمذي في التفسير ٢٨٢٩، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٣ وغيرهم .

في الحديث استحباب استماع القرآن من القراء الأفاضل والبكاء عنده، ومعنى الآية الكريمة: فكيف يكون حال الناس يوم القيامة عندما تأتي

من كل أمة بشهيد يشهد عليها، ونأتي بك شهيداً على أمتك برها وفاجرها، فلا ريب أن الموقف سيكون شديداً، فيومئذ يتمنى الكافرون الجاحدون لشدة الهول أن لو انشقت لهم الأرض فابتلعتهم. ولما في ذلك المشهد العظيم من المخاوف رق النبي ﷺ رحمةً بأمته فبكى لذلك، ويلاحظ أن قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ...﴾ إلخ، هو استفهام توبيخي تقريري لهؤلاء الذين لم يؤمنوا برسالته ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: صنع لنا ابن عوف طعاماً فدعانا فأكلنا وسقانا خمراً قبل أن تحرّم فأخذت منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون). قال: فخلطت، فنزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ...﴾ إلخ. وفي رواية: أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف. وفيه: فأمرهم علي في المغرب.

رواه الترمذي بالرواية الأولى ٢٨٣٠، وأبو داود بالثانية في الأشربة ٣٦٧١، وابن جرير ٩٥/٥، وابن أبي حاتم ٩٥٨/٣، والحاكم ٣٠٧/٢، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي، وعطاء بن السائب سمع منه الثوري قبل الاختلاط.

في الآية الكريمة نهى المسلم عن الصلاة حالة السكر، لأن السكران لا يدري كيف يقرأ كما حصل من الصحابة قبل تحريم شرب الخمر. فكانوا يصلون وهم سكارى. وقد تقدم حديث في أطوار تحريم الخمر في سورة البقرة وسيأتي بقية لذلك في المائدة إن شاء الله تعالى.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نعس

أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه».

رواه البخاري في الوضوء ٣٢٦/١ وغيره، ومسلم في صلاة الليل ٧٤/٦.

والحديث له تعلق بالآية والحديث السابق، فإن النائم كالسكران لا يدري ما يقول، ولذلك قال في الحديث: «لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»، ولذا أورد الحديث عند هذه الآية السيوطي في الدر المنثور ٥٤٦/٣، وفي معنى هذا أيضاً ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول: فليضطجع»، ٧٤/٦، ٧٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: هَلَكْتُ قِلَادَةً لِأَسْمَاءَ فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلِبِهَا رَجَالًا، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ وَلَيْسُوا عَلَىٰ وُضُوءٍ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَصَلُّوا وَهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ وُضُوءٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَعْني آيَةَ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ لِعَائِشَةَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ تَكْرَهِيهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا.

وفي رواية عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبدياء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ على

فخذي قد نام فقال: أحبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فما يمنعي من التحرك إلا مكان رأس رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قال: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته .

رواه مختصرًا بالرواية الأولى: البخاري في التيمم ١/٤٥٦، ٤٥٧، وفي التفسير ٩/٣٢١ وفي النكاح وفي اللباس وفي الحدود، ومسلم في الحيض ٤/٥٩. ورواه مطولاً بالرواية الثانية: البخاري في أول التيمم ١/٤٤٨، ٤٥١، وفي الفضائل وفي تفسير سورة المائدة رقم ٤٦٠٧، ومسلم في التيمم ٤/٥٦، ٥٨، ورواه النسائي في الكبرى ٦/٣٢٤ وفي التيمم من المجتبى مطولاً.

في الحديث بروايته أن الآية التي نزلت بهذا السبب هي آية النساء وهي آية التيمم، أما آية المائدة فيقال لها آية الوضوء، وسيأتي الكلام على معنى الآية في آية المائدة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.



عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو من قتل مؤمناً متعمداً».

رواه أبو داود في الفتن ٤٢٧٠، وابن حبان ٥٩٨٠، والحاكم ٤/٣٥١، والبيهقي في الكبرى ٨/٢١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد عن معاوية، رواه أحمد ٤/٩٩، والنسائي في الكبرى رقم ٣٤٤٦ وفي الدم من المجتبى، والحاكم ٤/٣٥١ وغيرهم.

الآية كالحديث، مصرحان بأن الشرك لا يغفره الله بحال، وأنه تعالى

يغفر ما عداه لمن شاء، والأحاديث بهذا المعنى متواترة. وقد جاء في الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى يقول: يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فأني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة».

رواه أحمد ١٥٤/٥، وأصله عند مسلم في البر والصلوة ١٣٢/١٦ مطولاً.

ولذا كان يقول بعض الصالحين: اللّٰهُمَّ إني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر والشرك بك، فاغفر لي ما بينهما. والموضوع واسع جداً. وقوله في الحديث: «أو من قتل مؤمناً متعمداً»، ظاهره أن القتل العمد لا يغفر، وهذا مؤول بالإجماع للآية الكريمة وغيرها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

رواه أبو داود ٣٥٣٥، والدارمي ١١٤٢، والحاكم ٤٦/٢ وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرط مسلم وحسنه الحافظ ورد قول من ضعفه.

الأمانة كل حق لزمك أداؤه، والحديث كآية يدلان على وجوب أداء الأمانة ولا خلاف في ذلك بل عدمها من خصال المنافقين للحديث: «وإذا ائتمن خان». والحديث يفيد أن الخائن لا يقابل بخيائته وهذا من باب الأفضلية لأدلة أخرى.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن



نَنْزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية . . .

رواه البخاري في التفسير ٣٢٢/٩، ومسلم في الإمارة ٢٢٣/١٢، وأبو داود ٢٦٢٤، والترمذي ١٥٣٣ كلاهما في الجهاد، والنسائي في الكبرى ٣٢٤/٦، وفي البيعة من المجتبي، وأحمد ٣٣٧/١.

في الآية الكريمة وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء، علماً بأن طاعتهم إنما تجب في المعروف لا في معصية الله، لأن طاعة الله وطاعة رسوله مقدمة على طاعة كل مخلوق كائنًا من كان، فمن أمر بمعصية وبما يخالف الشرع فلا سمع ولا طاعة. فطاعة المخلوق تابعة لطاعة الله ورسوله ولذلك لم يكرر سبحانه الأمر بالطاعة في أولي الأمر كما كررها في طاعة رسوله ﷺ ليعلم أن طاعة الرسول مستقلة كطاعة الله، أما ما عداهما فطاعتهم تابعة لله ولرسوله ﷺ ولذا ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنْ نَنْزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ . . .﴾ الآية، فالرجوع إليهما عند التنازع واجب إسلامي دون غيرهما من سائر البشر. ويلاحظ أن الحديث هنا ذكره ابن عباس مختصراً.

وقد رواه أحمد ٨٢/١، والبخاري ومسلم ٢٢٦/١٢، ٢٢٧ في الإمارة:

عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء؟ قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنّها قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا

تعجلوا حتى تلقوا رسول الله ﷺ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها قال: فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف». فهذا مفسر لذاك. والأحاديث في وجوب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر كثيرة فلا نطيل بها، ولعل بعضها يأتي في مناسبات.

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

٦٥

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه الزبير فاختموا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير وأرسل الماء إلى جارك»، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان ابن عمك، فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «يا زبير اسق واحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر»، فقال الزبير: لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٣٢٣/٩ وغيره، ومسلم في الفضائل ١٥/١٠٧، وأبو داود في الأفضية ٣٦٣٧، والترمذي في الأحكام ١٢٣٤، وفي التفسير ٢٨٣١، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٤، وفي آداب القضاء من المجتبى وابن ماجه رقم ١٥ ورقم ٢٤٨٠.

شراج بكسر الشين جمع شرج بفتح أوله: مسيل الماء. والحرة موضع بالمدينة وهما حرتان شرقية وغربية، والجدر بفتح الجيم وسكون الدال وقيل بضمّتين جمع جدار، وهو هنا الحفر الذي تحفر في أصول النخل فتصير مثل الجدار. فالنبي ﷺ سلك معهما أولاً طريق الصلح، فلما قال الأنصاري ما قال حكم للزبير وأمره أن يأخذ حقه من الماء وافياً كاملاً ثم يرسله لجاره.

والآية الكريمة يدل ظاهرها على نفي الإيمان عمن لم يحكم رسول الله ﷺ ولم يرض بحكمه . وفي الحديث أحكام ليس هذا محل بسطها .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦١) .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من نبي يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة » ، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعتة يقول : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . . . ﴾ فقلت : إنه خيّر .

رواه البخاري في الوفاة النبوية وفي التفسير ٣٢٣/٩ ، ومسلم في الفضائل ٢٠٨/١٥ ، ٢٠٩ ، والنسائي في الكبرى ٣٢٥/٦ ، وابن ماجه في الجنايز ١٦٢٠ وغيرهم .

في الحديث إكرام الله تعالى لأنبيائه ورسله ومزيد اعتناء بهم حيث كان يخيّرهم بين الدنيا والآخرة نظراً لما يلاقونه كغيرهم من سكرات الموت ، فكانوا يختارون الآخرة ورفقة المنعم عليهم من النبيين . . .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَايًا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٧٥) .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه تلا :

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ . قال : كنت أنا وأمي ممن عذر الله . وفي رواية : كنت أنا وأمي من المستضعفين .

رواه البخاري في التفسير بالروايتين ٣٢٤/٩ وعزاه الحافظ في الفتح إلى الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما .

ومعنى الآية الكريمة : ما شأنكم وماذا حصل لكم أيها المؤمنون حيث لا تجاهدون في سبيل الله أعداء الله ولا تقاتلوهم لفك المؤمنين المستضعفين، يعني الذين كانوا بمكة يُؤذون ويُمنعون من الهجرة، وكانوا رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهم الجماعة الذين كانوا يدعون الله عزَّ وجل أن يخرجهم من مكة التي كان أهلها إذ ذاك كفره ظلمة، وكان النبي ﷺ يقنت ويدعو معهم آخر كل صلاة بعد الركوع كما تقدم في آل عمران.

وفي الآية دليل على وجوب فك وخلص الأسارى المسلمين وقاتل الكفار لتحرير المسلمين وبلادهم من أيدي الاستعمار والمعتدين. ومع شديد الأسف فقد فرط المسلمون في هذا الجانب كباقي الجوانب الأخرى الكثيرة حتى عمت البلوى وتفاقم الأمر وأصبح المسلمون كالأرقاء بين الأمم الكافرة المتحضرة المتقدمة في الصناعات...

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عبد الرحمن وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم»، فلما حوَّله الله إلى المدينة أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا... ﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٣٢٥/٦ وفي المجتبى، وابن جرير ١٧٠/٥، ١٧١، وابن أبي حاتم ١٠٠٥/٣، والحاكم ٦٦/٢، ٣٠٧، والبيهقي ١١/٩ وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

الأمر كما في الحديث فقد كان النبي ﷺ في مرحلته الأولى بمكة المكرمة مأمورًا بالعفو عن الكفار والصبر على أذاهم، حتى إن بعض الصحابة كلموه في ذلك فأخبرهم بأنه مأمور بذلك من قبل الله عز وجل، ولكنه لما هاجر إلى المدينة ونزل فرضية الجهاد والإذن في قتال الكفار جبن بعض الناس وخافوا من الكفار وفزعوا من الموت كخوفهم من عذاب الله أو أشد.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني».

رواه أحمد ٩٣/٢، ٢٤٤، ٢٧٠، ٤٧١، ٥١١ وفي مواضع، والبخاري في الجهاد رقم ٢٩٥٧، وفي الأحكام ٧١٣٧، ومسلم في الإمارة ١٨٣٥، والنسائي في الكبرى ٢٢٢/٥، ٤٣٢/٤، ٤٦٢، وفي البيعة من المجتبى، والبيهقي ١٥٥/٨ وغيرهم.

في الآية والحديث فضل عظيم لنبيه ﷺ حيث جعل الله طاعته طاعة له وعصيانه عصياناً له... كما في الحديث وجوب طاعة أمراء نبي الله ﷺ وخلفائه الذين هم على نهجه ونهج شريعته كما تقدم قريباً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.



عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: يا رسول الله أطلقتهن؟ قال: لا، فقامت على باب المسجد فنادت

بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ... ﴾ الآية.

رواه عبد بن حميد ومسلم في الطلاق ١٠/٨٢، ٨٥ رقم ١٤٧٩، وابن أبي حاتم ١٠١٤، وهو عند مسلم مطولاً.

وفي الآية الكريمة إرشاد إلى التثبت في الأمور وعدم إفشائها قبل تحققها فقد لا يكون لها أثر من الصحة بل الواجب السكوت عنها والإمساك عن إذاعتها وردّها إلى من يستنبطها من أهل العلم والدين كما فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في شأن إشاعة الناس بطلاق رسول الله ﷺ نساءه، ولم يكن الأمر كذلك، حتى استنبط ذلك عمر وتحقق عدم صحته بإخبار من النبي ﷺ، وهنا يأتي حديث مسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع».

قوله تعالى: ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة، قال: «اشفَعُوا تَوْجَرُوا»، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء.

رواه أحمد ٤/٤٠٩، ٤١٣، والحميدي ٧٧١، والبخاري في الزكاة ٤/٤٢ وفي الأدب، وفي التوحيد، ومسلم في البر ١٦/١٧٧، وأبو داود في الأدب ٥١٣١، والنسائي في المجتبي من كتاب الزكاة ٥/٤٨، والترمذي في العلم ٢٤٨٦ وغيرهم.

في الآية والحديث فضل الشفاعة والتوسط في الخير والسعي في قضاء حوائج المحتاجين وبالأخص عند الأمراء وذوي السلطة غير أنها لا تجوز في المتمردين والمفسدين أو في إعانة على ظلم وإثم وعدوان.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ .

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبي ﷺ: «عشر»، وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: «عشرون»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: «ثلاثون».

رواه أحمد ٤/٤٣٩، ٤٤٠، وأبو داود ٥١٩٥ في الأدب، والترمذي في الاستئذان ٢٥٠٣ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٩١/٦ بسند صحيح على شرط مسلم. وله شاهد بنحوه عن أبي هريرة عند ابن حبان ١٩٣١ بالموارد بسند صحيح وهو في الأدب المفرد أيضاً، وفي الباب أحاديث كثيرة تتعلق بالسلام فلتراجع في كتب الأدب.

كان لأهل الجاهلية كلمات يحيي بها بعضهم بعضاً كقولهم: أنعم صباحاً، أو أنعم مساءً ونحو ذلك، فجاء الإسلام بتحيته الخالدة. واتفق العلماء على أن إفشاء السلام من أخلاق الإسلام ومن حقوق المسلمين فيما بينهم، وأن بدايته سنة ورده فرض لقوله تعالى: ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ .

عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال في هذه الآية: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ ﴾ . الآية، قال: رجع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أحد فكان الناس فيهم فرقتين فريق منهم يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت الآية، وقال ﷺ: إنها تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة.

رواه البخاري آخر الحج ٤/٤٦٩، وفي التفسير ٩/٣٢٥، ومسلم في الحج في

صفات المنافقين ١٧/١٢٣، والترمذي ٢٨٣٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٥ كلاهما في التفسير.

قوله تعالى: ﴿أَزَكَّهُمْ﴾ أي قلبهم وردهم إلى الكفر، والركس نكس الشيء مقلوبًا، لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد - وكانت من أخطر الغزوات على المسلمين - رجع رئيس المنافقين ابن أبي بن سلول بمن معه من أصحابه ومن أطاعه أو اغتربه من ضعفاء الإيمان فاختلف المسلمون في شأنهم ماذا يفعل معهم حيث خذلوا النبي ﷺ في وقت كان في أشد الحاجة إلى من يؤازره ويقاتل معه فقال بعض الصحابة: اقتلهم يا رسول الله، وقال آخرون بالعكس، فأنزل الله تعالى الآية في شأنهم فقال لهم عز وجل: ما شأنكم أيها المؤمنون أَصَبَحْتُمْ في شأن هؤلاء المنافقين فرقتين والحال أنهم منافقون، وقد نكسهم الله وردهم إلى كفرهم رأسًا على عقب، أتريدون هداية من خذله الله!!؟

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ قال: لا، فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ...﴾ الخ [الفرقان: ٦٨]. قال: هذه آية مكية نسخها آية مدنية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا...﴾ الآية. وفي رواية قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فرحلت فيه إلى ابن عباس فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

رواه البخاري في الفضائل وفي التفسير ٩/٣٢٦ وفي مواضع، ومسلم آخر الكتاب ١٨/١٥٨، ١٥٩، وأبو داود ٤٢٧٣، ٤٢٧٤، ٤٢٧٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٦، وفي تحريم الدم من المجتبى.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن قتل مؤمناً متعمداً ثم تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى فقال: فأني له بالتوبة، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يجيء المقتول متعلقاً بالقاتل تشخب أوداجه دمًا فيقول: أي رب سل هذا فيم قتلني؟»، ثم قال: والله لقد أنزلها الله تعالى ثم ما نسخها.

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٣٣، والنسائي في تحريم الدم، وابن ماجه ٢٦٢١ بسند صحيح.

قوله: تشخب أي تسيل، وهي بفتح التاء وضم الخاء.

ظاهر الآية الكريمة مع قول ابن عباس أن القاتل العمد لا توبة له وأنه مخلد في النار، لكن جمهور السلف والخلف بل عامة العلماء ذهبوا إلى أن له توبة وأنه لا يخلد في النار إلا الكافر، وأن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك به تعالى الشرك الأكبر، والأحاديث بهذا المعنى متواترة، والله تعالى يقول: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا...﴾ الآية [الفرقان: ٧٠]. وفي الصحيح عنه ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». ويكفي ما سبق ويأتي من قول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

آية القتل العمد محمولة على من نزلت بسببه وهو مقيس بن صبابة الكناني الذي كان قد أسلم فقتل مسلماً متعمداً ثم كفر وفر إلى مكة ثم قُتل يوم الفتح، كما أنها تحمل على من استحل قتل مسلم بدون تأويل فيكون بذلك كافراً...

أما الحديث الذي رفعه ابن عباس في شأن القاتل والمقتول يوم القيامة لا يدل على ما ذهب إليه، وإنما يدل على عقاب الجاني إن لم يتب أو لم يقتص منه. وهذا مع العلم بأن القتل العمد من أكبر الجرائم وأعظم

الجنايات، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء». وما ذلك إلا لعظم الجرم وحق الغير... كما جاء في حديث آخر: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسَلْتُمْ مَوْلَانَا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسَلْتُمْ...﴾ الآية، قال: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ - تلك الغنيمة.

رواه البخاري في التفسير ٣٢٧/٩، ومسلم آخر الكتاب ١٨/١٦١، وأبو داود في الحروف ٣٩٧٤، والترمذي ٢٨٣٤، والنسائي ٦/٣٢٦ كلاهما في التفسير وغيرهم.

أمر المسلمون إذا سافروا وخرجوا للجهاد أن يتثبتوا ويتحققوا المسلم من الكافر، ولا يقدموا على قتل مسلم فإن ذلك عظيم، فمن أشهر إسلامه قبل منه ذلك ولو كان في نفس الوقت غير صادق، لكن هؤلاء الصحابة قتلوا هذا الرجل بعد أن سلم عليهم وكان قصدهم من ذلك أخذ غنيمته فنزلت الآية الكريمة تعاتبهم على ما صنعوا... وأنهم إذا كان هدفهم طلب عرض الحياة فقد أعد الله تعالى لهم في الآخرة ما هو أعظم وأجزل. وفي الباب أحاديث في تحريم قتل من قال لا إله إلا الله أو كان يصلي.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاتِلِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاتِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر، والخارجون إلى بدر.

رواه البخاري في التفسير ٣٣٠/٩ هكذا مختصراً، ورواه الترمذي ٢٨٣٦، والنسائي في الكبرى ٣٢٧/٦ مطوّلاً.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ أملى عليه: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله»، قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي فقال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن تُرض فخذي ثم سُري عنه، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿غَيْرِأُولِي الضَّرَرِ﴾.

رواه البخاري ٣٢٨/٩، والترمذي ٢٨٣٧ كلاهما في التفسير، وأبو داود وابن جرير ٢٢٨/٤، ٢٢٩، وابن أبي حاتم ١٠٤٣/٣ وغيرهم. ونحوه عن البراء بن عازب، رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

الآية الكريمة مع هذه الأحاديث تدل على أنه لا يستوي المجاهدون في سبيل الله مع من يتخلف من القاعدين، وهذا لا شك فيه، رغم أنهم مؤمنون وأنهم من أهل الجنة، غير أصحاب الضرر أهل الأعذار كالعمي مثلاً والعرجي والمرضى والكبار والضعاف، فهؤلاء لهم أجر المجاهدين لنياتهم الصالحة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهم يُرمى فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ...﴾ الآية، إلا المستضعفين... إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٣٣١/٩، ٣٣٢ وفي الفتن باب من كره أن يكتر سواد الفتن والظلم، والنسائي في الكبرى ٣٢٧/٦، وابن جرير ٢٣٤/٤، وابن أبي حاتم ١٠٤٥/٣ وغيرهم.

كان جماعة من المسلمين بمكة المكرمة يخفون إيمانهم ولم يهاجروا فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم فقال المسلمون: كان هؤلاء أصحاباً لنا مسلمين فأكرهوا على الخروج، فأنزل الله الآية توبخهم وتعدهم بالنار إذا كانوا مستطيعين لمفارقة دار الكفر ومهاجرتها ثم استثنى المستضعفين الذين لا طاقة لهم بالهجرة والخروج.

ويؤخذ من الآية الكريمة أن الإقامة بدار الحرب ومساكنة المحاربين وتكثير سوادهم لا تجوز لا سيما من تعجنس منهم وكانت قوانينهم تطبق عليهم كلها إلا من كان لاجئاً مضطهداً أو كان داعية إلى الله تعالى أو تاجراً...

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، فنزل الوحي: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ - حتى بلغ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

رواه أبو يعلى في مسنده ٢٦٧٩، والطبراني في الكبير ١١٧٠٩، قال الهيثمي في المجمع ١٠٧: ورجاله ثقات.

وفي الآية الكريمة الترغيب في الهجرة ومفارقة ديار الكفار المحاربين، وفي الهجرة جاء الحديث الصحيح المشهور: «فمن كانت

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله... إلخ، وإن الأعمال بالنيات، والموضوع طويل.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُرُودًا مُهِينًا ﴾ (١١١).

عن يعلى بن أمية رضي الله تعالى عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا... ﴾ الآية، فقد آمن الناس فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته».

رواه أحمد ١/٢٥، ٣٦، ومسلم ٥/١٩٦، وأبو داود ١١٩٩، والترمذي في صلاة السفر، وفي التفسير ٢٨٣٨، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٨، وفي المجتبى ٣/٩٥، وابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الجارود وابن خزيمة وغيرهم.

ظاهر الآية أن الخوف كان شرطاً في تقصير الصلاة الرباعية، وليس كذلك، وإنما المراد إدخال التخفيف في أدائها بترك بعض ركعاتها، أو الاكتفاء بالإيماء مثلاً إذا اشتد الخوف والقتال لقوله في آية أخرى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وحديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يدل على أن تقصير الرباعية هو صدقة من الله علينا يجب قبولها...

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ فِإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَدَّةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١١٢).

عن أبي عياش الزرقبي رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فتزل جبريل عليه السّلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ...﴾ إلخ. قال: فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح قال: فصفنا خلفه صفين، ثم قال: ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلس جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف، فصلاها رسول الله ﷺ مرتين بعسفان ومرة بأرض سليم.

رواه أحمد ٤/٥٩، ٦٠، وأبو داود ١٢٣٦، والنسائي رقم ١٤٥٨ في المجتبى، وابن حبان ٥٨٧، والحاكم ١/٣٣٧ وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي...

وفي الحديث بيان سبب نزول آية صلاة الخوف. وقد صلاها النبي ﷺ في عدة مواطن، وعلى صفات وهيئات متعددة مختلفة. قال ابن حزم رحمه الله تعالى: صح فيها أربعة عشر وجهاً. وقال النووي رحمه الله تعالى: جاء فيها ستة عشر كلها معجزة... إلخ، وموضع بسطها كتاب الصلاة من كتب الأحكام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار

يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بيعة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أفضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، وإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة»، فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذهبا فافتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم ليحلل كل منكما صاحبه».

رواه أحمد ٦/٢٩٠، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٠، والبخاري في الشهادات ٢٦٨٠، وفي الأحكام ٧١٦٩ وفي المظالم... ومسلم في الأفضية ١٧١٣، والترمذي في الأحكام والنسائي في آداب القضاة، وابن ماجه في الأحكام ٢٣١٧، وابن الجارود ٩٩٩، ١٠٠٠، وغيرهم، واللفظ لأحمد.

احتج بهذه الآية الكريمة من يقول باجتهاد الرسول ﷺ، والحديث يؤيد ذلك غير أنه لا يُقرُّ على خلاف الصواب، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ نُمَسِّكْهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١١٦).

عن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له»، وقرأ هاتين الآيتين: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ ﴾... إلخ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ... ﴾ الآية.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم بسند صحيح، وقد تقدم في آل عمران عند قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾.

الحديث مع الآية فيهما بيان سعة فضل الله ورحمته ولطفه بعباده، وأنه عز وجل يقبل توبة كل مذنب رجع إليه واستغفره، وفي الحديث أدب من آداب التائب وهو تقديم الوضوء وصلاة ركعتين ثم طلب المغفرة والعفو.

قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة».

رواه أحمد ٣/٣٤٤، ٣٦٠، والبخاري في الأدب رقم ٦٠٢١، وفي الأدب المفرد ٢٢٤، والترمذي في البر والصلة وغيرهم وفي الباب عن جماعة.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين»، قال: «وفساد ذات البين هي الحالقة».

رواه أحمد ٦/٤٤٤، ٤٤٥، وأبو داود في الأدب ٤٩١٩، والترمذي في صفة الجنة وحسنه الترمذي وصححه، وكذا البخاري في الأدب المفرد ٣٩١، وابن حبان والبخاري في شرح السنة وغيرهم.

في الآية والحديثين فضل الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين المتنازعين وأن لفاعل ذلك الأجر الجزيل والثواب العظيم. وفي الآية الكريمة إرشاد إلى الإقلال من النجوى وأنه لا خير فيها إلا لأصحاب ما ذكر.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها».

رواه أحمد ٢/٢٤٨، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٣٠، والترمذي في التفسير ٢٨٤٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣٢٨ وغيرهم.

قاربوا أي توسطوا واقتصدوا في العبادة ولا تغلوا وتجاوزوا الحد ولا تقصروا وتفراطوا في ترك الواجبات مع انتهاك المحرمات. وقوله: وسددوا، أي اقتصدوا السداد وهو الصواب. وقوله: النكبة، وهي ما ينزل بالإنسان كالعثرة مثلاً أو الجرحه... وفي الحديث دليل كآلية على أن المسلم قد يجازى على سيئاته في الدنيا بما يصاب به من الأحداث التي تطرأ عليه في نفسه وأهله وماله ويساء بها، وأن كل ذلك من أسباب تكفير ما يأتيه من مخالفات، وهذا من رحمة الله بعبده المؤمن ولطفه به في هذه الحياة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً تلا هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، قال: إنا لنجزى بكل عملنا؟ هلكننا إذاً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «نعم يجزى به المؤمنون في الدنيا، في مصيبة في جسده، فيما يؤذيه».

رواه أحمد ٦/٦٦ بسند صحيح.

الحديث كسابقه في تكفير ذنوب المؤمن بكل ما يصيبه من أذى يؤلمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

١٢٥

عن جندب رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس: «قد كان لي منكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى كل خليل من

خلته، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلًا، وإن ربي اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

رواه مسلم في المساجد ١٣/٥، والنسائي في الكبرى ٣٢٨/٦، وفي الموضوع عن جماعة عن ابن مسعود وعائشة في الصحيحين وغيرهما بنحو ما في الباب.

قوله: أبرأ، أي امتنع من هذا وأنكره. والخليل الصديق الخاص، والخلّة الصداقة والمحبة التي تخللت القلب. وفي الحديث فضيلة هامة للنبي ﷺ حيث اتخذ الله خليلًا له كما اتخذ نبيه إبراهيم عليه السلام كذلك. وفي الحديث أيضًا فضل الصديق رضي الله تعالى عنه وأن له مكانة خاصة عند النبي ﷺ. كما أن في الحديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد وذلك يحتمل أن تتخذ مسجدًا يصلى عليها، ويحتمل أن يُبنى عليها مسجد بعد وجودها، فكلاهما يشملهما النهي، والكلام على هذا يطول فموضعه كتاب الأحكام.

قوله تعالى: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّغُبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ...﴾ الآية، قالت: أنزلت في اليتيمة تكون عند الرجل لعلها أن تكون شريكته في ماله وهو وليها فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجلًا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٣٣٤/٩ وغيره، ومسلم آخر الكتاب ١٥٦/١٨، وأبو داود ٢٠٦٨، والنسائي في الكبرى ٣١٩/٦ وفي المجتبى وغيرهم.

تقدم معناه في آية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا...﴾ ﴿٢﴾ الخ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٧٨﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا...﴾ الخ، أنزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد أن يطلقها ويتزوج غيرها فتقول: لا تطلقني وأمسكني وأنت في حل من النفقة والقسمة لي، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾. رواه البخاري في التفسير ٣٣٤/٩، ومسلم آخر الكتاب ١٥٧/١٨، والنسائي في الكبرى ٣٢٩/٦.

النشوز يكون من الرجل ومن المرأة، وهو هنا من الرجل، يعني أنه يبغضها ويعرض عنها ولا يستكثر منها يعني في المحبة والمعاشرة، وهذا من طبيعة البشر أن المرأة إذا طعنت في السن يتباعد عنها الرجل ولا يكاد يبقى له إليها ميل ويتمنى البديل، غير أن المؤمن ينبغي له أن يكون وفياً لزوجته، فلا يجرحها بالضرة والتزوج عليها فإن حسن العهد من الإيمان، ولا سيما إذا شاركها في إنجاب الأولاد وطالت العشرة، فينبغي له أن يصبر حتى يفرق بينهما الموت.

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها، أراه قال: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا﴾.

رواه أبو داود ٢١٣٥، والحاكم ١٨٦/٢، والبيهقي ٧/٧٤ و صححه الحاكم ووافققه الذهبي، وأصله في الصحيحين، ونحوه عن ابن عباس عند الطيالسي ٢٦٨٣، والترمذي ٢٨٤٤، والبيهقي ٧/٢٩٧ وحسنه الترمذي و صححه.

فيه أن الآية نزلت بسبب سودة رضي الله تعالى عنها، وفيه ما كان عليه ﷺ من حسن المعاشرة لأزواجه ومؤانسته إياهن وزيارتهن كل يوم، وهذا نهاية العدالة فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وزوجاته وصحبه وحزبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «اللَّهُم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»، يعني القلب.

رواه أحمد ١٤٤/٦، وأبو داود ٢١٣٤، والترمذي ١٠٢٢، والنسائي في الكبرى ٢٨١/٥، وابن ماجه ١٩٧١، وابن حبان ١٣٠٥، والحاكم ١٨٧/٢ بسند صحيح على شرط مسلم، وهكذا صححه الحاكم ووافققه الذهبي ولا يضر إرسال من أرسله.

وقوله: لا تلمني فيما تملك ولا أملك، يعني به الحب والمودة، هكذا فسرهُ العلماء وإن الميل القلبي إلى بعض الضرائر دون الباقي لا يضر ولا يستطيع أحد العدالة بين نسائه في ذلك ولو حرص، وهو معنى الآية الكريمة، فإن العدالة في كل شيء ليست في طوق الإنسان وإنما الواجب هو النفقة والكسوة والسكن والمبيت، أما المحبة والشهوة والجماع فلا بد وأن يكون هناك تفاوت وهو خارج عن المستطاع، ومن حمل الآية على ظاهرها مطلقاً فقد أخطأ وجهل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تلك صلاة

المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً .

رواه أحمد ٣/١٠٣، ١٤٩، ١٨٥، والطيالسي ٢٨٧، ومسلم ٥/١٢٣، وأبو داود ٤١٣، والترمذي ١٤٣، والنسائي في المجتبى ١/٢٠٣، وفي الكبرى ٤٦٧/١ وغيرهم .

جاءت الآية الكريمة تعدد بعض صفات المنافقين التي منها قلة ذكرهم الله تعالى وهو الذي بيّنه الحديث الشريف حيث جعل تأخير العصر إلى قرب الغروب وصلاتها بسرعة مع قلة ذكر الله تعالى فيها من علامات المنافقين، فليحذر المؤمن الاتصاف بذلك .

قوله تعالى: ﴿ مُدْبِرِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ .



عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تدري أيهما تتبع» .

رواه مسلم في صفات المنافقين رقم ٢٧٨٤ .

قوله: العائرة... إلخ، المترددة بينهما لا تدري لأيهما تتبع .

وما في الحديث الشريف مثل ضربه النبي ﷺ للمنافق فهو كالشاة المذكورة حائرة لا تدري لأي الغنمين تتبع، فالمنافق لا هو مع المؤمنين، ولا هو مع الكافرين، وهو الوصف الذي ذكره الله تعالى للمنافقين في الآية .

قوله تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ



سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المستبان ما قاله فعلى البادىء منهما ما لم يعتد المظلوم» .

رواه أحمد ٢/٢٣٥، ٤٨٨، ٥١٧، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٤٠، ١٤١، .
وأبو داود في الأدب ٤٨٩٤، والترمذي في البر والصلة ١٨٢٥، وابن حبان ١٩٧٦
موارد.

المستبان اللذان يتبادلان السباب، وفيه أن البادئ بالشتم كان حاملاً
لوزر صاحبه إذا قابله بالشتم ما لم يتجاوز وإلاً أصبح المسؤول. وفيه إشارة
إلى جواز مجاهرة المسبوب بالسب ومقابلة صاحبه بالسوء وهو مقتضى الآية
الكريمة.

وعن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ
قال: «لِيُ الْوَاجِدِ ظُلْمٌ، يُحَلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتُهُ».

رواه أحمد ٤/٢٢٢، ٣٨٨، ٣٨٩، وأبو داود في القضايا ٣٦٢٨، والنسائي في
اليبوع ٢/٢٣٣، ٢٣٤، وابن ماجه في الأحكام ٣٦٢٧، والطحاوي في المشكل
١/٤١٣، ٤١٤، وابن حبان موارد ١١٦٤، والحاكم ٤/١٠٢، والبيهقي ٦/٥١
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في الفتح وعلقه البخاري.

اللِّيُّ: المطل والتأخير، ومعناه أن من عليه حق للغير وماطل صاحب
الحق وهو واجد كان ظالماً، فلصاحب الحق أن يتكلم في عرضه ويجهر
بمظلمته عند المفتي أو المحامي أو القاضي... ويستحق بذلك العقوبة
أيضاً. والحديث داخل في الآية الكريمة كما لا يخفى كسابقه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

١٥٩

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي
نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون
السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم:
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٣٠٢/٧، ٣٠٣، ومسلم في نزول عيسى من الإيمان ١٨٩/٢، ١٩٠، والترمذي في الفتن ٢٠٦٢ وابن ماجه وغيرهم.

في الحديث دليل على نزول سيدنا عيسى عليه السّلام آخر الزمان لِيُحَكِّمَ شريعة الإسلام ويقضي على سائر الأديان الباطلة، ولا يبقى إلا شريعتنا الغراء، وأنه سيرفع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام. والأحاديث بنزوله وصفته وصفة أيامه وقتله الدجال... كثيرة متواترة، وقد ألفت فيها جماعة من علمائنا رحمهم الله تعالى. أما بالنسبة لرفعه عليه السّلام فالقرآن نص فيه: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿وَرَأَفُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ معناه أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به، وبهذا جزم ابن عباس وهو قول أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وصححه ابن كثير، وقالوا: إن الضمير في قوله (به) وفي (موته) يعود على عيسى عليه السّلام، وعلى هذا حمل الآية أبو هريرة رضي الله تعالى عنه.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

﴿١٦٦﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال موسى لآدم: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟!»، فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، أتلومني أن أعمل عملاً كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فحج آدم موسى».

رواه أحمد والشيخان وغيرهما من طرق وألفاظ، وتقدم بلفظ آخر في أول

البقرة.

أجمع المسلمون على أن الله عزَّ وجلَّ كلَّم نبيه موسى عليه السَّلام في هذه الدنيا بكلام لا نعرف كيفية ذلك ولا صورته، وهو صريح القرآن في مواضع وبه جاءت الأحاديث الصحيحة، فمن أنكر ذلك فليس بمسلم .

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٧١).

عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» .

رواه أحمد ١/٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥، والبخاري في خلق آدم وذريته ٧/٣٠٠، عند ذكر عيسى وأمه مريم عليهما السَّلام، وفي كتاب المحاربين . ورواه ابن حبان ضمن حديث طويل رقم ٤١٣، ٤١٤ .

الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والثناء، وفي الحديث النهي عن الغلو في مدح النبي ﷺ كما فعل النصارى في عيسى عليه السَّلام حيث تغالوا فيه حتى رفعوه إلى مقام الألوهية عيادًا بالله تعالى .

فالحديث جاء مؤيدًا للآية الكريمة . . . ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ . . .﴾ .
إلخ، ثم قال لهم: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ إلخ، فهو مخلوق وليس بإله، ولذا قال لنا النبي ﷺ: «كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم»، ثم ختم لنا حديثه محذّرًا الناس اتخاذه شريكًا مع الله، فقال: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . . .» .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل».

رواه أحمد ٣١٣/٥، ٣١٤، والبخاري في الأنبياء ٢٨٥/٧، ومسلم في الإيمان ٢٢٦/١، ٢٢٧، والنسائي في الكبرى ٣٣١/٦.

في الحديث فضل عظيم والفوز والسعادة بدخول الجنة لمن اعترف بوحداية الله عز وجل، وصدق برسالة نبينا ﷺ واعتقد وجزم بأن عيسى عبد الله ورسوله وأنه ليس بإله ولا بثالث ثلاثة ولا بولد لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأنه وجد من أمه مريم بكلمة من الله وروح من عنده بدون تلقيح ذكر بل كما قال تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ثم آمن بأن الجنة والنار كلاهما شيء ثابت حق خلقهما الله وأعدهما لمن شاء من عباده.

وقوله: أدخله الله الجنة... إلخ معناه أنه سيدخله الجنة وإن عمل في حياته ما عمل، فالإيمان بما ذكر سيمنعه مع فضل الله ورحمته من دخول النار أو من الخلود فيها إن كان هناك ما يوجب دخولها.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾.



عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾.

رواه أحمد ٢٩٨/٤، والبخاري في التفسير ٣٣٧/٩، ومسلم ٥٨/١١، ٥٩، وأبو داود ٢٨٨٨، والنسائي في الكبرى ٣٣١/٦ وفي المجتبى كلهم في الفرائض.

الآخريّة في النزول مؤولة، فبالنسبة للصور الطوال سورة براءة، وبالنسبة لآيات الموارث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ...﴾ إلخ. وقد ثبت أن آخر سورة

نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ...﴾ إلخ، وآخر آية نزلت: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وكلاهما في الصحيح. وهذه الآية كانت بعد نزول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية النازلة في حجة الوداع.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه يعوداني وهما يمشيان، فوجداني قد أعغمي علي فتوضأ رسول الله ﷺ فصب وضوءه علي فأفقت قلت: يا رسول الله كيف أوصي في مالي - ثلاثاً - ، فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ إلخ.

رواه مسلم ٥٦/١١، وأبو داود ٢٨٨٧، والترمذي ١٩٣٠ كلهم في الفرائض، والنسائي في الكبرى ٣٣٢/٦ وفي المجتبى، وابن ماجه ٢٧٢٨ كلهم بذكر نزول آية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ...﴾ إلخ.

وقد تقدم في آية المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾ إلخ، هي التي نزلت بهذا السبب، وقد رجح ابن كثير وغيره السبب الأول، واختار آخرون أن كلا الآيتين نزلتا بهذا السبب من جابر رضي الله تعالى عنه.

والكلالة في الآية: المراد بها من مات ولا والده ولا ولد، وإنما ترك أختاً فلها نصف ما ترك من التركة، فإن كانتا أختين فلهما منه ثلثا ما ترك، أما إن كان الهالك أنثى وتركت أختاً لها شقيقاً أو لأب استوعب كل التركة، فإن كان الإخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين. هذي هي القسمة الإلهية العادلة فمن رفضها فقد كفر وضل، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وهناك صفة أخرى للكلالة وهي من مات ولم يترك إلا أختاً أو أختاً أو أكثر كلهم إخوة للأم، فإن كان واحداً ذكراً كان أو أنثى كان حظه السدس فقط فإن تعددوا اشتركوا في الثلث

والباقي لبيت مال الدولة . وفي هذا يقول الله تعالى فيما سبق من الآية ١٢ :
 ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِئَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
 السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ . . . ﴾ إلخ . ثم
 ختم الآية بقوله : ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ . . . ﴾ إلخ .

وبهذا تم تفسير سورة النساء ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،
 وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه ،
 بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٤١٩ هـ .

* * *

﴿ سُورَةُ الْمَائِدَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ لِي اللَّهُ وَاسْمُ بَارِكِ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَالْحَبِيبُ وَزَوْجِبُهُ وَعَرْبُهُ

هذه السورة الكريمة من السور المدنية الطوال أيضًا وهي الرابعة منها على التوالي، وفيها مائة وعشرون آية .

أكثرها تتحدث عن الأحكام الشرعية، كالعقود والصيد والذبائح ونكاح الكتابيات وحلّية طعام أهل الكتاب وأحكام الوضوء والغسل والتميم وحدّ السرقة والبغي والإفساد في الأرض وتحريم الخمر والميسر... وكفارة اليمين وقتل الصيد حالة الإحرام وجزاء ذلك والوصية عند الموت حالة السفر...

وإلى جانب ذلك تحدّثت عن قصة قتل قابيل أخاه هايل تلك القصة الغريبة، بالإضافة إلى ذكر بعض جوانب العقيدة مع مناقشة اليهود والنصارى في عقائدهم الباطلة، وتعرّضت للمائدة التي سألتها الحواريون من عيسى عليه السّلام كآية له تنزل من السماء، والتي سمّيت السورة باسمها، كما سمّيت سورة العقود لافتتاحها بذلك .

من خصائص هذه السورة

- لهذه السورة الكريمة خصائص أيضًا كسابقاتها، وهي كآلاتي :
- ١ - إباحة الاصطياد بعد الإحلال من الإحرام، آية ٢ .
 - ٢ - وجوب التعاون على البرِّ والتقوى، وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وهي قاعدة من أعظم وأشمل قواعد الدين، آية ٢ .
 - ٣ - بيان المحرّمات العشر من الأطعمة في نسق واحد، آية ٣ .
 - ٤ - ذكر آية فيها امتنان الله عزَّ وجل علينا بإكمال الدين، وأنه رضي لنا الإسلام دينًا، وأتم علينا نعمته بذلك، آية ٣ .
 - ٥ - بيان أحكام الصيد بالكلاب، آية ٤ .
 - ٦ - إباحة طعام أهل الكتاب لنا، آية ٥ .
 - ٧ - إباحة التزوُّج بالكتبايات الحرائر، وهو المراد بالمحصنات، آية ٥ .
 - ٨ - ذكر آية الوضوء والغسل والتميم، آية ٦ .
 - ٩ - ذكر قصة بعث نقيب بني إسرائيل، آية ١٢ .
 - ١٠ - الإخبار عن اليهود في زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، آية ١٨ .
 - ١١ - قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه السَّلام في شأن الجبارين، آيتان ٢٠، ٢٥ .
 - ١٢ - تيهان بني إسرائيل في الصحراء أربعين سنة، آية ٢٦ .
 - ١٣ - قصة ابني آدم عليه السَّلام، وقتل قابيل وهابيل، آيات ٢٧ - ٣١ .
 - ١٤ - ذكر آية الحراية وما فيها من أحكام، آية ٣٣ .
 - ١٥ - حدُّ السارق والسارقة، آية ٣٨ .
 - ١٦ - بيان أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر وظالم وفاسق، آيات ٤٤ - ٤٧ .
 - ١٧ - وجوب الحكم بين أهل الكتاب بحكم الإسلام، آيتان ٤٨، ٤٩ .

- ١٨ — طعن اليهود في الله عزَّ وجلَّ بأنَّ يده مغلولة، يعنون بخيلاً، آية ٦٤ .
- ١٩ — من دأب اليهود سعيهم في الأرض فسادًا، آية ٦٤ .
- ٢٠ — عصمة الله نبيه ﷺ من الناس، آية ٦٧ .
- ٢١ — عرض التوبة على النصارى القائلين بالتثليث، آيتان ٧٣، ٧٤ .
- ٢٢ — لعن بني إسرائيل على لسان داود وعيسى لعدم تناهيهم عن المنكر واعتدائهم وموالاتهم للكفار، آيات ٧٨ — ٨١ .
- ٢٣ — اليهود والمشركون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، آية ٨٢ .
- ٢٤ — النهي عن تحريم طيبات ما أحل الله، آيتان ٨٧، ٨٨ .
- ٢٥ — بيان كفارة اليمين وأنواعها، آية ٨٩ .
- ٢٦ — ذكر الآية الأخيرة في تحريم الخمر، آيتان ٩٠، ٩١ .
- ٢٧ — النهي عن قتل الصيد حالة الإحرام وبيان جزائه، آيتان ٩٥، ٩٦ .
- ٢٨ — بيان جزاء قتل الصيد، آية ٩٥ .
- ٢٩ — حلية صيد البحر وطعامه، آية ٩٦ .
- ٣٠ — جعل الله الكعبة قيامًا للناس يقيمون بها شؤون دينهم ودنياهم، آية ٩٧ .
- ٣١ — بيان تحريم البحائر والسوائب، آية ١٠٣ .
- ٣٢ — على الإنسان أن يصلح نفسه وأنه إذا اهتدى لا يضره من ضلَّ، آية ١٠٥ .
- ٣٣ — مشروعية الوصية في السفر والإشهاد عليها ولو من الأجنبي غير المسلم، آيات ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ .
- ٣٤ — بيان ما طلبه الحواريون من نزول المائدة، آية ١١٢ .
- ٣٥ — تبرؤ عيسى عليه السلام يوم القيامة من النصارى، آيتان ١١٦، ١١٧ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها.

رواه أحمد ١٧٦/٢ وسنده حسن في الشواهد، ويؤيده الحديث التالي.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: إني لآخذة بزمام العضباء - ناقة رسول الله ﷺ - إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة.

رواه أحمد ٤٥٥/٦، سندُه حسن في الشواهد، وهو صحيح سابقه في الجملة.

في الحديثين بيان أن سورة المائدة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في سفر له راكبًا على راحلته العضباء، وفيها أن الوحي ثقيل لا يطاق حمله، وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥]، إذا حمل على ظاهره.

وعن جبير بن نفير رحمه الله تعالى قال: دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت لي: هل تقرأ سورة المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه.

رواه أحمد ١٨٨/٦، والنسائي في الكبرى ٣٣٣/٦، والحاكم ٣١١/٢، والبيهقي ١٧٢/٧، وأبو عبيد في فضائله، والنحاس في ناسخه، وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور ٣/٣، وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وفي الباب عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح.

رواه أحمد والترمذي وحسنه الحاكم وصححه .

جاءت الأحاديث عن الصحابة مختلفة متعارضة في آخر ما نزل، فهذا الحديث تخبر فيه مولانا عائشة رضي الله تعالى عنها بأن المائدة آخر ما نزل وتقدم، ويأتي أن آخر ما نزل سورة براءة، ويأتي أن آخر ما نزل إذا جاء نصر الله، وتقدم أن آخر آية نزلت: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، كما تقدم أن آخر آية نزلت آية الربا. وذكر العلماء في الجمع بينها أن كل صحابي أخبر بما في علمه، أو كل منهم أراد أخرى مخصوصة، فأخر ما نزل من أحكام الدين وفرائضه المائدة، وآخر ما نزل من السور الطوال وأحكام الجهاد سورة براءة، وهكذا يقال في آية الربا والتقوى، أما سورة النصر فهي آخر سورة نزلت كاملة قصيرة مطلقاً، فهذا أحسن ما قيل في الموضوع، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ .



عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم رحمه الله تعالى قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتاباً وعهداً، وأمره فيه بأمره فكتب:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا كتاب من الله ورسوله: ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ، عهد من محمد رسول الله ﷺ لعمر بن حزم، حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله، في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» .

رواه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحاق، وسنده إلى أبي بكر حسن. ورواه ابن جرير ٤٩/٥ من طريق آخر عن محمد بن مسلم - يعني الزهري - . قال: قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعثه إلى نجران. . . إلخ. قال:

فكان الكتاب عند أبي بكر ابن حزم... إلخ. ورواه البيهقي في السنن مطوّلًا ١/٨٨، ١٨٩/٨، ١٢٨/١٠، وفي الدلائل ٥/٤١٣، ٤١٥.

كتاب عمرو وهذا صحيح أشبه المتواتر، كما قال غير واحد من الأعلام، وفيه فرائض وأحكام، ومنها ذكر الآية الكريمة التي فيها الأمر بالوفاء بالعقود يعني العهود التي عهد الله تعالى بها لعباده وهي كل الأوامر والنواهي... وانظر ما يأتي في آخر سورة الواقعة.

قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قيل: يا رسول الله هذا نصرة مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه».

رواه أحمد ٣/٩٩، ٢٠١، والبخاري في المظالم ٢٤٤٣، ٢٤٤٤ وفي الإكراه، والترمذي في الفتن ٢٠٨٣ وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند مسلم وغيره، وعن ابن عمر عند ابن حبان.

في الحديث نصر المظلوم وكف الظالم عن ظلمه، وذلك من باب التعاون على الخير والبر والتقوى، والآية الكريمة أوسع من هذا وأشمل وهي من أكبر وأعظم قواعد الدين الإسلامي فيدخل فيها جزئيات كثيرة.

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالتَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّبْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ بَيَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أحلت لنا

مَيْتَانِ وَدَمَانٍ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ فَالْجَرَادُ وَالْحُوتُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» .

رواه أحمد ٩٧/٢، وابن ماجه ٣٣١٤، والبيهقي ٢٥٤/١، ٢٥٧/٩، والدارقطني ٢٧١/٤، ٢٧٢ من طرق هو بها حسن. وأخرجه البيهقي ٢٥٤/١ موقوفاً بسندٍ صحيح، وقال: إنه في معنى المسند، وصحَّحه هو والنوري في شرح المذهب ٥٦٦/٢.

جاء الحديث النبوي مخصّصاً للآية الكريمة، فالميتة والدم كلاهما محرم إلا ما في الحديث من مستثنيات، فالجراد والحيتان كلها حلال وإن لم تذكّى، كما أن الكبد والطحال مباحان وهما دم معقود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ .



عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله إنا ملاقوا العدو غداً وليس معنى مدى أفندبح بالقصب فقال: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة.

رواه أحمد ٤٦٣/٣، والبخاري في الذبائح والمظالم، ومسلم في الأضاحي ١٢٢/١٣، وأبو داود ٢٨٢١، والترمذي في الصيد ١٣٥٩، والنسائي ١٩٩/٧، وابن ماجه ٣١٧٨ وغيرهم.

الحديث يدل على أن كل ما أراق الدم من البهيمة يعني من حلقها مع ذكر اسم الله تعالى فهي ذكاة شرعية، غير أنه يستثنى من ذلك السن والظفر فلا يجوز التذكية بهما، وقد علل ذلك بما في الحديث. وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، هو استثناء متصل على قول الجمهور من قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْحَنِفَةَ﴾ فما بعدها، يعني إلا ما لحقتم من هذه على قيد الحياة فعملتم فيها الذكاة فإنها حلال.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ



الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

عن طارق بن شهاب رحمه الله تعالى قال: قالت اليهود لعمر رضي الله تعالى عنه: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت يوم عرفة، وأنا والله بعرفة... ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية.

رواه البخاري في الإيمان وفي المغازي، وفي التفسير ٣٣٩/٩، وفي الاعتصام، ومسلم ١٥٢/١٨، ١٥٣، ١٥٤، والترمذي ٢٨٤٧، والنسائي في الكبرى ٣٣٢/٦، ثلاثهم في التفسير. ورواه الأخير في الحج وفي الإيمان من المجتبى.

هذه آية عظيمة إذ فيها امتنان الله عز وجل على كافة الأمة الإسلامية بإتمام هذا الدين، وإسباغه تعالى علينا النعمة ورضائه لنا الإسلام ديناً، وهذه من النعم التي لا توازيها نعمة بل ولا تقاربها، وهي من النعم الخمس العظيمة التي لا يد للإنسان فيها، بل هي مجرد فضل ورحمة من الله علينا، والآية الكريمة من أواخر ما نزل من القرآن والأحكام والحلال والحرام... فيحق للمسلمين أن يتخذوا يوم نزولها عيداً وذكرى إخلاداً لتلك النعمة العظمى وشكراً لما من به علينا وأنعم، فسبحانه من إله عليم حكيم رؤوف رحيم، فلا إله إلا هو رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا رسول الله إنا بأرض تصيينا بها المخمصة فمتى تحل لنا بها الميتة؟ فقال: «إذا لم تصطبحوها ولم تغتبقوها ولم تحتفتوها بها بقلأ فشانكم بها».

رواه أحمد ٢١٨/٥، وسنده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أيضاً ابن جرير ٨٦/٥، ٨٧ من طرق، والحاكم ١٢٥/٤.

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً نزل الحرة ومعه أهله

وولده فقال رجل: إن ناقة لي ضلّت فإن وجدتها فأمسكها. فوجدها، فلم يجدها صاحبها فمرضت فقالت امرأته: انحرها فأبى، فنفقت فقالت: اسلخها حتى نقدد شحمها ولحمها ونأكله، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، فأتاه فسأله فقال: «هل عندك غنى يغنيك؟» قال: لا، قال: «فكلوها»، قال: فجاء صاحبها فأخبره الخبر فقال: هلا كنت نحرتها؟ قال: استحيت منك.

رواه أبو داود في الأئمة ٣٨١٦ بسند حسن.

﴿ أَضْطَرَّ ﴾، أي ألجىء، ﴿ مَحْضَمَةٌ ﴾، أي مجاعة، ﴿ مُتَجَانِفٌ ﴾، أي: مائل لِإِثْمٍ.

وقوله في الحديث: تصطبحووا، أي لا توقدوا سراجًا، وقوله: لم تغتبقوا، أي ليس لكم حليب تشربونه في الغبوق، أي العشي، وقوله: ولم تحتفتوا، أي لم تجدوا شيئًا من البقول في الأرض تقتلعونه وتأكلونه. والآية الكريمة تنص على أن الإنسان إذا اضطر، أي ألجأته الضرورة عند المجاعة إلى أكل المحرمات المتقدمة الذكر فلا حرج عليه، فالله غفور له رحيم به ما لم يكن في ذلك متعمدًا للأكل فوق الشبع ومنحرفًا إلى الإثم أو متعرضًا لمعصيته.

وجاء الحديث الأول يوضح حالة الاضطرار وهو أن لا يجد الإنسان ما يوقد به سراجًا ولا ما يشربه في مسائه ولا يجد بقلًا يطبخه ويسد به رمقه، ففي هذه الحالة له أن يتناول ما حرّم الله عليه من المطاعم والمشارب. أما الحديث الثاني فجاء مبيحًا للميتة عند فقدان ما يستغني به الإنسان عنها وذلك واضح، ومن هنا يعلم بطلان ما يدعيه كثير من الناس من قولهم الضرورات تبيح المحظورات بإطلاق، وقد يكون عنده ما يسد به رمقه وتكون له أثاث وأشياء فضلة قد تغنيه عن المحرمات وتعاطيها.

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله فقال: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك»، قلت: وإن قتلن؟ قال: «وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره»، قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، فقال: «إذا رميت بالمعراض فخرق فكله، وإن أصابه بعرض فإنه وقيد فلا تأكله».

وفي رواية: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدرسته حيًّا فاذبحه، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاته». وفي رواية: «فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه».

رواه أحمد ٢٥٦/٤، ٣٨٠، وفي مواضع، والبخاري في الوضوء، وفي الذبائح والصيد ٢٢/١٢، ٢٩ وفي التوحيد، ومسلم في الصيد ٧٣/١٣، ٧٨، وأبو داود ٢٧٤٧، والترمذي ١٣٣٣، ١٣٣٩، وباقي الجماعة ونحوه عندهم عن أبي ثعلبة الخشني.

من نعم الله تعالى علينا أن أباح لنا ما تأخذه لنا الكلاب المعلمة من الصيد بشرط أن يكون الكلب معلمًا ومدربًا عند صاحبه، وأن يذكر اسم الله تعالى عند إرساله، وأن لا يأكل من الصيد إذا أخذه لنفسه، وأن لا يشاركه كلب آخر في قتله.

وفي الحديث مع ما ذكرنا إباحة ما يقتل بالمعراض ونحوه إذا جرح الصيد وسمى الله تعالى عند الضرب، فإن ضرب ومات بلا جرح فهو ميت لا يؤكل. . . وأحكام الصيد مبسطة في مواضعها فلتراجع.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فاناخ رسول الله ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقداً، فأقبل أبو بكر فلكنزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة؟! فتمنيت الموت لمكان رسول الله ﷺ مني وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ إلى آخر الآية. فقال أسيد بن الحضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتمم إلا بركة لهم.

رواه البخاري في التيمم ١/٤٤٨، ٤٥١، وفي سورة المائدة ٩/٢٤١، ٢٤٢.

هكذا روى البخاري هذا الحديث في التفسير بأن هذه الآية نزلت بسبب قلادة مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وتقدم في النساء أن الآية النازلة بهذا السبب هي الآية الأخرى التي مرت، ولذلك جعل ابن العربي هذه المسألة من المعضلات التي لم يجد لها دواء، قال: لأننا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة، قال ابن بطال: هي آية النساء أو آية المائدة، وقال القرطبي: هي آية النساء ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر فيها للوضوء فيتجه تخصيصها بآية التيمم... إلخ، قال الحافظ: وخفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد لرواية عمرو بن الحارث إذ صرح فيها بقوله فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ . . . الخ. وما ذكره واضح، فإن هذه الرواية صريحة في المراد بنزول آية التيمم التي عنت سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء فقرَّب إليه طعام فقالوا: ألا نأتيك بوضوء؟ قال: «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة».

رواه أحمد ١٩٣٢، ٢٥٤٩، ٢٥٥٨، ٢٥٧١، وأبو داود ٣٧٦٠، والترمذي ١٦٩٣، والنسائي وهو في صحيح مسلم رقم ٣٧٤ بلفظ: «أريد أن أصلي فأتوضأ؟!»، وفي رواية: «ما أردت صلاة فأتوضأ».

وعن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شقَّ ذلك أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء إلا من حدث.

رواه أحمد ٢٢٥/٥، وأبو داود في السواك رقم ٤٨ بسندٍ حسنٍ، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلَّى الصلوات كلها بوضوء واحد ومسح على خفيه، فقال عمر: إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله، قال: عمداً فعلته.

رواه أحمد ٣٥٠/٥، ٣٥٨، والطيالسي ١٨٧، ومسلم ١٧٧/٣، وأبو داود ١٧٢، والترمذي ٥٣، والنسائي وابن ماجه ٥١٠ وغيرهم.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، قيل له: فأنتم ما كنتم تصنعون؟ قال: كنا نصلِّي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم نحدث.

رواه البخاري ٣٢٨/١، والترمذي ٥١، والنسائي ٧٣/١، والدارمي ٧٢٦، وابن ماجه ٥٠٩.

أحاديث الباب تدل على أن الوضوء واجب للصلاة، وهذا لا خلاف فيه فهو شرط صحة لها بالإجماع، ولا يجب إلا عند إرادتها بدليل ظاهر الآية: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ . . . ﴾ إلخ. وحديث ابن عباس والأحاديث الأخرى تدل على جواز الصلاة بوضوء واحد ما لم يطرأ حدث وناقض، لكن السنّة تجديده لكل صلاة.

وقوله تعالى: ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾.

الصحابة الذين رَووا لنا عن النبي ﷺ بيان صفة الوضوء المذكور في هذه الآية كثيرون وأشهرهم أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو والمستورد بن شداد والمقدام بن معديكرب وأبو أمامة ولقيط بن صبرة والمغيرة بن شعبة والذين استوعبوا صفة هم الإمام علي وعثمان وابن عباس وعبد الله بن زيد والربيع بنت معوذ رضي الله تعالى عنهم، وسنقتصر على أجمعها وأوعبها وهي كالآتي:

عن عبد خير رحمه الله تعالى قال: أتانا علي رضي الله تعالى عنه وقد صَلَّى فدعا بطهور فقلنا: ما يصنع بالطهور وقد صَلَّى، ما يريد إلا ليعلمنا، فأتى بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثاً، ثم تمضمض واستنثر ثلاثاً فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليمنى ثلاثاً، وغسل يده الشمال ثلاثاً، ثم جعل يده في الإناء فمسح رأسه مرة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً، ورجله الشمال ثلاثاً، ثم قال: من سرّه أن يعلم وضوء رسول الله ﷺ فهو هذا.

رواه أبو داود ١١١، ١١٢، ١١٣، والنسائي ٥٨/١، ٥٩ بسندٍ صحيح، ورواه الترمذي ٥٣/١، ٥٤ بنحوه وحسنه وصحّحه.

وعن حمدان بن أبان قال: رأيت عثمان رضي الله تعالى عنه توضأ

فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما ثم تمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم مسح رأسه، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا...

رواه البخاري ١/٢٧٧، ومسلم ٣/١٠٥، ١٠٦، ١١٠.

وعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه أنه سئل هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال: نعم، فدعا بوضوء فأفرغ على يديه، فغسل يديه ثم تمضمض واستنثر ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

رواه البخاري ١/٣٠١، ٣٠٥، ومسلم ٣/١٢١، ١٢٥، وباقي الجماعة، فهذه الأحاديث الثلاثة من أجمع ما جاء في بيان آية الوضوء عن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.



عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنأدى بأعلى صوته: «أسبغوا الوضوء ويلٌ للأعقاب من النار».

رواه البخاري ١/١٥٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ومسلم ٢٤١، وأهل السنن إلا الترمذي. ورواه الشيخان والترمذي ٣٧ عن أبي هريرة. ورواه أحمد ٤/١٩١، والحاكم ١/١٦٢، عن عبد الله بن الحارث بلفظ: «ويلٌ للأعقاب وبطن الأقدام من النار»، وفي الباب عن عائشة وجابر وغيرهما.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً توضع فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ وقال: «ارجع فأحسن وضوءك».

رواه مسلم ١٣٢/٣.

وفي رواية عن بعض الصحابة أنه ﷺ رأى رجلاً يصلي، وفي ظفر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة.

رواه أبو داود ١٧٥ بسند قوي صحيح.

في هذه الأحاديث وعيد شديد لمن ترك بعض رجليه فلم يغسلها أو مسح عليهما مباشرة بدون خفين، وهي بالتالي دالة على وجوب استيعابهما بالغسل وهو إجماع من أهل السنة؛ للآية الكريمة وللأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ فعلاً وقولاً، ومع ذلك خالفها الروافض من الشيعة فلم يقولوا بذلك وأوجبوا المسح فقط ولا مستند لهم في ذلك. وقراءة الكسر من أرجلكم هي قراءة صحيحة لكنها محمولة على المسح على الخفين جمعاً بين النصوص، وأحاديث المسح على الخفين متواترة كالتوقيت فيه، والكلام على هذا الموضوع في كتاب الطهارة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.



عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختانُ الختانُ فقد وجب الغسل».

رواه مسلم ٤٠/٤، ٤٣.

وفي رواية: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل».

رواه البخاري ٤١٠/١، ومسلم ٣٩/٤، ٤٠ عن أبي هريرة.

وفي رواية: «إذا التقا الختانان وتوارت الحشفة فقد وجب الغسل».

رواه ابن ماجه ٦١١ وغيره .

هذه الأحاديث فيها بيان الجنابة التي توجب التطهر والغسل وهي مغيب الحشفة في الفرج وإن لم يحصل إنزال وخروج مني، وهذا إجماع بعد خلاف فيه، فالجُنُب بضمين هو من أصابته جنابة كالتقاء الختانيين وكذا خروج مني . . .

أما صفة التطهر فيَّنه مستوعبًا حديثان وهما:

عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بهما أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيده، ثم يفيض على جلده كله . وفي رواية: كان إذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء نحو الحلاب فأخذ بكفه بدءًا بشق رأسه الأيمن، ثم الأيسر، ثم أخذ بكفيه فقال بهما على رأسه .

رواه البخاري ٣٧٤ / ١ بالأولى، ومسلم ٢٢٨ / ٣ بالثانية .

وعن ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: صببت للنبي ﷺ غسلًا فأفرغ يمينه على يساره فغسلهما ثم غسل فرجه، ثم قال بيده الأرض فمسحها بالتراب ثم غسلها ثم تمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ويديه، ثم أفاض على جسده، ثم تحول من مكانه فغسل قدميه . وفي رواية: فغسل كفيه مرتين أو ثلاثًا، ثم أدخل يده في الإناء ثم أفرغ به على فرجه وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فدللكها دلكًا شديدًا، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملء كفه، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ثم أتيته بالمنديل فرده .

رواه البخاري ٣٨٣ / ١، ومسلم ٣٣١ / ٣ .

هذه هي صفة الطهور الكاملة التي جاءت من حضرة النبي ﷺ تبين الآية الكريمة .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ .

عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً معترلاً لم يصل في القوم فقال: «يا فلان ما منعك أن تصلي في القوم؟»، فقال: يا رسول الله أصابتنى جنابة ولا ماء، قال: «عليك بالصعيد فإنه يكفيك» .

رواه البخاري ٤٦٨/١، ٤٧٥ وترجم عليه: باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء . . .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فإن ذلك خير» .

رواه عبد الرزاق ٩١٢، ٩١٣، وابن أبي شيبة ١٦٦١ في مصنفيهما، وأبو داود ٣٣٣، ٣٣٢، والترمذي ١٠٩، والنسائي ١٣٩/١، وابن حبان ١٩٦، ١٩٧ بالموارد، والحاكم ١٧٦/١، ١٧٧، والبيهقي ٧/١ وحسنه الترمذي وصححه .

في الحديثين دليل كالأية على أن الصعيد الطاهر يقوم مقام الماء عند فقدانه أو عند حدوث مرض ونحوه. والصعيد كما في القاموس التراب أو وجه الأرض، زاد في المصباح: تراباً كان أو غيره. قال الزجاج: لا أعلم خلافاً بين أهل اللغة في ذلك، وقال ابن أبي زيد في رسالته المشهورة: والتيمم بالصعيد الطاهر وهو ما ظهر على وجه الأرض منها من تراب أو رمل أو حجارة أو سبخة. وقال القاضي عياض في المشارق: الصعيد وجه الأرض. وقال ابن حزم في المحلى: الصعيد وجه الأرض في اللغة التي نزل

بها القرآن . وقال البغوي في شرح السنة : الصعيد هو التراب والصعيد وجه الأرض والطيب الطاهر .

وعن عبد الرحمن بن أبزي رحمه الله تعالى قال : جاء رجل إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال : إني أجنبت فلم أصب الماء ، فقال عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه لعمر : أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكت فصليت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : «إنما يكفيك هكذا» ، فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه . وفي رواية : «يكفيك الوجه والكفان» .

رواه البخاري ١/٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ومسلم ٤/٦٢ ، وباقي الجماعة .

وفي رواية قال : سألت النبي ﷺ عن التيمم فأمرني بضربة واحدة للوجه والكفين .

رواه أبو داود ٣٢٧ ، وسنده صحيح .

في الحديث بيان لصفة التيمم وأنه يمسح الوجه والكفان وأن ما أطلق في الآية من الأيدي مقيدة بالكفين فقط ، كما أنه يكتفي بضربة واحدة للوجه والكفين معاً . وبما في هذا الحديث قال عامة المحدثين وجمهور الأئمة والعلماء كما قال النووي في شرح مسلم والحافظ في الفتح .

قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ .

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نزل منزلاً وتفرق الناس في العشاء يستظلون تحتها وعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ فأخذه فسله ثم أقبل على النبي ﷺ فقال : من يمنعك مني؟ قال : «الله عز وجل» ، قال الأعرابي مرتين أو ثلاثاً : من يمنعك مني؟

والنبي ﷺ يقول: «الله»، قال: فشام الأعرابي السيف فدعا النبي ﷺ أصحابه أخبرهم خبير الأعرابي وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه. وقال معمر: كان قتادة يذكر نحو هذا ويذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ فأرسلوا هذا الأعرابي وتأول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اٰن يَبْسُطُوٓا۟ اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ﴾.

رواه ابن جرير ١٤٦/٦، والبيهقي في الدلائل ٣٧٤/٣، زاد في الدر المنثور ٣٥/٣ عبد بن حميد وابن المنذر، وسنده صحيح رجاله رجال الصحيحين. ورواه أحمد ٣١١/٣، ٣٦٤، ٣٩٠، والبخاري في الجهاد وفي غزوة ذات الرقاع ٤٣٠/٨، ٤٣٢، ومسلم في الفضائل ٤٤/١٥، ٤٥، والحاكم ٢٩/٣ بنحوه بدون ذكر الآية.

والأعرابي هو غَوْرَثُ كما جاء مسمى في رواية.

وفي الآية الكريمة تذكير بنعمته تعالى على الصحابة... حيث كف عنهم أيدي الأعداء بعد أن هموا بالإيقاع بهم، والحديث ظاهر في أن سبب الآية هو ما ذكر فيه، ورجح ابن جرير قول من قال: إن السبب هو همُّ يهود بني النضير بقتل النبي ﷺ بإلقاء الرحي عليه، واستدل لذلك بسياق الآية... والله تعالى أعلم. وفي الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ وعصمته من كيد الكائدين.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ اَلْكِتٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيْرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُوْنَ مِنَ اَلْكِتٰبِ وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيْرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُوْرٌ وَّكِتٰبٌ مُّبِيْنٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ اَلْكِتٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا...﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٣٣٣/٦، وابن جرير ١٦١/٦، وابن حبان ١٥١١

بالموارد، والحاكم في الحدود ٣٥٩/٤ وصححه ووافقه الذهبي .

الآية مع الأثر يدلان على أن اليهود كانوا يكتمون كثيراً من الأحكام التي كانت عندهم في التوراة، فجاء رسولنا العظيم يفضحهم ويبين ما أخفوه، وكان من ذلك آية الرجم، كما جاء في الحديث المخرج في الصحيحين وقد تقدم في آل عمران عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ مَنْ أَبْتَلَاُ اللَّهُ وَأَجْبَلُوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال فخفضهم النبي ﷺ فقال: «ولا الله يلقي حبيبه في النار».

رواه أحمد ١٠٤/٣، ٢٣٥، وأبو يعلى ٣٧٣٥، والحاكم، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في المجمع ٣٨٣/١٠ برواية أحمد والبخاري وأبي يعلى وقال: رجالهم رجال الصحيح.

في الحديث بشارة لمن يحب الله عز وجل فإنه ما كان محباً لله عز وجل حتى سبقته محبة الله، وفيه إشارة مع الآية الكريمة إلى الرد على مزاعم اليهود والنصارى، فإن الأمر لو كان كما زعموا من أنهم أبناء الله وأحباؤه لما عذبهم لأن الحبيب لا يعذب حبيبه، وهم سيكونون أشد الناس عذاباً، فبطلت دعواهم وانهارت مزاعمهم.

ومن اللطائف ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره حيث قال: وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب

لا يعذب حبيبه، فلم يرد عليه، فتلا عليه الصوفي هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾. وهذا الذي قاله حسن.

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد، ليس بيننا نبي».

رواه أحمد ٣١٩/٢، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١، والبخاري في ذكر مريم من كتاب الأنبياء ٢٩٨/٧، ٢٩٩، ومسلم في الفضائل ١١٩/١٥، وأبو داود في كتاب السنة ٤٦٧٥.

قوله: إخوة علات، في رواية: أبناء علات، وفي أخرى: أولاد علات، والعات بفتح العين هن الضرائر وأولادهن هم الإخوة من أب واحد وأمهاتهم شتى وهذا تمثيل لاختلاف شرائع الأنبياء، فأمهاتهم هي شرائعهم، وأصل التوحيد متفقون فيه فهو كالأب لهم.

والحديث يدل على أنه ليس بين نبينا وعيسى عليهما الصلاة والسلام نبي، فكانت بعثته ﷺ بعد فترة من الرسل كما في الآية الكريمة، وأصح ما قيل في المدة التي كانت بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة، كما ذكره البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه... هذا وسيأتي مزيد لهذا عند قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْشُونَ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: جاء المقداد رضي الله تعالى عنه يوم بدر وهو على فرس له فقال: يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا...﴾ إلخ، ولكنه امضه ونحن معك، فكانه سُري عن رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير ٣٤٢/٩، والنسائي في الكبرى ٣٣٣/٦، والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سار إلى بدر فاستشار المسلمين فأشار عليه أبو بكر، ثم استشار رجلاً فأشار عليه عمر، ثم استشارهم، فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله ﷺ، قال: إذا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هُمُنَا قَتَلُوكَ﴾ والذي بعثك بالحق لو ضربت كبدنا إلى برك الغماد لاتبعناك.

رواه أحمد ٣/١٠٥، ١٨٨، والنسائي في الكبرى ٣٣٤/٦، وأبو يعلى ٣٧٦٦، ٣٨٠٣، وابن حبان ٤٧٠١ مع الإحسان بسند صحيح.

وفي رواية عنه: أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا... إلخ.

رواه مسلم ١٢/١٢٤ مطولاً في غزوة بدر من كتاب الجهاد.

برك بفتح الباء وسكون الراء، والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها موضع بطرف اليمن وقيل غير ذلك. وفي الحديثين فضل ظاهر لصحابة رسول الله ﷺ وبالأخص الأنصار هنا رضي الله تعالى عنهم جميعاً حيث كانوا طوع أمره ﷺ، وبذلك يعرف البون الشاسع والفرق الكبير بينهم وبين اليهود

أصحاب سيدنا موسى عليه الصلوة والسلام حيث إن الصحابة أطاعوا الرسول وقالوا له: لو خضت بنا البحر لخضنا معك ولو أمرتنا أن نذهب معك بعيداً إلى برك الغماد لكنا طوع أمرك... وهكذا قاتلوا معه ودونه ونصروه وقدموا بين يديه أرواحهم حتى آخر رمق من حياته ﷺ، بينما اليهود لما أمرهم نبيهم بأمر الله أن يقاتلوا الجبارين قالوا له تلك القولة المقيمة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن القوم لم يكن معهم أدب ولا احترام ولا تعظيم لا لله ولا لرسوله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فهذه طبيعة اليهود وهذه أخلاقهم.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ آتٍ ءَادَمُ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل».

رواه أحمد ١/٣٨٣، ٤٣٠، والبخاري في الأنبياء ١٧٩/٧ وفي الديات وفي الاعتصام، ومسلم في القسامة ١١/١٦٦، والترمذي في العلم ٢٤٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/٣٣٤ وفي المجتبى، وابن ماجه في الديات ٢٦١٦.

كفل بكسر الكاف أي نصيب. وفي الحديث وعيد شديد لابن آدم قابيل الذي قتل أخاه هابيل عدواناً وظلماً، وإن جميع ما يراق من الدماء بغير حق في هذه الأرض فعليه نصيب منها لأنه أول من سن هذه السنة الظالمة، وقد قصَّ الله عزَّ وجل علينا في القرآن قصته مع أخيه وما دار بينهما وكان الحامل له على قتله هو الحسد وهو أول شر وقع في الأرض... وارجع إلى الآية الكريمة لتحيط بالقصة علماً.

قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال عند فتنة عثمان:

أشهد أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»، قال: «أفأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابني آدم». وتلا: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَى يَدِكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾». رواه أحمد ١/١٨٥، وأبو داود في الفتن ٤٢٥٧، وفي رواية عنده: «كن كابن آدم»، والترمذي في الفتن أيضاً ٢٠٢٥ بسند صحيح على شرط مسلم.

ونحوه عن أبي موسى الأشعري وفيه: «فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل — يعني على أحد منكم — فليكن كخير ابني آدم». رواه أبو داود ٤٢٥٩، والترمذي رقم ٢٠٣٤، وابن ماجه ٣٩٦١، وابن حبان ١٨٦٩ بالموارد وسنده صحيح.

ما في الحديثين محمول على الفتنة والقتال بين المسلمين عند اشتباه الحق بالباطل، ففي هذه الحالة ينبغي للمؤمن الملتزم أن يكف عن الدخول في الفتنة وأن لا يقاتل أحداً بل يسلم نفسه لمن يقتله كما وقع من هابيل حيث استسلم لأخيه قابيل وقال له ما ذكره الله تعالى في هذه الآية، أما عند ظهور جانب الحق فيجب قتال المبطلين من البغاة وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِئْمِي وَإِئْتِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾. عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟» قلت: الله ورسوله أعلم، أو قال: ما خار الله لي ورسوله، قال: «عليك بالصبر» أو قال: «تصبر»، ثم قال لي: «يا أبا ذر»، قلت: لبيك وسعديك، قال: «كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم؟» قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: «عليك بمن أنت منه»، قلت: يا رسول الله ألا أخذ سيفي وأضعه على عاتقي؟ قال: «شاركت القوم إذن»، قلت: فما تأمرني؟ قال: «تلتزم بيتك»،

قلت: فإن دخل عليّ بيتي؟ قال: «فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فالتق ثوبك على وجهك يبيوء بإثمك وإثمه».

رواه أحمد ٥/١٦٣، وأبو داود ٤٢٦١، وابن ماجه ٣٩٥٨، وابن حبان ١٨٦٢،
١٨٦٣، والحاكم ٤/٤٢٣، ٤٢٤، والبيهقي ٨/١٩١ وسنده صحيح وصححه الحاكم
على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: يا أبا عبد الله، ما تأمرنا
إذا اقتتل المصلون؟ قال: أمرك أن تنظر أقصى بيت من دارك فتلج فيه، فإن
دخل عليك فتقول: ها بؤُ بإثمي وإثمك فتكون كابن آدم.

رواه الحاكم ٤/٤٤٤، ٤٤٥ وصححه على شرط الشيخين، وأورده ابن كثير عن
ابن مردويه وذكره مرفوعاً وقال فيه: لئن اقتلتهم لأنظرون إلى أقصى بيت في داري
فلألجئته، فلئن دخل علي فلان لأقولن ها بؤُ بإثمي وإثمك فأكون كخير ابني آدم.

فما ذكر في الحديثين هو تفسير لقوله تعالى حكاية عن هابيل في قوله
لأخيه، ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ﴾، أي: ترجع بإثم قتلي إن قتلتني وإثمك الذي
كان منك قبل قتلي فتصير من أصحاب النار. والحديثان أيضاً محمولان كما
قلنا على أيام الفتن والقتال بين المسلمين عند عدم ظهور الحق، فالورع
عندئذ الاعتزال وعدم الدخول مع الناس في فتنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا
مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن نفرًا من عُكْل قدموا على
رسول الله ﷺ فأسلموا واجتوا المدينة فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل
الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث
النبي ﷺ في طلبهم قافة فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم

يَحْسَمُهُمْ وَتَرْكُهُمْ حَتَّى مَاتُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ...﴾ الآية.

رواه البخاري في الطهارة وفي الجهاد وفي المغازي وفي الحدود وفي التفسير ٣٤٣/٩، ومسلم في القسامة ١١/١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، وأبو داود في الحدود ٤٣٦٤، ٤٣٦٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣٣٤ وفي المجتبى.

الآية الكريمة والحديث الشريف كلاهما يدلان على أن حكم المفسدين وقاطعي السبيل ومخيفي المسلمين... أن يخير فيهم الإمام والحاكم الإسلامي بين أن يقتلهم أو يصلبهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفيهم من الأرض إلى بلاد أخرى. وهذا الحكم يجري في كل من أفسد في الأرض بالقتل أو قطع الطريق أو نشر ما يفسد العقول كأرباب المخدرات ونحو ذلك...

وقوله في الحديث: فاجتووا المدينة أي لم يوافقهم هواؤها فمضوا. وقوله: سمل أعينهم، أي فقأها. وفي رواية: سمر بالميم، أي كحلها بمسامير. وقوله: لم يحسمهم، أي لم يكو منهم موضع القطع بل تركهم كذلك حتى نذفوا فماتوا...

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُمْ لَيَفْتَدُونَ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ كان يقول: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟» فيقول: نعم، فيقال له: «قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك».

وفي رواية: «يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، ألا تشرك ولا أدخلك النار، فأبيت إلاً

الشرك». وفي رواية: فيقال له: «كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك».

رواه البخاري في الرقاق ١٩٣، ١٩٥ ومسلم في صفات المنافقين رقم ٢٨٠٥ وغيرهما.

ليس في القيامة بالنسبة للكافر فدية ولا شفاعة، فلو أراد أن يفدي نفسه من النار بكل ما في الأرض من متاع لو أعطيه لما قبل منه ذلك، فقد فات الأوان وليس له إلا السعير والعذاب الذي لا يطاق، عيادًا بالله منه.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّوَاتٍ لِلْكَذِبِ سَمَّوَاتٍ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحُفُوفِ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ سَمَّوَاتٍ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَائِنِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: «مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بيهودي محممًا مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا

أَنْكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أَخْبِرْكَ، نَجَدَهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكَنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقْمَنَّا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قَلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نَقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُولُ مِنْ أَحْيَا أَمْرِكَ إِذْ أَمَاتُوهُ. فَأَمَرَ بِهِ فَرَجَمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تُوْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾. يَقُولُ: إِيْتَا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣﴾﴾ فِي الْكُفْرِ كُلِّهَا.

رواه أحمد ٤/٢٨٦، ومسلم في الحدود رقم ١٧٠٠.

هذه الآيات كلها جاءت في اليهود ومخازيهم وبيان افتراءهم وتحريفهم كلام الله تعالى المنزل عليهم وكذبهم على الرسول ﷺ في شأن الرجم... والحديث الشريف يدل على مشروعية إقامة الحدود على أهل الذمة إذا كانوا تحت ذمة دولة الإسلامية، وقد اختلف الأئمة في وجوب ذلك وعدمه، وظاهر قوله تعالى الآتي: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ الخ، الوجوب، فيكون فعله ﷺ في رجم ذلك اليهودي وغيره مؤيداً لذلك لأن الأفعال النبوية إذا كانت بياناً للقول القرآني أو النبوي كانت دالة على الوجوب كما هو معروف.

والآيات الأخيرة في كفر وظلم وفسق من لم يحكم بما أنزل الله وإن كانت نزلت في شأن اليهود فذيلها منجر علينا اتفاقاً، يبقى الأمر فيما يعتقد

الحاكم إن كان ينتمي للإسلام، فإن اعتقد حلية الحكم بغير شريعة الإسلام فهو كافر لا حظ له في دين الإسلام، وإن اعتقد الحرمة واعترف بظلمه . . . فهو عاص آثم له ما يستحقه الظلمة يوم القيامة من عذاب ونكال . . . فإن تاب وأقلع عما هو عليه تاب الله تعالى عليه .

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم الدية كاملة .

رواه أحمد ١/٣٦٣، وأبو داود ٣٥٩١، والنسائي ١٧/٨ وهو حديث صحيح .

وبهذه العنصرية وأمثالها أهلكهم الله وأخزاهم، كما يفعل بنا اليوم!!!

قوله تعالى: ﴿ وَكَلَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ﴾ .

عن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر . . .» الحديث .

رواه أحمد ١/١٢٢، وأبو داود ٤٥٣٠، والنسائي والطحاوي والبيهقي ٨/٢٩، بسند صحيح، ولا يضر عننة قتادة ولا الحسن، فقد رواه أحمد ٢/١٩١، ١٩٢، ٢١١، وأبو داود ٢٧٥١، ٤٥٣١، وابن ماجه ٢٦٥٩، ٢٦٨٥ وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو وسنده حسن .

نقل غير واحد الإجماع على أن هذه الآية وإن كانت في اليهود

فحكمتها عام فيهم وفينا، وكذلك جاءت النصوص النبوية التي منها الحديث المذكور، فدماء المسلمين كلها سواء لا فرق بين الشريف والوضيع، ولا بين الذكر والأنثى، وأحكام النبي ﷺ في ذلك كثيرة:

فمنها على سبيل المثال ما ورد في حديث أنس رضي الله تعالى عنه: أن الرُبَيْعَ عمة أنس كسرت ثنية جارية فطلبوا إلى القوم العفو فأبوا، فأتوا رسول الله ﷺ فقال: القصاص، فقال أخوها أنس بن النضر: يا رسول الله تكسر ثنية فلانة؟ فقال رسول الله ﷺ: يا أنس كتاب الله القصاص... الحديث.

رواه أحمد ١٢٨/٣، والبخاري في تفسير سورة البقرة وغيره، ومسلم في القسامة، وقد تقدم في البقرة مطولاً.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا^٤﴾ قال: تقتل النفس بالنفس، وتفقد العين بالعين، ويقطع الأنف بالأنف، وتنزع السن بالسن، وتقتص الجراح بالجراح.

رواه ابن جرير ٢٥٩/٦، وابن أبي حاتم ١١٤٤/٤، وسنده لا بأس به غير أن فيه انقطاعاً.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رجلاً عض يد رجل فنزع يده فوعدت ثنيته فاختصما إلى النبي ﷺ فقال: «يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل؟ لا دية لك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا^٤﴾.

رواه الشيخان والترمذي ١٢٨٦، والنسائي وابن ماجه ٢٦٥٧، والدارمي ٢٣٨١ وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ^٥﴾.



عن أبي السفر قال: كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية، فقال معاوية: إنا سنرضيه، فألح الأنصاري، فقال

معاوية: شأنك بصاحبك، وأبو الدرداء جالس، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة»، فقال الأنصاري: أنت سمعت هذا من رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ قال: نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي. يعني فعفا عنه.

رواه أحمد ٤٤٨/٦، والترمذي في الديات ١٢٦٢، وابن ماجه ٢٦٩٣ وسنده صحيح رجاله رجال الصحيح غير أن أبا السفر وهو سعيد بن يَحْمُد لم يسمع من أبي الدرداء لكن الحديث صحيح بلا قصة، فقد أخرج أحمد ٣١٦/٥ وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به»، وسنده صحيح وصححه السيوطي، وقال المنذري ثم الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وله شاهد ثان عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، رواه أحمد ٤١٢/٥ ومُحَرَّر لم يوثقه غير ابن حبان. وعلى كل فالحديث صحيح خلافاً لمن ضعفه بإطلاق لا سيما والقرآن يؤيده نصاً.

ففي الآية والحديث فضل العفو عن الجاني من المجني عليه وأن ذلك من موجبات تكفير خطاياها، وكفى بذلك فضلاً، فإن مغفرة الذنوب هي منى كل مؤمن.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.



تقدّم حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد».

وانظر ما سلف عند قوله تعالى: ﴿فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ...﴾ الآية ١٩. ومعناه: أن ديننا وهو أصول الدين من العقائد وما يتصل بها متفق عليه بين سائر الأنبياء، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وهذه هي دعوة الرسل

جميعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أما الشرائع وفروعها من الأحكام والفرائض والحلال والحرام فهم مختلفون فيها، وهذا هو المراد بالآية هنا، فلكل رسول شريعة وطريق، فقد يكون الشيء محرماً في شريعة مباحاً في أخرى، ويكون سهلاً خفيفاً عند قوم، وشديداً شاقاً عند آخرين. واستدل بعض الأصوليين بهذه الآية على أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، والموضوع فيه كلام، والصواب فيه التفصيل كما يعرف من كتب الأصول.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١).

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال: يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥١).

رواه ابن إسحاق ١٢١/٢، ومن طريقه ابن أبي حاتم ١١٥٥/٤، وابن جرير ٢٧٥/٦ وهو مرسل حسن. وله عدة شواهد: عن عطية بن سعد والزهري رواهما ابن جرير أيضاً ٢٧٥/٦. وعن عاصم بن عمر بن قتادة، رواه ابن إسحاق ١٢١/٢ مع شرح الروض الأنف. وانظر: ابن سعد ٣٦/٢ وسيرة ابن هشام ١١/٣، وهي وإن كانت مراسيل فإنها تتأيد كما هو معروف في علوم الحديث.

والآية مع الحديث يدلان على وجوب البراءة من الكفار وتحريم موالاتهم واتخاذهم أنصارًا وحلفاء وأولياء وأصدقاء وقد جهل المسلمون اليوم هذه الحقيقة فوالوا الكفار على أوسع نطاق حتى ذابت شخصيتهم في شخصية الكفار ولم يبق لهم إلاّ الأسمي وبعض الشعارات والله تعالى يقول:

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ... ﴾ إلخ.

قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

عن عياض الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ﴾ إلخ، قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا»، يعني أبا موسى الأشعري.

رواه الطبراني في الكبير ٣٧١/١٧، قال الهيثمي في المجمع رقم ١٠٧٦: ورجاله رجال الصحيح.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ﴾ إلخ، قال: «هم هؤلاء قوم من اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من التجيب».

رواه ابن أبي حاتم ١١٦٠/٤، والطبراني في الأوسط ١٤١٤. قال الهيثمي ١٠٧٧: وإسناده حسن.

في الآية الكريمة والحديثين فضل ذلك الوفد اليمني الذي كان يرأسه أبو موسى رضي الله تعالى عنه وعنهم. وفي الآية شهادة من الله عز وجل بأنه يحبهم ويحبونه ويا لها من بشارة وكرامة.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١٦﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: «إن الله لم يهلك قوماً أو قال: لم يمسح قوماً فيجعل لهم نسلًا ولا عقبًا، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك» .

رواه مسلم في القدر ١٦/٢١٣، ٢١٤، وأحمد ١/٣٩٠، ٤١٣ .

وفي رواية: سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «لا، إن الله لم يلعن قوماً قط فمسحهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق، فلما غضب الله على اليهود فمسحهم جعلهم مثلهم» .

رواه أحمد ١/٤٢١، والطيالسي وابن أبي حاتم ٤/١١٦٥ وغيرهم .

الحديث كالأية يدلان على أن من اليهود فئة قد مسخوا قردة وخنازير بعد أن لعنهم الله وغضب عليهم، كما أن الحديث يدل على أن القردة والخنازير الموجودة هي من جملة ما خلق الله من الكائنات وليست من بقايا ممسوخ بني إسرائيل، فإن الحديث صريح في أن الممسوخ لا نسل له ولا عقب .

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَةَ يُبْئِنُهُمُ الْعَدْوَةَ وَالْبَعْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

رواه الطبراني في الكبير رقم ٢٤٩٧، وقال الهيثمي ١٠٩٧٩: ورجاله ثقات.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يمين الله ملائ سحاء لا يغيضها الليل والنهار، قال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه، وعرشه على الماء، ويده الأخرى الميزان يخفض ويرفع».

رواه أحمد ٥٠٠/٢، والبخاري في سورة هود ٤٢١/٩ وفي التوحيد، ومسلم في الزكاة ٧٩/٧، والترمذي في التفسير ٢٨٤٩، وابن ماجه وكذا أحمد وغيرهم.
قوله: سحاء بفتح السين والحاء المشددة الممدودة، أي دائمة الصب والعطاء، وقوله: لا يغيضها، أي لا ينقصها.

وفي الآية وحديث أبي هريرة رد على اليهود الملاعين الذين وصفوا الله عز وجل بالبخل. فبين تعالى لهم ولغيرهم أنه عز وجل جواد كريم وأن يمينه ملائمة دائمة العطاء لا ينقصها الليل والنهار. ولذا قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧).
وما في حديث أبي هريرة من ذكر اليمين وما ذكر في الآية من اليد واليدين يجب الإيمان بها كما جاءت من غير أن تفسر أو يتوهم فيها تشبيه أو تكيف، قال أبو عيسى الترمذي عند هذه الآية وهذا الحديث: قال الأئمة: يؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم، هكذا قاله غير واحد من الأئمة، منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن عيينة، وابن المبارك، أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا يقال كيف...

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَمْعَلُونَ﴾ (١٦).

عن زياد بن لبيد رضي الله تعالى عنه أنه قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً

فقال: وذلك حين ذهب العلم قال: قلنا: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، وأبناؤنا يقرئونه أبناءهم إلى يوم القيامة، فقال: «ثكلتك أمك يا ابن لييد إني كنت لأراك من أफقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيها بشيء».

رواه أحمد ٤/١٦٠، ٢١٨، ٢١٩، والطيالسي ١٠٣، وابن ماجه ٤٠٤٨، والحاكم ١/١٠٠ وسنده صحيح. ولا يضر ما قيل في انقطاعه فإنه وارد عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت، رواه الترمذي ٢٤٦٨، والدارمي ٢٩٤، والحاكم ١/٩٩ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد آخر عن عوف بن مالك، رواه أحمد ٦/٢٦، وابن حبان ١١٥، والحاكم ١/٩٨، ٩٩ وسنده صحيح. وانظر بداية الوصول لكتابه رقم ٥٦.

الآية الكريمة جاءت تنعي على اليهود ما سلكوه مع كتبهم من التبديل والتغيير والإعراض عما فيها من هداية وأنهم لو كانوا عملوا بمقتضاها لأغدق الله تعالى عليهم النعم ولهداهم ذلك إلى الإيمان بخاتم الرسل ونبي الإسلام ﷺ. وجاء الحديث الشريف يبين أن وجود التوراة والإنجيل بين ظهراي اليهود والنصارى من غير عمل بما فيها لا يجدي شيئاً ولا ينتفعون بما احتوتوا عليه من نور وهداية. وهكذا الحال فينا مع القرآن إذا نحن أهملنا العمل بما فيه وأعرضنا عما يدعوننا إليه لا ينفعنا وجوده ولا قراءته كما هو حال أكثر المسلمين اليوم ولا سيما القائمين على الشعوب فإنهم تنكروا لشريعة الإسلام تنكراً سافراً.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ثلاث من قال واحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، من زعم أنه يعلم ما في غد، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴿ [لقمان : ٣٤] ، ومن زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي ، والله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ . . . ﴾ إلخ ، ومن زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٧٦﴾ ، ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ . . . ﴾ إلخ [الشورى : ٥١] ، قيل : يا أم المؤمنين ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ﴿١٣﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَيْمَنِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ، فقالت : سألتنا عن ذلك نبي الله ﷺ فقال : « رأيت جبريل عليه السلام ينزل من الأفق على خلقه وهيبته أو على خلقه وصورته ساداً ما بينها » .

رواه أحمد ٤٩/٦ ، ٥٠ ، والبخاري في التفسير ٣٤٤/٩ وفي بدء الخلق وفي التوحيد ، ومسلم في الإيمان ، والترمذي ٢٨٧٠ ، ٣٠٦٨ ، والنسائي في الكبرى ٣٣٦ ، ٣٣٥/٦ كلاهما في التفسير ويأتي في سورة الأنعام وغيرها وهناك سيشرح بإذن الله وتوفيقه ما تبقى منه .

والآية الكريمة صريحة في الأمر الإلهي لنبية الكريم ﷺ بتبليغ ما أمر بتبليغه ، وقد بلغ ونصح وما كتم شيئاً من الوحي الإلهي وحاشاه من ذلك ، وكذلك كان يقول : «اللَّهُم هل بلغت ، اللهم فاشهد» ، كما قال ذلك في حجة الوداع . . . ولذلك حكمت السيدة عائشة هنا بالفرية والكذب على من زعم أنه كتم شيئاً كما تزعمه الشيعة الروافض بأنه ﷺ كتم أشياء ادخرها للأئمة الأوصياء ، في ترهات وأباطيل من افتراءاتهم . . .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .



عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم : « يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » .

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٥٠، والحاكم ٣١٣/٢، وابن جرير ٣٠٨/٦، وابن أبي حاتم ١١٧٣/٤، ١١٧٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في الفتح. في الآية الكريمة مع الحديث الشريف بيان فضل نبينا ﷺ واهتمام الله تعالى به وحفظه من أعدائه وأنه سيبقى سالمًا حتى يؤدي رسالة ربه.

قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي فنهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال: «لا، والذي نفسي بيده حتى تَأْطِرُوهُمْ أَطْرًا».

وفي رواية: «إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل فيهم يرى أخاه يقع على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رآه منه أن يكون أكله وشربه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية، وقرأ حتى بلغ: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨١)، وكان النبي ﷺ متكئا فجلس فقال: «لا، حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرا».

رواه أحمد ١/٣٩١، وأبو داود ٤٣٣٦، والترمذي ٢٨٥١، وابن ماجه ٤٠٠٦، وابن جرير ٦/٣١٨، ٣١٩، وابن أبي حاتم ٤/١١٨١، وهو وإن كان في سنده ضعف، فإن له شاهداً بنحوه عن أبي موسى الأشعري. رواه الطبراني في الكبير ٧٧٦٧، قال الهيثمي في المجمع رقم ١٢١٥٣: ورجاله رجال الصحيح.

قوله: تأطروهم بكسر الطاء، أي تمنعوهم.

وفي الآية مع الحديث تهديد شديد للعصاة المصرين وجلسائهم ولو كانوا من المنكرين عليهم، فإن الواجب يقتضي مجانية مجالستهم والاستئناس بهم بعد الإنكار عليهم مع إصرارهم وعدم ارعوائهم وتوبتهم. فبهذا لعن الله بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم كما فصلت ذلك الآية وزادها الحديث بياناً. وما حصل من بني إسرائيل هو واقع المسلمين من هذه الأمة إلا من رحم الله، ولذلك ضرب الله قلوب الجميع وأنزل بنا بأسه ونقمته وسلط علينا الأشرار...

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ...﴾ الخ. رواه النسائي في الكبرى ٦/٣٣٦، وابن جرير ٥/٧، وابن أبي حاتم ٤/١١٨٥، وعزاه النور في المجمع ٩/٤١٩ للبخاري، وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بن بحر وهو ثقة.

فيه الثناء الجميل من الله عز وجل على هؤلاء الكتابيين وحق لهم ذلك، فإن البكاء من خشية الله ومحبهه... من أخلاق الصادقين وصفات الصالحين المخلصين، جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا معهم، آمين.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

﴿٨٨﴾ تَسَدُّوْاْ اِيْتَّ اَللّٰهَ لَا يٰحِبُّ اَلْمُعْتَدِيْنَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوْاْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا وَاَتَّقُواْ اللّٰهَ الَّذِيْ اَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُوْنَ ﴿٨٨﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت عليّ اللحم، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَسَدُّوْاْ اِيْتَّ اللّٰهُ لَا يٰحِبُّ اَلْمُعْتَدِيْنَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوْاْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا ﴿٨٨﴾ .

رواه الترمذي ٢٨٥٢، وابن جرير ١١/٧، وابن أبي حاتم ١١٨٦/٤

بسند حسن.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكنني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وفي رواية: فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

رواه البخاري بالرواية الثانية ٥/٤/١١، ومسلم ١٧٥/٩، ١٧٦ بالأولى، كلاهما

في النكاح.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ

وليس معنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٣٤٥/٩ وفي النكاح، ومسلم في باب نكاح المتعة ١٨٢/٩.

في الآية الكريمة مع هذه الأحاديث النهي عن تحريم ما أحل الله عزَّ وجل لنا من الطيبات من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات، وأن من فعل ذلك كان من المعتدين والله لا يحب المعتدين وخير الأمور أوسطها، ولا هدي أفضل من هدي رسول الله ﷺ وقد كان يأكل اللحم أحياناً ويشرب النبيذ ويلبس البرود اليمينية والمحبَّرة، وكان له العديد من النساء ومع ذلك فكان يصوم ويفطر ويقوم الليل وينام، هذا وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولذلك أنكر على أولئك الرهط الذين قالوا ما قالوا وقال لهم: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وكفى بهذا زجراً لمن أعرض عن السنة واختار غيرها مما يستحسنه له عقله.

وفي حديث ابن مسعود منع قطع الشهوة الجنسية بالمرة لأن ذلك ينافي حكمة الله ونظامه في هذا الكون. أما التزوج إلى أجل، المرخص فيه، فقد نسخ وأجمع المسلمون على تحريمه عدا الشيعة.

انظر: النووي على مسلم ١٧٩/٩ من كتاب النكاح باب نكاح المتعة.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَخْتَرُوا وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَمَ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿١١﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: نزلت في آيات من القرآن، فذكر الحديث، وفيه: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين

فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش - والحش البستان - قال: فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، فأكلت وشربت معهم قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجل أحد لحبيي الرأس فضر بني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله عز وجل في - يعني نفسه - شأن الخمر: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ .

رواه مسلم في الفضائل فضل سعد بن أبي وقاص ١٤/١٨٥، ١٨٦، وابن جرير ٣٣/٧، ٣٤، وابن أبي حاتم ٤/١٢٠٠ .

في الحديث أن قصة سعد هذه هي سبب نزول الآية، وتقدم في سورة البقرة حديث عمر في ذلك وأنه بسببه نزلت. قال ابن جرير ما معناه: وجائز أن يكون نزولها بسبب دعاء عمر وبسبب ما نال سعداً من الأنصاري... إلخ.

وتحريم الخمر لا خلاف فيه بين المسلمين في الجملة، وهو قطعي الدلالة والثبوت خلافاً للملاحدة المعاصرين الذين يزعمون أن القرآن ليس نصاً في التحريم ويردون ما جاء في تحريمها من الأحاديث قائلين إنها أخبار آحاد أو لا تصح.

دلالة القرآن على تحريم الخمر:

القرآن يدل على تحريم الخمر من جهات:

أولاً: اقترانه بما هو كفر وهو الأنصاب والأزلام.

ثانياً: تسميته رجساً، وقد سمي به ما هو مجمع على تحريمه وهو الخنزير.

ثالثًا: كونه من عمل الشيطان وما كان من عمله حرم تناوله.

رابعًا: الأمر باجتنابه وهو في الأصل للوجوب، وما وجب اجتنابه حرم تناوله.

خامسًا: ترتب الفلاح على اجتنابه، والفلاح هو الفوز في الآخرة يجب علينا تحصيله بفعل الطاعات واجتناب الآثام.

سادسًا: كونه سببًا في العداوة والبغضاء بين المؤمنين وتعاطي ما يوقع ذلك حرام.

سابعًا: كونه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

ثامنًا: ختام الآية بقوله: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾، وهو استفهام معناه: ارتدعوا وانزعجوا وانتهوا عن شرب الخمر.

فهذه أدلة ثمانية أخذها العلماء من الآية الكريمة كلها دالة بانفرادها على تحريم الخمر، وقد نقل الإجماع على تحريمه ابن حزم وصاحب البحر الزخار وغيرهما حتى قال ابن حزم: فمن استحلها ممن سمع النص في ذلك وعلم بالإجماع فهو كافر مرتد حلال الدم والمال... إلخ.

إيراد بعض ما جاء في الخمر

في السنّة المطهرة الصحيحة الدالة على التحريم

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة».

رواه مسلم ١٧٢/١٣، ١٧٣، وأبو داود ٣٦٧٩، والترمذي ١٧٠٨، والنسائي ٢٨٥/٨، وابن ماجه ٣٣٨٧، ٣٣٩٠ وغيرهم.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ سئل عن البتّع فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام».

رواه البخاري ١٢/١٤٠، ومسلم ١٣/١٦٩، وأبو داود ٣٦٨٢، والترمذي ١٧١٠، والدارمي ٢١٠٣، وابن ماجه ٣٣٨٦ وغيرهم.

البتّع بكسر الباء وسكون التاء: نبيذ العسل.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قدم من جَيْشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر، فقال النبي ﷺ: «أو مسكر هو؟»، قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله عزّ وجلّ عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»، قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار».

رواه مسلم ١٣/١٧١، ورواه البخاري في الأدب والمغازي ٩/١٢٤ بنحوه عن أبي موسى.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

رواه أحمد ٣/١١٢، ٣٤٣، وأبو داود ٣٦٨١، والترمذي ١٧١٢، وابن ماجه ٣٣٩٣، وابن الجارود ٨٦٠ وسنده صحيح، ونحوه عن عائشة عند أحمد والترمذي وغيرهما، وعن أبي هريرة في المسند وغير ذلك.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الخمر وشاربها، وساقبها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأكل ثمنها».

رواه أبو داود ٣٦٧٤، وابن ماجه ٣٣٨٠، والحاكم ٢/٣٢ بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ في بيتنا، إذ جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ قلنا: لا، قال: فإن الخمر قد حرّمت، فقال: يا أنس أرق هذه القلال، قال: فما راجعوها ولا سألوها عنها بعد خبر الرجل.
رواه البخاري ١٢/١٣٤، ١٣٥، ومسلم ١٣/١٥٠.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة أشياء: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير. والخمر: ما خامر العقل.

رواه البخاري ١٢/١٣٤، ١٤٤، ومسلم وأبو داود ٣٦٩٩، والترمذي ١٧١٩ وغيرهم. ونحوه عن النعمان بن بشير رواه أبو داود ٣٦٧٦، والترمذي ١٧١٩ وغيرهما بسند صحيح، وزاد أبو داود: والذرة.

والأحاديث في هذا كثيرة متواترة تواتراً معنوياً.

فهذه الأحاديث الشريفة تدل على أمور:

أولاً: إن الخمر يكون من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة.

ثانياً: أن كل ما خامر وغطى العقل فهو خمر، حتى لو كان من غير الأصناف السابقة.

ثالثاً: التنصيص في الأحاديث على تحريمها لا يحتمل التأويل.

رابعاً: لعن عشرة فيها كما في حديث ابن عمر: لعن الله الخمر...، وهو من التأكيدات العظيمة لتحريمها.

خامساً: كل شراب فيه مادة الإسكار يعتبر خمراً، فلا يجوز شرب قليلة ولا كثيرة.

سادساً: وعيد شاربها غير التائب وأنه يحرم شربها في الآخرة وأنه

سيسقى في جهنم من عصارة أهل النار، وكفى بذلك زجرًا عنها وعذابًا لأصحابها.

سابعًا: يجب إهراق الخمر ولا يجوز اقتناؤها ولا بيعها ولا التجارة فيها ولا أكل ثمنها. . .

ومع كل هذا وأضعاف أضعافه مما لم نذكره ينكر بعض من ينتمي إلى الإسلام زورًا تحريمها. . . وتباع وتشتري ويعطى الترخيص لذلك من طرف المسؤولين عن شؤون المسلمين، وتشرب جهارًا في المقاهي والحانات والفنادق ودور اللهو. . . ويعاقب من تعرض لتغيير ذلك، ومع هذا يزعمون أنهم دول إسلامية، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَيْسِرَ﴾.



عن بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه».

رواه أحمد ٣٥٢/٥، ومسلم في كتاب الشعر ٢٢٦٠، وأبو داود ٤٩٣٩، وابن ماجه ٣٧٦٣.

ونحوه عن أبي موسى بلفظ: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله».

رواه أحمد ٣٩٤/٤، وأبو داود ٤٩٣٨، وابن ماجه ٣٧٦٢، والحاكم ٥٠/١ وغيرهم.

النَّرْدَشِيرُ: كلمة معرّبة، وهي عبارة عن لعبة كانت عندهم معروفة.

وقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنها من الميسر، ولذا جاء فيها هذا الزجر الشديد عن النبي ﷺ، فاللاعب بها عاصٍ لله ولرسوله

وكفاه بلعبه بها قذارة وخبثًا أن يكون كملطخ يده في لحم خنزير ودمه . ولا يخفى أن جميع ألعاب القمار بأي نوع كانت هي داخله في الحديثين الشريفين ، وسمي القمار ميسرًا لأن صاحبه يأخذ أموال الناس بيسر وبدون أي تعب . وهو محرم أيضًا بالإجماع .

وقد جاء في حديث أبي هريرة عنه رضي الله عنه : « ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق بشيء » .

رواه الشيخان وأبو داود ٣٢٤٧ ، وابن ماجه ٢٠٩٦ .

فإذا كان العزم على تعاطي الميسر والمقامرة يوجب التصديق بشيء من المال تكفيرًا لذلك ، فكيف بالعمل واللعب به ؟ قال النووي في شرح مسلم لهذا الحديث : قال العلماء : أمر بالصدقة تكفيرًا لخطيئته في كلامه بهذه المعصية .

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا ءَءَامَنُوا ءَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا ءَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : مات رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تحرم الخمر ، فلما حرمت الخمر قال رجال : كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر ؟ فنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . الآية .

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٥٤ ، وابن حبان ١٧٤٠ ، وحسنه الترمذي وصححه ، ونحوه عن ابن عباس عند الترمذي أيضًا : ٢٨٥٥ وحسنه وصححه . وعن أنس نحوه أيضًا رواه البخاري في التفسير ٣٤٨/٩ ، وفي الأشربة ، ومسلم فيه أيضًا ، وقد تقدم في الخمر مختصرًا .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . ﴾ الخ ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت منهم » .

رواه مسلم في الفضائل ١٦/١٤، والترمذي ٢٨٥٦، والنسائي في الكبرى ٣٣٧/٦ كلاهما في التفسير.

في هذه الأحاديث بيان كآلية الكريمة أنه لا حرج ولا إثم على من كان يشرب الخمر قبل تحريمها، وهذا لا خلاف فيه بل لا مفهوم للخمر، فكل المعاصي والقاذورات شأنها كذلك، فإنه لا تكليف قبل الشرع. وهكذا الأمر فيمن شربها أو ارتكب أي معصية قبل معرفته بتحريمها فإنه لا حرج عليه إذا انتهى وأصلح.

قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾.



عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبو عبيدة نتلقى عميراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نَمُصُّهَا كما يَمَصُّ الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخَبْط، ثم نَبْكَه بالماء فنأكله.

قال: وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رُسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا فذكر الحديث، وفيه: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: «هو رزق أخرج الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟»، قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

رواه البخاري في الشركة وفي المغازي ٩/١٤٠، ١٤٤، ومسلم في الصيد والذبائح ١٩٣٥ بألفاظ ١٣/٨٤، ٨٥، ٨٩.

في هذا الحديث الشريف دليل كآلية الكريمة على إباحة صيد البحر

وطعامه ولا خلاف في ذلك في الجملة، وقد جاء في السنن وغيرها من حديث أبي هريرة عنه رضي الله عنه: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»، وفي الحديث فوائد لها محل آخر.

قوله تعالى: ﴿وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

٤٦

عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالقاحه ومنا المحرم ومنا غير المحرم، فرأيت أصحابي يتراءون شيئاً فنظرت فإذا هو حمار وحش، يعني وقع سوطه فقالوا: لا نعينك عليه بشيء إنا محرمون، فتناولته فأخذه ثم أتيت الحمار من وراء أكمة فعقرته فأتيت به أصحابي.

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «هل منكم أحد أمره أو أشار إليه بشيء؟»، قال: قالوا: لا، قال: «فكلوا ما بقي من لحمها».

رواه البخاري ٤/٣٩٢، ٤٠١، ومسلم ٨/١٠٧، ١١١ مطولاً بالفاظ كلاهما في

الحج.

الحديث يدل على تحريم الاصطياد على المحرم بأحد النسكين وأنه لا يجوز له حتى مساعدة المصطاد ولو بشيء بسيط، كما يدل على جواز أكله للمحرم إذا أهدي إليه من المحل إذا لم يصد لأجله.

وجاء في حديث الصعب بن جثامة أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حماراً وحشياً وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم».

رواه البخاري ٤/٤٠٣، ٤٠٤، ومسلم ٨/١٠٣، ١٠٤، كلاهما في الحج.

وعلى أيّ فالحديثان كالأية في الدلالة على منع المحرم من الاصطياد، ولا خلاف في ذلك.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَبْشَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ

٤٧

الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ
يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿١٧﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم»، فقلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ فقال: «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم».

رواه البخاري في بيع الخيار ٢٤٢/٥، ٢٤٣، وفي الحج ونحوه عند النسائي عن أبي هريرة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة».

رواه أحمد ٢/٢٢٠، والبخاري في الحج ٤/١٩٩، ٢٠٧، ومسلم في الفتن ١٨/٣٥، ٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/٣٣٧ وفي المجتبى.

قوله: السويقتين، هو تصغير ساقين، وإنما صغرها لأن سيقان الحبشة رقيقة غالبًا.

جعل الله عز وجل الكعبة قيامًا للناس، أي يقيمون بها أمور دينهم من استقبالها في الصلاة، والطواف بها في الحج والعمرة... فإذا انقرض المسلمون وذهبت مهمتها جاءت الحبشة تغزوها وتهدمها حجرًا حجرًا، ويستخرجون كنزها ثم لا تعمر أبدًا، وهذا سيكون بعد نزول عيسى وموته بزمان.

أما قبل سيدنا عيسى حيث يكون المسلمون لا يزالون يحجون البيت فسيؤمه جيش ظالم ملحد فيخسف الله بهم الأرض جميعًا دفاعًا عن حرمة الشريف وانتقامًا ممن يريد الإلحاد به.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «عرضت عليّ الجنة والنار فلم أرَ كالיום في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، قال: غطوا رؤوسهم ولهم حنين فقام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبمحمد نبياً، فقام ذلك الرجل فقال: من أبي؟ فقال: «أبوك فلان»، قال: فنزلت: ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا...﴾ إلخ.

رواه أحمد ١٦٢/٣، والبخاري في التفسير ٣٤٩/٩، ٣٥٠، وفي الرقاق وفي الاعتصام، ومسلم في الفضائل باب توقيه ﷺ ١١١/١٥، ١١٢، ١١٣، والترمذي ٢٨٥٨، والنسائي ٣٣٨/٦، كلاهما في التفسير وله ألفاظ.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية: ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾ إلخ.

رواه البخاري في التفسير ٣٥٢/٩ وغيره.

في الحديثين مع الآية ذم كثرة السؤال، وخاصة إذا لم يكن للحاجة الملحة، أو كان بقصد الاستهزاء، أو تعنتاً، أو تعجيزاً، فإن ذلك كله حرام. وقد وردت لنزول الآية أسباب، وما ذكرناه أصح ما جاء.

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجُرُّ قُصْبَهُ في النار، كان أول من سَيَّب السوائب».

رواه البخاري في التفسير ٣٥٣/٩، ومسلم في كتاب الجنة ١٧/١٨٨، ١٨٩، والنسائي في الكبرى ٣٣٨/٦.

ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وأوله: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً... الخ».

رواه البخاري أيضاً ٣٥٤/٩.

وعن مالك بن نضلة الجشمي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ فصعد في النظر وصوبه وقال: أربُّ إبل أو غنم؟ قلت: من كل قد آتاني الله فأكثر وأطاب. فقال: «ألسنت تتنجها وافية أعيائها وأذائها؟ فتجدع هذه وتقول: بحيرة، وتفقا هذه؟ ساعد الله أشدُّ، وموساه أحدُّ».

رواه أحمد ٣/٤٧٣، ٤٧٤، و ٤/١٣٦، ١٣٧، والنسائي في الكبرى ٣٣٨/٦، وابن حبان ١٠٧٣، والحاكم ٤/١٨١، وصححه ووافقه الذهبي وسنده صحيح كما قالا.

وقوله: قُصْبُهُ بضم القاف وسكون الصاد وهي المِعى - المصارين - .
وقوله: «ساعد الله أشدُّ وموساه أحدُّ»، قال في النهاية: أي لو أراد الله تحريمها بشق آذانها لخلقها كذلك، فإنه يقول لها كوني فتكون. وكل من الساعد والموسى معلوم وهما محال في حق الله عزَّ وجل، لكن النبي ﷺ وهو أعلم الخلق بربه وبصفاته عبر بذلك عن كمال قدرة الله عزَّ وجل... وأنه ذو القوة المتين لا يتعاضمه شيء.

وفي الحديثين الأولين بيان أن أول من ابتدع السائبة في الأنعام عمرو بن لُحي الخزاعي، وفي الحديث الثالث بيان أن البحيرة هي التي كانوا يجدعونها ويشقون أذنها.

انظر: صحيح مسلم ١٧/١٨٩.

وبيان هذه الأسماء المذكورة في الآية هي كآلاتي: كانوا في الجاهلية إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقوا أذنها وحرموا ركوبها وهي البحيرة. وكان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة فيسيبها ويخليها للطواغيت والأصنام فلا يقربها أحد. وإذا ولدت الشاة أنثى وذكرًا قالوا: وصلت أخاها وهي الوصيلة، وإذا أنتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فتركوه وهو الحام، فكانت كلها للأصنام ولا يتعرض لها أحد. فلَمَّا جاء الإسلام أبطل الله ذلك وأخبر تعالى بأن ذلك كان من افتراءهم على الله لأنهم كانوا ينسبون ذلك لله تعالى ولذلك قال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥).

عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ الآية، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

رواه أحمد وهو أول حديث في المسند، وأبو داود في الملاحم ٤٣٣٨، والترمذي في الفتن ١٩٩٨، وفي التفسير ٢٨٥٩، وابن ماجه في الفتن ٤٠٠٤ وسنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

قوله: فلم يأخذوا... إلخ، أي لم يكفوه عن ظلمه بأمره ونهيه... وقوله: أوشك، أي قارب عندئذ أن يشملهم الله تعالى جميعًا بالعذاب.

وفي الحديث وعيد شديد وتهديد أكيد لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السكوت على ما يأتيه الظلمة من ظلم وعتو وطغيان، وأن ذلك من موجبات العقاب في الدنيا الشامل، نعم الآية الكريمة تدل على

الرخصة في لزوم الإنسان نفسه إذا امتدى وعمل جهده وطاقته في الدعوة إلى الله تعالى ، وأنه لا يضره ضلال من ضل بعد ذلك .

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرِيئٌ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمُ مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَنكُرُهُمْ شَهْدَةً لِلَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١١٦﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما مكة بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوصًا من ذهب فأحلفهما رسول الله ﷺ ، ثم وجد الجام بمكة فقالوا : ابتعناه من تميم وعدي فقام رجلان من أوليائه فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم قال : وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ . . . ﴾ الآية .

رواه البخاري في الوصايا ٣٣٩/٦ ، وأبو داود في الأفضية ٣٦٠٦ ، والترمذي في التفسير ٢٨٦٢ .

قوله جام هو إناء من فضة وقوله مَخْوَصًا بضم الميم ، ثم خاء مفتوحة فواو كذلك مشددة ، أي منقوشًا بخطوط طوال دقاق كالخوص وهو ورق النخل .

والآية الكريمة استدل بها على جواز شهادة غير المسلمين في أرض ليس بها مسلم ، ثم بعد استحلف الشهود أنهم ما كذبوا وما بدلوا وهذا مذهب أحمد وجماعة من أهل العلم ، وقالوا : إن ذلك جائز للضرورة وأن الآية محكمة ، وذهب آخرون إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وأن الفاسق لا تجوز

شهادته لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، فالكافر أولى بعدم الجواز، وبسط هذا في كتب أحكام القرآن وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِحِ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: يُلَقَّنُ عِيسَى حُجَّتَهُ فَلَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ . . .﴾ الخ، قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «فَلَقَاهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ: ﴿مَا يَكُونُ لِحِ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾».

رواه الترمذي ٢٨٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٠ كلاهما في التفسير وسنده حسن صحيح.

هذا الخطاب من الله عز وجل لرسوله عيسى عليه الصلاة والسلام سيكون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد كما قال ابن عباس وغيره، فيقول له: أنت دعوت الناس إلى اعتقاد ألوهيتك وألوهية أمك من دوني؟ فيجيب عيسى: سبحانك إني أنزهك عما لا يليق بك يا رب، فما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله، ولئن كنت قلتُه فإنك تعلم ما في نفسي وما يصدر مني إنك أنت علام الغيوب، وقال بعضهم: إن هذا النداء قاله الله لعيسى حينما رفع، وهذا بعيد كما لا يخفى.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١٧).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً، ثم

قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ... ﴾ الآية. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

رواه البخاري في التفسير ٣٥٥/٩، وفي الرقاق، ومسلم في كتاب الجنة ١٩٣/١٧، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٣، وفي تفسير الأنبياء ٢٩٦٣، والنسائي في الكبرى ٣٣٩/٦.

في الحديث بيان أن هناك من ارتدَّ بعد أيام النبوة، وقد وقع ذلك أيام الصديق فارتدت بعض القبائل العربية ومن كان في إيمانه ضعف، وتظاهر المنافقون بكفرهم، وما صح قط أنه كفر وارتد أحد من الصحابة الصادقين، وخاصة المهاجرين والأنصار ومن كان على شاكلتهم رضي الله تعالى عنهم. ومن قال إن الصحابة كلهم ارتدوا إلا بضعة عشر! هو كافر كما نص عليه غير واحد من الأئمة.

قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿ فَمَنْ يَبْعَثْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، وقول عيسى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، فرفع يديه، وقال: أمتي، أمتي، ثم بكى، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

رواه مسلم في الإيمان من صحيحه ٣/٧٧، ٧٨، وابن جرير ١٣/٢٢٩، وابن أبي حاتم ٤/١٢٥٤، وابن حبان، والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم، ويأتي في سورة إبراهيم أيضاً.

في هذا الحديث بيان كمال شفقتة ﷺ ورحمته بأمتة واهتمامه بها، وفيه أن الله عزَّ وجل سيعطيه في أمتة من أنواع الشفاعة حتى يرضى ولا يساء بها.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَأَتُهُمْ عِبَادُكَ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٥/١٥٦، ١٧٠، ١٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٠، وابن ماجه ١٣٥٠، والطحاوي في المعاني ١/٣٤٧، والحاكم ١/٢٤١، وصحَّحه ووافقه الذهبي. وله شاهد عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، رواه الترمذي في الصلاة ٤٠١، ومن طريقه البغوي في شرح السنَّة ٩١٤، وسنده صحيح. وآخر عن أبي سعيد، رواه أحمد ٣/٦٢ وسنده صحيح أيضاً.

وفي الحديث مشروعية تكرار الآية الواحدة في صلاة الليل ولو في كل ركعة طوال الليل وخاصة إن وجد المسلم فيها قلبه بما يحصل له من تجليات إلهية تكون صقلاً لمرآته وعلاجاً لباطنه.

وبهذا تمَّ ما أردناه من تفسير سورة المائدة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿ سُورَةُ الْأَنْعَامِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَصِيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَحِزْبُهُ

هذه السورة الكريمة من السور المكية الطوال كالأعراف الآتية بعدها وأياتها مائة وخمس وستون. ومن خصائصها أنها نزلت جملة واحدة، وتمتاز عن السور المدنية المتقدمة: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، كأخواتها المكيات بعدم تعرضها للأحكام، والحلال والحرام، والجهاد... وما إلى ذلك من تنظيم التشريع الإسلامي، بل أهدافها الكلام على الألوهية ودلائل التوحيد والرسالة وذكر الأنبياء وما جرى للخليل عليه الصلاة والسلام مع قومه ومحاجتهم إياه وما يتبع ذلك من بعض التسليات للنبي ﷺ.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص نجملها في الآتي:

- ١ - التنقيص على أن كل دابة أو حيوان أو طير... هم أمم أمثالنا، آية ٣٨.
- ٢ - الاستدراج يكون بالبسط في الحياة... مع سوء السلوك، آيتان ٤٤، ٤٥.

- ٣ - ذكر آية تهدد المنحرفين بأخذ أسماعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، آية ٤٦ .
- ٤ - النهي عن طرد المؤمنين بدل الكافرين . . . ، آية ٥٢ .
- ٥ - ذكر مفاتيح الغيب الخاص علمها بالله تعالى، آية ٥٩ .
- ٦ - التهديد بإرسال العذاب علينا من فوق أو من تحت . . . ، آية ٦٥ .
- ٧ - النهي عن القعود مع القوم الظالمين، آية ٦٨ .
- ٨ - بيان الأطوار التي مرت على خليل الرحمن في النظر في الكواكب، آيات ٧٦ - ٧٩ .
- ٩ - ذكر جماعة من الأنبياء في نسق واحد وهم نحو ثمانية عشر نبياً لم يذكروا كذلك إلا في هذه السورة، آيات ٨٣ - ٨٦ .
- ١٠ - الأمر الإلهي لنبيه ﷺ أن يقتدي بهدي الأنبياء قبله، آية ٩٠ .
- ١١ - من حكم خلق النجوم الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، آية ٩٧ .
- ١٢ - الأمر بالنظر إلى الثمار والزروع والفواكه عند إثمارها ونضجها، آية ٩٩ .
- ١٣ - بيان أن مولانا العظيم لا تدركه الأبصار، آية ١٠٣ .
- ١٤ - ذكر آية فيها إشارة إلى قاعدة سد الذرائع، آية ١٠٨ .
- ١٥ - القلوب والأبصار بيد الله يقبلها كيف شاء، آية ١١٠ .
- ١٦ - بيان أن لكل نبي عدواً من شياطين الإنس والجن، آية ١١٢ .
- ١٧ - من أطاع أكثر أهل الأرض أضلوه عن سبيل الله، آية ١١٦ .
- ١٨ - إباحة الأكل مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح، آية ١١٨ .
- ١٩ - النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه . . . ، آية ١٢١ .
- ٢٠ - بيان أنه لا توجد قرية إلا وفيها أكبر مجرميها . . . ، آية ١٢٣ .
- ٢١ - ذكر آية تدل على وجود الغلاف الجوي وقد أسلم بسببها كافر، آية ١٢٥ .

- ٢٢ - ذكر ما ابتدعه العرب في الحرث والأنعام لأصنامهم، آيات ١٣٦ - ١٣٩ .
- ٢٣ - بيان أنواع الأنعام الثمانية مفصلة، آيتان ١٤٣، ١٤٤ .
- ٢٤ - ذكر الوصايا العشر، آيات ١٥١ - ١٥٣ .
- ٢٥ - بيان آية طلوع الشمس من مغربها، آية ١٥٨ .
- ٢٦ - براءة رسول الله ﷺ ممن فرقوا دينهم، آية ١٥٩ .
- ٢٧ - بيان أن حياة المسلم يجب أن تكون كلها لله تعالى، آية ١٦٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةَ ﴾ .

١٢

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» .

رواه أحمد ٣١٣/٢، ٢٥٨، ٣٥٨، ٤٦٦، والبخاري في بدء الخلق ١٠١/٧، وفي التوحيد ١٥٥/١٧، ومسلم في التوبة ٦٧/١٧، ٦٨، والترمذي وابن ماجه وغيرهم .

يدل الحديث على أسبقية رحمة الله تعالى على غضبه ومعناه الكثرة والشمول فتعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث . والآية الكريمة مقتضاها أنه تعالى ألزم على نفسه الرحمة وذلك تفضلاً منه على عباده ولطفاً بهم .

قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّكَ لَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذُّونَكَ وَلَكِنَّ

٣٣

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

عن علي عليه السلام أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن

نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿فَأَنتَهُمْ لَا يَكَذِبُونَ﴾... الآية .
رواه الترمذي ٢٨٦٦، وابن أبي حاتم ١٢٨٢/٤، والحاكم ٣١٥/٢ وصححه
على شرطهما، هكذا قال، وناجية لم يخرجها له كما قال الذهبي. وأخرجه ابن جرير
١٨٢/٧ مرسلًا لكن الواصل ثقة فالحكم له.

والآية الكريمة صريحة في تصديق الكفار للنبي ﷺ وأنهم لم يكونوا
يتهمونه بالكذب كما صرح به هنا أبو جهل لكنهم كانوا يكذبون ما جاء به.
وهذا تناقض سافر منهم يدل على غباوتهم وإغراقهم في الجحود والعناد
وإصرارهم على ضلالهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ
حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

عن عقبه بن عامر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت
الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك
منه استدراج، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ الآية إلى
﴿مُبْلِسُونَ﴾.

رواه أحمد ١٤٥/٤، وابن جرير ١٩٥/٧، وابن أبي حاتم ١٢٩٠ وعزاه العراقي
في المغني للطبراني، والبيهقي في الشعب أيضًا وحسنه، والحديث صحيح لطرقه.

الحديث مصرح كآية بأن من فتحت عليهم الحياة ووسع لهم في
العيش ورغده مع إقامتهم على ارتكاب ما حرم الله تعالى، فإنما ذلك علامة
على أنهم مستدرجون، وأن الله سيأخذهم ويعاجلهم بعقوبته مفاجأة من غير
شعورهم كما فعل بيني إسرائيل كما ذكر تعالى في هذه الآية. وقوله: ﴿فَإِذَا
هُم مُّبْلِسُونَ﴾، أي يائسون.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطردهؤلاء لا يجترؤون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ الآية.

رواه مسلم في الفضائل ١٨٧/١٥، ١٨٨، والنسائي في التفسير من الكبرى ٣٤٠/٦، وأبو يعلى ٨٢٢، وابن أبي حاتم ١٢٩٨/٤، والحاكم ٣١٩/٣ وفي الباب غير ذلك.

في الآية الكريمة فضل ضعفاء المؤمنين الذين يعبدون الله تعالى ولا يريدون غيره من الكائنات. كما فيها النهي الإلهي لئيبه ﷺ أن يطرد الضعفاء عن مجلسه ليحل محلهم عظماء الكفار، وكان نزول الآية الكريمة بعد أن حدث نفسه بذلك طمعا في إسلامهم... وقد جاء في سبب نزول الآية عدة روايات عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما أوردها ابن جرير وابن أبي حاتم. وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وستأتي في سورة الكهف بإذن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير».

رواه البخاري في تفسير سورة الأنعام ٣٦٠/٩، ولقمان، ويأتي هنالك تخريجه وشرحه.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسْكُمُ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بِأَسِّ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، قال: «أعوذ بوجهك»، ﴿ أَوْ يَلِيَسْكُمُ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بِأَسِّ بَعْضٍ ﴾، قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون - أو - هذا أيسر».

رواه أحمد ٣٠٩/٣، والحميدي ١٢٥٩، والبخاري في التفسير ٣٦١/٩ وفي التوحيد، والنسائي في الكبرى ٣٤٠/٦، وابن خزيمة في التوحيد، وابن حبان ٧١٧٦ بالإحسان.

قوله: ﴿ يَلِيَسْكُمُ شَيْعًا ﴾ أي يخلطكم فرقًا. وقد اختلف المفسرون القدامى في المراد بالعذاب من فوق ومن تحت الأرجل ف قيل: الرجم والخسف، وقيل: أئمة السوء والخدم السوء، وقيل: حبس المطر ومنع الثمرات. والظاهر هو ما حصل اليوم بعد ظهور هذه الآلات الحربية المدمرة، فالعذاب من فوقنا هو قنابل الطائرات، والصواريخ، والمدافع التي ترسل على من يراد ضربهم... والعذاب من تحت الأرجل هي الألغام التي توضع في بطون الأرض فتنفجر فلا تبقي ولا تذر، ولشدة بأس هذه المدمرات وقتكها بمن تقع عليهم استعاذ النبي ﷺ بوجه الله تعالى. وهذه بخلاف تفرق الأمة وإذاعة بعضها بأس بعض، فإن هذه وإن كانت عظيمة وخطيرة فهي أهون من عذاب القنابل والصواريخ والألغام النارية الفتاكة.

وهذه الآية الكريمة تعتبر من معجزات القرآن، فقد أخبرت بشيء لم

يقع فوق كما جاء، ولذلك جاء في حديث عنه ﷺ في هذه الآية: «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها».

رواه الترمذي وأحمد ١٧١/١ من حديث سعد بن أبي وقاص وحسنه الترمذي.

والأحاديث الواردة في تشيع الأمة وتفرقتها كثيرة تقدم بعضها وتأتي

أخرى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢).

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ الآية، قال أصحاب رسول الله ﷺ: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣). وفي رواية: شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه، فقال: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْتَغِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣). [لقمان: ١٣].

رواه البخاري في الإيمان ١/٩٥، ٩٦، وفي التفسير ٩/٣٦٣ وفي أحاديث الأنبياء وفي مواضع، ومسلم في الإيمان ٢/١٤٣، ١٤٤، والترمذي في التفسير ٢٨٦٩، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤١.

الظلم وضع الشيء في غير محله، ولذلك فهم الصحابة رضي الله تعالى عنه من الآية الكريمة عموم الظلم وهو مطلق المعاصي، فبيّن لهم النبي ﷺ أن ذلك من العام الذي أريد به الخصوص، وأن المراد بالظلم هنا الشرك الأكبر المخرج من الملة والذي هو أعظم الظلم. وفي الآية مع الحديث بشارة للمؤمنين المخلصين الذين لا يشوبون إيمانهم بالشرك وأن لهم الأمن يوم القيامة وأنهم مهتدون. وهذا لا ينافي تعذيب المؤمن المعاصي

الذي مات على عصيانه، لأن ماله الأمن وعدم الخلود في النار وأنه مهتد بإيمانه إلى طريق الجنة.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدَةٌ﴾.



عن مجاهد رحمه الله أنه قال لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنسجد في «ص» فقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ حتى أتى ﴿فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدَةٌ﴾، فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم.

رواه أحمد ١/٣٦٠، والبخاري في التفسير ٩/٣٦٤ وفي أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٢١، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٢، وابن خزيمة ٥٥٢، وابن حبان ٢٧٦٦ بالإحسان وسيأتي بسياق آخر في سورة ص إن شاء الله تعالى.

في الآية الكريمة مع الأثر دليل على أن النبي ﷺ كان مأمورًا بالاقْتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، وهذا لا خلاف فيه، بيد أنه مخصوص بغير ما نسخ من شرائعهم بشرعنا. ومن هنا اختلف الأصوليون في شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا؟ وفي ذلك تفصيل تجده مبسوطًا في كتب أصول الفقه.

قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَكُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي، وإن له من ماله ثلاثًا: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فافتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

رواه أحمد ٢/٣٦٨، ٤١٢، ومسلم في الزهد ١٨/٩٤.

وفي رواية عن ابن الشخير: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

هذه حياة الإنسان، وهذا حاله فيها يعيش مخدوعًا يدعي أن له ملكًا

ومالاً وليس له من ذلك إلا ما انتفع به في حياته ففني واضمحل ولم يبق له أثر أو ما قدمه لآخرته فسوف يجده أحوج ما يكون إليه . أما ما عدا ذلك مما جمعه وكدسه وخزنه وكنزه فلا يملك منه ذرة، فسوف يرتحل ويدعه وراء ظهره لورثته . ويقال له : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ . . . وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ وأعطيناكم من متاع ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ في الدنيا .

قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

عن مسروق رحمه الله تعالى قال : كنت متكئاً عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت : يا أبا عائشة ، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية على الله : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ، والله يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ ﴾ . وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني أليس الله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ١٣] ، قالت : أنا والله أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقال : إنما ذلك جبرائيل عليه السلام ما رأيته في الصورة التي خلق فيها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض . ومن زعم أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد أعظم الفرية على الله ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة : ٦٧] . ومن زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم الفرية على الله ، والله تعالى يقول : ﴿ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] .

رواه البخاري ومسلم والترمذي ٢٨٧٠ ، ٣٠٦٢ وغيرهم ، وتقدم في المائدة ، ويأتي في لقمان وغيرها .

الفرية بكسر الفاء: الكذب، تقدّم في المائدة شرح قسم التبليغ ونشير هنا بإذن الله تعالى إلى رؤية الله عزّ وجل في الدنيا.

اختلف العلماء هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا؟ على قولين، منعها بعضهم ومنهم مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها وهو المشهور عن ابن مسعود في جماعة آخرين، وأجازها آخرون ونسبه النووي في شرح مسلم لأكثر العلماء مع اتفاقهم على عدم استحالتها لأن كل موجود يجوز أن يُرى. هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإجماع أهل السنة على وقوعها، وسيأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وانظر ما علقته على تهذيب الشفا في باب الإسراء.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله آمنة بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء».

رواه أحمد ١١٢/٣، والترمذي في القدر، وابن ماجه ٣٨٣٤، والحاكم ٥٢٦/١ بسند صحيح على شرط مسلم وحسنه الترمذي وصحّحه.

وعن عبد الله بن عمرو بلفظ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن عزّ وجل كقلب واحد يصرفه كيف يشاء»، ثم قال ﷺ: «اللَّهُمَّ مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك».

ورواه مسلم في القدر ١٦/٢٠٣، ٢٠٤.

وفي الباب عن جماعة ذكرتهم في تفريح الكربة.

تقليب القلوب هو تصرفها، أي تحويلها من حالة إلى حالة، من كفر إلى إيمان، ومن معصية إلى طاعة، ومن بغض إلى محبة أو عكس ذلك. وهذا من خصائص الرب تعالى فلا يقدر على ذلك أحد أيًا كان، فبيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فينبغي للمؤمن أن يكثر من هذا الدعاء: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك، اقتداءً بالنبي ﷺ. وذكر الأصابع في الحديثين من أحاديث الصفات فلا تكييف فيها ولا تشبيه فتمر كما جاءت بلا تعطيل . . .

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ .

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال: فقامت فصليت ثم جلست فقال: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شرّ شياطين الإنس والجن»، قال: قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم»، الحديث بطوله.

رواه أحمد ١٧٨/٥، ٢٦٥، والنسائي في الكبرى ٤/٤٦١، وفي الاستعاذة من المجتبي، والبخاري ٩٣/١، ٩٤، مع كشف الأستار، والطبراني في الأوسط، وابن جرير ٤/٨، ٥ وغيرهم مطولاً ومختصراً، وسنده صحيح ولا يضر اختلاط المسعودي فإن للحديث طرقاتاً مجموعها يفيد قوته وصحته كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى.

الآية والحديث يدلان على أن للإنس شياطين كالجن وهم المتمردون المتجاوزون الحد في الشر، وأنهم إخوة في الإغواء والإضلال وعداوة الرسل وأتباعهم، فشياطين الإنس يتلقون زخرف القول الكاذب من شياطين الجن ويتعاونون على عداوة الدعاة إلى الله تعالى ومضادتهم ومحاربة دعوتهم . . .

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾.

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

رواه أحمد ٤/١٨٢، والبخاري في الأدب المفرد، ومسلم في البر والصلة ٢٥٥٣، والترمذي في الزهد ٢٢٠٧ تهذيبي.

البرّ: بكسر الباء اسم جامع للخير. والإثم: الذنب والمعصية والسيئة. وقوله: حاك في صدرك، أي وقع فيه تردد ولم ينشرح له الصدر ولم يطمئن.

وفي هذا ميزان نبوي يعرف به الإثم من الطاعة، فكل شيء وقع في القلب ولم يطمئن له الصدر فالواجب تركه، غير أن هذا لا يكون إلا للمؤمن المنور القلب.

وهذا في معناه شبيهه بقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن الحسن عليه السلام.

والآية الكريمة تطلب منا ترك كل الآثام الظاهرة منها والباطنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ﴿١٢١﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَيْهِ أَهْلًا﴾، يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم فكلوا!!، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

رواه أبو داود ٢٨١٨، وابن ماجه ٣١٧٣، وابن جرير ١٦/٨، وابن أبي حاتم ١٣٨٠/٤، والحاكم ١١٣/٤، والبيهقي ٢٤١/٩، وسنده صحيح ولا يضر هنا رواية سماك عن عكرمة فإن للحديث طريقاً آخر رواه النسائي في الكبرى ٣٤٢/٦ وفي الضحايا من المجتبي والحاكم ٢٣٣/٤ بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
ومعنى الحديث أن المشركين كانوا جادلوا المسلمين بما تلقوه عن شياطينهم فقالوا لهم: كيف تأكلون ما قتلتم وذبحتم ولا تأكلون من ذبح الله إن مات بدون تذكية وهي الميتة، فجاءت الآية الكريمة تحرّم أكل ما لم يذكر عليه اسم الله، وذلك يشمل الميتة وما ذبح لغير الله تعالى، وأن كل ذلك فسق ومعصية وخروج عن طاعة الله عزّ وجل .

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: «نور يقذف به في القلب»، قالوا: يا رسول الله فهل لذلك من أمانة تعرف؟ قال: «نعم»، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت» .

رواه ابن أبي حاتم ١٣٨٤/٤، وابن جرير ٢٧/٨، والحاكم ٣١١/٤ بنحوه، وروي من طرق أخرى كما أوردها ابن كثير وقال عقبها: فهذه الطرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً، وانظر: الدر المنثور ٣/٣٥٤، ٣٥٥ .

التجافي التباعد . والحديث جاء مبيناً للانشراح الوارد في الآية الكريمة وهو نور يضعه الله عزّ وجل في قلب من شاء هدايته، ولا شك أن هذا النور ينمو شيئاً فشيئاً لمن أراد الله به خيراً حتى يتم فيقبل صاحبه على الله استعداداً للقاءه، ويعرض عن هذه الحياة الصاخبة الغرارة .

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقلن يعلق في المسجد للمساكين .

رواه أحمد ٣/ ٣٦٠، وأبو داود في الزكاة وسنده جيد قوي قاله ابن كثير .

الحديث بين المراد بحق الثمار والزرور الذي يعطى يوم الحصاد وهو التصديق على المساكين من غير تقدير، وهو قول ابن عمر وعطاء وابن جبير ومجاهد والنخعي في آخرين، وكان هذا قبل الزكاة التي فرضت بالمدينة .

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَعِدُّ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة، قال: «فلم لا أخذتم مسكها»، قالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «إنما قال الله: ﴿قُلْ لَا أَعِدُّ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ﴾»، وإنكم لا تطعمونه، أن تدبغوه فتنتفعوا به»، فأرسلت فسلخت مسكها فدبغته فاتخذت منه قرية حتى تحرقت عندها .

رواه أحمد ١/ ٣٢٧، ٣٢٨، وأصله في الصحيح وهو عندهما أن الشاة كانت لميمونة .

مسكها، أي إهابها وجلدها. وفي الحديث تخصيص للميتة المذكورة في الآية، وأن المحرم منها هو أكلها والانتفاع بلحمها، أما إهابها فلا بأس بالانتفاع به إذا دبغ وهذا لا خلاف فيه في الجملة لأن الأحاديث بذلك متواترة .

وعن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى قال: قلت لجابر بن عبد الله: إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر، فقال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله ﷺ، ولكن أبى ذلك البحر يعني ابن عباس، وقرأ: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ...﴾ الآية.

رواه البخاري في الأطعمة ٧٦/١٣.

تحريم لحوم الحمر الأهلية ورد من طرق عن جماعة من الصحابة، عن علي وابن عمر وابن مسعود وجابر بن عبد الله وأبي ثعلبة وغيرهم، وكلها في الصحيح، وتحريمها زائد على الآية، كما زيدت أشياء أخر جاء تحريمها في السنة.

فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نهى عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير.

رواه مسلم في صحيحه ٨٢/١٣ - ٨٤، وجاء عن جماعة وهي في الصحيح وغيره.

وابن عباس لم يوافق على ما ذهب إليه من الاقتصار على ما في الآية من الحصر وأن ما عدا ما فيها حلال، إلا أن مالكاً لم يجزم بتحريم السباع وذوي المخالب. والآية مكية جاءت ردّاً على المشركين الذين كانوا يحرمون ما أباح الله من الأنعام افتراء على الله، ثم حرّم الله أشياء بالمدينة فكانت زائدة على ما في الآية، والكل من عند الله عزّ وجل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَنِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِجَ أَوْ مَا اختَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ عام الفتح يقول: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنما يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام»، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «قاتل الله اليهود إن الله لمَّا حرَّم عليهم شحومها جمَّلوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه».

رواه البخاري في التفسير ٣٦٥/٩، ومسلم في المساقاة رقم ١٥٨١، وأحمد ٣٢٤/٣، ٣٢٦، وأهل السنن.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمراً فقال: قاتل الله سمرة، ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود حرَّمت عليهم الشحوم فجمَّلوها فباعوها».

رواه مسلم ومثله عنده عن أبي هريرة. انظر: ١٥٨٢، ١٥٨٣.

كان الله تعالى حرَّم على اليهود شحوم البقر والغنم إلا ما استثنى في الآية ولكنهم احتالوا فأذابوه وباعوه وأكلوا ثمنه. ولذلك لما ذكر الصحابة منافع شحوم الميتة للنبي ﷺ التماساً منهم أن يرخص لهم فيها أجابهم بقوله: «لا هو حرام»، ثم ذكر لهم ما صدر من اليهود... وجاء في رواية: «إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه». وحديث ابن عباس الأول يدل على تحريم بيع ما ذكر فيه ولا خلاف في ذلك، غير أن الأصنام يحرم بيعها ما دامت كذلك، فإذا فصلت وأصبحت قطعاً لم يبق لها حكم الأصنام..

قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ إِلَّا مَا كَفَرُوا بِهِ، سَيْئَاتُ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ بِهَا يَكْفُرُونَ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ

١٥١

١٥٢

يَبْلُغْ أَشَدَّهُمْ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من سره أن ينظر إلى
الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا
أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ . . . ﴾ إلخ .

رواه الترمذي ٢٨٧١، وابن أبي حاتم ١٤١٤/٥ وغيرهما بسند صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن في الأنعام آيات محكمات،
هن أم الكتاب، ثم قرأ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ . . . ﴾ الآية .

رواه الحاكم ٣١٧/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وكذا رواه ابن أبي حاتم
١٤١٤/٥ .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«من يبايعني على هؤلاء الآيات، ثم قرأ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبِّي عَلَيْكُمْ . . . ﴾ الآيات الثلاث، فمن وفى فأجره على الله، ومن انتقص شيئاً
فأدركه الله بها في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخرج إلى الآخرة كان أمره إلى الله
إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» .

رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم ١٤١٧/٥، والحاكم ٣١٨/٢، وصححه
ووافقه الذهبي .

المحكم هو ضد المنسوخ، ومعنى كلام ابن عباس وابن مسعود أن
هذه الآيات كلها معمول بها لم ينسخ منها شيء وهي المعروفة بالوصايا
العشر. وقوله: من يبايعني، أي من يعاهدني على الأخذ بما في هذه الآيات
أمراً ونهياً .

وفيه أن العقوبات كفارات للجاني ومن أقيم عليه الحد، وأن من مات على جريمته بلا تقدم حدّ ولا توبة كان في مشيئة الله إن شاء غفر وإن شاء عاقب . . .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل».

رواه البخاري في التفسير ٣٦٥/٩ وغيره، ومسلم في التوبة ٧٧/١٧، ٧٨، والترمذي في الدعوات ٣٢٩٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٢، ٣٤٣.

الغيرة بفتح الغين، هي في حقنا معناها الأنفة والحمية، والغيور ضد الديوث، فالغيور يأنف أن يرى بعض محارمه مع رجل أجنبي على شيء ينكره الشرع، وأما في حق الله عزّ وجل ففسرها هذا الحديث، فغيرته تعالى منعه وتحريمه الفواحش، والمراد بمحبته العذر، أي يحب اعتذار العباد إليه من تقصيرهم وتوبتهم من معاصيهم فيغفر لهم. والفواحش: جمع فاحشة، وهي كل ما عظم من المعاصي كالشرك بالله تعالى، والقتل بغير حق، والكذب، وترك الصلاة، والزنا، واللواط، والسرقه، وشرب الخمر، والسحر، وقذف المحصنات، والدياثة، والمكس، والتعامل بالربا، والنميمة، وأكل مال اليتيم وأمثال ذلك.

وفي الحديث بيان أن الله عزّ وجل يحب من يمدحه ويشني عليه بالتحميد والتسبيح والتكبير . . . وكل ما يدل على الثناء عليه، مع غناه عن مدحنا وأن ذلك لا ينفعه ولا يزيد في ملكه شيئاً وإنما نفعه يرجع إلينا. وفيه أنه عزّ وجل كريم رحيم حلیم يقبل عذر من اعتذر إليه، والتجأ إلى بابه، معترفاً بذنبه أو بتقصيره، وذلك من فضله تعالى علينا ولطفه ورحمته بنا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣).

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ يوماً خطاً فقال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله فقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا...﴾ الآية.

رواه أحمد ١/٤٣٥، ٤٦٥، والطيالسي ٢٤٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٣، والدارمي ٢٠٨، وابن حبان ١٧٤١، ١٧٤٢ بالموارد، والحاكم ٢/٣١٨، وصحَّحه وسنده حسن صحيح.

في الحديث بيان طريق الله الواجب سلوكه وهو صراطه المستقيم الواضح، وفيه بيان الطرق التي يجب تجنبها وهي طرق الشيطان التي اختار سلوكها أهل الأهواء والبدع الذين يتركون المحكم من القرآن والسنة الصحيحة ويتعلقون بالمتشابه ويؤولون ظواهر الشرع ويحملونها على معتقداتهم الباطلة، ومن هؤلاء الخوارج، والشيعنة الروافض، والمعتزلة، والجهمية المعطلة، والنواصب...

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حيث لا ينفع نفساً إيمانها»، ثم قرأ الآية.

رواه أحمد ٢/٢٣١، ٣١٣ وفي مواضع، والبخاري في التفسير ٩/٣٦٦، ومسلم في الإيمان ٢/٢٩٤، وأبو داود في الملاحم ٤٣١٢، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٤، وابن ماجه في الفتن ٤٠٦٨ وغيرهم.

وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها» .
رواه أحمد ٢/٤٤٥، ومسلم في الإيمان ٢/١٩٥، والترمذي في التفسير ٢٨٧٤
بتهديبه .

وعن صفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل بالمغرب باباً مسيرة عَرَضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قِبَلِهِ، قال: وذلك قول الله عزَّ وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ...﴾ الآية .

رواه الترمذي في الزهد ٢٢٠٥، وفي الدعوات ٣٣٠٣، والنسائي في الكبرى ٣٤٤/٦، وفي مواضع من المجتبى، وابن ماجه ٤٧٨ / ٤٠٧٠، وحسنه الترمذي وصحَّحه وذكره في الدعوات مطوّلاً .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» .

رواه أحمد ٢/٢٧٥، ٣٩٥، ٤٩٥، ٥٠٧، ومسلم في الذكر والاستغفار ٢٤/١٧، ٢٥، وابن حبان ٦٢٩ بالإحسان .

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» .

رواه أحمد ٤/٣٩٥، ٤٠٤، ومسلم في التوبة ٧٦/١٧، والنسائي في الكبرى ٣٤٤/٦ .

في هذه الأحاديث مع الآية الكريمة أمور:

أولاً: ثبوت طلوع الشمس من مغربها آخر الزمان علامة كبرى للساعة، وهذا لا ينكره إلا كافر أو علماني ملحد .

ثانيًا: قبول توبة من تاب إلى الله تعالى من العصاة وإن تكرر الذنب ما لم تطلع الشمس من مغربها التي ستكون آية عظمى للناس .

ثالثًا: إيمان الناس أجمعين عند مشاهدتهم طلوعها من المغرب .

رابعًا: إغلاق باب التوبة وعدم قبول أي عمل صالح لم يكن صاحبه مؤمنًا قبل طلوعها .

خامسًا: بيان أن هناك لجهة المغرب بابًا للتوبة لا يغلق إلا عند طلوعها من جهة الغروب، ولا ندرى أين هذا الباب لأن كل جهة في الأرض غرب لقوم، شرق لآخرين، فالواجب الإيمان بذلك وكفى .

وحديث أبي ذر في سجود الشمس مع ذكر آية الباب سيذكر في سورة يس إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن همَّ بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها وربما قال: فإن لم يعمل فاكتبوها له حسنة، ثم قرأ: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ . . . ﴾ الآية .

رواه مسلم في الإيمان ٢/١٤٧، ١٤٨، والترمذي ٢٨٧٥، والنسائي في الكبرى ٣٤٤/٦، ٣٤٥، كلاهما في التفسير .

في الآية الكريمة والحديث الشريف فضل واسع وتكرُّم من الله عظيم على عباده المؤمنين، حيث جعل لهم مجرد الهم بالحسنة من غير عملها تكتب حسنة، فإن عملت كتبت بعشر أمثالها، بينما من همَّ بسيئة لم يكتب

عليه شيء، فإن فعلها لم تكتب عليه إلا واحدة، فلك الحمد والشكر على الإيمان والتوفيق.

وبهذا تمت سورة الأنعام، وكان الفراغ منه صبيحة الاثنين ثامن عشر من رجب الفرد عام تسعة عشر وأربعمائة وألف. فالحمد لله على إفضاله وإحسانه وإنعامه وتوفيقه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وسبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

﴿ سُورَةُ الْأَعْرَافِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَسَلَامٌ وَبَارِكُوا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَصَّيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَحُزْبُهُ

هذه السورة الكريمة هي السادسة من السبع الطوال وهي مكية كسابقتها وأهدافها بيان أصول الدين، التوحيد، الرسالة، القصص . . .

من خصائص هذه السورة

وقد اختصت بأمور لم تذكر في غيرها نجملها في الآتي:

- ١ - إقسام إبليس بعزة الله عزَّ وجل على أنه سيغوي بني آدم وأنه سيأتيهم من جميع جهاتهم، إلا من فوق فلم يذكره، الآيتان ١٦، ١٧.
- ٢ - ما حصل لآدم وحواء عليهما السَّلام من ظهور سواتهما عند الأكل من الشجرة، وفي ذلك عبرة لبنيهما في اقتراف الذنوب وإتيان المخالفات، الآيات ٢٠ - ٢٢.
- ٣ - ذكر ذلك الدعاء العظيم الخالد الذي لقنه الله لآدم وتلقاه عنه ودعاه به: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، آية ٢٣.
- ٤ - مِنَّةُ الله علينا بإنزال ما يواري سواتنا وتجميل به من الملابس، آية ٢٦.

٥ - ذكر النداءات الأربعة المتوالية بوصف البنوّة لآدم عليه السّلام، وهي :

﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ نَكْمَ وَرِيشًا . . . ﴾ ، آية ٢٦ .

﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ . . . ﴾ ، آية ٢٧ .

﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ . . . ﴾ ، آية ٣١ .

﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي . . . ﴾ ، آية ٣٥ .

فهذه النداءات بهذا الأسلوب لا توجد في غير هذه السورة .

٦ - إخبار من الله عزّ وجل بأن الشيطان يرانا هو وقبيله من حيث لانراهم، والآية مؤولة ولا بد بتأويل يتوافق والقواعد الأصولية، فإن السنة النبوية والواقع المشاهد يخالف ذلك، آية ٢٧ .

٧ - ذكر آية فيها الرد على من حرم زينة الله من الألبسة وغيرها والطيبات من المطاعم والمشارب، آية ٣٢ .

٨ - ذكر الأعراف وأصحابها وهم فرقة من فرق يوم القيامة الذين سيحبسون على الأعراف مدة ثم يفرج عنهم، آيات ٤٦ - ٤٨ .

٩ - بيان أن رحمة الله قريب من المحسنين، آية ٥٦ .

١٠ - هي أول سورة ذكرت قصص الأنبياء الستة وهم: نوح، آيات ٥٩ - ٦٤، وهود، آيات ٦٥ - ٧٢، وصالح، آيات ٧٣ - ٧٩، ولوط، آيات ٨٠ - ٨٤، وشعيب، آيات ٨٥ - ٩٣، وموسى، آيات ١٠٣ - ١٥٦، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء .

- ١١ - ذكر ما بعثه الله تعالى على فرعون وقومه وما عاقبهم به من
السنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . . . آيات
١٣٠ - ١٣٣ .
- ١٢ - ذكر الأربعينية التي واعدتها الله نبيه موسى عليه السَّلام بأن يكلمه
بعدها، آية ١٤٢ .
- ١٣ - ذكر سؤال موسى ربه أن يريه النظر إليه تعالى وما حصل له من
الصعق بعد تجليه تعالى للجبل، آية ١٤٣ .
- ١٤ - بيان أن رحمة الله وسعت كل شيء، وأنه سيكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله ويتبعون نبيه، آيتان ١٥٦، ١٥٧ .
- ١٥ - إن من آمن برسوله محمد نبيًا ﷺ وعظمه ووقره ونصره واتبع نوره
كان من المفلحين، آية ١٥٧ .
- ١٦ - بيان قصة أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر فاعتدوا في
السبت بالاصطياد فمسخهم الله تعالى، آية ١٦٣ .
- ١٧ - بيان سنة الله عزَّ وجلَّ في نجاة منكري السوء وتعذيب الظالمين
المعتدين الفاسقين، آية ١٦٥ .
- ١٨ - إعلام من الله عزَّ وجلَّ أنه سيبعث على اليهود من يسومهم سوء
العذاب إلى يوم القيامة. وهو وعد من الله تعالى ولا يخلف وعده،
وها نحن أولاء الآن نشاهد ما يلقاه اليهود من العرب، فلا أمن
عندهم ولا اطمئنان ولا راحة ولا سلم، وما سيلقونه في المستقبل
أدهى وأمر، آيات ١٦٧ - ١٦٩ .
- ١٩ - التذكير بما أخذه تعالى علينا من الميثاق على ربوبيته في عالم
﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ... ﴾، آية ١٧٢ .
- ٢٠ - ذكر قصة بلعام بن باعوراء إمام علماء السوء الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ

آياته فانسلخ منها ومسخ وغوى وأخلد إلى الدنيا واتبع هواه فأصبح كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، آيتان ١٧٥، ١٧٦ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كنف الله، وفي حفظ الله، وفي ستر الله، حيًا وميتًا» .

رواه أحمد ٤٤/١، والترمذي في الدعوات ٣٣٢٨، وابن ماجه ١٩٢/٢، رقم ٣٥٥٧، والحاكم ١٩٣/٤ ورجاله لا بأس بهم غير أبي العلاء الشامي فمجهول، لكن له شاهد عن علي رضي الله تعالى عنه رواه أحمد ١٥٧/١، وابن أبي حاتم ١٤٥٧/٥، وهو وإن كان سنده ضعيفًا فإنه يتقوى به في الجملة وخاصة وأنه في الفضائل .

هذا امتنان من الله عزَّ وجلَّ على بني آدم حيث أعطاهم من الثياب والألبسة ما يغطون به عوراتهم ويتجملون به من أنواع الزينة وهو الريش . وهذا خلاف ما كان عليه الجاهلية من الهمجية والوحشية من كشف عوراتهم عند الطواف، فإن ذلك لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله واختاره من سائر خلقه . . . والحديث يدل على أن من استجد ثوبًا ينبغي له أن يقول ما ذكر ثم يتصدق بالثوب الخلق، وقد صح عنه ﷺ في ذلك: «الحمد لله الذي ألبسني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»، وإن ذلك من موجبات غفران ما تقدم من الذنوب .

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله.

رواه أحمد ١٧٦/٢، ١٩٧، والطيالسي رقم ٥٧، والترمذي في الإيمان ٢٤٥٨، وابن حبان ١٨١٢، والحاكم ٣٠/١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وعبد الله الدلمي لم يخرج له لكنه ثقة فالحديث صحيح.

كل من الهداية والإضلال بيد الله عز وجل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولا يسأل عما يفعل، فمن سبقت له الهداية فبفضل منه تعالى، ومن سبق له الإضلال والانحراف فبعده، وهذا الحديث الشريف يبين أهل الهداية والضلال وأن ذلك راجع إلى من أصابه نور الله ومن أخطأه. فنحمد الله تعالى حمداً كثيراً على الإيمان والهداية، ونسأله عز وجل أن يتكرم علينا بالثبات على ذلك حتى نلقاه طيبين، آمين. وسيأتي مزيد لهذا الموضوع في مواضع بإذن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ حُذُوًا زَيْنَتَكَرُّ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

٣٦

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرنا تطوفاً تجعله على فرجها وتقول:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

رواه مسلم آخر الكتاب ١٦٢/١٨، والنسائي في الكبرى ٣٤٥/٦، وفي الحج من المجتبي.

تطواف بكسر التاء: ثوب تلبسه المرأة تطوف به.

كان العرب في الجاهلية من غير سكان الحرم يطوفون عراة وعرايا،

إلّا من أعاره أحد ثوبًا من الحمس وهم أهل الحرم وسكانه، فجاء الإسلام فأبطل ذلك، وكان ممن نودي به في أيام الموسم من السنة التاسعة: ولا يطوف بالبيت عريان. ولذلك كان من آداب الإسلام بل الإنسانية وجوب ستر العورات والسوءات، وسواء كان ذلك داخل الصلاة أم خارجها، لكن الإنسانية اليوم مع تقدمها في أمور حياتها وبلوغها النهاية في الكمال المادي أصبحت متخلفة أخلاقياً وأديباً حتى صرنا نشاهد الناس عراة وعرايا في الشوارع وليس في شواطئ البحار والمساح والمراقص ودور الدعارة والفجور فقط، فنعوذ بالله من الفتن.

وقول تلك المرأة الجاهلة: اليوم يبدو بعضه... إلخ، تعني فرجها القدر التن أو جسدها ككل.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٦).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة».

رواه أحمد ١٨١/٢، ١٨٢، والنسائي ٥٩/٥، وابن ماجه ٣٦٠٥، والحاكم ١٣٥/٤ بسند حسن، وعلقه البخاري في أول اللباس مجزوماً به ٣٦٥/١٢.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف ومخيلة.

ذكره البخاري أيضاً معلقاً وذكر الحافظ أن ابن أبي شيبة وغيره وصلوه.

الإسراف والسرف هو مجاوزة الحد في كل شيء، والمخيلة التكبر والتعاضم والمباهاة والإعجاب وكل ذلك محرم فالآية والحديث نصان في إباحة كل المآكل والمشارب المأذون فيها إذا لم يكن إسراف وتبذير وتجاوز في الحد وتكبر وتعاضم وتفاخر.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثاً ثم قال - : إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء» فذكر الحديث بطوله في قبض روح المؤمن والصعود بها إلى السماء وثناء الملائكة عليها، وقبض روح الكافر والصعود بها إلى السماء أيضاً حتى قال: «ويخرج منها كأتتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة، فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً... » الحديث بطوله.

رواه أحمد ٤/٢٨٧، ٢٨٨، والطيبالسي ٧٤٣، وأبو داود ٣٢١٢، ٤٧٥٤، والحاكم ١/٣٧، ٤٠ بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذا الحديث عظيم في قبض أرواح المؤمنين والكافرين وسؤالها في قبورها، وقد ذكرته بطوله في كتاب مشاهد الموت ص ٦٣، ٦٤، ٦٥، فارجع إليه تذكر. وفيه كالأية أن السماء لا تفتح للكافرين كالمؤمنين الذين يحظون بالترحيب بهم والثناء عليهم وإكرامهم، جعلنا الله من أشرفهم عنده بمنه وفضله.

قوله تعالى: ﴿وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: ﴿وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ...﴾ الآية، قال: «تُودُوا أَنْ صَحَّوْا فَلَا تَسْقُمُوا، وَأَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا، وَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا». وفي رواية: «ينادي مناد أن لكم أن تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا...» إلخ.

رواه أحمد ٣/٩٥، ومسلم في كتاب الجنة ١٧/١٧٥، والترمذي في تفسير الزمر ٣١/٣٠٣، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٥، وابن أبي حاتم ٥/١٤٨٠ وغيرهم. انظر: الدر المنثور ٣/٤٥٨.

قوله: فلا تسقموا، أي لا يصيبكم سقم ولا مرض. وقوله: فلا تبأسوا من البؤس وهو شدة الحال والفاقة، فهم في نعيم دائم. وقوله: وشبوا، أي دوموا على شبابكم فلا يعتريكم كبر ولا هرم ولا خرف ولا موت.

إنها لنعم البشارة للمؤمنين، فيا لها من كرامة ويا له من فوز وسعادة، ختم الله لنا بالحسنى والشهادة، آمين.

وقوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ لا يعارضه حديث الصحيحين عنه ﷺ: «واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». إن هذا محمول على من اعتمد على عمله ولم يعرج على رحمة الله وفضله، وإلا فالجنة لا بد لدخولها من سبب وهو الإيمان والعمل الصالح، ثم الكل يرجع إلى فضل الله ورحمته.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ .

عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة

وعشرين رجلاً من صناديد قريش ففذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر بإحليلته فشد عليها رحلها ثم مشى وأتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» قال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

رواه البخاري في المغازي رقم ٣٩٧٦، ومسلم في كتاب الجنة رقم ٢٨٧٥، وأخرج نحوه مسلم رقم ٢٨٧٤ عن أنس، وفيه: «ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا»، ونحوه عن عمر أيضاً عنده ٢٨٧٣ وفيه: «غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً».

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القلب فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟»، ثم قال: «إنهم الآن ليسمعون ما أقول...»، وفي رواية فقيل له: أتدعو أمواتاً؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون».

رواه البخاري في الجنائز ١٣٧٠، وفي المغازي ٣٠٥/٨.

قوله: طوي بفتح الطاء وكسر الواو، البئر المبنية بالحجارة. وقوله: شفة الركي بفتح الراء وكسر الكاف: طرف البئر.

في هذه الأحاديث دليل لمن يقول بسماع الأموات كلام الأحياء، وهذا مع كونه يكاد أن يكون من اليقينيات هو قول عامة العلماء إلا قولاً شاذاً انفردت فيه مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها ومن قلدها، وأولت ما جاء في ذلك. وقد ألف العلماء كتباً خاصة في هذا الموضوع وأثبتوا بالأدلة

القطعية على أن الروح بعد مفارقتها الجسد موجودة وليست فانية وأنها تعلم وتسمع من يخاطبها ويسلم عليها وترد السلام كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة. وفي الآية الكريمة تقرّيع للكفار من طرف أهل الجنة يوم القيامة ونقمة وحسرة عليهم كما فعل النبي ﷺ مع قتلى بدر فقرعهم ووبخهم.

قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾.

عن أبي نعامة رحمه الله تعالى أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللّهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوّذ بالله من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء».

رواه أحمد ٥/٥٥، وأبو داود في الطهارة رقم ٩٦، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٦٤، والحاكم ١/١٦٢، وسنده صحيح، ونحوه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد ١/١٧٢، ١٨٣، وأبو داود ١٤٨٠، وأبو يعلى ٧١١ وفيه رجل مبهم، ومن هذا الطريق رواه ابن أبي حاتم في التفسير ٥/١٥٠٠.

قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، قال ابن جرير: ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللًا واستكانة لطاعته، ﴿وَخُفْيَةً﴾ يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته - وربوبيته - فيما بينكم وبينه لا جهارًا مرأاة... .

وفي الآية الكريمة والحديث الشريف ذم الاعتداء في الدعاء ومنه الجهر به، أو الدعاء بما لا طائل تحته أو سؤال منازل الأنبياء مثلاً، ومنه الدعاء بالمستحيل أو بالمحرم ونحو ذلك، فكل ذلك لا يحبه الله، أما الاعتداء في الطهور فهو الزيادة على المشروع والإسراف في الماء... .

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿٧٧﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات فقد سألهما قوم صالح، فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا

الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا، ويشربون لبنها يومًا، فعقروها فأخذتهم صيحة أحمدهم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلًا واحدًا كان في حرم الله»، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «أبورغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه».

رواه أحمد ٢٩٦/٣، وابن أبي حاتم ١٥١٦/٥، والحاكم ٣٢٠/٢ وسنده صحيح على شرط مسلم.

في الحديث النهي عن طلب الآيات والخوارق فإن ذلك ينافي العبودية لله تعالى ويدل على رقة الدين أو ذهابه، وربما كان المآل التكذيب بها فيصيب المكذبين ما أصاب قوم صالح عليه السلام، فإنهم سألوه آية، فأخرج لهم ناقة عشراء من الصخرة وامتحنهم الله بتبادل الشراب بينها وبين البئر، ثم تأمروا عليها فقتلوا فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جائمين. وسيأتي في سورة الحجر بعض شيء يتعلق بقوم صالح.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به».

رواه أحمد رقم ٢٧٢٧، وأبو داود ٤٤٦٢، والترمذي ١٣٢٥، وابن ماجه ٢٥٦١، والحاكم ٣٥٥/٤، والبيهقي ٢٣١/٨ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذه أول سورة ذكر فيها قوم لوط وما كانوا يأتونه من فاحشة لم يسبقهم أحد إليها، ولذلك كان عقابهم غريبًا من نوعه، فجعل تعالى ديارهم عاليها سافلها وأتبعها حجارة من سجيل... مطرًا عليهم. وكان حكم فاعل هذه الفاحشة في الإسلام ما جاء في هذا الحديث الشريف وهو الإعدام مطلقًا.

واختلف الأئمة في ذلك فذهب مالك والشافعي وأحمد وابن راهويه إلى رجمه بالحجارة أحصن أو لم يحصن، وذهب ابن أبي رباح والثوري وأبو حنيفة في آخرين إلى أن حده حد الزاني، كذا حكاه الترمذي في الجامع.

قوله تعالى: ﴿ وَجَدُونَا بَيْنِي إِسْرَاءَ يَلِ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ .

عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم».

رواه أحمد ٢١٨/٥، والحميدي ٨٤٨، والترمذي في الفتن ٢٠١٠، والنسائي في الكبرى ٥٩٩/٦، وابن أبي حاتم ١٥٥٣/٥ وغيرهم وسنده صحيح.

ذات أنواط: اسم شجرة كان المشركون يعلقون بها أسلحتهم، وقوله: «الله أكبر». في رواية للترمذي وغيره: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى لموسى». وقوله: «لتركبن»، أي لتتبعن طريق من سبقكم من اليهود والنصارى وغيرهم.

وفي الحديث ذم اقتفاء أثر الكفار والتشبه بهم في شؤونهم، وأنه يجب على المسلمين التباعد عن تقليدهم، وهذا مما غرق فيه المسلمون اليوم حتى ذابت شخصيتهم في شخصية الكفار، وأصبحوا لا مظهر لهم يعرفون به عن غيرهم إلا من رحم الله.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ رَبُّهُ لَلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ فَلَمَّا بَلَغْنَا رُبُّهُمُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُمْ دَكًّا ﴾ . قال حماد: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقاً .

رواه أحمد ١٨/١٤٤ بترتيب الإمام البنا، والترمذي في التفسير ٢٨٧٦، وابن جرير ٩/٥٣، وابن أبي حاتم ٥/١٥٦٠، والحاكم ٢/٣٢٠ وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

قوله: تجلى، أي ظهر بنوره فألقاه على الجبل . وقوله: دكاً، أي صار مدكوكاً تراباً مستويًا بالأرض . وقوله: وأمسك بطرف إبهامه، جاء في رواية عند ابن جرير وغيره، قال هكذا بإصبعه: ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل .

وهنا يظهر جلال الله وعظمته وكبريائه . . . وأن رؤية شيء ضئيل من نوره لا تطاق، فكيف برؤية ذاته العلية التي ليس كمثلها شيء، فإذا كان مقدار طرف أنملة الخنصر ألقى من نور الله على الجبل العظيم فساخ واندك وتفتت وخر كلهم الله عليه السَّلام مغشياً عليه، فكيف يا ترى كان الأمر إن حصل أعظم من ذلك .

ولذلك جاء في حديث: «إن الله إذا تجلى لشيء يخشع له» .

رواه أحمد وأبو داود والنسائي ٢/١١٧، والبيهقي ٣/٣٣٣ وغيرهم .

استدل بالآية وما قبلها على عدم رؤية الله في الدنيا، وهذا قول عامة العلماء مع اتفاقهم على عدم استحالتها . فسبحانه ما أعظم شأنه وأرفع مكانه .

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَمْؤُوسَ إِتِيَّ اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً

وَقَفَّصِلَا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ
الْفَنَسِقِينَ ﴿١١٤﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لقي موسى آدم عليهما السلام فقال: أنت آدم أبو البشر الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله وكتب لك بيده التوراة، أتلومني على أمر قد قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة» .

رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وانظر تخريجه في أول سورة البقرة الآية ٣٤ .

قوله: لقي آدم... إلخ، قيل: التقيا بأرواحهما بعد وفاتهما، وقيل: التقيا في حياة موسى، والبحث في هذا لا يأتي بكبير فائدة فحسبنا الإيمان بذلك. وقوله: وكتب لك بيده، هذا مما يجب الإيمان به ولا يتعرض للبحث فيه. وفي الحديث فضل كل من آدم وموسى عليهما السلام وأن الله اختص كلاً منهما بخصيصة. وفيه عدم مشروعية لوم العاصي ومعاتبته بعد التوبة واجتباؤه. وقوله: أنت آدم أبو البشر... إلخ، هو نص في أن آدم هو أبو الإنسانية وهو الذي جاء أيضاً في حديث الشفاعة الطويل، وذلك يرد على فكرة الدارويين القائلين بأن القرد أصل للإنسان ثم ترقى... وهي فكرة إلحادية مخالفة لصريح القرآن...

قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللّهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلّم رسول الله ﷺ قال للأعرابي: «لقد تحجّرت واسعاً» .

رواه النسائي في الكبرى ٥٥٤، ٥٥٥، ١١٣٩، ١١٤٠، وفي السهو من المجتبى ١٣/٣، وأبو داود ٨٨٢ بسند صحيح، وأصله في الصحيح بسياق آخر في بول الأعرابي بالمسجد.

تحجرت: أي ضيقت ما وسعه الله من رحمته.

وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها ثم ركبها ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا تشرك في رحمتنا أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «أتقولون هذا أضل أم بعيره، ألم تسمعوا ما قال؟»، قالوا: بلى، قال: «لقد حظرت رحمة واسعة، إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنها وإنسها وبهائمها وأخر عنده تسعًا وتسعين رحمة، أتقولون هو أضل أم بعيره؟».

رواه أحمد ٣١٢/٤، والحاكم في التوبة ٢٤٨/٤ وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حظرت أي منعت ما وسعه الله.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

رواه أحمد ٥٥/٣، ٥٦، والبخاري في الأدب ٣٨/١٣، ومسلم في التوبة ٦٨/١٧، واللفظ له، والترمذي في الدعوات ٣٣٠٨، ابن ماجه ٤٢٩٣ وغيرهم بالفاظ.

وعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه بنحوه وفيه: «إن الله خلق

يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض... إلخ.

أخرجه أحمد ٤٣٩/٥، ومسلم ١٧/٦٩.

وفي رواية لأبي هريرة عنه رضي الله عنه قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

رواه البخاري ومسلم ١٧/٧٠، والترمذي في الدعوات ٣٣٠٩.

هذه الأحاديث كلها مؤيدة للآية الكريمة وأن رحمة الله تسع كل شيء، غير أن الأحاديث تدل على أن الرحمة رحمتان رحمة عامة تعم كل الخلائق في هذه الحياة إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم... ورحمة خاصة وهي التي اختصها بمن اتقاه وآمن به وأطاعه، فمنَّ عليه في هذه الدنيا بنعمة الإيمان والتقوى وشارك سائر الخلق في الرحمة التي قسمت بينهم في هذه الأرض ثم أتم عليه النعمة في الآخرة بباقي الرحمات وبإلها من سعادة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

عن رجل من الأعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغت من بيعتي قلت لألقين هذا الرجل فلا سمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهما حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل

الفتيان وأحسنها، فقال رسول الله ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟»، فقال برأسه هكذا أي لا، فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فقال ﷺ: «أقيموا اليهودي عن أخيكم»، ثم تولى كفته والصلاة عليه.

رواه أحمد ٤١١/٥ وسنده صحيح، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس. وذكر في المجمع ٢٣٤/٨ أن رجاله رجال الصحيح، وقال: إنه لم يعرف أبا صخر مع أن الشيخين وابن حبان جزموا بأن له صحبة. وما ذكر فيه من الاضطراب لا يضر فإن لمعناه شواهد صحيحة، وسيأتي لنا حديث عبد الله بن عمرو وغيره في الأحزاب.

في الحديث بيان أن اليهود كانوا يعرفون النبي ﷺ وصفته ومخرجه بما كان عندهم في التوراة، ولكنهم كتموا ذلك وكفروا به كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ﴾ [الآية ٨٩].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.



عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر محاوراة، فأغضب أبو بكر عمر رضي الله تعالى عنهما فانصرف عنه عمر مُغْضَبًا فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أما صاحبكم هذا فقد غامر»، قال: وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأننا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟»، إني قلت: ﴿يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي

رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» ، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت.

رواه البخاري في الفضائل وفي التفسير ٣٧٣/٩.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر...»، فذكر الحديث، وفيه: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة».

رواه البخاري في التيمم وغيره، ومسلم في المساجد ٣/٥، ٤، وسيأتي بطوله في موضع آخر له. وجاء في المسند ٤١٦/٤ من حديث أبي موسى بلفظ: «أعطيت خمسا: بعثت إلى الأحمر والأسود...» الحديث. وسنده صحيح وفيه أيضا ٢٥٠/١، ٣٠١ من حديث ابن عباس بلفظ: «بعثت إلى كل أحمر وأسود فليس من أحمر ولا أسود يدخل في أمي إلا كان منهم». وفي رواية: «بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود»، وسنده صحيح. ونحوه أيضا عنده ٢٢٢/٢ من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد، وفيه: «أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه».

الآية الكريمة مع ما ذكرنا من الأحاديث تدل على عموم بعثته ﷺ إلى كل الأجناس والأجيال من أيامه إلى قيام الساعة، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، فمن خصص بعثته بالعرب أو بالأوائل أو قال بنبوّة غيره أو سوّى بين الأديان فهو كافر بالإجماع وبدون خلاف بين طوائف المسلمين.

وفي حديث أبي الدرداء فضل ظاهر للصدّيق رضي الله تعالى عنه، حيث شهد له الرسول الأكرم ﷺ بالأسبقية إلى الإيمان به قبل الناس وتصديقه به بدون توقف. ويأتي حديث أبي موسى وأبي هريرة فيمن لم يؤمن به ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَارَ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . . .﴾ الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال ﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار» .

رواه أحمد ١/٤٤، ٤٥، وأبو داود ٤٧٠٣، ٤٧٠٤، والنسائي في الكبرى ٥٠٤/٦، وابن حبان ١٨٠٤ بالموارد، والحاكم ٢/٣٢٤، ٣٢٥، ٥٤٤، ٥٤٥، وصححه. ورواه أيضًا أحمد ٤/١٨٦، وابن حبان ١٨٠٦، والحاكم ١/٣١ من رواية عبد الرحمن بن قتادة السلمي مختصرًا بسند صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة . . . الخ» .

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٧٨، ٣١٤٨، وابن حبان بالإحسان ٦١٦٧، والحاكم ١/٦٤، ٣٢٥، ٥٨٥، ٥٨٦، ٢٦٣/٤ من طرق، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم في المواضع الثلاثة ووافقه الذهبي، وسيأتي كاملاً في حزب ﴿فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الصافات: ١٤٥] عند الكلام على داود عليه السلام .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ . . . ﴿ الآية ١٧٦ ﴾ .

رواه أحمد ١/٢٧٢، ٢٥١، ٢٩٩، ٣٧١، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٦، والحاكم ١/٢٧، و ٣/٥٤٤ وصححه ووافق الذهبي وسنده صحيح على شرط مسلم ونحوه عن أبي بن كعب. رواه عبد الله بن أحمد في الزوائد، كذا في المجمع ٧/٢٥.

قوله: فمسح ظهره . . . إلخ، هذا مما يجب الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تأويل ولا تشبيه، وقوله: ذراها أي خلقها، وقوله: قبلاً بضم القاف والباء، أي كلمهم مواجهة.

وفي هذه الأحاديث أمور:

أولاً: إن الآجال والسعادة والشقاوة كلها مقدره لا تتبدل ولا تتغير.

ثانياً: إن الله تعالى قد أخذ العهد على جميع أرواح بني آدم في عالم الذر بأن يوحدوه ويعترفوا بربوبيته.

ثالثاً: فيها أن آدم عليه السلام قد أطلع الله عز وجل على جميع نسمة بنيته، وأنه عرفه إياهم وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا . . . ﴿ الآية [البقرة: ٣١]. ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية: ﴿ ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قال: هو أمية بن أبي الصلت.

رواه النسائي في الكبرى ٦/٣٤٨، وابن جرير ٩/١٢١، وابن أبي حاتم

١٦١٦/٥ بسند صحيح، وأورده الهيثمي ٢٠٢٥/٧ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح، وعزاه البوصيري في الإتحاف ٣٧٥/٤ لمسدد، وكبرى النسائي وقال: رجاله ثقات.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الآية، قال: هو بلعم، وقال: نزلت في أمية . . .

رواه النسائي في الكبرى ٣٤٨/٦، وابن جرير ١١٩/٩، ١٢٠ وسنده صحيح.

الآية الكريمة تتحدث عن بلعام بن باعوراء كما هو قول عامة المفسرين وكان من أصحاب سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فأضله الله ومسخه بعد أن كان قد أوتي علمًا . . . ولكن ابن مسعود وابن عمر رضي الله تعالى عنهما يصرحان هنا بأن الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت، فكأنه لشبهه بابن باعوراء نزلت فيه الآية الكريمة، فإنه كان على علم من الشرائع القديمة وجاء في كلامه الكثير من التوحيد والكلام على الآخرة والبعث . . . ولكنه لم ينتفع بعلمه، فإنه لما بعث النبي ﷺ وبلغته آياته ومعجزاته كفر في جملة من كفر، وكان علمه وبالاً عليه كابن باعوراء لعنهما الله معاً.

وفي قصة هذا اللعين عبرة لعلماء السوء الذين يخلدون إلى الدنيا وشهواتها ويبيعون دينهم لأهلها ويتملقون للأمرء الظلمة . . . والأغنياء وذوي الثراء السقطاء . . . فيضلُّون في أنفسهم ويضلُّون الغمر الجهلة الغوغاء من العوام عيادًا بالله منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰٓتِرُونَ ﴿١٧٧﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقالت: يا رسول الله طوبى له عصفور من عصفير

الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم».

رواه أحمد ٢٠٨/٦، ومسلم في القدر ٢١١/١٦، ٢١٢، وأبو داود ٤٧١٣، والنسائي ٤٦/٤، ٤٧، وابن ماجه ٨٢، وتقدم حديث عمر: «... خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، وخلق هؤلاء للنار...» الحديث، وفي حديث آخر: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي».

قوله: أو غير ذلك يا عائشة، هذا محمول على أنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله تعالى بأن الأطفال في الجنة، وقد أجمع من يعتد به على أن أطفال المؤمنين في الجنة وأنهم فرط لآبائهم.

والحديث كالأية يدلان على أن الله خلق كثيراً من الجن والإنس لجهنم، وكذا خلق آخرين للجنة كل ذلك قد سبق به علمه وقدره، وهذا من القطعيات اليقينية التي لا مجال للتشكك فيه فمن أنكره فليس بمؤمن.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر...».

رواه أحمد ٢٥٨/٢، ٤٩٩، والبخاري في الشروط ٢٨٣/٦، وفي الدعوات ١٣/٤٧١، ٤٨٦، وفي التوحيد ١٧/١٤٨، ومسلم في الذكر ١٧/٥/٦، والترمذي في الدعوات ٣٢٧٧، ٣٢٧٨ وغيرهم.

من أحصاها، أي حفظها كما قال البخاري وغيره. وفيه فضل حفظ أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وأن ذلك من موجبات الجنة.

وهذا العدد لا مفهوم له، فإن لله أسماء كثيرة غير هذه.

فعن ابن مسعود مرفوعاً: «ما أصاب أحداً قط همّ ولا حزن فقال: اللّٰهُمَّ إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلّا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدل مكانه فرحاً...»، الحديث. رواه أحمد ٣٧١٢، وابن حبان ٢٣٧٢، وهو حديث صحيح.

وفيه أن له تعالى أسماء استأثر بها لا نعلمها. نعم هذا العدد المذكور له خاصية ليست لغيره، يبقى السؤال مطروحاً فأين هذا العدد؟ والجواب هو موجود في الكتاب والسنة وقد تتبعه جماعة وجمعه منهم الحافظ في الفتح، أما ما جاء من ذكره في سنن الترمذي فضعفه جماعة وقالوا إن ذكره مدرج من بعض الرواة.

وفي الآية الكريمة الحض على سؤاله تعالى ودعائه بأسمائه الحسنی، فإن فيها الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى.

قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ قال: ما أنزل الله هذه الآية إلّا في أخلاق الناس.

رواه البخاري في التفسير ٣٧٥/٩، والنسائي في الكبرى ٣٤٨/٦، وابن جرير ١٥٤/٩، وأخرجه أبو داود في الأدب ٤٧٨٧ وعلقه البخاري بلفظ: أمر النبي ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. ومثله عن ابن عمر رواه الطبراني في الأوسط ١٢٣٨، قال في المجمع ٢٦/٧: ورجاله ثقات.

ومعنى الآية الكريمة، خذ بالسهل اليسير في معاملة الناس، واعف عن ظلمك منهم، وأمر بالمعروف والمستحسن من الأقوال والأفعال،

وأعرض عن السفهاء الجاهلين ولا تقابلهم بمثل سفههم . والآية وإن كانت خطاباً للنبي ﷺ فهو تأديب لجميع الأمة .

وبهذا تم الكلام على تفسير سورة الأعراف ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه ، آمين .

* * *

﴿ سُورَةُ الْأَنْفَالِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِيَ لَآ أَلْفَ لَآكُمُ الْعَرَبُ
وَمَا لِيَ لَآ أَلْفَ لَآكُمُ الْعَرَبُ

هذه السورة الكريمة هي سابعة السبع الطوال، وهي من السور المدنية جاءت بعد سورتين مكيتين الأنعام والأعراف، وآياتها خمس وسبعون، وأهدافها العناية بالتشريع الإسلامي، وخاصة الأحكام السياسية والحربية والجهاد في سبيل الله، نزلت في أعقاب غزوة بدر.

من خصائص هذه السورة

وهي تختص عن غيرها أيضًا بأمر وهي كما يلي:

- ١ — بداية الكلام على الأنفال والمغانم وسؤال الصحابة عنها، وبها سميت السورة، آية ١.
- ٢ — ذكر صفات خاصة للمؤمنين لم تذكر كذلك إلا هنا، آيتان ٢، ٣.
- ٣ — تحدثها عن غزوة بدر بإسهاب، آية ٧، ١٤، ٤١ — ٤٩.
- ٤ — ذكرها لنداءات المؤمنين في ستة مواضع، آية ١٥، ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٤٥.

- ٥ - ذكرها الوعيد الشديد للفرار من الزحف وميدان القتال، آية ١٦ .
- ٦ - وجوب الاستجابة لله وللرسول، آية ٢٤ .
- ٧ - وجوب التحفظ من الفتنة العامة، آية ٢٥ .
- ٨ - ذكر مؤامرة الكفار ضد نبينا ﷺ وعزمهم على قتله، آية ٣٠ .
- ٩ - من فضل الله تعالى على الأمة أن لا يعذبهم ونيبهم بينهم أو وهم يستغفرون، آية ٣٣ .
- ١٠ - بيان ما كان يفعله الكفار عند البيت من المكاء والتصدية، آية ٣٥ .
- ١١ - ذكر آية فيها بشارة عظيمة لمن آمن من الكفار، آية ٣٨ .
- ١٢ - بيان مصاريف المغانم وبيان التخميس لها، آية ٤١ .
- ١٣ - شرالدواب عند الله هم الكفار، آية ٥٥ .
- ١٤ - الأمر بالاستعداد للكفار بالأسلحة وما يتبعها، آية ٦٠ .
- ١٥ - ذكر آية المصابرة والتخفيف في مواجهة الكفار، آية ٦٤، ٦٥، ٦٦ .
- ١٦ - ذكر العتاب على أخذ الفداء في أسارى بدر، آيتان ٦٧، ٧١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك»، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي . فجاءني الرسول ﷺ فقال: «إنك سألتني وليس لي، وأنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾ الآية .

رواه أحمد ١/١٧٨، ١٨٥، ١٨٦، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/٥٣، ٥٤،

وأبو داود ٢٧٤٠، والترمذي في التفسير ٢٨٨٠، والنسائي في الكبرى ٣٤٨/٦ وغيرهم.

قوله: يبلي، هو من الابتلاء، يقال: ابتليت بلاءً حسناً، أي صنعت فعلاً اخترت به وظهر به خيري وشري. والأنفال: الغنائم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدنا معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله عز وجل العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾ الآية، فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. وفي رواية عنه قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله تعالى من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين على فواق، يقول على السواء.

رواه أحمد ٣٢٢٢/٥، ٣٢٢٣، ٣٢٤، قال نور الدين في مجمع الزوائد ٩٨/٧: ورجال الطرفين ثقات.

قوله: وأحدقت، أي أحاطت.

وقوله: على فواق، أي على السواء.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من

أتى مكان كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا، فله كذا وكذا، فأسرع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله لهم جاء الشباب يطلبون ما جعل لهم فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فإنما كنا ردةً لكم، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ... ﴾ الآية .

رواه أبو داود ٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩، بالفاظ أخرى، والنسائي في الكبرى ٣٤٩/٦، وابن حبان ١٧٤٣ بالموارد، والحاكم ١٣١/٢، ١٣٢، ٢٢١، ٣٢٧، وصححه ووافقه الذهبي .

وقوله: ردةً، أي عوناً ونصرًا. وظاهر هذه الأحاديث أن ما فيها كلها أسباب لنزول هذه الآية، وليس فيها ما يستنكر فإن الجميع أخبر بما شاهد أو حصل له في هذه الغزوة، والأسباب قد تتعدد كما هو معلوم. والآية الكريمة تدل على أن أمر الغنائم حكمها لله ولرسوله ﷺ لا حاكمة لأحد فيها، وأن الواجب على المختلفين فيها وفي غيرها أن يسلموا الأمر لله ورسوله ﷺ، وأن يصلحوا ما وقع بينهم من النزاع.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٧﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من بدر، قيل له: عليك العير ليس دونها شيء، قال: فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح لك ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «ولم؟» قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك، قال: «صدقت» .

رواه أحمد ٢٢٩/١، ٣١٤، ٣٢٦، والترمذي في التفسير ٢٨٨٢، وابن أبي حاتم ١٦٦٠/٥، وغيرهم وسنده صحيح، وفيه رواية سماك عن عكرمة وفيها كلام ولا يضر هنا.

قوله العير، بكسر العين يقال للإبل الموقرة بالبضائع التجارية، وكان

هذا العير مكوناً من ألف بعير، شارك فيه جميع أهل مكة، فخرج النبي ﷺ إليه ففاته، وكان الله تعالى وعده إحدى الطائفتين ذات العير، أو المقاتلة ذات الشوكة، فكانت الثانية وكان العباس رضي الله تعالى عنه صادقاً فيما قال: رغم أنه كان مربوطاً في وثاقه، لأنه جاء مع الكفار فأسر فيمن أسر حتى فدى نفسه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِينَ﴾.

عن عُمَر رضي الله تعالى عنه قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مَدَّ يده وجعل يهتف بربه: «اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف به ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبیه، فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبیه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية.

رواه أحمد ١/٣٠، ٣١، مطولاً والبخاري في المغازي ٨/٢٩٠، ٢٩١ مختصراً، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/٨٤، ٨٥ مطولاً، والترمذي في التفسير ٢٨٨١، واللفظ له، وابن أبي حاتم ٥/١٦٦٢، ١٦٦٣ وغيرهم، وسيأتي كاملاً قريباً إن شاء الله تعالى برقم ٤٣١.

قوله: يهتف، أي يصيح. ومناشدتك، أي سؤالك. والعصابة الجماعة. والاستغاثة طلب الغوث وهو بمعنى الخلق خاص بالله عز وجل فلا يأتي بإيجاد الغوث سواه، وقد تأتي الاستغاثة بمعنى طلب الشفاعة أو التوسل.

وفي الحديث فوائد وأحكام ليس هذا محل بسطها. وفي الآية دليل على أن الله تعالى قد أمد المسلمين ببدر بالملائكة بألف ثم بثلاثة آلاف ثم بخمسة كما تقدم في آل عمران، وبذلك جاءت السنة الصحيحة المطهرة، ومع ذلك نرى بعض المفسرين المعاصرين أنكروا ذلك وقانا الله الزلل والزيغ والخذلان.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَّهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِيحَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما كان فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح.

رواه أحمد ١/١٢٥، ١٣٨، والنسائي في الكبرى، وابن خزيمة ٨٩٩، وأبو يعلى ١٤٦/١، وسنده صحيح ووقع عند أبي يعلى «قائم» بدل «نائم» وهو تصحيف.

من رحمة الله تعالى ولطفه بالمسلمين يوم بدر أنه ألقى عليهم النوم والنعاس أمناً منه تعالى وطمانينة لهم من شدة البأس، وهذه مع كونها نعمة ورحمة من الله هي معجزة لرسول الله ﷺ حيث غشي النوم جميعهم إلا رسول الله في وقت البأس والخوف... وهذا كما حصل لهم مثله في غزوة أحد كما تقدم في آل عمران.

وعن علي أيضاً قال: أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةُ لَا تَعْبُد...».

رواه أحمد ١/١١٧، وأبو داود في الجهاد ٢٦٦٥ بسند صحيح، ونحوه عن ابن عباس عند الحاكم ٣/١٨٧، ١٨٨.

هذا أيضًا من تمام نعمته تعالى على أهل بدر حيث أنزل عليهم الغيث ليظفروا به ويثبت به أقدامهم في تلك الرمال.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ
الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُمْ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مَتَحَنِّزًا إِلَيْكَ فَتَوَّ فَقَدْ بَكَءَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصير ﴿١٦﴾﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: ومن يولهم يومئذ دبره قال: نزلت في أهل بدر.

رواه أبو داود ٢٦٤٨، والنسائي في الكبرى ٣٥٠/٦، وابن جرير ٢٠١/٩، وابن أبي حاتم ١٦٧٠/٥، والحاكم ٣٢٧/٢، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سئل فقيل له: إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ولا ندرى من الفئة؟ فقال: الفئة رسول الله ﷺ، فقيل له: إن الله يقول في كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ
الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ الآية، قال: إنما أنزلت هذه لأهل بدر لا لقبها ولا لبعدها.

رواه النسائي في الكبرى ٢٤٩/٦ بسند حسن، ورواه ابن جرير ٢٠٢/٩ موقوفًا على نافع مولى ابن عمر.

الآية الكريمة نزلت في أهل بدر، وحكمها عام ومحكمة فلا يحل للمسلمين الفرار من المعركة إلا إذا كان القصد بذلك التحرف للقتال حيلة أو التحيز إلى فئة أخرى من المؤمنين، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين والعلماء، وقد جاء في حديث الصحيحين: «اجتنبوا السبع الموبقات»، فذكر منها التولي يوم الزحف، والمراد به التداني والتقارب مع العدو للقتال، أما قول ابن عمر: الفئة رسول الله ﷺ، فذلك لا ينافي عمومها لكل المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ .

عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها وقال: شأهت الوجوه فانهزمتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ . . . الآية﴾ .

عزاه في المجمع ٨٥/٦ للطبراني وحسنه، ونحوه عن ابن عباس عنده برجال الصحيح .

والآية تدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى .

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير رضي الله تعالى عنه قال: كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم، اللّهُمَّ أينما كان أقطع للرحم وأتى لما لا نعرف فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ . . . الآية﴾ .

رواه أحمد ٤٣١/٥، والنسائي في الكبرى ٣٥٠/٦، وابن جرير ٢٠٧/٩، ٢٠٨، والحاكم ٣٢٨/٢، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

ومعنى الآية الكريمة: إن تطلبوا الفتح والنصر لأحد الحزبين حزب الله وحزب الشيطان فقد جاءكم الفتح والنصر، ففتّح على المؤمنين وقضى لهم بالظفر، وهزّم المشركون وفتّح لهم بالقتل والأسر والذل والخزي .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ
الْبُكْمُ...﴾ الآية، قال: هم نفرٌ من عبد الدار.

رواه البخاري في التفسير ٣٧٧/٩، وابن جرير ٢١٢/٩، وابن أبي حاتم
١٦٧٧/٥، وزاد ابن جرير: «لا يتبعون الحق».

والمراد بالآية الكريمة أن شر الخلق فمن يمشي على الأرض ويدب
عليها الصم والطرش الذين سمعوا القرآن بأذانهم الحساسة، ولكنهم لم
ينتفعوا به، لأنهم لم يسمعه سماع تدبر واتعاظ وقبول، فكانوا كأنهم صم
قد فقدوا حاسة أسماعهم. وكذا هم البكم أي الخرس الذين لا ينطقون
بالحق، ومنه شهادة الإسلام، وكانوا كذلك لأنهم لا يعقلون، فهم فاقدوا
العقول التي يميز بها الحق من الباطل. وفي الآية الكريمة ذم بليغ لهم
ولأمثالهم من الكفار، فهم شر من الكلاب والخنازير والحمير والقردة
والثعابين والتماسيح...

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ﴾.

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله تعالى عنه قال: كنت
أصلي فمرَّ بي رسول الله ﷺ فدعاني فلم آتِه حتى صليت ثم أتيتُه
فقال: «ما منعك أن تأتي، ألم يقل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾ - الآية، ثم قال: «لأعلمنك أعظم
سورة في القرآن قبل أن أخرج، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له،
فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾» هي السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي أوتيته».

رواه أحمد ٤٥٠/٣، ٢١١/٤، والبخاري ٣٧٧/٩، ٣٧٨، ٤٥٣، وأبو داود

١٤٥٨، والنسائي في الكبرى ٢٨٣/٦، وفي الصلاة من المجتبى، وابن ماجه ٣٧٨٥ وغيرهم.

قوله: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ... ﴾ إلخ، أي أجيئوا دعاءه إذا دعاكم للإيمان الذي تحيا به الأرواح الحياة الأبدية. وقوله في الحديث: هي السبع المثاني، أي هي السبع الآيات التي تثني في كل ركعة من الصلاة.

في الآية والحديث وجوب الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ، وللعلماء كلام فقهي يتعلق بالموضوع.

وفي الحديث فضل سورة الفاتحة وأنها أعظم سور القرآن.

قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ونحن يومئذ متوافرون، قال: فجعلت أتعجب من هذه الآية، أي فتنة تصيبنا؟ ما هذه الفتنة؟ حتى رأيناها.

رواه أحمد ١٦٧/١، والنسائي في الكبرى ٣٥١/٦، وابن جرير ٢١٨/٩، وابن أبي حاتم ١٦٨٣/٥. وفي رواية: قرأت هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون. وسنده صحيح وعزاه في المجمع ٢٧/٧ لأحمد، وقال: بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وذكر ابن جرير عن الحسن البصري: أنها نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله تعالى عنهم.

ومعنى الآية الكريمة: احذروا انتقام الله تعالى إن عصيتموه أو أقرتم على المنكر فلم تغيروه، واحذروا فتنةً وامتحاناً إن نزلت بكم لا تشمل الظالم وحده، بل تعم الصالح والظالم، الطالح لظلمه وعصيانه وإصراره،

وغيره لسكوته وعدم أخذه على يد الظالم والمصر على العصيان. والآية عامة تجر ذيلها على كل الأجيال المنحرفة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ﴾ . . . الآية، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبته بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات علي رضي الله تعالى عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله تعالى مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقترضوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابهِ نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابهِ، فمكث فيه ثلاث ليالٍ.

رواه أحمد ٣٤٨/١، وفي سننه عثمان الجزري، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٧/٢٧، ولهذه القصة طرق وشواهد عند ابن إسحاق وغيره.

ما ذكره ابن عباس بياناً للآية الكريمة هو ما أورده كل أهل المغازي والسير، وهذه المؤامرة التي عقدها كفار قريش ضد النبي ﷺ كانت السبب الأخير للهجرة النبوية الخالدة، فقد تأمروا عليه فأدلى كل بما أوحاه إليه شيطانه فاقترح بعضهم عليهم أن يوثقوه ويربطوه ويحبسوه حتى يموت، وقال ثابن بل اقتلوه، وقال ثالث: نخرجه من بلادنا وننفيه. ثم اتفق رأيهم

أخيراً على قتله، فأتاه الأمين جبريل عليه السلام من عند الله يخبره بمؤامرتهم وما عزموا عليه ويأمره بالهجرة وأن لا ينام ليلته على فراشه. فجاءت هذه الآية الكريمة المدنية تذكره ﷺ بنعمته تعالى عليه حيث أبطل مكر أولئك الكفرة وفضح أمرهم وخيب سعيهم ونجى نبيه ثم نصره عليهم وظفره بهم.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ... ﴾ الآية، فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ... ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٣٧٨/٩، ٣٧٩، ومسلم.

هذا من فرط جهل أولئك الكفار وشدة كفرهم وعنادهم وتهكمهم واستهزائهم، فبدل أن يسألوا الله الهداية استعجلوا العذاب، ولكن الله تعالى مع استحقاقهم للعذاب قال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ... ﴾، وذلك إكراماً له ﷺ، وقد جرت سنة الله في خلقه أن لا يعذب أمة ويستأصلها ونبيها بين ظهرانيهم، كما أنه لا يعذبهم وفيهم من يستغفر الله تعالى من المؤمنين، نعم عندما غادرهم وهاجر بلادهم ﷺ ولم يبقَ بينهم من يستغفر الله عزَّ وجلَّ عذبهم، ولذا قال: ﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴾. فهم لم يستحقوا نزول العذاب حتى أخرجوا نبي الله ﷺ، وتبعه من كان بها من المؤمنين المستغفرين، فعندئذٍ حلَّ بهم عقابه فجاءت غزوة بدر، ثم كانت النهاية فتح مكة المكرمة. والآية الكريمة جيء بها أيضاً تذكراً للنبي ﷺ وللمؤمنين بما كان قد صدر من الكفار قبل الهجرة.

قوله تعالى: ﴿إِن أَوْلِيَاءُ إِلَّا الْمُنْفُونَ﴾ .

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول جهارًا غير سر: «ألا إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين» .

رواه البخاري في الأدب ١٣/٢٤، ٢٥، ٢٦، ومسلم في الإيمان ٣/٨٧ .

وعن رفاة بن رافع رضي الله تعالى عنه قال: جمع رسول الله ﷺ قريشًا فقال: «هل فيكم من غيركم؟»، فقالوا: فينا ابن أختنا، وفينا حليفنا، وفينا مولانا، فقال: «حليفنا منا، وابن أختنا منا، ومولانا منا، إن أوليائي منكم المتقون» .

رواه الحاكم ٢/٣٢٨، وصححه ووافقه الذهبي .

أولياء الله هم الذين والوا الله بطاعته . . . فوالاهم بالطفاه وكراماته وهم المتقون . وفي الحديثين إرشاد للمؤمنين بأن يقطعوا علاقة ولايتهم وصدقتهم عن المخالفين في الدين، وأن يعلنوا البراءة من موادتهم وأن يخلصوا الولاية لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين الصالحين .

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ .

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» .

رواه مسلم في الإيمان ٢/١٣٧ مطولاً في قصة موت عمرو بن العاص .

في الآية والحديث بشارة عظيمة لمن أسلم من الكفار وترغب أكيد في اعتناق الإسلام، حيث إنه تعالى يكفر عنهم كل ما سلف لهم من ذنوب

وأعظمها وأفحشها كفرهم، كما فيه فضل الحج والهجرة وأنهما يكفران ما سبق من آثام وفواحش، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ﴾.

عن رجل رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو بوادي القرى وهو يعرض فرسًا، فقلت: يا رسول الله، ما تقول في الغنيمة؟ فقال: «لله خمسها، وأربعة أخماسها للجيش»، قلت: فما أحد أولى به من أحد؟ قال: «لا، ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم».

رواه البيهقي في الكبرى ٦/ ٣٢٤ بسند صحيح.

وعن عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه قال: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ إلى بغير من المغنم، فلَمَّا سَلَّمَ أَخَذَ وَبَرَّةَ من جنب البعير ثم قال: «ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس، والخمس مردود فيكم».

رواه أبو داود ٢٧٥٥، والحاكم ٣/ ٦١٦، والبيهقي ٦/ ٣٣٩ بسند صحيح، وللحديث شواهد حسان سيأتي بعضها في سورة الحشر إن شاء الله تعالى.

لا خلاف بين المسلمين أن حكم الغنيمة التي تؤخذ من الكفار على أيدي المسلمين أنها تجعل خمسة أخماس، أربعة منها تقسم بين المقاتلين، والخمس الباقي يوزع بين المذكورين في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ الآية. وقال بعض مفسري السلف: إن خمس الله ورسوله واحد يصنع فيه رسول الله ﷺ ما شاء وكذا خلفاؤه. وقد صح عنه ﷺ أنه كان يأخذ من الغنيمة الصفي أمة أو ما شاء يصطفيه لنفسه زيادة على سهمه من الخمس فيكون ذلك أبيع له بعد أن قال: ولا يحل لي من

غنائمكم مثل هذا إلا الخمس . وسيأتي زيادة لهذا في سورة الحشر بحول الله تعالى وقوته إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥) .

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف...» الحديث، وسيأتي في سورة الأحزاب .

رواه البخاري في مواضع من الجهاد منها في باب لا تتمنوا لقاء العدو ٤٩٧/٦ ، ٤٩٨ ، ومسلم في الجهاد أيضًا رقم ١٧٤٢ وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله ، فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت» .

رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ١٧١١/٥ وغيرهم، وأصله في الصحيح .

الآية الكريمة والحديثان تدل على وجوب الثبات والصبر عند التحام القتال مع ذكر الله عز وجل والالتجاء إليه وسؤاله النصر والظفر بالعدو، وفي الحديثين النهي عن تمني لقاء العدو، فإن الامتحان صعب وطلب العافية أفضل من ذلك .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤٨) .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مُذَلِّج في صورة سراقه بن مالك بن جُعْشُم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما اصطفَّ الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السَّلام إلى إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقه تزعم أنك لنا جار؟ قال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب. وذلك حين رأى الملائكة.

رواه ابن جرير ١٨/١٠، وابن أبي حاتم ١٧١٥/٥، والبيهقي في الدلائل ٧٨/٣، ٧٩ وغيرهم، وسنده حسن في الشواهد. والقصة وردت من طرق ومراسيل بعضها صحيحة. انظر: سيرة ابن هشام ٦١٢/١، وابن جرير ١٩/١٠، ٢٠، وابن أبي حاتم ١٧١٦/٥، والدر المنثور ٧٨/٤، ٧٩، وغيرهم.

هكذا يغر الشيطان أولياءه ثم يخذلهم أحوج ما يكونون إلى من ينصرهم، فهو من شأنه أن يعد أصحابه ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، فها هو قد أتى كفار قريش في جيش له قد واعدهم أنه جار لهم يدافع عنهم ويقاتل هو وأصحابه دونهم، لكنه عندما شاهد ما لا طاقة له به من عظيم بطش الله فر هارباً مع جنده وخذل أولياءه وتركهم ما بين صريع ومهزوم وأسير، وهكذا سيفعل يوم القيامة مع من أطاعه فيتبرأ منهم على رؤوس الأشهاد ويقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ



تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴿٦١﴾ .

عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : « ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ألا إن القوة الرمي _ ثلاثاً _ .»

رواه أحمد ٤/١٥٧ ، ومسلم في الإمامة ١٣/٦٤ ، وأبو داود ٢٥١٤ ، والترمذي في التفسير ٢٨٨٤ ، وابن ماجه ٢٨٨٣ ، والحاكم ٢/٣٢٨ وغيرهم ، وزاد مسلم والترمذي : « ألا إن الله سيفتح لكم الأرض وستكفون المؤونة فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه » ، غير أن مسلماً أفردا حديثاً مستقلاً .

في الآية الكريمة والحديث الحظ على اتخاذ القوة والاستعداد لقتال الكفار والتدرب على الأسلحة والرمية ، وإن أعظم القوة هي الرمي .

وفي الحديث إشارة إلى الرمي بهذه القنابل والصواريخ الحالية ، وأنها القوة الحقيقية لا غيرها من كثرة الجنود والأسلحة الخفيفة ، فإن الرمي بهذه القنابل والصواريخ يكون بواسطة الطائرات ، والدبابات البرية ، والبواخر الحربية البحرية وغيرها مما لا تبقي ولا تذر ، ويتولى شخص واحد أو اثنان . . . قتل الألوف من البشر وتدمير مدن بأتمها ، فيجب على الدول الإسلامية إن وُجدت أن ينافسوا الكفار في اتخاذ هذه الأسلحة المتطورة المدمرة ويصنعوها بأيديهم ولا يكونوا عالة على غيرهم وذلك ليرهبوا بها أعداء الإسلام والدين من سائر الأمم والشعوب والأجناس ، وأن يتدربوا على جميع الأسلحة الخفيفة والثقيلة وكل وسائل الحرب والجهاد .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ورجل ستر ، وعلى رجل وزر ، فأما الذي له أجر فرجل

ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهي على ذلك وزر... الحديث، وسيأتي بقيته في الزلزلة إن شاء الله تعالى.

رواه البخاري ٣٥٦/١٠ في الجهاد وغيره، ومسلم، وكذا أحمد، وغيرهم.

في الحديث فضل اتخاذ الخيل للجهاد في سبيل الله، وأن من أعدها لذلك كانت كل تصرفاتها أجور لصاحبها، كما فيه استحباب اتخاذها سترًا وتعففًا عن الناس، أما من اقتناها رياء وفخرًا فهي وبال عليه. وفي معنى الخيل المركوبات الحالية فإنما الأعمال بالنيات.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ إلخ، قال: هم المتحابون في الله، وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله.

رواه النسائي في الكبرى ٣٥٢/٦، وابن جرير ٣٧/١٠، وابن أبي حاتم ١٧٢٧/٥، والحاكم ٣٢٩/٢ وصححه ووافقه الذهبي. وعزه النور ٢٧/٧، ٢٨ للبخاري وقال: رجاله رجال الصحيح غير جنادة بن سلم وهو ثقة، والصواب سلم بن جنادة كما عند البخاري.

في الآية الكريمة امتنان من الله عز وجل على نبيه ﷺ بما أيده

به من المهاجرين والأنصار حيث جمع قلوبهم على الإيمان وأخى بينهم وحببهم إلى بعضهم وألف بين قلوبهم بعدما كانوا متعادين متخاذلين متقاتلين .

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّوْ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما نزلت : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ . فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ، فقال سفيان غير مرة : أن لا يفر عشرون من مائتين !! ثم نزلت : ﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ . . . ﴾ الآية ، فكتب أن لا يفر مائة من مائتين وزاد سفيان نزلت : ﴿ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ . . . ﴾ إلخ .

وفي رواية : لما نزلت ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ ، شق ذلك على المسلمين حيث فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف فقال : ﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ ، قال : فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم .

رواه البخاري ٣٨١ / ٩ ، وابن جرير ٣٩ / ١٠ بالروایتين ، ورواه أبو داود في الجهاد ٢٦٤٦ بالرواية الثانية .

والآية واضحة في وقوع النسخ ، وكان ذلك هنا من الشدة إلى التخفيف رحمة بالعباد ، فإن مقاومة رجل واحد لعشرة ، وعشرين لمائتين ، ومائة لألف شاق وصعب جدًا وخاصة في وقت كان الحرب بالسيوف والحراب والنبال ، ولذلك لما علم تعالى ضعفهم في ذلك خفف عنهم فجعل المائة بالمائتين والألف بالألفين .

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَرَّ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٧٧﴾ تَوَلَّا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ .

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مديديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللّهم أين ما وعدتني، اللّهم أنجز ما وعدتني، اللّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً». قال: فما زال يستغيث ربّه عزّ وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله عزّ وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ ﴿٦١﴾ . فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عزّ وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليّاً وعمر فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: والله ما أرى ما أرى أبو بكر، ولكنني أرى أن تمكّني من فلان قريباً لعمر فأضرب عنقه، وتمكّن عليّاً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله تعالى أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صنّاديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت: فأخذ منهم الفداء. فلمّا كان من الغد، قال عمر: غدوتُ إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان، فقلت:

يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. قال: فقال النبي ﷺ: الذي عرض على أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم. فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهُشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَلَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا... ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء.

رواه أحمد ٣٠/١، ٣١، ومسلم في السير ١٢/٨٤، ٨٥ مطولاً، وتقدم مختصراً في صفحة ٣٧٠.

وفي الآية الكريمة نوع من العتاب للنبي ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء، وأنه لولا ما سبق من حكم الله في أزاله بإحلال الغنائم لهم وأخذ الأسارى لأصابهم عذاب عظيم فيما أخذوا من الفداء والأسارى، هذا معنى ما جاء عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وسعيد بن جبيرة والحسن البصري وغيرهم، وهو الذي اختاره ابن جرير، والأحاديث الثابتة تؤيد ذلك.

وفي الحديث فضيلة لعمر رضي الله تعالى عنه حيث نزل القرآن بما أشار إليه من عدم أخذ الفداء، وإن رأيه كان صائباً. وفي الحديث مشروعية الاستشارة مع أكابر أهل العلم والصلاح. وفيه دليل على أن النبي ﷺ كان يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه شيء، ثم يأتي الوحي بالموافقة أو غيرها.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لم تحل

الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله عز وجل: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴿٧٩﴾ - الآية .

رواه أحمد ٢/٢٥٢، والترمذي ٢٨٨٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣٥٢، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الكبرى ٦/٢٩٠ بسند صحيح على شرط مسلم وحسنه الترمذي وصححه .

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمننا بها وتخفيفاً، وخفف عنا لما علم من ضعفنا» .

رواه النسائي في الكبرى ٦/٣٥٢، وابن حبان ٧/١٤٩ بالإحسان بسند صحيح وأصله في الصحيحين. وفيه: «غزا نبي من الأنبياء»، فذكر الحديث وفي آخره: «فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيها لنا» .

في الحديثين بيان لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ، وأن الله عز وجل أباح لنا الغنائم رحمة بنا وتخفيفاً علينا لما علم من عجزنا وضعفنا. وهذه من جملة الخصائص التي خص بها نبينا ﷺ وأمة المشرفة المرحومة .

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ مِّنَ الْأُنسِيِّ إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذْتُمْ مِّنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال العباس: والله نزلت - يعني الآية - حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبدًا كلهم تاجر بمال في يده، مع ما أرجو من مغفرة الله جل ذكره .

أورده في مجمع الزوائد ٢٨/٧، وعزاه لأوسط الطبراني وكبيره باختصار قال:
ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

الآية الكريمة تشير إلى ما كان في نوايا العباس رضي الله تعالى عنه،
فإنه كان من جملة الأسارى في بدر، ويقال: إنه كان مسلماً وخرج إليها
مكرهاً من طرف الكفار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطلاقاء من
قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة».

رواه أحمد ٣٦٣/٤، والطبراني في الكبير ٣١٤/٢، ٣١٦، والحاكم ٨٠/٤،
٨١، وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال، وعزاه النور ١٥/١٠ لأحمد والطبراني،
قال: بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى رقم
٥٠١١، والطبراني في الكبير ٢٣٠/١١، والبزار من حديث ابن مسعود، قال
النور في المجمع ١٥/١٠: وفيه عاصم بن بهدلة وفيه خلاف وبقية رجال البزار رجال
الصحيح.

في الآية الكريمة بيان أن المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض،
وقد كانوا كذلك رضي الله تعالى عنهم أيام النبوة وحياة الصديق والفاروق
وطرفاً من أيام عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى جاءت الفتنة... وهكذا
كان الحال في بقية الصحابة من مسلمة الفتح وهم الطلقاء والعتقاء من
ثقيف... فالكل كانوا بعضهم أولياء بعض شأن كل المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافرًا، ولا كافر مسلمًا ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾».

رواه الحاكم ٢٤٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي وهو في الصحيحين بلفظ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»، وأوله عند أهل السنن من حديث ابن عمرو وحسنه الترمذي وصححه.

في الآية والحديث وجوب قطع علاقة الولاية والإرث بين المسلم والكافر، وأن الكافرين بعضهم أولياء بعض كالمؤمنين مع بعضهم بعضًا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ، معناه: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وقعت فتنة في المجتمع واختلاط المؤمنين بالكافرين وينشأ عن ذلك فساد عريض.

وهذه الآية الكريمة من معجزات القرآن، فإن المسلمين لما والوا الكفار واختلطوا بهم وتشبهوا بمظاهرهم وأخلاقهم حصلت فتنة عظيمة في الدين وانتشر الفساد بما لم يتقدم له مثيل، وتمييع الناس وأخلدوا إلى الشهوات المحرمة وانخلعوا من كل خلق كريم وأصبحوا كالبهائم، وصاروا لا يفرق بين من ينتمي للإسلام وبين الكافر الأصلي، فذابت شخصية المسلم في شخصية الكافر سواء منهم الذكر أو الأنثى.

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه فجعلوا يتوارثون بذلك حتى نزلت: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ...﴾ إلخ، فتوارثوا بالنسب.

رواه الطبراني في الكبير ١/١١٧٤، قال في المجمع ٧/٢٨: ورجاله رجال الصحيح.

لما هاجر النبي ﷺ وأصحابه آخى بينهم وبين الأنصار وكانوا يتوارثون فيما بينهم حتى نزلت الآية، فنسخ ذلك وخص الإرث بالنسب أو ما يتبعه من المصاهرة وولاية الرق، وهذا مما لا خلاف فيه.

وهذا آخر تفسير سورة الأنفال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ التَّوْبَةِ ﴾

«براءة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّكَ اللَّهُ وَرَكَّمَ وَايَّرَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجَهُ وَزَوَّجَهُ وَحَزَبَهُ

هذه السورة الكريمة من السور المدنية، وهي آخر ما نزل من السور الطوال، نزلت في السنة التاسعة، مرجع النبي ﷺ من غزوة تبوك، وقد يجعلها بعضهم سورة واحدة مع ما قبلها ويستدلون بالحديث الذي سنورده عن سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه فيما يأتي. وآياتها مائة وتسع وعشرون آية.

وأهدافها التشريع الإسلامي وخاصة الشؤون السياسية، والجهاد في سبيل الله والحض عليه، والاستنفار لقتال أعداء الدين، وبعض أحكام السياسة الخارجية، ثم التحدث عن المنافقين وكشف عوراتهم وما فعلوه وقاموا به من أدوار ومكر وكذب... في غزوة تبوك، والكلام عليهم أخذ معظم السورة.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص ليست بالقليلة وتتجلى في الآتي:

- ١ - قطع العلاقات والعهود مع المشركين والبراءة منهم إلا من استثنى، آيات ١ - ١٥.

- ٢ — الأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر بالبراء من المشركين، آية ٣.
- ٣ — ثبوت أخوة الدين لمن آمن وأقام الصلاة وآتى الزكاة، آية ١١.
- ٤ — قتل وإعدام كل من طعن في دين الإسلام، آية ١٢.
- ٥ — ذكر بعض صفات من يعمر مساجد الله، آية ١٨.
- ٦ — ذكر سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ومقارنتهما بالإيمان، آية ١٩.
- ٧ — وجوب تقديم محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله على الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارات والمساكن، آية ٢٤.
- ٨ — امتنان الله عز وجل على الصحابة بنصره إياهم في مواطن وغزوات ومنها يوم حنين، آية ٢٦.
- ٩ — وجوب منع المشركين من دخول المسجد الحرام، آية ٢٨.
- ١٠ — وجوب قتال أهل الكتاب حتى يؤدوا الجزية، آية ٢٩.
- ١١ — بيان ما سلكه أهل الكتاب من اتخاذهم آجبارهم . . . أربابًا من دون الله، آية ٣١.
- ١٢ — وعيد مانعي الزكاة وأن أموالهم ستنتقلب صفائح يُكْوَوْنَ بها، آيتان ٣٤، ٣٥.
- ١٣ — بيان عدد شهور العام الشرعي والحُرْم منها، آية ٣٦.
- ١٤ — بيان النسيء الذي كان يفعله أهل الجاهلية في الشهور، آية ٣٧.
- ١٥ — ذكر آية الهجرة النبوية الخالدة وما وقع فيها من معجزات، آية ٤٠.
- ١٦ — ذكر المنافقين والكلام عليهم وكشف عوراتهم وفضحهم، من آية ٤٢ إلى ١١٠.

- ١٧ - عتاب الله نبيه ﷺ على إذنه لمن استأذنه من المنافقين، آية ٤٣ .
- ١٨ - بيان مصاريف الزكوات والصدقات، آية ٦٠ .
- ١٩ - بيان أن الخوض واللعب في القرآن وفي الألوهية وفي الرسول كفر وإن كان عبثاً، آيتان ٦٥، ٦٦ .
- ٢٠ - من صفات المنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وخلف الوعد، آيات ٧٤ - ٧٧ .
- ٢١ - النهي عن الصلاة على المنافقين إذا ماتوا، آية ٨٤
- ٢٢ - اعتذار المنافقين عن تخلفهم عن تبوك بالكذب، آيات ٩٤ - ٩٦ .
- ٢٣ - الثناء العاطر من الله تعالى على المهاجرين والأنصار، آية ١٠٠ .
- ٢٤ - ذكر مسجد الضرار الذي بناه المنافقون تفريقاً بين المسلمين، آيتان ١٠٧ - ١١٠ .
- ٢٥ - بيان المسجد الذي أسس على التقوى والثناء على أهل قباء، آية ١٠٨ .
- ٢٦ - شراء الله عز وجل من المؤمنين بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالجنة وأنه وعد منه تعالى في التوراة والإنجيل والقرآن، آية ١١١ .
- ٢٧ - منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين، آية ١١٣ .
- ٢٨ - ذكر قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، آية ١١٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ قَوْلَيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٣)

تقدم في النساء ص ٢٦٠ حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وهو عند الشيخين كما تقدّم. وهذه الآخرة قيل فيها: إن المراد بعض السورة ومعظمها، لأن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ، ولا خلاف أن أولها نزل سنة تسع عام حج الصديق رضي الله تعالى عنه كما يأتي.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثين وقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وخشيت أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال.

رواه أحمد رقم ٣٩٩، ٤٩٩، وأبو داود والترمذي ٢٨٨٧، وابن حبان والحاكم ٢٢١/٢، ٣٣٠، والبيهقي في الكبرى ٤٢/٢، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث بين لنا وجه عدم وجود البسملة في أول هذه السورة مع الإجماع على وجودها ووضعها في أول كل سورة، والله تعالى أعلم فإن في الحديث كلامًا لبعض العلماء.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك

الحجة في مؤذنين يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان إلا الذين عاهدتم من المشركين.

وفي رواية: ويوم الحج الأكبر يوم النحر، والحج الأكبر الحج. وفي رواية: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله وأمده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله.

رواه البخاري ٣٨٧/٩، ٣٩٠ وغيره، ومسلم في الحج ١١٥/٩، ١١٦، وأبو داود ١٩٤٦، والنسائي في الكبرى ٣٥٣/٦، والرواية الثانية لأبي داود، والثالثة للنسائي وسندهما صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه عليًا، فبينما أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقه رسول الله ﷺ القصواء، فخرج أبو بكر فرعًا فظن أنه رسول الله ﷺ فإذا علي، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر عليًا أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فانطلقا فحجا فقام علي أيام التشريق فنادى ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن، وكان علي ينادي فإذا عيي قام أبو بكر فنادى.

رواه الترمذي في التفسير ٢٨٩١ بسند صحيح.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بعث النبي ﷺ ببراءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي، فدعا عليًا فأعطاه إيّاه.

رواه الترمذي ٢٨٩٠ بسند صحيح على شرط مسلم.

وعن زيد بن يُثيَع قال: سألنا عليًا بأي شيء بعثت في الحججة؟ قال: بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلاً نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا.

رواه أحمد ٣/١، وعبد الله في الزوائد ١/١٥٠، ١٥١، والترمذي ٢٨٩٢ من طرق صحيحة.

في هذه الأحاديث أمور نجملها في الآتي:

أولاً: فيها بيان أن السنة التاسعة من الهجرة كانت الفاصل بين المشركين وبين دخول الحرم المكي الشريف، والمنع البات من الطواف بالبيت مع العري كما كان الحال أيام الجاهلية.

ثانياً: قطع العلاقة بين الله ورسوله وبين المشركين.

ثالثاً: بيان أن الذين تولوا الإعلام بهذه البراءة... هم الإمام علي والصديق وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم.

رابعاً: فيها بيان المدة المضروبة للمعاهدين وغيرهم، بيد أنه تعارض في ذلك حديث أبي هريرة في رواية النسائي مع حديث الإمام علي الذي رواه الترمذي، فإن الأول ينصّ على أن الأربعة الأشهر هي مدة لمن كان لهم عهد، بينما حديث الإمام يخبر بأنها أمد وأجل لمن لم يكن لهم عهد، ولذلك اختلف العلماء في ذلك فرجح كل فريق قولاً ظهر له أنه الحق، لكن المحققين رجحوا حديث علي وحكموا على حديث أبي هريرة بوهم قد حصل فيه، وممن قال بهذا ورجحه ابن جرير وتبعه ابن كثير وغيره، وإن كان ظاهر سياق الآية الكريمة يقتضي القول الآخر، والله تعالى أعلم.

خامساً: فيها بيان يوم الحج الأكبر وأنه يوم النحر وقد جاء بذلك

حديث لعلي عن الترمذي، وجاء في حديث أبي الأحوص في خطبته ﷺ يوم النحر، وسمي ذلك اليوم بالحج الأكبر لأن أغلب المناسك تؤدي فيه، كرمي جمرة العقبة، ونحر الهدايا، والحلق، وطواف الإفاضة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

رواه أحمد ٣/١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، والبخاري في استقبال القبلة ٢/٤٢، ٤٣، وأبو داود ٢٦٤١، والترمذي ٢٤٢٧ في الإيمان، والنسائي فيه ٨/٩٦، وفي تحريم الدم ٧٠/٧ وغيرهم بالفاظ.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

رواه البخاري في الإيمان ٨٢/١ وغيره، ومسلم فيه أيضاً ٣١٢/١ وغيرهما. والحديث متواتر وارد عن جماعة من الصحابة وقد أفرد بالتأليف.

الحديثان موافقان للآية الكريمة، والمراد بالناس في الحديثين غير أهل الكتاب، فالواجب بعد دعوتهم إلى الإسلام إما دخولهم فيه وإما أن يقاتلوا، فإن اختاروا الإسلام وجب تخليتهم وكانوا وقتة إخوة لنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وأصبحت دماؤهم وأموالهم محرمة ومحقونة إلا بحق لا إله إلا الله فيقاتلون كمن ترك الصلاة مثلاً أو امتنع من أداء الزكاة أو أتى حداً يوجب قتله . . .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا إِلَهَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتاً ويسرقون أعلقتنا، قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده .

رواه البخاري في التفسير ٣٩٢/٩، والنسائي في الكبرى ٣٥٤/٦، والسياق للاول .

أئمة الكفر: رؤساؤه سواء كانوا كفارا خلصا أم منافقين . وقوله: لا أيمان لهم أي لا عهد لهم، فهم كلما عاهدوا خانوا، وقوله: يبقرون بضم القاف أي يتقبون . وقوله: أعلقتنا، أي نفائس أموالنا .

وقول حذيفة في الآية من قبيل المرفوع لأنه لولا ما كان عنده من علم عن النبي ﷺ بتعيين المنافقين لما تجاسر على نيز الأبرياء برأيه وحده، وقد كان رضي الله تعالى عنه ممن اختص بعلم المنافقين كما هو معروف عنه . وأخذ العلماء رحمهم الله تعالى من الآية الكريمة وجوب قتل الطاعنين في الدين وشعائره ومقدساته، فإن كان مسلما اعتبر مرتدًا، وإن كان معاهدًا اعتبر ناقضًا للعهد .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَحْضُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/٧٦، والترمذي في الإيمان ٢٤٣٦، وفي التفسير ٢٨٩٣، وابن ماجه ٨٠٢، والحاكم ١/٢١٢، ٢١٣ وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم وهو وإن كان فيه أبو السمح عن أبي الهيثم، وروايته عنه ضعيفة، فإن لمعناه شواهد تقويه؛ فعن أنس رواه عبد بن حميد والبخاري بلفظ: «إنما عمَّار المساجد هم أهل الله». وعن معاذ بن جبل رواه أحمد. وعن أبي الدرداء أنه كتب لسلمان: يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقى»، رواه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، والبخاري وغيرهم، وانظر الدر المنثور ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣.

الآية مع الحديث وشواهد ما في معناه تدل على أن من اعتاد المسجد للصلاة فيه والذكر والعلم كان مؤمناً تقياً مهتدياً، وهذا مما لا شك فيه، وقد جاء في حديث الصحيحين في السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه: ورجل قلبه معلق بالمساجد، ففي كلِّ بشارة لرواد المساجد جعلنا الله تعالى بمَنِّه وكرمه من أشرفهم وأفضلهم أمين.

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: والجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ — وهو يوم الجمعة —، ولكن إذا صلَّيت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما

اختلفتم فيه، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ . . . ﴾ الآية .

رواه مسلم في الإمارة باب فضل الشهادة . . . إلخ ١٣/٢٥، ٢٦، وأبو داود وابن جرير .

الحديث يدل على أن الذين سوا بين سقي الحاج، وعمارة البيت، والجهاد، كانوا مسلمين، بينما ظاهر الآية يقتضي أنهم كانوا مشركين، ولذلك وبَّخهم وأنكر عليهم تسويتهم ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، ولذا لما نفى المساواة بين المؤمنين والمشركين ختم الآية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . . . الآية، والله تعالى أعلم .

ومعنى الآية الكريمة: أجعلتم القيام بسقي الحجيج، وسدانة البيت ورعاية شؤونه، كإيمان من آمن بالله وما جاء به رسوله وجاهد في سبيل الله، فلا يستوي المشركون والمؤمنون، ولا أعمال الكافرين بأعمال الأبرار من المسلمين .

قوله تعالى: ﴿ قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» .

رواه أحمد ٣/١٠٣، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٨٨، والبخاري ١/٦٦، ٦٩، ومسلم ١٣/٢، والترمذي والنسائي كلهم في الإيمان .

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»، وفي رواية: «أحب إليه من ماله وأهله».

رواه أحمد ٣/١٧٧، ٢٧٥، ٢٧٨، والبخاري ١/٦٥، ومسلم ٢/١٥ وغيرهم، ونحوه عن أبي هريرة عند البخاري وعن عمر عنده أيضاً.

المراد بالحب في الحديثين الحب الإيماني وهو اتباع المحبوب لا الحب الطبيعي، فيقدم الله ورسوله على كل المحبوبات الطبيعية وهي المذكورات في الآية. وقوله: وأهله، هذه أعم وأشمل لأنه يدخل فيها الأم والإخوة والأخوات والخالات والعمات والأعمام والأخوال. والمال كل ما يتموله الإنسان وأحبه إلى الناس يختلف باختلاف الأزمان والشعوب والأقاليم...

وما في الحديثين ميزان شرعي يعرف به الإنسان مقدار إيمانه وحلاوته في قلبه، فمن فقد ذلك فليجاهد نفسه وليحملها على التخلق بذلك لكي يدرك هذه المنزلة العزيزة التي تدل على كمال الإيمان. وفي الآية الكريمة تهديد شديد لمن قدم الدنيا على الله ورسوله ﷺ وأثر محبة السوى عليهما أي سوى الله ورسوله، لقوله آخر الآية: ﴿فَقَرَّبْصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ...﴾ الآية

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذْرِبًا﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قيل له: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، إن هوازن كانوا قومًا رماة، فلما

لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فانهزم الناس، ولقد رأيت رسول الله ﷺ يومئذ وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام البغلة، ورسول الله ﷺ يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

رواه البخاري في الجهاد ٤١٥/٦، وفي المغازي ٩٢/٩، ٩٣، ومسلم في الجهاد والسير ١١٧/١٢، ١١٨ وغيرهما.

وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال: أخذ النبي ﷺ يوم حنين حصيات ثم رمى بها في وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً.

رواه مسلم في الجهاد ١١٣/١٢، ١١٧، والنسائي في الكبرى ١٩٥/٥، وأبو عوانة وغيرهم.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما غشوا رسول الله ﷺ يوم حنين نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: شأهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين.

رواه مسلم في الجهاد ١٢٢/١٢ مطولاً كسابقه.

قوله: حدهم كليلاً، أي قوتهم ضعيفة وكلّ السيف إذا ضعف حده ولم يقطع، فهو كليل. وقوله: شأهت الوجوه، أي قبحت الوجوه، والشوهاء من النساء القبيحة...

وجاءت الآية الكريمة يُذَكِّرُ بها الله عزَّ وجلَّ الصحابة نعمه الكثيرة وفضله عليهم وأنه أيدهم ونصرهم وهزم أعداءهم في مواطن وغزوات كثيرة كبدر والخندق وقريظة والنضير وخيبر والفتح الأعظم... وغيرها، وكذا يوم حنين حيث أعجبوا بكثرتهم ورغم ذلك لم تغن عنهم شيئاً حيث ولوا مدبرين

ثم نصرهم تعالى بتأييده وعونه لا بكثرة عددهم وعدتهم . وجاءت الأحاديث تبين بعض ما وقع لهم في هذه الغزوة وما صدر من حضرة النبي ﷺ من تلك المعجزة العظيمة حيث رماهم بالتراب فانهمزوا وضعفوا وأبان فيها ﷺ عن شجاعة فاق بها الأبطال .

قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعتة يقرأ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . . . ﴾ الآية، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» .

رواه الترمذي ٢٨٩٥، وابن جرير ١١٤/١٠، والبيهقي ١١٦/١٠ وغيرهم، وهو وإن كان فيه غُضَيْفٌ بن أعين وهو ضعيف فإن له شاهداً عن حذيفة رواه ابن جرير ١١٤/١٠، وابن عبد البر في العلم ١٠٩/٢، والبيهقي ١١٦/١٠ بسندٍ صحيح، فهو به حسن صحيح .

الوثن هو ما يعبد من دون الله تعالى، والمراد به هنا الصليب . والأحبار جمع حبر بفتح الحاء وكسرهما، هو العالم . وقوله: الرهبان، جمع راهب وهو العابد المنقطع إلى الله تعالى .

وفي الآية الكريمة مع الحديث ذم تقليد العلماء والعباد في آرائهم من التحليل والتحريم بدون حجة من الله تعالى، وأن ذلك يعتبر نوعاً من الشرك، وقد قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ مَا لِلَّهِ أَذْنٌ لَكُمْ أَنْ تَقْرُبُوا ﴾ .

[يوسف: ٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ...﴾ [النحل: ١١٦].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»، فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ...﴾ الآية، أن ذلك تام، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عز وجل، ثم يبعث الله ريحًا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».

رواه مسلم في الإيمان، وفي الفتن ٣٣/١٨.

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها، وإن ملك أمتي سيبلى ما زوى لي منها...» الحديث.

رواه مسلم في الفتن ١٣/١٨، ١٤.

زوى لي الأرض، أي جمعها لي. والهدى بضم الهاء وفتح الدال وألف مقصورة هو ما جاء به رسول الله ﷺ من الأخبار الصادقة والعلم النافع والإيمان الصحيح. ودين الحق هو توحيد الله عز وجل، والأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة.

والآية صريحة في أن الله تعالى سيظهر دينه على سائر الأديان الأخرى الباطلة، وزاد ذلك إيضاحًا ما أخبر به ﷺ بأن ذلك سيكون ما شاء الله وأنه سيبقى ظاهرًا حتى يبعث الله الريح الطيبة التي ستقبض معها كل روح طيبة،

وذلك سيكون بعد موت عيسى عليه السَّلَام، فعند ذلك يرجع الناس إلى دين الجاهلية. وقد صدق الواقع الآية وما في الحديثين، فانتشر الإسلام في المشارق وظهر على سائر الأديان، وها نحن أولاء الآن آخر الزمان رغم ضعف المسلمين مادياً وروحياً فالإسلام ظاهر منتشر في سائر المعمور، وسائر الأمم الكافرة ومن معها تخافه ويعملون جادين لمحاربه ومحاربة معتنقيه والداعين إليه وإلى تحكيمه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقد جاءت هذه الآية مكررة في ثلاث سور من القرآن: هنا في التوبة، وفي سورة الفتح، وفي آخر سورة الصف.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يكون كنز أحدهم يوم القيامة شجاعاً أقرع يفر منه صاحبه، ويطلبه أنا كنزك، فلا يزال به حتى يلقمه أصبعه».

رواه البخاري في الزكاة وفي التفسير ٣٩٣/٩، والنسائي في الكبرى ٣٥٤/٦، وكذا أحمد ٢٧٩/٢، وابن حبان رقم ٣٢٥٨ بالإحسان، والبيهقي ٨١/٤.

فسروا الكنز بكل مال لا تؤدى زكاته، ورد ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر وأبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً. والشجاع الأقرع أخبث الأفاعي.

وفي هذا وعيد شديد لمن لا يزكي ماله، وأنه سيمثل له أفعى تطلبه وهو يفر ويتعوذ منها حتى تأخذه، وقد تقدم في سورة آل عمران بأنه سيطوق في عنقه شجاعاً فيأخذ بلحيه.

وعن زيد بن وهب رحمه الله تعالى قال: مررت على أبي ذر بالربذة،

فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام فقرأت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلا في أهل الكتاب، قال: قلت: إنها فينا وفي أهل الكتاب، إلى أن كان قول وتنازع، وكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إليَّ عثمان أن أقدم، فقدمت المدينة فكثرت ورائي الناس كأنهم لم يروني قط، فدخلت على عثمان فشكوت إليه ذلك فقال: تنح وكن قريباً فنزلت هذا المنزل، والله لو أمرت عليَّ حبشي ما عصيته، ولا أرجع عن قولي.

رواه البخاري في الزكاة ٤/١٦، ١٧، وفي التفسير ٩/٣٩٣، والنسائي في الكبرى ٦/٣٥٤، ٣٥٥.

في الحديث أن الآية الكريمة وإن كان سياقها في أحبار أهل الكتاب ورهبانهم فإنها شاملة لنا أيضاً بالأولى، وأن الحق في محاوره أبي ذر ومعاوية كان مع أبي ذر، وفيه وجوب طاعة الخليفة والانقياد لأوامره ما لم تكن معصية ومخالفة للحق.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾ إلخ، كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر: أنا أفرج عنكم، فانطلق فقال: يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم»، فكبر عمر، ثم قال له: «ألا أخبرك بخير ما يكتنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرتة، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته».

رواه أبو داود في الزكاة ١٦٦٤، والحاكم ٤/٣٣٣، وصححه ووافقه الذهبي، وسنده حسن عند أبي داود.

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ... ﴿ الآية، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: نزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه. فقال: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه».

رواه أحمد ٥/٢٧٨، ٢٨٢، والترمذي ٢٨٩٤، وقال: حسن صحيح وذلك لشواهد.

في الحديث الأول بيان أن الزكاة شرعت تطهيراً وتطيباً للأموال، وبالتالي تطهيراً لأصحابها كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا... ﴾ الآية، وفيها أن أفضل ما يملكه الإنسان في هذه الدار هو الإكثار من الذكر والشكر لله عز وجل مع الزوجة المؤمنة الصالحة التي تساعد على دينه، وصفاتها: أن يُسَرَّ إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في نفسها وماله وعياله إذا غاب عنها.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كانت يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

رواه أحمد ٢/٢٦٢، ومسلم في الزكاة ٧/٦٤، ٦٨، وأبو داود ١٦٥٨، ١٦٥٩، والنسائي في الكبرى ٦/٤٩٨، وفي المجتبى وابن خزيمة ٢٢٥٢، وابن حبان رقم ٣٢٥٤ وغيرهم مطولاً.

وعن الأحنف بن قيس قال: جلست إلى ملاء من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال: بشر الكانزين

برضف يحمى عليهم في نار جهنم ثم يوضع على حلمة تُذّي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. ثم ولى فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئاً. وفي رواية: فقلت إليه فقلت: ما شيء سمعتك تقوله؟ قال: ما قلت إلا شيئاً سمعته من نبيهم ﷺ... الحديث.

رواه البخاري ١٧/٤، ١٨، ومسلم ٧/٧٧، ٧٨، كلاهما في الزكاة، والرواية الثانية عند مسلم وهو عندهما مطولاً.

الرضف الحجارة المحماة. وقوله: نُغْضُ بضم فسكون: هو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف، وقيل: هو أعلى الكتف.

وفي الآية والحديثين وعيد عظيم لمانعي الزكاة، وأنهم سيعذبون بأموالهم على كيفية يعلمها الله تعالى. والذي كان يذهب إليه أبو ذر رضي الله تعالى عنه لم يوافق عليه، فإنه كان يحمل هذا الوعيد على العموم فكان يرى إمساك المال الفاضل - وإن زكي - مآل صاحبه العذاب، وهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة والإجماع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».

رواه أحمد ٣٧/٥، ٧٣، والبخاري في بدء الخلق وفي التفسير ٣٩٤/٩، ومسلم ١١/١٦٧.

يخبر تعالى بأن عدد الشهور المعتد بها عنده في شرعه وحكمه هي اثنا عشر شهراً هلالية على منازل القمر، وعليها تدور الأحكام الشرعية من صيام وحج وعدد النساء وغير ذلك، وقد كتب الله ذلك في الكتاب الإمام اللوح المحفوظ يوم خلق الله هذا العالم العلوي والسفلي، فكانت منها أربعة أشهر محرمة معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات ويحرم فيها القتال وهتك الحرمات وارتكاب ما حرم الله من الآثام، فذلك المذكور والمكتوب هو الدين المستقيم.

وقوله ﷺ: إن الزمان، أي السنّة. استدار: استدارة مثل حالته الأولى، أي وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل عندما يستوي الليل والنهار في فصل الربيع.

قال الخطابي رحمه الله تعالى: كانوا - يعني الجاهلية - يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم، والتقديم والتأخير، لأسباب تعرض لهم، منها استعمال الحرب، فيستحلون الشهر الحرام ثم يحرمون بدله شهراً غيره، فتتحول في ذلك شهور السنة وتبديل، فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله، فاتفق وقوع حجة النبي ﷺ عند ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مَنَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿٢٨﴾

عن المستورد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليمّ فلينظر بما ترجع».

رواه أحمد ٤/٢٢٨، ٢٢٩، ومسلم في الجنة والنار ١٧/١٩١، والترمذي ٢١٤٣، وابن ماجه ٤١٠٨ كلاهما في الزهد.

قوله: ما الدنيا... إلخ، أي ما مثلها في الحقارة والتفاهة والقلة

بالنسبة للآخرة إلا مثل ما يعلق في الأصبع من الماء إذا أدخلت البحر. ففي الآية والحديث التزهيد في هذه الحياة الزائفة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

رواه أحمد ٤/١، والبخاري في المناقب ١١/٨، وفي التفسير ٣٩٥/٩، ومسلم في الفضائل ١٥/١٤٩، والترمذي ٢٨٩٦، وابن جرير ١٣٦/١٠، وابن حبان ٦٢٧٨ وغيرهم.

وعن سالم بن عبيد أن رسول الله ﷺ لما قبض قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر: من له مثل هذه الثلاث: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ﴾ من هما؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ من هو؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ من هما؟ ثم بسط يده وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة.

رواه النسائي في الكبرى ٣٥٥/٦، والترمذي في الشمائل رقم ٣٧٨، وابن خزيمة ١٥٤١، ١٦٢٤، وابن أبي حاتم ١٨٠٠/٦ وسنده صحيح عند بعضهم.

المراد بالصاحب هنا في الآية هو أبو بكر الصديق بالإجماع، وحديث سالم يصرح فيه عمر بأنه الصديق مما يدل على أنه كان عندهم معروفاً لا يختلفون في أنه المراد في الآية مع رسول الله ﷺ.

إنها لمنقبة عظيمة للصديق رضي الله تعالى عنه تتضاءل دونها كل

المناقب، ومرتبة تنحدر عن عُليا سمائها المراتب. قال النووي في قوله: ما ظنك... إلخ، معناه: الله ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد... إلخ. وقد ذكرت فضائله مستوفاة في فضائل الصحابة وهو مطبوع والحمد لله على توفيقه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ .

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله عدل. وفي رواية: اتق الله. وفي رواية: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فقال ﷺ: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصحاباً». وفي رواية: «إن من ضئضىء هذا، أو: في عقب هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم...» الحديث.

ضئضىء هذا: أي أصله.

رواه أحمد ٥٦/٣، ٥٧، والبخاري في دلائل النبوة ٤٣٠/٧، وفي الأنبياء ١٨٧/٧، وفي المغازي ١٣٠/٩، ١٣١ وفي مواضع، ومسلم في الزكاة ١٦١/٧، ١٦٧ وغيرهما.

هذا الحديث من أحاديث الخوارج المتواترة، وذو الخويصرة صاحب هذه المقالة الجائرة المقيتة كان منافقًا ورئيسًا للخوارج الذين قاتلهم الإمام علي رضي الله تعالى عنه. وهو هنا يعيب على النبي ﷺ ويلمزه في القسمة وينسبه إلى الجور والظلم. وقد ذكرت فوائد هذا الحديث مع أحاديث الخوارج في كتاب: «الأنوار الباهرة في فضائل الذرية الطاهرة».

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَدْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ .

هذه الآية الكريمة جاءت مفصلة لمصاريف الصدقات، وقد جاءت في تفسيرها أحاديث:

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لغارم، أو رجل اشتراها بماله، أو رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني، أو لعامل عليها».

رواه أحمد ٣/٣١، وأبو داود ١٦٣٦، وابن ماجه ١٨٤١، بسند صحيح، ورواه أبو يعلى أيضًا ١/٥٠٧.

وعن صفوان بن أمية، قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وأنه أبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ.

رواه مسلم في فضائل النبي ٧٣/١٥، والترمذي في الزكاة ٥٨٩ بتهذيبي.

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن عليًا بعث إلى النبي ﷺ بذُهَيْبَةٍ في تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخير، وقال: «أتألفهم...».

رواه الشيخان وغيرهما، وهو رواية للحديث السابق في الخوارج.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار، فقال: «أعتق النسمة، وفك الرقبة»، فقال: يا رسول الله أوليستا واحدًا؟ قال:

«لا، عتق النسمة أن تفرد بعقتها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها».

رواه أحمد ٢٩٩/٤، والطيالسي ٧٣٩، وابن حبان ٣٧٤/٢، والبيهقي ٢٧٢/١٠، وغيرهم، والحديث صحيح.

وعن قبيصة بن مخارق رضي الله تعالى عنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»، قال: ثم قال: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل لأحد إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك...» الحديث.

رواه مسلم ١٣٤/٧، في الزكاة، وأحمد ٦٠/٥، وأبو داود ١٦٤٠ وغيرهم.

وعن أبي سعيد قال: أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال النبي ﷺ: «تصدقوا عليه»، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال النبي ﷺ لغرمائه: «خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك».

رواه أحمد ٣٦/٣، ٥٨، ومسلم في البيوع ١٥٥٦، وأبو داود ٣٤٦٩، والترمذي في الزكاة ٥٧٩، والنسائي في البيوع وابن ماجه في الأحكام ٢٣٥٦، وابن حبان ٥٠٣٣.

الغارم هو من عليه دين، أو من تحمّل عن غيره حقًا. والعامل عليها هو الساعي والجبائي للصدقة. والمؤلفة قلوبهم من هم حديثو عهدهم بالإسلام. وفك الرقبة هو المساعدة على تحريرها. وقوله في الحديث الآخر: «رجل تحمّل حمالة»، معناه أن يتحمل شخص عن غيره حقًا فلا يجد ما يؤدي به.

ففي هذه الأحاديث بيان للآية الكريمة، وإن ما فيها هم الذين يعطون من الزكوات وأنواع الصدقة، وما سواهم لا حظ لهم فيها، وإنما يأخذونه سحتًا محرّمًا. وقد تركنا أحاديث هنا اختصارًا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيَاللَّهِ ﴿٦٥﴾ وَأَيِّنْوَاهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا إِيمَانِكُمْ إِن نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبين عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: «أبأله وآياته ورسله كنتم تستهزئون...» .

رواه ابن جرير ١٠/١٧٢، وابن أبي حاتم ٦/١٨٣٩، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور ٤/٢٣٠، وسنده صحيح، رجاله رجال الصحيح عند ابن أبي حاتم.

الآية الكريمة استدلت بها العلماء على كفر من طعن في القرآن أو في الله أو في الرسول ولو كان عبثاً ولعباً كما يفعله كثير من الناس اليوم فيسب الله والقرآن والرسول، ويكفر بذلك لعباً ويظن في نفسه أنه لا زال من المسلمين وهو كافر من حيث لا يشعر، أعاذنا الله من ذلك .

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧١﴾﴾ .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وما بين

القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن». رواه البخاري في التفسير ٢٤٨/١٠، وفي التوحيد، ومسلم في الجنة رقم ٢٨٣٨ ويأتي في الرحمن إن شاء الله تعالى وهنالك بيانه.

في الآية والحديث بشارة للمؤمنين جعلنا الله تعالى من أفضلهم وأشرفهم.

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَيْمَانُ تَرْتَالُوهُمْ وَمَا نَفَعُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٦﴾﴾.

عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل القرآن فيه ذكر المنافقين وما قال رسول الله ﷺ، قال الجلاس: والله لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن أشر من الحمير قال: فسمعها عمير بن سعد فقال: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ أحسنهم عندي أثراً أو أعزهم علي أن يدخل عليه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفضحتك، ولئن سكت عنها لتهلكني، ولأحدهما أشرُّ علي من الأخرى، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له مقال الجلاس، فحلف بالله ما قال، ولقد كذب علي، فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾.

رواه ابن إسحاق ومن طريقه ابن أبي حاتم ١٨٤٣/٦، وسنده حسن. وهو صحيح لشاهدين: عن زيد بن أرقم رواه ابن أبي حاتم ١٨٤٣/٦، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وعن ابن عباس رواه ابن جرير ١٨٥/١٠، وابن أبي حاتم ١٨٤٣/٦، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر المنثور ٢٤١/٤ وورد غير ذلك.

هذا من بقايا قول المنافقين، فهم وإن آمنوا ظاهراً فكانوا من حين لآخر ينقضون ما زعموا من الإيمان ثم يزيدون كفراً على كفرهم، فيحلفون

للسول ﷺ إنهم ما قالوا شيئاً فيكفرون جهاراً، ثم يكذبون على الله وعلى رسوله ﷺ، ثم يؤكدون كذبهم بالحلف بالله فيحرزون بتصرفاتهم على سلسلة من الكفريات نعوذ بالله منهم، آمين. والكلام على المنافقين واسع وسيأتي بقية عنهم في سورة (المنافقون).

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩).

عن أبي مسعود البدي رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ... ﴾ الآية.

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ إذ أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف.

رواه البخاري ٢٥/٤، ومسلم ١٠٥/٧ كلاهما في الزكاة، ورواه البخاري في التفسير ٤٠٠/٩، ٤٠٢.

نحامل: أي نتكلف الحمل بالأجرة، وقوله: آية الصدقة، يعني قوله تعالى: ﴿ حُذِّمْنَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً... ﴾ الآية.

وفي الآية والحديث ما كان عليه الصحابة من المسارعة إلى العمل بمقتضى الشريعة والإنفاق من أموالهم كل على حسبه من السعة والقلة. كما يدلان على سوء معاملة المنافقين لأهل الإيمان، وأن عاداتهم الطعن واللمز وسوء الظن بالناس وأنه لا يسلم من شرهم مسلم...

قوله تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ (٨٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُومَ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨٤).

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه وقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا؟ اعدد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «أخر عني يا عمر»، فلما أكثرت عليه قال: «أما إني خيرت فاخترت، لو أعلم أنني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآية من براءة: ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُومَ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨٤)، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم.

رواه البخاري ٤٠٦/٩، والترمذي ٢٨٩٧ كلاهما في التفسير.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ حين مات أبوه فقال: أعطني قميصك أكفنه، وصلّ عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه، وقال: «إذا فرغتم فأذنوني»، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر، وقال: أليس قد نهى الله أن نصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين الخيرتين: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾»، فصلّى عليه فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُومَ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۚ ﴾، فترك الصلاة عليهم.

رواه البخاري في التفسير ٤٠٣/٩، ٤٠٤، ٤٠٨، ومسلم في الفضائل ١٦٧/١٥، والترمذي في التفسير ٢٨٩٨.

في الآيتين المنع من الاستغفار للمنافقين والصلاة عليهم وذلك لكفرهم بالله ورسوله وموتهم على ذلك فهم ليسوا بأهل للاستغفار

والاستشفاع لهم، وهكذا كل من كان كافرًا ومات عليه والعكس بالعكس، فمن عرفنا إسلامه ومات عليه صلينا عليه واستغفرنا له وإن كان أفسق الفاسقين.

وفي الحديثين فضل عمر رضي الله تعالى عنه وأنه كان ملهمًا موفقًا حتى نزل القرآن موافقًا لما صدر منه، وهذه إحدى موافقاته وهي كثيرة، وقد ذكرت بعض ما صح منها في فضائل الصحابة.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتِمْ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمَاعِ حَزَنًا أَلَّا يَحْدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا، ولا سرتهم سيرا إلا وهم معكم، حبسهم العذر».

رواه البخاري في الجهاد ٣٨٧/٦، وفي المغازي ١٩٠/٩، ومسلم في الإمارة باب من حبسه العذر عن الغزو ٥٧/١٣. عن جابر وفيه: «حبسهم المرض».

وقوله: «إلا وهم معكم، يعني بأرواحهم ونياتهم، وليس معناه هم معكم بأجسامهم».

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من الأشعريين أستحمله فقال: «والله لا أحملكم، ما عندي ما أحملكم»، ثم لبثنا ما شاء الله فأتي بيابل فأمر لنا بثلاث ذود، فلما انطلقنا قال بعضنا لبعض: لا يبارك الله لنا، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف لا يحملنا فحملنا، فقال أبو موسى: فأتينا النبي ﷺ فذكرنا ذلك له فقال:

«ما أنا حملتكم بل الله حملكم، إنني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير».

رواه أحمد ٤/٣٩٨، ٤٠٤، والبخاري ١٤/٤١٦، ٤١٧، ومسلم ١١/١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، وأبو داود والنسائي كلهم في الأيمان والندور، ورواه البخاري أيضاً في المغازي ٩/١٧٥.

في الآيتين والحديثين بيان أن صاحب العذر من مرض ونحوه لا حرج عليه ولا إثم في تخلفه عن الجهاد ونحوه من التكاليف الشرعية إذا كانت نيته صادقة، وأنه يكون مشاركاً في الأجر لمن خرج وعمل. وفي الحديث الثاني مشروعية التكفير على اليمين لمن حلف على شيء فرأى غير ما حلف عليه خير منه فحنت، وهذا ما لا خلاف فيه.

قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾﴾.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل الوحي: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْفَاسِقِينَ﴾.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير ٩/٤١٠ وغيره، ومسلم وغيره ويأتي قريباً مطولاً.

الآية الكريمة نزلت في المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، وجاءت تخبر بكذبهم على رسول الله ﷺ وتأكيدهم بحلفهم الغموس، وتسجل عليهم

الشقاء الأبدى والعذاب الخالد لأنهم قوم رجس فاسقون مغضوب عليهم .

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

عن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم رؤيا» فيقص من شاء أن يقص، وأنه قال لنا ذات يوم: «إنه أتاني آتيان الليلة وإنهما ابتعثاني فقالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب وفضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلنا فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشر كأتبع ما أنت راء، فقال لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر وإذا هو معرض يجري، كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، وصاروا كأحسن صورة، فقالا لي: هذه جنة عدن، وذلك منزلك، فبينما بصري صعدًا فإذا قصر، قالوا لي: هذا منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني أدخله، قالوا: أما الآن فلا، وأنت داخله، فقال القوم الذين كان شطرًا منهم حسن، وشرطرًا منهم قبيح فإنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فتجاوز الله عنهم» .

رواه البخاري في مواضع مطولاً ومختصرًا في التفسير ٤١١/٩، وفي التعبير ٩٩/١٦، ١٠٦، ومسلم فيه ٣٥/١٥، والنسائي في الكبرى ٣٥٨/٦، والترمذي في الرؤيا، وغيرهم .

في الحديث الشريف تفسير للآية الكريمة، وأن المراد بالقوم الذين كانوا نصفهم قبيحًا أسود والنصف الآخر حسنًا أبيض هم الذين كانوا في الدنيا مخلطين وكانت أعمالهم مزيجًا من الحسنات والسيئات . وفي ذلك بيان فضل الله ورحمته وشمول مغفرته، وإن من خلط عمله الصالح بالعمل السيئ ومات على ذلك بدون توبة فسوف يعفو الله عز وجل عنه وخاصة إذا كانت حسناته أكثر من سيئاته .

قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ .

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى».

رواه أحمد ٤/٣٨٢، ومسلم في الزكاة ٧/١٨٤ وهو من آخر الزكاة.

في الآية والحديث مشروعية الدعاء لمؤدي الزكاة، واستدل بالحديث من أجاز الصلاة استقلالاً على غير الأنبياء، وفي ذلك خلاف وتفصيل للعلماء.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾، أي رحمة لهم، كذا قال ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيُرَبِّيها لأحدكم كما يُرَبِّي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ . . . ﴾ إلخ، و ﴿ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] .»

رواه الترمذي في الزكاة ٥٨٧ بتهذيبي وهو في الصحيحين بمعناه وبدون ذكر الآيتين، وانظر ما سبق في تفسير ﴿ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

والمهر هو الفصيل الصغير من الإبل، وفي الحديث فضل الصدقة وأن الله عز وجل ينميها لصاحبها حتى تصير أضعاف أضعاف ما تصدق به، وقوله: ويأخذها بيمينه، هذا من أحاديث الصفات والواجب فيه وفي أمثاله عدم التعرض له بالتأويل مع نفي التشبيه.

قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «هو مسجدي هذا».

رواه أحمد ٣/٨/٢٣، ٢٤، ٩١، ومسلم آخر الحج ٩/١٦٨، ١٦٩، والترمذي ٢٩٠، ٢٨٩٩، والنسائي ٦/٣٥٩ وغيرهم، زاد الترمذي وفي ذلك خير كثير.

والحديث نص في أن المسجد المؤسس على التقوى هو المسجد النبوي الشريف، ولا شك أنه كذلك بالأولى والأحرى من غيره.

غير أن سياق الآية الكريمة إنما هو في معرض مسجد قباء، ولهذا قال بعده: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا...﴾ الآية، وهؤلاء هم سكان قباء.

فعن أبي أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم أن هذه الآية لما نزلت: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم؟»، قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء، قال: «فهو ذاك فعليكموه».

رواه ابن ماجه ٣٥٥، والحاكم ١/٥٥، ٢٤/٣٣٤، والبيهقي ١/١٠٥. قال الحاكم: هذا حديث كبير صحيح في كتاب الطهارة ووافقه الذهبي وحسنه الزيلعي في نصب الراية ١/٢١٩. والحديث صحيح لشواهد عن جماعة، منهم عويم بن ساعدة، رواه أحمد ٣/٤٢٢، والحاكم ١/١٥٥ صححه الحاكم والذهبي، وعن أبي هريرة رواه أبو داود ٤٤، والترمذي في التفسير ٢٩٠٠، وابن ماجه ٣٥٧، وهو حسن في الشواهد، وعن ابن عباس رواه الحاكم ١/١٨٧ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه النور في المجمع ١/٢١٢، وفي الباب غير ذلك. فالحديث صحيح خلافاً لمن ضعفه بإطلاق.

وفي الآية والحديث فضل الاستنجاء بالماء وأن الله يحب المتطهرين، وإنما خص الله تعالى أهل قباء بذلك لأن عادة العرب في الجاهلية وفي الإسلام كانوا يكتفون بالاستنجاء بالحجارة، بينما هؤلاء الأنصار كانوا يستعملون الماء أو يجمعون بينهما كما هو الأفضل، فنوّه الله عزّ وجلّ بهم وأثنى عليهم.

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهَا جَحِيمٌ ﴾ (١١٣).

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك الله ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ إلخ.

رواه البخاري في الجنائز وفي الإيمان والنذور وفي التفسير ٤١١/٩، وفي المناقب، ومسلم في الإيمان ٢١٤/١، ٢١٥، ٢١٦، والنسائي في الكبرى ٣٥٩/٦ وفي المجتبى وغيرهم. وزادوا في رواية: ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]. وستأتي في القصص إن شاء الله تعالى.

والحديث نص في أن أبا طالب لم ينطق بكلمتي الشهادة، وقد جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث العباس وغيره: «أنه في ضحضاح من النار». وفي رواية: «له نعلان يغلي منهما دماغه». وفي كل ذلك رد على الشيعة الروافض الذين يزعمون أنه مات مؤمناً. وكم كنا نتمنى أن يكون كذلك ولكن الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء وله في ذلك الحكمة البالغة. وفي الآية والحديث المنع من الاستغفار للكفار وأهل الشرك ولا خلاف في تحريم ذلك، وإنما يجوز الدعاء لهم بالهداية والتوفيق أيام حياتهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رُدُّوا رُحُومًا وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٨﴾﴾

عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه حدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال: فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخًا أوفى على أعلى جبل بأعلى صوت: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فدهم الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسًا وسعى ساع من أسلم فأوفى على جبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته بشرني نزعني ثوبي فكسوته إياهما بشارة، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهتفونني بالتوبة يقولون: لتهنتك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالسًا حوله الناس فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور قال: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، فقلت: من عندك يا رسول الله أو من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي

صدقة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير، قلت: يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من تويتي إلا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أحد من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾. فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام بأعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبه فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل الله الوحي بشر ما قال لأحد: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآزِنُهُمْ جَهَنَّمُ جَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٠﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢١﴾. قال كعب: وكنا خُلُفْنَا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فلذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾، وليس الذي ذكر الله تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

رواه البخاري في أكثر من ستة مواضع في الجهاد، وفي الوصايا، وفي الأيمان والنذور، وفي الأحكام، وفي التفسير ٤١٢/٩، ٤١٣، ومسلم في التوبة ٨٧/١٧، ٩٧، وأبو داود ٢٣١٧، والترمذي ٢٩٠٢، والنسائي ٦/٣٦٠ كلاهما في التفسير وغيرهم مطولاً ومختصراً.

هذا حديث عظيم، وقد جاء مطولاً في بعض روايات الصحيح وفيه فوائد وأحكام وآداب، وجاء مبيناً لأول الآيات المذكورة وما حصل لكعب راويه وصاحبيه من تخلفهم عن غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة، ومقاطعة النبي ﷺ وأصحابه إياهم حتى نزلت توبتهم.

أما معاني الآيات فقال المفسرون: تاب الله على النبي من إذنه للمنافقين في التخلف، وتاب على المهاجرين والأنصار لما حصل منهم من بعض الهفوات في غزوة تبوك، حيث تباطأ بعضهم وتناقل عن الجهاد آخرون. قالوا: والغرض هو التوبة على من تخلفوا من المؤمنين عن هذه الغزوة ثم تابوا وأنابوا وعلم الله صدقهم في توبتهم فقبلها منهم، وصدورها بتوبته على رسوله وكبار صحابته جبراً لقلوبهم، وتوبيهاً لشأنهم، وبعثاً للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار.

وغزوة تبوك كانت آخر غزوات النبي ﷺ، وجاءت في أيام الشدة مع طول المسافة والزمان وكثرة العدو، وغاب النبي ﷺ مع أصحابه فيها قرابة شهرين، وحصل فيها من الأحداث والوقائع الشيء الكثير، وكان معه فيها جماعة من المنافقين كانت لهم اليد السوداء في الخيال والسعي بالإفساد، والفتك بالنبي ﷺ حتى إنهم تأمروا على رميه من جبل، ولذلك كانت هذه السورة الكريمة - وهي من أواخر ما نزل - أكثرها تحدثاً عن المنافقين وأحوالهم وعجرهم وبيجرهم، وما صدر منهم في هذه الغزوة بالذات.

وبهذا تمّ الكلام على سورة التوبة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه.

* * *

﴿سُورَةُ يُوسُفَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَصَّيْبٌ وَزَوْجٌ وَعَزَبٌ

هذه السورة الكريمة من جملة السور المكية وهي بداية السور المكية الأربع عشرة المتوالية من هنا إلى نهاية سورة (المؤمنون)، وهي تهتم بجانب العقيدة والكلام على الألوهية وصفات الله ودلائل توحيده وما يتبع ذلك من الكلام على الرسالة والكتب السماوية . . . وآياتها تسع ومائة.

من خصائص هذه السورة

ومن خصائصها ما يلي:

- ١ - ذكر آية تدل على وجوب الفرح بفضل الله ورحمته دون ما سوى ذلك من الدنيا، آية ٥٨ .
- ٢ - فيها آية عظيمة تعلم المسلم مراقبة الله عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ . . .﴾ الخ، آية ٦١ .
- ٣ - ذكر آية الأولياء وصفاتهم وفضلهم، ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ . . .﴾ الخ، آيات ٦٢ - ٦٤ .
- ٤ - ذكر دعوة موسى على فرعون وقومه واستجابة الله تعالى له ولأخيه هارون وأمره تعالى لهما بالاستقامة . . . ، ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدِّدْ . . .﴾ الخ، آيتان ٨٨ ، ٨٩ .

٥ — ذكر قوم يونس وما خصّهما الله تعالى به من رفع العذاب عنهم بعد أن كاد يعاجلهم به، آية ٩٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَافْتَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾. (١١)

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيه عطاء فيستجاب لكم».

رواه مسلم في الزهد ١٣٩/١٨، وأبو داود في أبواب الوتر رقم ٥٣٢، وابن حبان ٢٤١١ بالموارد واللفظ لأبي داود.

في الحديث الشريف النهي عن دعاء الإنسان على نفسه أو أهله أو ماله؛ فربما وافق الاستجابة فينزل به ما يسوءه وهذا هو مضمون الآية الكريمة، فإن الله عزَّ وجل بلطفه بعباده لا يستجيب لهم في الشر كاستجابته لهم في الخير، ولو فعل ذلك في الأمرين معاً لأهلكهم، وفي ضمن ذلك ذم الدعاء بالشر، ولذلك قال مجاهد وغيره في الآية: هو قول الإنسان لولده أو ماله إذا غضب عليه: اللّهم لا تبارك فيه والعنه...

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. (١٤)

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء».

رواه أحمد ١٩/٣، ٢٢، ٦١، ٨٤، ومسلم ٥٤/١٧، ٥٥، وابن ماجه ٤٠٠٠، والبيهقي ٩١/٧.

حلوۃ بضم الحاء، وخضرة بفتح ثم كسر، ومعناه أن النفوس تستحليها وتحبها كما تحب الخضرة وغيرها من مظاهر الجمال. وقوله مستخلفكم: معناه سيجعلكم خلفاء فيها عن سبقكم لينظر هل تقومون بحقها أم تغترون بها وتساقوا وراءها.

فالآية والحديثان يدلان على أن الإنسان ابتلي بالاستخلاف في هذه الأرض عن سبقه لينظر ماذا سيفعل، هل سيسقيم أم ينحرف ويعوج. ولذلك حذرنا النبي ﷺ من الدنيا والنساء وأمرنا بالتحفظ من فتنتهما — وهي عظيمة وعظيمة — وأخبر بأن أول فتنة بني إسرائيل جاءت من قبل النساء. وانظر لهذا الموضوع: «المرأة المتبرجة» لكاتبه.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ صِرَاطَ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٥﴾ .

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد أحدكم أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تلجه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على باب الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم». وفي رواية: وداع يدعو من فوقه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ صِرَاطَ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٥﴾ .

رواه أحمد ٤/١٨٢، ١٨٤، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٠ وحسنه، والنسائي في الكبرى ٦/٣٦١ والحاكم وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

صَرَبَ اللهُ: أي بَيَّنَّ. والمثل تصوير شيء خفي بأمر جلي والغائب بالشاهد. واعظ الله: هو ما يسمى بلممة الملك. والحديث يدل على أن طريق الله عزَّ وجل واضح لا لبس فيه ولا غموض، وأن الله عزَّ وجل هو الذي يوفق من يشاء من عباده فيهديه إليه. وهذا المثل من الأمثال العجيبة الرائقة.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

٦٦

عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند ربكم موعدًا يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويُجِرُّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم».

رواه أحمد ٣٣٢/٤ و ١٥/٦، ومسلم في الإيمان ١٧/٣، وأبو عوانة في صحيحه ٤١١، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٢٩، وفي التفسير ٢٩٠٥، والنسائي في الكبرى ٣٦١/٦، ٣٦٢، وابن ماجه ١٨٧ في المقدمة.

قوله: فيكشف الحجاب، أي عن أهل الجنة. والحديث صريح في تفسير الزيادة بأنها النظر إلى الله عزَّ وجل، أما الحسنَى فهي هنا الجنة، كما أنه صريح في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة والأحاديث بذلك متواترة عن رسول الله ﷺ، وأجمع على ذلك أهل السنة، وأنكرها المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والشيعة وسيحرمون منها... أما نحن فنرجو الله عزَّ وجل بمنه وكرمه وإفضاله أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه المقدس.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٦٧

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سُئِلَ رسول الله ﷺ: مَنْ أَوْلِيَاءُ الله؟ قال: «الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللُّهُ».

رواه النسائي في الكبرى ٣٦٢/٦، وابن المبارك في الزهد ٢١٧، والطبراني في الكبير ١٢٣٢٥، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢٣١/١ وسنده حسن ولا يعمل بمن أرسله.

وللحديث شواهد، منها عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنهما أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل، ألا أخبركم بشراركم»، قالوا: بلى، قال: «فشراركم المفسدون بين الأحبة المشاؤون بالنميمة، الباغون البراء العنت».

رواه أحمد ٤٥٩/٦، وابن ماجه ٤١١٩، وعبد بن حميد في المنتخب ١٥٨٠، قال البوصيري في المصباح: هذا إسناد حسن، شهر وسويد مختلف فيهما وباقي رجاله ثقات. ومنها عن عمرو بن الجموح عند أحمد ٤٣٠/١، وأبو نعيم في الحلية ٦/١، وابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء رقم ١٩. ومنها عن عبد الرحمن بن غنم عند أحمد ٢٢٧/٤، فالحديث لذلك صحيح خلافاً لمن طعن فيه وضعفه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العباد عبداً يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور يعني على منابر من نور، لا يخافون إن خاف الناس، ولا يحزنون إن حزن الناس»، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ...﴾ الخ.

رواه النسائي في الكبرى ٣٦٢/٦، وأبو يعلى ٦١١٠، وابن حبان ٥٧٣ بالإحسان، وابن جرير ١٣٢/١١، وسنده صحيح. وله شاهد عن عمر رضي الله تعالى عنه رواه أبو داود ٣٥٢٧، والطبراني في التفسير ١٣٢/١١، وأبو نعيم في الحلية ٥/١، وجوده ابن كثير لكنه منقطع ولا يضر. وله شاهد ثان عن أبي مالك الأشعري رواه أحمد ٣٤١/٥، وابن المبارك في الزهد ٧١٤، وأبو يعلى ٦٨٤٢ وسنده حسن.

في هذه الأحاديث بيان لما في الآية الكريمة بأن أولياء الله عز وجل هم الذين إذا رأهم الناس ذكروا الله لما يغشاهم من جلال الله، وما يلقي عليهم

من الهيبة والصبغة الإلهية... وأنهم لعلو منازلهم يوم القيامة يغبطهم الأنبياء والشهداء، ولا شك أن هؤلاء صنف من كبار الأتقياء الذين ذكرهم الله عزَّ وجل في الآية ومن صفات بعضهم أنهم تحابوا في الله من غير أنساب ولا أموال تجمعهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.



عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له».

رواه أحمد ٤٤٧/٦، والترمذي في الرؤيا وفي التفسير ٢٩٠٦، وابن جرير ١٣٣/١١، ١٣٧، والحاكم ٣٩١/٤ من طرق بعضها صحيحة. وله شاهد عن عبادة بن الصامت رواه أحمد ٣١٥/٥، والترمذي في الرؤيا ٢١٠٣، وابن ماجه ٣٨٩٨، والحاكم ٣٩١/٤ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وجاء معناه في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره وفيه: «الرؤيا الصالحة بشرى من الله» خ ٢٧/١٦، م ٣٠/١٥، ٣١، وفي صحيح البخاري ٢٩/١٦ وغيره عنه ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». وفي صحيح مسلم ١٩٦/٤ باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»، وأخرج ٢٣/١٥ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا المسلم يراها أو ترى له».

فالأحاديث كلها تدل على أن البشرى للمؤمن الصالح في الدنيا المذكورة في الآية هي الرؤيا الصالحة الحسنة يراها بنفسه أو يراها له غيره، وتكون مؤذنة له بأنه من جملة أولياء الله الذين ذكرهم الله هنا، جعلنا الله تعالى من أفضلهم، آمين.

قوله تعالى: ﴿وَجَوْرَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَنْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ. بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١١) ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١١).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟»، فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم»، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه.

رواه البخاري ١٥٠/٥، ١٥١، ومسلم ٩/٨، ١٠ كلاهما في الصيام. ورواه البخاري في التفسير ٤١٨/٩.

في الحديث بيان أن النبي ﷺ كان من هديه الاقتداء بالأنبياء قبله، وبذلك جاء القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فِيهِدْنَاهُمْ سَبِيلًا﴾ [الأنعام: ٩٠] وأضرابها. وفيه مشروعية الشكر على دفع البلاء وإهلاك الأعداء واتخاذ ذلك عادة كلما حل ذلك الوقت، ومن هذا ما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال: «ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «لما أغرق الله تعالى فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. قال جبريل عليه السلام: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة». وفي رواية: «إن جبريل جعل يدس في في فرعون الطين خشية أن يقول: لا إله إلا الله. فيرحمه الله، أو خشية أن يرحمه الله».

رواه أحمد رقم ٢٢٠٣، ٢١٤٤، ٢٨٢١، ٣١٥٤، والترمذي ٢٩٠٧ بالروایتين،

والنسائي في الكبرى ٣٦٣/٦، وابن جرير ١٦٣/١١، وابن أبي حاتم ١٩٨٢/٦ وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح.

في الحديث — زيادة على تصريحه بإغراق فرعون وأنه آمن عندئذ حيث لم ينفعه إيمانه — أن جبريل عليه السّلام جعل يدس الطين في فمه غضباً لله عزّ وجلّ عليه وذلك لأمرين: أما أولاً: فلأن فرعون كان كفره عناداً، وأما ثانياً: فإن إيمان مشاهد الموت والعذاب لا ينفعه لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، والذي فعله جبريل عليه السّلام كان بلا شك بإذن من الله عزّ وجلّ. وقد سبق في علم الله أن فرعون كافر، وأنه سيموت على كفره، وما اعترض به على هذا الحديث هو اعتراض مزيف. وانظر الخازن فقد أجاد في الجواب عن استشكل الحديث كالرازي وغيره.

وفي الحديثين بيان واضح للآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكَهُ الْفَرَقُ﴾، وإن الله عزّ وجلّ أغرقه وقومه بالفعل، وأن ذلك لا يحتمل تأويلاً.

وبهذا تم الكلام على سورة يونس، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه.

* * *

﴿سُورَةُ هُودٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَالرُّسُلَ وَأَبْرَارَهُمْ عَلَى سِدْرٍ نَاجِمٍ
وَاللَّهُ وَهَجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَمَرْبَهُ

هذه السورة الكريمة مكية، وآياتها ثلاث وعشرون ومائة، ومقاصدها الكلام على التوحيد ودلائله والوحي والرسالة والبعث والجزاء، وذكر قصص بعض الأنبياء وخاصة القدماء منهم: كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ثم رئيس أنبياء بني إسرائيل وصاحب كتابهم العظيم التوراة كلهم الله سيدنا موسى وأخيه ووزيره سيدنا هارون، على نبينا وعليهم جميعاً الصلاة والسلام.

من خصائص هذه السورة

- ١ - هي إحدى السور الخمس التي قال فيها النبي ﷺ: «شيبتي هود وأخواتها»، ويأتي تخريجه في سور المفصل إن شاء الله تعالى.
- ٢ - ذكر آية: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، فلا توجد في غير هذه السورة، آية ٧.
- ٣ - ذكر قصة سيدنا نوح عليه السلام بإسهاب وتفصيل، وتعرضها لإغراق ولده كنعان بعد أن ناداه: ﴿يَبْنُؤْكَ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَهُ﴾

الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ . . . الآية، وما نادى به رَبَّهُ في شأنه: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَنْبِئُكَ مِنْ أَهْلِ وَادِيٍّ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾، وكيف أجابه ربه بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ . . . ﴾ الآية، آيات ٢٥ - ٤٨ .

٤ - ذكر آية خلال قصة نوح بلغت نهاية أسرار الإعجاز، وجمعت من المحاسن اللفظية والمعنوية ما يضيق عنه نطاق البيان وهي قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ . . . ﴾ الآية، وقد تكلم علماء البلاغة على ما فيها من أسرار ولطائف. وقد ذكر غير واحد عن ابن المقفع وكان من أفصح أهل زمانه كما هو معروف أنه أراد معارضة القرآن، فنظم كلامًا وجعله سورًا في زعمه، فمر يومًا على صبي وهو يقرأ هذه الآية، فرجع إلى بيته ومحي ما كان وضعه وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبدًا، وما هو من كلام البشر.

٥ - وجود تلك الآية العظيمة التي سيقت للتحذير من الركون إلى الظلمة بدءًا من الكفار إلى أصغر ظالم من المسلمين: ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾، فهي تشمل الميل إلى كل ظالم حتى من ظلم نفسه بالإصرار على كبار الذنوب . . . ، آية ١١٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا جِنَّ یَسْتَعْفُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ شَابَهُمْ یَعْلَمُ مَا یُسرُونَ وَمَا یُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِیْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿٥١﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال: أناس كانوا يستخفون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

رواه البخاري ٩/ ٤٢٠، وابن جرير ١١/ ١٨٥ كلاهما في التفسير.

ومعنى الحديث أن الناس كانوا لجهلهم بالإحاطة العلمية الإلهية إذا أتوا نساءهم أو قضاء حاجتهم من بول أو غائط تغشوا بشبابهم كراهية أن يفضوا بفروجهم إلى السماء فيراهم الله عز وجل في زعمهم، فأخبرهم تعالى بأن كل ذلك لا يخفى عليه شيء منه. هذا ما جاء في الصحيح عن ابن عباس في الآية الكريمة. وهناك تأويل آخر في الآية ذكره ابن جرير، ثم قال: فأولى التأويلات بتأويل ذلك تأويل من قال: أنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضره نفوسهم أو تتأجوه بينهم. وعلى كل، فالآية الكريمة تفيد أن علم الله عز وجل محيط بجميع شؤون عباده فلا تخفى عليه خافية منهم دقت أو عظمت، أخفوها أم أعلنوها.

وقوله تعالى: ﴿يَتَوَنَّنَ﴾ بسكون الراء من التني، وهو إما عبارة عن إعراضهم، لأن المعرض عن الشيء يتنني عنه وينحرف، أو المراد تني صدورهم عما فيها من العداوة والبغضاء لله ولرسوله ﷺ. وقوله: ﴿لَيْسَتَّخْفُوا مِنْهُ﴾، أي ليطلبوا الخفاء عن الله فلا يراهم، وقوله: ﴿يَسْتَفْشُونَ﴾ أي حينما يتغطون ويتلففون بشبابهم ليلاً ينظر الله إليهم ويعلمهم...

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.



عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية: «غيره»، وفي أخرى: «معه»، «وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض».

رواه أحمد ٤/٤٣٢، ٤٣٣، والبخاري في بدء الخلق ٧/٩٨، وفي المغازي، والترمذي آخر المناقب ٣٦١٢ بهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/٣٦٣ بنحوه، وهو عند بعضهم مطولاً.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء».

رواه أحمد ١٦٩/٢، ومسلم ٢٠٣/١٦، والترمذي ٢١٥٦ كلاهما في القدر. وتقدم حديث ابن عباس في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾ الآية [المائدة: ٦٤].

كلا الحديثين يوافقان الآية الكريمة في أن العرش كان على الماء قبل خلق هذه الأجرام، وقبل أن يقدر الله المقادير ويكتبها في الذكر، وهذا قول الجمهور، وأن العرش خلق قبل الكائنات بما فيها اللوح المحفوظ والقلم، وفيهما مع الآية أن العرش كان على الماء ولا ندري ما وراء ذلك فهو من عالم غيب الله عز وجل، فلنمسك عن الخوض في ذلك.

وفي حديث عمران بيان واضح أن الله تعالى كان ولم يكن شيء سواه، ولا أحد معه، ولا أحد قبله، بل هو الأول قبل كل شيء بلا بداية، وآخر كل شيء بلا نهاية، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. ومن قال غير هذا فهو مشرك كافر...

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

رواه أحمد ٣١٧/٢، ٣٥٠، ومسلم في الإيمان ١٨٦/٣. ونحوه عن أبي موسى رواه أحمد ٣٩٦/٤، ٣٩٨، والنسائي في الكبرى ٣٦٤/٦ وغيرهما بسند صحيح. وعن ابن عباس رواه الحاكم ٣٤٢/٢ وصححه وأقره الذهبي.

الحديث جاء مبيّنًا للآية الكريمة ومفصلاً لمعناها، وأن كل من بلغه

القرآن ورسالة نبينا ﷺ من جميع أهل الملل ولم يؤمنوا به وبما جاء به كانوا من أهل النار مخلدين فيها. وهذا لا خلاف فيه، فإن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع قبلها ورسولنا خاتم الرسل والرسالة فلا يقبل الله ديناً غير دين الإسلام كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، وانظر ما سيق في الأعراف: ١٥٨.

﴿١٨﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه بينا هو يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُذْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَقْرَهُ بِذَنْبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ - مَرَّتَيْنِ - ، يَقُولُ: سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفَرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ أَوْ الْكُفَّارُ فَيَنَادِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾».

رواه أحمد ١٠٥/٢، والبخاري في المظالم وفي التفسير ٤٢٤/٩، وفي الأدب ٩٩/١٣، وفي التوحيد، ومسلم في التوبة ٨٧/١٧، والنسائي في الكبرى ٣٦٤/٦، وابن ماجه ١٨٣.

النجوى هي ما يتكلم به المرء يُسْمِعُ نَفْسَهُ، والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه يوم القيامة مع المؤمنين. وقوله كنفه بفتحات، أي ستره وعفوه.

والحديث تتجلى فيه رحمة الله تعالى بعبده المؤمن يوم القيامة حيث سيضع الله عليه ستره ويقرره بما سلف له من ذنوبه، حتى إذا ما اعترف بها

عفى عنه وغفر له فضلاً منه ورحمة به، بينما الكافر والمنافق وأشباههما من الظلمة المفترين سيعرضون على الله تعالى ويقول الأشهاد من الأنبياء والملائكة هؤلاء المفترون الذين كذبوا على ربهم في زعمهم أن له تعالى شريكاً معه فيقال لهم: ألا لعنة الله وخزيه على الظالمين الأفاكين. وفي الحديث رد على المعتزلة القائلين بوجوب تعذيب العصاة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.



عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت أبو الناس خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، فاشفع لنا عند ربك، فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم ويشكو إليهم ذنبه الذي أصاب، فيستحي من ذلك - ، ولكن إيتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فينادونه فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم ويستحي من ذلك»، الحديث سيأتي بطوله في موضعه حيث تذكر الشفاعة إن شاء الله تعالى.

رواه البخاري في التفسير ٢٢٦/٩، ومسلم في الإيمان في ذكر الشفاعة، والنسائي في الكبرى ٣٦٤/٦، وابن ماجه في الزهد ٤٣١٢، وانظر الآية الثانية مما ذكرناه من سورة البقرة.

لما أغرق الله قوم نوح عليه السلام بالطوفان كان من جملتهم ولده كنعان، فنادى ربه إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي الذين وعدتك بنجاتهم، لأنه كافر، ﴿فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، أي لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وحقيقته.

قوله تعالى: ﴿ تَمَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ (٦٥).

عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: «يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوها نبيهم أن يبعث لهم ناقة ففعل فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يصيبون من غبها، ثم تصدر من هذا الفج فعقروها، فأجلهم الله ثلاثة أيام، وكان وعد الله غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان منهم بين السماء والأرض إلا رجلاً كان في حرم الله فممنعه حرم الله من عذاب الله، قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال».

رواه أحمد ٣/٢٩٦، والطبراني في الأوسط ٩٠٦٥، والبزار بسند صحيح. قال الهيثمي في المجمع ٣٨/٧: رجال أحمد رجال الصحيح. وقال البوصيري في الإتحاف ٦٤٥٠: رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر بسند صحيح.

قوله: غبها بكسر الغين، أي وردها، والغب أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً، ومنه الحديث: «زر غبًا تزدد حبًا»، أي قلل من الزيارة من غير إكثار.

والحديث جاء في قصة نبي الله صالح عليه السلام وقصته مع قومه مبسوطه في كثير من سور القرآن الكريم، غير أن الحديث سيق للتحذير من سؤال الآيات والمعجزات، فإنه ربما كان وجودها امتحانًا بل ونقمة كما حصل لقوم صالح، فإنهم سألوها آية فكانت الناقة العشاء فعقروها فأهلكهم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨١).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قول لوط: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨١)، قال النبي ﷺ: «كان ياوي إلى

ركن شديد إلى ربه عزَّ وجل، قال: فما بعث بعده نبياً إلا في ثروة من قومه»، وفي رواية: «ولكنه عني عشيرته فما بعث الله عزَّ وجل بعده نبياً إلا بعثه في ذروة من قومه»، وفي رواية: «إلا في منعة من قومه».

رواه أحمد والشيخان وغيرهم، ويأتي كاملاً مع تخريجه في سورة يوسف.

فقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، أي لو قويت بنفسي على دفعكم، أو أوي وألتجىء إلى ركن شديد: أي قوي، أتمنَّع به منكم.

والحديث جاء مبيناً بأن لوطاً عليه السَّلام رغم أنه قال لقومه هذه المقالة فإنه كان يأوي ويلتجىء إلى أعظم ركن وهو الله عزَّ وجل، فإنه لا يضام ولا يقهر ولا يغلب من احتمى به والتجأ إليه وتوكل عليه.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ...﴾ الآية».

رواه البخاري في التفسير ٤٢٥/٩، ومسلم في البر والصلة ١٣٧/١٦، والترمذي في التفسير ٢٩٠٩، والنسائي في الكبرى ٣٦٥/٦، وابن ماجه في الفتن ٤٠١٨.

قوله: يملي بضم الياء، أي يمهل ويؤخر ويطيل له المدة، وقوله: لم يفلته بضم الياء، أي لم يطلقه ولم يتخلص وينفلت منه.

وفي الآية مع الحديث تهديد أكيد للعتاة الظالمين المتجبرين وأن الله عزَّ وجل يمهلهم في هذه الحياة ويمد لهم فيها ويعطيهم من كل أنواع المتاع ويوسع لهم في الملك وقد ينصرهم على من ناوأهم ويمنحهم قوة ونفوذ أو يطيل أعمارهم ويملاً قصورهم بالخدم والجواري الحسان فيطمثوا لذلك

فيستدرجهم من حيث لا يعلمون فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر فيصبحوا لا ترى إلا مساكنهم عياداً بالله تعالى منهم .

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١١٥).

١١٥

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١١٥)، سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله فعل ما نعمل على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يُفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩١٠، وابن أبي عاصم في السنة ١٧٠، وهو حسن صحيح لطرقه. وانظر كتاب تهذيب الجامع لكاتبه ١٩٦٧ من القدر.

والحديث يدل على أن الله تعالى قد فرغ من كل شيء، وأن جميع ما يصدر في هذه الكائنات من خير أو شر، هدى وضلالة، قد كتب في الذكر وسبق به علم الله وتعلقت به قدرته وإرادته، وأن كل إنسان مهياً لما خلق له، فمن سبقت له السعادة هيئ له للعمل لها، ومن سبقت له الشقاوة هيئ لها كذلك وعمل لمقتضاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى على ذلك.

وفي حديث ابن مسعود المخرج في الصحيحين المشهور: «... ثم يبعث الله ملكاً فيكتب أربعاً: أجله وعمله ورزقه وشقيّاً أم سعيداً»، ويأتي في موضعه في القدر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

١١٣

اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣).

عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة: خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: «اسمعوا وأطيعوا، هل سمعتم؟ إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل

عليهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه، وهو وارد علي الحوض».

رواه أحمد ٢٤٣/٤، والترمذي في الصلاة آخرها ٥٤٧، وفي الفتن ٢٠٨٧ بتهذيبي، والنسائي في البيعة ١٤٣/٧، وابن حبان ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣ وحسنه الترمذي وصححه، وللحديث شواهد عن جابر وخباب بن الأرت وعن النعمان بن بشير وأبي سعيد الخدري وابن عمر، وهي مخرجة في تهذيب الجامع رقم ٥٤٧.

هذا الحديث الشريف من أخطر ما جاء في ذم موالاته الظلمة والدخول عليهم والركون إليهم ومعاونتهم ومساعدتهم على ظلمهم وتصديقهم في كذبهم ولو كان بالسكوت، وحسب مؤاليهم شرًا أن رسول الله ﷺ بريء منه وأنه سيحرم الشرب من حوضه ﷺ. وفي مقابلة هذا الوعيد بشارة من يجانبهم ولا يدخل عليهم بالفضل العظيم، حيث إنه من رسول الله ورسول الله منه، وسيرد الحوض إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإنني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴾. فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة؟ فقال: بل للناس كافة. وفي رواية: «إن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزلت عليه:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ... ﴾ الآية، قال الرجل: إليّ هذه؟ قال: «لمن عمل بها من أمتي».

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير ٤٢٦/٩، ٤٢٧، ومسلم في التوبة ٧٩/١٧، ٨٠، ٨١، والترمذي ٢٩١١، والنسائي ٢٦٦/٦، كلاهما في التفسير وابن ماجه في الصلاة ١٣٩٨، وفي الزهد ٤٢٥٤ واللفظ الأول لمسلم والترمذي، والثاني للشيخين والنسائي.

وعن أبي اليسر رضي الله تعالى عنه قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا، فقلت: إن في البيت تمرًا أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدًا، فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدًا، فلم أصبر، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال لي: «أخلفتَ غازیًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟»، حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار، قال: وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحى إليه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ... ﴾ الآية.

قال أبو اليسر: فأتيت رسول الله ﷺ فقرأها علي، فقال أصحابه: يا رسول الله، ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: «بل للناس عامة».

رواه الترمذي ٢٩١٣، والنسائي ٣٦٦/٦، وابن جرير ١٣٧/١١ كلهم في التفسير، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. ونحوه عن معاذ عند الترمذي وعن أبي أمامة ورجل من الأنصار عند ابن جرير.

قوله: عالجت، أي تناولتها واستمتعت بها بالمعانقة والقبلة... إلّا الجماع. والظاهر أن هذه القصة كانت واحدة وقعت لرجل واحد هو أبو اليسر بن عمرو الأنصاري تصرف الرواة والناقلون في ألفاظها...

وفي الآية الكريمة مع الحديثين فضل واسع، ورحمة شاملة للمذنبين وخاصة التوابين، فإن الله تعالى بفضله وإحسانه يكفر سيئاتهم بما يأتون من حسنات، وأعظم الحسنات وأشرفها المحافظة على الصلوات الخمس.

وفي الحديثين أنه ينبغي لمن أتى ذنبًا في خفاء أن يستر على نفسه ويتوب إلى الله تعالى منه، ولا يذكره لأحد. وفيهما ما جبل عليه الإنسان من الميل إلى النساء والافتتان بهن، كما فيهما إشارة إلى أنه لا تجوز الخلوة بالأجنبية كما وردت بذلك أحاديث أخر، فإن ذلك يفضي بهما معًا إلى ارتكاب الفاحشة، لأن ملك النفس عن شهوتها في مثل ذلك يصعب ولا ينجو منه إلا من حفّته عناية الله تعالى، ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية بالاحتياطات الكثيرة في هذا الميدان الخطير. وفي حديث أبي اليسر دليل على جواز شراء المرأة من الرجل ما تحتاجه من طعام وغيره إذا كان ذلك مع حشمة ومروءة وعفاف وفي غير خلوة...

وبهذا تم الكلام على سورة هود، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

* * *

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ نَسَى اللَّهُ وَاوْدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ إِذْ وَارَاهُ عَلَى سِدْرٍ مَبْنُوعٍ
وَاللَّهُ وَصِيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَحَزْبُهُ

هذه السورة الكريمة من السور المكية الطوال كالأنعام ونحوها، علمًا بأن أكثر السور المكية قصار بالنسبة للسور المدنية. وآيات هذه السورة إحدى عشرة ومائة.

تناولت السورة بإسهاب قصة نبي الله يوسف عليه السلام وما ناله من بلايا ومحن، وما تعرض له من نكبات وشدائد. فلقد أصيب بعدة محن: محنة حسد إخوته وكيدهم به. ومحنة إلقاءه في الجُب. ومحنة بيعه بثمن بخس حتى أصبح عبدًا أو غلامًا لعزيز مصر. ومحنة تعلق قلب امرأة العزيز به وعشقها له. ثم محنة مراودته عن نفسه بشتى طرق الفتن والإغراء. ثم محنة اعتقاله وسجنه، فلقي كل ذلك بالثبات والصبر حتى جاءه الفرج والأنس والطمأنينة.

وجاءت قصة هذا الكريم تسليية للنبي ﷺ مما نزل به من النكبات وخاصةً عندما فقد أعز الناس وأحبهم إليه زوجته مولاتنا خديجة الطاهرة

رضي الله تعالى عنها، وعمه أبا طالب الذي كان له خير نصير وخير معين، حتى سمي عامه ذلك عام الحزن، ففي هذه الظروف العصيبة نزلت هذه السورة تعزية له وتثبيتاً واطمئناناً لقلبه، وليعلم أنه هناك من إخوانه الأنبياء من أصيب بأكثر مما ناله ونزل به، ولذلك جاء في خاتمة السورة: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصْصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ الآية.

خصائص هذه السورة ومجمل ما وقع فيها

لهذه السورة خصائص تتعلق بيوسف وأبويه وإخوته... نجملها في الآتي:

١ - ذكر القصة بإسهاب فريد من نوعه، وبيان أنها أحسن القصص على الإطلاق، وأنها قصة عجيبة غريبة فيها من المعجزات والآيات والأحكام والآداب والأخلاق والأسرار... ما لا يوجد في غيرها كما سيتضح فيما يأتي.

٢ - إن هذه القصة لم تتكرر في غير هذه السورة، وهذا بخلاف قصص الأنبياء الآخرين الذين تتكرر قصصهم عدة مرات في شتى السور.

٣ - إنها أحسن القصص وأحلاها وأروعها، وذلك لانفرادها عن سائرهما بما فيها من ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة، والشياطين، والجن، والإنس، والأنعام، والطير، وسير الملوك، والممالك، والتجار والعلماء والرجال، والنساء وكيدهن ومكرهن، مع ما فيها من ذكر التوحيد، والفقه، والسير، والسياسة، وحسن الملكة، والعفو عند المقدرة، وحسن المعاشرة، والحيل، وتدبير المعاش، والمعاد، وحسن العاقبة في العفة، والجهاد، والخلاص من المرهوب إلى المرغوب، وذكر الحبيب والمحبوب، ومرأى

السنين، وتعبير الرؤيا، والعجائب التي تصلح للدين والدنيا^(١).

٤ - رؤيا يوسف الكواكب والشمس والقمر ساجدين له، آية ٤.

ملخص سلسلة من محن يوسف عليه السلام

٥ - حسد إخوته له وكيدهم به وإلقاؤهم إياه في العجب، آيات ٧، ١٠، ١٨.

٦ - بيع يوسف وشراؤه وإبعاده عن أبيه واستعباده عند ملك مصر، آية ٢٠.

٧ - مراودة امرأة العزيز يوسف عن نفسه حتى همَّ بها، آيتان ٢٣، ٢٤.

٨ - كيد امرأة العزيز بيوسف وكذبها عليه وشهادة شاهد على ما فعلت، آيتان ٢٥، ٧٧.

٩ - ما صدر من النساء في جانب امرأة العزيز وقصتها معهن في شأن يوسف، آيتان ٣٠، ٣٢.

١٠ - اختيار يوسف السجن على ما أرادته منه امرأة العزيز، آية ٣٣.

١١ - دخوله السجن ودخول فتیان معه، آيتان ٣٥، ٣٦.

١٢ - يوسف داعية في السجن ومعبر للرؤيا، آيات ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤١.

١٣ - رؤيا الملك البقرات والسنابل السبع وتعبير يوسف لها، آيات ٤٣ إلى ٤٩.

١٤ - امتناع يوسف عن الخروج من السجن حتى تبرأ ذمته عن التهمة، آية ٥٠.

١٥ - اعتراف امرأة العزيز والنسوة ببراءة يوسف أمام الملك، آية ٥١.

١٦ - ذكر النفس الأمانة بالسوء، آية ٥٣.

(١) ذكر هذه الفوائد أبو حيان في المحيط.

- ١٧ - طلب يوسف الوظيفة من العزيز ومدحه نفسه، آية ٥٥.
- ١٨ - مجيء إخوة يوسف إلى مصر ودخولهم على يوسف وتعرفه عليهم، آية ٥٨.
- ١٩ - إكرام يوسف لإخوته وإعطاؤه إياهم الميرة بدون مقابل، آية ٦٢.
- ٢٠ - يوسف يطلب من إخوته أن يأتوه بأخيهم الصغير بنيامين وطلبهم ذلك من أبيهم وأخذهم عليهم الموائيق على حفظه، آيتان ٥٩، ٦٦.
- ٢١ - أمر يعقوب أولاده بالتفرق عند دخولهم مصر، آية ٦٧.
- ٢٢ - أمر يوسف فتيته بإخفاء الصواع، ووضعها في رحل بنيامين ليأخذه ويقيه عنده، وما وقع في ذلك من الكيد الذي رضيه الله تعالى، آيات ٧٠، ٧١، ٧٢.
- ٢٣ - حكم إخوة يوسف على من وجد في رحله الصواع، آيتان ٧٤، ٧٥.
- ٢٤ - بيان حكم فقهي أخذ من القصة وهو الجعل والضمان، آية ٧٢.
- ٢٥ - طعن إخوة يوسف فيه وفي أخيه بنيامين بالسرقة، آية ٧٧.
- ٢٦ - يعقوب عليه السّلام يفقد بنيامين ويبكي على يوسف حتى ابيضت عيناه، آية ٨٤.
- ٢٧ - إخبار يوسف لإخوته به وتعريفهم به، آيتان ٨٩، ٩٠.
- ٢٨ - اعترافهم بفضل يوسف عليهم وإقرارهم بخطيئتهم وعفو يوسف عنهم عليه السّلام، آيتان ٩١، ٩٢.
- ٢٩ - يعقوب يشم رائحة قميص يوسف من مسافة بعيدة ويخبر أولاده بذلك، فأتي به فألقاه على وجهه فردّ إليه بصره، وما في ذلك من المعجزات والخوارق وعناية الله تعالى بعباده الصالحين، آيتان ٩٤، ٩٦.
- ٣٠ - إخوة يوسف يعتذرون لأبيهم ويعترفون بما فعلوا ويطلبون من والدهم أن يستغفر لهم فيعدهم بذلك، آية ٩٨.

٣١ - هجرة يعقوب وأهله وبنيه من فلسطين إلى مصر ، واستيطانهم بها في أمن وأمان، آية ٩٩ .

٣٢ - سجود يعقوب وزوجته وإخوته ليوسف تصديقاً للرؤيا التي كان قد رآها والتي بنيت كل القصة عليها، آية ١٠٠ .

٣٣ - يوسف عليه السّلام يعترف لله بما أنعم عليه من الملك وعلم التعبير ، ويسأل الله عزّ وجلّ أن يلحقه بالصالحين ، آية ١٠١ .

هذا بعض ما ظهر لنا مما في القصة من خصائص ، وفيها لمن أمعن فيها غير ذلك .

لطيفة:

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى في تفسير المنار عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلْمُتَسَابِلِينَ﴾ ، أي لقد كان في قصة يوسف وإخوته لأبيه أنواع من الدلائل على أنواع من قدرة الله وحكمته ، وتوفيق أقداره ولطفه بمن اصطفى من عباده وتربيته لهم ، وحسن عنايته بهم ، للسائلين عنها من الراغبين في معرفة الحقائق والاعتبار بها لأنهم هم الذين يعقلون الآيات ويستفيدون منها ، ومن فاته العلم بشيء أو بحكمته أو بوجه العبرة فيه سأل عنه من هو أعلم به منه ، فإن للظواهر غايات لا تعلم حقائقها إلاّ منها .

فإخوة يوسف :

لو لم يحسدوه : لما ألقوه في غيابة الجب .

ولو لم يلقوه : لما وصل إلى عزيز مصر .

ولو لم يعتقد العزيز بفراسته أمانته وصدقته : لما أمّنه على بيته ورزقه

وأهله .

ولو لم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ويستعصم: لما ظهرت نزاهته وعرف أمرها.

ولو لم تخب في كيدها وكيد صواحبها من النسوة: لما ألقى في السجن لإخفاء هذا الأمر.

ولو لم يسجن: لما عرفه ساقى ملك مصر وعرف ببراعته وصدقه في تعبير الرؤيا.

ولو لم يعلم الساقى منه هذا: لما عرفه ملك مصر وآمن به وله وجعله على خزائن الأرض.

ولو لم يتبأ هذا المنصب: لما أمكنه أن ينقذ أبويه وإخوته وأهليهم أجمعين من المخمصة ويأتي بهم إلى مصر فيشاركون في رياسته ومجده، بل لما تم قول أبيه له: ﴿وَيَتْرُقْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾.

فما من حلقة من هذه السلسلة إلا وكان ظاهرها محرقاً وباطنها مشرقاً، وبدائها شراً وخسراً وعاقبتها خيراً وفوزاً، وصدق قول الله عز وجل: ﴿وَالْعَنِقَةُ لِلْمُنْفِقِينَ﴾... ﴿[الأعراف: ١٢٨].

ذكر الأعلام وغيرهم ممن بُنيت عليهم القصة

لقد ذكر الله تعالى في هذه القصة الرائعة أعلاماً كثيرة جاءت كأصول للقصة، أو بالتبعية لها، وإتماماً للفائدة نجملها في الآتي:

من أعلام الإنس: يعقوب، زوجته، يوسف، إخوته الأحد عشر، السائلون، بعض السيارة، صاحب الدلو، العزيز ملك مصر، زوجته، شاهد يوسف، نسوة المدينة، فتياً السجن، فتية يوسف، المؤذن بفقدان الصواع.

من أعلام الحيوان والطيور: الذئب، البعير، البقرات، الطير.

باقي الكائنات: الشيطان، الشمس، القمر، الكواكب الأحد عشر، العير، البضاعة، البيع والشراء، السقاية، السنبلات، السنين، السرقة، الجعل، الضمان، القرية، السجن، البدو، السجود، الرؤيا، الأرباب، السقي، الخمر، وفيها غير ذلك.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ، قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ إلى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . . . ﴾ الآية، فتلاها رسول الله ﷺ زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، كل ذلك يؤمرون بالقرآن، قالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الآية [الحديد: ١٦].

رواه إسحاق بن راهويه، والبخاري، وأبو يعلى ٧٤٠، وابن جرير ١٥٠/١٢، وابن أبي حاتم ٢٠٩٩/٧، وابن حبان ٦٢٠٩، والحاكم ٣٤٥/٢ وصححه، وقال الحافظ في المطالب: حديث حسن، بل هو أعلى من ذلك كما يعلم من طريقه.

في الحديث ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من رغبتهم في الخير وحرصهم على طلب العلم والموعظة ونزول القرآن بسبب أسئلتهم.

والآية الكريمة خاطب الله عز وجل بها نبيه ﷺ قائلاً: نحن نحدثك

ونروي لك أخبار الأمم السالفة بأصدق كلام وأحسن بيان، بإيحاتنا إليك هذا القرآن المعجز، وإن الشأن أنك كنت من قبل أن نوحى إليك هذا القرآن لمن الغافلين عن هذه القصة العجيبة التي لم تخطر ببالك ولم تفرغ سمعك، لأنك أُمي لا تقرأ ولا تكتب.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمَتِّعُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِصْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

رواه أحمد ٩٦/٢، والبخاري في التفسير ٤٣٢/٩.

في الحديث بيان الآية الكريمة وفضيلة خاصة لنبي الله يوسف عليه السلام وهو أنه الكريم ابن الكريم ابن الكرام، نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي. والآية تدل على أن الله اجتباه وخصه بتعبير الرؤيا وإتمام النعمة عليه بالنبوة كما أتمها على آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم، وجعل في ذريتهم النبوة والكتاب، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا وعلى آلهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِبِينَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب

تسألوني؟»، قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٧/١٩٨، ٢٢٥، ٢٢٨، وفي المناقب ٧/٣٣٩، ٣٤٠، وفي التفسير ٩/٤٣٢، ومسلم في الفضائل ١٥/١٣٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣٦٧ وغيرهم.

أصل الكرم كثرة الخير، ولمّا سئل رسول الله ﷺ عنه أجاب بأعم الكرم وأكمله فقال: أتقاهم، ولا شك أن المتقي كثير الخير والفائدة في الدنيا، وصاحب الدرجات العلى في الآخرة، فلما قالوا له: ليس سؤالنا عن ذلك أخبرهم عن جمع الله له خيرات الدنيا والآخرة على الكمال والتمام، فاتصف بمكارم الأخلاق مع شرف النبوة، وشرف النسب، وكونه نبيّاً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أعلاهم خليل الله وأبو الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. فلما ذكروا أنهم لم يسألوا عن ذلك، أشار إلى معادن العرب، وقوله: معادن العرب، أي أصولها. فذكر أن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية هم خيار الناس في الإسلام إذا فقهوا في الدين.

وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبينه إنما هو الدين والتقوى والنبوة والإعراق فيها والإسلام مع الفقه.

ومعنى الآية الكريمة: لقد كان في خبر يوسف وإخوته الأحد عشر عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم، فمن قرأ قصتهم أخذ منها عبراً أي عبر، ووجد فيها ما لا يجده في غيرها، وحق لها ذلك.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ النَّسُوفِ الَّتِي قَطَعْنَا أَيْدِيَهُنَّ بِإِذْنِ رَبِّي يَكْفِ يَهُنَّ عَلِيمٌ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي، ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال له: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي».

رواه أحمد ٣٢٦/٢، والبخاري في الأنبياء، وفي بدء الخلق، وفي التفسير ٢٦٨/٩، ٤٣٧، ومسلم في الفضائل ١٢٣/١٥ وغيرهما.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت»، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ الْمَسْئُورِ أَلَمْ تَقَطَّعْ أَيْدِيَهُنَّ﴾، قال: «ورحمة الله على لوط أن كان ليأوي إلى ركن شديد، فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ذروة من قومه»، وفي رواية: «إلا في ثروة من قومه».

رواه أحمد ٢٣٢/٢، ٣٤٦، ٣٨٩، والترمذي ٢٩١٤، والنسائي ٣٦٩/٦، كلاهما في التفسير، والحاكم ٣٤٦/٢، ٥٦١، ٥٧٠، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو في الصحيح مفرقاً.

الذروة: بضم الذال وكسرهما، أعلى الشيء، والثروة: الغنى والسعة. وقوله: ولو لبثت في السجن... إلخ، هو من تواضعه ﷺ، وإلا فهو قد حوَّصر في الشعب سنوات مع من حوَّصر معه حتى كادوا يموتون جوعاً وهو صابر ثابت مستسلم لله عزَّ وجل، وذلك قد يكون أعظم من سجن يوسف عليه السلام.

أما الآية الكريمة فخلاصتها أنه لما رأى الملك تلك الرؤيا العجيبة ودلَّ على يوسف فعبرها، أرسل الملك إليه رسولاً ليسمع منه تفسيرها مباشرة فقال له: إيتوني به، فلما أتاه الرسول امتنع من الخروج، وقال له:

ارجع إلى سيدك الملك وسله عن شأن النساء وقصتهن في قطع أيديهن هل له علم بذلك أم لا، وهل يدري لماذا حبست وسجنت ظلماً؟ فامتنع من إجابة الملك والخروج من الاعتقال حتى تبرأ ساحته من تلك التهمة الشنعاء. فجمع الملك النسوة ودعا امرأة العزيز فسألهنَّ عنه، وقال لهنَّ: ما شأنكنَّ عندما راودتنَّ يوسف ودعوتهنَّ إلى الفاحشة؟ فأجبنه: معاذ الله أن يكون يوسف أراد السوء. وزادت امرأة العزيز بتبرئته، فأفصحت بقولها: الآن حصحص الحق، أي اتضح وتبين، فأنا الذي كنت راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين.

وبهذا تمَّ تفسير سورة يوسف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.



﴿سُورَةُ الرَّعْدِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ إِلَى اللَّهِ وَاوْتَانَهُمْ وَبَارِكُوا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرَزِيقٌ وَعَزِيزٌ

هذه السورة الكريمة مكية كسابقتها، وأهدافها التحدث عن الوجدانية ودلائلها والرسالة والبعث... إلخ، ودفع شبه المشركين، وآياتها ثلاث وأربعون.

من خصائص هذه السورة

وقد خُصَّت السورة الكريمة بالآتي:

- ١ - التذكير بنعمة الزروع والثمار والفواكه التي تسقى بماء واحد وتختلف وتتفاضل في الأكل والمذاق، فسبحان الصانع البديع، آية ٤.
- ٢ - ذكر الملائكة الذين يتعاقبون علينا ليل نهار يحفظوننا من أمر الله تعالى، فلا ذكر لهذا النوع إلا في هذه السورة، وهؤلاء غير الكتبة، آية ١١.
- ٣ - ذكر الرعد الذي هو ملك من ملائكة الله الموكل بالسحاب فلا ذكر له في غير هذه السورة التي سميت باسمه، آية ١٣.
- ٤ - بشارة المؤمن الصالح بأن الله عزَّ وجلَّ سيكرمه في الجنة بالكينونة في الجنة مع من صلح من أمه وأبيه وزوجته وبنيه، آية ٢٣.

٥ - ذكر سنة الله عزَّ وجل في الاتصال الجنسي بالزواج والإنجاب حتى من أفضل خلق الله تعالى وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، آية ٣٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَنُفِّضُ لُبَّهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَنُفِّضُ لُبَّهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكْلِ...﴾ الآية، قال: الدَّقْل، والفارسي، والحلو، والحامض.

رواه الترمذي ٢٩١٦، وابن جرير ١٣/١٠٣، كلاهما في التفسير وهو صحيح، فقد أخرجه ابن جرير ١٣/١٠٣، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٢١ عن ابن عباس موقوفاً بسندٍ صحيح.

ومعنى الآية الكريمة: أن الجنات من الأعناب والزروع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد يأتي به الله من السماء حلواً عذباً، ويخالف بين طعوم ذلك فيجعل بعضها مفضلاً على غيرها في الطعم والمذاق، هذا حلو وهذا حامض، وثالث وسط، ورابع مر وهكذا...

إن في مخالفة الله عزَّ وجل بين تلك القطع الأرضية المتجاورة وثمار جناتها وزروعها لدليلاً واضحاً على خالقها وعبرة للذين يعقلون فيصلون إلى الحقيقة فيعرفون أن الذي خالف بينها على هذا النحو هو الإله العظيم الواحد الذي خالف أيضاً بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال، وتوفيق وخذلان، ولو شاء تعالى لسوّى بين جميعهم، كما لو شاء لسوّى بين جميع أكل الثمار التي تشرب شرباً واحداً، وهي متفاضلة في الأكل والذوق والطعم.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ .

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله عز وجل» .

رواه أحمد ٢/٢٤، ٥٢، ٥٨، ٨٥، والبخاري في تفسير الأنعام والرعد ٤٤٦/٩، ويأتي في سورة لقمان إن شاء الله، وسيأتي أيضًا من حديث أبي هريرة هنالك أن شاء الله تعالى .

الكلام على الحديث يأتي في سورة لقمان. ومعنى الآية الكريمة أن علم الله عز وجل محيط بكل شيء حتى ما تحمل به كل أنثى من جميع الأحياء، وما تغيض الأرحام، أي تنقص باللقاء الجنين قبل تمامه، وما تزداد على التسعة الأشهر، وكل ذلك عنده تعالى بقدر محدود لا يتجاوزه. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [١١]، وقوله عز وجل في فصلت: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ [٤٧] .

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» .

رواه أحمد ٢/٤٨٦، والبخاري في المواقيت ٢/١٧٣، ١٧٦ وغيرها، ومسلم في المساجد ٥/١٣٣ وغيرها .

التعاقب، هو أن يأتي البعض عقب بعض ويتناوبون، كالحرس في الدوائر الحكومية، وهؤلاء الملائكة هم الحفظة لنا من الطوارئ والأحداث، فإذا جاء قدر الله وأراد تعالى إنفاذ قضائه تخلوا عنا. وفي هذا تكرمة وشرف لنا حيث جعل اجتماع هؤلاء الملائكة ومفارتهم لنا في أوقات عبادتنا واجتماعنا على طاعة الله عز وجل، فينبغي لنا أن نفرح بذلك حيث يقدم علينا رسل ربنا مع سؤاله تعالى عنا، كما ينبغي لنا أن نستشعر ما هو مراد منا وما يدار حولنا من حرسنا وضبط أحوالنا.

قوله تعالى: ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ ﴿١٣﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره، قالوا: صدقت.

رواه أحمد ١/٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، والترمذي ٢٩١٥، والنسائي في الكبرى ٣٣٦/٦، كلاهما في التفسير وحسنه الترمذي وصححه.

الحديث صريح بأن الرعد المذكور في القرآن الذي يسبح بحمد الله تعالى هو ملك خاص موكل بسوق السحاب حيث أراد الله، وأن ما نسمعه من الصوت وما ينشأ من الصواعق المحرقة عندئذ هو أثر زجره السحاب بمخاريق وآلات له عليه السلام.

والحديث يرد على الطبائعيين وعلماء الجغرافيا الذين لا يقولون بذلك ويذهبون إلى ما فهموه من نظريتهم العفنة الفرنجية فقط.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجل

من فراغت العرب أن ادعه لي، قال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك، قال: اذهب إليه فادعه، قال: فاتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك، قال: أرسول الله! وما الله أمّن ذهب هو أم من فضة هو؟ أم من نحاس هو؟ فرجع إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، وأخبر النبي ﷺ بما قال، قال: فارجع إليه فادعه، فرجع فأعاد عليه المقالة الأولى، فرد عليه مثل الجواب، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه، فرجع إليه فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما إذ بعث الله سبحانه حيال رأسه فرعدت ووقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، وأنزل الله عزّ وجل: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ (١٣).

رواه النسائي في الكبرى ٣٧٠/٦، وأبو يعلى ٣٤٥٥، ٣٣٢٨، والبخاري ٢٢٢١، وابن أبي عاصم في السنة ٦٩٢، والبيهقي في الدلائل ٢٨٣/٦، وأورده النور في المجمع ٢٤٢/٧ برواية البزار وأبي يعلى والطبراني وقال: رجال البزار رجال الصحيح غير دليم بن غزوان وهو ثقة.

الصاعقة: نار تسقط مع صوت الرعد. والمحال بكسر الميم القوة. وقوله: بقحف رأسه، بكسر القاف، هو العظم الذي فوق الدماغ.

والآية الكريمة مع الحديث الشريف يدلان على أن الله تعالى قد يعذب من يشاء من العتاة وغيرهم بإرسال الصواعق عليهم من السماء. وقد شاهدنا وسمعنا في حياتنا كثيراً ممن قتلوا أو أصيبوا بصواعق الرعد، حفظنا الله من غضبه وعذابه.

وبهذا تم تفسير سورة الرعد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

* * *

﴿سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَكَرَ اللَّهُ وَكَمَّ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَهَجِبْهُ وَزَوْجَهُ وَعَرَبَهُ

هذه السورة مكية باتفاقٍ، وآياتها اثنان وخمسون، وأهدافها لا تعدو أهداف سائر السور المكيّة من الكلام على العقيدة التي جاءت بها كل الرسل، فإن دعوتهم في ذلك واحدة، وإن اختلفوا في الشرائع والفروع. وسميت سورة إبراهيم تخليدًا لمآثر أبي الأنبياء وإمام الحنفاء، الذي حمل راية التوحيد وجاء بالحنيفية السمحة التي بعث بها خاتم المرسلين حينئذ محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والآل والأصحاب.

من خصائص هذه السورة

وقد خُصَّت السورة الكريمة بالتالي:

- ١ - ما فيها من إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ليبينوا لهم رسالات الله.
- ٢ - ضرب مثلين للكلمتين: الطيبة، والخبيثة.
- ٣ - بيان ما يفعل الله عزّ وجلّ بالمؤمن من تشييته بالقول الثابت في الدنيا والآخرة.

٤ — دعاء خليل الرحمن مع بنيه من سكان الحرم بأن يجعل الله عز وجل قلوب الناس تهوي إليهم وأن يرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله نبياً إلا بلغة قومه» .

رواه أحمد ١٥٨/٥ بسند صحيح، غير أن مجالدا لم يسمع من أبي ذر ولا يضر هنا .

فالآية والحديث نصان في أن الرسل كانت تبعث بلغات أممها لأن المقصود من الرسالة هو تبليغ دين الله وشرعه للعباد، ولا يستقيم ذلك إلا بما يفهمون، ولذلك كان لزاماً على الداعية أن يخاطب المدعوين بلغتهم، فمن الخطأ الفاحش، والجمود والسخف ما يشترطه بعض أتباع مالك رحمه الله تعالى في خطبة الجمعة بأن تكون باللغة العربية، فهذا جمود وظاهرية باردة سخيفة .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ .

عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنهم عن رسول الله ﷺ قال: «قام موسى يوماً في قومه فذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماءه» .

رواه النسائي في الكبرى ٣٧١/٦، وعبد بن حميد بسند صحيح، ويأتي مطولاً من الصحيحين في سورة الكهف إن شاء الله تعالى .

في الحديث بيان أيام الله وأنها نعمه على عباده، وفي الآية والحديث مشروعية تذكير الناس بآلائه وأياديه ونعمه عليهم، فإن في ذلك حملاً لهم على المزيد من محبته تعالى وطاعته وشكره.

قوله تعالى: ﴿الْم تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المؤمن، فحدثوني ما هي؟»، قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، فقالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة». رواه البخاري في العلم وفي التفسير ٤٤٩/٩، ومسلم في صفة القيامة ١٥٣/١٧، والنسائي في الكبرى ٣٧١/٦، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٧ بتهذيبي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أتني رسول الله ﷺ بقناع من بسر فقرأ: «(ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة)، قال: وهي النخلة، (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار)، قال: هي الحنظلة». رواه الترمذي ٢٩١٧، والنسائي في الكبرى ٣٧١/٦، كلاهما في التفسير، وأبو يعلى وغيرهم، وابن حبان ١٧٤٨، والحاكم ٣٥٢/٢، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قوله: بقناع، أي طبق، والبسر نوع من التمر.

والحديثان يدلان على أن المؤمن مثله كمثله النخلة في كون كلمة الإيمان ثابتة في قلبه، وعمله الصالح يصعد إلى السماء وتناله بركته وثوابه في كل وقت كالنخلة التي هي راسخة في الأرض وأغصانها ممتدة نحو السماء وتعطي ثمرها كل وقت بتكوين الخالق وإذنه تعالى. والكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، أما الكلمة الخبيثة فهي كلمة الإشراك

التي لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة كشجرة الحنظل المر الخبيث التي استؤصلت من جذورها، وليس لها ثبات في الأرض ولا استقرار.

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧).

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾، الآية». وفي رواية: «إذا قيل له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» وفي رواية: «نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾، الآية».

رواه البخاري في الجنائز ٣/٣٧٥، وفي التفسير ٩/٤٥٠، ومسلم في الجنة ١٧/٢٠٤، ٢٠٥، والترمذي ٢٩١٨، والنسائي ٦/٣٧٢ في الكبرى، وفي الجنائز من المجتبي، وابن ماجه ٤٢٦٩.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾ الآية، قال: المخاطبة في القبر: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وفي الآخرة مثل ذلك.

رواه النسائي في الكبرى ٦/٣٧٢، والطبراني في الكبير ١١/٤٣٧ بسند صحيح، وله شاهدان عن ابن مسعود وعن أبي هريرة، رواهما الطبراني في الكبير.

الحديثان يفسران الآية الكريمة، فالمؤمن إذا مات ودُفن، أُجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيشبهه الله عزَّ وجل فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فيقال له: صدقت، على هذا عشت، وعليه مت، وعليه تبعث. والجمهور من المفسرين ومنهم شيخهم

ابن جرير على أن الثبیت في الدنيا يكون على كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وعلى الإيمان... فلا يزيغون ولا يفتنون، وفي الآخرة عند سؤال الملكين في القبر، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ...﴾ الآية، قال: هم أهل مكة، قال سفيان: يعني كفارهم. وفي رواية: هم والله كفار قريش ومحمد نعمة الله، وأحلوا قومهم دار البوار، قال: النار، يوم بدر.

رواه البخاري في التفسير ٤٥٠/٩، وفي المغازي والنسائي في الكبرى ٣٧٢/٦، وابن جرير وابن أبي حاتم ونحوه عن الإمام علي عليه السلام عند النسائي ٣٧٢/٦، وابن جرير، وابن أبي حاتم والحاكم بسند صحيح.

قال المفسرون: إن كفار مكة أسكنهم الله حرمة الأمن، وجعل عيشهم في السعة، وبعث فيهم أشرف الرسل ﷺ، فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ولم يشكروها بل بدلوها كفرًا وتكذيبًا، فأنزلوا قومهم دار الهلاك، وهي البوار، بسبب طغيانهم وكفرهم، وجعل قرارهم جهنم يصلونها وبثت مستقرًا.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِتَّهَنَ أَضَلَّلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِتَّهَنَ أَضَلَّلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي...﴾ الآية، وقال في عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبُهُمْ فَلَاتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ﴾ [المائدة]، فرفع يديه فقال: اللّهُمَّ أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد ﷺ وربك أعلم فاسأله ما يبكيه، فاتاه جبريل

فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله عز وجل:
يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

رواه مسلم في الإيمان ٣/٧٧، ٧٨، والنسائي في الكبرى ٦/٣٧٣، وابن جرير
وابن أبي حاتم وغيرهم. وانظر ما سبق آخر سورة المائدة.

والحديث الشريف يتجلى فيه بوضوح موقف النبي ﷺ من أمته
وشفقته عليهم حتى بكى... وقد تقدّم بعض هذا فيما ذكرنا آخر المائدة.

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ لما مرّ بالحجر قال:
«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل
ما أصابهم»، وتقنّع بردائه وهو على الرحل.

رواه أحمد ٢/٦٦، ٩٦، ٥٨، ٧٢، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٧/١٩٠، وفي
المغازي ٩/١٨٩، ومسلم في الزهد ١٨/١١١، والنسائي في الكبرى ٦/٣٧٣.

الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم ديار قوم ثمود، وكان مروره ﷺ
على ديارهم في غزوة تبوك، وقوله: ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ [التوبة: ٥٢]، أي
خشية أو كراهية أن يصيبكم ما أصابهم.

والحديث يدل على أن المسلم يجب عليه أن لا يمكث في ديار
المغضوب عليهم بل يسرع في المشي إذا مرّ بها، ولذلك جاءت الآية موبخة
للكفار الذين سكنوا مساكن الظالمين بعد أن أهلكهم الله ولم يعتبروا بذلك.
وأخذ العلماء رحمهم الله تعالى من الآية والحديث منع الإقامة في ديار
الملعونين والمغضوب عليهم، بل وحرّموا الدخول إليها إلا لضرورة ملجئة،
ومثلوا لذلك بديار الظلمة فضلاً عن ديار الكفرة، وكذا مواضع المعاصي
ومحاربة دين الله تعالى والمحاكم التي تُحكّم غير دين الله، ومنها المدارس

التي يكفر فيها بالله ودور الشباب والأندية السياسية والاجتماعية المختلطة، وقاعات الأفلام السافلة العفنة الفاضحة، وأمثال ذلك مما فيه مجاهرة الله بالمعاصي علناً وجماعياً، ومن مر ببعض ما ذكرنا أو دخلها فليكن باكياً أو متباكياً.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ...﴾. الآية، قالت: قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على الصراط»، وفي رواية: «على متن جهنم».

رواه أحمد ١٣٤/٦، ومسلم في البعث والنشور من الجنة ١٣٤/١٧، والترمذي في التفسير ٢٩١٩، وابن ماجه في الزهد ٤٢٧٩.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ رضي الله تعالى عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد... فذكر الحديث، وفيه: فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «سل»، فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الظلة دون الجسر».

رواه مسلم في كتاب الحيض من صحيحه مطولاً ٢٢٦/٣، ٢٢٨.

الآية صريحة في أن الله تعالى سيبدل هذه الأرض بأرض أخرى، والسماوات بسماوات غيرهن، أما الأرض فقد جاء في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها عَلمٌ لأحد»، أي ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر.

وقوله: عفراء، أي بيضاء إلى الحمرة، والنقي هو الدقيق المغربل، والمراد بها أرض جيدة.

والحديثان يدلان على أن تبديل هذه الأجرام سيكون يوم القيامة بعد البعث، وأن الناس سيكونون عندئذٍ على ظهر الصراط فوق جهنم على الحديث الأول، وفي الظلمة دون الجسر على الحديث الثاني.

قال العلماء رحمهم الله تعالى: يحتمل ما في الحديثين الصراط المعلوم الذي سيضرب على نار جهنم، ويحتمل أنه اسم لموضع سواء ستستقر عليه الخلائق وقتئذٍ، غير أن الحديث الأول صريح في أنه الصراط المعلوم، لكن حديث سهل بن سعد فيه إشكال أيضاً وهو أن ظاهره يقتضي أن حشر الناس سيكون على أرض أخرى غير هذه، بينما الصراط لا يضرب إلا بعد الحساب، فالله أعلم بمراد الله ورسوله ﷺ، فإن كل ذلك من عالم الغيب الذي يجب أن نؤمن به كما جاء لأن أمور الآخرة فوق مستوى عقولنا.

وبهذا تمت سورة إبراهيم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ الْحَجَرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَالرُّسُلَ وَيُبَارِكُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

السورة الكريمة كسابقتها نزولاً ومقاصداً وموضوعاً، وآياتها تسع وتسعون.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص وهي الآتية:

- ١ — تمنى الكفار يوم القيامة أن لو كانوا مسلمين ليحفظوا من النار، آية ٢.
- ٢ — حفظه لكتابه الكريم والذكر العظيم بنفسه المقدسة، آية ٩.
- ٣ — ذكره لجهنم سبعة أبواب، آية ٤٤.
- ٤ — امتنانه على نبيه ﷺ بآياته السبع المثاني، آية ٨٧.
- ٥ — أمره تعالى نبيه ﷺ بالصدع بما أمر به، آية ٩٤.
- ٦ — كفايته سبحانه وتعالى نبيه المستهزئين به، آيتان ٩٥، ٩٦.
- ٧ — أمره عز وجل نبيه بالدوام على عبادته حتى الموت، آية ٩٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ٢.

﴿٢﴾

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال - وقد ذكر الخوارج - : قال رسول الله ﷺ: إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيّرهم أهل الشرك فيقولون لهم: ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم لما يريد الله تعالى أن يُري أهل الشرك من الحسرة فما يبقى موحد إلاً أخرجته الله تعالى، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ٢.

رواه النسائي في الكبرى ٣٧٣/٦، والطبراني في الأوسط ٥١٣٢ بسندٍ حسن، وهو صحيح لشواهده عن أبي موسى رواه ابن أبي عاصم في السنّة ٨٤٣، وابن جرير ٣/١٤، والحاكم ٢/٢٤٢، وصحّحه ووافقه الذهبي. وعن أنس رواه ابن أبي عاصم ٨٤٤، وابن جرير ٣/١٤، وعن ابن عباس رواه ابن جرير ٣/١٤، ٥، والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي، وعن أبي سعيد الخدري رواه الطبراني وغيره.

والحديث بشواهده مبين للآية الكريمة وأن هذا التمني من الكفار سيكون عندما يُخرجُ الله تعالى العصاة الموحدين من النار، فيود الكفار حينئذٍ أن لو كانوا في الدنيا مسلمين. وهيئات هيئات.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ ١٦

﴿١٦﴾

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَعُ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾.

﴿١٧﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه فرمى بنجم فاستنار فقال ﷺ: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟»، قالوا: كنا نقول: يولد

عظيم أو يموت عظيم . . . الحديث، ويأتي في سورة سبأ.

رواه أحمد ٢١٨/١، ومسلم في السلام باب تحريم الكهانة ٢٢٥/١٤، ٢٢٦ وغيرهما.

لقد خلق الله عز وجل بقدرته في هذه السماء الدنيا بروجاً ومنازل تسير فيها الأفلاك والكواكب السيارة وزينها بالنجوم ليسر الناظر إليها، وتولى سبحانه حفظها من كل متمرّد لعين من الشياطين إلاّ من اختلس شيئاً من أخبار السماء التي تتكلم بها الملائكة فيضرب بشهاب ثاقب من النار فيحرقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾.

٢٤

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت امرأة تصلي خلف النبي ﷺ حسناء من أجمل الناس، فكان ناس يصلون في آخر صفوف الرجال فينظرون إليها، فكان أحدهم ينظر إليها من تحت إبطه إذا ركع، وكان أحدهم يتقدّم إلى الصف الأول حتى لا يراها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾.

رواه أحمد ٣٠٥/١، والترمذي ٢٩٢٠، والنسائي في الكبرى ٣٧٤/٦، وفي المجتبى، وابن ماجه ١٠٤٦، وابن خزيمة ١٦٩٦، وابن حبان ١٧٤٩ بالموارد والحاكم ٣٥٣/٢، والبيهقي في الكبرى ٩٨/٣ بسند صحيح، وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وليس لمن طعن في سنده أو معناه حجة معتبرة، فإن الحديث صحيح، وقد صحّحه جمع من المحدثين.

هذا هو سبب الآية الكريمة ومع ذلك فلا تقصر على ما نزلت فيه بل تحمل على عمومها، ولذلك قال ابن جرير ٢٦/١٤، وتبعه الألويسي وغيره: وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء، والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما

كانوا يعملون، ومن هو حي منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرها، وأحصينا جميع ذلك، ونحن نحشرهم جميعهم فنجازي كلاً بأعماله، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً، فيكون ذلك تهديداً ووعيداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله وعمل بغير ما أذن له به، وواعد لمن تقدّم في الصفوف لسبب النساء وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها.

وفي الحديث بيان ما جبل عليه الإنسان من الميل إلى النساء وخاصة ذوات الجمال، فإن فتنتهنّ عظيمة حفظنا الله تعالى من شرورهنّ آمين.

قوله تعالى: ﴿لَعَنَّاكَ إِتْمَمَ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٦).

٧٦

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما خلق الله تعالى وما ذراً، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

رواه ابن جرير ٤٤/١٤ من طريقين أحدهما سنده صحيح، ورواه أبو يعلى في مسنده ٢٧٥٤، وأبو نعيم ١٣/١٢، والبيهقي كلاهما في الدلائل وجوّده الهيثمي في المجمع ٤٦/٧.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفا: اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة حبيبنا محمد ﷺ ومعناه: وبقائك يا محمداً وعيشك وحياتك، وكذا نقل هذا الإجماع القاضي أبو بكر ابن العربي والقرطبي، ولم يذكر ابن جرير غيره، ومعنى الآية: وحياتك يا محمد أن قومك من قريش لفي شركهم وضلاتهم وجهلهم يعمهون، أي يترددون تحييراً. والعمه للقلب مثل العمى للبصر. وقيل: الضمائر في الآية لقوم لوط. والأول الأصح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾.

رواه البخاري في التاريخ ٣٥٤/١/٤، ٣٥٤/٧، والترمذي ٢٩٢٤ بتهذيبي، وابن جرير ٤٦/١٤، وأبو نعيم في الحلية ٢٨١/١٠، ٢٨٢، والخطيب في التاريخ ١٩١/٣، ٢٤٢/٧ وغيرهم، وهو وإن كان فيه عطية العوفي وقد ضعفه فإن الترمذي حسن له عدة أحاديث، وقال ابن سعد وأبو حاتم: يكتب حديثه فمثله لا يترك. وللحديث شاهد مثله أو أمثل منه رواه أبو نعيم ١١٨/٦، والخطيب ٩٩/٥، وابن عبد البر في جامع العلم ١٩٦/١ من حديث أبي أمامة وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث مختلف فيه، فالحديث لذلك حسن، وقد حسَّنه الهيثمي في المجمع ٢٦٨/١٠، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة، وقال في موضع آخر: حسن صحيح.

قوله الفراسة: هي بكسر الفاء نوعان: الأول: ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه المتقين من العلوم والمعارف والحقائق، والثاني: ما يعرف بالتجربة والخلق والأخلاق، والمراد به هنا الأول لمقولة: فإنه ينظر بنور الله، والمتوسمون هم المتأملون بعين البصر والبصيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

في حديث عبد الله بن عمر المتقدم في سورة إبراهيم أن رسول الله ﷺ قال في أصحاب الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم». رواه البخاري وغيره.

أصحاب الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم هم قوم ثمود الذين بعث فيهم نبي الله صالح عليه السلام فكذبوه وعقروا ناقته فأهلكهم الله تعالى

وأبادهم ولم تبق إلا آثارهم حتى يومنا هذا، وقد مرَّ النبي ﷺ على ديارهم في غزوة تبوك فأسرع في سيره في ديارهم وأمر الصحابة بذلك ونهاهم أن يشربوا من آبار ثمود . . .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿٤٧﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني».

رواه البخاري ٤٥٣/٩، والترمذي ٢٩٢٢ كلاهما في التفسير، وأبو داود وغيرهم، واللفظ للترمذي.

وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل».

رواه الترمذي ٢٩٢٣، وابن جبان ١٧١٤، والحاكم ٢/٢٥٨، وسنده صحيح على شرط مسلم، ولذلك صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وحديث أبي سعيد ابن المعلى تقدم في الأنفال.

الحديثان يدلان على أن المراد بالسبع المثاني هي سورة الفاتحة، وسميت بذلك لأنها سبع آيات وتثنى وتكرر في الصلاة.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن السبع المثاني هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال.

رواه النسائي في الصلاة من المجتبى، وفي التفسير من الكبرى ٦/٣٧٥، والحاكم ٢/٣٥٥ بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي غير أن الحاكم ذكر السابعة سورة الكهف.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: لا ينافي وصف غيرها - يعني

الفاتحة — من السبع الطوال بذلك لما فيها من هذه الصفات، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضًا، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى﴾، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن أيضًا، كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فأشار إلى مسجده، والآية نزلت في مسجد قباء، فلا تنافي، فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إنني رأيت الجيش بعيني وإنني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومن عصاني وكذب ما جئت به من الحق».

رواه البخاري في الرقاق، وفي الاعتصام ١٦/١٧، ومسلم في الفضائل ٤٨/١٥، ٤٩ وغيرها.

النذير في الأصل المبلغ المخوف. والعريان بضم العين من التعري، والأصل فيه أن الرجل كان إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه عنه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، فأخبر النبي ﷺ الناس بأنه مثل ذلك المنذر العريان، غير أن منذر الدنيا إنما ينذر من عدو طارئ وذاهب، بخلافه ﷺ فإنه النذير بالبلاء والعذاب الدائم لمن عصاه وخالفه ولم يؤمن به وبما جاء به ولم يتبعه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما — ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ١١ — قال: هم أهل الكتاب جزأوه أجزاءً فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وفي رواية: «كما أنزلنا على المقتسمين، قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى».

رواه البخاري ٤٥٥/٩، وابن جرير ٦١/١٤، ٦٢، ٦٤ وغيرهما.

على ما قال ابن عباس ذهب جمع من المفسرين، وقال آخرون: المراد بهؤلاء كفار قريش تقسّمت أقوالهم وجعلوها في القرآن عِضِينَ، أي فرقاً، قالوا: فيه سحر، شعر، كهانة، أساطير الأولين. واختار ابن جرير العموم، فالآية تشمل أهل الكتاب وكفار قريش.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ١١.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خير معاش الناس لهم رجل مُمَسِّكٌ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كَلِمًا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فِزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مِطَّانَهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعْفِ أَوْ بَطْنٍ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ يَقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ».

رواه مسلم في الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط رقم ١٨٨٩، والنسائي في الكبرى ٣٧٥/٦، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٧.

عِنَانَ بكسر العين: اللجام. وقوله: على متنه، أي ظهره. وقوله: هَيْعَةً، أي صوت لِعَدُوٍّ. وقوله شعفة بفتح الحاء: رأس الجبل. وفي رواية: شعب، بكسر الشين وسكون العين وآخره باء: بطن الوادي.

والحديث يفسر اليقين في الآية الكريمة بأنه الموت لأنه متيقن، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾ ١٧ [المدثر: ٤٧]، وفي حديث البخاري

قوله ﷺ عند موت عثمان بن مظعون: «أما هو فقد جاءه اليقين»، وبه فسره مجاهد وقتادة وسالم بن أبي الجعد، فقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، أي دم على عبادة ربك، والتذلل والخضوع له، حتى يأتيك الموت المتيقن. وفي الحديث فضل الجهاد في سبيل الله بقصد الاستشهاد، كما فيه فضل اعتزال الناس في الجبال ونحوها للتفرغ لعبادة الله عز وجل وفرارًا من الفتن والشور التي يعيش فيها الناس ويبقى على حالته حتى يأتيه الموت من غير أن يكون آذى أحدًا. . .

وبهذا تم الكلام على سورة الحجر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه إلى أبد الأبدین، آمین.



﴿ سُورَةُ النَّحْلِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ لِي اللَّهُ وَرَكَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللهِ وَهَجِبْهُ وَزَوْجَهُ وَهَزَبْهُ

هذه السورة أيضًا من السور المكية التي تتحدث عن العقيدة . .
الوحدانية، ودلائلها في السموات والأرض، والبحار، والجبال، والسهول،
والسحاب، والمطر، والنبات، والفلك الماخرة في البحار والمحيطات،
والنجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إلى آخر ما ذكر فيها من
هذه الدلائل الدالة على عظم القدرة الإلهية . وإلى جانب ذلك تحدثت عن
الوحي والبعث والنشر، والنعم التي أنعم الله بها على عباده بداية من
إيجادهم حتى موتهم . . . وآياتها ثمان وعشرون ومائة .

من خصائص هذه السورة

وقد اختصت السورة الكريمة بخصائص نجملها في الآتي :

- ١ - ذكر الأنعام وبيان منافعتها كاملة، من شرب ألبانها، وأكل لحومها،
والتمتع بأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، والركوب على بعضها،
وحمل الأثقال عليها، آيات ٥ - ٧ .
- ٢ - ذكر تلك المعجزة العلمية العظيمة في المركوبات: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ

وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ، آية ٨ . فقد خلق لنا عَزَّ وِجَلَّ ما كنا نجهله ولا نعلمه من هذه المركوبات المخترعة الحالية التي هدى سبحانه الإنسان إلى صنعها، فها نحن أولاء نستخدمها في حياتنا ونتمتع بها ونركبها ونترفه بها، فلله الحمد حمداً كثيراً على ما أولانا .

٣ - التنصيص في السورة على أن النبي ﷺ هو المبين للقرآن بأقواله وأفعاله، آية ٤٤ .

٤ - ذكر آية كانت تدل على حلية الخمر ثم نسخت، آية ٦٧ .

٥ - ذكر النحل وما خصَّه الله تعالى به من الإلهام، وما يخرج منه من شراب فيه شفاء للناس، آيتان ٦٨ ، ٦٩ .

٦ - امتنانه تعالى على عباده بالأزواج والبنين والحفدة، آية ٧٢ .

٧ - امتنانه علينا بنعمة الإيجاد، وأنه أخرجنا من أرحام أمهاتنا جاهلين لا نعلم شيئاً فجعل لنا السمع والبصر والفؤاد، وهذه وسائل العلم وطرقه، آية ٧٨ .

٨ - امتنانه علينا بجعله لنا البيوت، والظلال، والملابس التي تقينا الحر والبرد والبأس، آيتان ٨٠ ، ٨١ .

٩ - ذكر آية هي أجمع آية في القرآن تأمر بمكارم الأخلاق، وتنهاى عن مساوئها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، آية ٩٠ .

١٠ - الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن، آية ٩٨ .

١١ - التجاوز عن المكروه وعدم مؤاخذته إذا أتى أو ترك ما كلف به، آية ١٠٦ .

١٢ - النهي عن التحليل أو التحريم بغير إذن من الله عَزَّ وِجَلَّ ، آية ١١٦ .

١٣ - الأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، آية ١٢٥ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها».

وفي رواية: إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته.

رواه أحمد ٣/١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣، ومسلم في صفة القيامة ١٧/١٤٩، ١٥٠.

في الحديث وعد من الله عز وجل للمؤمن كالأية بأنه تعالى يجازيه على حسناته في الدنيا والآخرة. وفي السورة آية أخرى توافق هذه الآية في معناها وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾، ومن الحياة الطيبة الرزق الحلال الحسن مع القناعة والراحة والانشراح، وهي سعادة معجلة للمؤمن.

ولذا جاء في حديث ابن عمرو عنه ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه».

رواه أحمد ٢/١٦٨، ١٧٣، ومسلم في الزكاة ٧/١٤٥، ونحوه عن فضالة بن عبيد، رواه الترمذي ٢١٧٠ والنسائي وغيرها.

والكفَّافُ هي الكفاية. فالحديث دال على أن من أوتي هذه الخصال

في هذه الحياة كان سعيدًا إن كان مؤمنًا، أما بالنسبة للكافر فجزاؤه لا يعدو هذه الحياة، أما الآخرة فلا حظ له فيها.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَتْ بَرَوًا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَنْفَيُوهَا ظِلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلهن من صلاة السحر»، قال رسول الله ﷺ: «وليس من شيء إلا وهو يسبح الله تلك الساعة»، ثم قرأ: ﴿يَنْفَيُوهَا ظِلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ...﴾ إلخ.

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٢٦ واستغربه. ويشهد له مرسل أبي صالح السمان، رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم ٥٩٤٠، وله شواهد أخرى في الجملة بعضها صحيحة.

قوله: ﴿يَنْفَيُوهَا﴾ أي يميل. والآية تدل على أن كل الكائنات تسجد لله عز وجل بظلالها خاضعة خاشعة متذللة لله تعالى مسبحة له.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَتُونَ وَ مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

عن أبي رزين العقيلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيبًا، ولا تضع إلا طيبًا».

رواه النسائي في الكبرى ٣٧٦/٦، وابن حبان ٣٠ بالموارد، والبخاري في التاريخ الكبير ٢٤٨/١/٤، والطبراني في الكبير ٤٥٩، ٤٦٠. وهو وإن كان في سنده ضعف، فإن له شاهدًا عن ابن عمرو، رواه أحمد ١٩٩/٢، والحاكم ٧٥/١، ٧٦، ٥١٣/٤ وصحه ووافقه الذهبي، وعزاه في المجمع ٢٩٥/١٠ لأحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة، قد وثقه ابن حبان. وله طريق آخر عند البزار، قال في المجمع

٢٢٧/٧: فيه عبد الرحمن بن مغراء وثقه أبو زرعة وجماعة، وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح. فالحديث صحيح.

المؤمن الكامل من شأنه أن يحتاط في كسبه، فلا يأكل إلاّ الحلال الطيب، ولا يخرج من فمه إلاّ القول الحسن، كالنحلة تلك الحشرة الضعيفة التي لا ترعى إلاّ من الأشجار الطيبة، وتتزه عن الأقدار ومواضع النجاسات والعفونات، ولا تضع إلاّ العسل والشراب الطيب الحلو النافع الشافي.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي...».

رواه أحمد ٢٤٦/١، والبخاري في أول الطب ٢٤٤/١٢.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن».

رواه ابن ماجه في الطب ٣٤٥٢، قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلاّ استطلاقاً، قال: «اذهب فاسقه عسلاً»، فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلاّ استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً»، فذهب فسقاه عسلاً فبرىء.

رواه البخاري ٢٤٧/١٢، ومسلم ٢٠٢/١٤، ٢٠٣، كلاهما في الطب.

هذه الأحاديث كلها تؤكد الآية الكريمة: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، فالعسل شفاء للأمراض المادية بنص القرآن والسنة النبوية الصحيحة، غير أن الأطباء قالوا حسب فهمهم وتجربتهم: إنه شفاء للأمراض الناشئة عن البرودة لأنه

حار، والشيء يداوى بضده، والله تعالى قال: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾، منكرًا، ولو قال: فيه الشفاء معرّفًا، لكان شفاء لكل الأمراض. أما الرجل الذي سقي العسل وزاده استطلاقًا فكان عنده فضلات، فلما سقي تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاد إسهالًا ثم زاده فزاد التحليل، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة التي كانت في أمعائه وأحشائه استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته ﷺ. وعلى كل فالأعمال بالنيات فمن شربه معتقدًا الشفاء به تصديقًا لعموم كتاب الله تعالى شفاه الله بلا ريب وهو القادر على كل شيء، ويده الأمر كله.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ ﴾.



عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل وأردل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

رواه البخاري في التفسير ٤٥٩/٩، وفي الدعوات ٤٣٠/١٣، ٤٣١، وأبو داود ١٥٤٠ وغيرهما، وهو وارد عن جماعة من الصحابة في الصحيح وغيره.

أردل العمر: أي العمر الأردل والأردأ، وهو أيام الخرف والضعف في كل شيء نعوذ بالله منه، فالإنسان قد يقطع أشواطًا من حياته، ثم قد يموت طفلًا، أو شابًا، أو كهلاً، أو شيخًا، وقد تطول به الحياة فيعمر حتى يضعف بالمرّة ويصبح في عمر رديء قد ذهب منه كل شيء، فلذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من هذا العمر. اللهم إنا نعوذ بك من الهرم، والخرف، والعمر الأردل، اقتداءً بنبيك ﷺ، ونسألك كما سألك نبيك عليه الصلوة والسلام: أن تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ



بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قوله: ﴿ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ قال: زيدوا عقارب، أنيابها كالنخل الطوال.

رواه الطبراني في الكبير ٩١٠٣، وأبو يعلى ٢٦٥٩، وأورده النور في المجمع ٢٠٤٨/٧ برواية الطبراني وقال: بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.

لعذاب الكفار في جهنم أنواع وأشكال لا تدركه عقولنا نعوذ بالله من غضبه وعقابه، وتفسير ابن مسعود هذا من قبيل المرفوع لأنه في عالم الآخرة ولا مجال فيه للعقل والاجتهاد.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٠﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ألا تجلس؟ قال: بلى، قال: فجلس رسول الله ﷺ مستقبله، وبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضع بصره عن يمينه في الأرض فأخذ يُنْغِضُ رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره حتى توارى في السماء فأقبل على عثمان بجلسته الأولى فقال له: يا محمد فيما كنتُ أجالسك وأتيتك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة قال: «وما فعلت؟» قال: رأيتك شخصت ببصرك إلى السماء ثم وضعت حيث وضعت عن يمينك فتحرقت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك: قال: «وفطنت لذلك؟» قال عثمان: نعم، قال رسول الله ﷺ: «أتاني رسول ربي عليه السَّلام أنفاً وأنت جالس»، قال: رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: فما قال لك؟ قال: ﴿ إِنَّ

اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ . . . ﴿ الآية .

رواه أحمد رقم ٢٩٢٢، والطبراني في الكبير ٨٣٢٢ وسنده حسن صحيح، وشهر تكلموا فيه بلا حجة، والحديث حسنه ابن كثير في التفسير وجوده فقال: إسناده جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل.

وعن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص بصره، فقال: أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ . . . الآية .

رواه أحمد ٢١٨/٤ وحسنه الهيثمي في المجمع ٤٩/٧، وقال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

فناء البيت بكسر الفاء: ما امتد من جوانبه. كشر إليه: أي فتح فاه ضاحكاً حتى بدت أسنانه. شخص بصره، أي جعل ينظر بعينه لا يطرف. ينغض بضم الياء وسكون النون ثم غين معجمة مكسورة، أي يحرك رأسه.

والحديث الأول مبين لسبب نزول الآية وأن ذلك كان بمكة لأن عثمان بن مظعون مات بالمدينة عقب هجرته إليها، وكون ابن عباس لم يحضر القصة لا يدل على انقطاع السند لأن مرسل الصحابي حجة كما هو معروف عند الجمهور. والحديث الثاني يدل على أن ترتيب السور القرآنية وآياته توقيفي، وأن القرآن الموجود عند المسلمين هكذا أنزل من اللوح المحفوظ.

والآية الكريمة هي أجمع آية في القرآن، حلال وحرام، وأمر ونهي، كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ورواه عنه الطبراني في الكبير ٨٦٦١ بسند حسن. ففي الآية الكريمة الأمر بمكارم الأخلاق ومنها العدل بين الناس، والإحسان إلى جميع الخلق، ومواساة الأقارب بدءاً من

والوالدين... والنهي عن كل ما تنهى قبحة كالشرك، والقتل، والزنا، واللواط، والسحر، والربا، والظلم والاعتداء على الغير، وكل ما تنكره الشريعة، والفترة السليمة.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٦).

عن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد».

رواه ابن جرير ١٨٢/١٤، وابن أبي حاتم ٢٣٠٤/٧، والحاكم ٣٥٧/٢ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي لكنه مرسل، وله طرق أخرى مرسله أوردها ابن جرير وغيره فيتقوى بها الحديث. والآية نزلت في عمار بن ياسر باتفاق المفسرين وأهل السير جاء ذلك عن ابن عباس، والشعبي، وقتادة، وغيرهم.

والآية تدل على أن من نطق بالكفر أو فعل فعلاً يكفر به عن إكراه مع مخالفة قلبه لما نطق به... فلا حرج عليه ولا إثم، وهذا متفق عليه بين العلماء لا خلاف فيه بينهم، وإن كان الأفضل الثبات^(١) والصمود والصبر ولو أدى إلى القتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١١٦).

(١) وقد ذكر ابن كثير في تفسيره هنا قصة عجيبة لعبد الله بن حذافة السهمي رضي الله تعالى عنه نقلًا عن تاريخ ابن عساکر ينبغي الوقوف عليها لأهميتها.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لَنُرَبِّينَ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ الآية. فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «كفوا عن القوم إلا أربعة».

رواه أحمد ١٣٥/٥، والترمذي ٢٩٢٧، والنسائي ٣٧٦/٦ كلاهما في التفسير وحسنه الترمذي وصححه.

قوله: مثلوا بهم، أي قطعوا أطرافهم وجدعوا آذانهم وأنوفهم وبقروا بطونهم...

والآية الكريمة نزلت تعلم المسلمين كيف يتعاملون مع من أساء إليهم، وأن لهم الحق في المقابلة بالمثل، ولكن الأولى والأفضل الصبر والعفو.

وبهذا تم الكلام على سورة النحل، والحمد لله الذي بنعمته الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه.

* * *

﴿ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ﴾

« بنو إسرائيل »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ لَمَنَ وَارَاهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهُ وَهَجِبَهُ وَزَوَّجَهُ وَعَزَبَهُ

هذه السورة الكريمة مكية، وآياتها إحدى عشرة ومائة، ومقاصدها الكلام على أصول الدين والآداب والأخلاق . . .

من خصائص هذه السورة

ولهذه السورة خصائص، وهي كالآتي:

- ١ - ذكر معجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، آية ١ .
- ٢ - الإخبار عن بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين . . . إلخ، آية ٤ .
- ٣ - ما من إنسان إلا وسيكون طائرته في عنقه، آية ١٣ .
- ٤ - إذا أراد الله إهلاك قرية أمر مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرها تدميرًا، آية ١٦ .
- ٥ - حكمها في المبذرين وأنهم إخوان الشياطين . . . إلخ، آية ٢٧ .
- ٦ - لا يجوز للإنسان أن يقفو ما لا علم له به، آية ٣٦ .

٧ — ما من قرية كافرة إلا وسيهلكها الله قبل يوم القيامة أو يعذبها . . . إلخ، آية ٥٩ .

٨ — التنصيب على تكريم بني آدم دون سائر الخلق، آية ٧٠ .

٩ — ذكر المقام المحمود الذي يقومه النبي ﷺ، آية ٧٩ .

١٠ — سؤال الكفار نبي الله عليه الصلاة والسلام عن الروح وأنه من أمر الله، آية ٨٥ .

١١ — الإخبار عن أهل العلم وصفتهم عند سماع القرآن وأنهم يخرون للأذقان ساجدين باكين خاشعين، آيات ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه: «أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به ملجمًا مسرجًا فاستصعب عليه، فقال له جبريل عليه السلام: بمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فافرض عرقًا». وفي رواية: «فوالله ما ركبك أحد . . . إلخ» .

رواه أحمد ١٦٤/٣، والترمذي في التفسير ٢٩٢٩، وابن حبان ٤٦ بالإحسان، وابن جرير ٦/١٥، ١٥، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل ٢/٣٦٢، ٣٦٣ بسند صحيح على شرط الشيخين .

البراق، بضم الباء: يأتي تفسيره في الحديث الثالث . وقوله: ملجمًا، أي له لجام . وقوله: مسرجًا، أي عليه سرج . وقوله: فاستصعب، أي نفر وتظاهر بالصعوبة . وقوله: فافرض، أي سال عرقه خجلًا .

وفي الحديث أنه ﷺ ذهب من مكة إلى بيت المقدس راكبًا على متن البراق طائرًا به صحبة جبريل عليه السلام .

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي انتهيت إلى بيت المقدس فخرق جبريل عليه السّلام الصخرة بإصبعه وشدّها بها البراق».

رواه الترمذي ٢٩٣٠، وابن حبان ٤٧، والحاكم ٣٦٠/٢، وصحّحه ووافقه الذهبي.

في الحديث سلوك طريق الأسباب حيث ربط جبريل البراق بالصخرة مع أنه مسخر من الله لنبيه ﷺ في هذه الرحلة ولا يتصور منه الفرار. وهذه الصخرة المذكورة عليها بنيت القبة المعروفة المشهورة وقد زرتها، والحمد لله مرارًا قبل الاحتلال الصهيوني.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوتيت بالبراق، وهي دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصلّيت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السّلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم ﷺ فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا صلّى الله عليهم وسلم، فرحّبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلّى الله عليه وعلى نبيّنا وآله وسلّم، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى

السماء الرابعة وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس عليه السَّلام فرحَّب بي ودعا لي بخير، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون عليه السَّلام فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة وذكر مثله، فإذا أنا بموسى عليه السَّلام فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم عليه السَّلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت، إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي، فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطَّ عني خمسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه».

رواه أحمد ١٤٨/٣، ومسلم في الإيمان ٢/٢٠٩، ٢٢٥، ورواه البخاري في التوحيد وغيره من طريق شريك بن أبي نمر، لكن روايته هذه مطعون فيها.

أحاديث الإسراء جاءت من طرق كثيرة، وسياقات مختلفة عن جم غفير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وفيها عبر وعظات ومعجزات وحكم وأحكام، والمحققون والجمهور من أهل العلم أن الإسراء كان مرة واحدة يقظة، بجسمه وروحه ﷺ.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لَمَّا كذبتني قريش قمت في الحجر فَجَلَى اللهُ لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

رواه أحمد ٣/٣٧٧، ٣٧٨، والبخاري في التفسير ١٠/٦، وفي المناقب، ومسلم في الإيمان ٢/٢٢٧، والترمذي في التفسير ٢٩٣١ وغيرهم، ونحوه عن أبي هريرة عند مسلم.

فجلى، بفتح اللام المشددة وتخفف، أي أظهر. فطفقت، أي جعلت.

وفي هذا آية عظيمة له ﷺ حيث كشف الله له عن بيت المقدس وهو ينظر إليه من مكة المكرمة، وأين التلفاز الحالي من هذه الآية التي ليست لها أجهزة ولا أعمار اصطناعية... ولا يد فيها للبشرية.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أُسري بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبغيرهم، فقال ناس: نحن لا نصدق محمدًا فارتدوا كفارًا، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل.

رواه أحمد ١/٣٧٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣٧٧، وأبو يعلى ٢٧٢٠ بسند حسن.

فيه أنه ﷺ شاهد غير الكفار ليلة إسرائه وأخبرهم به ومع ذلك عاندوا وكفروا قبحهم الله وأخزاهم.

وهذه الأحاديث وأمثالها كلها تفسير لآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ...﴾ الآية، والمسجد الحرام جاء إطلاقه في القرآن على منطقة الحرم، وعلى مكة، وعلى المسجد، وعلى نفس الكعبة. والمراد به هنا مكة المكرمة، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس، وسمي أقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام. ومعجزة الإسراء والمعراج من أبهر المعجزات، وأعظمها، وأعجبها، وهو من الأحداث الغريبة في تاريخ الإسلام، وسيأتي مزيد لهذا في سورة النجم إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أتني رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وَيَنْفُذُهُمُ البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكره ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه تعالى نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك...»، الحديث بطوله في الشفاعة.

رواه أحمد ٤٣٥/٢، والبخاري ١٠/١٠، ١١، ومسلم في الإيمان ٣/٦٥، ٧٠،

والترمذي في الزهد ٢٢٥٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣٧٨ وغيرهم.

فقوله: وقد سماك الله عبداً شكوراً موافقاً للآية الكريمة.

ومعنى الآية: يا ذرية ويا أبناء المؤمنين الذين كانوا مع نوح في السفينة لقد نجينا آباءكم من الغرق فاشكروا الله على إنعامه، إن نوحاً كان كثير الشكر يحمد الله تعالى على كل حال فاقتدوا به.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۗ ﴾.

عن الأسود بن سريع رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ قال: «أربعة يوم القيامة يذلون بحجة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ موثيقهم ليُطِيعَهُ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً».

رواه أحمد ٢٤/٤، وابن حبان ٣٥٦/١٦، ٣٥٧، والطبراني في الكبير ٨٤١ بسند صحيح، ورواه أحمد ٢٤/٤، وابن جرير ٥٤/١٥، عن أبي هريرة بنحوه وسنده صحيح أيضاً، وفي آخره قال أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۗ ﴾. وورد عن أنس وأبي سعيد ومعاذ بن جبل وغيرهم، أوردها ابن كثير في تفسيره وما ذكرناه هو أصحها.

وفي الحديث بيان امتحان الله تعالى لهؤلاء يوم القيامة باقتحامهم النار، فمن أطاع كان ذلك دليلاً على سعادته، ومن عصاه كان شقيماً طريداً، وما اعترض به ابن عبد البر على هذه الأحاديث قد أجاب عنه ابن كثير فانظره.

قوله تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقَرْبَىٰ حَقًّا وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير، وذو أهل وولد وحاضرة، فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «تخرج الزكاة من مالك إن كان، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقباءك، وتعرف حق السائل، والجار، والمسكين»، فقال: يا رسول الله أقلل لي، قال: «فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً»، فقال: حسبي يا رسول الله إذا أدت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها، وإثمها على من بدلها».

رواه أحمد ١٣٦/٣، والطبراني في الأوسط ٨٧٩٧ بسند صحيح، وقال النور ٦٦/٣: رجاله رجال الصحيح.

في الآية مع الحديث أمر من الله ورسوله ﷺ بإعطاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم مما يستحقونه من الصلة والمساعدة، والإحسان مع النهي عن تبذير المال وإنفاقه في غير حقه، فإن أصحاب ذلك من إخوان الشياطين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾.

عن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً، فقال: اجلس، فجلس، فقال: أفتحبه لأملك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا

الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ فقال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللَّهُمَّ اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

رواه أحمد ٢٥٧/٥، والطبراني في الكبير ١٩٠/٨، ٢١٥، وسنده صحيح على شرط مسلم، وقال النور ١٢٩/١: رجاله رجال الصحيح.

الزنا من كبار الفواحش والذنوب العظام، وهو محرم في جميع الشرائع، فلا يحل بحال إلا من أكره عليه، وقد ضرب النبي ﷺ لذلك الفتى مثلاً رائعاً بنساء من خواص الأقارب: الأم، البنت، الأخت، العمّة، الخالة، يتحاشى المؤمن ويغار أن تفعل فاحشة الزنا بإحداهن، فكما أنه لا يسمح لأحد أن يقرب هؤلاء الحرم بما يخدش أعراضهنّ كذلك كل الناس لا يسمحون لأي شخص أن يتعاطى مع محارمه تلك الفاحشة الشنعاء، وكفى بذلك عبرةً وذكرى.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَادَاؤُدَ زُجُورًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرح فكان يقرؤه قبل أن يفرغ».

رواه أحمد ٣١٤/٢، والبخاري في أحاديث الأنبياء ٢٦٥/٧، وفي التفسير ١١/١٠، ١٢ وفي غيرهما.

المراد بقوله القرآن، أي القراءة، يعني قراءة كتابه الزبور، وقيل: التوراة. وفيه معجزة ظاهرة له عليه السلام، فإن قراءته للزبور أو غيره في

مثل هذا الوقت أمر خارق وبركة واضحة، وقد يجعل مثل ذلك لبعض الصالحين كرامة لهم من الله تعالى كما حكي عن بعضهم أنه كان يختم ثمان ختمات من القرآن بين اليوم واللييلة .

قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كان نفر من الإنس يعبدون الجن فأسلم الجن وثبت الإنس على عبادتهم لهم، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ . . . ﴾ الآية .

رواه البخاري ١٢/١٠ ، ومسلم ١٦٤/١٨ ، كلاهما في التفسير .

يبتغون: أي يطلبون، والوسيلة ما يتقرب به إلى الله، والحديث بين أن الآية نزلت بسبب قوم من العرب كانوا مشركين يعبدون طائفة من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم إياهم ولم يشعروا أن الجن أسلموا .

ومعنى الآية الكريمة: أولئك الآلهة من الجن الذين كانوا يعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يطلبون القرب إلى الله تعالى ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف تعبدونهم من دون الله تعالى وهم لا يستطيعون دفع البلاء عنكم، ولا تحويله إلى غيركم .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٨﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، قال الله عز وجل: إن شئت آتيناهم ما سألوا، فإن شئت كفروا أهلکوا كما أهلک من قبلهم، وإن شئت نستأني بهم لعلنا ننتج منهم، فقال: لا بل أستأني

بهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢٥٨/١، والنسائي في الكبرى ٣٨٠/٦، والحاكم ٣٦٢/٢، والبيهقي في الدلائل ٢٧١/٢ بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال النور في المجموع ٥٠/٧: رجال الروایتين رجال الصحيح.

قوله: نستأني، من التأني، أي ننتظر ونتربص. وقوله: نتج منهم، أي نخرج من أصلابهم من يؤمن بي.

والحديث يدل على ما دلت عليه الآية الكريمة، في أن المانع من إرسال الآيات والخوارق كما اقترح هؤلاء الكفار إلا تكذيب من سبقهم من الأمم حيث اقترحوا ثم كذبوا فأهلكهم الله ودمرهم، وهكذا هؤلاء فإنهم لو أجيئوا إلى ما اقترحوا ثم كذبوا لاستأصلهم الله وأبادهم، لأن تلك سنة الله عز وجل في خلقه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحِقُوا كَيْبَرًا﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْتَكَ...﴾ الآية، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن قال: هي شجرة الزقوم.

رواه أحمد ١٩١٦، والبخاري ١٣/١٠، والترمذي ٢٩٣٢، والنسائي ٣٨١/٦ كلهم في التفسير.

قوله: رؤيا عين، أي مشاهدة في اليقظة، وهي ما شاهده في تلك الليلة من الآيات وعجائب الأرض والسماء، وكان ذلك امتحاناً وفتنة لأهل مكة حيث كذب بذلك جماعة منهم وارتدَّ آخرون حيث أن عقولهم لم تتحمل ذلك.

أما الشجرة الملعونة فقد فسّرت بشجرة الزقوم، وهي شجرة خبيثة مرّة جعلت طعامًا للكفار في جهنم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ (٤٢) طَعَامُ الْأَيْمِرِ ﴿٤٤﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ (٥١) لَأَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ [الواقعة]. وكان ذكرها للكفار فتنة أيضًا حتى قال أبو جهل قولته المشهورة: هاتوا لنا تمرًا وزبدًا، وجعل يأكل ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا.

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨).

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر إذا زاغت الشمس ثم تلا: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ . . .﴾ إلخ.

رواه ابن جرير ١٣٥/١٥ بسند صحيح وأصله في الصحيحين بغير ذكر الآية. الحديث يدل على أن الدلوك في الآية هو زوال الشمس عند الظهر، وبهذا قال الجمهور، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وغسق الليل هو سواده وظلامه، وقال جماعة من السلف: إن الدلوك والغسق هما غروب الشمس. وبهذا كان يقول ابن مسعود وغيره، والصحيح القول الأول.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح». يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨).

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير ١٠/١٤. وفي رواية: «يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»، رواه أحمد ٤٧٤/٢، والترمذي ٢٩٣٣، والنسائي ٣٨١/٦، وابن

ماجه ٦٧٠، والحاكم ٢١١/١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي .

قوله: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ أي صلاة الفجر، ومعناه أقم الصلاة من وقت دلك الشمس إلى اشتداد ظلمة الليل، ثم صل صلاة الفجر وهي الصبح فإن صلاتها مشهودة تشهدها الملائكة الذين يتعاقبون على الإنسان طوال حياته في وقتي العصر والصبح .

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧١).

﴿٧١﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ . وسئل عنها فقال: هي الشفاعة .

رواه أحمد ٢/٤٤١، ٤٤٤، ٤٧٨، ٥٢٨، والترمذي ٢٩٣٥، وابن جرير ١٥/١٤٥، ١٤٦، وابن خزيمة في التوحيد ١٩٨، والطحاوي في مشكل الآثار ١/٤٤٩ . وفي رواية: «هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه»، وحسنه الترمذي .

وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول: فذاك المقام المحمود» .

رواه أحمد ٣/٣٥٦، وابن حبان ٦٤٤٥ بالإحسان، والحاكم ٢/٣٦٣ بسند صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وهو أيضًا عند ابن أبي حاتم ٧/٢٣٤٢ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، فذكر الحديث في الاستشفاع بالأنبياء وفيه: «فأخِرُ ساجدًا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، وقل يُسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾» (٧١).

رواه أحمد ٣/٢، والترمذي ٢٩٤٥، وابن ماجه ٤٣٠٨ وحسنه الترمذي وهو صحيح .

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثَى كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

رواه البخاري ١٠/١٤، والنسائي ٦/٣٨٨، كلاهما في التفسير. وحكمه الرفع.

التل بفتح التاء قطعة من الأرض مرتفعة عما حولها. وقوله: جثى، أي جماعة، والجاثي الجالس على ركبته.

وفي هذه الأحاديث بيان أن المقام المحمود هي شفاعة النبي ﷺ العظمى التي خصه الله بها لإراحة الخلائق من الموقف، وقد تواترت بها الأحاديث، واتفق عليها كل الطوائف، حتى المعتزلة الذين ينكرون غيرها من الشفاعات. وسمي هذا المقام مقامًا محمودًا لأن كل الخلائق حتى أكابر الأنبياء يحمدونه ﷺ في ذلك الموقف.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة».

رواه أحمد ٣/٣٣٧، والبخاري في الآذان، وفي التفسير ١٠/١٥، وأبو داود ٥٢٩، والنسائي في المجتبى ٢/٢٢، والترمذي ١٨٩، وابن ماجه ٧٢٢.

فالمقام المحمود الذي وعده الله هو المذكور في الآية. وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لمن سأل له ﷺ الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود عقب الآذان، جعلنا الله تعالى من أهل ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ . . . ﴾ الآية .

رواه أحمد ١/٢٢٣، والترمذي ٢٩٣٧، وابن جرير ١٥/١٤٨، وحسنه الترمذي وصححه. وقابوس بن أبي ظبيان حجة عند الترمذي صحح له وحسن غير ما حديث، وقال فيه ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وضعفه غيرهما.

ومدخل صدق: هو دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة، ومخرج صدق: خروجه من مكة المكرمة.

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبًا، فجعل النبي ﷺ يطعنها بمخصرة في يده وربما قال بعود. ويقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ، و ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩].

رواه البخاري في المظالم وفي المغازي وفي التفسير ١٥/١٠، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/١٣٣، والترمذي ٢٩٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/٣٨٢ وغيرهم. ونحوه عن أبي هريرة في فتح مكة مطولاً، وفيه طعنه ﷺ للأصنام وقراءته للآية، رواه مسلم ١٣٠/١٢ وغيره.

نُصِبَ بضم النون والصاد جمع أنصاب، وهي ما عبدت من دون الله من الأصنام والتماثيل. وقوله: يطعننا بضم العين، وفعل ذلك بها حينما جعل يطوف بالبيت كما جاء مبيناً في صحيح مسلم.

ومعنى الآية التي تلاها النبي ﷺ عند طعنه للأصنام: جاء الحق وسطع نوره وبدأ ضياؤه وهو الإسلام، وزهق واضمحل الباطل وهو الكفر وعبادة الأصنام، فلا شرك ولا وثنية بعد إشراق نور الإيمان، إن الباطل كان مضمحلاً متلاشياً لا بقاء له ولا ثبات ولا إعادة له أصلاً.

قوله تعالى: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر به نفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فإنه يسمعكم ما تكرهون فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام النبي ﷺ ساعة ورفع رأسه إلى السماء فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾ الآية.

رواه البخاري في العلم وفي التفسير ١٥/١٠، ١٨، وفي الاعتصام وفي التوحيد ومسلم آخر الكتاب، والترمذي ٢٩٣٩، والنسائي في الكبرى ٦/٣٨٣.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥). قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

رواه أحمد ١/٢٥٥، والترمذي ٢٩٣٨، والنسائي في الكبرى ٦/٣٩٢، والحاكم ٥٣١/٢ وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

العسيب هو عود من أعواد النخل. وظاهر الحديثين يقتضي أن الآية نزلت بمكة وبالمدينة ولا مانع من ذلك، فيكون كل من كفار قريش واليهود سألوه عن ذلك.

والآية الكريمة نص في أن الروح من أمر الله عز وجل وأنه من الأسرار الخفية التي لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل، فالبحث فيها بعد هذا يعد بحثاً ضائعاً وفضولاً وتقدماً بين يدي الله عز وجل. وقد أفاض الناس قديماً وحديثاً في الكلام على الروح، وألفوا فيه كتباً ورسائل.

وانظر بعض ما يتعلق به في الفتح ١٠/١٧، وراجع كتاب الروح لابن القيم وكتاب عجائب القلب من الأحياء لأبي حامد الغزالي رحم الله الجميع.

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ ﴿٨٦﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: لينزعن هذا القرآن من بين أظهركم قيل: يا أبا عبد الرحمن ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسرى على القرآن ليلاً فلا يبقى في قلب عبد ولا في مصحفه منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾ الآية.

رواه الطبراني في الكبير ٨٦٩٨. قال في مجمع الزوائد ٧/٥١/٥٢ ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو وثقة. والحديث له حكم الرفع لأنه لا مجال فيه للنظر.

ويؤيد رفع القرآن — وذلك آخر الزمان بعد ذهاب عيسى وموت المؤمنين — ما جاء عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ويسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية . . .» الحديث.

أخرجه ابن ماجه ٤٠٤٩، والحاكم ٤/٥٤٥ كلاهما في الفتن وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذا صححه البوصيري.

وقوله: يدرس بفتح الياء، أي: يصير عتيقًا. ووشي الثوب: نقشه.

فالحديث مؤيد لأثر ابن مسعود في رفع القرآن الكريم من القلوب والمصاحف، وقوله تعالى في الآية: ﴿وَلَيْنِ شِئْنَا﴾، أي لو أردنا لمحونا هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، فإن ذلك تحت قدرتنا، ثم إذا ذهبنا به لا تجد من يتوكل علينا باسترداده، وقوله: إلا رحمة من ربك معناه لكن رحمة من ربك تركناه محفوظًا في الصدور والمصاحف حتى يأتي وقت رفعه حيث لا تبقى له مهمة، ولا يبقى في الأرض من يعمل به.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًىٰ وَيَكْفُرُ مَا وَوَدَّعُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفًا ركبانا، وصنفًا على وجوههم»، قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوكة».

رواه الترمذي ٢٩٤٠، وابن جرير في سورة الفرقان ١٢/١٨، ١٣ وغيرهما، وسنده حسن، وله حديث آخر في الصحيحين ببعض هذا.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم محشورون رجالاً وركبانا وتجرون على وجوهكم».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٤١، وفي صفة القيامة ٢٢٤٤ وسنده حسن. وقال الحافظ في الفتح ١٦٨/١٤: سنده قوي.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

رواه البخاري في تفسير الفرقان ١٠/١٠٩، وفي الرقاق ١٤/١٧١، ومسلم في صفة جهنم ٢٨٠٩، والنسائي في الكبرى ٦/٤٢٠، وابن جرير ١٨/١٢ وغيرهم.

الحذب بفتحتين: الغليظ والمرتفع من الأرض. والحشر: الجمع.

وهذه الأحاديث ظاهرة في أن ما فيها سيكون يوم القيامة بعد البعث من حشر الناس إلى الموقف ركبانا وراجلين، وماشين على وجوههم مجرورين. واختلف العلماء في هذا الحشر لاختلاف الأحاديث فيه، فقال بعضهم: الحشر حشران، حشر قبل يوم القيامة يحشر فيه الناس إلى الشام وهو الذي ورد فيه الركوب، وحشر بعد البعث وهو الذي جاء فيه: «يحشرون حفاة عراة مشاة...» إلخ.

وانظر تفصيل ذلك في الرقاق من فتح الباري ١٤/١٦٧، ١٦٨، وشرح السنة للبغوي ١٥/١٢٥.

وفي هذه الأحاديث بيان أن أمور الآخرة على خلاف شؤون الدنيا، وأن ما يكون مستحيلاً عقلاً أو عادة في هذه الدار يكون عادياً في الآخرة، فالواجب الإيمان بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ما هو فوق مستوى عقولنا.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (١١٠).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا ﴾

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا... الخ، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلاً...

رواه أحمد رقم ١٨٥٣، والبخاري في التفسير ١٩/١٠، وفي التوحيد، ومسلم في الصلاة ٤/١٦٤، والترمذي ٢٩٤٣، والنسائي في الكبرى ٦/٣٨٤ وفي الصلاة من المجتبي وغيرهم.

وعنه قال: كانوا يجهرون بالدعاء: اللهم ارحمني. فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يخافتوا ولا يجهروا.

رواه ابن جرير ١٥/١٨٣. وأورده الحافظ في المطالب والحافظ البوصيري في الإتحاف ٦٤٧٤ وعزياه لابن منيع بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نزلت في الدعاء.

رواه البخاري ١٠/٢٠، في التفسير، ومسلم في الصلاة ٤/١٦٥، والنسائي في الكبرى ٦/٣٨٤، وابن جرير ١٥/١٨٣.

ظاهر حديث ابن عباس الأول أن الآية نزلت في القرآن في الصلاة بينما حديثه الثاني مع حديث عائشة يدلان على أنها نزلت في الدعاء. واختار ابن جرير كما يظهر من قوله القولين معاً لأنهما لا تنافي بينهما، فقال: فتأويل الكلام: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه وذكرك فيها فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلاً، ولكن

التمس بين الجهر والمخافتة طريقًا إلى أن تسمع أصحابك ولا يسمعه
المشركون فيؤذوك . .

وبهذا تم الكلام على سورة الإسراء، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصلوات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته
وزوجه وصحبه وحزبه إلى يوم الدين .

* * *

﴿ سُورَةُ الْكَهْفِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَرَكَّعَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهِ وَهَجِبَ وَزَوَّجَهُ وَهَزَبَ

هذه السورة الكريمة مكية كسابقتها، وهي مائة وعشر آيات، وسميت باسم الكهف إخلادًا لذكر أولئك الفتية المؤمنين الغرباء أصحاب الكهف. وأهداف السورة الإرشاد إلى تدعيم العقيدة الإسلامية وتثبيتها والدعوة إليها بشتى الوسائل، كذكر القصص العجيبة، وما فيها من عبر وعظات، ودلائل توحيد الباري جلَّ علاه... وما إلى ذلك مما يتجلى في السورة الكريمة.

من خصائص هذه السورة

ولهذه السورة خصائص أيضًا امتازت بها دون سائر السور، وهي كالآتي:

١ - ما خصت به من فضل وأن: «من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين». رواه الحاكم وغيره، وهو حديث حسن صحيح. وفي صحيح مسلم أن: «من قرأ العشر الأواخر منها عُصِمَ من فتنة الدجال»، وفي رواية له: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف

عُصِمَ من الدجال»، وفي رواية: «من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف...»، رواه الترمذي وحسنه وصحَّحه.

٢ - هي إحدى السور الخمس التي بُدِئت بلفظ الحمد لله، وبقائها الفاتحة، والأنعام، وسبأ، وفاطر.

٣ - ذكر فيها ثلاث قصص من أروع قصص القرآن الكريم لا وجود لها في غير هذه السورة، وهي:

* قصة أصحاب الكهف الذين ضحوا بحياتهم في سبيل عقيدتهم والحفاظ على دينهم... فجعلهم الله عزَّ وجلَّ آيةً وعبرةً لأهل عصرهم وللأجيال اللاحقة بعدهم... آيات ٩ إلى ٢٦.

* ثم قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر عليهما السلام، والتي يتجلَّى فيها التواضع العلمي والعلم اللدني، وعجائب الآيات وعلوم المغيبات. آيات ٥٩ إلى ٨١.

* ثم قصة ذي القرنين رضي الله تعالى عنه، ذلك الملك العظيم الصالح الذي طوف في رحلاته المشارق والمغرب وسائر المعمور، والذي مكَّن الله له في الأرض، واختصَّ ببناء ذلك السدِّ التاريخي العظيم الذي قصَّه الله تعالى علينا في كتابه الكريم، والذي جعله حاجزاً بين الناس وبين ذلك الجنس المتوحش العاثي المفسد يأجوج ومأجوج. آيات ٨٢ إلى ٩٤.

٤ - ذكر ذلك المثل الرائع العجيب الذي ضربه تعالى لصاحبي الجنتين: الغني المزهو بماله وثروته وكثرة نفره، الكافر بالله وبنعمته، المتكبر المتعظم على أخيه؛ والفقر المسلم المتواضع المدعن لربه، المتعبد له، القانع بقسمته؛ وبيان عاقبتهما، وما في ذلك من العبرة والعظة. آيات ٣٢ إلى ٤٢.

٥ - إخباره تعالى بأن كل ما على الأرض من حيوان وأحياء وجبال وأشجار ونبات وبحار وأنهار هي زينة لها.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، فتأتي كل امرأة برجل يضرب بالسيف، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فجاءت واحدة بنصف ولد، ولو قال سليمان إن شاء الله لكان كما قال».

رواه أحمد ٢/٢٢٩، والبخاري في الجهاد ٦/٣٧٤، وفي الأنبياء ٧/٢٧٠ وغيرهما، ومسلم في الإيمان والنذر ١١/١١٩، والنسائي في الكبرى ٦/٣٨٥، وفي المجتبي وغيرهم بالفاظ.

الحديث قد تكلمت على ألفاظه وفوائده وعبره في كتابي الفوائد والعبر من عجائب الأقدمين، والشاهد منه هنا هو أنه عليه السلام لو قال: إن شاء الله، لجاءت كل امرأة بولد فارس يقاتلون معه في سبيل الله تعالى، ولذلك نهى الله تعالى نبينا ﷺ أن لا يقول لشيء عزم عليه أن يفعله غداً... إلا أن يقرنه بالمشيئة الإلهية...

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْمَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۗ﴾.

﴿٢٨﴾

عن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْمَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:

[٥٢]، قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا النبي ﷺ قاعدًا مع بلال، وصهيب، وخبّاب، وناس من الضّعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإنّ وجوه العرب تردّ عليك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنّا، فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت، قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليًّا رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤُا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤]، فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: تجالس الأشراف، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال: عيينة والأقرع ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ قال: هلاكًا، ثم ضرب لهم مثلًا رجلين كمثل الحياة الدنيا قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه وإلّا صبر أبدًا حتى نقوم.

رواه ابن أبي شيبة في الفضائل من المصنف رقم ٣٢٥١٨ بالآية الأولى، وأبو يعلى كاملاً كما قال البوصيري في الإتحاف رقم ٦٤٧٦، وسنده صحيح بيدّ أني لم أجده في مسند خباب من مسند أبي يعلى.

في الحديث فضل فقراء الصحابة وأنهم بالمكان الأعلى عند الله

عَزَّ وَجَلَّ، حتى إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أمرَ نبيِّه ﷺ أن يحبس نفسه معهم فيجالسهم ويرشدهم ويؤانسهم غدوةً وعشيًّا لأنهم لا يريدون غير الله والدار الآخرة، وهذا بخلاف الكفار الأنانيين الذين أعرضوا عن الله وغفلوا عن ذكره واتبعوا أهواءهم، ولذلك نهاه تعالى عن إطاعتهم فيما دعوه إليه.

وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بعض أبياته: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، خرج يلتمس فوجد قومًا يذكرون الله، منهم نائر الرأس، وحاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم.

رواه ابن جرير ٢٣٥/١٥، والطبراني. قال النور في المجمع ٢١/٧، ورجاله رجال الصحيح، ونحوه عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني في الأوسط ٨٨٦١، وأبي يعلى وغيرهما مطوّلًا، وفيه: «الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم... إلخ».

الحديث جاء مفسّرًا للآية الكريمة وفيه كسابقه فضل ذوي الفاقة والحاجة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكذا غيرهم ممن يسير على دربهم.

قوله تعالى: ﴿مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾.

٣١

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا موسى، أو يا عبد الله، ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنة؟»، قلت: بلى، قال: «لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله».

رواه أحمد ٤٠٣/٤ - ٤٠٧، والبخاري في الدعوات ٦٤٠٩، وفي التوحيد ٧٣٨٦، ومسلم في الذكر ٢٧٠٤ وغيرهم، ومثله عن معاذ عند أحمد والنسائي، وعن

سعد بن عبادة عند أحمد والنسائي والترمذي وصححه، وعن أبي ذر رواه أحمد ١٥٦/٥، والنسائي في الكبرى ٣٨٥/٦، وابن ماجه ٣٨٢٥ بسند صحيح.

إنما كانت هذه الكلمة كنزاً من كنوز الجنة؛ لأنها اشتملت على تبرّي العبد من حوله وقوته للباري جلّ علاه وتفويض كل أموره إليه تعالى واعترافه بالعجز والضعف، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، وهذا هو لب التوحيد وأساسه، وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن إذا كان له مال فأعجب به أن يقرأ هذه الآية: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. وقد وردت آثار عن السلف في ذكر هذه الآية عند تجدد نعمة أو دخول البيت ونحو ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

٥٧

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تُحْشَرُونَ يوم القيامة حفاة عراة غُرُلًا»، قالت عائشة: قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال رسول الله ﷺ: «الأمر أشد من أن يَهَمَّهُمْ».

رواه البخاري في الرقاق ٦٥٢٧، ومسلم في الجنة ٢٨٥٩، والنسائي في الكبرى ٣٨٥/٦، وفي الجنائز من المجتبى، وابن ماجه في الزهد ٤٢٧٦ وغيرهم، ويأتي حديث ابن عباس في الأنبياء.

حفاة: بلا أحذية ولا نعال. عراة: بلا ملابس. غرلاً جمع أغرل: وهو الذي لم يختتن. والحشر: هو الجمع. ونغادر: نترك.

ومعنى الآية والحديث أن الله عزّ وجلّ سيجمع كل الخلائق ويحشرهم مجردين كما ولدوا ولا يترك أحداً منهم مهما كان حاله ومقامه ثم يعرضون على الله تعالى صفّاً صفّاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

٥٨

عن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ طرده وفاطمة رضي الله

تعالى عنها فقال: «أَلَا تُصَلُّونَ؟» قلت: يا رسول الله، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَعْثُهَا بَعْثَهَا، فإِنصَرَفَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُدْبِرٌ يُضْرَبُ فَخِذَهُ وَيَقولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥١﴾.

رواه البخاري في التهجد، وفي التفسير ٢٢/١٠، وفي الاعتصام، وفي التوحيد، ومسلم فيمن نام الليل أجمع من كتاب الصلاة رقم ٧٧٥، والنسائي في الكبرى ٣٨٦/٦، وفي المجتبى وغيرهم.

طرقه: أي أتاه ليلاً. وفي الحديث إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن ينسب تقصيره إلى الله تعالى وإن كانت كل أموره بالله عز وجل وبإذنه ومشيئته فإن الأدب يأبى ذلك. ولذلك كره النبي ﷺ ما أجابه به الإمام علي رضي الله تعالى عنه، واستشهد ﷺ بالآية الكريمة على أن الإنسان من شأنه كثرة الجدل. وفي الحديث الحض على قيام الليل للصلاة والتهجد والتلاوة والذكر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا عَدَاءُ نَاقِدٍ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٨﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٩﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٢٠﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٢١﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَعْبَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٣﴾ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ مُحِطٌ بِهِ خُبْرًا ﴿٢٤﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٢٧﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٨﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٢٩﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ

٧٥ قَالَ أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٥﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
 ٧٦ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾
 ٧٧ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ
 ٧٨ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
 ٧٩ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
 ٨٠ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ
 ٨١ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُحْمًا حَرِيمًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
 ٨٢ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
 أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا
 فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ .

عن سعيد بن جبیر رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس رضي الله
 تعالى عنهما: إن نوحًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى
 صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أبي بن
 كعب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى عليه
 السلام قام خطيبًا في بني إسرائيل فُسئِلَ أيُّ الناس أعلم؟ فقال: «أنا»، فعتب
 الله عليه إذ لم يردِّ العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو
 أعلم منك، قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا
 فتجعله في مِكتَل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فأخذ الحوت فجعله في
 مِكتَل ثم انطلق وانطلق معه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا
 رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المِكتَل فخرج منه فسقط في البحر
 فاتخذ سبيله في البحر سرِّبًا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه
 مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما
 وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿إِنَّا غَدَاءٌ نَأْتِيكَ لَقِينًا مِنْ﴾

سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٦﴾ ، قال: ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوز المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٧﴾ . قال: فكان للحوت سَرَبًا ولموسى ولفتاه عجبًا، فقال له موسى: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٨﴾ ، قال: رجعا يقصَّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسَجَّى ثوبًا فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل، قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما عَلَّمْتَ رُشْدًا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا يا موسى، إني على علم من الله عَلَّمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وأنت على علم من الله عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ، فقال موسى: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ ، فقال له الخضر: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرَّت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا، ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَئِنِ اتَّبَعْتَنِي لَنَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢١﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٢٢﴾ . »

قال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسيانًا. قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿ أَقْلَتَ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٢٤﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنَسْتَطِيعَ

مَعَى صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ، قال: وهذا أشدُّ من الأولى . ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿٧٧﴾ ، قال: مائل، فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يُطعمونا ولم يضيئونا!! ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ﴿٧٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيَّتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٩﴾ . . . إلى قوله: ﴿ . . . ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ﴿٨٠﴾ .

فقال رسول الله ﷺ: «وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا»، قال سعيد بن جبیر: فكان ابن عباس يقرأ: ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا﴾، وكان يقرأ: ﴿وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين﴾.

رواه أحمد ٥/١١٨، ١٢٠، ١٢٢، والبخاري في العلم ١/٢٢٢، ٢٢٨، وفي الأنبياء ٧/٢٤٢، وفي تفسير سورة الكهف ١٠/٢٣، ٣٩، وفي مواضع نحو العشرة، ومسلم في الفضائل ١٥/١٣٦، وأبو داود في السنَّة، والترمذي ٢٩٤٦، والنسائي ٦/٣٨٦، ٣٩١، كلاهما في التفسير وغيرهم مطولاً ومختصراً.

هذا حديث عظيم جاء مفسراً لهذه الآيات الواردة في قصة هذين النبيين العظيمين، وقد ذكرته مشروحاً مبيناً فوائده في الفوائد والعبر من عجائب الأقدمين، وبينت فيه أنَّ الصحيح من قولي العلماء أنَّ الخضر كان نبياً وأنه لا يزال حيّاً. . . فليراجع الكتاب المشار إليه فإن فيه فوائد وعبراً، والله ولي التوفيق.

وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً». وفي رواية: «ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً».

رواه أحمد ٥/١٢١، ومسلم في الفضائل وفي القدر ١٦/٢١١، وأبو داود في السنَّة ٤٧٠٥، والترمذي في التفسير ٢٩٤٧ بتهذيبه وغيرهم.

هذا من تنمة تفسير قصة الخضر في قوله: ﴿وَأَمَّا الْفُلَّةُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ...﴾، وأن هذا الغلام ختم على قلبه في بطن أمه، وأنه سبق علم الله وقدره بكفره قبل كونه، وقوله: «ولو عاش لأرهب»، أي لحملهما على الكفر والطغيان وألحقهما به.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمِّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراً».

رواه أحمد ٣١٢/٢، والبخاري في ذكر موسى والخضر من أحاديث الأنبياء ٢٤٦/٧، والترمذي في التفسير ٢٩٤٨، وغيرهم.

فروة بفتح الفاء وسكون الراء هي هنا قطعة يابسة من حشيش. وقوله: فاهتزت أي تحركت. وفي الحديث بيان سبب تسمية الخضر بهذا اللقب، وقالوا في سبب اهتزاز الفروة تحته خضراء بجلوسه عليها: لكونه شرب من عين الحياة.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْبًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (١٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾.

عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: انتبه رسول الله ﷺ من نومه محمراً وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله (ثلاث مرات)، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترَب، فُتِحَ اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد تسعين أو مائة»، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون، قال: «نعم إذا كثر الخبيث»، وفي رواية: وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها.

رواه أحمد ٤٢٨/٦، ٤٢٩، والبخاري في الأنبياء ١٩٥/٧، وفي علامات النبوة، وفي الفتن، ومسلم ٣/٢/١٨، والترمذي ٢٠١٧، وابن ماجه ٣٩٥٣، ثلاثتهم في الفتن، والنسائي في الكبرى ٣٩٢/٦، وغيرهم.

يأجوج ومأجوج قبيلتان من ذرية يافث بن نوح عليه السلام، كانوا مفسدين بالقتل وقطع الطريق والسلب والنهب وسائر وجوه الشر، فبنى ذو القرنين السد بينهم وبين غيرهم من بني آدم، والجمهور على أن هذا السد في غرب شمال آسيا، فالله تعالى أعلم، فالقرآن مصرح بوجودهم وبناء السد بينهم وبين غيرهم، والحديث نص في أنهم يعالجون فتح السد، وأنه كان أيام النبوة قد فتح من ردمه مقدار حلقة ما بين السبابة والإبهام، كما أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ صريح بأنه سيتصدع عند قرب الساعة فيخرج هؤلاء المفسدون على العالم فيعيشوا فيه فساداً حتى يهلكهم الله أيام سيدنا عيسى عليه السلام كما جاء في حديث النواس بن سمعان في الفتن من صحيح مسلم، وسيأتي لنا كلام على قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾... إلخ.

وقوله في الحديث: «نعم إذا كثر الخبث»، الخبث بفتححتين، هو هنا الفسوق والفجور وأولاد الزنا. والهلاك بالخبث يتجلى واضحاً في واقعنا، فما أصاب المسلمين اليوم من أنواع البلايا والهزائم والخزي والإذلال... أمام الأمم الأخرى إلا بما فشا فيهم من الزنا وأولاده...

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِيَمَعَنَّهُمْ جَمْعًا﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّور؟ قال: «قرن ينفخ فيه».

رواه أحمد ٢/٢٦٢، ٢٩٢، وأبو داود في السنة ٤٧٤٢، والترمذي في القيامة ٢٢٥١، وفي تفسير الزمر ٣٠٢٩، والنسائي في الكبرى ٣٩٢/٦، والدارمي ٢٨٠١، وابن حبان ٢٥٧٠، والحاكم ٢/٤٣٦ و ٤/٥٦٠، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم والذهبي.

الحديث مفسر لمعنى الصور في الآية الكريمة، وأنه قرن ينفخ فيه

الملك المكلف به إسرائيل عليه السلام كما يأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ﴾ (٨٧) وغيرها.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْبُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١٠٤).

عن مصعب بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: سألت أبي: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾... الخ، هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين. وفي رواية: ولكن الحرورية الذين قال الله عز وجل: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٧).

رواه البخاري ٤٠/١٠، والنسائي في الكبرى ٣٩٢/٦، وابن أبي حاتم ٢٣٩٢/٧، كلهم في التفسير.

الحرورية من الخوارج كانوا يسكنون حروراء، بناحي الكوفة، كانوا خرجوا على الإمام علي عليه السلام وقتلهم ثم استفحل أمرهم حتى أصبح لهم مذهب خاص ثم تفرقوا مذاهب، ولا زال لحد الساعة بعض عناصرهم مفرقين في بلاد الإسلام. وتفسير الآية باليهود والنصارى هنا قد يكون من قبيل المرفوع، ولا شك في خسران هؤلاء وبطلان أعمالهم وشقاوتهم وخلودهم في نار جهنم.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ (١٠٤).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي

الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال:
 اقرؤوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

رواه البخاري في التفسير ٤١/١٠، ومسلم في صفة القيامة ١٢٩/١٧ وغيرهما.
 ومعنى الآية الكريمة والحديث الشريف أن الكافر وغيره من الأشقياء
 لا قيمة لهم يوم القيامة، ولا وزن ولا منزلة، وأن المنعم منهم في الدنيا
 السمين اللحيم لا يزن مقدار جناح بعوضة يومئذ لبطلان عمله، وخسران
 صفقته...

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
 أَحَدًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
 «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً
 أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». وفي رواية: «فأنا منه بريء، وهو للذي
 أشرك».

رواه أحمد ٣٠١/٢، ٤٣٥، ومسلم ١١٥/١٨، وابن ماجه ٤٢٠٢، كلاهما في
 الزهد، وابن أبي حاتم ٢٣٩٥ وغيرهم.

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال:
 سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس ليوم القيامة، ليوم لا ريب
 فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عند
 غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

رواه أحمد ٤٦٦/٣، ٤١٥/٤، والترمذي في التفسير ٢٩٥٠ تهذيبي، وابن
 ماجه في الزهد ٤٢٠٣، وابن حبان رقم ٢٤٩٩، وهو حسن لشواهده الكثيرة، وانظر:
 الدرالمثور ٤٧٠/٥.

الآية الكريمة مصرحة بأن من كان يؤمن بالله ويأمل لقاءه ويرجوا ثوابه

ويخاف عقابه فيجب عليه أن يخلص أعماله لله عزَّ وجلَّ، ولا يرائي بها أحدًا ولا يبتغي بذلك غير وجه الله، فإنَّ الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصًا له.

وجاء الحديثان لتأكيد ما في الآية وبيّنان أن الله عزَّ وجلَّ غنيٌّ عن الشريك، فمن أشرك معه غيره في العمل . . . كان متروكًا ومنبوذًا مع شريكه فليطلب ثواب ما عمل من ذلك الشريك.

والشرك في الآية والحديثين المراد به الشرك الأصغر، وهو الرياء والتظاهر للناس بالأعمال والأقوال الصالحة ليعرفوا منزلته . . . فهذا شرك خفي. نسأل الله عزَّ وجلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا الصدق والإخلاص في جميع أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وجميع حركاتنا وسكناتنا بمنه وكرمه آمين.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الكهف. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

انتهى الجزء الأول بتوفيق الله وإذنه والحمد لله
بتاريخ ٢٣ رجب عام ١٤٢١هـ بطنجة - المغرب
ويليه الجزء الثاني مفتتحًا بسورة مريم

الجواهر واللائي المصنوعة

في

تفسير القرآن العظيم

بالأحاديث الصحيحة المرفوعة

تأليف

الشيخ عبد الله بن عبد القادر الثليدي

حفظه الله تعالى

الجزء الثاني

دار النشر الإسلامية

﴿سُورَةُ مَرْيَمَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّلَى اللَّهَ وَرَحْمَةً وَبَارَكْنَا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَزَبَهُ

هي من السور المكية وآياتها ثمان وتسعون، وأهدافها تقرير عقيدة التوحيد من بيان الإيمان بالله وحده وتنزيهه عن الشريك والزوجة والولد ودعم ذلك بإيراد قصة القائنة الصديقة مريم وابنها عيسى عليهما السلام، ثم ذكر بعض أكابر الأنبياء الذين أنعم الله تعالى عليهم بالنبوة والرسالة والقيام بحقوق العبودية الكاملة لله عز وجل.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكره تعالى أنه أتى نبيه يحيى عليه السلام الحكم صبيًا، آية ١١ .
- ٢ - ذكر قصة مريم البتول مع ولدها عيسى عليهما السلام بسياقات وأشياء لم تذكر في آل عمران ولا في غيرها، اقرأ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ...﴾ إلخ، آيات ١٦ - ٣٣ .
- ٣ - تكلم سيدنا عيسى عليه السلام في مهده وذكر مقالته: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ إلخ، آية ٣٠ .
- ٤ - ذكر جماعة من الأنبياء المنعم عليهم، وذكر بعض صفاتهم ككونهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سُجَّدًا وبكيا، آيات ٤٠ - ٥٨ .
- ٥ - ذكر ورود الناس كلهم النار يوم القيامة وإن ذلك شيء مبرم وقضاء محتم لا بد وأن يقع ولا يتخلف، آيتان ٧١، ٧٢ .

٦ - تفضله تعالى على المؤمنين الصالحين بإلقاء محبتهم في القلوب المؤمنة، آية ٩٧ .

٧ - تنصيبه تعالى على رفعه إدريس عليه السّلام مكاناً عليّاً علماً بأن كل الأنبياء مرفوعون كذلك، وإنما نص عليه لشيء خصّ به، آية ٥٧ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكِ بَغِيًّا﴾ ﴿٢٨﴾ .

عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: كنت بأرض نجران فسألوني: أرايتم شيئاً تقرأونه: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾، وبين موسى وعيسى ما قد علمتم من السنين؟! قال: فلم أدر ما أجيبهم به، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمّون بأبيائهم والصالحين» .

رواه أحمد ٢٥٢/٤، ومسلم في الأدب ١١٦/١٤، والترمذي ٢٩٥٢، والنسائي ٣٩٣/٦، كلاهما في التفسير. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب .

قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾ خاطبوا مريم بذلك لأنها كانت لكثرة تعبدها تُشَبَّه برجل صالح في عصرها يسمى هارون، والحديث مصرح بأن بني إسرائيل كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم، وقد اتفق جمهور العلماء من هذه الأمة على جواز التسمي بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، بل نقل بعضهم الإجماع على جواز ذلك .

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣١﴾ .

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل النار النار، ودخل أهل الجنة الجنة، يجرء بالموت كأنه كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون وكل قد رآوه فيقولون: نعم هذا الموت، ثم ينادي مناد: يا أهل النار تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون وكلهم قد رآوه فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤخذ فيذبح ثم ينادى:

يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ . قال: أهل الدنيا في غفلة .

رواه البخاري في التفسير ٤٣/١٠، ومسلم في الجنة ١٧/١٨٤، ١٨٥، والترمذي ٢٩٥٣، ٢٣٧٥، والنسائي ٦/٣٩٣ كلاهما في التفسير، ونحوه عن أبي هريرة عند أحمد ٢/٢٦١ والشيخين .

الأملح من الأنعام ما فيه بياض وسواد . يشرئبون أي يشرفون وينظرون . والحديث يدل على أن أهل الجنة والنار مخلدون فيهما وأن لا موت يلحقهم وهذا إجماع لم يخالف فيه إلا بعض أهل الشذوذ، كما أن الحديث صريح في موت الموت ذبحاً في صفة كبش ليزداد أهل الجنة فرحاً وسروراً، ويزداد أهل النار ندامة وحرزاً وتحسراً، ولذلك جاء الحديث مفسراً ليوم الحسرة الذي هو وقت ذبح الموت حيث يتحسر الكفار .

قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتُهُ نَجِيًّا﴾ .

عن جندب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لقي آدم موسى فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ونفخ فيك من روحه، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته، وآتاك التوراة، وكلمك وقربك نجياً، فأنا أقدم أم الذكر؟ قال النبي ﷺ: فحج آدم موسى فحج آدم موسى» .

رواه أحمد ٢/٤٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/٣٩٤، وأبو يعلى ١٥٢١، ١٥٢٨ وغيرهم بسند صحيح، وقد تقدم بألفاظ عن أبي هريرة وغيره وهو في الصحيحين عنه وفي الباب عن عمر وأبي سعيد وأبي موسى وغيرهم .

الحديث قدمنا بعض ما يتعلق به وبمعناه والشاهد منه هنا قوله: وقربك نجياً فهو مبين للآية ومؤكد لها وأن الله عز وجل ناجاه بالطور وقربه إليه قرباً يعلمه الله بلا مسافة ولا مكان . . . فهو تعالى منزه عن صفات خلقه .

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ .

عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: «لما عُرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة».

رواه مسلم مطولاً في الإيمان ضمن حديث الإسراء ٢/٢٠٩، ٢١٣، والترمذي في التفسير ٢٩٥٤ وغيرهما. وفيه عند مسلم: قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ .

حديث الإسراء تقدم الكلام على ما فيه في أول سورة بني إسرائيل والشاهد منه هنا: رأيت إدريس في السماء الرابعة، وهو المكان العلي الذي رفعه الله إليه. وتخصيص إدريس عليه السّلام بالتنصيص على رفعه لا نعلم سره، فإن الأنبياء الذين مر عليهم رسول الله ﷺ ليلة الإسراء في السموات كلهم مرفوعون عنده تعالى في الأمكنة العلياء، فالله تعالى أعلم بحقيقة كلامه وكلام رسوله ﷺ، علماً بأن ما ورد في الإسرائيليات في قصته كلها شبه لا شيء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَأْكِنٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السّلام: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، قال: فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَأْكِنٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ .

رواه أحمد رقم ٢٣٦٥، والبخاري في التفسير ٤٣/١٠، ٤٤، وفي بدء الخلق وفي التوحيد، والترمذي ٢٩٥٥، والنسائي ٦/٣٩٤ كلاهما في التفسير.

قيل: إن جبريل عليه السّلام كان قد أبطأ وتأخر مدة عن النبي ﷺ، فلما جاءه قال له ما ذكر في الحديث فنزلت الآية. وبينت أن مجيئه متوقف على الإذن من الله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَأْكِنٌ أَيْدِينَا...﴾ الخ، يريد أن له عز وجل ما بين أيدينا من أمر الدنيا وما خلفنا من أمر الآخرة وما بين ذلك، أي: ما بين النفختين، وقيل غير هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ١٤.

١٤

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله تعالى لم يكن لينسى شيئاً، — ثم تلا هذه الآية — : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ١٤.»

رواه البزار ٢٢٣١، والحاكم ٣٧٥/٢، ومن طريقه البيهقي في الكبرى ١٢/١٠ وصحه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده النور في المجمع ٥٥/٧ برواية البزار وقال: رجاله ثقات، وللحديث شواهد أوردها البيهقي ١٢/١٠. وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٤٢.

في الحديث رد بليغ على من يتزمت ويشدد على العباد بتحريم ما سكت الله تعالى عنه وجعله من المعفوات، فإنه تعالى منزه عن النسيان كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ٥٢ [طه: ٥٢]. فما حرمه الله فهو الحرام الذي لا خير فيه ولا مصلحة... وما أباحه لنا فهو الحلال الذي فيه منفعة العباد ومصالحهم، وما عدا ذلك فمسكوت عنه إلا ما التحق بأحد النوعين بالشروط المقررة، ففي ذلك مجال لاجتهاد العلماء، وليتق الله عز وجل أولئك المتعاملون الذين يتناولون على اجتهاد العلماء وينتقدونهم بلا أدب ولا احترام.

قوله تعالى: ﴿وَلِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ ٧١.

٧١

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار»، وفي رواية: «فيلج النار إلا تحلة القسم».

رواه أحمد ٢٣٩/٢، والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ١٦٠٣، كلهم في الجنائز.

تحلة القسم أي ما ينحل به القسم واليمين وهو قوله تعالى: ﴿وَلِنْ مِّنكُمْ﴾

إِلَّا وَارِدُهَا ﴿﴾ كما قال جمهور العلماء . ومعنى الحديث أن من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث لا يدخل النار ولا تصيبه، لكن سيدخلها مجتازاً فوق الصراط بقدر ما يحل قسم الله تعالى الذي أقسم في الآية به، لأنها مصرحة بورود كل أحد عليها ثم ينجي المتقين منها ويترك الظالمين فيها جثياً .

وعن السدي رحمه الله تعالى قال: سألتُ مُرَّةَ الهمداني عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه .

رواه أحمد رقم ٤١٢٢، ٤١٤١، والترمذي ٢٩٥٦، والحاكم ٢٧٥/٢ مرفوعاً وموقوفاً وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي من ثلاثة طرق وكلها حسنة، ولا يعل الحديث بالوقف فإن الحكم لمن رفع . . .

قوله: يرد الناس، الورد هنا كما قال النووي وغيره: الصحيح أنه المرور على الصراط كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة . وقوله: ثم يصدرون، أي ينصرفون . وقوله: حُضْر بضم الحاء وسكون الضاد، أي عدو الفرس . وفي الحديث بيان بأن الناس سيمرون على الصراط حسب أعمالهم، ونوعهم في الحديث إلى ستة أنواع جعلنا الله تعالى من الأولين بمنه وكرمه، آمين .

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ ﴿٧٢﴾ .

عن أم مبشر رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله تعالى عنها: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها»، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، قالت حفصة: «وإن منكم إلا واردها». قال النبي ﷺ: فقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ ﴿٧٢﴾ .

رواه أحمد ٤٢٠/٦، ومسلم في الفضائل ٥٧/١٦، ٥٨، والنسائي في الكبرى ٣٩٥/٦، وابن جرير ١١٢/١٦ وغيرهم، وفي الباب عن جابر عند البخاري في المغازي ٣٢٥/٨.

معنى الآية واضح. وقوله: ﴿جِئْنَا ﴿٧٦﴾﴾، أي جائين على ركبهم. وفيها والحديث بشارة للمؤمنين المتقين بأن الله سينجيهم من عذابه عند الورود والمرور على الصراط كما في الحديث فضل أهل بيعة الرضوان وأنهم من أهل الجنة قطعاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ [الفتح: ١٨]. ومن رضي الله تعالى عنهم لا يسخط عليهم أبداً، وقد ذكرت فضائلهم في: «المبشرون بالجنة»، و«فضائل الصحابة».

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

عن خباب رضي الله تعالى عنه قال: كنت قيناً بمكة فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميئك الله ثم يحييك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد. وفي رواية: وإني لميت ثم مبعوث؟! قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأعطيك. وفي أخرى: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتي مالاً وولداً فأقضيك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٧٧﴾...﴾ إلى قوله: ﴿... وَيَأْتِنَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

رواه أحمد ١١١/٥، والبخاري في البيوع وفي الإجارة وفي الخصومات وفي التفسير ٤٥/١٠، ٤٦، ومسلم في صفة القيامة ١٦/١٣٨، والترمذي ٢٩٥٨، والنسائي في الكبرى ٣٩٥/٦ كلاهما في التفسير.

القين: الحداد. أتقاضاه: أي أطلب منه قضاء حقي.

وفي الحديث بيان ما كان عليه ذلك العدو العاص بن وائل من الطغيان والعتو والأنانية، ولذلك نزلت فيه هذه الآيات تهدده وتذره بمآله وما سيكون عليه أمره بعد موته .

ومعنى الآيات: أي أخبرني بقصد هذا الكافر الذي كفر بآياتنا وكتبنا وقال: إذا مت وبعثت لأعطى هناك مالاً وولداً. هل اطلع على الغيب فنظر في اللوح المحفوظ؟ أم اتخذ عند الله عهداً وميثاقاً أنه سيعطى ما يقول؟ كلا، أي ليرتدع ولينزجر فليس الأمر كما يقول ويفهم فسنحفظ عليه ما يقول ونجازيه به في الآخرة ونزيده عذاباً فوق عذاب بدل ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد، ثم نميته ونرث ماله وولده ويأتينا يوم القيامة مفرداً بلا أهل ولا عشيرة ولا مال .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (١٢).

١٢

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنه يُشركُ به ويُجعلُ له نِدًّا وهو يعافيههم ويرزقهم ويدفع عنهم» .

رواه أحمد ٣٩٥/٤، ٤٠٥، والبخاري في الأدب رقم ٦٠٩٩، وفي التوحيد ومسلم في صفات المنافقين ٢٨٠٤، ١٤٦/١٧، والنسائي في الكبرى ٣٩٥/٦ .

إن الله عز وجل حلیم كريم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، ولا يقطع عنه مدده ورفده، بل يرزق من كفر به وعبد غيره ويعافيه ويدفع عنه البلايا بل ينصره على عدوه ويمهد له أسباب الحياة ويسهلها عليه رغم أنه يشرك معه سواء ويتخذ دونه آلهة ويؤذيه بأقواله وأفعاله ليل نهار طوال حياته فلا أحد سواء يتحمل ذلك ويصبر عليه ف سبحانه من إله .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (١٦).

١٦

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ

الله عبدًا نادى جبريل إني قد أحببتُ فلانًا فأحبّه، قال: فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ . وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل إني قد أبغضت فلانًا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض». وفي رواية في الأول: «ثم يوضع له القبول في الأرض».

رواه أحمد ٣٤١/٢، ٥١٤، والبخاري في الأدب ٧١/١٣، وفي بدء الخلق ١١٥/٧، ١١٦، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٨٣، ١٨٤، والترمذي في التفسير ٢٩٥٧ وغيرهم.

في الآية الكريمة مع الحديث المبين لها بشارة للمؤمن الصالح الذي يحبه الله وتحبه الملائكة ويجعل له القبول في الأرض ويحبه المؤمنون ويشنون عليه بالخير، ويصدق ذلك ولو من بعضهم، ومن أبغضه فإنما يبغضه لعارض... أما من أبغضه الله تعالى فبعكس ذلك فتبغضه الملائكة ويمقتة المؤمنون ويشنون عليه بالشر. أما من أحبه منهم فإنما يحبه لمصالح شخصية.

وبهذا تم الكلام على سورة مريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین .

* * *

﴿ سُورَةُ طٰهٖ ﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَصَلَّى اللّٰهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللّٰهُ وَهَّجِبْهُ وَزَوَّجْهُ وَعَزَّبْهُ

هذه السورة مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية، وهي تعنى بالعقيدة وأصول الدين كأخواتها المكيات.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر قصة موسى عليه السّلام مع فرعون الطاغية مفصلة ومطولة مع ذكر ما لم يذكر في غيرها من التوحيد والأخلاق والآداب والإرشادات والنصائح، وقد أخذت من السورة نحوًا من تسعين آية، وهي أكثر من نصف السورة، آيات ٨ - ٩٦.
- ٢ - ذكر السامري الدجال المقيت الذي صنع العجل من حلي بني إسرائيل حتى عبده، وذكر ما صار إليه أمره، آيات ٩٢ - ٩٤.
- ٣ - ذكر عصيان سيدنا آدم عليه السّلام مع تقييد ذلك بالنسيان وعدم العزم، آية ١١١.
- ٤ - بيان أن من أعرض عن الله تعالى وعن دينه كانت عيشته ضنكًا، أي في حرج وضيق صدر، آية ١٢١.

٥ - بيان أن من نسي آيات الله تعالى في الدنيا فلم يؤمن بها أو لم يراعها ويعمل بمقتضاها نسيه الله في الآخرة وأهمله في جهنم كأنه منسي، آيتان ١٢٣، ١٢٤ .

٦ - أمره نبيه ﷺ على الخصوص أن يأمر أهله بالصلاة وأن يصبر عليها، آية ١٢٩ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ﴿١١﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال نبي الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها»، وفي رواية: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله يقول: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ﴿١١﴾ .»

رواه البخاري ٢/٢١١، ومسلم ٥/١٩٣، كلاهما في قضاء الفوائت واللفظ للأخير، وفي الباب عن جماعة في الصحيح وغيره مطولاً ومختصراً .

قوله لذكري فيه معنيان للعلماء: أحدهما وهو قول الجمهور، أي متى ذكرت أن عليك صلاة فأقمها، سواء كانت في وقتها أو خارجها، والثاني أقم الصلاة لتذكرني فيها، فإن من صلّى ذكر الله عزّ وجل، واستدل بالآية الكريمة على أن شرع من قبلنا شرع لنا، لأن الآية خوطب بها كليم الله موسى عليه السّلام، والجمهور على أنه شرع لنا ما لم يأت في شرعنا ما يخالفه، والموضوع محله أصول الفقه .

قوله تعالى: ﴿ فَأَنبِئَهُمْ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدَّهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ ﴿١٧﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في كتاب النبي ﷺ الذي أرسله

مع دحية الكلبي إلى هرقل فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى... إلخ».

رواه البخاري في أوّل صحيحه وغيره مطولاً.

في الآية الكريمة والحديث الشريف دليل على أن الكافر لا يسلم عليه بتحية الإسلام – السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته – وإنما يقال: السلام على من اتبع الهدى، كما فعل النبي ﷺ، فمن اتبع الهدى كان داخلياً في سلام الله تعالى ومن لا فلا، وهذا إذا كان الخطاب خاصاً بالكفار، أما إذا كان عاماً لهم وللمسلمين فالسنة إلقاء السلام الإسلامي عليهم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَّهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (٧٤)

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية».

رواه أحمد ٥/٣، ١١، ومسلم في الإيمان ٣/٣٧، ٣٨، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه ٤٣٠٩ وغيرهم، وفي بعض طرقه ذكر الصراط وصفته.

حميل السيل بالحاء المهملة، أي محمول السيل وهو الغناء الذي يحتمله سيل الماء. وقوله: ضبائر، أي جماعات متفرقة.

والآية الكريمة مع الحديث المبين لها يدلان على أن الكفار مخلدون

في النار لا يموتون فيستريحون، ولا يحيون حياة تنعم كأهل الجنة، بل هم في عذاب دائم، أما عصاة المسلمين فسيموتون في النار إماتة بعد عذاب يعلم الله أمدته حتى يصيروا فحمًا لا يحسون بالآلام العذاب ثم يخرجون منها فيلقون في أنهار الجنة فيحيون وينبتون كما تنبت الحبة المحمولة في السيل . . . ثم يصيرون إلى منازلهم من الجنة بفضل الله ورحمته .

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ .

١١٤

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفثيه . . . فأنزل الله: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦)، الحديث .

رواه البخاري في بدء الوحي ١/٣٢، ٣٣، وفي التفسير ومسلم وغيرهما ويأتي مطولاً مع الكلام عليه في سورة القيامة إن شاء الله تعالى .

ومعنى الآية الكريمة: إذا أقرأك جبريل القرآن فلا تعجل بالقراءة معه، بل استمع إليه واصبر حتى يفرغ من تلاوته .

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ (١٧) .

١١٧

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «حاج آدم موسى فقال له: يا آدم أنت الذي أخرجت الناس من الجنة وأشقيتهم؛ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه؟ أتلومني على أمر كتبه الله عليّ أو قدره عليّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى» .

رواه البخاري في التفسير ١٠/٥٠، ومسلم في القدر وغيرهما، وقد تقدم سياق آخر .

قوله: أشقيتهم، أي تسببت في شقائهم بنزولك لهذه الدنيا فعانوا من

متاعبها ومشاقها ما هو معروف، وكان أمر الله قدرًا مقدرًا. وقوله: فحج آدم موسى، أي غلبه بالحجة.

والآية الكريمة جاءت ضمن قصة سيدنا آدم عليه السَّلام فخاطبه الله عزَّ وجلَّ وزوجته محذرًا لهما من الشيطان أن لا يطيعاه فيكون ذلك سببًا لإخراجهما من الجنة فيشقيا . . .

قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢٢ ﴾ .

﴿١٢٢﴾

فيه حديث أبي هريرة السابق الذكر بألفاظه المتقدمة غير ما مرة.

وهذا العصيان من سيدنا آدم عليه السَّلام لم يكن عن تعمد المخالفة لله ولا بقصد اقرار الذنب كأمثالنا، كلا، بل فعل ذلك ناسيًا، كما ذكر قبل الآية: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِآدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝١١٩ ﴾، وليس في الآية دليل للمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن يجوز صدور الذنب من الأنبياء قبل النبوة، وقد أجاب عن هذا وغيره بما لا مزيد عليه القاضي عياض رحمه الله تعالى وجزاه خيرًا في الشفا فانظره.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

﴿١٢٤﴾

الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝١٢٤ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾، قال: «عذاب القبر».

رواه ابن جرير ٢٢٨/١٦، وابن أبي حاتم ٢٤٣٩/٧ والبخاري، قال ابن كثير في التفسير: إسناده جيّد، وأورده النور في المجمع ٦٧/٧ برواية الطبراني وقال: فيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات وهو عند ابن جرير خالٍ من المسعودي. وأخرج ابن جرير ٢٢٧/١٦، ٢٢٨، وابن أبي حاتم في تفسيريهما آثارًا عن أبي سعيد وابن مسعود وجماعة من السلف بما جاء في الحديث من تفسيره بعذاب القبر.

فالحديث بيّن أن معيشة الضنك التي وردت في الآية هي عذاب القبر، ومع ذلك فهو لا ينافي شموله للشقاء والتعاسة وضيق الصدر والحرج في الدنيا، فالكافر والمعرض عن الله لا طمأنينة له ولا انشراح لصدره وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل وشرب ما طاب له وسكن حيث شاء، فهو لا يزال في حيرة وقلق، ولذلك ترى الكفار ومن لا دين لهم يفتزعون إلى أنواع الملاهي والمسليات.

قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (١٣).

عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تُصَارُونَ في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾».

رواه البخاري في المواقيت من الصلاة، وفي التفسير في سورة ق ١٠/٢٢٠، وفي التوحيد، ومسلم في فضل صلاتي الصبح والعصر ٥/١٣٤، وأبو داود في السنة ٤٧٢٩، والترمذي في رؤية الله من صفة الجنة، والنسائي في الكبرى ٦/٤٠٧، وابن ماجه ١٧٧، ويأتي في القيامة.

الجمهور على أن الآية الكريمة جاءت في الصلوات الخمس، فقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾، أي صلّ وأنت حامد لربك ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾، صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ صلاة العصر، ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾، أي وصلّ لربك في ساعات الليل، وفي أول النهار وآخره، فأناء الليل صلاة العشاء، وأطراف النهار صلاة المغرب والظهر، لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، والمغرب آخر طرف النهار الأخير.

وفي الحديث إثبات رؤية الله يوم القيامة، وقد تواترت بذلك الأحاديث كما فيه الحض على المحافظة على صلاتي العصر والصبح، وقد جاء في الصحيح: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، والبردان: الصبح والعصر.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٧).

عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾ الآية.

رواه الطبراني في الأوسط ٨٩٠، قال النور ٦٧/٧: ورجاله ثقات.

في الحديث الشريف مشروعية الفزع إلى الصلاة عند نزول البلياء والشدائد وضيق المعيشة، ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف لأن الصلاة صلة وثيقة بالله عز وجل، ولها من البركة وشمول الرحمة ما ليست لغيرها من سائر القرب.

وعن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صَلَّى.

رواه في المسند ٣٨٨/٥، وسنن أبي داود ١٣١٩. وسنده حسن، فهو شاهد قوي لحديث ابن سلام رضي الله تعالى عنه.

حَزَبَهُ بفتح ح، أي أصابه، وقد ورد بالباء والنون.

وبهذا تمت سورة طه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ وَحَزْبِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ.

* * *

﴿سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَالرَّاهِبِ وَزَوْجِهِ وَهَزْبِهِ

هذه السورة الكريمة مكية وهي مائة واثنان عشرة آية، وموضوعها علاج العقيدة من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء وذكر الساعة والقيامة، وذكر الأحوال والشدائد التي ستصيب الناس يومئذ.

من خصائص هذه السورة

- ١ - بيان أن الله عزَّ وجلَّ لو أراد أن يتخذ ما يلتهي به من ولد وزوجة لا يتَّخذه من عنده من الحور أو الملائكة، لكن ذلك ينافي مقام الألوهية لأنَّه غني عن كل ذلك ومنزه عن الصاحبة والولد والشريك، آية ١٧.
- ٢ - بيان أنه لو كان في هذا الوجود آلهة سوى الله عزَّ وجلَّ لفسد نظام هذا الكون لما يترتب على التعدد من الاختلاف والتنافس على الملك، آية ٢٢.
- ٣ - بيان أن الله تعالى هو الخالق المدبر لشؤون عباده، المتصرف فيهم، يفعل فيهم وبهم ما يشاء، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويعزِّ من

يشاء ويذلّ من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فلا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، ولهذا قال في السورة: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾، آية ٢٣.

٤ - بيان حقيقة علمية وصل إليها اليوم العلم الحديث، وهي أنّ هذا العالم كان متّصلاً ببعضه، فكانت الأرض والسماء ملتصقتين ففصلهما الله عزّ وجلّ عن بعضهما... ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَّهُمَا﴾، آية ٣٠.

٥ - بيان أن الله تعالى جعل الماء أصل كل الأحياء وسبباً للحياة، فلا حياة بدونه للإنسان، أو حيوان أو طير أو نبات... ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾، آية ٣٠.

٦ - بيان قصة خليل الرحمن عليه السلام مع الأصنام وتحطيمها وما أجاب به عبدتها عنها وما دار بينه وبينهم من حوار، آيات ٥١ إلى ٦٩.

٧ - خطاب الله تعالى للنار التي ألقى فيها خليله وأمره إياها بأن تكون عليه برداً وسلاماً ﴿يَنزَارُ كُوَيْبًا وَسَلَمًا عَلَيَّ إِزْرِيمَ﴾، آية ٦٩.

٨ - ذكر دعاء نبي الله ذي النون عليه السلام ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، آية ٨٧.

٩ - بيان أنّ كل الأصنام والآلهة وعابديها سيكونون حطب جهنم إلّا من سبق لهم من الله الحسنی، آيات ٩٧ إلى ١٠٢.

١٠ - بيان أنّ الله عزّ وجلّ أرسل نبينا ﷺ رحمةً للعالمين، آية ١٠٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: ﴿فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، قال: «في الدنيا».

رواه النسائي في الكبرى ٤٠٧/٦ بسند صحيح. وأخرجه ابن جرير ١٧/١، ٢، من حديث أبي هريرة وسنده صحيح أيضاً.

ومعنى الآية الكريمة أنه قد دنا وقرب وقت حساب الناس على أعمالهم وهم مع ذلك غافلون عن ذلك اليوم مستغرقون في الشهوات لا يعملون للأخرة ولا يتأهبون لها.

قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ قال: يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصَّ لهم منك الفضل، قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟ ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧)»، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم.

رواه أحمد ٦/٢٨٠، والترمذي في التفسير ٢٩٦٠، وسنده صحيح.

قوله: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ... ﴾ إلخ، أي: ونقيم الموازين العادلة التي توزن بها الأعمال في يوم القيامة ولا ينقص محسن من إحسانه، ولا يزداد مسيء على إساءته، بل لو كان عمل الإنسان مقدار زنة حبة خردل أتى بها وأحضرت للميزان. والحديث جاء ببعض تفصيل للآية الكريمة وأنه تعالى سيفصل بين عباده بحكمه العادل ولا يترك لهم من أعمالهم فذة ولا شاذة إلا أحضرها واقتص من بعضهم بعضاً أيّاً كان، إلا أن يتجاوز ويعفو عن شيء منهم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ يَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَمْكَ عَذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَتَقَلَّتِ الْبَطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

رواه الترمذي في الإيمان ٢٤٥٥ تهذيبي، وابن ماجه في الزهد ٤٣٠٠، وابن حبان ٢٥٢٤ بالموارد، والحاكم ٦/١، وكذا أحمد، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

سَيُخَلِّصُ، بفتح السين وضم الياء وتشديد اللام المكسورة، أي: يميِّز ويختار. سَجَلًا، بكسر السين والجيم: الكتاب الكبير. فطاشت: خفت.

وفي الحديث فضل كلمة التوحيد وكيف لا وهي مفتاح الجنة وعليها مدار الأحكام كلها. وفيه دليل على أَنَّ فِي الْقِيَامَةِ مِيزَانًا وَأَنَّ لَهُ كَفَّتَيْنِ: كَفَّةٌ لِلْحَسَنَاتِ، وَكَفَّةٌ لِلسَّيِّئَاتِ. وبهذا قال جمهور العلماء لظواهر القرآن والسُّنَّة.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَلَّوْهُمُ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام في شيء قط إلا في ثلاث كذبات:

قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ﴿٨١﴾ ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة «أختي»، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُم كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٦٢ هكذا مختصراً وحسنه وصححه، ورواه البخاري في الأنبياء ٢٠١/٧، ٢٠٤، وفي النكاح وفي البيوع وفي مواضع، ومسلم في الفضائل ١٢٣/١٥ مطوّلاً، وقد ذكرته كذلك في موضع آخر وهو مفصل مشروح في العبر لكتابه.

الكذب: الإخبار بخلاف الواقع، وإطلاق الكذب هنا من باب المعارض، وهو القول الذي يحتمل معنيين، معنى يعتقده السامع حقاً وصدقاً ويكون كذباً، ومعنى هو عند المتكلم.

وقد جاء في الحديث: «إن في المعارض لمدوحة عن الكذب».

رواه البخاري في الأدب المفرد.

وإذا رجعنا إلى الحديث وجدنا كل ما قاله الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا حقاً وصدقاً، فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ﴿٨١﴾، أي: مريض من جهتهم، وقوله في سارة: «أختي»، أي في الدين، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُم كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، يعني صنمهم الأكبر هو الذي حطّم الأصنام الصغيرة وقال لهم ذلك على وجه التهكّم والتبكيث لأنهم يعلمون أنه جماد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فكيف يكسر الأصنام. ولذلك قال لهم زيادة في إقامة الحجّة عليهم: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾، قال تعالى: ﴿فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٦١﴾... الآية.

قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

﴿٧١﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتهما: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام ففضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود

عليهما السلام فأخبرته فقال: إيتوني بالسكّين أشقّه بينكما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، ففضى به للصغرى».

رواه أحمد ٣٤٠/٢، والبخاري في الأنبياء ٢٧٥/٧، وفي الفرائض، ومسلم ١٨/١٢، والنسائي في الكبرى ٤٧٢/٣، ٤٧٣، كلاهما في الأفضية.

ما جاء في هذا الحديث هو داخل في الآية الكريمة لأنّ الله تعالى فهمّ الحكم والقضاء سليمان في هذه الحادثة.

أما ما جاء في صريح الآية الأخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْحُكُمَا فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، فلم يأت في تفسيرها شيء عن النبي ﷺ علماً بأنه قد وقعت حادثة أيام سليمان وداود عليهما السلام تتعلق بالحرث والماشية، وأن غنم قوم رعت زرع قوم آخرين، فهّم الله الحكم فيها سليمان عليه السّلام. هذا هو معنى ظاهر الآية الكريمة. وقد جاء تفسير الآية عن ابن عباس وابن مسعود وشريح ومجاهد وقتادة في آخرين مبسوطاً: وذلك أنّ داود عليه السلام قضى بالغنم لصاحب الحرث بأن يأخذها مقابل ما رعت، بينما قضى سليمان عليه السلام بأن يدفع الزرع إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب منها ويتنفع بها حتى إذا كان الزرع كما كان دفعت الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه. هذا معنى ما قالوا في الآية، ولا يصح شيء فيها مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وانظر: ابن جرير ٥١/١٧، ٥٣، وابن أبي حاتم ٢٤٥٧/٨.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْلِظًا فَنظَرَ نَدِيمًا لَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ، فإنه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قط إلا استجاب الله له .

رواه أحمد رقم ١٤٦٢ ، والترمذي في الدعوات ٣٢٧٦ ، والنسائي في الكبرى ١٦٨/٦ ، والحاكم ٥٠٥/١ بسند صحيح ، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي .

في الحديث أنَّ سؤال الله عزَّ وجلَّ بهذه الآية الكريمة مما ترجى معه الاستجابة ، فمن دعا الله تعالى بذلك وكانت شروط الاستجابة متوفرة استجيب له أو دفع الله تعالى عنه ما هو أعظم ، أو ادَّخر له في الآخرة ما هو خير له وأفضل ، فالداعي لا يخيب أبداً على كل الأحوال ، والآية الكريمة قد اشتملت على الاعتراف لله عزَّ وجلَّ بالوحدانية مع تقدسه وتنزيهه تعالى عما لا يليق به ثم الاعتراف له بالذنب وظلم النفس ، وفي كل ذلك استمطار لرحمة الله ومغفرته .

قوله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ .

عن النواس بن سميان رضي الله تعالى عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداةٍ فذكر الحديث في صفته ولبثه في الأرض وفتنته ثم نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ، ثم قال : « فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى ابن مريم عليه السلام إنِّي قد أخرجت عبداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم فحرز عبدي إلى الطور ، فيبعث الله عزَّ وجلَّ يأجوج ومأجوج كما قال تعالى : ﴿ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ . . . » ، الحديث بطوله .

رواه أحمد ٤/١٨١ ، ١٨٢ ، ومسلم ٦٣/١٨ ، ٧٠ ، والترمذي ٢٠٦٨ ، وابن ماجه ٤٠٧٥ ، ثلاثهم في الفتن .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في السد قال: «يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً فيعيد الله كما مثل ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله واستثنى قال: فيرجعون فيجدونه كهيأته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويفرُّ الناس منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع مُخْضَبَةٌ بالدماء فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء، قسوةً وعلوًّا، فيبعث الله تعالى عليهم نغفاً في أقفائهم فيهلكون، قال: فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض تسمن وتبطر وتشكر شكراً من لحومهم».

رواه أحمد ٥١٠/٢، ٥١١، والترمذي في التفسير ٢٩٤٩، وابن ماجه ٤٨٠، والحاكم، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. وقال البوصيري: إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال ابن كثير: إسناده جيّد قوي.

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾».

رواه أحمد ٧٧/٣ بسند حسن ولا تضرّ هنا عنعنة ابن إسحاق، فالأحاديث بخروج هؤلاء المفسدين مستفيضة.

الحذب، بفتح الحاء: ما ارتفع من الأرض، وقوله: ﴿يَنْسِلُونَ﴾، أي: يسرعون.

والآية الكريمة وما ذكر تحتها من الأحاديث تدل على خروج هذا الجنس من بني آدم على الناس، وأن خروجهم من علامات الساعة، وسيكون ذلك أيام سيّدنا عيسى عليه السلام. وهذا الجنس لا ندري من هم

وأين هم وكيف سيكون خروجهم وحرهم لغيرهم ، فلنؤمن بالقرآن وما جاء في ذلك عن سيّد الأكوان ﷺ ، ولنمسك عما وراء ذلك مما لا نعلم تفصيله وحقيقته . وقد تضاربت آراء العلماء في هؤلاء المفسدين قديماً وحديثاً ، فمن قائل إنهم الروس ، ومن قائل إنهم الصينيون ، ومن . . . ومن . . . فإله تعالى أعلم بهم .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ ، قال عبد الله بن الزبيري : أنا أخصم لكم محمداً ، فقال : يا محمد ، أليس فيما أنزل إليك : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ؟ ، قال : «نعم» ، قال : فهذه النصارى تعبد عيسى ، وهذه اليهود تعبد عزيزاً ، وهذه بنو تميم تعبد الملائكة ، فهؤلاء في النار ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

رواه الطبراني في الكبير ١٢٧٣٩ بسند حسن ، وفي رواية : نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ ، ثم نسختها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ ، رواه البزار ٢٢٣٤ ورجاله ثقات غير شرحبيل بن سعد لم يوثقه غير ابن حبان .

معنى الآية واضح وأن الكفار ومعبوداتهم سيكونون حطب جهنم ، إلا من سبق لهم من الله الحسنى ، كالأنبياء والملائكة والصالحين فإنهم عنها مبعدون . . .

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قام رسول الله ﷺ بالموعظة، فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إليه تعالى حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾»، قال: أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وأنه سيؤتى برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١١٧﴾ إن تعدّ بهم فإثمهم عبادة وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴿١١٨﴾. فيقال: هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

رواه البخاري في التفسير ٥٣/١٠ وفي الرقاق، ومسلم في الجنة والنار ١٩٣/١٧، ١٩٤، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٣، وفي التفسير ٢٩٩٣، والنسائي في الكبرى ٤٠٨/٦ وغيرهم.

الآية والحديث يفيدان أن العباد سيُحشرون من قبورهم على الحالة التي ولدوا عليها وأنه تعالى وعد ذلك وعدًا لا يتخلف. وفي تخصيص الخليل عليه السلام بأول من يكسى فضيلة له خص بها. وما جاء في الحديث من طرد بعض من صاحب النبي ﷺ عن الحوض والأخذ بهم عن طريق أهل الشمال هؤلاء هم الأعراب الذين ارتدوا آخر حياة النبي ﷺ وأيام الصديق رضي الله تعالى عنه، ولا يوجد أحد من الصحابة المخلصين كالمهاجرين والأنصار ارتد أحد منهم أبدًا كما يفتره الشيعة الروافض في قولهم بأن الصحابة كلهم ارتدوا إلا نفرًا منهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على

المشركين، قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة». رواه مسلم في الأدب ١٦/١٥٠.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

رواه الحاكم ٣٥/١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات ١/١٩٢، والدارمي ١٥ عن أبي صالح ذكوان السمان مرسلًا وسنده صحيح، وأورده النور في المجمع ٨/٢٥٧ برواية البزار والطبراني، وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

كانت حياته ﷺ رحمة وموته رحمة، ورحمته عامّة للكافر والمؤمن، فمن آمن به كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم من الاستتصال، فهو ﷺ رحمة أهداها إلينا، فمن قبلها سعد في الدارين، ومن ردها خسر وشقي شقاء لا يسعد بعده أبدًا.

وبهذا تمّت سورة الأنبياء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْحَجِّ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَهَلَّلَى لِلَّهِ وَكَلَّمَ وَبَارَكُوا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَاللَّهُ وَصِيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَعِزُّهُ

هي من السور المدنية جاءت بعد اثنتي عشرة سورة مكيات متواليات، وهي ست وسبعون آية، وأهدافها ذكر التشريع الإسلامي كذكر بعض أحكام الحج والهدايا والأمر بالجهاد، ونحو ذلك مما لا يذكر في السور المكية.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص نجملها في الآتي:

- ١ - ذكر زلزال القيامة حيث تذهل المرضعات عن أطفالهن، وتسقط الحوامل ما في أرحامهن، ويرى الناس لشدة الهول كأنهم سكارى وليسوا بسكارى، آيات ١ إلى ٢.
- ٢ - ذكر صنف من الناس كانوا ولا يزالون يعبدون الله على حرف، فإن رأوا خيراً وعيشاً رغداً اطمأنوا لذلك وثبتوا، وإن أصيبوا بفاقة ونقص في الحياة انقلبوا مرتدين، آية ١١.
- ٣ - بيان الخصمين الذين اختصموا في ربهم، آية ١٩.

- ٤ — بيان أن الله تعالى جعل المسجد الحرام عامًّا للقائمين فيه والآفاقي، آية ٢٣.
- ٥ — ذكر خصيصة من خصائص الحرم، وهو أن مريد الإلحاد فيه معرض لعذاب الله، آية ٢٣.
- ٦ — ذكر أمر الله عزَّ وجلَّ لخليله عليه السلام بالأذان بالحج في الناس، آية ٢٥.
- ٧ — ذكر طواف الإفاضة بالبيت العتيق، آية ٢٧.
- ٨ — بيان أن تعظيم حرَمات الله خير للإنسان عند الله عزَّ وجلَّ، آية ٢٨.
- ٩ — بيان أن تعظيم شعائر الله تعالى من تقوى القلوب، آية ٣٠.
- ١٠ — بيان صفات المُخْتَبِئِينَ، آيتان ٣٢ و ٣٣.
- ١١ — جعل الله البُدن — الهدايا للحرم — من شعائر الله عزَّ وجلَّ، آية ٣٤.
- ١٢ — وعد الله تعالى بدفاعه عن المؤمنين، آية ٣٦.
- ١٣ — ذكر أول آية نزلت في الإذن بالجهاد وقتال الكفار، آية ٣٧.
- ١٤ — الإشارة إلى ما ألقاه الشيطان في قراءة النبي ﷺ وما نسخه الله من ذلك وما أحكمه، آية ٥٠.
- ١٥ — ذكر مثل رائع ضُرب للأصنام في عجزها عن خلق أحسن الحشرات وأصغرها وأضعفها — الذباب — وأنه إن سلبها شيئاً لا تستطيع استنقاذه منه لضعفها، آية ٧١.
- ١٦ — بيان أن الله تعالى سمَّانا المسلمين في الكتب القديمة، وفي هذا القرآن، آية ٧٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّكَ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَأْنٌ عَظِيمٌ﴾ ١

يَوْمَ تَرُودُنَهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ ٢

حَمَلٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال: - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد ﴿٢﴾ وتري الناس سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾»، فاشتد ذلك عليهم قالوا: يا رسول الله، أئنا ذلك الرجل؟ فقال: «أبشروا فإن من أجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل»، قال: ثم قال: «والذي نفسي بيده إنني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده إنني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده إنني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار»، وفي رواية: «أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض».

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير ٥٧/١٠، وفي الرقاق، ومسلم آخر الإيمان ٩٧/٣، ٩٨، وأحمد ٣٢/٣ وغيرهم.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «لما نزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١﴾، إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾»، قال: أنزلت عليه الآية وهو في سفر، قال: «أتدرون أي يوم ذلك؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام: ابعث بعث النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعون في النار وواحد في

الجنة»، فأنشأ المسلمون ليكون، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم في الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير»، ثم قال: «إنني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبروا، ثم قال: «إنني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبروا، ثم قال: «إنني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبروا، قال: لا أدري قال الثلثين أم لا. وفي رواية: «فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتهن بأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني إبليس» قال: فأسري عنهم.

رواه أحمد ٤/٤٣٥، والترمذي ٢٩٦٤، والنسائي في الكبرى ٦/٤١٠، والحاكم ٢٨/١، ٢٢٣/٢، ٣٨٥، ٥٦٧/٤، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي، ولا يضر ابن جدعان في الرواية الأولى. وفي الباب عن أنس رواه ابن حبان ١٧٥٢ بالموارد، والحاكم ١/٢٩، ٥٦٦/٤، ٥٦٧ وصححه، وعن ابن عباس عند الحاكم أيضًا ٤/٥٦٨، وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: الشامة، هي: الخال في الجسد تخالف لونه. وقوله: الرقمة، أي التي تكون في ذراع الدابة، وهما رقمتان في ذراعيها.

وفي حديثي الباب وما معها هول عظيم سيكون يوم القيامة حيث لا يدخل الجنة إلا واحد من ألف، ولا يدري أحدنا من أي القسمين سيكون، نسأل الله تعالى العفو، كما فيهما بشارة للأمم المحمدية حيث إنهم سيحتلون النصف من سكان الجنة، وأن ذلك الواحد من الألف سيكون منهم... والخاسرين الهالكين الباقين سيكونون من أجوج ومأجوج وغيرهم من الكافرين وبني إبليس،

جعلنا الله تعالى من أشرف سكان الجنة وأكرمهم لديه .

قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ
ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ
وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ
شَيْئًا وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ
رَوْحٍ بَهِيجٍ ﴿٥٥﴾

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً نُطْفَةٌ ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يرسل الله الملك ، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد ، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

رواه أحمد ١/٣٨٢ ، ٤٣٠ ، والبخاري في بدء الخلق وفي القدر ١٤/٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ومسلم ١٦/١٩٠ ، ١٩٢ ، والترمذي ١٩٦٩ ، وأبو داود ٤٧٠٨ ، وابن ماجه ١٩ ، كلهم في القدر .

العلقة : دم جامد مثل علقه الماء . والمضغة ، بضم الميم : القطعة اليسيرة من اللحم بقدر ما يمضغ . وفي الآية والحديث بيان للأطوار التي يمر عليها الإنسان في نشأته في رحم أمه ، وأنه يكتب عليه في بطن أمه رزقه

وأجله وعمله وحالته من سعادة أو شقاوة، وهذه الكتابة كالتأكيد للكتاب الأول وإعلام للملائكة . . .

وفي الحديث دليل على أن كل شيء بقدر، وأن العبرة بما سبق في علم الله وما كتبه في اللوح المحفوظ، وعلى ذلك تكون الخاتمة، والأعمال الظاهرة لا تدل على السعادة أو الشقاوة على إطلاقها، غير أن الغالب على ما يظهر من الأعمال، وقد تتخلف فتقلب الأعمال كما في الحديث: وقد قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خُلق له»، وانظر على هذا الحديث: شرح النووي على مسلم ١٦/١٩٢، فإن له فيه كلامًا نفيسًا.

أما الآية الكريمة، فقد جاءت تثبت وقوع البعث والنشور وتبيين للمنكرين عظمة القدرة الإلهية في الخلق والإيجاد، وبالأخص في هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى أولاً من تراب جامد ثم جعل تناسله من نطفة مني فعلاقة فمضغة . . . فالذي خلقه على هذه الأطوار حتى كان إنساناً سوياً حياً عاقلاً . . . أو ليس سبحانه بقادر على أن يحييه ويبعثه من جديد؟ بلى وربى، ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾، قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

رواه البخاري في التفسير ٥٨/١٠. ورواه ابن جرير ٢٧/٢٢، وابن أبي حاتم ٢٤٧٦/٨، والسياق له، ولفظه: كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدد وعام ولاد سوء وعام

قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله على نبيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾.

قال ابن جرير: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ - على شك - ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾، وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾، يقول: استقر بالإسلام وثبت عليه، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ يقول: ارتدَّ فانقلب على وجهه، الذي كان عليه من الكفر بالله تعالى. وهذا الصنف من الناس يوجد في كل العصور والأجيال.

قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رِيبِهِمْ﴾.

﴿١١﴾

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»، قال قيس بن عبّاد: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رِيبِهِمْ﴾، قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

رواه البخاري في المغازي ٢٩٨/٨، وفي التفسير ٥٩/١٠، والنسائي في الكبرى ٤٠١/٦، ومثله عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه رواه البخاري في المصدرين، ومسلم آخر الكتاب ١٦٦/١٨، والنسائي في الكبرى ٤٠١/٦، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٣٥.

المراد بالخصمين: الفريقان، فريق أهل الإيمان، وهم: علي وصاحباؤه؛ وفريق أهل الكفر، وهم: شيبة وأخوه وابن أخيه، وخصامهم هو معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربتة إياه على دينه، وقول الإمام علي: «أنا أول من يجثو للخصومة»، أي: يقعد على ركبته مخاصمًا. قال العلماء: والمراد بهذه الأولوية تقييدها بالمجاهدين من هذه الأمة، لأنَّ المبارزة المذكورة هي أول مبارزة وقعت في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ﴾ ﴿٢٠﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْحَمِيمَ
لِيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْجَمِجِمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي
جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ».

رواه الترمذي في صفة جهنم ٢٣٩٩، وابن جرير ١٣٣/١٧، وابن أبي حاتم
٢٤٨١/٨، وسنده صحيح، وصححه الترمذي.

الحميم: هو الماء البالغ النهاية في الحرارة. وقوله: فينفذ، أي:
يدخل. ويخلص، بضم اللام، أي: يصل. فيسلت، أي: يمسح ويقطع.
والصهر بفتح الصاد المشددة ثم هاء مفتوحة: هو الإذابة.

ومعنى الآية والحديث أَنَّ الْكُفَّارَ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ
الماء الحار فيدخل في جمجمة رؤوسهم حتى يصل إلى أجوافهم فيذوب ما
في بطونهم من الشحوم وتشوى جلودهم من ذلك فتساقط، عيادًا
بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يُحْكَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ
فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت خليلي ﷺ يقول:
«تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءَ».

رواه أحمد ٣٧١/٢، ومسلم في الطهارة ١٤٠/٣، والنسائي في الكبرى ٩٥/١،
وأبو يعلى الموصلي ٣٨٢/٥، وغيرهم.

الحلية بكسر الحاء: ما يُتَحَلَّى بِهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. والحديث مبين
للمواضع التي يحلى فيها المؤمن من أعضائه في الجنة، وهي ما يغسل من

الأعضاء كاليدين إلى المرفقين أو أعلى، والرجلين إلى ما فوق الكعبين، فتكون له أساور ودمالج من معصمه إلى نهاية ما كان يغسله من يديه ويلبس أيضًا خلاخل في رجله كذلك.

وعن سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبسه - يعني الحرير - في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

رواه البخاري ٤٠١/١٢، ومسلم ٤٤/١٤ كلاهما في اللباس، والنسائي في الكبرى ٤١١/٦، وفي الزينة من المجتبى.

فيه أنّ لباس أهل الجنة حرير وليس صوفًا ولا كتّانًا ولا وبرًا ولا قطنًا... ولا غيرها من لباس الدنيا. كما فيه أنّ من آثر لبسه في هذه الحياة وتمتع به حرم لبسه في الآخرة، وفي ذلك حرمان عظيم لأنه يدل بمضمونه على أنّه لا يدخل الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلٌ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلٌ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قال: لو أنّ رجلاً أراد فيه بالحداد بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله العذاب الأليم.

رواه أحمد رقم ٤٠٧١، وابن جرير ١٤١/١٧ بسند صحيح على شرط مسلم وحكمه الرفع... وأورده النور في المجمع ٧٠/٧ برواية أحمد، وأبي يعلى ٥٣٨٤، والبخاري ٢٢٣٦، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

أصل الإلحاد: الميل، وفي الشرع الإسلامي: الميل عن الدين، وهو في الآية والأثر: الهم بالسوء والمعصية في الحرم المكي، وهذا من خصائص الحرم، فإنّ مثل هذا لم يرد في غيره، ولذلك كان كثير من الصالحين يتوقون سكنى مكة المكرمة، طلبًا للسلامة وخوفًا من هذا الوعيد،

ومع هذا فالتوبة معروضة، وفضل الله واسع، ورحمته وسعت كل شيء، ولا يقنط من رحمة ربه إلا الخاسرون.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢٩).

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّهُ لَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِ جَبَّارٌ».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٦٥ موصولاً ومرسلاً. وروى الموصول الحاكم ٣٨٩/٢ وصححه على شرط البخاري.

ومعنى الحديث أن الله عزَّ وجلَّ حفظ هذا البيت من الجبابرة فلم يسلطوا عليه حتى يُهدِّموه مثلاً ويقطعوا أثره؛ حتى يأتي وقت انقضاء مهمته، وذلك بعد انقراض المؤمنين الذين كانوا يستقبلونه ويحجونه فيأتي ذو السُّوَيْقَتَيْنِ الْحَبَشِيِّ فيهدمه حجراً حجراً كما جاء في الصحيح. والمراد بالطواف المأمور به هنا في الآية: طواف الإفاضة بالانفراق.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير ما رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرِّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ».

رواه أحمد ٣/٣٥٠، ٣٣٦، والنسائي في الكبرى ٤١١/٦، وأبو يعلى ٢٢٦٦ بسند صحيح، وأورده النور ٤/٣٠٣ برواية أحمد، وكبير الطبراني وقال: إسناده حسن.

وفي الحديث بيان أن البيت العتيق هو الكعبة المكرمة، وأنه مع المسجد النبوي أشرف وأفضل ما شُدَّتْ إِلَيْهِمَا الرِّحَالُ لِلصَّلَاةِ فِيهِمَا وزيارتها.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (٣٦).

عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم

عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث لِيَسَّعَ ذُوو الطُولِ عَلَى مَنْ لَا طَوْلَ لَهُ، فَكَلُوا ما بَدَا لَكُمْ، وَأَطْعَمُوا وَاذْخَرُوا».

رواه مسلم في الجنائز وفي الأضاحي ١٣/١٣٥، وفي الأشربة، وأبو داود فيه ٣٦٩٨، والترمذي ١٣٧٩، والنسائي في المجتبى ٧/٢٠٦، ٢٠٧، وابن ماجه ٣٤٠٥، كلهم في الأضاحي. ورواه البخاري في الأضاحي ١٢/١٢١ عن سلمة بن الأكوع، وفيه: «كلوا وأطعموا وادخروا»، وفي مسلم ١٣/١٣٠، ١٣١ عن عائشة، وفيه: «فكلوا وادخروا وتصدقوا»، ورواه أيضًا عن جابر وأبي سعيد وغيرهما.

القانع: المستغني بما أعطي وهو في بيته متعفف. والمعتر: السائل، الذي يتعرّض لمن يعطيه. والآية مع الحديث يدلّان على مشروعية الأكل من الهدايا والأضاحي، والتصدّق ببعضها، ولا خلاف في ذلك، وإنما الخلاف في الوجوب وعدمه.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾.



عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرِجُوا نَبِيَهُمْ! لِيَهْلِكُنَّ!! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال.

رواه أحمد ١٨٦٥، والترمذي ٩٦٦، والنسائي ٦/٤١١، والحاكم ٢/٣٩٠، ثلاثهم في التفسير، وسنده صحيح عند أحمد والنسائي، وصحّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَلَكَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ

يَنْصُرُهُٓ رَبُّكَ اللَّهُ لَقَوِيٍّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ، ثم أذن بالقتال في آي كثيرة من القرآن .

رواه النسائي في الكبرى ٤١١/٦ بسند صحيح .

الجمهور على أن هذه الآية هي أول آية نزلت بالإذن في قتال الكفار وهو ظاهر الحديثين . ومعنى الآية الكريمة : أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار في القتال بسبب أنهم ظلموا من طرفهم حيث كانوا بمكة يؤذونهم ويضربونهم ، وربما قتلوا بعضهم ، فكان النبي ﷺ يأمرهم بالصبر ، وكان القرآن ينزل بالصفح عنهم وترك قتالهم ، فلما هاجروا إلى المدينة نزلت الآية الكريمة تأذن لهم في القتال .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

﴿٤٧﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام ، نصف يوم» . وفي رواية : «وهو خمسمائة» .

رواه أحمد ٥١٣/٢ ، والترمذي في الزهد ٢١٧٤ ، وابن ماجه ٤١٢٢ ، وابن حبان ٢٥٦٧ بالموارد ، وسنده صحيح ، وحسنه الترمذي وصححه . ورواه ابن جرير ١٨٣/١٧ موقوفاً ، وفيه : قيل له : وما مقدار نصف يوم؟ قال : «أَوْ مَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قلت : بلى ، قال : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

الحديث مبين لليوم في الآية ، وأن يوم الآخرة ألف عام ، وهذا إنما هو تقريب لعقولنا فقط وإلا فالآخرة ليس فيها أيام كأيامنا في هذه الدنيا ، لأنها هنا تنشأ عن سير الشمس ، والآخرة ليس فيها شمس ولا قمر ، فالواجب الإيمان بما قال الله ورسوله ﷺ مما لا تحتمله عقولنا أو ما نراه مخالفاً لواقعنا ، لأن ذلك من عالم الغيب الذي لا نعلمه ، والقيامة فيها مشاهد .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ

﴿٧٣﴾

اجْتَمَعُوا لَهُمْ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة». وفي رواية: «فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة».

رواه أحمد ٣٩١/٢، ٤٥١، ٥٢٧، والبخاري في اللباس وفي التوحيد ٣٢٠/١٧، ومسلم في اللباس ٩٤/٩٣/١٤، وغيرهم.

ومن أظلم، أي: لا أحد أظلم ممن... إلخ. وفي الحديث تحريم التصوير، لأنَّ ذلك مشاركة لله عزَّ وجلَّ في إيجاد خَلْقٍ لا يقدر على خلقه إلاَّ الله، فالإنسان وغير الإنسان من أي خلق كان لا يستطيع خلق أصغر شيء مما في هذا الكون لا ذرة ولا حبة ولا شعيرة ولا أي شيء، فالكل خلق الله وعبيده... ولذلك نفى الله تعالى عن الأصنام إيجاد ولو ذبابة حتى ولو اجتمعوا كلهم على ذلك، فإنه إذا كان الأحياء عاجزين عن ذلك فكيف بالجمادات.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.



عن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جُنَى جهنم»، قال: يا رسول الله، وإن صام وصلَّى؟ قال: «نعم، وإن صام وصلَّى، فادعوا بدعوى الله التي سمَّكم الله بها المسلمين المؤمنين عباد الله».

رواه أحمد ١٣٠/٤، ٢٠٢، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٤، والنسائي في الكبرى ٤١٢/٩، وابن خزيمة ١٨٩٥، وابن حبان ١٢٢٢، ١٥٥٠ بالموارد، وأبو يعلى ١٥٧١، والحاكم ١/١٧٧، ١١٨، ٤٢١، ٤٢٢، مطوَّلاً ومختصراً، وحسنه الترمذي وصحَّحه كما صحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

قوله: من جُنَى جهنم، أي: من جماعات أهل جهنم، وهو جمع جُنوة بضم الجيم، وهو الشيء المجموع.

والحديث مبين للآية الكريمة. وأما وأن قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الضمير يعود على الله عزَّ وجلَّ، فهو الذي سمَّانا مسلمين مؤمنين عباد الله في الكتب القديمة وفي هذا القرآن، وهذا القول هو الصحيح الراجح، وبه فسَّره ابن عباس وغيره من السلف، وعليه مشى ابن جرير رحمه الله تعالى.

وبهذا نجز الكلام على سورة الحج، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ.

* * *

﴿سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْآتَى اللَّهَ وَرَأْسَهُ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعِزِّهِ

هي من السور المكية جاءت بين سورتين مدنيتين: الحج قبلها، والنور بعدها. وأهدافها نفس أهداف السور المكية، غير أن محورها الذي تدور عليه هو إقامة البراهين على البعث والنشور، وذكر الآيات الكونية الدالة على ذلك، وبيان آثار قدرة العلي القدير في الإنسان والحيوان والنبات والنخيل والأعشاب والزيتون والرمان والفواكه، وغير ذلك مما يشاهده الإنسان في هذا الكون الفسيح.

من خصائص هذه السورة

- ١ - أمر الله رسله عليهم الصلاة والسلام بالأكل من الطيبات وأن يعملوا صالحًا، آية ٥١ .
- ٢ - ذكر الله تعالى فيها آيات تحتوي على صفات خاصة، وصف بها فرقة من أصناف المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ . . . ﴾، آيات ٥٧ - ٦١ .
- ٣ - الإخبار بأن الأنساب ستنتقطع يوم القيامة بين الكفار، آية ١٠١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: يا أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خلقه القرآن، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١، حتى انتهت إلى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٩ .

قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ .

رواه البخاري في الأدب المفرد ٣٠٨، والنسائي في الكبرى ٤١٢/٦، والحاكم ٣٩٢/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وشطره الأول في صحيح مسلم كما يأتي في سورة القلم.

والحديث يدل على أن النبي ﷺ كان متخلقًا بأخلاق القرآن أمرًا ونهيًا... فكانت أخلاق القرآن متمثلة في أخلاقه ﷺ .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ .

وفي رواية: «خلق الله جنة عدن بيده ودلّى فيها ثمارها، وشقّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١، فقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل» .

رواه الطبراني في الكبير ١٢٧٢٣، وفي الأوسط ٥٦٤٨، قال المنذري بعد أن عزاه

إليهما: بإسنادين أحدهما جيد. وقال النور في المجمع رقم ١٨٦٣٩: وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد. وللحديث شاهدان: عن أبي سعيد الخدري، رواه البزار. وعن أنس، رواه ابن أبي الدنيا كما في تفسير ابن كثير، فالحديث أقل أحواله أن يكون حسناً.

في الحديث دلالة على سعادة المؤمنين وفلاحهم وأن الجنة قد هيئت لهم فهي في انتظارهم، وفيه ذم البخيل وأنه بعيد من الجنة، كما جاء في حديث عند الترمذي.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». رواه البخاري في الجهاد ٣٥٢/٧، وفي التوحيد ١٧/١٨٦.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن الرُّبَيْع بنت النضر رضي الله تعالى عنها أتت النبي ﷺ، وكان ابنها حارثة بن سراقه كان أصيب يوم بدر، أصابه سهم غرب، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: أخبرني عن حارثة، لئن كان أصاب خيراً احتسبتُ وصبرْتُ، وإن لم يصب الخير اجتهدت في الدعاء، فقال نبي الله ﷺ: «يا أم حارثة إنها جنان في جنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها».

رواه أحمد ٣/١٢٤، ٢١٠، ٢١٥، ٢٦٠، وفي مواضع، والبخاري في الجهاد ٣٦٦/٧، ٣٦٧، والترمذي في التفسير ٢٦٩٨، وغيرهم.

سهم غرب، بسكون الراء، أي لا يعرف مصدره. والربوة هي كل موضع مرتفع.

وقوله في حديث أبي هريرة مائة درجة، ظاهره أن هذا العدد هو نهاية درج الجنة، غير أنه قيّد هنا بأنها أعدت للمجاهدين فتكون هنالك درجات آخر غيرها أعدت لغيرهم أيضاً، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وصححه أنه «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». ولا شك أن عدد آي القرآن أكثر من ستة آلاف وكلها منازل يقطعها حامل القرآن إن شاء الله تعالى، وعلى كلّ فهذه أمور غيبية حسبنا الإيمان بها.

وفي الحديثين أن جنة الفردوس هي أوسط الجنة وأعلاها وأفضلها، وقد أخبر تعالى في هذه الآيات أنه جعلها إرثاً لهؤلاء المؤمنين الذين وصفهم بالصفات المذكورة وهي الإيمان، والخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفرج، ومراعاة الأمانات والعهد، والمحافظة على الصلوات، فمن أحرز هذه الصفات وتخلق بها كانت الفردوس إرثاً له.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسودُ وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك».

رواه أحمد ٤/٤٠٦، وأبو داود ٤٦٩٣، والترمذي ٢٧٦٣، وحسنه وصحّحه، وقد تقدّم في أول البقرة، والسلالة هي الخلاصة والصفوة استلّت من الطين، وسُمّيت سلالة لأنه سل من كل تربة الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ﴾ ﴿٢١﴾

لِلْأَكْلَيْنِ ﴿٢١﴾

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

رواه الترمذي في الأُطعمة ١٦٩٦، وفي الشُمائل ١٥٩، وابن ماجه ٣٣١٩،
والحاكم ٤/١٩٥، وصحَّحه على شرطهما وأقره الذهبي.

وللحديث شواهد أحسنها حديث أبي أسيد، رواه أحمد والترمذي ١٦٩٧، وفي
الشُمائل ١٥٩، والحاكم ٢/٣٩٧، ٣٩٨، وصححه ووافقه الذهبي، فالحديث حسن
أو صحيح.

والحديث مبين للشجرة المذكورة وأنها شجرة الزيتون وكانت مباركة،
ذلك لما فيها من المنافع وأعمها وأعظمها منفعة الزيتون وزيته، فإنهما من
أعظم نعم الله عزَّ وجل علينا، وفي الزيت منافع طبيَّة وصحيَّة إضافة إلى أنه
إدام، ولذلك أرشدنا النبي ﷺ إلى أكله والادِّهان به.

وقوله تعالى في الآية: ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ أي الزيت، ﴿ وَصَبِغٌ
لِللَّالِكِينَ ﴾ ٢٠، أي وإدام للآكلين. وسُمِّي الزيت صبغًا، لأنه يلون الخبز إذا
غمس فيه.

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴾ ٥١.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله
تعالى طيب، لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به
المرسلين، فقال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾، وقال
تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
إِنِّيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر
يُمَدُّ يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه
حرام، وغذي بالحرام، فأنتى يُستجاب لذلك».

رواه أحمد ٢/٣٢٨، ومسلم في الزكاة ٧/١٠٠، والترمذي في التفسير ٢٧٩٨،
والدارمي في الرقاق وغيرهم.

هذا الحديث يعد من قواعد الإسلام. وفيه أن الله تعالى لا يقبل من الأقوال والأعمال إلاّ الطيب الخالص له تعالى، وأن الرسل وأتباعهم كلهم في الأحكام سواء، وفيه أن من كان كسبه خبيثاً لا يستجاب له دعاؤه، بل ولا يقبل منه أي عمل ولو بلغ ما بلغ في التقشف وإطالة السفر في تعاطي القربات، والتظاهر بالتواضع والتذلل؛ فإن الأصل ضائع وهو طيب اللقمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيٰرَاتِ وَهُمْ لَهَا سِٰٔقُونَ ﴿٦١﴾﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾ الآية، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلّون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيٰرَاتِ وَهُمْ لَهَا سِٰٔقُونَ﴾.

وفي رواية: أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟

رواه أحمد ١٥٩/٦، ٢٠٥، والترمذي رقم ٢٩٦٩، بهذيبي، وابن ماجه ٤١٩٨، وابن جرير ٣٤/١٨، والحاكم ٣٩٣/٢، ٣٩٤، وصحّحه ووافقه الذهبي، والانقطاع وصله ابن جرير.

معنى الآية والحديث المفسّر لها في الجملة: إن الذين هم من جلال الله وعظمته خائفون، ومن خوف عذاب الله حذرون، والذين هم بآيات الله التشريعية والكونية يؤمنون ولا يشركون مع الله أحداً، بل يخلصون العبادة له وحده، والذين يعطون العطاء من زكاة وصدقة، ويتقربون بأنواع القربات، وأفعال البر والخير، ومع ذلك هم يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم، فهم

دائمًا خائفون وجلون . . . قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا .

قال بعض الأكابر: إن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن، فالصفة الأولى دلّت على حصول الخوف الشديد، والثانية دلّت على التصديق بوحداية الله تعالى، والثالثة دلت على ترك الرياء في الطاعات، والرابعة دلّت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقام الصديقين، رزقنا الله تعالى التحقق بها والوصول إليها آمين .

قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما كره السّمَرَ حين نزلت هذه الآية: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ ﴿١٧﴾، قال: مستكبرين بالبيت، يقولون: نحن أهله، سامرًا قال: كانوا يتكبرون ويسمرون فيه فلا يعمرونه ويهجرونه .

رواه النسائي في الكبرى ٤١٢/٦، والحاكم ٣٩٤/٢ وصحّحه ووافقه الذهبي .

هذا بعض ما قيل في تفسير الآية، وهو أن كفار قريش كانوا يفتخرون بالبيت ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا به، وكانوا يسمرون فيه ويهجرونه ولا يعمرونه، وكانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز، يعني الوبر والدم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ . . .﴾ الآية .

رواه النسائي في الكبرى ٤١٣/٦، وابن حبان ١٧٥٣، بالموارد بسند حسن، وله طرق يصحح بها، وأصله في الصحيحين كما يأتي في سورة الدخان إن شاء الله تعالى.

العلّز، بكسر الهاء وسكون اللام ثم هاء مكسورة آخره زاي، هو: خلط الدم بوبر الإبل ثم يشوى فيؤكل.

ومعنى الآية الكريمة: ولقد ابتليناهم بأنواع من المصائب والشدائد والقحط والجوع، ومع ذلك فلم يتّعظوا وما خضعوا لله ولا تواضعوا لجلاله وما دعوا ربهم وتضرعوا إليه لكشف ما بهم من بلاء، بل تمادوا واستمروا على عتوهم وعنادهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع: «بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

فكان عبد الله يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه.

رواه أحمد ١٨١/٢، وأبو داود ٣٨٩٣، والترمذي في الدعوات ٣٢٩٣، وحسنه وصحّحه الشيخ أحمد شاکر في شرح المسند رقم ٦٦٩٦، والحديث حسن كما قال أبو عيسى: كما بينت ذلك في تهذيب الجامع. وللمرفوع منه شاهد عن الوليد بن الوليد. رواه أحمد ٥٧/٤، و٦/٦.

همزات جمع همزة، وهمزات الشيطان: كيده ووساوسه ونزغاته، أو صرعه.

وفي الآية الكريمة الأمر لنبيه ﷺ ولأمته بالتبعية له، بالاعتصام بالله

والاحتماء به من وساوس الشيطان ومغرياته على المعاصي والباطل،
والالتجاء إليه تعالى من حضوره عنده، عياداً بالله منه.

أما الحديث فيدل على مشروعية ذكر هذه الاستعاذة عند النوم لمن
يفزع أو يخشى ذلك، وفِعْلُ ابن عمرو رضي الله تعالى عنه يدل على جواز
تعليق ما فيه قرآن أو ذكر لله أو استعاذة به دفعاً للآفات، وبه قال جمهور
الأئمة والعلماء على سائر المذاهب ونصوصهم في ذلك كثيرة، وليس هذا
من التماثل المنهي عنها كما يوهمه قول البعض.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه سمع عمر رضي الله تعالى عنه يقول
للناس حين تزوج ابنة علي رضي الله تعالى عنهما: ألا تُهْتُونِي؟! سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي
ونسبي».

رواه الطبراني في الكبير ٢٦٣٣، ٢٦٣٤، والحاكم ١٤٢/٣، والبيهقي ١١٤/٧،
وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١٩٩/١ وغيرهم. قال النور في المجمع ٢٧١/٤، ٢٧٢،
و ١٧٣/٩: رجاله، - يعني الطبراني - رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو
ثقة، وللحديث مع ذلك شواهد عن ابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، والمسور بن
مخرمة وغيرهم.

الآية الكريمة تدل على أن كل الأنساب تنقطع يوم القيامة، فلكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو جاز
عن والده شيئاً. لكن الحديث الشريف خصَّ الآية الكريمة بأن نسب
النبي ﷺ لا ينقطع، وأنه موصول في الدنيا والآخرة، وهذا ما دعا سيدنا
عمر رضي الله تعالى عنه إلى مصاهرة علي رضي الله عنه بزواجه من حفيدة
النبي ﷺ أم كلثوم بنت علي رضي الله تعالى عنهما لتكون له صلة

بالنبي ﷺ يوم القيامة، وهذا من خصائصه ﷺ وفضل آل بيته والانتساب إليهم بأي صلة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾، قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته.

رواه أحمد ٣/٨٨، والترمذي ٢٩٧٠، والحاكم ٢/٣٩٥، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذلك لشاهد له عن ابن مسعود، أورده النور ٧/٧٣ برواية الطبراني في الكبير ٩١٢١، وقال: رجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

قوله: كالحون، أي عابسون قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم، أي انزوت وارتفعت. وفي الآية والحديث بيان بعض مشاهد أنواع عذاب الكفار في جهنم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتحت خبير أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود»، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقوني فيه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: فلان، قال رسول الله ﷺ: «كذبتهم، بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت وبررت، قال: «هل أنتم صادقوني عن شيء إذا سألتكم عنه؟» قالوا: نعم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً...» الحديث.

رواه أحمد ٤٥١/٢، والبخاري في الجزية، وفي المغازي رقم ٤٣٤٩، وفي الطب ٥٧٧٧، والنسائي في الكبرى ٤١٣/٦ . .

قوله: اخسأوا فيها . . . الخاسيء: المبعد المطرود والصاغر الذليل، فكل طوائف الكفار مطرودون من رحمة الله مبعدون عن دار الكرامة خاسئون في جهنم، فإذا قالوا: «ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون»، أجابهم الله عزَّ وجل بقوله: ﴿ اٰخَسَّوْا فِيْهَا وَلَا تَكَلِّمُوْنَ ﴾.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة المؤمنون، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ النُّورِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَمَّ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَصَّيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَعَزْبُهُ

هذه السورة العظيمة من السور المدنية، وهي أربع وستون آية، وقد اختصت بالحديث عن أحكام الأسرة، وعلاج شؤون النساء وذوات البيوت، وأفاضت في ذلك نوعاً ما، وذكرت لهن من الأحكام ما لم يذكر في غيرها، وهذا بالإضافة إلى ما فيها من أحكام تشريعية أخرى.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر حد الزنا بالنسبة لمن لم يحصن من الذكور والإناث، آية ٢.
- ٢ — بيان أن الزاني لا يرغب في التزويج إلا من زانية أو مشركة، وكذا العكس، آية ٣.
- ٣ — ذكر حد القذف والظعن في أعراض الأبرياء، آية ٤.
- ٤ — بيان حكم اللعان بين الزوجين إذا وقع قذف من الزوج ولم يتوفر على بيّنة عادلة كاملة، ولم يقع اعتراف من الزوجة... آيات ٦ — ٩.
- ٥ — ذكر حادث الإفك، وقذف السيّدة الطاهرة مولاننا عائشة رضي الله

تعالى عنها، وبيان ما أنزل الله في براءتها من القرآن وما جاء في ذلك،
آيات ١١ إلى ٢٦ .

- ٦ — بيان حكم الاستئذان عند إرادة دخول بيوت الآخرين، آية ٢٧ .
- ٧ — الأمر بغض الأبصار من الجنسين الذكر والأنثى، آية ٣٠ .
- ٨ — نهى النساء عن إبداء زينتهن، وبيان من يباح لهم الاطلاع عليهن،
آية ٣١ .
- ٩ — أمر المسلمين بتزويج الأيامي الذين لا أزواج لهم، آية ٣٢ .
- ١٠ — مشروعية مكاتبة العبيد، آية ٣٣ .
- ١١ — النهي عن إكراه الإماء على الزنا على ما كان من عادات الجاهلية،
آية ٣٣ .
- ١٢ — ذكر نور الله وبيان مثله في قلب المؤمن، آية ٣٥ .
- ١٣ — ذكر الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . . . آية ٣٧ .
- ١٤ — بيان تنوع مشي المخلوقات، فمنهم من يمشي على بطنه . . .
آية ٤٥ .
- ١٥ — موقف المنافقين والمؤمنين من حكم الله تعالى عليهم، آيات ٤٧ إلى
٥٢ .
- ١٦ — وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم . . .
آية ٥٥ .
- ١٧ — بيان الاستئذان في العورات الثلاث، آية ٥٨ .
- ١٨ — حكم القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا، آية ٦٠ .
- ١٩ — رفع الحرج عمَّن يأكل من بيوت خواص أهله . . . آية ٦١ .
- ٢٠ — نفي الحرج عن الاجتماع أو التفرُّق عند الأكل . . . آية ٦١ .
- ٢١ — بيان وجوب استئذان الصحابة الرسول في الانصراف . . . آية ٦٢ .

٢٢ - وجوب احترام الرسول وتعظيمه عند ندائه، آية ٦٣ .

٢٣ - بيان أن مخالفة الرسول توجب الفتنة أو العذاب الأليم، آية ٦٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ .

عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قالوا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنشدك إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفضه منه: نعم، واقض بيننا بكتاب الله واذن لي، فقال رسول الله ﷺ: «قل»، فقال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته، وإنني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبوليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليد والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فارجمها، فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها فرجمت...»

رواه أحمد ١١٦/٤، والبخاري رقم ٦٨٢٧، ٦٨٢٨، ٦٨٣١، ومسلم ١٦٩٧، ١٦٩٨، وأبو داود ٤٤٤٥، والترمذي ١٤٣٣، والنسائي في الكبرى ٤١٤/٦، وفي المجتبى وابن ماجه ٢٥٤٩، كلهم في الحدود. ورواه البخاري في الوكالة وفي الشهادات وفي الشروط وفي الأحكام وفي أخبار الآحاد ٧٢٥٨، ٧٢٥٩... .

العسيف: هو الأجير. والوليدة: الأمة.

وفي الآية نص صريح في جلد الزاني والزانية مائة جلدة، وقيدتها السنة بالبكر وزادت تغريب عام، فمن أنكر الحكم فليس من المسلمين في شيء، ومن اعترف به واستبدله بغيره من قوانين البشر كان كافراً ظالماً فاسقاً

كما نطق الله تعالى بذلك في سورة المائدة، ويبقى بعد ذلك هل هو كافر خارج عن الملة أم هو كافر دون كفر كما يقول الجمهور. وفي الحديث العمل بخبر الواحد، وأن الاعتراف والإقرار معمول به في إقامة الحدود، وأن المرأة المحصنة ترحم إذا زنت، ولا خلاف في ذلك إلا ما أنكره الخوارج.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق. وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحتمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط، فلما انتهت إليّ عرفت، فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هلّم فبت عندنا الليلة، قلت: يا عناق، حرّم الله الزنا، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحتمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخدمة فانتهيت إلى غار أو كهف، فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظلّ بولهم على رأسي وعمّاهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقیلاً حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه أكبله، فجعلت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عناقاً - مرتين - ، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشرقة... فلا تنكحها».

رواه أبو داود ٢٠٥١، والترمذي ٢٩٧١ في التفسير، والنسائي ٣٢٢٨، وابن

أبي حاتم ٢٥٢٦/١، والحاكم ١٦٦/٢، والبيهقي ٥٣/٧، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله طريق آخر باختصار، وسُميت المرأة أم مهزول، رواه أحمد ١٥٩/٢، والنسائي في الكبرى ٤١٥/٦، وابن أبي حاتم ٢٥٢٥/٨، والحاكم ١٥٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: أَكْبَلُهُ، بضم الباء وفتح اللام: جمع كبل، وهو القيد. وفي الآية الكريمة دليل على أن الزاني لا يرغب في التزويج إلا بزانية مثله أو بمشركة، ولا يرغب في العفيفة ذات الحشمة، وهكذا الزانية، وكل ذلك محرّم كما هو أصح أقوال العلماء لظاهر الآية الكريمة، ولقوله ﷺ لمرثد: «لا تنكحها».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحْدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال رسول الله ﷺ: «البينة وإلا حد في ظهرك»، قال: فقال هلال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا رجلاً على امرأته أيلتمس البينة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك»، قال: فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنني لصادق، ولينزلن في أمري ما يبريء ظهري من الحد، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحْدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾، فقرأ إلى أن بلغ: ﴿وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

قال: فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاءا، فقام هلال بن أمية فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدهما كاذب، فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿١٠﴾ ، قالوا لها: إنها موجبة، فقال ابن عباس: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَسَتْ حتى ظننا أن سترجع، فقالت: لا أَفْضَحُ قومي سائر اليوم، فقال النبي ﷺ: «أَبْصِرْوها فَإِنْ جَاءَتْ به أَكْحَلُ العَيْنِينَ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَجَ السَّاقِينَ، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لنا ولها شأن».

رواه البخاري في التفسير ١٠/٦٥، ٦٦ وفي اللعان، وأبو داود ٢٢٥٤، ٢٢٥٦، والترمذي في التفسير ٢٩٧٣، وابن ماجه ٢٠٦٧ وغيرهم.

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، أَنَّ عُوَيْمِرًا — العجلاني — جاء فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أَيْقَتُلُهُ فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك»، فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فتلاعنا، فقال: يا رسول الله، إِنَّ حَبْسَها فقد ظلمتها فطلقها فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين، ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا، فَإِنْ جَاءَتْ به أَسْحَمَ أَدْعَجَ العَيْنِينَ، عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَجَ السَّاقِينَ، فلا أحسب عويمراً إلاَّ قد صدق عليها، وَإِنْ جَاءَتْ به أُحَيْمِرَ كأنه وَحَرَةٌ فلا أحسب عويمراً إلاَّ قد كذب عليها، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد ينسب إلى أمه».

رواه البخاري في التفسير ١٠/٦٤، وفي اللعان ١١/٣٧٣، وفي مواضع، ومسلم في اللعان رقم ١٤٩٢، وأبو داود ٢٢٤٥، والنسائي ٦/١٧٠، ١٧١ في بدء اللعان. وفي الباب عن ابن مسعود في صحيح مسلم، وعن ابن عمر عند أحمد والترمذي والنسائي...

قوله: فتلكأت بفتحات مع تشديد الكاف، أي: توقفت وتباطأت أن تلاعن. وقوله: أسحم، أي: أسود. وقوله: خدلج، بفتحات مع تشديد

اللام، أي: عظيم الساقين. وقوله: أحيمر... إلخ: هو تصغير أحمر. والوَحْرَة، بفتحات، هي: دويبة تلزق بالأرض.

وظاهر الحديثين أن آية اللعان نزلت بسبب هلال بن أمية وعويمر العجلاني معاً، وقد اختلف في ذلك، فقالت طائفة: إنها نزلت في شأن عويمر، ورجّحت طائفة أخرى أنها نزلت في شأن هلال، ورجح آخرون أنها نزلت فيهما معاً وتكرّر نزولها، والله أعلم.

وعلى كلّ فقي الحديثين بيان حكم اللعان الوارد في القرآن، وهو أن يتلاعنا - كل من الزوجين - إذا قذف الزوج زوجته بالزنا ولم يكن له شهود يشهدون له بذلك، فيحضران عند الحاكم الإسلامي فيحلفان بداية من الزوج فيقول: بالله الذي لا إله إلا هو أنني لصادق وهي كاذبة، يقولها أربع مرّات، وفي الخامسة يقول: وإن كنت كاذباً فعليّ لعنة الله، فإن صدّفته قتلت رجماً بالحجارة، وإن كذّبت حلفت هي الأخرى أربع مرات وتقول: إني لصادقة وهو كاذب، وتقول في الخامسة: وإن كنت كاذبة فعليّ غضب الله، ثم يفرق بينهما ولا يلتقيان بزواج أبداً، ويلحق الولد بأمه.

وقاذف زوجته يكون بين أمور ثلاثة: إما أن يدلي ببينة، وإما أن يلاعن، وإما أن يسلم نفسه للحدّ ثمانين جلدة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١).

عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ في

هُودَجِي وَأَنْزَلَ فِيهِ، فَسَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تَلَّكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذِنَ لَيْلَةَ بِالرَّحِيلِ، فَقَمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى إِذَا جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عَقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَّلُوهُ عَلَيَّ بِعَيْرِي الَّذِي كُنْتُ رَكْبْتُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَتِكِرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا فَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٌ وَلَا مَجِيبٌ، فَأَمَمْتُ مَنزَلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فِيرْجِعُونَ إِلَيَّ.

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنزَلِي غَلَبَنِي عَيْنَايَ فَنَمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنزَلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظَتْ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئْتُ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكَبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مَوْغِرِينَ فِي نَخْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ. وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سَلُولٍ.

فَقَدَمْنَا الْمَدِينَةَ فَاسْتَكَيْتُ حِينَ قَدَمْتُ شَهْرًا وَالنَّاسُ يَفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِينِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرِينِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مَسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ

قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمرُ العرب الأول في التبرُّز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بس ما قلت، أتسبين رجلاً شهيداً بدرًا؟ قالت: أي هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي.

قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله ﷺ — تعني سلم ثم قال: كيف تيكم؟ — فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمته، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنيّة، هوّني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أولقد تحدّث الناس بهذا؟! قالت: فبكيّت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرّقالي دمعٌ، ولا أكتحلُّ بنوم حتى أصبحت أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم حين استلبت الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلاّ خيراً. وأما عليّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قال: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟»، قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السن تنام عن

عجبن أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول.

قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يَعِدْرُنِي من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟! فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي». فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أَعْدِرُكَ منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احْتَمَلْتُهُ الحَمِيَّةَ، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تَقْتُلُهُ ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حُضَيْر وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لَتَقْتُلَنَّهُ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتشاور الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنّان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأننا، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه».

قالت: فلما قضى مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبني رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن، إنني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إنِّي بريئة والله يعلم أنني منه بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقنني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة، وأنَّ الله مبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أنَّ الله منزل في شأني وحيًا يُتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه يتحدَّر مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ سُري عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله عزَّ وجلَّ فقد برأك»، فقالت أُمِّي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عزَّ وجلَّ، وأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ . . . العشر الآيات كلها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿لَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال أبو بكر: بلى والله إنني أحب أن يغفر لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وصفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

رواه أحمد ١٩٤/٦، ١٩٨، والبخاري في التفسير ٦٨/١٠، ٩٥، وفي الشهادات وفي الجهاد رقم ٢٨٧٩، وفي المغازي ٤١٤١، وفي التوحيد ٧٥٠٠ وفي مواضع، ومسلم في التوبة ١٠٢/١٧، ١١٤، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٣٦٧/٦، ٤١٥، وغيرهم.

حادث الإفك من أعظم الأحداث وأخطرها التي حصلت أيام النبوة، والذي أثاره قائد المنافقين اللعين عبد الله بن أبي بن سلول في جانب السيدة الطاهرة العفيفة النزيهة مولاتنا عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وزوجه في الدنيا والآخرة رضي الله تعالى عنها. فقدفها بصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه وأذاع ذلك بين الناس، ووقعت بسبب ذلك فتنة بين صفوف الصحابة حتى كادوا يقتتلون لولا حكمة الرسول الأعظم وسياسته الرشيدة ﷺ. وتأخر نزول الوحي، ثم جاءت البشارة العظيمة بتبرئة السيدة ممّا رُميت به من عند الله عزّ وجلّ، فأنزل في طهارتها عشر آيات.

وقد وقع اختلاف في عدد الآيات النازلة في قصة الإفك حسب الروايات، فهذه الرواية فيها عشر آيات وآخرها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦)، وفي رواية أخرى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٧)، وعددها إلى هذه الآية ثلاث عشرة آية، وفي رواية ثالثة آخرها: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦)^(١). ولا اختلاف في ذلك، فالكل حدّث بما بلغه، وظاهر سياق القرآن في القصة يقتضي نهايتها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦)؛ لأنّ الإشارة جاءت للطيبين والطيبات وهم رسول الله ﷺ وزوجه عائشة وأبوها الصديق وصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنهم، وهم الذين أصابهم الطعن في أعراضهم فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم مبرأون مما قيل فيهم...

وعن ابن أبي مُليكة قال: استأذن ابن عباس على عائشة رضي الله تعالى عنهم قبل موتها وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني عليّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرة غيرك، ونزل عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ. ودخل ابن الزبير خلفه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليّ، وودت أنّي كنت نسيًا منسيًا.

وفي رواية: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء به الروح الأمين فليس في الأرض مسجد إلاّ وهو يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار.

رواه أحمد والبخاري في التفسير ١٠/١٠٠، وفي فضل عائشة من المناقب.

(١) وعددها من أول القصة إلى هنا خمس عشرة آية.

وعن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله تعالى عنهما فشيب وقال:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبةٍ وَتُصْبِحُ غَرثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

قالت عائشة: لست كذلك. قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَوْلِكَ كِبْرٌ مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) . . . الخ، فقالت: وأي عذاب أشد من العمى؟ وقالت: وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ. وفي رواية: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير ١٠/١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

قوله في الحديث الأول: وهي مغلوبة، يعني: كانت في سياق موتها. وقول مسروق: فشيب، بآءين مع فتحها وتشديد الأولى، يقال: شيب الشاعر بفلانة إذا عرّض بحبها وذكر حسننها، وهو التَّغْزُلُ والمراد ترقيق الشعر بذكر النساء، وقد يطلق على إنشاد الشعر وإنشائه، وإن لم يكن تغزل.

وقول حسان: حصان، بفتح الحاء من الحصن والتحصين: يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها. ورزان: من الرزانة، يعني: قلّة الحركة. وما تُزن، بضم التاء وفتح الزاي وتشديد النون، أي: ما تُرمَى بريبة. وقوله: غرثي على وزن قتلى، أي: خميصة البطن، وهي كناية عن عدم اغتياها لأحد. والغوافل: جمع غافلة، وهي العفيفة الغافلة عن الشر.

وفي الحديثين فضل لهذه الطاهرة زوجة سيّد الطاهرين ﷺ.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم.

رواه أبو داود ٤٤٧٤، ٤٤٧٥، والترمذي ٢٩٧٥، والنسائي وابن ماجه ٢٥٦٧،

وسنده حسن، وابن إسحاق إذا حدث عن المعروفين كان حديثه مقبولاً وإن روى بالنعنة.

كان ﷺ قد نفذ حدّ القذف في حادث الإفك في ثلاثة من الصحابة الصادقين كانوا انساقوا مع المنافقين، واغترّوا بكلامهم ولم يتروّوا، فتكلّموا في الحبيبة الطاهرة، وهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت زينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهم.

خاتمة: في حكم قذف السيدة عائشة رضي الله عنها بعد براءتها

قال العلماء رحمهم الله تعالى: من قذف السيّدّة عائشة بعد نزول براءتها كان كافراً مرتدّاً، وكذا من قال من الشيعة الروافض: إنها كافرة مخلّدة في النَّار... هو كافر.

وقال جار الله الزمخشري في الكشاف في هذا الموضع: ولو فليت القرآن كله، وفتّشت عمّا أوعده به من العصاة، لم تر الله تعالى قد غلّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلّا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيههم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله قال: فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكّد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلّا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذلك إلّا لأمر... إلى آخر ما قال، فانظره فإنه مهم.

دلائل على فضل السيدة عائشة رضي الله عنها

وممّا يدل على فضل هذه السيّدة وعلوّ شأنها ورفع مقامها رضي الله تعالى عنها ما يلي :

أولاً: نزول جبريل عليه السلام بصورتها في سرقة من حرير، حيث رآها ﷺ كذلك في منامه مرّتين، ويقال: هذه امرأتك. . ثم تزوّجها.

ثانياً: لم يتزوّج ﷺ بكرة غيرها.

ثالثاً: أنها ابنة خليفة وخليل رسول الله ﷺ.

رابعاً: أن كان لينزل الوحي عليه ﷺ وهو في لحافها.

خامساً: تُوفّي رسول الله ﷺ في بيتها ورأسه في حجرها.

سادساً: دُفِنَ وأُقْبِرَ في منزلها.

سابعاً: كانت الملائكة تزوره دائماً في بيتها.

ثامناً: إخباره ﷺ بأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، وهو في الصحيح.

تاسعاً: كان له ﷺ منها محبة خاصة دون سائر نسائه، وكنّ كباقي الصحابة يعرفن ذلك منه.

عاشراً: نزول عذرها وتبرئتها من السماء وجعل قرآناً يُتلى إلى الأبد في جميع مساجد أهل الإسلام وكتابتهم وبيوتهم ليلاً نهاراً.

حادي عشر: وصفها الله تعالى بأنها مؤمنة محصنة غافلة عن كل سوء، وأنها طيبة تحت طيب، وأنها مبرأة مما يقول المنافقون، وأنها مغفور لها، وأن لها الرزق الكريم وهي الجنة، وأن ما قيل فيها ليس شراً لها بل هو خير لها، وهذا كله نطق به القرآن الكريم، فاقراً الآيات وتأملها بامعان وتدبّر.

فيا ويل للذين يُبغضون هذه السيِّدة أو ينالون منها ويختمون حالها بأنَّها كافرة مخلَّدة في النار، كما تجد ذلك مسطرًا في كتبهم . . . ويتفوَّه ويصرِّح به مَنْ يسلك طريقهم في التقية من الغلاة، كذلك الخبيث السماوي التيجاني وأسد حيدر وأمثالهما من المعاصرين، علمائهم وجهَّالهم، فيا خبيثهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السَّبْعَ الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسُّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحف، وقذف المُحصَّات المؤمنات».

رواه البخاري في الحدود ٦٨٥٧، وفي الوصايا وفي الطب ٥٧٦٤، ومسلم في الإيمان ٨٩، وأبو داود ٢٨٧٤، والنسائي ٣٦٧١ كلاهما في الوصايا، ورواه النسائي أيضًا في الكبرى ٤١٨/٦.

الموبقات، أي: التي توبق وتدخل أصحابها النار. والتولِّي يوم الزحف: أي الفرار من ميدان القتال. وقذفُ المحصنات، أي: رمي النساء العفيفات الغافلات من سوء بجريمة الزنا، والآية والحديث يدلان على أنَّ قذف المؤمنة المحصنة من كبار الذنوب، ولا خلاف في ذلك، وكذا باقي ما ذكر في الحديث فإنها من الكبائر والفواحش العظام أعادنا الله تعالى منها.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤).

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فَضَحِكَ حتى بدَّت نَوَاجِذَهُ، ثم قال: «أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكَ؟» قلنا: الله ورسوله أعلم،

قال: «من مُجادلة العبدِ ربِّه يقول: يا رب، ألم تُجرني من الظُّلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيز عليَّ شاهدًا إلاَّ من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام عليك شهيدًا، فيُختم على فيه، ويُقال لأركانِه: انطقي؛ فتتطَّق بعمله، ثمَّ يُخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لكنَّ وسُحقًا فعنكن كنتُ أناضِلُ».

رواه مسلم في الزهد ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى ٥٠٨/٦.

الحديث موافق للآية الكريمة، ومفصل لها، وأنَّ الإنسان ستشهد عليه جوارحه بما عمل في هذه الحياة يوم القيامة إقامةً للحجَّة عليه، ولا شك أنَّ الذي سيجادل الله في ذلك على ما قدم من سيِّئات لا يكون إلاَّ شقيًّا، نسأل الله تعالى السلامة، واللطف والعفو.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، أنَّه استأذن على عمر ثلاثًا فسلم، فلم يؤذن له، ثم انصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ ائذنوا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلمَّا جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: «إني استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليصرف...» الحديث.

رواه البخاري في الاستئذان ١٣/٢٦٤، ٢٦٥، ومسلم في الأدب ١٤/١٣٠، ١٣١، وغيرها.

وعن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما قال: زارنا

رسول الله ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردَّ سعد ردًّا خفيًّا، قال قيس: فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟ فقال: دعه يكثر علينا من السلام، فقال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردَّ سعد ردًّا خفيًّا، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، ثم رجع رسول الله ﷺ وأتبعه سعد، فقال: يا رسول الله، إنِّي كنت أسمع تسليمك وأرد عليك ردًّا خفيًّا لتكثر علينا من السلام، قال: فانصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثمَّ ناوله خميصة مصبوغة بزَعْفَران أو وَرَس فاغتسل بها، ثمَّ رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول: «اللَّهُمَّ اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»، ثمَّ أصاب رسول الله ﷺ من الطعام، فلمَّا أراد الانصراف قرب إليه سعد حمارًا قد وطىء عليه بقطيفة فركب رسول الله ﷺ، قال قيس: فقال رسول الله ﷺ: «اركب»، فأبیتُ، فقال: «إمَّا أن تركبَ وإمَّا أن تنصِّرفَ»، قال: فانصرفتُ.

رواه أبو داود في الاستئذان ١٥٤٣، والنسائي في الكبرى رقم ١٠١٥٦، ١٠١٥٧. قال ابن كثير: هو حديث جيد قوي.

في الآية الكريمة وما أوردناه من الحديثين أدب من آداب الاستئذان، أي طلب الإذن في الدخول لبيوت الآخرين من الأجانب، وأنه لا يجوز الدخول بحال إلا بعد الاستئذان والسلام على أهل البيوت، وأنَّ ذلك يشرع ثلاثًا، فإن لم يوجد فيها أحد ولم يؤذن له فلينصرف. وهناك آداب أُخر تتعلَّق بالموضوع لها موضع آخر. وفي الحديث الثاني جواز إفراد غير الأنبياء بالصلاة عليهم، ويؤيده الحديث الآخر: «اللَّهُمَّ صلِّ على آل أبي أوفى...»، وهو في الصحيح. وفي المسألة نقاش.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٤).

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَأْكُم والجلوس على الطُّرُقَات»، قالوا: يا رسول الله، ما لنا بُدٌّ مِنْ مجالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فقال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَيْتُمُ إِلَّا الْجُلُوسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قالوا: وما حَقُّه؟ قال: «غَضُّ الْبَصْرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

رواه أحمد ٣/٣٦، ٦١، والبخاري في الاستئذان ١٣/٢٤٦، ٢٤٧، ومسلم في السلام رقم ٢١٢١، وغيرهم، ونحوه عند مسلم، والنسائي في الكبرى ٦/٤١٨ عن أبي طلحة الأنصاري.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري.

رواه مسلم ١٤/١٣٨، ١٣٩، وأبو داود ٢١٤٨، والترمذي ٢٥٨٦ في الأدب.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه رفعه قال: «يا علي، لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةَ».

رواه أبو داود ٢١٤٩، والترمذي ٢٥٨٧، والحاكم ٣/١٩٤، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قوله: ما لنا بد، بضم الباء وتشديد الدال، أي: ليس لنا مفرّ منها. والفجأة، بضم الفاء وفتحها وفتح الجيم وسكونها، هي: المباغته.

وفي الآية وهذه الأحاديث تحريم النظر إلى النساء اللاتي يشتهين، وكان ذلك عن قصد مع توالي النظرات لما في ذلك من حصول الفتنة وإثارة الشهوة الجنسية والإغراء على فاحشة الزنا، فكل المصائب تأتي من النظرة، وقد ابتلي الإنسان بهذا الجنس الضعيف الخطير فليست هنالك فتنة أضرّ على الرجل من المرأة حفظنا الله عزّ وجلّ من فتنتهن وحفظ علينا جوارحنا من

مواقع سخطه وغضبه، وغفر لنا ما قدّمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا بفضله ورحمته آمين.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ يُحْمُرِينَ عَلَى جُوبِهِنَّ...﴾.

٣١

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ يُحْمُرِينَ عَلَى جُوبِهِنَّ...﴾، شققن مروطن فاختمن بها. وفي رواية: أخذن أزهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمن بها.

رواه البخاري في تفسير سورة النور ١٠/١٠٦، و (٤٠٩٩).

قال الحافظ على قولها (فاختمن): أي: غطّين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقع. والمروط، جمع مرط، بكسر الميم: هي أكسية من صوف أو خز كان نساء العرب يتلفعن بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾.

٣٢

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغي شيئا، قال: فأنزل الله تعالى عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي رواية: إن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة كان يريد هما على الزنا، فشكنا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...﴾ الآية.

رواه مسلم آخر الكتاب رقم ٣٠٢٩، وأبو داود في الطلاق ٢٣١١، والنسائي في الكبرى ٤١٩/٦، والحاكم ٣٩٧/٢، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

البغاء: هو الزنا، وكان أهل الجاهلية يكرهون فتياتهم وإماءهم على الزنا طلبًا لما يعطونه من أجور، فأنزل الله تحريم ذلك وخبثه، وأخبر تعالى بأنه غفور لمن أكرهت على ذلك.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

رواه البخاري في التهجد ٣/٢٤٥، ٢٤٦، وفي الدعوات ١٣/٣٦٦، ومسلم في صلاة النبي بالليل ٦/٥٤، ٥٥، وأبو داود ٧٧١، والترمذي والنسائي ٦/٤١٩، وغيرهم.

هذا حديث عظيم اشتمل على مهمات التوحيد والإيمان والاستسلام لله عزَّ وجلَّ والإنابة إليه والحمد له، والتحاكم إلى ما شرعه ثم الاستغفار من جميع الذنوب، والاعتراف بأنه المقدم المؤخر لا ربَّ غيره ولا إله سواه.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ...﴾ إلخ، وقوله ﷺ: «أنت نور السموات...» إلخ، الجمهور على أن معناه منور السموات والأرض ومن فيهن، أي: أنار السموات بالكواكب والأرض بالشمس والقمر وبالشرائع والأحكام وبعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. قال العلماء: سمى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور. قالوا: ويجوز أن يقال: الله نور على جهة المدح، لأن جميع الأشياء منه ابتداءها، وعنه صدورها.

وجاء في دعائه ﷺ حينما آذاه أهل الطائف: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات...» إلخ.

رواه الطبراني، قال: النور في المجمع ٣٥/٦، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، وهو من حديث عبد الله بن جعفر. وأورده ابن هشام في السيرة ٢٦٠/١، ٢٦٢ عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا.

والأسلم في ذلك كله أن يقال: إنها صفة لله تؤمن بها ونمرها كما نطق بها القرآن من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، ونكل معناها إليه عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.



عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظِلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمئِذٍ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْ نُورِهِ يَوْمئِذٍ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

رواه أحمد ١٧٦/٢، ١٧٧، ١٩٧، والطيبالسي ٥٧، والترمذي آخر الإيمان ٢٤٥٨، وابن حبان ١٨١٢، والحاكم ٣٠/١، بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

في الحديث أن هداية الخلق منوطة بنور الله عز وجل، فمن أصابه

نور الله في عالم الأرواح هداه الله تعالى واستنار قلبه وأضاء بنور الإيمان الذي هو من نور الله، فيصير يتقلَّب في الأنوار كما قال أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، فهو يعني المؤمن يتقلَّب في خمسة من النور: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني، فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش». وفي رواية: «يكون من بعدي اثنا عشر أميرًا...». وفي رواية ثالثة: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، فكبر الناس وضجوا. وفي رواية رابعة: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة». وفي رواية خامسة: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

رواه أحمد ٥/٩٠، ٩٢، ٩٤، ١٠٨، والبخاري في الأحكام ١٦/٣٣٨، ٣٣٩، ومسلم في الإمارة ١٢/٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، وأبو داود في المهدي ٤٢٧٩، ٤٢٨٠، والترمذي في الفتن ٢٠٥٣، وابن حبان ١٥/٤٣، ٤٤، ٤٥، وأبو يعلى ٦/٢٨٢، وغيرهم من طرق وألفاظ، واللفظ الأول للبخاري ومسلم وابن حبان، والثاني لأبي داود، والباقي لمسلم...

هذه الروايات تدل بجملتها على أمرين اثنين:

الأول: أن دين الإسلام لا يزال قائماً حتى يأتي أمر الله، وهو

اضمحلال الإسلام برفع القرآن وموت المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام، وسيبقى كذلك متمثلاً في طائفة منصور لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، وهذه الطائفة مفرقة في الأمة لا تختص بناحية دون أخرى ولا يقوم دون آخرين.

الثاني: أنه لا بد وأن يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة يلون أمر الناس ويقومون بشؤونهم العامة حكاماً وأمراء عليهم كلهم من قريش، وبهم وفي أيامهم يكون أمر الدين عزيزاً منيعاً، هذا ظاهر الحديث برواياته، وقد تكلم الناس في هؤلاء الخلفاء بعد إجماع أهل السنة والحق على أنهم خلفاء وأمراء في الحكم والسلطة خلافاً لما يزعمه الشيعة الإمامية من أن المراد بهم أئمتهم المعصومون، فإن هذا يخالف ظاهر نص الحديث ويخالف الواقع، فإن أئمة أهل البيت لم يل منهم الخلافة إلا الإمام علي والسبط الحسن عليهما السلام، فأين دليل الباقيين؟، نعم كانت لهم الإمامة في الدين والتأسي بهم.

ثم اختلف علماء أهل السنة في هؤلاء الخلفاء على قولين، فقال فريق: إن هؤلاء الخلفاء تقدّم جميعهم في القرن الأول، وجعلوا نهايتهم الوليد بن يزيد حيث ثار عليه الناس وانتشرت الفتن، وقال فريق ثان: إنهم مفرّقون في الأمة، وكان منهم الخلفاء الأربعة ثم سيّدنا الحسن، وسيّدنا عمر بن العزيز رضي الله تعالى عنهم، والسنة الباكون مفرّقون في الأمة آخرهم المهدي، وهذا القول هو الصحيح المختار، والله أعلم.

وعن سفينة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً عضوضاً»، ثم قال سفينة: أمسك خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال: أمسك خلافة علي، فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنو الزرقاء، هم ملوك من شر الملوك.

رواه أحمد ٥/ ٢٢٠، وأبو داود ٤٦٤٦، ٤٦٤٧، والترمذي ٢٠٥٥، في الفتن،

وسنده حسن.

في الحديث أن الخلافة التي كانت على منهج النبوة متوالية هي خلافة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، وفي عصر هؤلاء انتشر الإسلام، وفتحت الأقاليم والأمصار وكسرت شوكة العملاقين وقتئذ كسرى وقيصر، وفي ذلك العصر مكن الله للمسلمين دينهم الذي ارتضاه لهم، وصدقهم وعده كما في الآية الكريمة، وانظر ما قاله هنا ابن كثير رحمه الله تعالى في الموضوع ٥/ ١١٩.

وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فنزلت: ﴿لَيْسَتْ خِلْفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

أورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٨٣ برواية أوسط الطبراني قال: ورجاله ثقات.

قوله: رمتهم العرب... إلخ، هو كناية عن مناصبتهم العداوة إياهم، وشن الحرب عليهم. وفي الآية إشارة إلى تسليتهم بذلك وتثبيتهم، وبأنه عز وجل لا بد وأن ينصرهم ويجعلهم مستخلفين في الأرض ممكناً لهم دينهم آمين...

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ فَيْتَاهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنه قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير

مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم، ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا ممّا أحببتهم، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا، إنهم أذنوا لنا عن غير طيب نفس، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاتِحُهُ﴾.

رواه البزار ٢٢٤١، قال النور ٨٤/٧: ورجاله رجال الصحيح.

في الآية الكريمة الإذن من الله عزّ وجلّ في تناول ما أراه المسلم من المأكّل من بيوت أقاربه كالأب والأم، والأخ والأخت، والعم والعمّة، والخال والخالة، والخدام والصديق، وأنه لا حرج فيما يحتاجه من الأكل من بيوتهم.

واختلف المفسّرون في المراد برفع الحرج عن العمّي والعرج والمرضى هنا، ف قيل في التخلف عن الجهاد، وقيل: في مؤاكلتهم، حيث إنّ الناس كانوا يتقرّزون ويتحرّجون من الأكل معهم...

والأكل من بيوت ما ذكر في الآية لا حرج فيه إذا كان يعلم منهم أنهم لا يكرهون ذلك، كما كان ذلك سائداً أيام الصحابة وما يقاربها، وإلا فلا يحلّ لمسلم مال امرئ مسلم إلاّ عن طيب نفس منه، نعم يُستثنى المضطر المحتاج، والله تعالى أعلم.

وبه تمّ تفسير سورة النور، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبا الأبدان.

* * *

﴿سُورَةُ الْفُرْقَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهِيَ عَلَى اللَّهِ وَرَسْمٌ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَالرَّاهِ وَهَجْبِهِ وَزَوْجِهِ وَهَجْرِهِ

هي من السور المكيّة التي تعالج موضوع العقيدة، وحقيقة القرآن، وصدق رسالة نبينا ﷺ، والبعث والجزاء، وذكر قصص بعض الأنبياء تشبيهاً للنبي ﷺ وتسليةً له مما كان يلاقه من كفار قومه، وختمت السورة بالإشادة بصفات عباد الرحمن وما أولاهم الله وحباهم من مكارم الأخلاق التي استحقوا بها فضلاً منه تعالى غرف الجنة ونعيمها. وآياتها سبع وسبعون.

وسميت سورة الفرقان لابتدائها بذكر الكلام على القرآن الكريم المنزّل على عبده سيدنا محمد ﷺ والذي فرق به بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلال، والنور والظلام.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص لا توجد في غيرها وهي:

١ - ذكر ما استبعده الكفار وتعجبوا منه، وهو كون الرسول مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فرد الله تعالى عليهم قولتهم المقيتة وبيّن أنه ما من رسول بعث في سالف الأجيال إلّا كان بشراً يأكل الطعام ويمشي مع الناس، آية ٢٠.

- ٢ — ذكر تعنت الكفار وعنادهم في قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ نُورِي رَيْبًا﴾، آية ٢١.
- ٣ — ذكر ذلك الشقي اللعين الذي سيعض على يديه يوم القيامة تحسراً وندامة على ما صدر منه في الدنيا في جانب النبي ﷺ وهو عقبة بن أبي معيط، أو غيره، آيات ٢٧ — ٢٩.
- ٤ — لفت الأنظار إلى تلك الآية الإلهية العظيمة العجيبة، وهي مد الظل، ولو أراد الله تعالى لأبقاه كذلك دائماً لا يزول، ولكنه تعالى يذهب ويقبضه شيئاً فشيئاً بطلوع الشمس حتى لا يبقى ظل إلا تحت سقف أو شجرة أو صخرة، آيتان ٤٥، ٤٦.
- ٥ — التنصيص على أنه خلق البشر من الماء — المني —، ثم صيّرهُ نَسَبًا وصهرًا، أي يولد نسيباً لأبيه، ثم يتزوج فيصير له أصهار وقرابات، آية ٥٤.
- ٦ — ذكر بعض حكم تعاقب الليل والنهار وأسرار ذلك، وهو توقيتهما لعبادة عباده فمن فاته عمل الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل النهار عمله في الليل، وذلك لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، آية ٦٢.
- ٧ — ذكر صفات عباد الرحمن وما حلّاهم الله به من نعوت وأخلاق كريمة، آيات ٦٣ — ٧٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾.
- عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أنزل القرآن جملة إلى السماء في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾، وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ ﴿١٠٦﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٤٢١/٦، والحاكم ٢٢٢/٢ بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

لا خلاف أن نزول القرآن جملةً كان في ليلة القدر ثم نزوله منجمًا في ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة وعشر بالمدينة، وقول ابن عباس هنا في عشرين سنة مؤول؛ للاتفاق على ما ذكرنا، وسيأتي نحو من هذا في سورة القدر. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ...﴾ الآية، أي: ولا يأتيك هؤلاء المعاندون بحجة أو شبهة للقدح فيك أو في القرآن إلا أتيناك بالحق الواضح، والنور الساطع، لندمغ به باطلهم، وأتيناك أحسن بيانًا وتفصيلًا.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم».

رواه البخاري في التفسير ١٠٩/١٠، وفي الرقاق ١٤/١٧١، ومسلم في صفة جهنم رقم ٢٨٠٦، والنسائي في الكبرى ٤٢٠/٦، وانظر ما سبق في الإسراء: ﴿وَيُحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وفي الآية والحديث أن الله تعالى قادر على كل شيء أراده، وأنه لا يعجزه شيء مما تستبعده عقولنا الضعيفة، ويستحيل في عاداتنا المتعارفة، وأن أمور الآخرة هي على خلاف حياتنا هذه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده

بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها» .

رواه أحمد ٤/٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ومسلم في التوبة رقم ٢٧٥٩ .

الآية الكريمة تدل على أنه تعالى جعل كلاً من الليل والنهار خلفاً من الآخر . ويحتمل ذلك معنيين : الأول : بأن ما فات في أحدهما من عملٍ خيرٍ يُعمل فيه لله عزّ وجلّ أدرك قضاؤه في الآخر . والثاني : جعل ذلك ليعلم بهما الساعات والأوقات والأيام . والمعنى الأول يناسبه حديث أبي موسى ، والسرفي ذلك ظاهر من قوله عزّ وجلّ : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ، أي لمن أراد أن يذكر أمر الله فيرجع ويتوب إلى الله أو أراد شكر نعمة الله تعالى التي أنعم بها عليه في هذا الاختلاف والتعاقب .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر؟ قال : «أن تجعل لله ندّاً وهو خالقك» ، قلت : ثم أي؟ قال : «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» ، قلت : ثم أي؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك» ، قال عبد الله : فأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ . . . ﴾ الآية .

رواه البخاري ١٠/١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، في التفسير ، ومسلم في الإيمان ٢/٨٠ ، والترمذي ٢٩٧٦ وغيرهم .

وعن سلمة بن قيس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : «ألا إنما هي أربع» ، فما أنا بأشح عليهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ : «ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ولا تسرقوا» .

رواه أحمد ٤/٣٣٩، ٣٤٠، والنسائي في الكبرى ٦/٤٢١، ٤٢٢، والحاكم
٤/٤٥١ بسند صحيح.

وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأورده النور ١/١٠٤
برواية كبير الطبراني ٧/٣٨، ٣٩، وقال: رجاله ثقات.

النَّد: بكسر النون، هو الشريك والمثيل. والحليلة: الزوجة.

والآية - والحديثان - دالة على أن هذه المعاصي أعظم الذنوب عند
الله تعالى ولا خلاف في ذلك، غير أن أكبرها وأفحشها إطلاقاً اتخاذ شريك
مع الله، ثم الباقي على الترتيب المذكور: قتل النفس، ثم الزنا، ثم السرقة.
ويلاحظ أن ترك صلاة واحدة عن تعمد حتى يخرج وقتها تلي في الجرم
الشرك بالله كما قال العلماء رحمهم الله تعالى، نسأل الله عزّ وجل وهو البر
الرحيم أن يحفظنا من مواقع سخطه وغضبه، آمين.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لَفَدَّ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ
يَكُونُ لِرَآءَا ۝ ﴾

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: خمس قد مضين: الدخان،
والرّوم، والبطشة، والّلزام، فسوف يكون لزاماً.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١١٣، ومسلم آخر الكتاب رقم ٢٧٩٨، والنسائي
في الكبرى ٦/٤٢٢، وسيأتي في الدخان أيضاً.

وبه تم الكلام على سورة الفرقان، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه
وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الشُّعَرَاءِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَالسُّلَّمِ وَإِنَّمَا كَانَ
وَاللَّهُ وَصَّيْبَهُ وَزُجْرَهُ وَعَزْبَهُ

هي مكيّة كسابقتها الفرقان، ومنها إلى سورة الأحزاب، كلها من السور المكيّة وهي ثمان سور متواليات، وآيات هذه السورة سبع وعشرون ومائتان. وأهدافها بيان أصول الدين وعقيدة الإسلام، وذكر قصص بعض الأنبياء المشاهير كإبراهيم، وموسى، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، عليهم الصلاة والسلام إلى غير ذلك مما يمت بالعقائد، ويهذب النفوس، ويشفي القلوب من أدران الشرك والوثنيات والطغیان.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر الآية العظيمة التي أمر الله تعالى فيها نبيه ﷺ أول أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، آية ٢١٤.
- ٢ — ذكره تعالى إخوان الشياطين وأصدقاءهم الذين تنزل عليهم وتأتيهم بالأخبار الكاذبة المفتراة، آيات ٢٢١ — ٢٢٣.
- ٣ — ذكر الشعراء وبعض خصائص صفاتهم الشائنة الساقطة واستثناء بعضهم، آيات ٢٢٤ — ٢٢٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٨٧﴾.

﴿٨٧﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قترّة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟! فيقول أبوه: فالיום لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأبي خزى أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ مُلتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

رواه البخاري في الأنبياء رقم ٣٣٥٠، وفي التفسير ١١٦/١٠، ١١٧، والنسائي في الكبرى ٤٢٢/٦.

قوله: ذبيخ، بكسر الذال المعجمة، ثم ياء بعدها خاء معجمة، وهو ذكر الضبع.

اختلف المفسرون وغيرهم في أزر، هل هو أبو إبراهيم أم عمه؛ لما ورد في لغة العرب من إطلاق الأب على العم كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَبُؤُا إِلَهِكَ وَإِلَٰهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وإسماعيل لم يكن أباً ليعقوب وإنما هو عمه.

وفي الآية الكريمة إخبار من الله عز وجل بأنه لا يخزي خليله إبراهيم عليه السلام يوم القيامة والحديث جاء مقيداً للآية بما ذكر فيه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿١١٨﴾.

﴿١١٨﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿١١٨﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن

يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١ - ٢].

رواه البخاري في تفسير المسد رقم ٤٩٧١، ومسلم في الإيمان رقم ٢٠٨، ويأتي إن شاء الله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٧١٤، قال: «يا معشر قريش اشترؤا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمه رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»، وفي رواية: «غير أن لكم رحمًا سابلها ببلالها».

رواه البخاري في الوصايا ٢٧٥٣، وفي المناقب ٣٥٢٧، وفي التفسير ١٢٠/١٠، ومسلم في الإيمان رقم ٢٠٤، ٢٠٦، والترمذي في التفسير ٢٩٧٨، والنسائي في الكبرى ٤٢٣/٦، وغيرهم. وفي الباب عن عائشة عند مسلم والترمذي والنسائي، وعن قبيصة بن مخارق عند مسلم والنسائي، وعن أبي موسى عند الترمذي.

قوله: سابلها ببلالها، هي بكسر الباء من البلال وهو الماء، ومعناه أن لكم رحمًا معي ساصلها، يعني بالشفاعة.

وفيه دليل على أن لأقاربه وذوي رحمه شفاعات خاصة يوم القيامة، وهو يخصص قوله: لا أغني عنكم من الله شيئاً، لأن هذا محمول على أنه لا يغني عنهم شيئاً بذاته، بل بإذن الله وقدرته وإرادته، كما أنه من مات منهم

كافراً لا يغني عنه شيئاً. . وفي الحديث دليل على أنه ﷺ بادر لامثال أمر الله عز وجل بتبليغ الدعوة لعشيرته الأقربين وأنه لم يتوان في ذلك، غير أن ذكر فاطمة هنا فيه نظر لأنها في هذا الوقت كانت بنت سنة أو نحوها فكيف يخاطبها بما ذكر؟

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٦﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٧﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تحدّث في العنان – والعنان الغمام – بالأمر في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرّها في أذن الكاهن كما تقرأ القارورة فيزيدون معها مائة كذبة.

رواه البخاري في بدء الخلق ١١٦/٧، وفي الطب، وستأتي أحاديث أخرى في سورة سبأ.

قوله: فتقرّها، بضم التاء وفتحها، أي فتلقّيها في أذنه بصوت يسمعه كما يسمع الصوت في القارورة عند إلقاء شيء فيها، والقر ترديد الكلام في أذن المخاطب كما في النهاية.

والآية الكريمة مع الحديث الشريف يدلان على أن الشياطين عندما تسترق السمع تأتي بما سمعت إلى الكذبة الأفاكين وهم الكهنة، فتنزل عليهم وتلقي إليهم ما سمعته من حق وتزيد على ذلك مائة كذبة. والآية جاءت ردّاً على الكفار الذين كانوا يلّمزون النبي ﷺ بأن معه رثياً من الجن وأنهم الذين يأتونه بما يقول: فكذبهم الله وأبطل ما قالوا وأخبر بأن الشياطين لا تنزل إلا على الأفاكين الآثمين، ورسول الله ﷺ بخلاف ذلك فإنه الصادق الأمين، وقد كانوا يعلمون صدقه، وما جربوا عليه كذباً.

قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ

يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَتَّهَمُ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ .

عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله عزَّ وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح التَّبل» .

رواه أحمد ٤٥٦/٣، ٣٨٧/٦، من طريقين، وكلاهما سنده صحيح على شرط البخاري ومسلم .

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلىء جوف رجل قبحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً» .

رواه أحمد ٨/٣، ٤١، بسند صحيح .

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ لحسان: «اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك» .

رواه البخاري في بدء الخلق ١١٧/٧ وغيره، ومسلم في الفضائل ٤٦/١٦ وغيرهما .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن عمر مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أيده بروح القدس»، قال: اللَّهُمَّ نعم .

رواه البخاري في المساجد وفي بدء الخلق ١١٧/٧ وفي الأدب، ومسلم في الفضائل ٤٥/١٦ .

جاء في الشعر أحاديث كثيرة ذمًا ومدحًا، والحق أن الشعر كلام،

فحسنة حسن، وقبيحة قبيح، وما ورد في ذمه محمول على ما فيه الكذب والباطل والافتراء ووصف النساء والمردان والخمر. . . وإلا ففي الشعر حكم كما قال ﷺ: «إن من الشعر لحكماً». والحديث الأول يدل على أن هجاء الكفار بالشعر يعتبر جهاداً، ويؤيده حديثنا أبي هريرة والبراء حيث أمر الله تعالى حسان بهجاء الكفار وأخبر بأن جبريل كان معه يؤيده، وفي حديث أبي سعيد دليل على أن الشعر السافل من كلام الشيطان وأنه يقال لمنشده شيطان، ولما كان في أكثر الشعر من الباطل والخنا والسفاهة حذر كثير من العلماء من الاشتغال به والإقبال عليه في غالب أحواله لما يلاحظ في الشعراء من الانحلال والميوعة ورقة الدين تأثراً بما يشتغلون به . . .

وقوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٧٢)، معناه أن الشعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي ﷺ كان يتبعهم السفهاء الضالون، ويروون هجاءهم وينشرونها. وقوله: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (٧٢)، أي في كل وادٍ من أودية الشعر يذهبون على وجوههم حائرين يقولون ما لا يفعلون.

ولما ذم تعالى الشعراء الأفاكين الثرارين استثنى الصالحين المؤمنين الذين ينتصرون بهجائهم من أولئك الكافرين الظالمين.

وبهذا تم الكلام على سورة الشعراء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ النَّامِلِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَهَزْبِهِ

هذه السورة الكريمة من السور الثلاث التي نزلت بالتوالي، ووضعت في المصحف الكريم كذلك، وهي: الشعراء والنمل والقصص، وآيات هذه السورة ثلاث وتسعون آية.

من خصائص هذه السورة

وقد امتازت هذه السورة بخصائص لا توجد في غيرها، أو وجدت محصورة، وهي كالآتي:

١ - ذكر فيها الآية الثالثة التي خصها الله عز وجل لموسى عليه السلام، وهي خطابه عز وجل لكليمه عليه السلام بالوادي المقدس طوى مرجعه من بلاد مدين. والآية الثانية تقدمت في طه، والثالثة ستأتي في القصص بإذن الله تعالى، وهي من الآيات العظيمة التي حارت فيها العقول، آيات: ٨ - ١٢.

٢ - ذكر قصة النملة مع سليمان عليه السلام، وتكلمها مع زميلاتها، وفهم سليمان كلامها، وتبسمه من ذلك ضاحكًا، آيتان ١٨، ١٩.

- ٣ — ذكر الهدهد، ذلك الطائر العجيب الشكل، وقصته مع سليمان عليه السلام في تغييره، ومجيئه بخبر ملكة سبأ، وما يتبع ذلك، آيات ٢٠-٢٨.
- ٤ — ذكر قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام، والتي أسلمت معه بعد عبادتها الشمس، آيات ٢٩-٤٤.
- ٥ — ذكر تلك الآية الباهرة والكرامة العظيمة التي أجراها الله عز وجل على يد صاحب الكتاب الذي أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل طرفة عين، آية ٤٠.
- ٦ — ذكر دابة الأرض التي جعل الله عز وجل خروجها على الناس آخر الزمان من أشراط الساعة الكبرى، آية ٨٢.
- ٧ — ذكر نفخة الفزع التي ستكون قبل نفخة الصعق والقيام لرب العالمين، آية ٨٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبَّحَانَ اللَّهِ رَبِّ



الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، كل شيء أدركه بصره»، ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ .

رواه أحمد ٤/٤٠٠، ٤٠١، والطيالسي ٤٩١، وابن ماجه رقم ١٩٥، ومسلم في الإيمان بنحوه ١٧٩، والمسعودي تفرد بذكر الآية.

وقوله: سَبَّحَات، أي نوره وجلاله. وقوله: يخفض القسط... معناه أنه يرفع الميزان أو يضعه بما يوزن من أعمال عباده المرفوعة إليه تعالى،

والقسط العدل، وسُمِّي الميزان القسط، لأن العدل في القسمة يقع به، ومعنى قوله: لو كشفه لأحرقت... إلخ، كما قال العلماء: أنه لو أطلع خلقه على كنه عظمته لانخلعت أفئدتهم وزهقت أنفسهم واحترقوا، ولو سلط نوره على الأرض والجبال لاحترقت وغابت، وأنه عز وجل لم يطلع الخلق من جلال عظمته إلا على مقدار ما تطيفه عقولهم وقلوبهم.

أما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ...﴾ إلخ، فاختلف المفسرون في معناه، مع أن معناه واضح وظاهر، وهو أن موسى عليه السلام عندما جاء إلى النار التي رآها وجدها في شجرة عند شاطئ الوادي في البقعة المباركة، فنودي موسى من قبل الشجرة ﴿أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ...﴾ إلخ، أي بورك من هو في النار وهو نور الله عز وجل وتقدّس جلّ علاه، وبورك من حول النار وهم الملائكة، وبما أن الله تعالى منزّه عن سمات المحدثات ومخالف لخلقها وأنه ليس كمثله شيء عقب ما تقدّم بقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ...﴾ إلخ، أي تنزّهه وتقدّس رب العزّة العلي الشأن الذي لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَانَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾.

عن رجل من بلهجوم قال: قلت يا رسول الله إلام تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده الذي إذا مسك ضرٌّ فدعوته كشفه عنك...» الحديث. رواه أحمد ٥/٦٤، ٣٧٧، ٤/٦٥، من طريقين أحدهما سنده صحيح.

وفي الآية الكريمة مع الحديث بيان فضل الله تعالى على عباده ولطفه بهم حيث يستجيب دعوة من التجأ إليه حالة الاضطرار ويغيثه بما يستحق أن يغاث.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف، خسوف بالمغرب، وخسوف بالمشرق، وخسوف بجزيرة العرب، ونازٌ تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا».

رواه مسلم ٢٩٠١، وأبو داود ٤٣١١، والترمذي ٢٠١٣، والنسائي في الكبرى ٤٢٤/٦، وابن ماجه ٤٠٤١ في الفتن إلا النسائي في التفسير.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريباً».

رواه أحمد ٢٠١/٢، ومسلم في الفتن رقم ٢٩٤١.

في الحديث الأول زيادة على ما فيه من ذكر الدابة كالحديث الثاني فيه بيان أشراف الساعة الكبرى التي إذا ظهرت كانت الساعة على أثرها، عياداً بالله من الفتن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ...﴾ الآية، أي وجب العذاب أو غضب الله عليهم، وهذه الدابة الخارجة لا تعرف صفتها ولا من أي مكان ستخرج، وإن ورد في ذلك آثار فلا يصح منها شيء يعتمد عليه في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سأل أعرابي النبي ﷺ عن الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه .

تقدّم تخريجه والكلام عليه في سورة الكهف: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِحَمَلَتْنَهُمْ جَمَاعًا ﴾ ﴿٩٩﴾ . [الكهف: ٩٩] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١١﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعصَدُ شوكه، ولا ينفّر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يُختلى خلاها...» الحديث .

رواه البخاري في الجزية وفي الحج، ومسلم في الحج أيضًا، والأحاديث بهذا كثيرة .

البلدة هي مكة المكرمة وهي حرم الله عزّ وجلّ كسائر منطقة الحرم، فلا ينفّر صيده ولا يقطع شجره ولا نباته... ولا يحل فيه القتال فهو حرام إلى يوم القيامة . وهذا من أعظم فضائل هذه البلدة المقدّسة ولكن الناس لا يراعون حرمتها لا من ساكنيها ولا من الزوار والطارئين عليها .

وبهذا تمت سورة النمل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين .

* * *

﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْكَ آلُ قَارُونَ إِذْ بَارَكُوا عَلَيْنَا مِنَّا مُحَمَّدٌ
وَأَلَّهُمَّ هَجْرَهُ وَزَوْجَهُ وَحُزْبَهُ

هذه السورة كما سبق مكية، وهي ثمان وثمانون آية، وأهدافها نفس أهداف أخواتها، وقد امتازت بقصة قارون الطاغية الذي خسف الله به الأرض.

من خصائص هذه السورة

ومن خصائصها ما يلي:

١ - إلهام الله أم موسى عليه السّلام عندما ولدته وخافت عليه من فرعون أن تلقيه في البحر، بحر النيل، وأوحى إليها تعالى بتلك الآية التي جمعت بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ...﴾، آية ٧.

٢ - ذكر بداية ولادة موسى وإلقائه في اليم، ثم التقاطه ورضاعه وتربيته في دار فرعون، ثم ذكر قصته مفصلة مرتبة، وذكر قتله القبطي وخروجه من مصر مهاجرًا إلى مدين ومكثه مع الشيخ عشر سنين راعيًا معه وتزوجه بنته ثم رجوعه إلى مصر، كل هذا لم يذكر في غير هذه السورة، آيات ٣ - ٣٧.

- ٣ - ادعاء فرعون الألوهية بدون حياء ولا مبالاة، آيتان ٣٨، ٣٩ .
 ٤ - ذكر أهل الكتاب الذين يؤتون أجرهم مرتين . . . آيات ٥٢ - ٥٥ .
 ٥ - ذكر قارون الطاغية المعجب بماله وعلمه وقصته المبسوطة وخسف الأرض به . . . آيات ٧٦ - ٨٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل عليه السلام أيّ الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمّهما وأكملهما .

رواه ابن جرير ٦٨/٢٠، وجاء من طرق مرسلّة أوردها ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وابن جرير، وقال: فهذه طرق متعاضدة . . . ويشهد لها ما رواه البخاري في الشهادات من صحيحه رقم ٢٦٨٤، أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس: أيّ الأجلين قضى موسى عليه السلام؟ فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما . وكذا رواه ابن جرير ٦٨/٢٠ . وانظر: المجمع ٧/٨٧ .

لما نزل موسى عليه السلام بمدين على ذلك الشيخ وطلب منه التزوج ببنته شرط عليه الصداق أن يكون رعاية غنمه ثمان سنين أو عشرًا فقال له موسى عليه السلام: أيّ الأجلين الثمان أو العشر قضيتها فلا حرج عليّ ولا عدوان، فقضى له أتمّ الأجلين وهو عشر سنين فصلّى الله وسلّم على نبيه موسى أنه أجر نفسه على رعاية الغنم عشرة أعوام في مقابل التزوج بالبنت .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَةً مِّنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ

نَادَيْنَا... ﴿ الآية، قال: «نودي: أن يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني».

رواه النسائي في الكبرى ٤٢٤/٦، وابن جرير ٨١/٢٠، والحاكم ٤٠٨/٢، وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وهو كما قالاً.

الخطاب في الآية للنبي ﷺ، أي: لم تكن بجانب الطور الأيمن عندما نادينا يا أمة محمد أعطيتكم... إلخ، وهذا كما جاء في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام قال: يا رب أرني محمداً وأمه قال: إنك لن تصل إلى ذلك ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد إلى آخر ما في الحديث.

والأثر من قبيل المرفوع ويحتمل أن يكون من الإسرائيليات...

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.



عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتَوْنَ أجرهم مرتين: عبد أَدَّى حَقَّ الله وحَقَّ مواليه، فذلك يؤتى أجره مرتين، ورجل كانت عنده جاريةٌ وضيئةٌ فأدَّبها فأحسن أدبها ثم أعتقها ثم تزوجها، يبتغي بذلك وجه الله، فذلك يؤتى أجره مرتين، ورجلٌ آمن بالكتاب الأول ثم جاء الكتاب الآخر فأمن به، فذلك يؤتى أجره مرتين».

رواه أحمد ٤٠٢/٤، ٤١٤، والبخاري في العلم ٩٧، وفي العتق ٢٥٤٤، وفي الجهاد ٣٠١١، وفي أحاديث الأنبياء ٣٤٤٦، وفي النكاح ٥٠٨٣، ومسلم في الإيمان ١٥٤/١، والنسائي في النكاح وفي الكبرى ٣١٢/٣، والترمذي رقم ٩٩٧ تهذيباً، وابن ماجه ١٩٥٦.

فيه فضل هؤلاء الثلاثة وأنهم يعطون أجرهم مضاعفاً مرتين، ومنهم من ذكر في الآية الكريمة من الكتائبين الذين آمنوا بكتابهم ثم بكتابتنا، ولا شك أن الأمة المحمّدية ممن لهم السبق في ذلك لإيمانهم بجميع الكتب والرسول بدون تفرقة بين ذلك.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعممه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: لولا أن تعيرني بها قريش: إنما يحمله عليه الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾.

رواه مسلم في الإيمان رقم ٢٥، ٢١٦/١، والترمذي في التفسير ٢٩٨١.

وعن المسيب بن حزن رضي الله تعالى عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية.

رواه البخاري في الجنائز، وفي التفسير ١٢٤/١٠، ومسلم في الإيمان ٢١٤/١.

الحديثان يبيّنان معنى الآية التي نزلت بسبب عدم إيمان أبي طالب، وفي ذلك دليل على أنه لم ينطق بالشهادة علماً بأنه مصدق بقلبه بصحة رسالة ابن أخيه حبيبنا ﷺ، وكم كنا نودّ أن يُشهر إسلامه ولكن الله حكيم عليم. وفي الحديثين مع الآية رد على الشيعة الزاعمين موت أبي طالب على الإيمان، ويخالفون صريح القرآن وصريح السنّة الصحيحة، وقد جاءت

أحاديث أخرى تبين مآل أبي طالب ومقره من النار في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمَاءَ إِمْنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧) .

فيه حديث ابن عباس المتقدم آخر النمل : « إن هذا البلد حرمة الله . . . » (١) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨٥) .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى : ﴿ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ ، قال : إلى مكة .

رواه البخاري في التفسير ١٢٧/١٠ ، والنسائي في الكبرى ٤٢٥/٦ ، وابن جرير ١٢٥/٢٠ ، وانظر : المجمع ٨٨/٧ .

هذا أصح ما جاء في تفسير الرد إلى المعاد ، وانظر الأقوال الأخرى عند ابن جرير ، وقوله تعالى : ﴿ فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ . . . ﴾ ، أي أنزل عليك القرآن .

قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٨٨) .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أصدق كلمة قالها الشاعر : « ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل ، وكاد أمية ابن أبي الصلت أن يُسلم » .

رواه أحمد ٢٤٨/٢ ، ٤٧٠ ، والبخاري في الأدب ١٥٩/١٣ ، وفي الرقاق وغيرهما ، ومسلم في الشعر ١٢/١٥ ، ١٣ وغيرهم .

(١) انظر : ص ٦١٦ .

الحديث موافق للآية الكريمة في معناها الواسع، ولذلك صدق النبي ﷺ لبیدًا في بيته هذا الذي لم تتكلم العرب بمثله، فكل شيء مما سوى الله هو باطل.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾، أي ميّت، ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾، أي ذاته، كما قال في آية أخرى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وذكر البخاري في تفسيره للآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، إلّا ملكه، ويقال: إلّا ما أريد به وجه الله. وانظر: ابن جرير ١٢٧/٢٠، والفتح ١٠/١٢٢، ١٢٣.

وبهذا تم الكلام على سورة القصص، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّلَى اللَّهَ وَكَلَّمَ وَبَارَكُوا عَلَيَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَصَّيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَعِزُّهُ

هذه السورة مكية، وآياتها تسع وستون، وموضوعها كسائر أخواتها المكيّات في الكلام على الوحداية والرسالة وقصص الأنبياء والجزاء، وفيها بالذات الكلام على ابتلاء المسلم لأجل دينه، وتلك سنّة إلهيّة لا تتخلف عبر العصور والأمم.

من خصائص هذه السورة

ومن خصائص هذه السورة الكريمة ما يلي:

- ١ - ذكر آية كريمة فيها أعظم بشارة للمؤمنين الصالحين المحبين لله عزّ وجلّ المشتاقين إلى لقائه: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ...﴾ آية ٥.
- ٢ - ذكر المدة التي مكثها سيدنا نوح عليه السّلام في قومه يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وهي تسعمائة وخمسون سنة، وهذا لم يقع لغيره من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، ومع ذلك فما آمن معه إلا قليل، آية ١٤.

- ٣ - ذكر العنكبوت وضرب المثل للأصنام ببيتها الذي هو أو هن البيوت، آيات ٤١ - ٤٣ .
- ٤ - بيان خاصية للصلاة، وهي من شأنها أن تهذب صاحبها وتنهيه عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، آية ٤٥ .
- ٥ - إخباره تعالى عن نبيه حبيبنا محمد ﷺ بأنه ما كان قبل نبوته يقرأ ولا يكتب، وتلك معجزته العظمى التي لا يستطيع العدو المعاند أن يبطلها ولو كان معه الإنس والجن ظهيرا، ولقد ضللوا الباجي فيما قال هنا عن كتابته ﷺ، آية ٤٨ .
- ٦ - من جاهد في الله نفسه وأعوانها هداه الله عز وجل لطرق الخير وكان الله تعالى معه معية خاصة، آية ٦٩ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ .



عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت في أربع آيات... فذكر قصة، وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهها، فنزلت: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ... ﴾ الآية .

رواه أحمد رقم ١٥٦٧، ١٦١٤، ومسلم ١٨٥/١٥، والترمذي ٢٩٨٢، كلاهما في الفضائل وأبو داود والنسائي .

شجروا: أي فتحوا فمها، وفي الآية الكريمة والحديث الشريف وجوب الإحسان إلى الوالدين والبرور بهما وإن كانا كافرين غير أنهما لا يطاعان في غير طاعة الله تعالى، وفي الحديث فضل سعد رضي الله تعالى عنه وقوة إيمانه وثباته عليه رغم ما كان يعانيه من البلايا وقت هذه القصة مع والدته .

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾.

عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ...﴾ الآية، قال: كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم.

رواه أحمد ٦/٣٤١، ٣٢٤، والترمذي ٢٩٨٣، والحاكم ٢/٤٠٦، وصححه ووافقه الذهبي.

يخذفون، من الخذف وهو الرمي بالحصاة أو النواة.

والحديث يبين بعض ما كان قوم لوط يأتونه في مجالسهم من الفواحش، قال ابن كثير في الآية الكريمة: أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، فمن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضاً في الملاء، ومن قائل: كانوا يتضارطون ويتضاحكون، ومن قائل: كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك. وكل ذلك كان يصدر عنهم، وكانوا شراً من ذلك. انتهى ببعض حذف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إِنَّ فَلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، فقال: «سينهاه ما تقول». رواه أحمد ٣/٤٤٧، وابن حبان رقم ٢٥٦٠ بالإحسان، والبخاري ٧٢٠، وسنده صحيح.

وقال الهيثمي في المجمع ٢/٢٥٨، ورجاله رجال الصحيح. وله شاهد عن جابر بمثله رواه البخاري ٧٢١، ٧٢٢، قال الهيثمي ٢/٢٥٨: ورجاله ثقات.

الآية مع الحديث يدلان على أن الصلاة من شأنها أن تنهى صاحبها عن

المعاصي والمناكير، وهذا لا شكَّ فيه لأنه نص القرآن والحديث النبوي، وإذا وجد من يصلي ولا ينتهي عن الفواحش، فإنما ذلك لعدم توفر شروط صحة صلاته، وأنها غير معتبرة ولا مقبولة، والله تعالى الموفق الهادي.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد من الله إلا بعداً.

رواه الطبراني في الكبير ٨٥٤٣، قال في المجمع ٢/٢٥٨، ورجاله رجال الصحيح. وهذا لا يقال من قبل الرأي، ولذا فقد جاء مرفوعاً من حديث ابن عباس بلفظ: «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً». رواه الطبراني أيضاً ١١٠٢٥، ورجاله ثقات غير أن ليث ابن أبي سليم كان قد اختلط.

والحديث يدل على أن صلاة الفاسق غير مقبولة لعدم إتقانها وإلا فلو كانت صحيحة لنهت صاحبها عما يأتيه، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾.

﴿٤٦﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ولكن قولوا: ﴿ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالنَّهْأَوِ الْبُكْمِ وَحَدُّوْهُمْ لَمْ يُسْلِمُوْنَ ﴾».

رواه البخاري في التفسير وفي الاعتصام، وفي التوحيد ٧٥٤٢، والحديث تقدم في البقرة.

وبهذا تم الكلام على سورة العنكبوت، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الرَّؤُوفِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَرَأَى بَارئًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَزَبَهُ

هذه السورة من السُّورِ المكية، وآياتها ستون، وموضوعها تأسيس العقيدة في الكلام على الوجدانية والرسالة والبعث...

من خصائص هذه السورة

- ولها خصائص تمتاز بها عن غيرها، وهي:
- ١ - ذكر تلك المعجزة الباهرة الخالدة، وهي الإخبار بتغلُّب الروم على فارس بعد انهزام الأولين، ووقوع ذلك كما أخبر، فانهزم الفرس أخيرًا وانتصر عليهم الروم، آيات ٢ - ٦.
 - ٢ - إخباره تعالى بأنَّ الكفار لا يعلمون إلَّا ظاهر هذه الحياة وهم عن سواها غافلون، آية ٧.
 - ٣ - الأمر بتسبيح الله عزَّ وجلَّ عند الصباح والمساء والظهر والعشي، آيتان ١٧، ١٨.
 - ٤ - ذكره تعالى الآية العظيمة في خلقه النساء للرجال، وجعله عزَّ وجلَّ بين الزوج وزوجه مودَّة ورحمة، آية ٢١.

- ٥ - ذكر الآية في اختلاف الألسن والألوان، آية ٢٢ .
 ٦ - ذكره تعالى أن له المثل الأعلى، أي الوصف الأعلى، آية ٢٧ .
 ٧ - ذكره تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها من معرفته والإقرار له بالربوبية، آية ٣٠ .
 ٨ - ذكره أن ظهور الفساد بالبر والبحر بما كسبت أيدي الناس، آية ٤١ .
 ٩ - إخباره عز وجل بأنه حق عليه نصر المؤمنين، آية ٤٧ .
 ١٠ - ذكره تعالى مراحل حياة الإنسان ضعفاً وقوةً وشيبة، آية ٥٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٣) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٤) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٥)

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (١) قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل الأوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب، فذكره لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: «أما إنهم سيغلبون»، فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتكم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلته إلى دون»، قال: أراه العشر، قال: قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٣) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٤) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٥)

اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٨١﴾ ، قال سفيان: سمعت أنهم
ظهروا عليهم يوم بدر .

رواه أحمد ٢٧٦/١ ، ٣٠٣ ، والترمذي ٢٩٨٥ ، والنسائي ٤٢٦/٦ في الكبرى ،
كلاهما في التفسير ، والحاكم ٤١٠/٢ ، وصححه الترمذي والحاكم وقال: هذا على
شرط البخاري ، وأقره الذهبي . وفي الباب عن نيار بن مكرم مطوّلًا بنحوه . رواه
الترمذي ٢٩٨٧ وصحّحه .

وفي الحديث بيان لقصة الروم مع فارس حيث إنهما كانا يتقاتلان
فانتصرت فارس على الروم ، ودخلت الشام وغيرها ، حتى ألجأت قيصر إلى
استنبول وحاصرتها مدة ، فأخبر الله عزّ وجلّ بأنّ الروم ستغلب فارس
وتهزمها ، فكان الأمر كذلك ، فبعد بضع سنين نشبت بينهما حرب من جديد ،
فانتصرت الروم وانهزمت فارس ، وكان ذلك في وقعة بدر عند انتصار
المسلمين على المشركين ، وفرح المؤمنون بالنصريين .

وفي الآية معجزة غيبية عظيمة دالة دلالة قطعية على حقية القرآن ، وأنه
كلام الله الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأنّ النبي ﷺ نبيّ صادق لا يبقى مع
ذلك أدنى أدنى شك ولا ريب لمن فتح الله بصيرته .

عن مسروق قال: بينما رجل يحدث فقال: يجيء دخان يوم القيامة
فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام . ففزعنا ،
فأتيت ابن مسعود ، وكان متكئاً ، فغضب فجلس فقال: من علم فليقل: ومن
لم يعلم فليقل: الله أعلم ، فإنّ من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم ، فإنّ
الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ ، وأنّ قريشاً
أبطؤوا على الإسلام ، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ
بسبع كسبع يوسف» ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الجيفة والعظام ،
ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان ، فجاءه أبو سفيان ،

فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله،
 فقرأ: ﴿ فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ أَلَيْسَ لَكُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
 مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُونٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ،
 أفيكشف عنهم عذاب الآخرة، إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم؟» فذلك قوله
 تعالى: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾، يوم بدر، ولزأماً يوم بدر... ﴿ الْعَمَّ ﴿١﴾
 غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٦﴾ فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ .

رواه البخاري في مواضع من التفسير، وانظر ما سبق في الفرقان عند قوله تعالى:
 ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧﴾ ، وسيأتي في الدخان.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
 تَنْشُرُونَ ﴿٢٥﴾ .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله
 خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض».

رواه أحمد ٤/٤٠٠، ٤٠٦، وأبو داود في القدر ٤٦٩٣، والترمذي في تفسير
 البقرة، وابن خزيمة في التوحيد ٦٤، والحاكم ٢/٢٦١، ٢٦٢، وابن حبان ١٤/٢٩،
 وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وتقدم في أول البقرة وغيرها.

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ
 الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧٧﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
 «يقول الله تعالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وشتمني ولم يكن له
 ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بداني. وليس أول الخلق
 بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: ﴿ أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾، وأنا

الأحد الصمد الذي ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٢١﴾ .

رواه أحمد ٣١٧/٢، ٣٩٣، ٣٩٤، والبخاري في التفسير رقم ٤٩٧٥، ٤٩٧٤، وفي بدء الخلق ١٠٠/٧، ورقم ٣١٩٣، والنسائي في الكبرى ٣٩٥/٤، وابن حبان ٥٠٠/١ بالإحسان.

الشم: هو الوصف بالتنقيص. والحديث من الإلهيات، وفيه حلم الله عز وجل؛ حيث إن بني آدم كلهم خلق الله تعالى وملك له، مقهورون تحت أمره، يتصرف فيهم كيف يشاء، ويمددهم ويعافيهم، ويحفظهم. وهم مع ذلك يكذبونه ويشتمونه، فيكذبون بالبعث وهو هين عليه تعالى من بدايتهم، ويصفونه بالنقص فينسبون إليه الولد وهو المتفرد بالوحدانية ونفي المثل والكفو، والشبيه والنظير.

قوله تعالى: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسبون فيها من جذعاء؟ ثم يقول: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .»

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٣١، ومسلم في القدر ١٦/١٠٧، ٢٠٩.

وعن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل ما نحلّت عبادي حلالاً، وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. . .» الحديث.

رواه مسلم في صفة أهل الجنة ١٧/١٩٧، ١٩٩، وأحمد ٤/٢٦٦، ١٦٢، والطيالسي ١٠٧٩، وابن حبان ٦٥٣.

الفطرة: اختلفوا في المراد بها هنا في الآية والحديث، فقيل: هي ما أخذ الله عليهم في أصلاب آبائهم، وأنَّ الولادة تقع طبق ذلك حتى يقع التغيير بالأبوين، وقيل: معناه كل مولود يولد على معرفة الله، والإقرار به.

ويؤيده الحديث الثاني، فإنه جاء فيه: «خلقت عبادي حنفاء»، أي مسلمين أو مستعدين لقبول الهداية. قال النووي رحمه الله تعالى: والأصح أنَّ معناه: أنَّ كل مولود يولد متهيئاً للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمرَّ على الإسلام... إلخ.

وقوله في الحديث الأول: بهيمة جمعاء، أي: مجمعة للأعضاء، سالمة لا توجد فيها جدعاء، أي مقطوعة الأذن، ومعناه: كما أنَّ البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث الجذع والنقص فيها فيما بعد، كذلك الأولاد يولدون سالمين من الكفر ومبادئه حتى يكفرهم مُربُّوهم من الآباء وغيرهم بواسطة الشياطين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾.



عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وقف النبي ﷺ على قلبب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»، ثمَّ قال: «إنَّهم الآن يسمعون ما أقول لهم»، فذكر لعائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنَّهم الآن ليعلمون أنَّ الذي كنت أقول لهم هو الحق»، ثم قرأت: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِينًا﴾.

رواه البخاري في غزوة بدر من المغازي ٨/٣٠٥ مطوَّلاً ومختصراً.

وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه، أنَّ نبي الله ﷺ أمر يوم بدر

بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مُحْبِث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشدَّ عليها رخلها ثم مشى وأتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلَّا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرِّكِيِّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسرِّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟»، قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

رواه أحمد ٣/١٤٥، و ٤/٢٩، والبخاري في المغازي ٨/٣٠٣، ٣٠٤، ومسلم في الجنة ١٧/٢٠٧، ورواه مسلم أيضًا عن أنس عن عمر بنحوه.

الركي، بفتح الراء المشددة، هي البئر. وظاهر الحديثين أن الموتى يسمعون كلام الأحياء ولو كانوا كفارًا. وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه، وما قالته السيِّدة عائشة رضي الله تعالى عنها هو فهم رأته، ذلك أن سماع الأموات لكلام الأحياء وشعورهم بكل ما يقع معلوم، وهو قول عامة العلماء. وفي الحديث الصحيح: «إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه ليسمعُ قرعَ نعالهم...»، وهو في مسلم ١٧/٢٠٣.

وقال ابن كثير في التفسير: والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميت يعرف بزيارة الحي ويستبشر. ثم ذكر آثارًا كثيرة عن السلف وغيرهم في ذلك، ثم قال: والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويردُّ وإن لم يسمع المسلم الردَّ.

وقال قبل ذلك: والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما لها من الشواهد على صحَّتها من وجوه كثيرة، من أشهرها ما رواه ابن عبد البر

مصحّحًا له عن ابن عباس مرفوعًا: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يردّ السلام». وثبت عنه ﷺ أنه قال لأمته إذا سلّموا على القبور أن يسلموا سلام من يخاطبونه فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، وهذا خطاب من يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد... إلخ.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فالمراد بهم موتى القلوب من الكفار.

وبهذا تمّ الكلام على سورة الروم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ لُقْمَانَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ لِقْمَانَ وَبَارَكْنَا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهُ وَصَحْبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَرْبَهُ

هي من المكيات، وآياتها أربع وثلاثون، وموضوعها ما عند أخواتها.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر ذم من يشتري لهو الحديث كالمغنيات ونحوهن ليضل الناس، آية ٦.
- ٢ — ذكر قصة لقمان الحكيم وما فيها من وصايا خالدة لولده، آيات ١٣ — ١٩.
- ٣ — امتنانه تعالى علينا بإسباغ النعم ظاهراً وباطناً علينا، آية ٢٠.
- ٤ — بيان أن خلق الناس وبعثهم عنده تعالى كنفس واحدة، آية ٢٨.
- ٥ — بيان مفاتيح الغيب مفصلة، آية ٣٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٦﴾.

عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمرهن حرام، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَلْتَمَسَ مِنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَكِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية».

رواه أحمد ٥/٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٨، والترمذي في التفسير ٢٩٨٨، وابن ماجه ٢١٦٨، وكذا الحميدي ٩١٠، والطيالسي ١١٣٤، والطبراني في الكبير ٨/٢١٢، وابن جرير ٢١/٦٠، ٦١، والبيهقي في السنن ٦/١٤، وهو حديث حسن لطرقه. ومن شواهد ما أخرجه ابن أبي شيبة ٦/٣٠٩، وابن جرير ٢١/٦١، والحاكم ٢/٤١١، والبيهقي ١٠/٢٢٣، عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية، فقال: هو الغناء، والذي لا إله إلا هو - يرددها ثلاث مرات -، وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ومنها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٢٦٥، وابن جرير ٢١/٦١، والبيهقي ١٠/٢٢١ عن ابن عباس، في الآية قال: نزلت في الغناء وأشباهه. وسنده صحيح، ولا يضرنا عطاء بن السائب.

القينات جمع قينة بفتح القاف وسكون الياء، هي المغنية، والحديث يدل على أن الآية الكريمة نزلت في الغناء، وأنه لا يجوز بيع الجواري المغنيات ولا شراؤهن، وهذا على فرض وجود الإماء، وملك اليمين، وفي ضمنه تحريم تأجير المغنيات مطلقاً كما يفعله الناس اليوم كما يدل على تحريم سماع أغاني النساء لما في ذلك من إثارة الشهوة الجنسية وفساد القلب وفتنته، والغناء رقية الزنا كما يقال، وقد زاغ وافتري وضلّ من أباح سماع أغاني النساء على الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾.

١٢

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله عزّ وجلّ إذا استودع شيئاً حفظه».

رواه أحمد ٢/٨٧، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وبيّن ما فيه، فليراجع

برقم ٥٦٠٥ . والحديث جاء من قول النبي ﷺ بدون ذكر لقمان . رواه ابن حبان ٢٣٧٦ بسند صحيح .

كان لقمان رجلاً صالحاً وليس نبياً كما يقال ، أعطاه الله الحكمة وهداه لطاعته وعبادته ، ووصاياه التي ذكرها الله تعالى هنا من أحسن الوصايا وأجمعها وأوعبها ، وهي حريّة بأن يوصي بها الآباء الأبناء في كل الأجيال ، لاشتمالها على أصول الدين وأمّهاته ومهامه ، وفقنا الله للعمل بما فيها وجعلنا ممن اصطفاه لخدمته كلقمان رضي الله تعالى عنه .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾ الآية ، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أين لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . رواه البخاري في التفسير ١٣١/١٠ ، ومسلم في الإيمان ١٤٣/٢ ، ١٤٤ ، وغيرهما ، وقد تقدّم في سورة الأنعام وهناك تخريجه ومعناه .

قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (١٤) .

تقدم حديث سعد بن أبي وقاص في سبب نزول الآية ، انظر ما سبق في أول العنكبوت ، وقوله تعالى في الآية : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ... ﴾ الآية ، فيه بيان لما تعانیه الأم من متاعب الوحام ، والحمل ، والوضع ، والرضاع ، والتربية وكل ذلك مما يحمل الأولاد على البرور بالوالدين ، والإحسان إليهم . والوهن ، بسكون الهاء : الضعف ، فالحمل ضعف ، والوضع ضعف ، والطلق ضعف ... فالضعف يكون على الأم متواليًا ،

ولذلك كان حقها أعظم، والبرور بها أوجب من الأب، فاللَّهُمَّ ارحم والِدِينَا وجازهما عَنَّا الجَنَّةَ، واجمع بيننا وبينهم مع نبينا ﷺ في دار كرامته آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الدِّيكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا».

رواه البخاري في بدء الخلق رقم ٣٣٠٣، ومسلم في الذكر والدعاء رقم ٢٧٢٩، وأبو داود في الأدب ٥١٠٢، والترمذي في الدعوات ٣٢٣٣، والنسائي في التفسير من الكبرى ٤٢٧/٦.

الحديث يدل على أن حضور الملائكة من مظان استجابة الدعاء، وقد جاء في الذاكرين الله: «هم القوم لا يشقى جليسهم»، وفيه إشارة إلى مدح الديكة واستحباب اتخاذهم وتربيتهم، كما أن اتخاذ الحمير مذموم لشؤمهم ونهيقهم عند رؤيتهم الشياطين، وحضور الشياطين شر محض، ولذلك أمرنا بالاستعاذة بالله منهم عند أصوات الحمير.

وفي الآية الكريمة ذم أصوات الحمير، وأنها أقبح الأصوات وأسمجها، وفيها إشارة إلى وجوب الابتعاد عن التشبه بالحمير في رفع الصوت، لأن ذلك ينافي الآداب الإسلامية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية».

رواه أحمد ٢/٢٤، ٥٢، ٥٨، ١٢٢، والبخاري في الاستسقاء وفي التفسير ٣٠٠/٩، ١٣٢/١٠، وهو من أفراده عن مسلم، وتقدم في سورة الأنعام وأحلت إلى هنا.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ فذكر الحديث في بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشرط الساعة فقال: «وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشرطها في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾... ﴿الآية﴾.

رواه أحمد ٢/٤٢٦، والبخاري ١/١٢٣، ١٣٣، ومسلم ١/١٦١، ١٦٥، والنسائي في المجتبى ٨/٩٠، ٩١، ثلاثهم في الإيمان. ورواه البخاري في تفسير سورة لقمان أيضاً: ١٣١/١٠، وأبو داود في السنة ٤٦٩٨، وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة.

مفاتيح، جمع مفتاح: وهو آلة الفتح، قال العلماء: هو على الاستعارة؛ حيث شبه الغيب بالأشياء المستوثق منها بالأقفال، وأثبت له المفاتيح تخيلاً، فالأمور الغيبية كأنها مخازن خزنت فيها المغيبات، فاستعير المفاتيح لها، والله أعلم.

فقوله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس...» إلخ، هو تفسير لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾ الآية، وهذه الآية وما في الباب من أحاديث تقتضي أن خزائن المغيبات الخفية لا يعلمها ولا يحيط بها أحد بذاته إلا الله تعالى فهو المنفرد بعلمها جملة وتفصيلاً، وله أن يُطلع عليها أو على بعضها من شاء من رسله وملائكته ومن أراد من عباده الصالحين بوحى للأولين وإلهام ومكاشفة للآخرين، فالعلم المنفي هنا وفي الأنعام، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، إنما هو العلم بالذات، أما بواسطة تعليم الله عز وجل فغير

مراد قطعاً، لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن آرَضْنِي مِن رَّسُولٍ ﴿﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، وقوله عزَّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُم عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴿﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وإذا ثبت أن الرسل قد يطلعهم الله على غيبه، وكذا بعض ملائكته كما ثبت في الأحاديث الكثيرة، كذلك قد يطلع على ذلك بعض من شاء من عباده الصالحين كرامة لهم كما تواتر عنهم وثبت الآن في الطب الحديث الاطلاع على ما في رحم المرأة من جنين ذكر وأنثى كما ثبت بواسطة علم الرصد والسحاب معرفة نزول المطر ومجيء الريح، ونحو ذلك. وبهذا نعلم قطعاً أن نفي علم الخمس ونحوها إنما هو لمن يدعيها بنفسه، أما ما كان بإعلام الله عزَّ وجل على أي وجه كان فلا مانع من ذلك، فاعرف هذا ليذهب عنك كثير من الإشكالات.

وما قلناه ليس ببدع منا، بل قد قاله العلماء قبلنا، ومنهم الإمام أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى: فقد قال في تفسير سورة لقمان عند هذه الآية ما نصه: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقيماً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون ومن شاء الله من خلقه، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها، وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من بلاد الله.

وللحافظ في الفتح كلام جيد في هذا الموضوع، فقد قال بعد كلام: فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن آرَضْنِي مِن

رَسُولٍ ﴿ [الجن: ٢٧]، فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب، والولي التابع للرسول، عن الرسول يأخذ وبه يُكْرَم، والفرق بينهما أن الرسول يَطَّلَع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولي لا يَطَّلَع على ذلك إلاَّ بمنام أو إلهام، والله تعالى أعلم.

وبهذا تمَّ الكلام على سورة لقمان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات، وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ السَّجْدَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ عَلَى اللَّهِ وَعْدٌ وَإِنَّا نَسْتَعِينُهُ
وَأَلَّهُ وَهَيْبَةٌ وَرُؤُوسُهُ فِي السَّمَاءِ

هذه السورة الكريمة هي خاتمة السور الثمان المكيّات المتواليات كما قدمنا في أول سورة الشعراء، وهي ثلاثون آية.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر ملك الموت الذي يقبض الأرواح ويباشرها، آية ١١ .
- ٢ - بيان ما أعدّ الله للمتجهدين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، وأن أيّ نفس لا تعلم ما أخفي لهم من قرّة أعين، آيات ١٥ - ١٧ .
- ٣ - جعله أئمة من بني إسرائيل يدعون إلى الله عزّ وجلّ لما صبروا، آية ٢٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَرْجُونَ عِزَّ اللَّهِ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في



الفجر يوم الجمعة ﴿الآر ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السجدة، و ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ .

رواه البخاري ٢٨/٣، ومسلم ١٦٨/٦ كلاهما في الجمعة، ورواه البخاري في مواضع، ومثله عن ابن عباس رواه مسلم ١٦٨/٦، وغيره.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ:

﴿الآر ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السجدة، و ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِرُّهُ الْمَلِكُ﴾ .

رواه أحمد ٣/٣٤٠، والترمذي في فضائل القرآن ٣٧٠٠، وفي الدعوات ٣١٨٤

بتهذيبي، والحاكم ٤١٢/٢، بسند صحيح.

في الحديثين مزية اختصاص لهذه السورة المذكورة، ففيها سنية تعاهدها بأن تقرأ سورتا السجدة والملك كل ليلة، والسجدة والإنسان في صلاة الصبح من كل جمعة، وفقنا الله للمداومة على العمل بذلك، آمين.

قوله تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ .

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فأصبحت قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه، تُقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجُّ البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصومُ جنةٌ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ . »

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى

يا رسول الله، قال: «رأسُ الأمرِ الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: «كُفَّ عليك هذا». قلتُ: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُ الناسَ في النارِ على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم».

رواه أحمد ١٣١/٥، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، والترمذي في الإيمان ٢٤٣٥، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٣، والنسائي في الكبرى ٤٢٨/٦، والحاكم ٧٦/٢، ٤١٢، من طرق، وسنده صحيح، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: جَنَّةٌ، بضم الجيم، أي: وقاية. وقوله: تتجافى، أي: تتباعد عن مواضع الاضطجاع والنوم. وذروة سنامه، أي: أعلاه، والسنام هو المرتفع من كل شيء. وقوله: ثكلتك، أي: فقدتك أمك.

هذا حديث عظيم فيه كل مقاصد الشريعة وأمهاث الدين، وهو من الوصايا النبوية العظيمة، وفيه أن من تحقق بما فيه كان من أهل الجنة، فيا فوز من كان متخلِّقاً بهذه الأخلاق، ويا فلاحه وسعداه، حققنا الله تعالى بما فيه آمين.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وفي رواية: «اقرأوا إن شئتم».

رواه البخاري في التفسير ١٣٤/١٠، وغيره، ومسلم في الجنة رقم ٢٨٢٤، والترمذي في التفسير ٢٩٩٠، ٣٠٧٥ بتهذيبي.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: قال: «سأل موسى عليه السلام ربه عزَّ وجلَّ: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال:

هو رجل يجيء بعدما أُدْخِلَ أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب. كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك ما اشتتهت نفسك ولدت عينك، فيقول: رضيت ربي، فقال: ربي فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصادقه من كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ .

رواه مسلم في إثبات الشفاعة من كتاب الإيمان ٣/٤٤، ٤٦، والترمذي في التفسير ٢٩٩١.

في الحديثين بشارة للمتجهدين في ظلام الليالي، وأن الله عز وجل أعد لهم ما لم تسمعه قط أذن، ولا رآته عين، ولا خطر على قلب بشر من أنواع النعيم، بل ذلك فوق مستوى عقولنا الحالية. أما الحديث الثاني فيتجلى فيه فضل الله ورحمته بعباده يوم القيامة، فإنه إذا كان أدنى أهل الجنة سيعطى مقدار ما كان يملك ملك من ملوك الدنيا أضعافاً مضاعفة مما لا يعلمه إلا الله، فكيف بغيره؟! إنها لبشارة ما بعدها بشارة، ختم الله لنا بالسعادة آمين.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن هذه الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٨٩، وأبو داود ١٣٢١، وحسنه الترمذي وصححه.

نزول الآية بسبب انتظار صلاة العشاء لا ينافي تناولها للمتجهدين؛ لما تقدّم في حديث معاذ الذي صدرنا به وما ذكرناه بعده.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ الآية، قال: مصائب الدنيا: الروم، والبطشة، أو الدخان.

رواه مسلم في صفة القيامة رقم ٢٧٩٩.

فيه أن للكافرين عذاباً أدنى في الدنيا هو بلايا الحياة وما يشبهها. أما العذاب الأكبر فهو المعد لهم في جهنم عياداً بالله منها.

وبهذا تم الكلام على سورة السجدة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْأَحْزَابِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَكَرَ اللَّهُ وَرَأَى بَارِئًا عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهُ وَهَمِيمًا وَزَوْجَهُ وَعَزِيزًا

هذه السورة الكريمة مدنية، وقد جاءت مفردة خلال العديد من السور المكية، فقد جاءت قبلها ثمان سور مكيات على التوالي، كما جاء بعدها ثلاث عشرة سورة على التابع، كلها مكيات بدءاً من سورة فاطر إلى نهاية سورة الأحقاف.

وأهداف هذه السورة هي أهداف السور المدنية من ذكر التشريع الإسلامي، وبيان الأحكام والفرائض.

من خصائص هذه السورة

- وللسورة خصائص هامة لم تذكر في غيرها، وهي:
- ١ - إبطال التبني وإلحاق الأولاد بغير آبائهم، وأن ذلك كان من بقايا الجاهلية، آيتان ٤ و ٥.
 - ٢ - بيان أن أزواج النبي ﷺ هن أمهات للمؤمنين في الاحترام والتعظيم، وتحريم تزوج بهن، ولسن الأمهات في كل الأحكام، آية ٦.

- ٣ - ذكر غزوتي الخندق - الأحزاب - ، وقريظة، والإشارة إلى بعض ما حصل فيهما، آيات ٩ إلى ٢٧ .
- ٤ - بيان الأصل العظيم في كون الرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة لكل مؤمن، آية ٢١ .
- ٥ - ذكر الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، آية ٢٣ .
- ٦ - تخيير الرسول الكريم ﷺ نساءه الطاهرات بين الله ورسوله والدار الآخرة وبين الدنيا وزينتها، آيتان ٢٨ و ٢٩ .
- ٧ - شرف نساء النبي ﷺ وبيان فضلهن، آيات ٣٠ إلى ٣٢ .
- ٨ - ذكر آية تطهير أهل البيت من نساء النبي وبناته وذريته، آية ٣٣ .
- ٩ - بيان أنه لا خيرة لأحد مع قضاء الله ورسوله، آية ٣٦ .
- ١٠ - ذكر قصة زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنه وتزويج النبي ﷺ بها بعد أن طلقها زيد، آية ٣٧ .
- ١١ - بيان أن رسولنا المصطفى ﷺ هو خاتم النبيين، آية ٤٠ .
- ١٢ - بيان أن من طلقت قبل المسيس لا عدّة عليها، آية ٤٩ .
- ١٣ - إباحتها نكاح الموهوبة للنبي ﷺ دون غيره، آية ٥٠ .
- ١٤ - الأمر بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، آية ٥٦ .
- ١٥ - مؤذي الله ورسوله ﷺ ملعون في الدنيا والآخرة، آية ٥٧ .
- ١٦ - الأمر بالحجاب لساء النبي وبناته ونساء المؤمنات، آية ٥٩ .
- ١٧ - ذكر الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال . . . إلخ، آية ٧٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَتَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: رأيت قول الله

عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ ما عني بذلك؟ قال: قام نبي الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون أن له قلبين، قلباً معكم، وقلباً معهم... فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾.

رواه أحمد رقم ٢٤١٠، والترمذي ٢٩٩٢، وابن جرير ١١٨/٢١، وابن أبي حاتم ٣١١٢/٩، والحاكم ٤١٥/٢، وحسنه الترمذي وصحَّحه الحاكم، وكذا أحمد شاكر في شرح المسند. وفيه قابوس بن أبي ظبيان مختلف فيه، وباقي رجاله رجال الصحيح.

جاءت الآية الكريمة ردّاً على ما رمى به المنافقون النبي ﷺ من أن له قلبين، ونفت أن يكون للإنسان في جوفه قلبان.

قوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.



عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

رواه البخاري ١٣٦/١٠، ومسلم في الفضائل رقم ٣٢٠٧، والترمذي في التفسير

٣٠٠١.

في الآية والحديث إبطال ما كان سائداً في الجاهلية من إلحاق الأولاد بغير آبائهم، وأن الواجب أن ينسبوا إلى آبائهم، فإن لم يُعلم لهم آباء فهم إخوان لنا في الدّين وموال لنا، ويلاحظ أن التّبنيّ على الطريقة الحالية اليوم من إدخالهم في الحالة المدنية وجعلهم كأولاد للنّسب محرم أشدّ التحريم، ومنكر من أشد المناكير لا يجوز الإقدام عليه ولا إقراره لمن عرفه.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَاؤُهُمْ



الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، فأیما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، فإن ترك ديننا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه».

رواه البخاري في التفسير ١٣٥/١٠، وفي الفرائض ١٥/١٠، وفي الكفالة وفي الاستقراض، ومسلم في الفرائض ١٦١٩.

قوله: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: أنه ﷺ أحق بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور دينهم ودنياهم، وأنه أرف بهم، وأعطف عليهم، ولذلك كان حكمه أنفذ، وطاعته أوجب.

والحديث يدل على أنه ﷺ كان يتكفل بديون المديونين والقيام بالضائعين الذين لا مال لهم ولا ممول. والمراد بالعصبة في الحديث: الورثة المنصوص عليهم سواء كانوا يرثون بالفرضية أو بالتعصيب.

وقد تقدّم حديث ابن عباس والكلام عليه في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّا اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

رواه البخاري في مواضع، وأبو داود، والنسائي وغيرهم، وقد تقدّم الكلام في الموضوع.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده».

رواه البخاري في المغازي رقم ٤١١٤، ومسلم في الذكر رقم ٢٧٢٤.

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعِ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ وَزَلِّزْلُهُمْ».

رواه البخاري في المغازي ٤١٠/٨، وفي الجهاد، وفي التوحيد، ومسلم في الجهاد ١٧٤٢، والترمذي فيه ١٥٣٩، والنسائي في الكبرى ١٨٨/٥، ١٥٤/٦، وأبو داود ٢٦٣١، وابن ماجه ٢٧٩٦.

الأحزاب: هم الكفار الذي تحزبوا على النبي ﷺ وأصحابه وهاجموه وحاربوه. وفي الحديث الثاني مشروعية الدعاء على الكفار بالانهزام وزلزلة قلوبهم، ولذلك كان النبي ﷺ يوحد الله على نصره وإعزازه جنده وهزمه الأحزاب وحده، فإنه تعالى استجاب دعاء نبيه فزلزل قلوب الكفار، وبعث عليهم ريحاً عاصفة وجنوداً من الملائكة، فانصرفوا هاربين منهزمين ملعونين.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَيَقَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ (١١).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ الآية، قالت: يوم الخندق.

رواه البخاري في المغازي رقم ٤١٠٣، ومسلم آخر الصحيح ٣٠٢١، والنسائي في الكبرى ٤٢٩/٦، ٤٣٠.

الآية الكريمة تخبر عن حالة المسلمين عندما هاجمهم كفار قريش ومن كان معهم وحاصروهم نحواً من شهر وأحاطوا بهم من جهة الشرق والغرب، فقد جاءتهم قريش وكنانة وأوباش العرب من أسفل الوادي، وجاءهم أسد وغطفان من أعلى المدينة، واشتد على المسلمين الأمر حتى مالت أبصارهم عن سنها ومستوى نظرها شخوصاً لشدة الهول والرعب، وزالت القلوب عن

أماكنها حتى كادت تبلغ الحناجر، وحركوا تحريكاً عنيفاً حتى لكأن الأرض تتحرك بهم وما في الآية تمثيل لشدة الخوف والفرع. وكانت هذه الغزوة من أخطر الغزوات على المسلمين، لكن الله عز وجل وعد بنصر رسله والمؤمنين بهم، فما أن اشتد بهم الأمر حتى جاءهم النصر المبين وكفى الله المؤمنين القتال.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلَ يَثْرِبَ ﴾ .

١٣

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

رواه البخاري رقم ١٨٧١، ومسلم ١٣٨٢، كلاهما آخر الحج في فضل المدينة.

كان اسم المدينة المنورة في الجاهلية يثرب، فغير النبي ﷺ اسمها فسمّاها المدينة وطابة كما جاء في حديث آخر، وكره هذا الاسم لأنه من الثريب، وفيه شؤم، وقد عرف من هديه ﷺ كراهية الأسماء غير الحسنة التي قد يتشاءم بها الناس. وقوله في هذا الحديث: بقرية تأكل القرى، معناه: أن منها سيتوجه الفاتحون للبلاد والقرى، فكأن المدينة تأكلها. وقوله: تنفي الناس، يعني: الخبثاء الذين لا يليقون بمجاورة الحبيب ﷺ، وهذا قد يكون خاصاً بعصره وحياته؛ لأنه قد وجد بها بعد موته عبر الأجيال من هم خبثاء لا دين لهم...

قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ﴾ .

١٤

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: عمي أنس بن النضر سُميت به، لم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فكبر عليه، فقال: أول مشهد قد شهد

رسول الله ﷺ غبتُ عنه، أما والله لئن أراني اللّهُ مشهدًا مع رسول الله ﷺ ليرينَ اللّهُ ما أصنعُ، قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد من العام القابل، فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو، أين؟ قال: واهَا لريح الجنّة، أجدها دون أحد، فقاتل حتى قُتِل، فوُجِد في جسده بضعٌ وثمانون ما بين ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، قالت عمتي الرُبَيْعُ بنت النضر: فما عرفت أخي إلاّ ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بِبَدِيلًا﴾ ﴿١٣﴾ .

وفي رواية: «وانكشف المسلمون، قال: اللّهُمَّ إِنِّي أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني الصحابة، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - فلقبه سعد... إلخ.

رواه الترمذي باللفظ الأول ٢٩٩٣، والبخاري في التفسير ١٣٦/١٠، ومسلم في الإمامة ١٩٠٣، والنسائي في الكبرى ٤٣٠/٦، ورواه ابن جرير ١٤٦/٢١، ١٤٧ بالروایتين.

وعن طلحة رضي الله تعالى عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سله عمّن قضى نجه من هو؟ كانوا لا يجترئون على مسألته؛ يُوقرُونه ويهابونه فسأله أعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنني أطلعتُ من باب المسجد وعليّ ثيابُ خضرٍ، فلما رأني النبي ﷺ قال: «أين السائلُ عمّن قضى نجه؟»، قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا ممّن قضى نجه».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٩٥، وفي الفضائل ٣٥١٣، وابن ماجه ١٢٦، ١٢٧، وابن جرير ١٤٧/٢١، وغيرهم، وسنده حسن صحيح.

في الحديث الأول فضل أنس بن النضر حيث إنه ممّن صدق ما

عاهد الله عليه حتى قتل في سبيل الله شهيداً، وأن الآية نزلت بسببه. أما الحديث الثاني ففيه فضل طلحة بن عبيد الله أيضاً، وأنه ممن شمله الآية.

واختلفوا في هذه الكلمة ﴿مَنْ قَضَى نَجَبَهُ﴾، فقيل: فمنهم من وفى بنذره وعهده حتى استشهد كأنس بن النضر المتقدم وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما رضي الله تعالى عنهم، وقيل: من قضى نجه، أي الموت على ما عاهد الله عليه صادقاً وافيّاً، وطلحة من هؤلاء الذين كانوا ينتظرون الموت ولم يبدلوا، حتى وافاه أجله في وقعة الجمل بضربة في ركبته ضربه بها مروان بن الحكم.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: «يا عائشة، إنني ذاكرك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله قال: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾»، قلت: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلتُ.

رواه البخاري في التفسير ١٣٨/١٠، ١٣٩، ١٤٠، وغيره، ومسلم في النكاح ٧٨/١٠، والترمذي في التفسير ٢٩٩٦.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن

لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحكُ به النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنتَ خارِجة سألتني النفقة فقمتم إليها فوجأتُ عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هُنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يَجأُ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يَجأُ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟ فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً، أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِهِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْتَعْتُمْ وَأَسْرَحْتُمْ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً ﴿٢٩﴾﴾.

قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إنني أريد أن أعرض عليك أمراً أحبُّ أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبيك»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وسألته أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعتتاً، لكن بعثني معلماً ميسراً».

رواه مسلم في النكاح ١٠/٨٠، ٨١، وجاءت القصة مطولة عن عمر أيضاً عند مسلم وغيره.

قوله: واجماً، أي: ساكتاً كثيراً حزينا. وقوله: فوجأت، بفتح الواو والجيم، أي: طعنت. وقوله: تستأمري، أي: تستشيرني وتطلبني أمرهما. وقوله: معنتاً... إلخ، معناه: لم يعثني الله إليكم معسراً ومشهداً عليكم وجالباً لما يشق على الناس.

وفي الحديثين بيان ما شرف الله تعالى به نبيه ﷺ وأكرمته به حيث انتصر

له وأنزل عليه قرآناً يطلب منه تخيير الأزواج بين هذه الحياة وبين الله ورسوله والدار الآخرة. وفيهما فضل نساء النبي ﷺ وبالأخص عائشة رضي الله تعالى عنها وعنهن، حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على متاع هذه الحياة الزائفة، فكن بذلك أزواجاً له ﷺ في الدنيا، ومعه في أعلى درجات الجنة في الآخرة، لا يصل إلى مقامهن أحد إلا بناته ومن شاء الله من عباده. ولذلك أكرمهن الله عزَّ وجلَّ بعدم تزوجه ﷺ عليهن بعد هذا التخيير، حيث قال له: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝٥٧﴾، وسيأتي مزيد لهذا قريباً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: «أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير».

رواه الترمذي في التفسير ٢٩٩٧، وفي المناقب واستغربه وهو صحيح؛ لشواهده: عن أم سلمة رواه الحاكم ٤١٦/٢ بسند صحيح وصححه على شرط البخاري، وعن وائلة رواه الحاكم أيضاً ٤١٦/٢، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

جللهم، أي: غطاهم بالكساء، وقوله: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي» لا شك في هذا وأنهم أخص أهله رضي الله تعالى عنهم، وأنهم داخلون في الآية الكريمة، وأن إذهاب الرجس عنهم مع التطهير يشملهم، وإن كانت الآية الكريمة نزلت في شأن نساء النبي ﷺ كما يدل عليه سياق الآية

الكريمة، ولكن هؤلاء المُجَلَّلِينَ عليهم السلام يدخلون فيها بالأولى. وفي الموضوع أحاديث ذكرت أهمها في الأنوار الباهرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عن أم عمارة الأنصارية رضي الله تعالى عنها أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآية.

رواه الترمذي ٣٠٠٢، وابن جرير ٨/٢٢، والطبراني في الكبير ٣٢/٣١/٢٥، ورجاله ثقات، وشريك لا يضر هنا، فإنَّ للحديث شواهد أقواها حديث أم سلمة بنحوه رواه أحمد ٣٠١/٦، والنسائي في الكبرى ٤٣١/٦، وابن جرير ٨/٢٢، والطبراني في الكبير ٢٦٣/٢٣ ولفظه: يا نبي الله، ما لي أسمع الرجال يُذَكِّرُونَ في القرآن والنساء لا يُذَكِّرْنَ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ... إلخ. وورد عن ابن عباس وغيره، فالحديث صحيح.

في الحديث دليل على فضل الرجال على النساء، وأنهم الأصل في كل شيء، والنساء إنما هنَّ لهم بالتبعية، ولذلك خصَّ الرجال بأمور كثيرة اجتماعية أعفى منها النساء، وقد شعر بذلك نساء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فأنزل الله هذه الآية تخبرهن بأنَّهن في التشريع والأحكام والأخلاق كالرجال وإن كنَّ دونهم في الفضل في الجملة، ولكن النساء أبين إلا أن يزاحمن الرجال في شؤونهم ويتطلَّعن إلى ما خصَّهم الله به ويردن أن يكنَّ مترجلات ملعونات كما هو حالهن اليوم. والآية الكريمة تدلُّ على الأجر

العظيم لمن اتَّصف بهذه الأخلاق المذكورة فيها، وهي عشر صفات حَقَّقْنَا الله وأحبَّتنا بها آمين .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا لِيَلْتَهُمَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» .

رواه أبو داود ١٣٠٩، ١٤٥١، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه ١٣٣٥، وأبو يعلى ١١١٣، وابن حبان ٦٤٥ بالموارد، والحاكم ٤١٦/٣، والبيهقي ٥٠١/٢ وسنده صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي .

في الحديث فضل عظيم وبشارة هامة للمتجهِّدين، وفيه استحباب حمل الأهل على العبادة وقيام الليل لما في ذلك من الثواب الجزيل . . .

ملحوظة: مَنْ حافظ على الأذكار النبوية الواردة في المناسبات كأذكار الصباح والمساء وأذكار التخلُّي والوضوء والصلاة والأكل والشرب واللباس والركوب والنوم والاستيقاظ، وغير ذلك، كان من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ . وَفَقَّنَا اللَّهَ لِلذِّكْرِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا آمِينَ .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۗ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينب وهي بنت عمته وهو يريدُها لزيد، فظنَّت أنَّه يريدُها لنفسه، فلما عَلِمَتْ أنه يريدُها لزيد أبَتْ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۗ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

رواه الطبراني في الكبير ٤٥/٢٤، وابن جرير ١١/٢٢ . قال النور ٩٢/٧: رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خطب النبي ﷺ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال النبي ﷺ: «فنعمة إذا»، قال: فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها، فقالت: لآها الله إذا، ما وجد رسول الله ﷺ إلا جليبيبا، وقد منعناها من فلان وفلان قال: والجارية في سترها تسمع قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره، إن كان قد رضي لكم فأنكحوه، قال: فكأنها جلت من أبيها، وقالوا: صدقت، فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه، قال ﷺ: «فإنني قد رضيته»، قال: فزوجهها، ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب، فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: فلقد رأيتها وإنما لمن أنفق بيت في المدينة.

رواه أحمد ١٣٦/٣ بسند صحيح على شرطهما، ورواه أيضا مطولا بسياق آخر.

قصة قتل جليبيب رضي الله تعالى عنه في الفضائل من صحيح مسلم ٢٦/١٦، في حديث مطول، وفيه: أن النبي ﷺ قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «لكنني أفقد جليبيبا فاطلبوه»، فطلب في القتل فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه»، فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلًا. وحديث قصته مع الحديث الأول يدلان على وجوب الانقياد لما حكم به الله ورسوله ﷺ، وأنه لا خيرة لأحد بعد قضاء الله عز وجل، فمن رفض ذلك ولم يستسلم فقد زاغ وضل ضلالا مبينًا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتّم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ الآية.

رواه أحمد ١٤١/٦، والترمذي ٣٠٠٠، والنسائي ٤٣٢/٦، كلاهما في التفسير وسنده صحيح وأصله في التوحيد من صحيح البخاري ١٨٣/١٨.

ما قالته السيدة رضي الله تعالى عنها ظاهر لأن الإنسان جُبِلَ على الدفاع عن نفسه كل ما يشينه ويلصق به عيباً، وكان ﷺ بخلاف ذلك فالآية وإن كانت صريحة في إبداء الله ما أخفاه عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك فلم يكتّم ذلك، بل بلغه للناس امتثالاً لأمره تعالى بتبليغ رسالته.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ...﴾ الآية، نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

رواه البخاري في التفسير ١٤٢/١٠، وفي التوحيد بسياق آخر، والترمذي ٣٠٠٥، والنسائي ٤٣٢/٦، كلاهما في التفسير، وفي رواية الترمذي: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ في شأن زينب بنت جحش، جاء زيد يشكو، فَهَمَّ بِطَلَاقِهَا، فاستأذن النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾. رواه أحمد والحاكم ٤١٧/٢ بنحوه وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي... وانظر ابن جرير ١٣/٢٢، والمجمع ٩١/٧.

قصة زواج زيد بزینب رضي الله تعالى عنهما وهمّه بطلاقها، وقول النبي ﷺ له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾ الآية، وقع فيها خبط وخطأ فاحش من بعض من لا يحترم مقام النبوة، رغم أن الأمر فيها واضح لا خفاء فيه، فهو أَمْرَةٌ فِي الظاهر بامساكه زوجته، وأخفى في نفسه ما سيبيده الله مما كان قد أوحى به إليه من أنها ستكون زوجته إذا طلقها زيد، وليس في ذلك ما يخدش عصمته ﷺ. وما زعمه بعض قليلي الدين من أنه ﷺ رآها فأعجبته وأخفى في نفسه التزوج بها إلى آخر ذلك الهراء، هو كلام باطل ساقط لا يليق بمقام النبوة...

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا... ﴾ الآية، قال: فكانت تفتخر على نساء النبي ﷺ تقول: زوجكن أهلوكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات.

رواه البخاري في التوحيد ٨٨/١٨٣، ١٨٤، والترمذي في التفسير ٣٠٠٣، وحسنه وصححه.

في الحديث فضل هذه السيدة على سائر أمهات المؤمنين بهذه الخصلة التي اقتصت بها حيث تولّى الله تعالى تزويجه بها ﷺ بلا ولي ولا شهود ولا مهر، وزينب هذه كانت من الصالحات الورعات المتصدقات المحسنات رضي الله تعالى عنها وعن باقي أمهات المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يحقر أحدكم نفسه»، قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمراً لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؛ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى».

رواه أحمد ٣/٣٠، ٤٧، ٧٣، ٩١، وابن ماجه في الفتن ٤٠٠٨، وسنده صحيح. قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

في الحديث وجوب قول كلمة الحق وتغيير ما يراه المسلم من المناكير، ويجب عليه أن لا يخشى أحداً غير الله كما أخبرت بذلك الآية

الكريمة عن جميع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا مقيد بما إذا أمن الإنسان على نفسه من الأذى الذي لا يطيقه مع شروط في ذلك لأدلة أخرى.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.



عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ فَكَانَ مِنْ دَخَلِهَا فَنظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: مَا أَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبْنَةِ، فَأَنَا مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ خَتَمَ بِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ».

رواه أحمد ٩/٣، والبخاري في أسماء رسول الله ﷺ في الفضائل ٥٢/١٥، ونحوه عن أبي هريرة عند البخاري في المناقب ٣٥٣٥، ومسلم في الفضائل ٢٢٨٦، ٥٢/١٥.

الأحاديث بكونه خاتم النبيين متواترة وكلها تدل على ما دلّت عليه الآية الكريمة من كون نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، فكل من ادعاها بعده فهو دجال كذاب كافر حلال الدم والمال.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.



عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وحرزًا للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكّل، ليس بفظّ، ولا غليظ، ولا صحّاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيّم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عميًا، وأذنانا صمًا، وقلوبنا غلفًا.

رواه أحمد ١٧٤/٢، والبخاري في البيوع ٢٤٦/٥، وفي تفسير سورة الفتح ٢٠٧/١٠، وكذا رواه في الأدب المفرد رقم ٢٤٦.

حرزاً للأمينين، أي حصناً للعرب، وقوله: صحّاب، ويقال بالسين هو الرافع صوته، وقوله: الملة العوجاء هي دين إبراهيم عليه السلام الذي غيرّه العرب وعوجوه، فبعث هذا الرسول العظيم ليقممه ويرجعه إلى أصله الخالص. وفي الحديث بيان موافقة التوراة للقرآن الكريم في بعض صفات نبينا ﷺ ككونه رسولاً وشاهداً ومبشراً ونذيراً، فيا ويل من عرفه وكفر به من اليهود وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾.



عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: أنا في القوم إذ قالت امرأة: إني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله فرأي رأيك يا رسول الله. فقام رجل فقال: زوجنيها، قال: فاذهب فاطلب ولو خاتماً من حديد، فذهب فلم يجيء بشيء ولا بخاتم من حديد، فقال رسول الله ﷺ: «معك من سور القرآن شيء؟» قال: نعم، قال: فزوجه بما معه من سور القرآن.

رواه البخاري ٥١٤٩، ومسلم ١٤٢٥، والنسائي في المجتبى ٣٢٠٠، كلهم في النكاح، ورواه النسائي في الكبرى أيضاً ٤٣٣/٦، وللحديث ألفاظ.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن امرأة أتت النبي ﷺ تعرض نفسها فقال: «ليس لي في النساء حاجة»، فقالت ابنة لأنس: ما كان أصلب وجهها؟ فقال: إنها كانت خيراً منك، رغبت في رسول الله ﷺ فعرضت نفسها عليه.

رواه البخاري في النكاح ٥١٢٠، وفي الأدب ٦١٢٣، والنسائي في المجتبى ٣٢٤٩، ٣٢٥٠، وفي الكبرى ٤٣٤/٦، وابن ماجه ٢٠٠١.

في الحديثين كالأية جواز عرض المرأة نفسها على الرجل للزوج بها، وأنه لا غضاضة عليها في ذلك، لا سيما إذا كان الرجل صالحاً وكان قصدها

الاستعفاف عن الحرام، أما هبتها نفسها للرجل بدون صداق فهذا لا يجوز لأحد بعد نبينا ﷺ، فذلك من خصائصه، لقوله تعالى: ﴿ خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾ الآية. وفي الحديث الأول مشروعية تزوج المرأة على أي شيء فيه منفعة لها سواء كان عملة، أو عقاراً أو ثياباً أو حلياً أو كان قرآناً إذا رضيت بذلك، فكل ما تنتفع به في دينها أو دنياها يصح أن يكون لها مهراً وصداقاً... وللأئمة في ذلك مذاهب.

قوله تعالى: ﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَن أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾.

٥١

قال عروة رحمه الله تعالى: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت: ﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾، قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وفي رواية: قالت: كنت أغارُ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وفي أخرى قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَن أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾، فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحداً.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٤٤، ١٤٥، وفي النكاح، ومسلم في الرضاع ١٤٦٤، وأبو داود ٢١٣٩، والنسائي ٣١٩٩ كلاهما في النكاح.

في هذه الآية الكريمة خصيصة من خصائص نبينا ﷺ، حيث أباح الله له أن يعامل زوجاته كيف شاء، يمسك منهن من يشاء، ويطلق من يشاء، ولذلك شعرت سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها بذلك، فقالت له: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وكيف لا وهو الحبيب المصطفى الذي ما خلق الله

خلقاً أكرم عليه منه ، فإنه تعالى يمنح مطلق أحبابه الصالحين ما يتمنونه قبل سؤالهم ، فكيف بحبيب الأحباب .

وقد اختلف في تفسير هذه الآية فقيل : ترجىء ، أي تؤخر من تشاء منهم ، أي الزوجات بغير قسم ، وتؤوي إليك من تشاء منهم ، وهذا قول الجمهور . وقيل : إنه كان هم بطلاق بعضهن فقلن له : لا تطلقنا ، واقسم لنا ما شئت ، فكان يقسم لبعضهن قسمًا مستويًا وهن اللاتي آواهن ، ويقسم للباقي ما شاء وهن اللاتي أرجأهن . .

قال الحافظ في الفتح : فحاصل ما نقل في تأويل «ترجىء» أقوال : أحدها تطلق وتمسك ، ثانيًا : تعتزل من شئت منهم بغير طلاق وتقسم لغيرها ، ثالثها : تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت ، قال : وحديث الباب يؤيد هذا والذي قبله ، واللفظ محتمل للأقوال الثلاثة قال : وظاهر ما حكته عائشة من استئذانه أنه لم يُرج أحدًا منهم بمعنى أنه لم يعتزل ، وهو قول الزهري : ما أعلم أنه أرجأ أحدًا من نسائه .

واختار ابن كثير رحمه الله تعالى أن الآية في الواهبات أنفسهن إليه ﷺ ، فقال عقب الحديث : فدلّ هذا على أن المراد بقوله ترجى أي تؤخر من تشاء منهم من الواهبات ، وتؤوي إليك من تشاء ، أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ، ولهذا قال : ﴿ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ . قال : وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ . . . ﴾ الآية ، أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لهنّ ، فتقدم من شئت ، وتؤخر من شئت ، وتجامع من شئت وتترك من شئت ، وهكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

واختار شيخ المفسرين ابن جرير رحمه الله تعالى أن الآية عامة في الواهبات، وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن، إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم، قال ابن كثير: وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث... إلخ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا ۝٥٦﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نهي رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾ الآية، وأحل الله فتياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، وحرم كل ذات دين غير دين الإسلام، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة: ٥]، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٨﴾، وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء.

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٠٦ بسند صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلَّ الله له النساء، وفي رواية: حتى أحلَّ الله له أن يتزوج من النساء ما شاء.

رواه أحمد ١٨٠/٦، ٢٠١، ٤١، والترمذي ٣٠٠٧، بهذيب، والنسائي في المجتبى ٣٢٠٥، وابن حبان ٢١٢٦ بالموارد، والحاكم ٤٣٧/٢، بسند صحيح وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

خلاصة ما ذكره المفسرون وشرح الحديث في هذا الموضوع أن هذه

الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ...﴾ الآية، نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ، حيث أحسن في اختيار الله ورسوله والدار الآخرة فحرم عليه تعالى أن يتزوج بغيرهن أو يتبدل بهن أزواجاً سواهن إلا ما كان من الإماء، ثم رفع تعالى عنه هذا الحرج والحذر وأباح له التزوج كما صرحت بذلك السيدة المبرأة، ولكنه ﷺ لم يقع منه بعد ذلك زواج.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجْ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية الحجاب لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم فقعدها يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجْ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، فضرب الحجاب وقام القوم.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٤٨، وفي التوحيد ٧٤٢١، ومسلم في النكاح ١٤٢٨، والنسائي في التفسير ٦/٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، بالفاظ بعضها مطولاً وبعضها مختصراً.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب.

رواه البخاري في التفسير ٢٣٥/٩، ١٤٦/١٠، ٢٨٦، وأحمد، والنسائي في الكبرى ٤٣٥/٦، وانظر تفسير البقرة: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ رَبِّهِمْ مَصَلًّا﴾ [البقرة: ١٢٥].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت أكل مع النبي ﷺ حسياً من قعب، فمر عمر رضي الله تعالى عنه فدعاه فأكل فأصاب أصبعه أصبعي فقال: حَسٌّ أو أَوْه، لو أطاعُ فيكن ما رأتن عين، فنزل الحجاب.

رواه النسائي في الكبرى ٤٣٥/٦، والطبراني في الأوسط، قال النور في المجمع ٩٣/٧، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

قعب: بفتح القاف وسكون العين، قدح ضخم. وقول عمر: حس، كلمة تقال عند العرب إذا أصيب الإنسان بضربة أو حرق جرّة عن غفلة. وقوله: أوّه، كلمة تقال عند التوجع والشكاية.

الحديث الأول يدل على أن آية حجاب نساء النبي نزلت بسبب زينب رضي الله تعالى عنها، بينما حديثه الثاني مع حديث السيدة المطهرة يدلان على أن سببه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وقد جمع بين ذلك بتعدد النزول أو يكون نزل بأحد السببين ثم صادف الثاني النزول فأخبر كل بما علم.

والآية الكريمة جاءت كتأديب للصحابة في معاملتهم مع النبي ﷺ عند دخولهم بيوته، وفيها آداب سامية تتعلق بالطفيليين الثقلاء الذين يطيلون الجلوس بعد الأكل في الولايم. . . ولا يراعون أحوال أهل الدار كما فعل بعض الصحابة في وليمة زينب حيث أكلوا وجلسوا يتحدثون والنبي ﷺ محتاج إلى خلو البيت، فجعل يدخل ويخرج فوجد عليهم في قلبه واستحى أن يأمرهم بالانصراف حتى أنزل الله تعالى فيهم القرآن، ولذلك كان بعض السلف يقول: إن هذه الآية تسمى آية الثقلاء، وقال بعض المفسرين: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

رواه البخاري في التفسير ١٥٢/١٠، ومسلم في الصلاة ١٢٦/٤، ١٢٧، وباقي الجماعة. ونحوه عن أبي مسعود الأنصاري، رواه مسلم في الصلاة ٤٠٥، ١٢٣/٤، ١٢٤، ١٢٥، وأبو داود ٩٨٠، ٩٨١، والترمذي ٣٠٠٩، والنسائي وغيرهم. وعن أبي سعيد رواه البخاري في التفسير ١٥٣/١٠، والنسائي وابن ماجه وغيرهم. وفي الباب أحاديث كثيرة تراجع في القول البديع وغيره.

الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن العباد دعاء، وصلاة الله تعالى على نبيه ﷺ هو ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين بما يليق بقدره ومنزلته عنده. ثم الصلاة عليه ﷺ من الواجبات الإسلامية على المؤمنين في كل صلواتهم، ومن الرغائب العظيمة في كل الأحيان، وخاصة ليلة الجمعة ويومها، ولها فضائل جمة لا يستهان بها، فالسعيد من وفق للإكثار منها عليه ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر أقلب ليلة ونهاره».

رواه أحمد ٢٧٢/٢، والبخاري في التفسير وغيره، ومسلم في كتاب الألفاظ من

الأدب ٢/١٥، ٣. وفي رواية: «يقول: يا خيبة الدهر»، ويأتي في سورة الجاثية في آية الدهريين.

قوله: أنا الدهر، أي أنا رب الدهر وخالقه والمدبّر له، وكان أهل الجاهلية ينسبون الأحداث والنوازل للدهر والزمان فيسبونه ويقولون: يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا، فيسندون الأفعال إليه وهو شرك في الربوبية، فإن الفاعل ومدبر الأمور والمتصرف فيها بالذات هو الله تعالى وحده، والدهر وكل المخلوقات والكائنات مربوبون مقهورون تحت سطوة الله وقدرته وعظمته لا حول لأحد منهم ولا قوة، فمن نسب شيئاً إلى غير الله تعالى من خلق أو تأثير فقد آذى الله عزّ وجل ومؤذيه ملعون له عذاب عظيم.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْتَهُنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِيكَ عَنْتَهُنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ...﴾ الآية، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكيسة. وفي رواية لبعضهم: من أكسية سود يلبسناها.

رواه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق ٣١٥٤/١٠، وأبو داود في اللباس ٤٠٩٨ بسند صحيح. وعزاه في الدر المنثور أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ٦٥٩/٦.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرجت سودة رضي الله تعالى عنها بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر رضي الله تعالى عنه فقال: يا سودة إنك والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى، وفي يده عزق فدخلت وقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا. فأوحي إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن».

رواه البخاري في التفسير ١٥٠/١٠، ومسلم في السلام ١٤/١٥٠، ١٥١، ١٥٢

وغيرهما.

الجلابيب جمع جلباب وهو الملاءة التي تلبسها المرأة فوق الثياب وتلتحف بها عند خروجها من منزلها، ولا يكون ذلك إلا مع الأجنبي غير ذوي المحرم، والجلباب يشبه ما يستعمله نساء الحجاز والعراق وإيران ونحوهن.

وحجاب المرأة واجب إسلامي فمن أنكره فقد أنكر القرآن وكذب الله تعالى فيما قال وحكم، فهذا القرآن يأمر فيه الله نبيه ﷺ بإبلاغ نسائه وبناته ونساء المؤمنين بأن يسترن محاسنهن بالجلابيب، غير أن أمهات المؤمنين يختصن بحجاب جميع أجسادهن بل وأشخاصهن، قال القاضي عياض: فرض الحجاب مما اختص به أزواج النبي ﷺ فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهنّ كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا يجوز لهن إظهار شخوصهن وإن كنّ مستترات إلا ما دعت إليه الضرورة من الخروج للبراز... إلخ، وهو عند النووي في شرح مسلم ١٤/١٥١.

أما غيرهن من سائر النساء فلا يجب عليهن إلا تغطية محاسنهن وزينتهن بما يعد ساتراً شرعاً بأن يكون الثوب واسعاً غير شفاف رقيق، سابغاً غير قصير ولا زينة في نفسه ولا مطيباً... وقد ألّف الناس في شروط خروج المرأة المسلمة... وقد أخرج ابن جرير ٢٢/٤٦، وابن أبي حاتم ١٠/٣١٥٤ وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدن عيناً واحدة. وانظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية الكريمة.

وحدِيث عائشة في قصة سودة يدل على الإذن للنساء في الخروج

لحوادثهن، أما ما صدر من عمر في سودة رضي الله تعالى عنهما كان غيرة منه على نساء النبي ﷺ أن لا تظهر أشخاصهن مطلقاً إكراماً لهن، فنزل الأمر بحجبهن على الخصوص.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً ستيراً، ما يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل.. فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، قال: فجمع موسى بأثره يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً»، قال أبو هريرة: والله إنه بالحجر لندب ستة أو سبعة، ضرب موسى عليه السلام بالحجر. وفي رواية ذكر في آخره: فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ الآية.

رواه أحمد ٣١٥/٢، والبخاري في الغسل ٤٠١/١، وفي الأنبياء ٢٤٧/٧، ٢٤٨، وفي التفسير وغيرها، ومسلم في الفضائل ١٢٦/١٥، ١٢٧، وفي الحيض ٣٢/٤، ٣٣ وغيرهم.

قوله: حياً: أي متصفاً بالحياء. قوله: آدر: الأدره انتفاخ الخصيتين. قوله: فجمع موسى بأثره: أي ذهب مسرعاً خلفه. وقوله: فطفق: أي جعل يضرب الحجر ضرباً. وقوله: لندب: بفتحات، أي أثر الضرب.

ما في هذا الحديث الشريف بعض مخازي بني إسرائيل وعدوانهم، حيث إنهم اتهموا رسولهم بالنقص في جسده، ورموه بالطعن في خلقته،

فنزّه الله تعالى عما قالوا، وبرّاه بتلك المعجزة العجيبة وهو فرار الحجر الجامد بثوبه وهو يطلبه حتى مر على بني إسرائيل فرأوا جسمه، وما به من آفة أو عاهة.

وفيه أيضاً فوائد وعبر ذكرتها في عجائب الأقدمين فتنظر هناك.

والآية فيها نهي الله تعالى المؤمنين من هذه الأمة أن يتشبهوا باليهود فيؤذوا نبيهم ﷺ.

وبهذا نكون قد أنهينا الكلام على سورة الأحزاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ السَّبْأِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ وَرَثَهُ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُؤُوفٌ وَرَحِيمٌ

السورة الكريمة مكيّة، وهي كأخواتها في طابعها وأهدافها، وآياتها أربع وخمسون.

من خصائص هذه السورة

- ١ - هي إحدى السور الخمس التي ابتدئت بالحمد لله عزّ وجل، آية ١.
- ٢ - فيها ذكر القَسَمِ الثاني الذي أمر النبي ﷺ أن يقسم به للكفار تأكيداً لوقوع القيامة والبعث: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، آية ٣، والأول: في يونس: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾، آية ٥٣، والثالث: في التغابن: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ﴾، آية ٧.
- ٣ - إخباره تعالى بما خصّ به نبيه داود عليه السّلام بإلانة الحديد وصنعه الدروع، آية ١٠.
- ٤ - إخباره عن نبيه سليمان عليه السّلام وما أعطاه له من تسخير الريح له مسافة شهر غدوّاً ورواحاً، كما سخر له الجن يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان، آيتان ١٢، ١٣.

٥ — ذكر قصة موته عليه السّلام وعدم شعور الجن بذلك مدة مديدة حتى سقط، آية ١٤ .

٦ — ذكر قصة أهل سبأ وما كانوا عليه من رغد العيش والخصب . . . وما صاروا إليه من الخراب والدمار والتشريد في البلاد بسبب كفرهم وطغيانهم، آيات ١٦ — ١٩ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِمَ بَلَدُكُمْ طَيِّبَةً وَرَبُّكُمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٥)

عن فروة بن مُسَيْك المرادي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجت من عنده سأل عني ما فعل الغُطَيْفِي فأخبر أنني قد سرت، قال: فأرسل في أثري فردني، فأتيته وهو في نفر من أصحابه فقال: ادع القوم، فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك، قال: وأنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيا من منهم ستة، وتشاء منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسّان، وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد، والأشعريون، وحِمير، وكندة، ومدحج، وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله ما أنمار؟ قال: الذين منهم خذعم وبجلة.

رواه أبو داود في الحروف ٣٩٧٨، والترمذي في التفسير ٣٠١١، والحاكم ٤٢٤/٢، وصحّحه ووافقه الذهبي، وهو وإن كان فيه أبو سبرة وهو مقبول فالحديث صحيح لشواهده، وقد حسّنه بعض المحدثين، كما صحّحه آخرون، وانظر: المسند ٢٩٠٠، والمجمع ٩٤/٧.

قال المؤرخون: كان سبا ملوك اليمن، وكان تُبَّع وبلقيس صاحبة سليمان عليه السَّلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشتهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل فأمنوا بهم وأطاعوهم ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد فأصبحوا شذر مذر.

وقوله: ولكنه رجل وَلَدَ عشرة من العرب. يقال: إن سبا كان يسمى عبد شمس وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، وتناسل منه عشرة رجال، هم أم القبائل العربية... فلما نزل بهم سيل العرم تفرقوا في البلاد فسكن الشام لخم وجذام وغسان وعاملة، فكانوا رؤوس القبائل العربية هنالك، وسكن اليمن الباقي وهم الأزد ومن عطف عليهم.

وَلُحْمُ بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة، وُجْدَامُ بضم الجيم، وغسان بفتح الغين والسين المشددة، وعاملة بكسر الميم، وِحْمِيرٌ كمنبر، وكِنْدَةٌ بكسر الكاف وسكون النون، ومَدْحَجٌ بفتح الميم وسكون الذال وكسر الحاء، والأزد بفتح الهمزة وسكون الزاي.

واختلف النسابون هل كان قحطان من العرب العاربة الذين كانوا قبل سيدنا إبراهيم عليه السَّلام أم هو من سلالة إبراهيم؟ الصحيح أنه من ولد إبراهيم، ويؤيده ما في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ مرَّ بنفر من أسلم ينتضلون فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً». وأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار بأوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن السبئيين الذين نزلوا يثرب - المدينة - بعد سيل العرم، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿١٩﴾

عن صُهَيْبٍ رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «عجباً لأمر

المؤمن إنَّ أمره كلُّه له خيرٌ، إن أصابته سرَّاء فشكر كان خيرًا له، وإن أصابته
ضراء فصبر كان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمن» .

رواه أحمد ٤/٣٣٢، ٣٣٣، و ٦/١٥، ١٦، ومسلم في الزهد ١٨/١٢٥،
والدارمي وغيرهم . وله شاهد عن أنس في المسند ٥/٢٤ بسندٍ رجاله ثقات، وشاهد ثانٍ
عن سعد بن أبي وقاص في المسند أيضًا ١/١٧٣، ١٧٧ .

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ** ﴾، أي لعبرًا وعظات، ﴿ **لِكُلِّ صَبَّارٍ** ﴾
على الضراء والمحن والبلايا وفتن الحياة، ﴿ **شَكُورٍ** ﴾ أي كثير الشكر
لنعم الله عزَّ وجل . وهذا شأن المؤمن الموفق كما شرحه وفصله الحديث
الشريف، فإن المؤمن بخير على كل الحالات، حتى المعصية قد تكون
أحيانًا خيرًا له ولدينه فيجدد بها التوبة والرجوع إلى الله عزَّ وجل، وينكسر
قلبه بسببها، ويذل بها نفسه، لأن دوام الطاعة والمثابرة على تعاطي القربات
قد تؤدي بالإنسان أحيانًا إلى الإعجاب، والتعظيم والتفاخر والارتفاع على
الغير، كالمال والثراء ورغد العيش، والصحة والعافية، والسلطة والرياسة
والنفوذ، فلكل ذلك طغيان وتمرد وانحراف، فمن أراد الله به خيرًا عالجه
بأضدادها والله الحكمة البالغة .

قوله تعالى: ﴿ **حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا
قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله،
كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا
— للذي قال — : الحقُّ وهو العليُّ الكبير» .

رواه البخاري ١٠/١٥٧، والترمذي ٣٠١٢ كلاهما في التفسير .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه فرمى بنجم فاستنار فقال ﷺ: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول: يُولد عظيم، أو يموت عظيم...»

رواه أحمد رقم ١٨٨٢، ١٨٨٣، ومسلم ٢٢٥/١٤، ٢٢٧، والترمذي في التفسير ٣٠١٣، وغيرهم.

قوله: إذا قضى الله الأمر: في رواية للنواسة بن سمعان عند الطبراني: «إذا تكلم الله تعالى بالوحي». وقوله: خضعاناً، أي خاضعين. وقوله: سلسلة على صفوان، أي كصوت السلسلة على حجر أملس، وقوله: حتى إذا فرغ عن قلوبهم، أي رفع عن قلوبهم الفرع. والحديث مبين للآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء، نصرت بالرعب... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً، ويبعث إلى الناس عامةً».

رواه البخاري في التيمم ١/٤٥٣، ٤٥٥، ومسلم في المساجد ٣/٥، ٤ مطولاً.

لا شك أنه ﷺ بعث إلى الثقيلين الإنس والجن من كل الأجناس، وهذه خصيصة له ﷺ، وقد تقدّم نحو هذا في سورة الأعراف، آية ١٥٨.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من

يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزlan فيقول أحدهما: اللّهُمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللّهُمَّ أعط ممسكا تلفًا» .

رواه البخاري ٤/٤٧، ومسلم ٧/٩٥ كلاهما في الزكاة .

هذه النفقة تشمل النفقة على الزوجة والأولاد والوالدين والضيوف، الواجبة والمندوبة سواء في ذلك، فكلها يخلفها الله تعالى بأضعاف أضعافها، وهذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه . أما تلف الممسك فالظاهر أنه يكون في الإمساك عن الواجبات، نعم قد يشمل البخيل، والله أعلم .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [٤١] .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد وحول الكعبة ستون وثلاثمائة نُصْب، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، و ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبا: ٤٩] .

رواه الشيخان وغيرهما، وقد تقدّم في الإسراء، فارجع إليه، آية ٨١ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [٥٠] .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأشرف الناس على وادٍ فجهروا بالتكبير والتهليل: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، ورفع عاصم صوته فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إن الذين تدعون ليس بأصمّ، إنه سميعٌ قريبٌ إنه معكم»، أعادها ثلاث مرات .

رواه البخاري في الجهاد ٢٩٩٢، وفي المغازي، وفي الدعوات ٦٢٨٤ وفي القدر، ومسلم في الذكر ٢٧٠٤، وأبو داود في الصلاة، والترمذي في الدعوات وغيرهم .

اربعوا بكسر الهمزة وفتح الباء، أي ارفقوا .

وفي الآية والحديث بيان أن الله عزَّ وجلَّ متصف بالسمع والقرب،
وهما صفتان لله عزَّ وجلَّ يليقان بألوهيته وعظمته وجلاله فليس كمثله شيء،
فتفسيرهما إمرارهما كما جاءتا كباقي آيات وأحاديث الصفات، فهو تعالى
حاضر شاهد قريب سميع بصير، وكل هذه الصفات هي خلاف صفاتنا.

وبهذا تم الكلام على سورة سبأ، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصلوات.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه
وحزبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

* * *

﴿ سُورَةُ فَاطِرٍ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلِكِي اللَّهِ وَرَأَيْمِ وَبَارِكِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ وَوَجْهِهِ وَزَوْجِهِ وَعَرْبِهِ

هي كسابقتها مكية، وهي خمس وأربعون آية، وموضوعها الاهتمام بأصول الدين والعقيدة...

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر في بدايتها أنه تعالى جعل للملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع، آية ١.
- ٢ - ذكر أربع آيات ضرب فيها أربعة أمثال للكافر والمؤمن: الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات، آيات ١٩ إلى ٢٢.
- ٣ - ذكر آيتين في اختلاف أنواع الثمار والفواكه والمخلوقات كالجبال والناس والدواب والأنعام، آيتان ٢٧ و ٢٨.
- ٤ - ذكر فضل العلماء باللَّهِ وبأمره، وأنهم الذين يخشونه حق خشيته، آية ٢٨.
- ٥ - فضل هذه الأمة بإرثها القرآن الكريم الذي هو أقدس وأجمع كتاب منزل من عند الله عزَّ وجلَّ، ثم انقسام هذه الأمة إلى أقسام ثلاثة:

ظالم، ومقتصد، وسابق. وأنَّ جميعهم سيدخلون الجنة بفضل الله تعالى ورحمته، آيات ٣٢ إلى ٣٥.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدرّ والياقوت ما الله به عليم».

رواه أحمد ١/٣٩٥، ٤١٢، ٤٦٠، من طرق بعضها صحيحة.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ: «لما فتر عنه الوحي كان يجاور بحراء، فلما هبط سمع صوتاً فرفع رأسه فإذا الملك الذي جاءه بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض قد سدَّ الأفق بأجنحته».

رواه أحمد ٣/٣٢٥، ٣٧٧، والبخاري في بدء الوحي أول الكتاب وفي بدء الخلق ١٢٦/٧. وفي الباب عن عائشة عند البخاري في بدء الخلق، وفي تفسير المائدة، ومسلم في الإيمان ٣/٨/١١ مطوّلاً، وغيرها.

في الآية والحديثين دليل على أنَّ للملائكة أجنحة مختلفة العدد، وأنَّ جبريل عليه السلام أكثرهم ذلك، وهو يدل على عظيم خلقته عليه السلام، ولذلك لما رآه النبي ﷺ على صورته التي خلق عليها أربع ممّا رأى.

وقوله: التهاويل، أي: الأشياء المختلفة الألوان المترين بها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ مِنْهُمْ شَيْءٌ وَلَا يُفِضُ مِنْ عُمُرِهِمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيُصَلِّ رَحْمَهُ».

رواه البخاري في البيوع ٢٠٦٧، وفي الأدب، ومسلم في البر والصلة ٢٥٥٧ وغيرهما.

قوله: ينسأ، أي: يؤخر. والآية الكريمة تقتضي أن زيادة العمر أو نقصانه كلاهما مكتوب في الذكر مفروغ منهما، وهذا من اليقينيات، وإنما اختلف العلماء في توجيه الحديث المذكور الذي يخبر بأن صلة الرحم توجب البسط في الرزق والزيادة في الأجل، فقيل: المراد بذلك البركة في الرزق والأعمال، أو يكون مقيداً في الكتاب، وأنه سيصل رحمه فيسقط له في رزقه ويعمر طويلاً، وقيل غير ذلك، فالله أعلم بمراد نبيه ﷺ، فإن هذا الباب وعرضه ضيق.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٢).

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... ﴾ الآية، فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يُحَاسِبُونَ حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يُحْبَسُونَ في طول المحشر، ثم هم الذي تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣١) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾». «

رواه أحمد ١٩٤/٥، ١٩٧، ١٩٨، من طريقين أحدهما سنده صحيح على شرط مسلم، وهو عند ابن جرير ١٣٧/٢٢، وابن أبي حاتم بنحوه. ثم إن للحديث شواهد: عن أبي سعيد عند أحمد ٧٨/٣، والترمذي ٣٠١٤ وحسنه، ورواه ابن جرير ١٣٧/٢٢، وابن أبي حاتم ٣١٨١/١٠. وعن ابن عباس وأسامة بن زيد عند الطبراني. وعن عوف بن مالك رواه ابن أبي حاتم ٣١٨١/١٠، ٣١٨٢، وغيرهم. وفي بعضها:

«هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة»، وهي رواية أبي سعيد، وفي بعضها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «فظامهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»، رواه ابن أبي حاتم ٣١٨١/١٠، وغيره. وفي الباب آثار كثيرة في معنى ما ذكرناه، انظرها عند ابن جرير وابن كثير والدر المنثور.

وفي الآية الكريمة مع ما ذكر من الأحاديث النبوية فضل عظيم لهذه الأمة المحمدية. قال الإمام أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ثُمَّ جَعَلْنَا الْقَائِمِينَ بِالْكِتَابِ الْعَظِيمِ الْمَصْدُوقِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم هذه الأمة. ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو المُفْرَطُ في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وهو المؤدِّي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. . والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿٣٦﴾.

تقدّم حديث مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون». انظر سورة طه: الآية ٧٤.

في الآية والحديث وعيد ما بعده وعيد، وهو يأس الكفار من الاستراحة ورفع العذاب عنهم لا بالتخفيف عنهم ولا بالموت، ولا بالخروج منها، فهم في عذاب مستمر خالد، وتقدّم لنا كلام في الموضوع عند الآية المذكورة.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ نَعَمَّرَكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَعَذَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ أَمْرِيءٍ آخَرَ عَمْرِهِ حَتَّىٰ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً». وفي رواية: «العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم سِتُّونَ سَنَةً» يعني: ﴿أَوْلَتْهُ نِعْمَتِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٢٧﴾﴾. وفي رواية: «لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه».

رواه أحمد ٢/٢٧٥، ٣٢٠، ٤١٧، والبخاري في الرقاق ١٤/١٤، والرواية الثانية رواها البزار، أما الأخيرة فهي عند أحمد ٢/٢٧٥، والحاكم ٢/٤٢٧، ٤٢٨.

أعذر، أي: بالغ له في العذر حتى لم يبق له عذر، فإن إطالة العمر إلى الستين... هو وقت يتاح للعبد فيه الرجوع إلى الله تعالى والإجابة إليه والانكفاف عن مواقع سخطه وغضبه، فبعد هذا العقد لم يبق له عذر يعتذر به، فما بقي بعده إلا ترقب الموت ولقاء الله تعالى، ألهمنا الله رشدنا وجعل خير أيامنا وأسعدنا يوم لقائه، آمين.

وقوله تعالى: ﴿أَوْلَتْهُ نِعْمَتِكُمْ﴾ الآية، معناه: أولست قد فسحت لكم في الأجل وأطلت أعماركم حتى وصلت بكم إلى سن يتذكر فيها من يريد أن يتذكر ويتفكر. فماذا صنعتكم في هذه المدّة التي عشتموها. هذا يقال للكفار وأشباههم يوم القيامة تبيكتنا لهم.

وبهذا تمّ تفسير سورة فاطر، وبه تمّ الربع الثالث من القرآن الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿ سُورَةُ الْيَسِّ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِيَ لَوْلَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ آلِيَّ وَوَجَّهْتُ رَبِّي إِلَيْكَ وَلَوْلَا إِتْرَافُكَ يَوْمَ الْمُنَادِ
تَتَذَكَّرُ الْبَشَرُ لَكِنِّي قَدْ كَتَبْتُ لَكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السورة الكريمة مكية اتِّفَاقًا، وهي ثلاث وثمانون آية، وأهم أهدافها الكلام على البعث والنشور، وإقامة الأدلَّة والبراهين على ذلك، مع بيان آيات القدرة والتوحيد، وقصَّة أهل القرية...

من فضائلها

لا يصحَّ شيء في فضلها إلاَّ الحديث التالي، وهو:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يس في ليلةٍ أصبح مغفورًا له، ومن قرأ حلَمَ التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفورًا له».

رواه الطيالسي رقم ١٩٧٠ مع المنحة، والدارمي ٣٤٢٠، وأبو يعلى ٦١٩٦، والطبراني في الصغير ٤١٧، والسياق لأبي يعلى، غير أنه قال: «في ليلة جمعة»، قال ابن كثير في التفسير: إسناده جيّد. قلت: بل سنده صحيح، عند الدارمي رجاله رجال الصحيح مع اختلاف في سماع الحسن من أبي هريرة. وللشطر الأول شاهد عن جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يس في ليلة

سورة يس
ابتغاء وجه الله عزَّ وجلَّ غُفِرَ له». رواه ابن حَبَّان في صحيحه ٢٥٧٤ وسنده صحيح،
وعنعة الحسن لا تضر هنا.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر قصة أصحاب القرية - يقال: أنطاكية - وحالتهم مع الجماعة الذين أرسلوا إليهم لإرشادهم ودعوتهم إلى الله تعالى، ثم مجيء الرجل إليهم - يقال إنه حبيب النجار - داعيًا إليهم ن يجيبوا الرسل، وما قص الله تعالى عنه في شأن القوم، آيات ١٣ إلى ٢٩.
- ٢ - التنصيص على جري الشمس في فلکها لمستقر لها، فمن قال إنها واقفة كان كافرًا بالآية الكريمة مكذبًا بها، آية ٣٨.
- ٣ - ذكر ختم الله تعالى على أفواه الكفار يوم القيامة فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم، آية ٦٥.
- ٤ - تنزيه نبينا ﷺ عن الشعر وإنشائه وتعاطيه؛ لأنه لا يليق به، آية ٦٩.
- ٥ - ذكر آية تدل على أن الله عزَّ وجلَّ جعل النار من الشجر الأخضر... آية ٨٠.
- ٦ - لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره بعد أن أورد ما جاء في السورة.

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تُقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى، قال: وكان قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح. وقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن صفوان بن عمرو^(١) قال: كان

(١) صفوان بن عمرو السكسكي الحمصي ثقة من رجال مسلم. يروي عن جبير بن نفير، وعن عكرمة. يروي عنه عبد الله بن المبارك وغيره.

المشيخة يقولون: إذا قُرئت - يعني: يس - عند الميت خَفَّفَ اللهُ عنه بها.

وقد جُرِّبَتْ قراءتها إحدى وأربعين مرّةً لتفريج الكروب ونيل المقاصد . . وإنما الأعمال بالنيّات، والله على كل شيء قدير .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ .



عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ»، قالوا: نعم يا رسول الله، قد أَرَدْنَا ذَلِكَ، فقال: «يَا بَنِي سَلْمَةَ، دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ، دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ» .

رواه مسلم في المساجد رقم ٦٥٥، وأحمد ٣/٣٣٣ .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يَا بَنِي سَلْمَةَ، أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ» .

رواه أحمد ٣/١٠٦، ٢٦٣، والبخاري في الأذان ٢/٢٨٠ مختصراً، وفي الحج مطوّلاً .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا التُّقْلَةَ إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آثَارَكُمْ تَكْتَبُ»، فلم ينتقلوا .

رواه الترمذي ٣٠١٥ في التفسير وحسنه، والحاكم ٤٢٨/٢، ٤٢٩، وصححه ووافقه الذهبي. ويشهد له حديث ابن عباس بنحوه، رواه ابن جرير ١٥٤/٢٢. قال الحافظ في الفتح ٢٨١/٢: أخرجه ابن ماجه، وإسناده قوي.

ظاهر حديثي أبي سعيد وابن عباس أن الآية نزلت بسبب بني سلمة، غير أن الآية مكية وقصة بني سلمة كانت بالمدينة بعد الهجرة، ويجاب باحتمال نزولها مرتين. وفي البخاري معلقاً عن مجاهد: ﴿وَنَكَّسْتُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ قال: خطاهم. وهذا أحد التفسيرين للآية، وأن آثارهم هي خطواتهم للصلاة. والتفسير الثاني آثارهم التي آثروها من بعدهم فسئوا للناس سنناً إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ، والله أعلم. وموقع ديار بني سلمة هو موضع مسجد القبلتين المعروف الآن.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

﴿٢٨﴾

الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذرّ، أتدري أين تذهب هذه الشمس»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «تذهب تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها»، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ .

وفي رواية: «تدرون متى ذاكم، ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

رواه أحمد ١٧٧/٥، ١٥٢، والبخاري في التفسير ١٦١/١٠ وفي بدء الخلق وفي

التوحيد، ومسلم في الإيمان ٢/١٩٥، ١٩٦، وأبو داود في الحروف ٤٠٠٢، والترمذي في الفتن ٢٠١٦ وفي التفسير ٣٠١٦، والنسائي في الكبرى ٤٣٩/٦.

الكلام على الآية والحديث فيه بحثان، أولاً: في سجود الشمس، ثانياً: في مستقرها.

أما سجودها تحت العرش بين يدي الرب فتضاربت فيه الأقوال، والظاهر أنها دائمة السجود وليس لها وقت خاص بالسجود لا تسجد في غيره، فإنها إذا غربت على قوم طلعت على قوم آخرين، فسجودها مستمر، وهي مع سائر هذا العالم تحت العرش، لأنه سقف العالم أجمع بأرضه وسماواته، وجنته وناره، وهذا وأمثاله يجب الإيمان به على ما أراده الله ورسوله ﷺ.

أما مستقرها فلها استقرار مكاني وهو تحت العرش على ما سلف، واستقرار زمني وهو منتهى سيرها وهو يوم القيامة، حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها...

وفي الآية والحديث دليل قاطع على أن الشمس تمشي وتجري في فلکها كباقي الكواكب السَّيَّارة كما قال في آية أخرى في هذه السورة: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. فالفكرة التي كانت تقول بوقوفها، هي فكرة خاطئة منحرفة، ومعتقد كافر.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ﷺ: «أتدرون ممَّ أضحك؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «من مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ

الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيزُ عليَّ إلاَّ شاهدًا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، فتتطَّقُ بعمله، ثمَّ يُخَلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْفًا فَعَنَكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ» .

رواه مسلم في الزهد ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى ٥٠٨/٦، وتقدَّم في سورة النور، ويأتي في الانفطار أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ .



عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيءٍ من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رَوَاحَةَ ويقول:

* ويأتيك بالأخبار من لم تزود *

رواه البخاري في الأدب المفرد ٨٦٧، والترمذي في الاستئذان ٢٦٥٧، وفي السَّمَائِلِ ٢٤١ وحسنه وصحَّحه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْرًا» .

رواه البخاري في الأدب ١٦٧/١٣، ومسلم في الشعر ١٤/١٥، وأبو داود ٥٠٠٩، والترمذي في الاستئذان ٢٦٦١، وابن ماجه ٣٧٥٩، وغيرهم .

قوله: تزود، بضم التاء وكسر الواو المشدَّدة، من التزويد، أي: قد يأتيك بالأخبار من لم تعطه زادًا بل يأتيك بها بالمجان. وقوله: يريه، بضم الياء الأولى وتفتح، أي: حتى يُفسده أو يهلكه، وقيل: حتى يصيب رثيته .

والآية دالة على أن النبي ﷺ لم يكن يعلم قرض الشعر، وأنه منزَّه عن ذلك؛ لأنَّ أغلبه كذبٌ وخيال، ولذلك يقولون: أحلاه أكذبه، كما أن أكثره في وصف الخمر والنساء وخذودهن وعيونهن ونهودهن وقدودهن . . . وكل

ذلك لا يليق بمطلق المؤمنين الملتزمين فكيف بمقام النبوة، وإنما كان يتمثل ببعض الأشعار المشهورة ممّا فيها حكم، ولذا قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحَكَمًا».

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾.

عن بشر بن جَحَّاش رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه، ثم قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، أتني تُعْجِزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مشيت بين بُرْدَيْكَ وللأرض منك وَبَيْدٌ، فجمعت ومنعت، حتى إذا بَلَغْتَ التراقي، قلت: أَتَصَدَّقُ، وأتني أو أن الصدقة؟!».

رواه أحمد ٢١٠/٤ وسنده حسن على مذهب ابن رجب وابن كثير والعراقي. وروى ابن جرير ٣٠/٢٣، ٣١، عن سعيد بن جبير برجال ثقات، وابن أبي حاتم ٣٢٠٢/١٠، عن ابن عباس أن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء، ففتته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يُميتك الله ثم يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»، ثم نزلت الآيات.

الإنسان من طبعه الأنانية والكبرياء، فرغم أنه ضعيف خَلِقَ من نطفة ثم علقه ثم مضغه... إلى آخر أطواره العجيبة، يتعاضم على الله خالقه ويعترض عليه وينسبه للعجز، ويحکم عقله ويكذب ما جاءت به رسل الله تعالى من عنده.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢).

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبادي، كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَاقَبْتُ فاستغفروني أغفر لكم،

وكلكم فقير إلا من أغنيتُ، إني جَوَادُّ ماجدٌ واجدٌ، أفعلُ ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردتُ شيئاً فإنما أقول لهُ كُن فيكون» . . .
رواه أحمد ١٧٧/٥ بسند حسن وبعضه في صحيح مسلم.

الآية والحديث يدلان على عظمة الله وقدرته، وأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء لا يعجزه شيء أراده، وأنه إذا تعلق قدرته وإرادته بإيجاد شيء أن يقول له كن فيكون بإذنه بدون مباشرة عمل، وهذا أمر فوق مستوى عقولنا فلا ندرك كنه ذلك، فسبحانه من إله عليم حكيم قدير، فله الملك كله وله الخلق كله وله الأمر كله، وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وبهذا تمت سورة يس، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
وصلّى الله وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الأبدین.



﴿سُورَةُ الصَّافَّاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَكَّ وَبَارَكَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرُزُقِهِ وَرُزُبِ

هي كسابقتها في النزول والأهداف مع ذكر بعض قصص مشاهير الأنبياء عليهم الصلوة والسلام كساداتنا نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإسماعيل وإلياس ولوط ويونس، وآياتها اثنتان وثمانون.

من خصائص هذه السورة

وللسورة خصائص نجملها فيما يلي:

- ١ - إقسام الله عز وجل بالملائكة الصافات، والزاجرات، والتاليات، بأنه تعالى إله واحد، آيات ١ - ٤ .
- ٢ - حشر الله تعالى يوم القيامة كل ذي شكل مع نظيره، الكافر مع الكافر، والمبتدع مع شكله، والسفك مع قرينه، والظالم مع أعوانه ومؤيديه، والزاني مع شبيهه، والمرابي مع صاحبه وهكذا، آيتان ٢٢، ٢٣ .
- ٣ - أمر الله تعالى ملائكته يوم القيامة بتوقيف الكفار وأشياعهم للسؤال، آية ٢٤ .
- ٤ - ذكر قصة الصديقين المؤمن والكافر في الدنيا وما آل أمرهما في الآخرة، ومخاطبة المؤمن من الجنة الكافر وهو في النار، وقوله له: ﴿إِنْ كِدْتَ لِتُؤَدِّينَ﴾، آيات ٥١ - ٥٧ .

- ٥ - وصفه تعالى ثمر شجرة الزقوم وطلعها في النار برؤوس الشياطين، آيات ٦٢ - ٦٥ .
- ٦ - بيان أن الباقيين الآن من بني آدم إنما هم من سلالة نوح عليه السَّلام، آية ٧٧ .
- ٧ - أن سيدنا إبراهيم كان من شيعة سيدنا نوح وأنصاره وأتباعه عليه الصَّلَاة والسَّلام، آية ٨٣ .
- ٨ - قولة إبراهيم عليه الصَّلَاة والسَّلام للكفار: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩)، آية ٨٩ .
- ٩ - ذكر قصة خليل الرحمن ورؤياه في ذبح إسماعيل ولده عليهما الصلاة والسلام، وما وقع في ذلك من الابتلاء وتصديق الرؤيا والفداء بالذبح العظيم، آيات ١٠٢ - ١٠٧ .
- ١٠ - ذكر قصة إلياس عليه الصَّلَاة والسَّلام وإرساله لأهل بعلبك، آيات ١٢٣ - ١٣٢ .
- ١١ - ذكر قصة نبي الله يونس عليه الصَّلَاة والسَّلام ونبذه بالعراء وإنبات شجرة اليقطين عليه، آيات ١٣٩ - ١٤٨ .
- ١٢ - بيان أن جند الله هم الغالبون، آية ١٧٣ .
- ١٣ - اختتام السورة الكريمة بالتسبيح والتحميد بذكر صيغة لم تذكر في غيرها، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢)، آيات ١٨٠ - ١٨٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ هُرُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) .

﴿٧٧﴾

عن سمرّة عن النبي ﷺ قال: «سامّ أبو العرب، وحامّ أبو الحبش، ويافث أبو الروم» .

رواه أحمد ٩/٥، ١٠، ١١، والترمذي في التفسير ٣٠٢٠، والطبراني في الكبير

رقم ٦٨٧١، و١٨/١٤٥، ١٤٦، والحاكم ٥٤٦/٢، وصححه ووافقه الذهبي .

الآية الكريمة مع الحديث الشريف دالان على أن ما يوجد من البشر هم من ذرية نبي الله نوح عليه الصلوة والسلام الذين تناسلوا من أولاده الثلاثة المذكورين، وكان له ولد رابع كنعان غرق كافرًا مع من غرق في الطوفان .

قوله تعالى: ﴿ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ .

﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غَيْرَ ثَلَاثِ كَذَبَاتٍ، ثُنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴿٨٨﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هي أختي» . . .

الحديث في الصحاح والسنن مطولاً وقد سبق أن ذكرناه مع شرحه في الأنبياء، وقد ذكرته مع فوائده وعبره في عجائب الأقدمين .

وقوله تعالى: ﴿ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ، أي أراهم أنه ينظر في النجوم وأوهمهم أن النجوم تدل على أنه سيسقم غداً وكان ذلك منه من المعاريض الجائزة، وليس من الكذب .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَحُونَ ﴿١٦٧﴾ .

﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تصفُ الملائكة عند ربِّهم؟» قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يُتَمَوْنَ الصَّفَ الْمُقَدَّمِ، وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِ» . رواه مسلم في الصلاة ٤٣٠، وأبو داود ٦٦١، والنسائي في الكبرى ٤٤١/٦، وفي المجتبى وابن ماجه ٩٩٢ .

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا

على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعل لنا ترابها طهورًا إذا لم نجد الماء، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط منه أحد قبلي، ولا يعطى منه أحد بعدي».

رواه أحمد ٣٨٣/٥، ومسلم في المساجد ٤/٥، رقم ٥٢٢، وابن خزيمة ٢٦٤، وابن حبان ١٦٩٥، ٦٤٠٠ بالإحسان.

في الآية والحديث دليل على أن الملائكة يصلون مصطفين، وأنهم يسوون صفوفهم ويتمونها وأنا ينبغي لنا أن نفتدي بهم في ذلك في صلاتنا وأن نشبه بهم. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٩) هو من كلام الملائكة، أي نحن الواقفون في العبادة صفوفًا، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٦)، أي المنزهون الله عز وجل عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه، نسبح الله في كل وقت وحين، قال المفسرون: في هذا الكلام رد على من قال: إن الملائكة بنات الله أو شركاء له، فها هم يعترفون على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له جل علاه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِنِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٧٧).

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر فصلّى عندها الغداة، فركب رسول الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى رسول الله ﷺ في زقاق بخيبر فأنكشف فخذته حتى أني لأنظر إلى بياض فخذته فأتى خيبر فقال: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

رواه البخاري في الصلاة ٣٧١ وغيرها، ومسلم في غزوة خيبر من كتاب الجهاد والسير ١٢/١٦٣، ١٦٤.

زقاق: بضم الزاي طريق ضيق، ومعنى الآية الكريمة: فإذا نزل

العذاب بساحة، أي فناء المكذبين فبئس هذا الصباح صباحهم . والنبي ﷺ أشار بقوله هذا إلى الآية الكريمة، وأنه سينتصر على اليهود وأن العذاب سيحقيق بهم .

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمننا بالصافات .

رواه أحمد ٢/٢٦، ٤٠، والنسائي في الكبرى، وفي المجتبى ٨٢٦، وابن خزيمة ١٦٠٦، وابن حبان ٤٧٠ بالموارد وسنده صحيح .

الحديث يدل على أن التخفيف المأمور به في السنّة هو تخفيف نسبي، فالسور فيها ما هو طويل وأطول ووسط وقصير، فمن قرأ بالبقرة مثلاً فقد أطال، لكن من قرأ بِق، أو بالصفات، فقد خفف بالنسبة للبقرة، وهكذا من قرأ بوسط القصار كسَبَّح والشمس وضحاها، فالنبي ﷺ كانت أحواله في صلواته تختلف، فتارةً يقرأ بالطوال، ومرة بالوسط، وتارةً بالقصار كالمعوذتين، كل ذلك كان يفعله تشريعاً لأُمَّته التي تختلف أفرادها قوة وضعفاً

وبهذا تمت سورة الصافات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين .



﴿سُورَةُ صِّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّلَى اللّٰهَ وَرَكَعَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَحِزْبِهِ

هي كسابقتها وآياتها ثمان وثمانون .

من خصائص هذه السورة

- ١ - تعجب الكفار من كونه ﷺ منذرًا لهم من البشر وأنه جعل الآلهة إلهاً واحداً، آيتا ٤ ، ٥ .
- ٢ - قصة داود عليه الصلّاة والسّلام وشأن الخصمين الذين تسوّرا عليه المحراب وتحاكما إليه وما حصل له في ذلك، آيات ٢١ - ٢٥ .
- ٣ - قصة سليمان عليه الصلّاة والسّلام وعرض الخيل الصّافنات الجياد عليه وما وقع له معها من مسح سوقها وأعناقها، آيات ٣١ - ٣٣ .
- ٤ - فتنته عليه الصلّاة والسّلام وإلقاء الجسد على كرسیه، آية ٣٤ .
- ٥ - سؤاله اللّٰه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، آية ٣٥ .
- ٦ - قصة أيوب عليه الصلّاة والسّلام وشفّاءه بال غسل والشرب من العين النابغة، آيتا ٤١ ، ٤٢ .
- ٧ - حلفه على ضرب زوجته، وأمر الله إياه بالوفاء بيمينه وأن يضربها بضغثٍ ضربةً واحدةً وأن لا يحنث، آية ٤٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَشِقَاقِي ۝٢ كَرَّ أَهْلَكُنَا ۝٣ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٤ وَجِئُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ هَذَا سِحْرٌ ۝٥ كَذَّابٌ ۝٦ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٧ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ۝٨ إِلَهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٩ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِطْلُقٌ ۝١٠﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه قال: وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية، قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة، فقال: «يا عم قولوا لا إله إلا الله»، فقالوا: إلهًا واحدًا! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق، قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿صَّ وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَشِقَاقِي ۝٢ كَرَّ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَجِئُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ هَذَا سِحْرٌ ۝٤ كَذَّابٌ ۝٥ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٦ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ۝٧ إِلَهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٨ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِطْلُقٌ ۝٩﴾.

رواه أحمد ٢٢٧/١، والترمذي في التفسير ٣٠٢١، والنسائي في الكبرى ٤٤٢/٦، أبو يعلى ٢٥٨٦، وابن حبان ١٧٥٧، والحاكم ٤٣٢/٢، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي.

تعجب الكفار مما قال لهم رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام هو من أعجب العجائب، فلو كانت لهم عقول يهتدون بها لما تعجبوا من وحدة الألوهية، ولما تأخروا عن إجابته إلى ما دعاهم إليه؛ ولكنها لا تعمي الأبصار، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور.

قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها .

رواه البخاري في سجود القرآن وفي الأنبياء والترمذي في سجود القرآن ٥١٥ ، والدارمي ١٤٧٥ ، وأبو داود ١٤٠٩ ، والنسائي وغيرهم .

وعنه قال: إن النبي ﷺ سجد في ص وقال: «سجدها داود عليه الصلوة والسلام توبةً ونسجدها شكرًا» .

رواه النسائي في الكبرى ٤٤٢/٦ ، والبيهقي ٣١٩/٢ ، ورجاله ثقات .

وعن مجاهد رحمه الله تعالى أنه سئل عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ . . . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آقَدَةٌ ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٩٠] ، فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به ، فسجدها داود عليه الصلوة والسلام فسجدها رسول الله ﷺ .

رواه البخاري في التفسير ١٦٤/١٠ .

في هذه الأحاديث الشريفة بيان للآية الكريمة وأن السجود فيها مشروع في ديننا تبعاً لسجود نبي الله داود عليه السلام الذي سجدها توبة لله عز وجل ، ونسجدها شكرًا ، وليست من العزائم كباقي السجود التي شرعها لنا رسول الله ﷺ ووردت العزيمة على فعله .

قوله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِجَادُ ﴾ ﴿٢١﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي ، ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رُقاع فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس ، قال: «وما هذا

الذي عليه؟» قالت: جناحان، قال: «فرسٌ له جناحان؟» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى بدت نواجذه.

رواه أبو داود ٤٨٩٤ في الأدب، والنسائي في الكبرى ٣٠٦/٥، ٣٠٧ في عشرة النساء، وابن حبان ٥٨٦٤، والبيهقي في الكبرى ٢١٩/١٠ بسندٍ صحيح.

في الحديث جواز اتخاذ البنات من صور الحيوانات للتدريب على التربية وأن ذلك مرخص فيه للفتيات الصغار... وأنها مستثنيات من تحريم اتخاذ الصور. وفي الحديث فطنة مولاتنا عائشة وفقهها رضي الله تعالى عنها. وفيه موافقة الزوجة على لعبها وعدم الإنكار عليها، وجواز الضحك بالهتفه لمن لا يتخذ ذلك عادةً له.

قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ﴿٣٣﴾.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ﴿٣٣﴾، قال: «قطع سوقها وأعناقها».

رواه الطبراني في الأوسط ٦٩٩٣، قال النور في المجمع ٩٩/٧، وفيه سعيد بن بشير وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات. فالحديث حسن.

الحديث موافق لقول جمهور المفسرين من أن سليمان عليه الصلاة والسلام جعل يمسح سوق الخيل وأعناقها بالسيف، وردّ هذا التفسير بعضهم، منهم: ابن جرير فاختر المسح الحقيقي واستنكر القطع بالسيف، ولكنه يخالف الحديث وقول الجمهور، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِإِحْدٍ مِنْ بَعْدِي أَنْتَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع عليّ الصلاة،

فأمكنني الله تعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فرده خاسئًا.

رواه البخاري في التفسير ١٠/١٦٧، وفي أول الصلاة، وفي بدء الخلق، وفي الأنبياء، ومسلم في المساجد رقم ٥٤١، والنسائي في الكبرى ٦/٤٤٣.

ونحوه عن أبي الدرداء عند مسلم ٥٤٢، وعن عائشة عند النسائي في الكبرى ٦/٤٤٢ بسند صحيح.

في الحديث بيان عظمة رسول الله ﷺ وقوته الجسمية والروحية حيث ألقى القبض على العفريت من الجن وأراد ربطه ثم أطلق سراحه. وفيه تأدبه ﷺ مع نبي الله سليمان عليه السلام وأنه لولا سؤال سليمان ربه أن لا يكون بعده من يتحكم في العفاريت مثله لأخذه وأوثقه في إحدى سواري المسجد حتى يصبح فينظر الناس إليه موثقًا ويلعب به صبيان المدينة كما جاء في رواية، والله في خلقه شؤون.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ﴾.

عن عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنات عدن».

رواه البخاري في التفسير ٤٨٧٩، وفي التوحيد ١٧/٢٠٦، رقم ٧٤٤٤، ومسلم في الإيمان رقم ١٨٠، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٤٥، وابن ماجه ١٨٦، والنسائي في الكبرى ٦/٤٤٣.

رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وغيرها ثابتة بطريق التواتر عن النبي ﷺ، ونص عليه القرآن الكريم وأجمع عليها أهل السنة، وأنكر ذلك المعتزلة والجهمية والإمامية الروافض وغيرهم من أهل البدع.

وقوله: إلاً رداء الكبر على وجهه، هو من أحاديث الصفات، ومذهب السلف إجراؤه على ظاهره كما جاء من غير تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. وقال بعضهم: المراد برداء الكبر الحجاب الذي جاء في صحيح مسلم: «فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم منه».

رواه مسلم في الإيمان عقب حديث الباب، وانظر كتاب التوحيد من فتح الباري

٢٠٦/١٧.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا ۝٥٨ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَضِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِلَيْكُمْ صَلَواتُ النَّارِ ۝٥٩﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال: اخرجني أيتها النفس الطيبة كانت في جسد طيب، اخرجني حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، يقولون ذلك حتى تخرج، ثم يصعد بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة.

وإذا كان الرجل السوء قيل: اخرجني أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجني ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فيقال ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجني ذميمة فلن تفتح لك أبواب السماء.

رواه أحمد ٣٦٤/٢، ٣٦٥، ١٤٠/٦، والنسائي في الكبرى ٤٤٣/٦، ٤٤٤،

وابن ماجه في الزهد ٤٢٦٢، وغيرهم وسنده صحيح، وله شاهد عن البراء مطولاً ذكرته بتمامه في مشاهد الموت، وتقدم أيضاً في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

الشاهد من الحديث قوله: وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله، والحميم هو الماء الحار الذي بلغ النهاية في الغليان، والغساق ما يسيل من صديد أهل النار ودمائهم، ثم عذاب آخر من مثل هذا العذاب وشكله أزواج كالسَّموم والزمهرير وأصناف العذاب وأنواعه عياداً بالله تعالى منه.

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يُخَصِّصُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

﴿٦١﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - قال: أحسبه قال في المنام - ، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بيني ثمدي أو قال: في نحري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات المكث في المسجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد! إذا صليت فقل: اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

رواه أحمد رقم ٣٤٨٤، والترمذي في سورة ص ٣٠٢٢ وسنده صحيح. وله شاهد عن معاذ بن جبل بنحوه رواه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي ٣٠٢٣، والحاكم ٥٢١/١، وحسنه الترمذي وصححه وفيه... «فتجلى لي كل شيء وعرفت». وقال في الدعاء: «اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات... بعد «حب المساكين» - وأن تغفر لي وترحمني... إلخ. وله شاهد ثان. رواه أحمد ٦٦/٤، ٣٧٨/٥، والحاكم ٥٢٠/١، ٥٢١، من حديث عبد الرحمن بن عائشة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

حديثا ابن عباس ومعاذ عظيمان؛ فيهما فوائد جمّة تقتصر منها على ما فيه الحاجة:

أولاً: رؤية الله في المنام جائزة عند الجمهور.

ثانياً: قوله: «فوضع يده... إلخ، هو من أحاديث الصفات، فالله لا يوصف بجارحة، والرؤيا المنامية هي مجرد تمثيل.

ثالثاً: قوله: «فعلمت ما في السموات وما في الأرض»، وفي الرواية الثانية: «فتجلى لي كل شيء وعرفت». . . فيستدل بذلك على أن الله أطلع نبيه ﷺ على كل شيء أراد اطلاعه عليه مما في السموات وما في الأرض، ومنه ما في اللوح المحفوظ.

رابعاً: أن إسباغ الوضوء والمشي إلى الجماعات وانتظار الصلاة من أفضل القربات، وأن ذلك من مكفرات الذنوب.

خامساً: أن إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل من الدرجات، وحق لهذه الخصال أن يكون أصحابها من أهل الدرجات.

سادساً: أن ما ذكر في الحديث من هذه الخصال هي من الأمور التي يتحدث بها ملائكة الله في السموات العلى، غير أن الاختصاص الوارد في الآية هو اختصاصهم في شأن خلق آدم عليه السلام، وهو المفسر في الآية بعد هذا وهو: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٦١﴾...﴾ الآيات.

وبهذا تمت سورة ص، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الزُّمَرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ وِجْهَهُ لِلدِّينِ وَمَا يُنَازِعُ
 فِيهِ أَحَدٌ وَاللَّهُ وَهَّابٌ مُرْسِلٌ

هي كسابتها في نزولها وأهدافها، وهي خمس وسبعون آية .

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر قولة الكفار المشهورة في شأن أصنامهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ، آية ٣ .
- ٢ - بيان أن الله تعالى يخلق الإنسان في بطن أمه في ثلاث ظلمات ، آية ٦ .
- ٣ - أن الله عزَّ وجلَّ لا يرضى لعباده الكفر ويرضى لهم الشكر من الإيمان وطاعته ، آية ٧ .
- ٤ - لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، آية ٩ .
- ٥ - تبشير المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، آية ١٨ .
- ٦ - إنزال الله الماء من السماء فيسلكه في تخوم الأرض ينابيع ومسالك وعيوناً ، آية ٢١ .
- ٧ - الويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، وإنهم في ضلال مبين ، آية ٢٢ .
- ٨ - القرآن كتاب متشابه مثاني تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم . . . إلخ ، آية ٢٣ .

- ٩ — الإخبار عن رسول الله بأنه سيموت كما يموت الآخرون، آية ٣١ .
- ١٠ — ذكر الوفاتين: الكبرى: الموت، والصغرى: النوم، آية ٤٢ .
- ١١ — بيان أن قلوب المشركين تنفر وتنقبض عند ذكر الله تعالى وحده، وإذا ذكر غيره — من الأوثان وغيرها — استبشروا، آية ٤٥ .
- ١٢ — ذكر آية الرجاء العظيمة: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، آية ٥٣ .
- ١٣ — بيان أن من أشرك بالله حبط عمله وكان من الخاسرين، آية ٦٥ .
- ١٤ — أن الأرض قبضة الله يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، آية ٦٧ .
- ١٥ — بيان نفخة الصعق ثم نفخة القيامة، آية ٦٨ .
- ١٦ — إشراق الأرض يوم القيامة بنور ربها ووضع الكتاب ومجيء النبيين والشهداء، آية ٦٩ .
- ١٧ — سوق الكفار والمتقين يوم القيامة زمراً زمراً، أي: جماعات، آيات ٧١ إلى ٧٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ أَمَنَ هُوَ قَنِيئًا مَّانِيًا سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل يعود فوافقه وهو في الموت، فسلم عليه وقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، فقال: بخير يا رسول الله، أرجو الله عز وجل وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لن يجتمعا في قلب رجل عند هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجاه وأمنه مما يخاف» .

رواه الترمذي في الجنائز ٨٧٥ بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦١، وأبو يعلى في مسنده رقم ٣٢٩٠، ٣٤٠٤ وسنده حسن، وحسنه الترمذي والمنذري، وجوّدته النووي .

الآية الكريمة تخبر بأنه لا يستوي من هو قائم بالليل ساجداً وقائماً يخاف موقف يوم القيامة ويرجو رحمة ربه مع من هو كافر أو منحرف غافل عن الله تعالى، بينما الحديث الشريف يدل على أن من استوى خوفه ورجاؤه عند الموت، كان من المهتدين المفلحين سيعطيه الله عز وجل ما تمناه وأمله ويؤمنه مما يخشاه، والله ذو الفضل العظيم. ففي الآية والحديث بيان مقامَي الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿١١﴾ .

﴿١١﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ أَذْهَبَتْ كَرِيمَتِيهِ فَاحْتَسِبْ وَصَبِرْ، لَمْ أَرْضْ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ».

رواه الترمذي ٢٢٢١ تهذيبى، والنسائي في التفسير ٤٤٥/٦، وابن حبان ٧٠٧، وحسنه الترمذي وصححه، ونحوه عند البخاري في المرض رقم ٥٦٥٣، والترمذي ٢٢٢٠ عن أنس.

في الآية الكريمة فضل عظيم للصَّابِرِينَ على البلاء ونحوه، وأنهم يعطون أجورهم بلا وزن ولا عدد، وراجع ما سبق في سورة البقرة: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

أما الحديث الشريف فهو موافق للآية؛ لأنَّ ذهاب البصر مصيبة عمياء، فمن صبر على فقدته لم يكن له جزاء يماثله إلا الجنة، ونعم الجزاء لمن لا يتسخط ولا يتضجر...

قوله تعالى: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبِينَةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

﴿٢١﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهل الجنة يترآءون أهل العرف من فوقهم كما ترآءون الكوكب الدرّي الغابر

في الأفق من المشرق أو المغرب لِتَفَاضُلِ ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يَبْلُغُهَا غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين».

رواه البخاري في بدء الخلق رقم ٣٢٥٦، ومسلم رقم ٢٨٣١ في الجنة. وفي رواية عن سهل بن سعد: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء»، رواه البخاري في الرقائق ٦٥٥٥، ٦٥٥٦، ومسلم ٢٨٣٠، في الجنة أيضًا. وعن أبي هريرة نحوه أيضًا، رواه أحمد ٣٣٩/٢، والترمذي في صفة الجنة ٧٣٧٣ وحسنه وصحّحه.

في الآية وما ذكر من الأحاديث فضل عظيم للمتقين لا يتصوّر، حيث إن الله عزّ وجلّ بفضله وكرمه سيكرمهم بالغرف في أعلى الجنان، حتى إنّ سكّان الجنة ليتراءونهم كما نترأى في الدنيا الكوكب الدُرِّيّ البعيد المدى في السماء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣١ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٢﴾.

عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣١، قلت: يا رسول الله، أتكرّر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا، قال: «نعم»، فقال: إنّ الأمر إذاً لشديد.

رواه أحمد ١٦٧/١، والترمذي في التفسير ٣٠٢٤، والحاكم ٤٣٥/٢، وحسنه وصحّحه الترمذي، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الآية الكريمة إخبار الباري جلّ علاه نبيّه ﷺ بأنه لا بدّ وأن يموت ويفارق هذه الحياة كما سيموت الآخرون، ثمّ إذا كانت القيامة كان الخصام بين الناس فيما كانوا فيه من الشرك والكفر والإيمان فيفصل بينهم فصل عدالة بلا ظلم ولا شطط.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن في سفر ذات ليلة قلنا: يا رسول الله، لو عرست بنا؟ قال: «إني أخاف أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة؟»، فقال بلال: أنا يا رسول الله، فعرس القوم فاضطجعوا وأسند بلال إلى راحلته فغلبته عيناه فنام فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «يا بلال، أين ما قلت؟»، قال: ما أقيت علي نومة مثلها قط، قال: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء، يا بلال قم فأذن في الناس بالصلاة»، فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وايضت قام فصلي.

رواه البخاري في المواقيت ٥٩٥، وفي التوحيد رقم ٧٤٧١، وأبو داود فيمن نام عن الصلاة ٤٣٩، ٤٤٠، والنسائي في الكبرى ٤٤٥/٦، وفي المجتبى... وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم وغيره.

الآية مع الحديث يدلان على أن النوم موت وقبض لروح الإنسان، فلا يبقى له شعور ولا شيء مما تتصف به حياته إلا تنفسه فتقبض روحه، فإن كان أجلها قد انتهى أمسك الله روحه، وإلا أرسلها حتى تقطع أشواطها في هذه الحياة ويتم أجلها، ولذلك قال ﷺ: «إن الله قبض أرواحكم...» إلخ.

وللحديث فوائد وأحكام ليس هذا محل بسطها.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت: بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللَّهُمَّ رَبِّ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،

عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهدني لما اختلفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» .

رواه مسلم في صلاة الليل ٥٦/٦، ٥٧ .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: «اللَّهُمَّ فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، ربَّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي ومن شرِّ الشيطان وشركه». وزاد في رواية: «وأن أقترب على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم»، قال: «قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» .

رواه أحمد رقم ٥١، ٥٢، ٦٣، ٨١، وأبو داود، والترمذي في الدعوات ٣١٧٢، والدارمي ٢٦٩٢، وابن حبان ٢٣٤٩، والحاكم ٥١٣/١، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم والذهبي والنووي والحافظ، والرواية الثانية رواها الترمذي ٣٣٠٠، ٣١٧٢، عن ابن عمرو بسند صحيح .

كلا الحديثين فيهما اقتباس من الآية الكريمة، والحديث الأول يدل على مشروعية ما فيه من الذكر والدعاء عند افتتاح صلاة الليل ونعم الدعاء والتوجُّه والتوسُّل . أما الثاني فيدل على مشروعية ذكر ما فيه صباحاً ومساءً وعند إرادة النوم، فينبغي للمسلم أن يحرص على ذكره؛ ففيه الإقرار لله عزَّ وجلَّ بالإبداع والعلم والربوبية له تعالى ووحدانيته وملكيته لكل الكائنات، كل ذلك مقدم بين يدي الاستعاذة والتحصُّن به تعالى من شر النفس والشَّيطان وشركه واقتراف الذنوب . . .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن ناساً من أهل الشرك قد قتلوا فأكثرُوا، وزنوا فأكثرُوا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقول وتدعو

إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [سورة الفرقان]، ونزلت: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ .

رواه البخاري في التفسير ١٧٠ / ١٠ ، ومسلم في الإيمان في كون الإسلام يهدم ما قبله ١٣٩ / ٢ ، ١٤٠ ، وأبو داود في الملاحم ٤٢٧٤ ، والنسائي في الكبرى ٤٤٦ / ٦ ، وفي تحريم الدم من المجتبي ، وغيرهم .

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي» .

رواه أحمد ٤٥٤ / ٦ ، ٤٥٩ ، والترمذي ٣٠٢٥ ، بهذيبي بسند صحيح ، وشهر ثقة تكلّم فيه بغير حجة كما قال النووي في شرح مسلم وفي شرح المذهب .

وهذه الآية الكريمة ذكر العلماء أنها من أرجى الآيات في القرآن للعصاة ، فهي مع ما ذكرنا من الحديثين تدل على سعة رحمة الله عز وجلّ وعظيم فضله وشمول مغفرته لكل الناس ، وأنه تعالى لا يتعاضمه ذنب مهما فحش وعظم ، وأن مجرد الإقبال عليه تعالى والإجابة إليه يوجب المغفرة والعفو ، فله الحمد على ما من به علينا وتكرّم .

قوله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كلُّ أهل الجنة يقول : لولا أنّ الله هداني ؛ فيكون له شكراً ، وكلُّ أهل النار يقولون : لو أنّ الله هداني ، ليكون عليه حسرة» .

رواه أحمد ٥١٢/٢، والنسائي ٤٤٧/٦، والحاكم ٤٣٥/٢، وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي.

فالحديث بيان أن كل الناس سيتمنون يوم القيامة أن لو كان هداهم الله غير أن المؤمن يكون له ذلك شكرًا، بينما الكافر يكون عليه ندامة وحسرة كما نطقت به الآية الكريمة هنا.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل والزمر.

رواه أحمد ٦٨/٦، ١٢٢، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٢٧، وفي الدعوات ٣١٨٥، والنسائي في الكبرى ٤٤٤/٦، وفي الصيام من المجتبى، والحاكم ٤٣٤/٢، وسنده صحيح عند بعضهم.

في الحديث مشروعية قراءة هاتين السورتين عند النوم كقراءة (الم) السجدة و (تبارك) الملك، والمُسَبَّحَاتِ السبع، وفَقَّنَا اللهُ تَعَالَى لِقِرَاءَةِ ذَلِكَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إننا نجد أن الله تعالى يجعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وفي رواية: فضحك . . . تعجبًا لما قال وتصديقًا له .

رواه أحمد ٣٥٩٠، ٤٣٦٨، والبخاري في التفسير ١٧١/١٠، وفي التوحيد ١٧/٢١٤، ١٦٩، ١٧٠، ومسلم في أول صفة القيامة رقم ٢٧٨٦، والترمذي ٣٠٢٦، والنسائي ٤٤٦/٦، ٤٤٧، كلاهما في التفسير .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ» .

رواه البخاري في التفسير ١٧١/١٠، وفي التوحيد ١٦٨/٧، ومسلم في القيامة رقم ٢٧٨٧، والنسائي في التفسير ٤٤٨/٦ . ونحوه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، رواه البخاري في التوحيد ١٦٧/١٧، ومسلم في صفة القيامة رقم ٢٧٨٨، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيَمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ» . وفي رواية: «يَأْخُذُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ، وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَسْطُهَا، أَنَا الْمَلِكُ» . حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إنني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟ . وكلا اللفظين لمسلم .

ما في الآية والأحاديث من ذكر اليمين والشمال والأصابع هي من صفات الله الذاتية، ومذهب السلف في أمثال هذه مما يوهم التجسيم والجارحة لله عز وجل هو إمراره كما جاء من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل .

وقد تكلف وتعسف جماعة من الخلفيين في تأويل ما في هذه الأحاديث وذهبوا في ذلك بعيدًا عن الحق والصواب، وقد أنصف هنا الإمام ابن بطال رحمه الله فقال: لا يحمل ذكر الإصبع على الجارحة، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد . وقال الحافظ في الفتح:

والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإنَّ كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد. هذا وقد أبعد النجعة بعض الأشاعرة المتأخِّرين فزعم أنَّ أحاديث الباب شاذَّة رغم أنَّها في الصحيحين، وتلقَّاهما العلماء بالقبول.

أما ضحك النبي ﷺ فكان تصديقًا للحبر وليس تكذيبًا له كما زعم البعض. قال النووي: ظاهر السياق أنه ضحك تصديقًا له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر... إلخ.

وردَّ الحافظ على من أنكر هذه الأحاديث وقال: إنَّ في ذلك طعنًا على ثقات الرواة وردًّا للأخبار الثابتة... انظر: كتاب التوحيد من الفتح ١٧١/١٧، وكتاب التفسير لهذه السورة ١٧١/١٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، أي: ما عظموه حق عظمته، وما أعطوه الصفات اللاتقة به مع ما له من الجلال والعظمة والكبرياء، وأنَّ السموات السبع والأرضين السبع على عظمها وكبرها واتساعها هي عند الله تعالى يوم القيامة شيء ضئيل جدًّا، وكيف لا، والكل خلقه وتحت ملكه وتصرفه.

وفي قوله تعالى: «أنا الملك، أين ملوك الأرض، أين الجبَّارون، وأين المتكبرون»، فيه إظهار لعظمته وتفردّه بالملك الكامل الذاتي، وأنَّ كل ملكٍ وجبَّارٍ ومتكبرٍ كانت ملكيته مجازية ومستعارة وإن زعم أنه يملك ويصول ويجول، ففي ذلك اليوم العظيم تضحل كل الادِّعاءات ويبقى الملك لله الواحد الأحد، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أتدري ما سعة جهنم، قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدَّثني

عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله، قال: «على جسر جهنم».

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٣٣، والنسائي في الكبرى ٤٤٧/٦، والحاكم ٤٣٦/٢، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

تقدّم نحو هذا السؤال والجواب عنه في سورة إبراهيم، عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، وهناك توسّعنا شيئاً ما، فارجع إليه.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

٦٨

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال يهودي في سوق المدينة: لا والذي اصطفى موسى على البشر، قال: فرفع رجل من الأنصار يده فصكّ بها وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، إن لي ذمّةً وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ»، قال: قال يا رسول الله، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عُرِفَ الغضبُ في وجهه، ثم قال: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مَوَسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أُدْرِي أَحْسَبُ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: «إِنْ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

رواه البخاري في الأنبياء ٧/٢٤٠، وفي التفسير ١٧٢/١٠، وفي الخصومات رقم

٢٤١١، وفي الرقاق ٦٥١٧، وفي التوحيد رقم ٧٤٧٢، ومسلم في فضائل موسى ١٢٩/١٥، ١٣٠، ١٣١، رقم ٢٣٧٣، وأبو داود ٤٦٧١، والنسائي في الكبرى ٤٤٨/٦، والترمذي في التفسير ٣٠٣٠ بالفاظ. وانظر تخريجي لأحاديث الشفاء ص ١٤٢.

النهي عن التفضيل بين الأنبياء محمول على ما يؤدّي إلى النزاع والفتن، وإلّا فنبيّنا ﷺ سيّد الناس وأفضلهم إطلاقاً، وقد فضّل الله بعض الرسل على بعض كما هو نصّ القرآن. وفي الحديث فضل سيّدنا موسى عليه الصلاة والسلام ومزية له حيث سيوجد آخذاً بقوائم العرش قبل بعثة الناس، ويكون كما قال نبينا ﷺ إما قام قبله أو لم تصبه الصعقة عند النَّفخة فيكون ممّن استثناه الله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النَّفختين أربعون»، قالوا: يا رسول الله، أربعون يوماً؟ قال: «أبيّت»، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيّت»، قالوا: يا رسول الله، أربعون سنة؟ قال: «أبيّت»، قال: «نُم يُنزل الله تبارك وتعالى من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلّا يبلى إلّا عظمٌ واحدٌ وهو عَجَب الذَّنْب»، قال: يعني فيه يركب الخلق يوم القيامة.

رواه البخاري في التفسير ١٧٢/١٠، وفي الأنبياء، ومسلم في الفتن رقم ٢٩٥٥، وأبو داود في السنّة ٤٧٤٣، والنسائي في الكبرى ٤٤٩/٦، وفي الجنائز من المجتبى، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦٦، وكذا أحمد ٣٢٢/٢، ٤٢٨، ٤٩٩، وغيرهم.

قوله: «أبيّت»، أي امتنعت من القول بتعيين العدد لأنه لم يرد فيه نص. و«عجب الذنب»، بفتح العين وسكون الجيم، هو: عظم لطيف في أصل الصلب، وهو مكان رأس الذنب. و«النفخة الأولى» هنا، هي: نفخة الصعق التي يموت عندها كل الأحياء. أما الثانية: فنفخة القيام لرب العالمين.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحبُ القرنِ القرنَ وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخُ فينفخُ». قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، توكلنا على الله»، وربما قال سفيان: «على الله توكلنا».

رواه أحمد ٧/٣، ٧٣، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٥٢، وفي التفسير ٣٠٢٨ بتهذيبي، وحسنه. ولا يضّر هنا عطية العوفي، فقد رواه ابن ماجه ٢٥٦٩ من غير طريقه، ثم إن له شاهداً عن أبي هريرة رواه الحاكم ٥٥٩/٤ بسند صحيح على شرط مسلم، فالحديث صحيح.

قوله: كيف أنعم، بفتح الهمزة والعين، أي: كيف تطيب لي الحياة والعيش والملك صاحب القرن قد تهيأ للنفخ... يقول هذا ﷺ منذ أربعة عشر قرناً فأزيد.

وفي الحديث فضل «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وأنه ينبغي قولها عند الشدائد والأحوال، فمن كفاه الله لا يضام...

وبهذا تمت سورة الزمر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الْغَافِرِ ﴾

«المؤمن»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَكَلَّمَ وَبَارِكْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَجِبْهُ وَزَوْجَهُ وَمَرْبِ

هي مكية، وآياتها خمس وثمانون، وهي تمتاز بالشدة والعنف مع الكفار والصراع بين الحق والباطل.

من خصائص هذه السورة

١ - ابتداء ذكر السور الحواميم، وهي سبع سور: بدايتها هذه السورة «غافر» ونهايتها سورة الأحقاف، وهذه أسماؤها على الترتيب في المصحف الكريم: غافر، فصلت (السجدة)، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف. وكلها مكيات.

٢ - ذكر حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يستغفرون للذين آمنوا، آيات ٧-٩.

٣ - ذكر مناداة الملائكة الكفار يوم القيامة: ﴿ لَمَقَّتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾، آية ١٠.

٤ - الإخبار بأن الله عز وجل أمات الناس وأحياهم مرتين كما سيُعرف به

- الكفار يوم القيامة عند مشاهدتهم الأهوال والشدائد فيسألون الرجعة للدنيا، آية ١١ .
- ٥ — إخباره عزَّ وجل بأنه يعلم خائنة الأعين، آية ١٩ .
- ٦ — ذكر قصة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه وبيان إرشاداته التي وجهها لفرعون وقومه وما آل إليه حاله، آيات ٢٨ — ٤٥ .
- ٧ — الدلالة على أن يوسف عليه الصَّلَاة والسَّلَام كان رسولاً إلى أهل مصر قبل كليم الله موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام، آية ٣٤ .
- ٨ — عتو فرعون وطغيانه وإسرافه حتى قال لوزيره هامان: ابن لي صرحاً لعلني أبلغ أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى . آيتان ٣٦ ، ٣٧ .
- ٩ — عرض الكفار على النار في البرزخ بعد موتهم غدواً وعشيّاً، آية ٤٦ .
- ١٠ — إن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، آية ٥٧ .
- ١١ — الأمر بدعاء الله عزَّ وجل ووعده بالاستجابة وذم المستكبرين في ذلك، آية ٦٠ .
- ١٢ — فرح الكفار واللاذنين بما عندهم من العلم حينما جاءتهم رسل الله بالبينات والعلوم الإلهية كما هو حال الناس اليوم في عصرنا، آية ٨٣ .
- ١٣ — لا ينفع أحداً إيمانه عند مشاهدة بأس الله وعذابه، آية ٨٥ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١١﴾ .



عن أبي الزبير رحمه الله تعالى قال: كان عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء

الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». قال: وكان رسول الله ﷺ يهللُ بهنَّ دبر كل صلاة.

رواه أحمد ٥/٤، ومسلم في المساجد ٥/٩١، ٩٢، وأبو داود ١٥٠٦، ١٥٠٧، والنسائي في الكبرى ٤٤٩/٦، وفي السهو من المجتبى.

في الحديث مشروعية هذا الذكر عقب الصلوات الخمس وهو ذكر عظيم الأهمية يشتمل على توحيد الله عزَّ وجل ونفي الشرك عنه، والإقرار له بالنعمة مع الثناء عليه وإخلاص الدين والعبودية له، وذلك بأن تكون خالية عن أي شائبة من الشرك الأكبر والأصغر، وأن لا يراد بها إلا الله عزَّ وجل وحده. والمراد بقوله: «فادعوه...» إلخ، أي أخلصوا العبادة لله وحده.

قوله تعالى: ﴿ أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾.



عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلِّي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿ أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية.

رواه أحمد ٢/٢٠٤، والبخاري في أوائل السيرة النبوية ٨/١٦٨، وفي التفسير ١٠/١٧٥، ورواه النسائي في الكبرى ٦/٤٥٠، وابن إسحاق في السيرة ومن طريقه أحمد ٢/٢١٨، مطولاً من حديث عمرو بن العاص. وللحديث شواهد عن علي وأنس وأسماء بنت الصديق.

الآية الكريمة جاءت تتحدث عن قول مؤمن آل فرعون لقومه في شأن رسالة نبي الله موسى ودعوته عليه الصلاة والسلام، وقالها أبو بكر رضي الله تعالى عنه لكفار قريش في دفاعه عن رسول الله ﷺ، والحديث يدل على

شدة ما لقيه عليه الصلاة والسلام من كفار قريش من الإذاية وهذا يعد أشدها كما قال ابن عمرو، ومثل هذا ما صنعه معه في وضع سلا الجزور على عنقه الشريف وهو يصلي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

٤٦

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «أَلَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه أحمد ١١٣/٢، والبخاري في بدء الخلق رقم ٣٢٤٠، ومسلم في الجنة ١٧/٢٠٠، ٢٠١، والنسائي في الكبرى ٤٥٠/٦، وفي الجنائز من المجتبى.

الآية الكريمة استدلت بها أهل السنة على عذاب البرزخ والقبور، وهي نص في عذاب الأرواح، وجاءت السنة بثبوت عذاب الأجسام أيضاً، والأحاديث بثبوت فتنة القبور وعذابه كثيرة متواترة، ومع ذلك فقد أنكرها المعتزلة ومن لف لفهم من أهل البدع وهوتوا من أمر القبور.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

٦٠

عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»، ثم قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٢٧١/٤، ٢٧٦، وأبو داود ١٤٧٩، والترمذي في التفسير ٢٧٨٠، ٣٠٣٤، وفي الدعوات ٣١٥٢، والنسائي في الكبرى ٤٥٠/٦، وابن ماجه ٣٨٢٨، وابن حبان ٢٣٩٦، والحاكم ٤٩٠/١، ٤٩١، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث يدل على أن الدعاء يطلق على العبادة، وأنه أعلى وأرفع

أنواعها وأشرفها، والآية الكريمة دلّت على مشروعية الدعاء، وأن من لم يدع الله عزَّ وجل فهو مستكبر وأنه سيدخل جهنم داخرًا، أي ذليلاً مهانًا، وجاء في حديث آخر: «من لم يسأل الله يغضب عليه».

وبهذا تمت سورة غافر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه
أبد الآبدين.



﴿سُورَةُ فُصِّلَتْ﴾

«السجدة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلِّ عَلَى اللَّهِ وَسَلَامٌ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجِبَهُ وَزَوَّجَهُ وَمَرْبَهُ

نزلت بعد ما قبلها، وآياتها أربع وخمسون، وأهدافها بيان بعض أسس الإيمان، كالكلام على القرآن والوحي والرسالة ودلائل التوحيد.

من خصائص هذه السورة

- ١ - قوله الكفار المقيتة حول القرآن ودعوة رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾، آية ٥.
- ٢ - ذكر آية يستدل بها الأصوليون وغيرهم على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ . . .﴾، آيتان ٦، ٧.
- ٣ - بيان حقيقة فيها إعجاز علمي وهي أن السماء كانت أولاً دخاناً من بخار الأرض التي كانت خلقت قبلها، وهو الذي وصل إليه العلم الحديث التجريبي، آية ١١.
- ٤ - بيان أن الله عزَّ وجل خاطب السماء والأرض بقوله: ﴿أَتَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾، آية ١١.

- ٥ - قوله الكفار أيضًا في شأن القرآن: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِرُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، آية ٢٦ .
- ٦ - ذكر آية الدعاة إلى الله وفضلهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ ، آية ٣٣ .
- ٧ - ذكر الآية الثانية الدالة على حفظ القرآن من الباطل، آيتان ٤١ ، ٤٢ .
- ٨ - بيان أن كل ما كان يقال للرسول من التكذيب والقذف بالباطل كان يقال لإخوانه السابقين من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا ، آية ٤٣ .
- ٩ - إخباره عز وجل بأنه سيرينا آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وهذا من الإعجاز العلمي، وقد أرانا تعالى آياته في المخترعات المدهشة والطائرات والأقمار الاصطناعية والتلفاز والراديو والفكس والحاسوب والبرق والتلغراف وعلم الطب بجميع أصنافه وأنواعه وعلم الفلك وعلم طبقات الأرض وغيرها من العلوم التي تصدق هذه الآية الكريمة وأنها من كلام خالق الكائنات العالم بالظواهر والخفيات، فلا إله إلا هو، ولا صانع ولا مؤثر سواه، آية ٥٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ حَمْدٌ ۙ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۚ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: حَدَّثْتُ أَن عْتَبَةَ بِنِ رِبْعَةَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى هَذَا فَأَكَلِمَهُ فَأَعْرَضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا بَعْضُهَا وَيَكْفَ عَنَّا، قَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَقَامَ عْتَبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ

فيما قال له عتبة، قال رسول الله ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاسمع مني»، قال: فأفعل. فقال رسول الله ﷺ: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * حَمْرٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُمْ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ فمضى رسول الله ﷺ فقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد؟» قال: سمعت، قال: «فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم.

رواه ابن إسحاق مع الروض ١/١٨٥، ١٨٦، مرسلًا بسند حسن. ورواه متصلاً عبد بن حميد، وأبو يعلى ٢/٢٠٣، والبغوي في التفسير ٦/٨٩ من حديث جابر بن عبد الله. ورواه أبو نعيم في الدلائل ١٨٢، من طريق ابن أبي شيبة، وأورده النور في المجمع ٦/٢٠ برواية أبي يعلى، وقال: فيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وباقي رجاله ثقات. . . فالحديث حسن.

وفي الحديث بيان عظمة القرآن الكريم، وأن كل من كان يسمعه من العرب يتعجب من بلاغته وفصاحته وما ينطوي عليه من البيان... وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، وفي ذلك معجزة من معجزاته البانية...

وقوله تعالى: ﴿ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ﴾، أي بيّنت معانيه ووضحت أحكامه ومواعظه وأمثاله في حال كونه قرآناً عربياً واضحاً نزل بلسان العرب ليعلموا تفاصيل آياته ودلائل إعجازه.

قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾.

١٦

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور».

رواه أحمد ١/٢٢٣، ٢٢٨، ٣٢٤، ٣٣٣، والبخاري في بدء الخلق ٧/١١٠، وفي المغازي، ومسلم في الاستسقاء رقم ٩٠٠، ١٩٧/٦، وغيرهم. ويأتي في الذاريات وفي القمر.

و«الصبا» بفتح الصاد المشددة هي الريح الشرقية، والدبور الريح الغربية. و«الريح الصرصر» هي الشديدة الصوت والهبوب والبرودة، و«الأيام النحسات»، أي المشؤومات.

وفي الحديث إخبار منه ﷺ عن بعض جنود الله عز وجل التي يبعثها على من يشاء، وهي هنا الريح، ذلك الجند الذي لا يقاوم، فأخبر بأن نصره كان بالريح التي تهب من ناحية الشرق وهي التي أرسلها تعالى على الأحزاب يوم الخندق: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا... ﴾ الآية، أما قوم عاد فأهلكهم الله بالريح التي تأتي من جهة المغرب وهي كما قص الله تعالى في كتابه عنهم في غير ما سورة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

٢٢

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: اجتمع ثقيان وقرشي عند البيت فقال بعضهم: أترى الله يعلم ما نقول، قال بعضهم: إذا أخفينا لم يعلم، وإذا

جهرنا علم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٨٢/١٠، وفي التوحيد رقم ٧٥٢١، ومسلم في صفات المنافقين ١٢٢/١٧، رقم ٢٧٧٥، والترمذي في التفسير ٣٠٣٥، والنسائي في الكبرى ٤٥١/٦، بألفاظ من أتمها الآتي قال: «اختصم عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليلٌ فقه قلوبهم، كثيرٌ شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمعه إذا أخفينا، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ...﴾ الآية.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَرَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ...﴾ الآية، قال: إنكم تدعون مُفْدمًا على أفواهكم بالفِدام، فأول شيء يبين على أحدكم فخذهُ وكفه.

رواه أحمد ٣/٥، ٣٢٧١، وابن حبان ١٢٨٦ بالموارد، والحاكم ١٨٧/٢، ١٨٨، وصحَّحه الحاكم والذهبي وسنده حسن، وهو صحيح لطريقين له وهو عند بعضهم مطولاً وبعضهم مختصراً.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال: «ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» فقال فتية منهم: يا رسول الله بينا نحن جلوس مرت علينا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قُلةً من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، ثم قالت: ستعلم يا غُدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخريين، وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم أمري

وأمرك عنده غداً، فقال رسول الله ﷺ: «صدقت، صدقت، كيف يُقدِّس الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم».

رواه ابن ماجه في الفتن ٤٠١٠، وأبو يعلى رقم ١٩٩٩، وابن حبان ٤٤٤/١١، ٤٤٥، وهو حديث صحيح لشواهد عن ابن عباس وبريدة وأبي سعيد وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وعائشة. وانظر مخرجها في حواشي ابن حبان.

قوله: «مقدماً على أفواهكم بالفدام»، الفدام بكسر الفاء ما يشد على الكوز والإبريق من خرقة لتغطية الشراب الذي فيه، ومعناه: أنهم يمنعون الكلام بأفواههم ويختم عليها لتكلم جوارحهم. . . وقولها: «يا عُذْر»، بضم الغين المعجمة وفتح الدال صيغة مبالغة للغادر.

والآية وهذه الأحاديث كلها دالة على أن الأسماع والأبصار والأفخاذ والأكف والجلود كلها ستشهد على الإنسان يوم القيامة بما عمل في هذه الحياة من خير أو شر، وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية من شؤون عباده مهما استتر الإنسان أو تغيب عن الأبصار فإن الله عزَّ وجلَّ معه ينظر إليه ويراقبه.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٣).

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ...﴾ الآية.

رواه أحمد ٣/٣٩٠ بهذا السياق وسنده محتمل للتحسين، وأصله في صحيح مسلم ١٧/٣٠٩، وسنن أبي داود ٣١١٣، وابن ماجه ٤١٦٧، ورواه أحمد في مواضع ٣/٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٤.

وفي الآية والحديث مشروعية حسن الظن بالله عزَّ وجلَّ في كل شيء

وذم ظن السوء به؛ فإن ذلك من أسباب الردى والهلاك، وفي الحديث الصحيح الآخر: «أنا عند ظن عبدي بي».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

عن سفيان الثقفي رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم». قلت: فما أتقي؟ فأوماً إلى لسانه. وفي رواية قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه، ثم قال: «هذا»، وفي رواية: «قل ربي الله ثم استقم».

رواه أحمد ٤١٣/٣ و ٣٨٥/٤، والترمذي في الزهد ٢٢٣٠، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٢، ورواه مسلم في الإيمان ٨/٢، ٩ مختصراً.

الاستقامة هو الثبات على الإيمان وطاعة الله وطاعة رسوله في الأقوال والأفعال والسلوك الحسن مع التخلي عن الفواحش والذنوب... وهذا هو المطلوب من العبد، ولذلك قالوا: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة.

والحديث موافق للآية الكريمة وأن من آمن بالله عز وجل وما يتبع ذلك من كليات الإيمان ثم لزم طاعة الله وداوم على ذلك فقد حاز كل خير، فلا يحتاج إلى شيء آخر يسأل عنه أهل العلم، وفي الحديث وجوب الحذر من سقطات اللسان وفلتاته فإنه ذو حدين فهو مصدر لكل خير وكل شر، نسأل الله عز وجل الحفظ من آفاته.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

عن أبي بكره رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن

الله يخوف بهما عباده». وفي رواية: «وإذا كان ذلك فادعوا وصلوا حتى ينكشف ما بكم».

رواه البخاري في الكسوف ٢٠١/٣ وغيره، والنسائي في الكبرى ٤٥٢/٦، وفي المجتبى. وورد عن جابر وأبي موسى وعائشة وابن عمرو وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم، وهي أحاديث متواترة.

الآية والحديث يدلان على أن الشمس والقمر من جملة آيات الله الكونية الدالة عليه وأنها مخلوقان مسخران مذللان لا يملكان لأنفسهما شيئاً لا سيراً ولا وقوفاً، فكيف يُتخذان آلهة من دون الله تعالى أو يعتقد لهما التأثير في هذا الكون؟! .

وبهذا تمت سورة فصلت السجدة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین .



﴿ سُورَةُ الشُّورَى ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُتْرَكَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُؤُوفٌ وَرَحِيمٌ

هذه السورة الكريمة آياتها ثلاث وخمسون، ومحورها يدور حول
الوحي والقرآن والرسالة والبعث ودلائل التوحيد.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر تلك الآية العظيمة التي هي روح التوحيد في النفي والإثبات:
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١)، فمن اعترف بوجود
الله تعالى ووحدانيته وأثبت له أسماء وصفاته الواردة في الكتاب
والسنة، ونزهه عمّا لا يليق به من سمات الحدوث والنقائص: كان
موحدًا وبريئًا من التشبيه والتعطيل، آية ١١.
- ٢ - دين الأنبياء وهو التوحيد واحد، وهو الذي وصف به أكابر أولي العزم
كنوح ونبينا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
وأمرهم الله أن لا يتفرّقوا فيه، آية ١٣.
- ٣ - ورود آية فريدة من نوعها في القرآن الكريم اشتملت على عشر كلمات
مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها، وقالوا:

لا نظير لها سوى آية الكرسي، وهي قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعِ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾، وهذا إعجاز بالغ الأهمية، آية ١٥.

٤ - ذكر آية اللطيف: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾، آية ١٩.

٥ - ذكر آية تدل على أن من تحاكم لغير الله واتخذ دينًا غير دين الله كان قد اتخذ مع الله شريكًا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾، آية ٢١.

٦ - ذكر آية مودة قري رسول الله ﷺ، آية ٢٣.

٧ - بيان سنة الله في عباده وهو أن يغيثهم بالمطر بعد قنطهم ويأسهم، آية ٢٨.

٨ - بيان حكمته تعالى في عباده بأن جعلهم نوعين بالنسبة للإنجاب، فمنهم عقيم لا يلد أبدًا، ومنهم منجب، ثم منهم من يهبه تعالى إناثًا ومنهم من يمنحه ذكورًا، ومنهم من يزوجه ذكورًا وإناثًا، إنه عليم قدير، آيتان ٤٩ و ٥٠.

٩ - ذكر أنواع الوحي الإلهي وأقسامه، آية ٥١.

١٠ - تسمية القرآن روحًا... آية ٥٢.

١١ - بيان أن رسول الله ﷺ لم يكن له علم بالقرآن ولا بتفصيل شرائع الإيمان قبل أن يوحى إليه، وإنما علمه الله عز وجل ما لم يكن يعلم، آية ٥٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾ .

﴿٦﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» .

رواه البخاري في بدء الوحي ٢٠/١، ومسلم في الفضائل ٨٨/١٥، والترمذي في

المناقب ٣٤٠٩ .

«الصلصلة» هي الصوت . و «الجرس» بفتح الجيم والراء الناقوس .
«فيفصم» من الثلاثي والرباعي، أي يقلع عني . «وعيت»: حفظت،
«ليتفصد»، أي ليسيل بالعرق .

الوحي له معانٍ فيطلق على الإشارة، وعلى الإلهام، وعلى ما ذكر هنا، وله مراتب ستأتي آخر السورة، والحديث يدل على عظمة الوحي وثقله وأنه لا يطيقه إلا من جعل الله تعالى فيه قوة روحانية، وليس ذلك إلا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾ .

﴿٧﴾

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال للذي في

يساره: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا».

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذاً نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه، قال رسول الله ﷺ: «سدّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: فرغ ربكم عزّ وجل من العباد، ثم قال باليمنى فبندها فقال: فريق في الجنة، وبنذ باليسرى فقال: فريق في السعير».

رواه أحمد ١٦٧/٢، والترمذي في القدر ١٩٧٣ تهذيبي، والنسائي في الكبرى ٤٥٢/٦، ٤٥٣، وسنده صحيح، ولذا حسّنه الترمذي وصحّحه.

ما في هذه الحديث الشريف من الأمور لا تتحملها العقول، حسبنا الإيمان بما قال نبينا ﷺ. ولكونه فوق مستوى العقول البشرية أنكره بعض المحدثين.. وهو خطأ؛ فإن لهذا الحديث مثلاً وهو حافظتنا، فهي حاملة لمحفوظات غير محصاة، بحيث لو كتبت لجاءت في مجلدات. وقد تكلم على معناه شخصيتان من كبار رجال التصوف هما ابن العربي الحاتمي في الفتوحات المكية ومولانا الشريف عبد العزيز الدباغ كما في الإبريز لتلميذه ابن المبارك، وتكلم عليه أستاذنا السيد أحمد الصديق في بعض كتبه ورد على ابن حبان الذي أنكره، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث دليل على أن من كتب سعيداً أو شقيّاً لا يتبدل أبداً، وهو ظاهر الآية الكريمة، فريق في الجنة وفريق في السعير، مع حديث: «هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي».

وقوله في الحديث: «سدّدوا»، أي اطلبوا بأعمالكم السداد والقصد في الأمر، وقاربوا واتركوا الغلو والتقصير.

قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد.

رواه أحمد ٤٠٦/٢، ٤٣٧، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٤١، والبخاري في الأنبياء ٢٩٩/٧، ومسلم في الفضائل ١١٩/١٥، وأبو داود في السنة ٤٦٧٥، وابن حبان ٣١٧، ٧٥، ٧٤/١٤.

أولاد العلات: الإخوة لأب من أمهات شتى، ويقال للأشقاء أولاد الأعيان. قال العلماء: معنى الحديث أن أصل إيمان الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة فهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف حسب مصالح الأمم التي بعث فيها الرسل عبر الأجيال، فالدين المذكور في الآية هو أصوله اتفاقاً.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . . . الآية، فقال سعيد بن جبیر: قربى آل محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عجلت، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة، قال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

رواه البخاري في المناقب رقم ٣٤٩٧، وفي التفسير ١٨٥/١٠ رقم ٤٨١٨، والترمذي في التفسير ٣٠٣٧، والنسائي في الكبرى ٤٥٣/٦.

ومعنى الآية الكريمة، أي: لا أطلب منكم أجره على التبليغ، وإنما

أطلب منكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً. واختلف المفسرون في توجيه الآية؛ فابن عباس حملها على أن يواددوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينه وبينهم فيكون الخطاب على هذا خاصاً بقريش، وذهب سعيد بن جبير وعلي بن الحسين والسدي وعمرو بن شعيب إلى أن يواددوا أقارب النبي ﷺ فيكون الخطاب عاماً، والآية محتملة للأمرين، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

رواه أحمد ١٣٢/٢، ١٥٣، والترمذي في الدعوات رقم ٣٣٠٤، تهذيبي، وابن ماجه ٤٢٥٣، وابن حبان ٣٩٥/٢، وبالموارد رقم ٢٤٤٩، والحاكم في التوبة ٢٥٧/٤، وأبو نعيم في الحلية ١٩٠/٥، وسنده حسن، أما الحاكم فصححه ووافقه الذهبي، وكذا جزم بصحته أحمد شاكر.

الأحاديث في هذا الباب كثيرة، والتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته وهي مقبولة من الكافر والمسلم على السواء بنص القرآن والسنة المتواترة إذا وقعت بشروطها، وهي الإقلاع عن الذنب أيًا كان والعزم على عدم الرجوع إليه والندم والاستغفار، وهي مقبولة في كل زمان ومكان ما لم تصل الروح إلى الحلقوم وهي الغرغرة المذكورة في الحديث، وما لم تطلع الشمس من مغربها، أو جاء بأس الله وعذابه، ففي هذه الأحوال الثلاثة لا تقبل أصلاً وإن صدر من العبد ما صدر (أَمَنَ، بَكَى، اسْتَعْتَبَ)، لا يقبل منه شيء، فالآية الكريمة مطلقة قيدها آيات أخرى وأحاديث نبوية.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ؟: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ، وسأفسرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يُثني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا، فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوّه .

رواه أحمد ١/٨٥، وأبو يعلى ٤٥٣، وأورده النور في المجمع ٧/١٠٤، وأعلّه بأزهر بن راشد. لكن للحديث طريقاً آخر عند أحمد ١/٩٩، ١٥٩، والحاكم ٢/٤٤٥، بسندٍ صحيح، وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ولفظه: «من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فاللَّهُ أعدل من أن يُثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه» .

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصيب عبداً نكبةً فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، — قال: وقرأ — : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ .»

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٣٨. وهو وإن كان سنده مجهولاً فإن له شاهداً عن الحسن مرسلًا، رواه ابن أبي حاتم ١٠/٣٢٧٨، بسندٍ صحيح. وفي الباب آثار تؤيد الحديث، بل في الموضوع أحاديث في الصحيحين وغيرهما في معنى ما ذكرنا.

الآية وما ذكرنا تدل على أن ما يصاب به الإنسان من نكبات ومحن وبلايا... هو من كسبه وما عملت يده من السقطات والذنوب وذلك في الغالب.

وبهذا جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦]، وقال في آية ثانية: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى]، ومن لطف الله عز وجل

بعبدته أن جعل له ما يصيبه من بلاء ومحن . . كفارة لما صدر منه من سيئات . . وما يعفو الله عنه أكثر . ولذا جاء في الحديث الصحيح : « لا يزال البلاء بالعبد في نفسه ، وأهله ، وماله ، حتى يلقي الله وليس عليه ذنب » .

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله تعالى عنه والنبي ﷺ جالس ، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت !! قال : « إنه كان معك ملك يردُّ عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان ، فلم أكن لأقعد مع الشيطان » ، ثم قال : « يا أبا بكر ثلاث كلهنَّ حق : ما من عبدٍ ظلم بمظلومة فيغضي عنها الله تعالى إلاَّ أعزَّه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلاَّ زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلاَّ زاده الله بها قلة » .

رواه أحمد ٤٣٦/٢ ، وأبو داود في باب الانتصار من كتاب الأدب رقم ٤٨٩٦ ، ٤٨٩٧ ، وسنده حسن ، ويلاحظ أنَّ أبا داود أخرجه متصلاً ومرسلاً .

في الحديث كالأية استحباب العفو عن المسيء والحلم وعدم مقابلة الجاهل السفيفه بالمثل ، وأنه ينبغي للمظلوم الصبر وحبس النفس عن الانتصار وليعلم أن عند رأسه ملكاً يدافع عنه ويكذب الشاتم ، وفيه أن الشيطان يحضر عند التخاصم وأنه ينبغي للمؤمن مفارقة مجالس الخصومة ، وفي الحديث غير ذلك مما هو واضح منه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .



عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : قالت عائشة رضي الله

تعالى عنها: ما علمت حتى دخلت عليّ زينبُ بغير إذن، وهي غضبي، ثم قالت: يا رسول الله أحسبك إذا قلبت لك بنت أبي بكر ذُرَيْعَتَيْهَا^(١). ثم أقبلت عليّ، فأعرضتُ عنها، حتى قال النبي ﷺ: «دونكِ فانتصري»، فأقبلتُ عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فيها، ما تردُّ عليّ شيئاً فرأيت النبي ﷺ يتهلّل وجهه.

رواه أحمد وابن في الزوائد ٩٣/٦، والبخاري في الأدب المفرد ٥٥٨، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء، وفي التفسير ٤٥٣/٦، وابن ماجه ١٩٨١ وسنده صحيح.

الانتصار عند الظلم لا مانع منه كما في الآية الكريمة، وكما صدر من السيدة عائشة مع ضررتها السيدة زينب رضي الله تعالى عنهما، وكان ذلك بإذن من النبي ﷺ وبحضوره وإن كان الأولى عدم الانتصار كما سبق في الآية قبلها...

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أنّ نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

رواه البغوي في شرح السنّة عن ابن مسعود مسنداً، وعن المطلب مرسلًا مطولاً ومختصراً ٣٠٣/١٤، ٣٠٤، ٣٠٥. والحديث صحيح له شواهد: عن جابر رواه ابن ماجه ٢١٤٤، وابن حبان ٣٢/٨، ٣٣، ٣٤، والحاكم ٤/٢، والبيهقي ٢٦٤/٥، ٢٦٥، وأبو نعيم ١٥٦/٣، ١٥٧، وسنده صحيح على شرط مسلم. وله شاهد ثانٍ عن أبي أمامة، رواه أبو نعيم ٢٦/١٠، ٢٧، فالحديث صحيح.

قوله: «روح القدس»، في رواية «الروح الأمين» وهو جبريل عليه

(١) تصغير ذُرَاعَيْنِ.

السَّلام. وقوله: «نفث»، النفث شبيه بالنفخ. وقوله: «في رُوعي» بضم
الراء، أي في خَلْدِي ونفسي، ومعناه أوحى إلي .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال:
يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً
وديناً، قال: قال: «ألا أبشرك بما لقي أباك»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال:
«ما كلمَّ الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال:
تمنَّ عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تبارك
وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩].

رواه أحمد ٣/٣٦١، والحميدي ١٢٦٥، والترمذي في التفسير ٢٨١٦، وابن
ماجه ٢٨٠٠، وابن حبان ١٥/٤٩٠، ٤٩١، والحاكم ٣/٢٠٣، ٢٠٤، وأبو يعلى
٢/٢٦٧، وسنده حسن.

في الحديثين مع الآية الكريمة بيان لأنواع الوحي وأنه ثلاثة أنواع:
وحي، ويشمل الرؤيا والإلهام. أو من وراء حجاب، كما كلمَّ نبي الله
موسى ونبينا ليلة الإسراء صلوات الله وسلامه عليهما. أو بواسطة جبريل،
وهو إما أن يُلقَى في رُوعه ما يؤمر بإلقائه، أو يأتيه في صفة رجل . . فيحدثه
بما يأتي به من عند الله عزَّ وجل . والكلام على هذا الموضوع له محل آخر إن
شاء الله تعالى .

وبهذا تم الكلام على سورة الشورى، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه
وصحبه وحزبه أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ الزَّخْرَفِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَهَجِبْهُ وَزَوْجَهُ وَعِزْبَهُ

هذه السورة الكريمة كسابقتها تهتم بالعقيدة وأصول الدين، وآياتها تسع وثمانون.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر تلك النعمة العظيمة، وهي تسخير المركوبات البرية والبحرية، وإرشادنا إلى تسييح الله عز وجل وذكره ودعائه عند ركوبنا، آيات ١٢ — ١٤.
- ٢ — قولة جهلة العرب ومشركيهم بأن الملائكة إناث، آية ١٩.
- ٣ — تشابه القلوب والأقوال والسلوك في تقليد الآباء، آيتان ٢٢، ٢٣.
- ٤ — قولة الكفار في شأن إنزال القرآن: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾، آية ٣١.
- ٥ — بيان الحكمة وسر الله عز وجل في تفاضل الناس في الأرزاق، آية ٣٢.

- ٦ - لو فرض وجعل الناس أمة واحدة كافرة لمتعهم الله ونعمهم وأتحفهم بجميع أنواع المتع والتحف، آيات ٣٣ - ٣٥ .
- ٧ - جرت سنة الله فيمن أعرض عنه عزَّ وجل أن يقبض له شيطاناً مصاحباً له، آية ٣٦ .
- ٨ - ضرب الله عزَّ وجل المثل بسيدنا عيسى عليه السَّلام، فيضج الكفار ويصدون عن سبيل الله عزَّ وجل ويقولون: ﴿أَلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمُّ هُوَ...﴾، آيات ٥٧ - ٥٩ .
- ٩ - جعل نزول سيدنا عيسى عليه السَّلام علامة للساعة، آية ٦١ .
- ١٠ - كل الأخلاء والأصدقاء سيكونون يوم القيامة بعضهم لبعض عدواً إلاَّ المتقين، فيقال لهم: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾... ﴿٦٦﴾، آيات ٦٧ - ٦٩ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ .

عن علي بن ربيعة رحمه الله تعالى قال: شهدت علياً رضي الله تعالى عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله»، فلما استوى على ظهرها قال: «الحمد لله»، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾، ثم قال: «الحمد لله» ثلاثاً، «الله أكبر» ثلاثاً، «سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعتُ ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله قال: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال:

ربِّ اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري».

رواه أحمد ١/٩٧، ١١٥، ١٢٨، والطيالسي ١٣٢، وأبو داود ٢٦٠٢، والترمذي في الدعوات رقم ٣٢٢١ تهذيبي، والنسائي في السير من الكبرى ٥/٢٤٨، وابن حبان ٦/٤١٤، ٤١٥، والحاكم ٢/٩٨، ٩٩، وحسنه الترمذي وصحَّحه وهو صحيح على شرط الشيخين عند بعضهم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ «كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كَبَّرَ ثلاثًا وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، اللَّهُمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البرِّ والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ علينا سفرنا هذا، واطوِّعنا بعده، اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد»، فإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون».

رواه أحمد ٢/١٤٤، ١٥٠، ومسلم في الحج ٩/١١٠، ١١٢، وأبو داود ٢٥٩٩، والترمذي في الدعوات ٣٢٢٢، وابن حبان ٦/٤١٢، ٤١٣، والحاكم ٢/٢٥٤ من طرق.

قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، أي ما كنا لهذا المركوب مطيقين قهره وإذلاله حتى نركبه لولا تسخير الله إياه لنا. والمراد بالأزواج في الآية أصناف المخلوقات وأنواعها من الحيوان والنبات وغير ذلك.

وفي الآية الكريمة بيان عظمة القدرة الإلهية وما أنعم الله تعالى به علينا من تسخير هذا الكون وما فيه من حيوان وأنعام ومركوبات برية وبحرية. وإذا كان هذا الامتنان الإلهي جاء في عصر كان أهله يستخدمون الأنعام والسفن البسيطة، فكيف بما أظهره تعالى لأهل هذا العصر من هذه

الأنواع المركوبة المدهشة كالسيارات والقطارات والطائرات والبواخر
العظيمة التي تكون أشبه شيء بمدينة فوق البحر!!

وفي الحديثين مشروعية قول هذه الأذكار والأدعية والاستغفار عند
الركوب، وفي حديث الإمام علي رضي الله تعالى عنه فضل إقرار العبد لله
بذنبه واستغفاره منه واعترافه بأنه لا يغفر الذنب سواه . . .

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ .

﴿٣٥﴾

عن عمر رضي الله تعالى عنه في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه في
مشربة، أي غرفة، وفيه أنه دخل عليه وأنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء
وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف قال: فرأيت أثر الحصير في جنبه . .
فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسّع على أمتك فقد وسع على فارس والروم،
وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا، ثم قال: «أفي شك أنت يا ابن
الخطاب، أولئك قومٌ عَجَلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». وفي رواية:
فابتدرت عيناى، قال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟» قلت: وما لي
لا أبكي؟! وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانك لا أرى فيها إلا ما
أرى، وذلك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وشفوته
وهذه خزانك!! فقال: «يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم
الدنيا»، قلت: بلى . . .

رواه أحمد ١/٣٤، والبخاري في العلم وفي النكاح وفي التفسير ١٠/٢٨٤،
ومسلم في الطلاق ١٠/٨٢، ٩٢، والترمذي في التفسير ٣١٠٠ وغيرهم.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب في
آنية الذهب والفضة، ولبس الحرير والديباج، وقال: «هي لهم في الدنيا
ولكم في الآخرة».

رواه أحمد ٣٨٥/٥، ٣٩٧، والبخاري في الأطلعة رقم ٥٤٢٦، وفي اللباس ٥٨٣٧، ومسلم في اللباس رقم ٢٠٦٧، وباقي الجماعة.

لا ريب أن الآخرة هي خاصة بالمتقين لا حظَّ فيها للكافرين. وفي الحديثين أن متاع الدنيا لا عبدة به لأنه شيء ضئيل، وأن المؤمن ينبغي له أن يكون همه دائماً الدار الآخرة، ولا يعبأ بهذا المتاع الفاني، ولا يطمئن به ولا ينظر إلى ما متع به الكفار وأتباعهم وأشباههم ممن يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، وأن يكون راضياً بالآخرة دون الدنيا، كما قال نبينا ﷺ لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه. وفي حديث حذيفة تحريم استعمال الحرير والذهب والفضة، وعَلَّلَ النبي ﷺ ذلك بكونها من شأن الكفار ومتعهم في الدنيا وأنها لنا خاصة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.



عن عقبه بن عامر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتَ الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدراج منه له، ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾».

رواه أحمد ١٤٥/٤، وابن جرير ١٩٥/٧، وابن أبي حاتم رقم ١٢٩٠، والطبراني في الكبير ٣٣٠/١٧، والبيهقي في الشعب رقم ٤٥٤٠. وهو حديث صحيح لطرقه، غير أن ذكر هذه الآية لم يأت عند هؤلاء المخرجين إلا في رواية عند ابن أبي حاتم رقم ١٨٥١٠، وكذلك أورده هنا في الدر المنثور ٣٨٤/٧، وابن كثير في التفسير. وفي سنده ابن أخي ابن وهب وهو مجهول لم أهد لمعرفته، وباقي رجاله ثقات، وابن لهيعة روى عنه هنا عبد الله بن وهب.

والحديث تقدم في سورة الأنعام في آية: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾

[الأنعام: ٤٤]. فهناك الكلام على معناه.

وقوله تعالى هنا: ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا ﴾، أي أغضبونا.

قوله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ .

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية .

رواه أحمد ٢٥٢/٥، ٢٥٦، والترمذي ٣٠٣٩، وابن ماجه ٤٨، والحاكم ٤٤٧/٢، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم.

الجدل بفتحيتين: الخصومة بالباطل. ومعنى الآية الكريمة: أن الله لما ذكر عيسى عليه السلام في القرآن وضرب المثل بالآلهة التي عُبدت من دون الله عزَّ وجل ضجَّ الكفار وارتفعت أصواتهم بالصياح: وقالوا آلهتنا خير أم هو، يعنون عيسى، وقالوا: فإن كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا معه، فقال تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا . . . ﴾ الآية، أي ما قالوا لك هذا القول إلا على وجه الجدال والمكابرة لا لطلب الحق، فهم قوم شديدو الخصومة واللجاج بالباطل، والحديث يدل على أن من أراد الله به الضلال صرفه إلى كثرة الجدال، ففيه ذم النزاع والخصام سواء كان ذلك في الدين أو في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لقد علمت آية في القرآن ما سألتني عنها أحدٌ قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها؟ ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها فقلت: أنا لها إذا راح غداً، فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس، ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها؟ فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها؟ قال: نعم، إن رسول الله ﷺ، قال لقريش: «يا معشر قريش، إنه ليس أحدٌ يعبد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش أن النصراري تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد أأنت تزعم أن عيسى كان

نبيًا وعبداً من عباد الله صالحًا، فلئن كنت صادقاً فإن ألهمهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٥٧)، قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضحجون، ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ . . . ﴾ الآية، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة.

رواه أحمد ٣١٧/١، ٣١٨، والطبراني في الكبير رقم ١٢٧٤٠ بسند حسن، أما الشيخ أحمد شاکر فصححه.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾، أي أن عيسى لعلامة على قرب الساعة، يعني نزوله وخروجه من أسرارها وعلامات قيامها الكبرى، وقد تواترت بذلك الأحاديث، وأفردها بالتأليف جماعة من العلماء. وقوله: «لعلم»، قرئت بكسر العين وسكون اللام، وبفتحهما.

قوله تعالى: ﴿ وَنَادَايَمَّا يَمُوتُ لِيَقْضِ عَلَيْكَ نَارُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْرُوتُونَ ﴾ (٧٧).

٧٧

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء، قال ﷺ: «فحانت الصلاة وأمتهم فلما فرغت من الصلاة، قال لي قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليّ فبدأني بالسلام». رواه مسلم في الإيمان رقم ١٧٢.

القرآن يدل على أن مالكا اسم خازن النار، يعني رئيس ملائكة النار وخزنتها، وهم تسعة عشر كما يأتي إن شاء الله تعالى.

وبهذا تمت سورة الزخرف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الدُّخَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ إِلَى اللَّهِ وَاوْدَاقٌ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ

آياتها تسع وخمسون، وأهدافها ترسيخ العقيدة وبيان كلياتها.

من خصائص هذه السورة

- ١ - فيها ذكر الليلة المباركة المبهمه التي بينت في سورة القدر وأنه يفرق وَيُبَيِّنُ وَيُفَصِّلُ فيها كل أمر محكم، من آجال، وأرزاق، وسائر أحوال الأحياء وغيرها، وتنسخ من اللوح المحفوظ ثم يوحى بها إلى الملائكة، آيات ٣ - ٥.
- ٢ - ذكر الدخان الذي أصاب كفار قريش حين استعصوا على رسول الله ﷺ، آيتان ١٠، ١١.
- ٣ - ذكر البطشة الكبرى، وهي وقعة بدر، آية ١٦.
- ٤ - بيان أن أعداء الله من الكفار إذا ماتوا لا تبكيهم الأرض ولا السماء، آية ٢٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ .

﴿١٠﴾

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: إن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ .
رواه الشيخان وغيرهما وتقدّم في الفرقان، وفي الروم مختصراً ومطولاً.

«السنة» هي الجذب والقحط. والحديث يدل على أن الدخان المذكور في القرآن هنا هو ما أصاب كفار قريش عند جهدهم من الجوع، وهو ظاهر سياق الآية الكريمة. نعم هنالك دخان آخر سيكون من أشراط الساعة، وقد تقدّم في ذلك حديث حذيفة بن أسيد الغفاري في سورة النمل عند ذكر دابة الأرض، وهو في صحيح مسلم والسنن فارجع إليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فمر بابن صياد فقال له رسول الله ﷺ: «قد خبأت لك خبأ»، فقال: دُخٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «أخساً فلن تعدو قدرك»، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله دعني فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله».

رواه أحمد ١/٣٨٠، ومسلم في الفتن ١٨/٤٧، ٤٨، ٤٩، وابن حبان ١٥/١٨٥، والطحاوي في المشكل ٤/٩٩.

ابن صياد هذا جاءت فيه أحاديث عن جماعة من الصحابة، وحديثه هذا يشير إلى أن الكهنة يتلقون عن الشياطين كلمات غير كاملة ولا مفهومة، وكان هذا الدجال يتهم بأنه الدجال الأعور، والصحيح أنه كان كاهناً معه رثي

من الجن . ولما لقيه النبي ﷺ وكان قد نزلت عليه سورة الدخان فأضمهر في قلبه ذلك ، فقال لابن صياد : «إني قد خبأت لك خبأً» ، فقال له : دخ ، فلم يهتدِ للآية كاملة إلا لهذا اللفظ الناقص ، ولهذا قال النبي ﷺ : «أخسأ فلن تعدو قدرك» ، أي القدر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء وما لا يصل إلى بيان أمور الغيب .

انظر : شرح مسلم للنووي ١٨/٤٦ ، ٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ .

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالوا : قال رسول الله ﷺ : «يقال لأهل الجنة : إن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا» .

رواه أحمد ٢/٣١٩ ، ٣/٣٨ ، ومسلم في الجنة ١٧/١٧٥ ، والترمذي في سورة الزمر ٣٠٣١ .

الآية الكريمة نص في أن أهل الجنة لا يموتون ، وزادها بياناً الحديث المتقدم في ذبح الموت ، وقول الملائكة لأهل الجنة والنار : خلود بلا موت . وبيِّن في حديث الباب أن أهل الجنة لا يصيبهم سقم ، ولا بؤس ، ولا هرم ، ولا موت ، فهم أصحاب شباب منعمون مخلدون .

وبهذا تمَّ الكلام على سورة الدخان ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه إلى الأبد بلا نهاية .

* * *

﴿سُورَةُ الْجَاثِيَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَالرَّاهِجِ وَهَجْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعَزْبِ

وآياتها سبع وثلاثون، والغالب على السورة ذكر دلائل التوحيد المتمثلة في هذا الكون، ذلك الكتاب المنظور وما فيه من عجائب المخلوقات .

من خصائص هذه السورة

١ — ذكر آية الدهريين: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ... وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ، آية ٢٤ .

٢ — جثو الناس يوم القيامة على ركبهم: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ ، آية ٢٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الآية، قال: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر.

رواه النسائي في الكبرى ٤٥٧/٦، والحاكم ٤٥٢/٢، ٤٥٣، وصححه ووافقه الذهبي، وهو حسن فقط لوجود جعفر بن أبي المغيرة.

الأثر مفسر للآية الكريمة، فإن من كان يعبد الأصنام وأنواع الأحجار... فلا يرتاب عاقل في أنه يعبد هواه وأنه إلهه.

وجاء في حديث ضعيف: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع».

رواه الطبراني في الكبير وابن أبي عاصم وأبو نعيم في الحلية ١١٨/٦.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْدِكُمْ إِلَّا الدَّهْرُ ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر، قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الخير، أقلب الليل والنهار».

رواه البخاري في التفسير رقم ٤٨٢٦، وفي الأدب وفي التوحيد ٧٤٩١، ومسلم في الأدب رقم ٢٢٤٦، وأبو داود في الأدب ٥٢٧٤ وغيرهم، وقد تقدّم في سورة الأحزاب، عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

ومعنى الحديث: أن الله عزّ وجل خالق الدهر، فقوله: «أنا الدهر»، أي رب الدهر وخالقه. وليس المراد أنه تعالى مسمى بالدهر كما ذهب إليه ابن حزم ومن لف لفته، وعلى هذا فمن سب الدهر فإنما يسب الله تعالى لأنه الخالق لما يقع في الدهر.

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما رحمهما الله تعالى في هذا الحديث: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابتهم شدة، أو بلاء، قالوا: يا خيبة الدهر، ويسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عزّ وجل، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يسبونه ويسندون إليه

تلك الأفعال . قال ابن كثير : هذا أحسن ما قيل في تفسيره ، وهو المراد .

قوله تعالى : ﴿ وَآلَ الْكِبْرِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

﴿٣٧﴾

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالوا : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عزَّ وجل : العظمة إزارِي ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري » .

رواه أحمد ٢/٣٧٦ ، ٤٢٧ ، ومسلم في البر والصلة ٢٦٢٠ ، وأبو داود ٤٠٩٠ ، وابن ماجه ٤١٧٤ وغيرهم .

«الكبرياء» أي الجلال والكمال والبقاء . وهو من أحاديث الصفات ؛ فهو تعالى منزّه عن الإزار والرداء الحادثين ، فتفسير ما في الحديث إمراره كما جاء بلا تعطيل ولا تشبيه ، أو يفسر بما يليق بعظمته وكماله .

وبهذا تمت سورة الجاثية ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه إلى أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ الْأَحْقَافِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكُ عَلَيَّ بِمَا مَحَسَدَ
وَاللَّهُ وَصِيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَحِزْبُهُ

هذه السورة الكريمة هي آخر الحواميم، وآخر السور المكية، وبدايتها كما تقدّم من سورة الشعراء، وهي نحو من إحدى وعشرين سورة جاءت متواليات، لم يتخللها من المدني إلا سورة الأحزاب، التي جاء قبلها ثمان وبعدها ثلاث عشرة.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر الأثارة من علم، وقد اختلف في معناها المفسرون، ويأتي في الحديث ما يبينها، آية ٤.
- ٢ - تصريح رسول الله ﷺ بأنه كان في ابتداء أمره لا يدري ما يفعل به ولا بغيره، آية ٩.
- ٣ - قولة الكفار في فقراء الصحابة وإسلامهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، آية ١١.
- ٤ - بيان مدة حمل المرأة بالجنين مع فصاله من الرضاعة يكون مدتهما ثلاثين شهرًا، آية ١٥.

٥ - بيان حال الولدين البار والعاق، وما سيؤول إليه أمرهما في الآخرة،
آيات ١٥ - ١٨ .

٦ - أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالافتداء بأولي العزم من الرسل في تحمل البلاء والصبر على الدعوة والتبليغ وأن لا يستعجل، آية ٣٥ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتَرَكَ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - قال سفيان، أحد الرواة:
لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ - : ﴿ أَوْ أَتَرَكَ مِنْ عَلِيمٍ ﴾ ، قال: الخط .

رواه أحمد رقم ١٩٩٢ ، والطبراني في الكبير رقم ١٠٧٢٥ بسند صحيح رجاله رجال الصحيح .

الحديث مبين للأثارة المذكورة وأنها الخط، أي علم الرمل الذي جاء به حديث مسلم وغيره: «قد كان قبلكم نبي يخط فممن وافق خطه خطه فذاك» وليس المراد بالخط الكتابة كما قيل .

والآية الكريمة جيء بها خطاباً لكفار قريش فقال الله تعالى لنبيه ﷺ:
يقول لهم: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ، ثم قال: ﴿ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ ، أي القرآن يكون حجة لكم بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله، ﴿ أَوْ أَتَرَكَ مِنْ عَلِيمٍ ﴾ أو اتنوني بأثارة وبقية من علم يؤثر عن الأولين أو يستند إليهم بخط أو غيره .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

عن أم العلاء — من المبايعات — رضي الله تعالى عنها قالت: طَارَ لَهُمْ في السكن — حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين — عثمان بن مظعون، قالت: فاشتكى عثمان عندنا فمرّضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمهُ؟» قالت: فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: «أما هو فقد جاءه اليقين من ربّه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»... قالت: والله لا أزكي أحداً بعده أبداً، فأحزني ذلك، فتمت فرأيت لعثمان عيناً تجري، فجنّت رسول الله ﷺ فأخبرته ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك عمله».. وفي رواية: «ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم».

رواه أحمد ٤٣٦/٦، والبخاري في الهجرة النبوية ٢٩٦/٨، وفي الجنائز ٣٥٨/٣، وفي التعبير ٤٩/١٦، وفي مواضع، وهو من أفراده.

في الحديث فضل عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وكان أول ميت أقبر في البقيع من المهاجرين. وقوله ﷺ: «والله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم»، وكذا ما ذكر في الآية الكريمة. هذا كان قاله قبل أن يخبره الله عزّ وجلّ بأنه أول من يدخل الجنة وأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأنه سيّد الناس يوم القيامة وصاحب المقام المحمود، وصاحب الوسيلة.

وانظر لهذا الموضوع: تفسير ابن كثير ٢٧٧/٦، وفتح الباري ٣٥٨/٨ من الهجرة النبوية.

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.



عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلاّ

لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ...﴾ الآية .

رواه البخاري في مناقب عبد الله بن سلام ١١٩/٨ .

وعن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه». قال: فأسكتوا ما جاوبه منهم أحدٌ. ثمَّ ردَّ عليهم فلم يجبه أحد، ثمَّ ثلث فلم يجبه أحد، فقال: «أبيتم؟! فوالله إنني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، أمنتُم أو كذبتُم».

ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفضه منك، ولا من أهلك قبلك، ولا من جددك قبل أهلك.

قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شرًّا، قال رسول الله ﷺ: «كذبتُم، لن يقبل قولكم، أمَّا آنفًا فتشنون عليه من الخير ما أنثيتُم، ولما آمن أكذبتُموه وقلتم فيه ما قلتم!! فلن يُقبل قولكم»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عزَّ وجل فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَمَنَّوْا أَنْ يُكْفَبَ عَنْكُمْ وَإِنِّي لَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

رواه أحمد ٢٥/٦، والطبراني في الكبير ٤٦/١٨، ٤٧، وابن حبان مع الإحسان ١١٨/١٦، ١٢٠، والحاكم ٤١٥/٣، ٤١٦، وسنده صحيح وأورده النور في المجمع ١٠٥/٧، ١٠٦ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

في الحديثين بيان الشاهد الإسرائيلي المذكور في الآية، وأنه عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه، وأن الآية نزلت فيه وبسببه. وفيها فضل هذا الحبر حيث فارق اليهود وترك رياسته وسيادته عندهم وأسلم، وأنه من أهل الجنة بالنص من النبي ﷺ، وقول سعد: ما سمعت... إلخ، لا ينفي المبشرين الآخرين بالجنة، وهم كثيرون، جمعهم في رسالة خاصة طُبعت وأعيدت والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْبِغَانِ اللَّهُ وَيَلُكُ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴾.

عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما شيئاً فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة رضي الله تعالى عنها فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي... ﴾ الآية، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري.

رواه البخاري في التفسير ١٩٧/١٠، ١٩٨، وهو من أفراد، ورواه النسائي في الكبرى ٤٥٩/٦، والحاكم ٤٨١/٤، وفيه: لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ... ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ

لعن أبا مروان ومروان من صلبه، فمروان فضض من لعنة الله. وصححه الحاكم على شرطهما مع انقطاع فيه. لكن الحديث صحيح لطريق آخر له، رواه البزار، قال الهيثمي في المجمع ٢٤١/٥، وإسناده حسن.

ما زعمه مروان من نزول الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما لا يصح، فإن عبد الرحمن كان مسلمًا صالحًا، ولذلك أنكرت عليه السيدة عائشة وهي أعلم منه وأكبر وأفضل، وبما أن مروان لمز أخاها وطعن فيه قابلته بالمثل فأخبرته بأن الصادق المصدوق ﷺ لعن أباه الحكم وهو في صلبه، فكان ذلك من باب المشاكلة: ﴿وَحَزَنًا وَسَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ أُوْهَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ريحًا قام وقعد، وأقبل وأدبر، قالت: فقلت له. فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا...﴾ الآية، قالت: فيرى قطرات فيسكن. وفي رواية عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم، قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتَه عرف في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب...»، وفي رواية: كان إذا عصفت الريح قال: «اللَّهُمَّ إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»، وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّي عنه.

رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٠٦، وفي التفسير ١٩٩/١٠، ومسلم ١٩٦/٦، وفي الاستسقاء ١٩٦/٩، ١٩٧، والترمذي ٣٠٤٣، والنسائي في الكبرى ٤٥٩/٦، وابن ماجه ٣٨٩١.

تعالى عنه، وسيأتي لهذا مزيد في سورة الجن إن شاء الله تعالى .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا . . .﴾ الآية، أي وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجن . . . إلخ .

والآية نص في تكليف الجن وأنهم مخاطبون بالشرائع كالإنس ولا فارق ولا خلاف بين المسلمين في ذلك، كما فيها دليل قاطع على وجودهم وأنهم جنس موجودون في هذا العالم يعيشون معنا يأكلون ويشربون ويتناسلون . . . وقد أَلَّفَ الناس في حياتهم وشؤونهم كتبًا قديمًا وحديثًا، فمن أنكرهم كان جاهلاً، وبالتالي كافرًا .

وبهذا تمت سورة الأحقاف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه
أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ مُحَمَّدٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَسَلَّى اللَّهُ وَرَسَمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهِ وَهَجِبْهُ وَزُوجِبْهُ وَعَزَبْهُ

من هذه السورة الكريمة بديء في ذكر بعض السور المدنية، وقد جاءت هنا ثلاث سور مدنيات متواليات: هذه السورة، والفتح، والحجرات، ثم توالى سور آخر مكيات نحو الست... وهذه السورة ثمان وثلاثون آية، وأهدافها التحدث عن الأحكام الشرعية شأن السور المدنية كالكلام على الجهاد وما يتعلق به، وذكر المنافقين وبعض صفاتهم... ولم تخل أيضًا من ذكر بعض جوانب العقيدة وأصول الدين.

من خصائص هذه السورة

١ - حكم الأسارى بعد الإثخان، وأن الإمام مخير فيهم بين المنّ والفداء، آية ٤.

٢ - ذكر الآية المشهورة التي شرطت النصر للمؤمنين بنصر الله تعالى، آية ٧، وقد تقدمت آية أخرى في الحج جاء فيها القسم على النصر لمن ينصر الله، وهي قوله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

٣ — ذكر أنهار الجنة الأربعة مفصلة: من ماء، ولبن، وخمر، وعسل،
آية ١٥ .

٤ — ذكر آية تأمر النبي ﷺ ومن يستحق الخطاب أن يعلم أن لا إله
إلا الله، آية ١٩ .

٥ — أمر الله نبيه ﷺ أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات، آية ١٩ .

٦ — بيان ما كان عليه المنافقون عند نزول آية فيها ذكر القتال، آية ٢٠ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ
فَمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَّوْا
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ .

عن سلمة بن نفيل رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال:
إني سئمت الخيل وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت:
لا قتال. فقال له النبي ﷺ: «الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الناس، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى
يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام،
والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

رواه أحمد ٤/١٠٤، والنسائي في كتاب الخيل من المجتبى ٦/١٧٨، ١٧٩،
والطبراني في الكبير ٧/٥٩، ٦٠، ٦١، وسنده صحيح .

الحديث يدل على أن وضع الحرب أوزارها لا يزال بعيداً، وأن القتال
مشروع وواقع حتى يأتي أمر الله عز وجل، وذلك لا يكون إلا بعزة الإسلام
والمسلمين واندثار الكفر والكفار، وذلك سيكون بإذن الله أيام سيدنا عيسى
عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فالحديث الشريف نص في محل النزاع بين
المفسرين .

وعن المقدم بن معديكرب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يَغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

رواه أحمد ١٣١/٤، والترمذي في الجهاد ١٥٢٤، وابن ماجه ٢٧٩٩، وحسنه الترمذي وصحَّحه. وله شاهد بنحوه عن قيس الجذامي، رواه أحمد ٢٠٠/٤.

في الحديث فضل الشهيد في سبيل الله عزَّ وجلَّ وأن الله تعالى سيكرمه إكرامًا بالغًا، ويتحفه بطرائف عظيمة، وأنه تعالى لا يضيع عمله، كما أخبرت بذلك الآية الكريمة، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الشهيد والشهادة معروفة في الصحاح وغيرها، وإنما أوردنا هذا الحديث على الخصوص لما جمع فيه من الخصال التي أكرم بها...

قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمِهِمْ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسْبُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مِظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَحَدُهُمْ بِمَنْزَلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَهْدَى مِنْهُ بِمَنْزَلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا».

رواه البخاري في الرقاق ٦٥٣٥، وفي المظالم، وأحمد ١٣/٣، ٦٣، ٧٤، وابن جرير ٤٤/٢٦، وأبو يعلى ٥٠٠/١، والحاكم ٣٥٤/٢.

«إِذَا خَلَصَ» بفتح اللام، أي نجا وسلم المؤمنون من دخول النار.

الحديث يدل على أن المؤمن يوم القيامة سيعرف منزله من الجنة ويهديه الله إليه لا يخطئه كأنه كان يسكنه من قديم فلا يسأل عنه أحدًا، ولهذا

قال تعالى هنا في الآية: ﴿عَرَفَهَا لَمْ تَعْرِفَهَا لَمْ تَعْرِفَهَا لَمْ تَعْرِفَهَا﴾، أي عَرَفَهُمْ بها وهداهم إليها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَلَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَعَسَّ عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرض». وفي رواية: «وإن منع سخط».

رواه البخاري في الجهاد ٢٨٨٦، وفي الرقاق ٦٤٣٥، وابن ماجه ٤١٣٥، وابن حبان ١٢/٨، والبيهقي ١٥٩/٩، ٢٤٥/١٠.

«تَعَسَّ»: التعاسة لها معانٍ، تأتي بمعنى الهلاك، والسقوط والانحطاط والبعد. والمراد الدعاء عليه بالعتار والانكباب. و«القطيفة» دثار له حمل، و«الخميصة» كساء أسود له أعلام.

وفي الحديث بيان أن المتفاني في كسب المال وجمعه وتكديسه وحب المظاهر والملابس... هو عبد لذلك، وأنه في تعاسة وهلاك وخسارة لاتخاذة مشتريات هذه الحياة آلهة له يتذلل لها ويعبدها من دون الله عز وجل كالكفار الذين لهم التعاسة والخسارة لعبادتهم الأصنام عيادًا بالله تعالى، وهو يدل على أن كل من أحب شيئًا وتفانى فيه وأقبل عليه ظاهرًا وباطنًا فهو عبد له كائنًا ما كان ذلك الشيء مالا أو زوجة أو لهوا أو لعبًا.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه في حديثه عن غزوة أحد... وفيه قول أبي سفيان: ألا لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»...

رواه أحمد ٢٩٣/٤، والبخاري في الجهاد ٣٠٣٩، وفي المغازي ٣٩٨٦،

٤٥٦١، وأبو داود ٢٦٦٢، والنسائي في الكبرى ١٩٠/٥، وابن حبان ٤٠/١١، ٤١، وابن سعد ٤٧/٢.

في الآية والحديث بيان أن الله عزَّ وجل مولى المؤمنين، أي وليهم وناصرهم وسيدهم، بينما الكفار لا مولى لهم، بل أولياؤهم الجمادات من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر...

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآفَتُمْ وَالنَّارُ مَشْوَى

هُم ۝﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن يأكل في مَعَى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

رواه مسلم في الأشربة ٢٠٦٢، وابن ماجه ٣٢٥٨، وأبو يعلى ٩١٧، وابن حبان ٣٨/١٢، ٣٩. وفي الباب عن جماعة، منها عن أبي هريرة عند البخاري في الأطعمة ٥٣٩٧، ومسلم في الأشربة ٢٠٦٣، وعن ابن عمر رواه البخاري ٥٣٩٤ وغيره.

ظاهر الحديث يدل على أن همَّ الكافر هو بطنه وملء أمعائه السبع، بينما المؤمن الكامل بخلافه، فهو يقلل من الأكل ويقتصر على الحاجة. ولذا اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمّله على ظاهره مطلقاً، ومنهم من جعله على ظاهره، لكنه في شخص خاص كما جاء في حديث أبي هريرة مصرحاً به، وعلى هذا مشى ابن عبد البر وغيره، وقالوا: لا سبيل إلى حمّله على العموم لأن المشاهدة تدفعه، وقيل: الحديث خرج مخرج الغالب، وقيل: هو مثل ضرب لزهد المؤمن في الدنيا وتقلله منها وحرص الكافر عليها وتمتعه بها وشدة شرهه فهو يأكل ويتمتع كالأنعام، وانظر: در الغمام الرقيق لكتابه، ففيه بحث في الموضوع لأستاذنا السيد أحمد رحمه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَنِّ مِن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ ۝﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة

قال لها: ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

رواه الترمذي في المناقب ٣٦٩٠ بتهذيبي، وابن حبان ١٠٢٦، بالموارد وحسنه الترمذي وصحّحه.

وعن عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة فقال: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت».

رواه أحمد ٤/٣٠٥، من طرق والترمذي ٣٦٨٩، وابن ماجه ٣١٠٨، وابن حبان ١٠٢٥، وصحّحه الترمذي، وهو كما قال؛ فإن سنده صحيح.

«الحزورة» على وزن القسورة، وهو موضع بمكة. والقرية التي أخرجته هي مكة، والمراد أهلها الكفار الذين تسببوا في إخراجهم ﷺ ومهاجرة بلاده ومسقط رأسه الذي قضى فيه ثلاثاً وخمسين سنة من حياته. والآية جاءت تسلية للنبي ﷺ بأن كثيراً من أهل القرى القدامى كانوا أعظم وأقوى وأكثر.. من أهل مكة، وقد أهلكهم الله وأباد خضراءهم، فكذلك سيفعل بهؤلاء. وقد فعل سبحانه وتعالى.

والحديثان يدلان على أن مكة المكرمة هي أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله، وخير أرض الله على الإطلاق وأنها أفضل حتى من المدينة المنورة، وهذا قول الجمهور.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

عن معاوية القشيري رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «في الجنة بحر اللبّن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم ينشقُّ منها بعد الأنهار».

رواه أحمد ٥/٥، والترمذي في صفة الجنة، ٢٣٨٤، والدارمي ٢٨٣٩، وابن حبان ٤٢٤/١٦، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فهو أوسط الجنة وهو أعلى الجنة وفوقه العرش ومنه تفجّر أنهار الجنة».

رواه أحمد ٢/٣٣٥، ٣٣٩، والبخاري في الجهاد ٢٧٩٠، وفي التوحيد ٧٤٢٣، وابن حبان ١٠/٤٧١، ٤٧٢، وهو من أفراد البخاري. ورواه الترمذي مختصراً ٢٣٤٧ بتهذيبي ونحوه عن معاذ بن جبل، رواه أحمد ٥/٢٤٠، ٢٤١، ٢٣٢، والترمذي ٢٣٤٨ مطولاً، ورجاله ثقات لكنه منقطع.

الحديثان يدلان على أن في الجنة بحاراً من لبن وماء وعسل وخمر، ثم تتفجر منها أنهار نابعة فيكون لكل مؤمن من سكان الجنة نصيبه وهذه البحار والأنهار كلها مصدرها الفردوس الذي هو أعلى الجنان وأفضلها وأوسعها. وفي الآية الكريمة والحديثين تشويق بالغ بالجنة ونعيمها، نسأل الله عزّ وجل أن يسكننا الفردوس بفضله وجوده ورحمته، آمين.

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.



عن عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُؤافي عبد يوم القيامة وهو يقول «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله عزّ وجل، إلا حرّم الله عليه النار».

رواه البخاري في الرقاق رقم ٦٤٢٣، ١٧/١٤، هكذا مختصراً، ورواه في مواضع مطولاً، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ١٥٩/٥، ١٦٠، والنسائي في الكبرى ٤٦٠/٦ وفي المجتبى، وابن ماجه وغيرهم مطولاً أيضاً، والأحاديث في معنى هذا كثيرة مشهورة.

قوله: «يبتغي»، أي يطلب بذلك الله عزَّ وجلَّ ورضاه. والمراد بالحديث أنه لا يدخل النار إذا مات مؤهلاً للجنة بحيث ختم عليه بالإيمان، وإذا مات مع ذنوب يتحقق معها العذاب لا يخلد في النار، وأن مآله سيكون الجنة إن شاء الله تعالى، فيكون الحديث مؤولاً، أي حرم الله عليه النار ما لم يلق الله بما يوجبها.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَابِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾.

عن عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ناس من أصحابه فدرت خلفه هكذا، فعرف الذي أريد فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم على نغض كتفه مثل الجُمع حوله خيلان كأنها الثآليل، فجئت حتى استقبلته فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: ولك، قال بعض القوم: استغفر لك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ولكم ثم تلا: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية.

رواه مسلم في الفضائل رقم ٢٣٤٦، والترمذي في الشمائل في خاتم النبوة، والنسائي في الكبرى ٤٦٠/٦ وغيرهم.

وقوله: «نغض كتفه»، بفتح النون وضمها وسكون الغين المعجمة هو أعلى الكتف. وقوله: «مثل الجُمع»، بضم الجيم، وهي الكف المجموعة، وقوله: «خيلان»، بكسر الخاء، جمع خالٍ، وهي الشامة في الجسد، وقوله: «كأنها الثآليل»، جمع ثؤلول، وهي حبة تظهر في الجسد كالحصاة فما دونها.

وفي الحديث مزية لهذا الصحابي عبد الله بن سرجس، حيث أراه النبي ﷺ الخاتم وخصه بالاستغفار، وفيه تواضع النبي ﷺ وكريم أخلاقه. أما الآية الكريمة فإنها صريحة في أمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار للمؤمنين

والمؤمنات. والكلام على موضوع الاستغفار يحتاج إلى بسط فلنرجئه لمحل آخر إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت، فقال لها: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك»، قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ . . . ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٠/ ٢٠١، ٢٠٢، وفي الأدب ٥٩٨٧، وفي التوحيد ٧٥٠٢، ومسلم في البر والصلة رقم ٢٥٥٤، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٦١، وابن جرير ٣٦، ٥٦.

قوله: «قامت الرحم»، هو على ظاهره، فإن الله قادر على أن يجعل للمعاني والأعراض أجساماً فتتكلم، ولهذا أمثلة كثيرة جاءت في السنة، وقوله: «فأخذت»، هكذا بحذف المفعول، وجاء في رواية لابن السكن: «بحقو الرحمن»، وفي رواية: «بحقوي الرحمن» بالثنية، فحذفها بعضهم لإشكاله عنده ولا إشكال في ذلك، فهي إما صفة لله تعالى فتحمل على ظاهرها مع اعتقاد تنزيه الله عن الجارحة أو تحمل على التشبيه لمن يرى ذلك من الخلف، والحق هو الإزار أو معقده.

وفي الآية والحديث الوعيد الشديد لقاطع الرحم وأنه ملعون بلعنة الله تعالى، وقد وردت أحاديث في التشديد في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٢٨).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية

يَوْمًا: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ . . . ﴾ الآية، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان، ثم قال: «هذا وقومه». زاد في رواية: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله رجال من فارس».

رواه الترمذي ٣٠٤٦، والحاكم ٤٥٨/٢ بسند صحيح على شرط مسلم، ولذا صحّحه وأقرّه الذهبي وهو في الصحيحين بنحوه لكن جاء فيه حين أنزلت سورة الجمعة، وسيأتي ذلك.

قوله: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا . . . ﴾، أي إن تدبروا وتعرضوا عن طاعة الله ﴿ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾، أي يجعلهم بدلکم ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ في التولي.

وفي الآية تهديد شديد للمعرضين عن الله عزّ وجل والمدبرين عن طاعته..

أما الحديث ففيه فضل مسلمي العجم من أبناء فارس، وهو إشارة إلى ما ظهر فيهم من كثرة علماء الحديث وحملة السنة والعباد والزهاد..

وبهذا نكون قد أنهينا الكلام على سورة محمد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْفَتْحِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَكَرَ اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَزَوَّابٌ وَعَزِيزٌ

هي من السور المدنية العظيمة، نزلت مرجع النبي ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حيث صدّه المشركون عن المسجد الحرام وعقدوا معه الصلح على أن يرجع ويأتي العام القابل، فنحر هديه وحلق رأسه ورجع، فلما كان بالطريق نزلت السورة الكريمة تتحدّث عما كان من أمره وأمرهم... وهي تسع وعشرون آية. وأهدافها: التشريع الإسلامي وبيان العبادات والمعاملات والأخلاق... وقد امتازت بذكر بيعة الرضوان والفتح المبين على المسلمين.

من خصائص هذه السورة

- ١ - نزول هذه السورة تُبشّر المسلمين بالفتح... ولذلك قال النبي ﷺ: «لما أنزلت: «أنزلت عليّ سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها».
- ٢ - نعمته تعالى العظمى على نبيه ﷺ بما أعطاه وبشره به من الفتح وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإتمام نعمته عليه وهدايته الصراط المستقيم ونصره النصر العزيز، وهذا من خصائصه التي لا يشاركه

فيها غيره، ولم يأت لأحد سواه التنصيص على غفران ذنوبه ما تقدم وما تأخر منها، آيات ١ - ٣.

- ٣ - تشریفه ﷺ وتكريمه بأن جعل من بايعه كمن بايع الله، آية ١٠.
- ٤ - ذكر بيعة الرضوان وما تفضل الله به على أهلها من الرضاء ونزول السكينة، آية ١٨.
- ٥ - تصديق الله رؤيا رسوله ﷺ بالحق بدخوله مع أصحابه المسجد الحرام، آية ٢٧.
- ٦ - ختم السورة ببيان صفات الصحابة في التوراة والإنجيل، ووعدهم بالأجر العظيم، آية ٢٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾.



عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر، نَزَرَتْ رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت فقال: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾».

رواه أحمد ٣١/١، والبخاري في المغازي ٤١٧٧، وفي التفسير ٢٠٤/١٠،
٢٠٥، وفي فضائل القرآن ٥٠١٢، والترمذي ٣٠٤٧، والنسائي في الكبرى ٤٦١/٦.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ - الآية -، مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها»، فتلاها رسول الله ﷺ فقالوا: هنيئاً مريئاً رسول الله ﷺ لقد بين لك الله ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى الآية بعدها: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

رواه أحمد ٢١٥/٣، ١٢٢/٤، ١٣٤، ٢٥٢/٦، ١٧٣، ١٩٧، والبخاري في المغازي ٤١٧٢، وفي التفسير ٤٨٣٤، ومسلم في الجهاد ١٧٨٦، والترمذي ٣٠٤٨ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٤٦٢/٦، وابن حبان ٩٢/٢، ٩٣ وغيرهم.

قوله: ثكلتك، أي فقدتك أمك. وقوله: نَزَرْتُ، أي ألححت عليه إلحاحاً. وقوله: نشبت، أي لبثت.

وفي الحديثين فضل سورة الفتح وذلك لما احتوت عليه من البشارات لرسول الله ﷺ ولأصحابه الحاضرين معه، وأن الله تعالى رضي عنهم ووعدهم بدخول الجنة وتكفير ذنوبهم ويا لها من بشارة فتلك أمنية كل مؤمن.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

رواه أحمد ١١٥/٦، والبخاري في تفسير سورة الفتح ٢٠٦/١٠، ومسلم في صفات القيامة ١٦٢/١٧ وغيرهم، ونحوه عن المغيرة بن شعبة. رواه البخاري في صلاة الليل ٢٥٦/٣، وفي التفسير ٤٨٣٦، ومسلم في صفات القيامة ٢٨١٩، ١٦٢/١٧، والترمذي والنسائي وغيرهم.

وقولها: حتى تتفطر، أي تشقق. وفي رواية: «حتى تورمت»، أي انتفخت قدماه.

وهذا التكلف في العبادة منه ﷺ مع بشارة الله إياه بغفران ما تقدّم له وما تأخّر قيامًا بشكر الله عزّ وجلّ على ما أولاه وأنعم به عليه، وهذه عادة الأكابر من الأنبياء والمقربين من أتباعهم.

وعنها رضي الله تعالى عنها أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه وهي تسمع من وراء الحجاب فقال: يا رسول الله، تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم!! فقال رسول الله ﷺ: «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم»، قال: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: «والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم وأعلمكم بما أتقي».

رواه مسلم ٧/٢٢٣، ٢٢٤، وأبو داود ٢٣٨٩ كلاهما في الصيام.

وجاء نحوه عن عمر بن أبي سلمة وفيه: أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «سل هذه» لأمّ سلمة، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فقال له رسول الله ﷺ: «أما والله إنني لأتقاكم لله وأخشاكم له».

رواه مسلم في المصدر السابق ٧/٢١٩، وابن حبان ٨/٣١٠، والبيهقي ٤/٢٣٤،

في الحديثين وجوب الاقتداء به ﷺ في كل ما سنّه لأمته، وإن كل ما كان يفعله هو غاية في القربة والتعبد ولو كان رخصة، فإن العمل بالرخصة في وقتها كالعمل بالعزيمة، وفيهما أنه كان أكمل العباد وأخشاهم لله عزّ وجلّ وأعلمهم به وبما يتقي ﷺ. وما في الحديثين من قولهما: قد غفر الله لك... إلخ، قد تكرر من الصحابة ذكره له ﷺ ورده عليهم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُودٌ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كان رجل يقرأ في داره

سورة الكهف وإلى جانبه حصانٌ مربوطٌ بِشَطَطَيْنِ فتغشَّته سحابة فجعلت تدنو وتدنو حتى جعل الفرس يفرُّ منها، قال الرجل: فعجبت لذلك، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له وقص عليه، فقال النبي ﷺ: «تلك السكينة نزلت للقرآن».

رواه البخاري ٤٣٣/١٠، ومسلم ٨١/٦، ٨٢ كلاهما في فضائل القرآن.

حصان: بكسر الحاء: ذَكَرَ الخيل، أما بالفتح: فالمرأة العفيفة. بِشَطَطَيْنِ، بفتحات مع سكون الياء، وهو الحبل الطويل. فتغشَّته: أي علته. وفي الحديث أن السكينة وهي من الأعراض تجسمت في صفة سحابة، وأنها نزلت لتلاوة القرآن الكريم، وقد تنزل عند ذكر الذاكرين. والسكينة طمأنينة تكون في القلوب عند تلاوة القرآن وذكر الله عزَّ وجل وسماع المواعظ والذكرى، وهي المرادة هنا في الآية الكريمة، قال النووي: المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا يوم الحديدية ألفاً وأربعمائة فقال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض».

رواه البخاري في غزوة الحديدية ٤١٥٤، وفي التفسير ٤٨٤٠، ٢٠٩/١٠، ومسلم في بيعة الرضوان من كتاب الإمارة ١٨٥٦، والنسائي في الكبرى ٤٦٤/٦.

وعنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة».

رواه أحمد ٣/٣٥٠، وأبو داود ٤٦٥٣، والترمذي في المناقب ٣٦٢٨، والنسائي في الكبرى ٤٦٤/٦، وحسنه الترمذي وصحَّحه ونحوه عند مسلم عن أم مبشر، وتقدم في طه.

وعنه قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة، وقد بايعناه على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت.

رواه مسلم في الإمارة ١٨٥٦، والنسائي في الكبرى ٤٦٤/٦ وغيرهما، وفي الباب أحاديث في المبايعه عن ابن عمر، وسلمة بن الأكوع في البخاري، وعن عقبه بن عامر عند مسلم.

في هذه الأحاديث بيان أن أهل بيعة الرضوان لا يدخل النار أحد منهم وأنهم كانوا خير أهل الأرض وقتهم، وأنهم من المبشرين بالجنة، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنه رضي عنهم، ومن رضي الله تعالى عنه لا يسخط عليه أبداً، وأخبر تعالى فيما سلف أن من بايعه ﷺ إنما بايع الله عزّ وجل وأن يد الله فوق أيدي المبايعين. وفي حديث جابر الأول والثالث بيان عددهم وأنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، وكان من جملتهم الخلفاء الأربعة وباقي العشرة الذين يجعلهم الشيعة الروافض أئمة النواصب ويوالون عليهم اللعنات في كل المناسبات ولا يستحيون مع ذلك في انتسابهم إلى الإسلام...

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن ناساً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم عند صلاة الفجر فأخذهم رسول الله ﷺ فعفى عنهم، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ...﴾ الآية.

رواه مسلم في الجهاد ١٨٠٨، وأبو داود ٢٦٨٨، والترمذي ٣٠٤٩ في التفسير، والنسائي في الكبرى ٤٦٤/٦.

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ

بالحديدية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى . . . فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي ﷺ، فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد؟» أو «هل جعل لكم أحد أماناً؟» فقالوا: لا، فخلّى سبيلهم، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ...﴾ الآية .

رواه أحمد ٤/٨٦، ٨٧، والنسائي في الكبرى ٦/٤٦٥، والحاكم ٢/٤٦٠، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع ٦/١٤٥: رجاله - يعني أحمد - رجال الصحيح.

في الحديثين بيان سبب نزول الآية الكريمة، وفي الحديث الثاني معجزة باهرة للنبي ﷺ، حيث دعا على أولئك الشباب فأعمى الله أبصارهم حتى ألقى عليهم القبض، ثم عفا عنهم، وفي الآية امتنان من الله على الصحابة حيث أنعم عليهم فكف أيدي الكفار عنهم فلم يسلطوا عليهم، بل ظفروا بهم وأسروهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمَّ تَعْلَمُوهُمْ أَنَّ تَقْطُوهُمْ فَضَيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بغير علمٍ ليدخل الله في رحمته من يشاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

عن أبي جمعة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وتسع نسوة، وفيها نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾.

رواه الطبراني في الكبير ٢٢٠٤، وأبو يعلى ٥٦٠، قال النور في المجمع ٧/١٠٧: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

معنى الآية الكريمة: لولا وجود أناس بمكة يخفون إيمانهم لا تعلمونهم بأعيانهم كراهة أن توقعوا بهم دون علم منكم بإيمانهم فينالكم

بقتلهم إثم وعيب لأذن لكم بقتال الكفار ولما كف أيديكم عنهم .

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝﴾ .

عن المسور بن مخزومة رضي الله تعالى عنه ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمره، وبعث عيناً من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادؤوك ومانعوك، فقال ﷺ: «أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟»، وفي لفظ: «ترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم، فإن يأتونا كان الله قد قطع عنقاً من المشركين، وإلا تركناهم محزونين»، وفي لفظ: «فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين، وإن نجوا يكن عنقاً قطعها الله عز وجل، أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قتلناه؟»، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حرباً، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. وفي لفظ: فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: «فروحو إذن»، وفي لفظ: «فامضوا على اسم الله تعالى»، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً للقريش .

وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به

راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسألوني حُطَّةَ يعظمون فيها حرمان الله تعالى إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها، فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ قليل الماء يتبرّضه الناس تبرُّضاً، فلم يلبث الناس حتى نزحوه، وشكّوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع ﷺ من كنانته سهماً ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالريِّ حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا عند مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره». قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدّثهم بما قال رسول الله ﷺ.

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم؟ ألسن بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولستم بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال:

ألستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ فلما بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتة، قالوا: آتته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ له نحوًا من قوله لبديل بن ورقاء، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرايت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تك الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يدك عندي لم أجرك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته ﷺ والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه وقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، قال: أي غدر، ألسنتُ أسعى في غدرك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلّا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّثون النظر إليه تعظيمًا له ﷺ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخمت نخامة إلّا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره،

وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون النظر إليه تعظيماً له، وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: آته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، قال النبي ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له»، فبعثت له، واستقبله الناس يلبنون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت .

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: آته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز وهو رجل فاجر». فجعل يكلم النبي ﷺ .

فبينما هو يكلم النبي ﷺ إذ جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم...» فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا النبي ﷺ بعلي رضي الله تعالى عنه وقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم». ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، قال الزهري: وذلك لقوله والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله تعالى إلا أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدّث العرب أنا أخذنا

ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا، فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يَرْسُفُ في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لا أصلحك على شيء أبدًا، فقال للنبي ﷺ: فأجزه لي، قال: «ما أنا بمجيز ذلك لك»، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أَرَدُ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُدِّبَ عذابًا شديدًا في الله عزَّ وجل.

قال عمر رضي الله تعالى عنه: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقًا؟ قال ﷺ: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال ﷺ: بلى، قلت: فلم نعطي الدينية في ديننا إذا؟ قال ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أولست كنتَ تحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال ﷺ: «بلى، فأخبرتكَ أنا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال ﷺ: «فإنك آتية ومطوف به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدينية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أوليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، قال: فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به. قال عمر رضي الله تعالى عنه: فعملت لذلك أعمالاً.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ﷺ ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل ﷺ على أم سلمة رضي الله تعالى عنها فذكر لها ما لقي من الناس، قالت له أم سلمة رضي الله تعالى عنها: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رآوا ذلك قاموا فانحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَلْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]. فطلق عمر رضي الله تعالى عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستلته الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا رسول الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم

نجاني الله تعالى منهم، فقال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال: وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم وأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ حتى بلغ ﴿حِمَى الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه رسول الله ﷺ، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

رواه البخاري في الشروط مطولاً ٢٥٧/٦، ٢٨٠، ورواه في المغازي مختصراً ٤٥٠/٨، ٤٥٩، ٤٦٠، تفرّد بإيراده هكذا البخاري، ورواه أحمد ٣٢٨/٤، ٣٣١، ٣٣٢، وأبو داود ٢٧٦٥، ٤٦٥٥، وابن حبان ٢١٦/١١، ٢٢٦، والبيهقي ٢١٥/٥، ١٧٠/٧، ٢٢١/٩ وغيرهم، بعضهم مطولاً وبعضهم مختصراً.

شرح غريب حديث المسور

قوله: قلد الهدى وأشعره، تقليد الهدى، وضع شيء في عنقه كحبل ونحوه، والإشعار هو جرحه في جانب منه حتى يسيل الدم ليكون ذلك علامة تعرف بها أنها هدي للحرم. وقوله: عينًا، أي رجلاً يتجسس له أخبار الكفار. وقوله: الأحابيش، جمع أحبوش بضمين مع سكون الحاء، وهم قبائل من العرب كانوا تحالفوا مع قريش وسموا بذلك لتجمعهم فإن الحباشة الجماعة. وقوله: يركض، أي يضرب الفرس عدواً. وقوله: خلأت القصواء، أي حرنت. وقولهم: حل حل، بفتح الحاء، يقال ذلك للناقة إذا

وقفت ولم تسر. قوله: حبسها حابس الفيل، أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها. وقوله: خطة، بضم الخاء المعجمة، أي خصلة. وقوله: ثم دبفتحتين، أي حفيرة فيها ماء مثمود، أي قليل. وقوله: يتبرضه، أي يأخذونه قليلاً قليلاً. وقوله: يجيش، بفتح الياء وكسر الجيم، أي يفور. وقوله: العوذ، بضم المهملة، جمع عائد، وهي الناقة ذات اللبن. وقوله: المطافيل، هي الأمهات التي معها أطفالها، والمراد أنهم أتوا بنوقهم ذوات الألبان والأولاد، وبنسائهم وأطفالهم؛ لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. وقوله: فقد جئوا، أي: استراحوا، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم.

وقوله: حتى تنفرد سالفتي، السالفة هي صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل، أي حتى أقتل، وقيل غير ذلك. وقوله: استنفرت، أي طلب منهم النفر للقتال. وقوله: فلما بلّحوا، بفتح الباء وتشديد اللام، أي امتنعوا. وقوله: اجتاح، أي أهلك أصله بالكلية. وقوله: أشوابًا، أي أخلاطًا. وقوله: خليقًا، أي حقيقًا. وقوله: اممص بظر اللات، اممص بألف وصل وصادان مهملتان الأولى مفتوحة، أمر من المص وهو الرضاعة. والبَظْر بفتح الباء وسكون الظاء المعجمة هي قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات اسم أحد الأصنام التي كانت تعبدها قريش وثقيف. وأراد أبو بكر بهذا سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، كأنه قال له ارضع قطعة فرج صنمك اللات.

وقوله: أي غُدْر، بضم الغين المعجمة وفتح الدال، هو معدول عن غادر مبالغة في الغدر. وقوله: جعل يرمق، بفتح الياء وضم الميم، أي يلحظ. وقوله: وما يُحدُّون، بضم الياء، أي لا ينظرون إليه متأملين، بل يغضون أبصارهم احترامًا له. وقوله: رجل فاجر؛ لأنه كان غدارًا. وقوله:

ضُغْطَةً، بضم الضاد وسكون الغين المعجمتين ثم طاء، أي قهراً. وقوله: يرسف، أي يمشي مشياً بطيئاً بسبب قيده. وقوله: فلم نعطي الدنية، أي الخصلة المذمومة الخسيسة. وقوله: فاستمسك بغرزه، بفتح الغين، وهو للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد بذلك التمسك بأمره ﷺ وترك مخالفته كالذي يركب الفرس فلا يفارقه. وقوله: حتى برد، بفتح الباء والراء، أي حتى خمدت حواسه، وهو كناية عن الموت. وقوله: ذعراً، أي خوفاً.

وقوله: ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠]، يقتضي أن ذلك وقع في الحديبية، وليس كذلك، بل جئنه بالمدينة داخل مدة الصلح، وسيأتي الكلام على الآية في سورة المتحنة إن شاء الله تعالى.

هذا حديث عظيم فيه فوائد وأحكام وحكم يستحق أن يفرد بالشرح لما فيه من الأحكام الظاهرة والمستنبطة الكثيرة، فلترجع بعضها في كتاب الشروط من فتح الباري. والشاهد منه ومما ذكر معه مما يتعلق بالآية هو مصالحة كفار قريش للمسلمين على أن يرجعوا عامهم ويأتوا العام المقبل معتمرين وبذلك صدق الله رسوله الرؤيا التي رآها وحملته على الخروج حتى وقع ما وقع، وهذه الرؤيا هي أصل لهذه القصة كلها بل ولنزل سورة الفتح بتمامها، فالسورة الكريمة ما نزلت إلاً للتحديث عن عمرة الحديبية وعمرة القضاء التي انتهت بتصديق الرؤيا وكان في ذلك فتحاً عظيماً.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية... الحديث.

رواه البخاري في المغازي ٤٤٥/٨، ومسلم.

وقد فسروا قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾،

بصلح الحديبية، لما ترتب عليه من العواقب الحميدة والآثار الجليلة والنصر المبين، انتهى بفتح مكة المكرمة، ولم يكن بين صلح الحديبية والفتح الأعظم إلا سنة وأشهر.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن رسول الله ﷺ خرج معتمرًا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحًا عليهم إلا سيوفًا، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر ﷺ من العام المقبل فدخلها كما كان صالحيهم، فلما أن أقام بها ثلاثًا أمره أن يخرج فخرج.

رواه البخاري في عمرة القضاء ٤٩/٩، ومسلم.

وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نفر بهذا، ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، قال ﷺ: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله»، ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «أمحُ رسول الله»، قال رضي الله تعالى عنه: لا والله لا أمحوك أبدًا، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فقال رسول الله ﷺ: «أرني مكانه حتى أمحوه»، فمحاها وكتب مكان رسول الله محمدًا، فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيف في القُرب، ولا يخرج منها بأحد يتبعه، ولا يمنع أحدًا من أصحابه إن أراد أن يقيم بها»، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليًا فقالوا: قل لصاحبك فليخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله ﷺ فتبعتهم بنت حمزة رضي الله تعالى عنهما تنادي يا عم يا عم، فتناولها علي رضوان الله عليه فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك

ابنة عمك فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد ابنة أخي، ففضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخاله بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

رواه أحمد ٢٩٨/٤، والبخاري في الحج ١٨٤٤، وفي الصلح ٢٦٩٩، وفي المغازي ٤٢٥١، ومسلم في صلح الحديبية ١٢/١٣٦، ١٣٧ مختصراً.

قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

٢٧

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارحم المحلِّقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: «اللَّهُمَّ ارحم المحلِّقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، وقال في الرابعة: و«المقصرين».

رواه أحمد ١٧٩/٢، والبخاري ٣٠٩/٥، ومسلم ٤٩/٩ كلاهما في الحج. وفي رواية عنه عند البخاري ٣١١/٥، حلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه وقصّر بعضهم.

في الحديث بيان أن الحلق أفضل من التقصير عقب الحج أو العمرة عند التحلل علماً بأن الكل سنة، والآية الكريمة تشير إلى أفضلية الحلق، حيث قدمه تعالى على التقصير وفي الأمر سعة والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

٢٨

تقدّم ما يتعلّق بالآية في سورة التوبة، آية رقم ٣٣.

قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم فقالوا: إنهم لا يقرأون كتاباً إلاً مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة كأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه «محمد رسول الله» ﷺ .

رواه البخاري في العلم رقم ٦٥، وفي الجهاد ٢٩٣٨، وفي اللباس ٥٨٧٥، والنسائي في الكبرى ٤٦٥/٦ .

في الحديث مشروعية ختم الكتب بالخاتم، وفيه جواز نقش اسم الشخص على خاتمه ليختم به وخاصةً إذا كان من ذوي السلطة والأمر، وهذا الخاتم النبوي هو الذي كان يتداوله الخلفاء الثلاثة الراشدون حتى سقط في بئر أريس بقاء أيام خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، فنزحوا الماء فلم يعثروا عليه .

وبهذا تمّ الكلام على سورة الفتح، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين .

* * *

﴿سُورَةُ الْحَجْرَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَسَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجِبَهُ وَزَوَّجَهُ وَعَزَبَهُ

السورة الكريمة من المدنيات أيضًا، وهي تُعنى بالأخلاق والتربية الإسلامية، وتطهير المجتمع المسلم من أدران الفواحش والذنوب الاجتماعية، وهي مع وجازتها وقلة آياتها، جمعت من الفضائل والأخلاق والمكارم ما لم تجمعه سورة سواها، حتى أطلق عليها بعض العلماء «سورة الأخلاق»، وهي ثمان عشرة آية.

من خصائص هذه السورة

- ١ - امتازت بذكر أربع آيات مبتدأة بوصف الإيمان: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهي آيات ١، ٢، ٦، ١٢.
- ٢ - ذكر سلوك الأدب مع نبي الإسلام بعدم التقدم بين يديه في أي شيء وعدم رفع الصوت فوق صوته، وخفضه عند مخاطبته ﷺ، آية ١.
- ٣ - بيان بعض أخلاق أهل الجهل والسفاهة والجفاء وسوء أدبهم مع مقام الحضرة النبوية، آية ٤.

- ٤ - وجوب الثبوت عند نقل الأخبار وأنه لا يقبل في ذلك قول الفاسق، وهي قاعدة من قواعد الدين التي تتركز عليها الرواية والشهادة، آية ٦ .
- ٥ - بيان منة الله تعالى على المؤمنين حيث حُب إليهم الإيمان وزينته في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، آيتان ٧، ٨ .
- ٦ - وجوب الإصلاح بين المسلمين المتقاتلين، آية ٩ .
- ٧ - قتال الفئة الباغية إذا أصرت على عدم الصلح والرجوع إلى الحق، آية ٩ .
- ٨ - بيان الأخوة الإسلامية، وأن كل المؤمنين إخوة لبعضهم، آية ١٠ .
- ٩ - النهي عن السخرية والاستهزاء بالآخرين، آية ١١ .
- ١٠ - النهي عن التنازع بالألقاب وأنه فسوق، آية ١١ .
- ١١ - اجتناب ظن السوء بالمسلمين، آية ١٢ .
- ١٢ - النهي عن التجسس وتتبع العورات، آية ١٢ .
- ١٣ - النهي عن الغيبة والطعن في الأعراس، آية ١٢ .
- ١٤ - بيان أن الناس كلهم من أصل واحد لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى، آية ١٣ .
- ١٥ - التنصيص على التفرقة بين الإيمان والإسلام، آية ١٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: «أمر الققعاع بن معبد، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ حتى انقضت الآية، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

رواه أحمد ٤/٤، ٦، والبخاري في المغازي ٤٣٦٧، وفي التفسير ٤٨٤٧، ١٠/٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، وفي الاعتصام ٧٢٠٢، والترمذي في التفسير ٣٠٥١، والنسائي في الكبرى ٦/٤٦٩، ومن المجتبى رقم ٥٣٨٦.

كان سبب نزول الآيات هم بنو تميم حين قدموا على رسول الله ﷺ، فأوائل الآيات نزلت لمُماراة الشيخين رضي الله تعالى عنهما بين يدي رسول الله ﷺ، والكلام على غض الصوت جاء في شأن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، ولهذا قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه، وذلك لغض صوته وتأدبه بعد نزول الآية.

وقوله ابن الزبير هذه رواها البخاري في التفسير.

أما المناداة من وراء الحجرات فجاءت في شأن بني تميم، وهم الذين نادوا رسول الله ﷺ وهو قائلٌ وسط النهار فجعلوا ينادونه: يا محمد أخرج إلينا أين أنت...

وعن البراء رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ

وَرَاءَ الْحُجُرَاتِ . . . ﴿ الآية، قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال النبي ﷺ: «ذاك الله عز وجل».

رواه الترمذي ٣٠٥٢، والنسائي في الكبرى ٤٦٦/٦، وابن جرير ١٢١/٢٦، وسنده صحيح؛ رجاله رجال مسلم، ولا يضر السبيعي هنا؛ فإن للحديث شاهداً عن الأقرع بن حابس، وهو الذي نادى رسول الله ﷺ وقال له هذه الكلمات، وحديثه عند أحمد ٤٨٨/٣، و ٣٩٣/٦، و ٣٩٤، والطبراني في الكبير ٨٧٨ وسنده صحيح.

الحجرات جمع حجرة، وهي هنا بيوت زوجات النبي ﷺ.

وقوله: حمدي . . . الخ، يعني أن من مدحته فهو المحمود، ومن ذمته فهو المعيب المشين. والشين بفتح الشين هو العيب خلاف الزين. ولما قال هذه الكلمات وكان مخطئاً في ذلك رد عليه النبي ﷺ وعرفه بأن المتصف بذلك في الحقيقة هو الله عز وجل.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»، وفي رواية: قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة وكان ذلك الانكشاف لبس ثيابه وتحنط وتقدم فقاتل حتى قتل.

رواه أحمد ١٤٦/٣، و ٢٨٧، والبخاري في المناقب رقم ٣٦١٣، وفي الجهاد

٢٨٤٥، ومسلم في الإيمان باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله رقم ١٨٧، وابن حبان
١٢٨/١٦، ١٣٠، وأبو يعلى ٣٤٢٧.

وفي الحديث فضل هذا الصحابي ثابت بن قيس وأنه من شدة خوفه
من غضب الله عليه... احتبس في بيته كئيباً حزيناً حتى بشره النبي ﷺ
بالجنة، وكان آخر أمره أن قتل شهيداً في وقعة اليمامة، ولذلك جاء في
حديث رواه الحاكم ٢٣٤/٣، أن النبي ﷺ قال له: «أما ترضى أن تعيش
حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة»، وصححه الحاكم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

عن الحارث بن ضرار الخزاعي والد جويرية أم المؤمنين رضي الله
تعالى عنهما قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلتُ
فيه وأقرتُ به، فدعاني إلى الزكاة فأقرت بها، قلت: يا رسول الله، أرجع
إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعتُ
زكاته فيرسل إليَّ رسول الله ﷺ رسولاً لإبَّان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من
الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبَّان الذي أراد
رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأتَه فظنَّ الحارث أنه قد
حدث فيه سخطة من الله عزَّ وجل ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن
رسول الله ﷺ كان وقتاً لي وقتاً يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من
الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة
كانت فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده
مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرَّق، فرجع
فأتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة، وأراد

قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله، قال: والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتة، ولا أتاني.

فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله ﷺ خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بِنَاءٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّآ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

رواه أحمد ٤/٢٧٩، وابن أبي حاتم ١٠/٣٣٠٣، قال النور في المجمع: ورجاله ثقات، وجوذه السيوطي في الدر المنثور ووردت القصة من طرق. انظر: الدر ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، وابن جرير ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥.

لا خلاف بين المفسرين أن الآية نزلت بسبب الوليد بن عقبة وهو ابن أبي معيط مات والده كافرًا وأسلم الوليد يوم الفتح، وولاه سيدنا عثمان الكوفة وكان شرابًا للخمر، وصلّى بالناس مرة الصبح أربع ركعات وقال لهم: أزيدكم، فرفع أمره إلى سيدنا عثمان وكان أخاه لأمه فأمر بحده وعزله، ثم سكن بعد البرقة، قال ابن عبد البر: خبره في صلته بالناس الصبح أربعاً... مشهور من رواية الثقات.. وقصة حده وجلده في صحيح البخاري.

والآية الكريمة أصل أصيل، وقاعدة عظيمة من قواعد الدين، وهو وجوب التثبت في نقل الأخبار، ورواية الأحاديث النبوية . . وأداء الشهادة . . وأن الفاسق لا تقبل روايته ولا شهادته كما لا يعمل بخبره مطلقاً، بل لا بد من العدالة وهي معروفة .

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَمَنِعْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ .

عن أبي نضرة رحمه الله تعالى قال: قرأ أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ . . .﴾ الآية، قال: هذا نبيكم ﷺ يوحي إليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا فكيف بكم اليوم .

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٥٤ وحسنه وصححه، وهو من أفرادها عن الستة .

العنت: بفتحات، أصله التعب، والمراد به هنا الحرج أو مطلق المشقة .

ومعنى الآية الكريمة أن رسول الله لو أطاع الناس في أكثر ما يقترحون عليه أو يحبون لحصل لهم تعب عظيم، وحرج شديد كبير .

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني، والله

لقد آذاني تننُ حمارك، فقال رجلٌ من الأنصار منهم، والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه، قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضربٌ بالجريد والتعال والأيدي، فبلغنا أنها نزلت: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾ الآية.

رواه البخاري في الصلح رقم ٢٦٩١، ومسلم في السير والجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ١٥٩/١٢.

في الحديث أن الآية نزلت بسبب ما وقع بين الأوس والخزرج في هذه الواقعة، ولم يذكر البخاري هذا الحديث في التفسير، فذكره في الصلح، وذكر حديث أسامة بدله وقد قدمناه آخر سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَلْتَسْمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ آوُوا أَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْمًا﴾ [آل عمران: ٨٦]، وذكر هنالك بأطول من ههنا، وسنورده هنا.

وفيه أن المسلم الكامل الملتزم قد تحمله الحمية والهوى والعصبية على الخصام والخروج عن الجادة وأنه ليس بمعصوم. وفيه غشيان مجالس الأخلاط والأندية للدعوة إلى الله عز وجل، وفيه مشروعية الصلح بين المتضاربين والمتقاتلين، وفيه حلمُ النبي ﷺ وعفوه عن ذلك المنافق وإعراضه عن سفاهته.

وقد جاءت قصة أخرى مع هذا اللعين شبيهة بهذه، ففي التفسير من صحيح البخاري ٢٩٨/٩، ٣٠٠، والجهاد والسير من صحيح مسلم ١٩٧/١٢، ١٩٨، ١٩٩ من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ ركب حمارًا عليه إكافٌ تحته قطيفة فذكية وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فيهم

عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمّر عبد الله ابن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغبرّوا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله ابن أبي: أيّها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقًا فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإننا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتوائبوا فلم يزل النبي ﷺ يخفضّهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حُباب — يريد عبد الله ابن أبي — قال: كذا وكذا، قال: اعفُ عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البُحيرة أن يُتوّجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شوق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه النبي ﷺ.

فهذه قصة أخرى غير الأولى وهي أبسط وفيها عفوه ﷺ عن هذا المنافق.

وعن أبي بكره رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يومًا ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: «إنّ ابني هذا سيدٌ، ولعلّ الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

رواه أحمد ٣٨/٥، ٤٤، ٤٩، والبخاري في الصلح ٢٧٠٤، وفي المناقب ٣٦٢٩، ٣٧٤٦، وفي الفتن ٧١٠٩، وأبو داود في السنّة ٤٦٦٢، والنسائي في الجمعة والترمذي في المناقب رقم ٣٥٤٥ تهذيبي وغيرهم.

السيد هو من فاق أهل زمانه في خصال الخير، وقد يطلق على غيره مجازًا.

وهذا الحديث الشريف من أعلام نبوته ﷺ ومعجزاته، حيث أخبر عن سيّدنا الحسن عليه السّلام وهو لا يزال طفلاً صغيراً بأن الله عزّ وجل سيُصلح به بين المسلمين، فحقق الله ذلك بمصالحته مع معاوية فحُققت بذلك دماء المسلمين التي كانت على وشك الإراقة، فرضي الله تعالى عنه وعنا معه آمين.

والآية الكريمة تأمر المسلمين بالإصلاح بين المتقاتلين من أهل الإسلام، فإن أبت فرقة منهما عن المصالحة وأصرّت على القتال وجب على المسلمين قتالها حتى ترجع إلى حكم الله عزّ وجل.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَطُوا لِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ الْمَقْسِطِينَ﴾.

عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولّوا».

رواه أحمد ١٦٠/٢، والحميدي ٥٨٨، ومسلم في الإمارة ٢١١/١٢، والنسائي في آداب القضاء ١٩٥/٨، وفي الكبرى ٤٦٠/٢.

المقسطون: أهل العدل في الحكم، من أقسط، أما القاسطون: فهم الجائرون، من قسط. وفي الحديث فضل أهل العدل والقسط بين الرعايا ومن يلون أمورهم، فيدخل في ذلك الإمارة العظمى، والقضاء، والحسبة، والنظارة... وما إلى ذلك، فمن كان عادلاً من هؤلاء كان له هذا الفضل العظيم المذكور في الحديث.

أما قوله: عن يمين الرحمن... إلخ، فهذا من أحاديث الصفات تؤمن به ولا تؤوله ولا نعرف معناه، وظاهره غير مراد لأن الجارحة مستحيلة في حق الله عزّ وجل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو

المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

رواه أحمد ١٢/٩١، والبخاري في المظالم ٢٤٤٢، وفي الإكراه ٦٩٥١، ومسلم في البر والصلة ٢٥٨٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٩٣، والترمذي في الحدود ١٢٩٦ بتهذيبي وغيرهم .

في باب الأخوة الإسلامية أحاديث كثيرة جاءت في الصحاح والسنن وغيرها وكلها تفيد أن المسلمين إخوة تجمعهم كلمة الإخلاص والتكاليف الشرعية والأخوة تقتضي البرور والإحسان والأخذ باليد والمساعدة وغير ذلك من الإيجابيات، كما تقتضي رفع الأذى وكل أنواع الإساءة عن كل المسلمين، وهذا الجانب للأسف قد ضيعه أكثر المسلمين وفرطوا فيه ولم يعودوا يهتمون به، فكلُّ منطوٍ على نفسه والنظر إلى مصالحه، حتى أولئك الثرثارون والقائمون بالنيابة عن إخوانهم يغشونهم ويهضمون حقوقهم ولا يباليون بمصالحهم العامة والخاصة، وإنما الذي يهمهم هي مصالحهم الشخصية . . .

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ .



عن أبي جيرة بن الضحاك رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجلُ منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها فعسى أن يكره، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ . . . الآية، وفي رواية: وليس أحد منا إلّا له لقب أو لقبان، قال: فكان إذا دعي بلقبه قلنا: يا رسول الله، إن هذا يكره هذا .

رواه أحمد ٤/٦٩، و٥/٣٨٠، وأبو داود ٤٩٦٢، والترمذي ٣٠٥٣، والنسائي في الكبرى ٦/٤٦٦، وكذا البخاري في الأدب المفرد ٣٣٠، وابن حبان ١٧٦١ بالموارد، والحاكم ٢/٤٦٣، و٤/٢٨١، و٢٨٢، وحسنه الترمذي وصحّحه، وكذا صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي .

التنازب بالألقاب: التناذي بالأسماء المكروهة للإنسان، وذلك محرم بنص الآية الكريمة وأنه فسوق، فمعنى الآية: لا يدعو وينادي بعضهم بعضاً بلقب يبغضه ولا يحبه، وهو مأخوذ من النبز، بسكون الباء، من نزهه إذا لقبه بما فيه ذم.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّبُوا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّبُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

رواه أحمد ٢/٢٤٥، ٣١٢، ٣٤٢، ٤٨٢، وفي مواضع، والبخاري في الأدب ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، وفي الفرائض ٦٧٢٤، ومسلم ٢٥٦٣، وأبو داود في الأدب ٤٩١٧ وغيرهم.

سوء الظن بالمسلم حرام لغير ريبة، وقد سماه النبي ﷺ أَكْذَبَ الْحَدِيثِ، وهكذا التجسس عليه والبحث عن أحواله بقصد الشر والإيقاع به والوشي به إلى ذوي السلطة فإنه محرم أشد التحريم. وفي الحديث الإرشاد إلى التخلي عما يؤدي إلى العداوة والمهاجرة بين المسلمين من الخصال الساقطة والأخلاق السافلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذَكَرْتُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قال: «أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته».

رواه أحمد ٢/٣٨٤، ٣٨٦، ٤٥٨، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٤٢، رقم

٢٥٨٩، والترمذي فيه أيضًا رقم ١٧٨٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٧٤، والنسائي في الكبرى ٤٦٧/٦ وغيرهم.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا تعني قصيرة، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته».

رواه الترمذي آخر صفة القيامة رقم ٢٣٢٤، وأبو داود في الأدب ٤٨٧٥، وسنده صحيح على شرط الصحيح، وجاء في رواية عنه ﷺ: «ما أحب أني حكيت أحدًا وإن لي كذا وكذا»، وفي رواية: حكيت للنبي ﷺ رجلاً فقال: «ما يسرني أني حكيت رجلاً وإن لي كذا وكذا».. وحسنه الترمذي وصححه.

قوله: بهته، بفتح الهاء مخففة، أي قلت فيه البهتان والباطل وما لا أصل له. والغيبة: بكسر الغين، بينها الحديث، وهي ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، وهي محرمة بالإجماع، فلا يجوز ذكر أي شخص مسلم ذكرًا كان أم أنثى بما يكرهه لو كان حاضرًا، سواء كان متعلقًا به أو بزوجه أو ولده أو والديه أو ماله أو داره... وقد جاءت في ذلك آثار نبوية وزواجر شديدة.

وإذا كانت مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها و صفت السيدة صفية رضي الله تعالى عنها بكونها قصيرة القامة، وأخبرها ﷺ بأن تلك الكلمة لو خلطت بماء البحر لكدرته وأفسدته، فكيف بمن يسلق بلسانه الأعراس ويأكل لحوم الناس بالطعن واللمز والقذف والبهتان، حفظنا الله تعالى من هذا الخلق المقيت الخطير.

نعم، استثنى العلماء إباحة الغيبة لأسباب: كشكاية المظلوم لذوي السلطة، والاستفتاء مثلاً من الظلم، وتحذير المسلمين من الشر كجرح الرواة والشهود والمصنفين، والنصيحة عند المشورة، ومن يتجاهر بفسقه أو بدعته فيجوز ذكره بما يتجاهر به، وغير ذلك مما ذكره العلماء رحمهم الله.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ .

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها، فالناس رجلان: رجل برّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هيّن على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من التراب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ...﴾ الآية .

رواه أحمد ٥٢٤/٢، والترمذي ٣٠٥٥، وابن أبي حاتم ٣٣٠٦. والحديث صحيح لطرقة وشواهد عند الطيالسي ٢١٧٣، وابن حبان ١٩٤٣، بالموارد وسنده صحيح .

عن ابن عباس ولفظه: «لا تفخروا بأبائكم في الجاهلية، فوالذي نفس محمد بيده لما يُدْهَدُهُ الْجُعَلُ بمنخرية خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية» .
وعن أبي هريرة ولفظه: «لِئْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهَدُهُ الْخُرَاءُ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤَمِّنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، كُلُّهُمْ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ خَلَقَ مِنَ التُّرَابِ» .

رواه أبو داود في الأدب ٥١١٥، والترمذي آخر حديث في جامعه ٣٧١٦ بتهذيبي، وسنده صحيح عند أبي داود وحسن عند الترمذي .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضلته بتقوى الله» .

رواه أحمد ١٥٨/٥، وسنده حسن. وتقدم حديث أبي هريرة: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم»، وهو في الصحيح، وانظر ما سبق في سورة يوسف .

قوله: عُبْيَةٌ: بضم العين المهملة وكسر الباء الموحدة المشددة ثم تحتية مفتوحة مشددة، هي النخوة والكبر. وقوله: الْجُعَلُ بضم الجيم وفتح

العين، ويقال: الجعلان، هو الدويبة السوداء كالخنفساء تأكل البعر. وقوله: يُدهده، بضم التاء وفتح الدال الأولى وكسر الثانية بينهما هاء ساكنة، أي يُدخِرُجُهُ.

وما ذكر من الأحاديث موافقة للآية الكريمة ومبيّنة لها، وأنه لا عبرة بالأشخاص ولا بالأموال. . وإنما العبرة بالإيمان والتقوى والدين لا غير، وما عدا ذلك فالناس كلهم سواء لا فضل لهذا على ذلك.

وعن سمرة عن النبي ﷺ قال: «الحسبُ المال، والكرمُ التقوى».

رواه أحمد ١٠/٥، والترمذي ٣٠٥٦، وابن ماجه ٤٢١٩، والحاكم ١٦٣/٢، و٣٢٥/٤، وسنده صحيح وحسنه الترمذي وصحّحه.

الحديث مبين للكرم في الآيه وأنه تقوى الله عزّ وجل، وأن الحسب عند أهل الدنيا هو المال، فمن لا مال له ولا ثروة فلا حسب له عندهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله أعطيتَ فلانًا وفلانًا ومنعتَ فلانًا وهو مؤمن، قال: «أو مسلم»، قالها مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول: «أو مسلم».

رواه أحمد ١٨٢/١، والبخاري في الإيمان رقم ٢٧، وفي الزكاة ١٤٤٨، ومسلم في الإيمان ٢٣٦، ٢٣٧، من طرق وأبو داود، ٤٦٨٣، ٤٦٨٥، والنسائي في الكبرى ٤٦٧/٦، وفي الإيمان من المجتبى مطولاً ومختصراً.

ظاهر الآيه والحديث التفرقة بين الإيمان والإسلام، وأن الإنسان قد يكون ظاهر الإسلام ولكن قلبه لا يزال لم يرسخ فيه الإيمان. وللعلماء

خلاف بين المعنيين فقليل إن الإيمان أخص من الإسلام، وقيل: هما سواء ولكل دليل يعتمد عليه.

قوله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فتكلموا فقالوا: قاتلتك مضر ولسنا بأقلهم عدداً ولا أكلهم شوكة؛ وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: «تكلموا» هكذا قالوا: لا، قال: «إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم...»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى ٤٦٧/٦، والحديث وإن كان في سنده ضعف فإنه ينجر بشاهد له عن عبد الله بن أبي أوفى. رواه الطبراني في الأوسط، قال في المجمع ١١٢/٧ فيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة ولكنه مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن جرير ١٤٥/٢٦، عن سعيد بن جبيرة مرسلًا بسند صحيح. فالحديث لذلك صحيح.

قوله: أكلهم شوكة، الكلُّ بفتح الكاف، قفا السيف والسكين الذي لا يقطع وليس بحاد، ومعناه: لسننا بأضعفهم أو أقلهم أذى، إذا أردنا ذلك.

وفيما قالوه افتخار منهم وامتنان على النبي ﷺ حيث أسلموا اختياراً طائعين ولم يقاتلوه كما قاتلته قبائل مُضَرَ، فرد الله تعالى عليهم ما امتنوا به وبين لهم أن المنَّة لله عزَّ وجل، حيث وفقهم وهداهم للإيمان.

وبهذا تمت سورة الحجرات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْقَاتِحَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَهَلَّلَى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَالْأَهْلِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَحِزْبِهِ

آياتها خمس وأربعون، وهي أول سورة من حزب المفصل، فإن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يحزبون القرآن سبعة أحزاب: الأول: فيه ثلاث سور: البقرة، وآل عمران، والنساء. الثاني: فيه خمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة. الثالث: فيه سبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل. الرابع: فيه تسع: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والتور، والفرقان. الخامس: فيه إحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

السادس: فيه ثلاث عشرة: الصافات، ص، والزمر، وغافر، والسجدة، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات.

السابع: من سورة ق إلى آخر القرآن، وهي خمس وستون سورة من السور المفصل وفيها الطوال، والوسطى، والقصار.

وقد جاء بهذا حديثٌ رواه أحمد ٣٤٣/٤، وأبو داود في أبواب التطوع رقم ١٣٨٨، وابن ماجه في الصلاة رقم ١٣٤٥، وحسنه ابن كثير.

عن أوس بن حذيفة قال: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من ق حتى تختم.

وهذه السورة الكريمة طابعاها الغالب عليها هو إقامة الحجة على البعث والنشور والمعاد والحساب، والجنة والنار، والترغيب والترهيب إضافة إلى الكلام على الوحدانية والرسالة. . . ولذلك كان ﷺ يقرؤها في المجامع العامة كالجمع لاشتمالها على كل ما ذكرنا.

فعن أم هشام بنت حارثة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد كان تُثورنا وتُثور رسول الله ﷺ واحداً سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذتُ ﴿ق﴾ والقرءان المَجِيد ﴿١﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

رواه مسلم في الجمعة ١٦٠/٦، ١٦٢، وأبو داود ١١٠٠، ١١٠٢، ١١٠٣، والنسائي في الكبرى ٤٦٨/٦، وفي الجمعة من المجتبى.

وعن زيد بن علاقة عن عمه قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ الصبحَ فقرأ في إحدى الركعتين: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، قال شعبة: فلقيته في السوق في الزحام فقال: «ق».

رواه مسلم رقم ٤٥٧، والترمذي كلاهما في الصلاة، والنسائي في الكبرى
٤٦٨/٦، وفي المجتبى وابن ماجه ٨١٦.

التنور بفتح التاء وضم النون المشددين هو الفرن والمخبز.

من خصائص هذه السورة

- ١ — إن الله عزَّ وجل يعلم ما توسوس به النفوس وما يجول في الخواطر،
آية ١٦ .
- ٢ — إنه تعالى أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد — وهو عرق كبير في
العنق متصل بالقلب — والآية من آيات الصفات، فالأولى عدم تأويلها
مع تنزيه الله عزَّ وجل عن الحلول في الأماكن أو الذوات، آية ١٦ .
- ٣ — ذكر الكَاتِبَيْنِ المَكْلَفَيْنِ بالإنسان أحدهما عن اليمين والآخر عن
الشمال، آية ١٧ .
- ٤ — ذكر سكرة الموت التي كان يحيد عنها الإنسان، آية ١٩ .
- ٥ — تكلم جهنم يوم القيامة فتقول: هل من مزيد، آية ٣٠ .
- ٦ — لم يصبه تعالى لغوب ولا تعب ولا إعياء عندما خلق هذه الكائنات
العلوية والسفلية وما فيها من عجائب المخلوقات، آية ٣٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ فَفَسَّرَهُ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ

الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ
تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسَّوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهَ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهَ أَوْ تَتَكَلَّمْ» .

رواه أحمد ٢/٢٥٥، ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٨١، والبخاري في العتق ٢٥٢٨، وفي النكاح
٥٢٦٩، وفي الإيمان والنذور ٦٦٦٤، ومسلم في الإيمان ٣/١٤٦، ١٤٧، وأبو داود

٢٢٠٩، والترمذي في الطلاق رقم ١٠٦٤ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٣/٣٦٠، وابن ماجه ٢٠٤٠.

في الحديث فضل الله على عباده ولطفه بهم حيث إنه لا يؤاخذهم بالسواوس النفسانية وما يخطر في البواطن من الحديث ما دام الإنسان لم يتكلم بذلك بلسانه ولم يعمل بجوارحه بمقتضى ما حدثته نفسه. وعلى هذا فمن حدثته نفسه بقتل شخص، أو زنا أو شرب أو طلاق مثلاً أو أي شر لا يؤاخذة الله بكل ذلك، والواجب عليه أن يعرض عما وسوست به نفسه ويستعيذ بالله من شرها وشر الشيطان. وفي الآية الكريمة بيان لبعض صفات الربوبية كعظيم قدرته وإحاطة علمه وقربه من عباده وشهوده وحضوره.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

عن بلال بن الحارث المُرَني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

رواه أحمد ٣/٤٦٩، والترمذي في الزهد ٢١٣٩ بتهذيبي، وابن ماجه ٣٩٦٩، والحاكم ١/٤٥، ٤٦، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وله شاهد في الصحيح.

الآية الكريمة تخبر بأن كل إنسان عليه حافظان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله يكتبان ما يتلفظ به من قول، وسيأتي في الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، فهما حاضران معه رقيبان عليه لا يفارقانه.

أما الحديث فيزيد الآية وضوحاً، وأنه ما من خير فيه رضاء الله أو شر

فيه سخط الله إلا ويكتبه عليه بواسطة ملائكته الكرام. وفيه إرشاد إلى أنه ينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه ويراقب ما يتلفظ به فإنه قد يزل فيسخط الله عليه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ﴿٢٦﴾.

﴿٢٦﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكّلت بثلاثة، بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين».

رواه أحمد ٣٣٦/٢، والترمذي في أول صفة النار رقم ٢٣٩١ تهذيبي وحسنه وصححه.

عنق بضمّتين، أي مثل صورة عنق حقيقية بدليل ذكر العينين والأذنين واللسان، فإن هذه لا تكون إلاّ للأجسام، ولا داعي للتأويل وادّعاء المجاز فإن الآخرة خلاف الدنيا.

وفي الحديث وعيد، أي وعيد لهؤلاء الأصناف الثلاثة الذين منهم من جعل مع الله إلهاً آخر فإنه من الأخسرين كأخويه المذكورين معه. والجبار العنيد هو المتمرد العاتي الجائر الباغي الذي يرد الحق ولا يقبله ولا يعمله.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾.

﴿٢٧﴾

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وعزّتك وكرمك».

رواه أحمد ١٣٤/٣، ١٤١، ٢٣٠، ٢٣٤، والبخاري في التفسير ٢١٧/١٠، وغيره، ومسلم في صفة جهنم ١٨٣/١٧، ١٨٤، والترمذي في التفسير ٣٠٥٧. ونحوه عن أبي هريرة عند البخاري ومسلم في المصدرين مطوّلاً.

وقوله: قط قط: بفتح القاف وسكون الطاء، أي حسبي. وقوله: ينزوي، أي يجتمع.

وهذا الحديث من أحاديث الصفات، قال النووي: جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها، بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها، وظاهرها غير مراد، يعني به الجارحة وصفة المخلوقات. وقال الحافظ في الفتح: واختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله تعالى. وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك... إلخ.

وفي الآية مع الحديث تكلم جهنم، ولا استحالة في ذلك بالنسبة لقدرة الله عز وجل، ولا سيما يوم القيامة؛ فإن فيها أموراً فوق مستوى عقولنا، فحسبنا الإيمان بما جاء في كتابنا وعلى لسان نبينا ﷺ فنقول: ﴿ءَأَمْنَا بِهِ كُلَّ تِنِّ عُنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٣٦﴾.

عن عمارة بن رُوَيْبَةَ رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يَلِجْ النار»، فقال له رجل: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ.

رواه مسلم في المساجد ١٣٥/٥، وأبو داود ٤٢٧، والنسائي في الكبرى ٤٦٨/٦، وفي المجتبى.

وعن جرير رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجعلنا ننظر إلى القمر ليلة البدر فقال النبي ﷺ: «أما إنكم تنظرون إلى ربكم تبارك

وتعالى كما تنظرون إلى القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلواتين صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، وتلا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ...﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير ٢٢٠/١٠، ومسلم في المساجد ١٣٤/٥ وغيرهما.

قوله: لم يلج، أي لم يدخل. وقوله: لا تضامون، أي لا يلحقكم ضيم في الرؤية.

جاء بالحديثين لبيان أن المراد بالتسبيح في الآية قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هو صلواتا الصبح والعصر، وعبر عنهما بالتسبيح تعبيراً بالجزء عن الكل وهو شائع. وفي الحديث الأول فضل المحافظة على هاتين الصلاتين وأن مصليةما لا يدخل النار، وذلك لثقلهما على أكثر الناس وتفريطهم فيهما. والحديث الثاني دليل لأهل السنة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، والأحاديث بذلك متواترة، ويأتي مزيد لهذا في سورة القيامة.

وبهذا تمت سورة ق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ إِلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

وهي مكيّة، وآياتها ستون، وموضوعها دلائل التوحيد وإقامة الحجة على وقوع البعث... وذكر قصص بعض الأنبياء مع أممهم الطغاة.

من خصائص هذه السورة

- ١ - بيان أن المتقين من سماتهم قلة النوم بالليل اشتغالا منهم بالقيام والتهجد، آيتان ١٧، ١٨.
- ٢ - إقسام الله عز وجل على حقية رزقه للعباد وأنه واقع جزما كوقوع نطقنا، آيتان ٢٢، ٢٣.
- ٣ - ذكر آية تدل على تواطؤ الإيمان والإسلام، وهي: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَاَوْحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾، فالمؤمنون الأولون هم المسلمون الآخرون، آيتان ٣٥، ٣٦.
- ٤ - الأمر بالفرار إلى الله عز وجل يعني إلى الإيمان به وطاعته، آية ٥٠.
- ٥ - ذكر الآية العظيمة المشهورة في أن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، آية ٥٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (١٧).

(١٧)

عن حفصة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل»، فكان بعد ذلك لا ينام إلا قليلاً. رواه البخاري في التعبير ٧٦/١٦، ٧٧ وغيره، ومسلم في الفضائل ٣٨/١٦، ٣٩ وغيرهما.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها»، قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام»، وفي رواية: «وأفشى السلام»، وفي أخرى: «وتابع الصيام».

رواه أحمد ٣٤٣/٥، والطبراني في الكبير ٣٤٦٦، وابن حبان ٢/٢٦٢، والبيهقي في السنن ٣٠٠/٤، ٣٠١، والبغوي في شرح السنة رقم ٩٢٧، وسنده صحيح، وقال النور في المجمع ٢/٢٥٤، رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وفي الباب غير ذلك.

في الآية الكريمة بيان بعض صفات الأتقياء أهل الجنان، وأنهم يقللون من النوم شغلاً منهم بصلاة الليل والتهجد.

وحديث أبي مالك يدل على أن هؤلاء المذكورين فيه لهم غرف خاصة يُعطونها دون غيرهم، ومن هؤلاء المتهجدون الذين يقومون من مضاجعهم يصلون والناس في فرشهم نائمون غافلون. أما حديث حفصة في شأن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم فيدل على أن قيام الليل من صفات الصالحين، فلا ينبغي لهم أن يغفلوا عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَيَا لَأَسْعَارِهِمْ يَسْتَعْفِرُونَ﴾ (١٨).

(١٨)

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا

تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر».

رواه أحمد ٢/٢٦٧، ٤٣٣، ٤٨٧، والبخاري في التهجد ١١٤٥، وفي الدعوات ٦٣٢١، وفي التوحيد ٧٤٩٤، ومسلم في صلاة المسافرين ٧٥٨، وأبو داود ١٣١٦، والترمذي في الصلاة ٣٩٨، وفي الدعوات ٣٢٦٩، وابن ماجه ١٣٢٦ من طرق وألفاظ.

هذا الحديث أيضاً من أحاديث الصفات، فتفسيره إمراره كما جاء بلا تكييف ولا انتقال من مكان إلى مكان، بل نزوله تعالى بلا آلة ولا تحرك ولا شيء من صفات المخلوقين، وفي الآية والحديث الترغيب في الاستغفار والدعاء بالأسحار، لأنه وقت التجلي الإلهي وهو من مظان الاستجابة، ولذا جاء في حديث آخر عنه ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن».

رواه الترمذي في الأدعية رقم ٣٣٤٨ بتهذيبي، وحسنه وصححه.

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

عن الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على فرس».

رواه أحمد ١/٢٠١، وأبو داود ١٦٦٥، والطبراني في الكبير ٢٨٩٣، وابن خزيمة ٢٤٦٨، وأبو يعلى ٣٣/٦، قال الحافظ: وجزم بصحته غير واحد. وجوّده العراقي والسخاوي، وصحّحه الشيخ أحمد شاكر، وانظر القول المسدد ص ٦٨، ٧٠.

في الآية والحديث دليل على أن للسائل حقاً كيفما كان حاله ولو جاء راكباً حماراً أو بغلاً أو فرساً أو سيارة مثلاً، فلا يرد إلاّ بالإعطاء أو بالكلمة الطيبة.

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ٤١.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالصَّبَا وأهلكت عاد بالدَّبُور».

رواه الشيخان وغيرهما وتقدّم في سورة السجدة.

وعن رجل من ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: قدمت المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ فذكرت عنده وافد عاد فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد. فقال رسول الله ﷺ: وما وافد عاد؟ قال: فقلت: على الخبير بها سقطت، إن عادًا لما أقحطت بعثت قبلاً فنزل على بكر بن معاوية فسقاه الخمر وغتته الجرادتان، ثم خرج يريد جبال مهرة فقال: اللّهُمَّ إني لم آتک لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه، فاسقِ عبدك ما كنت مسقيه، واسقِ معه بكر بن معاوية - يشكر له الخمر الذي سقاه - ، فرفع له سحابات، فقيل له: اختر إحداهنّ فاختر السوداء منهنّ فقيل له: خذها رمادًا رميدًا لا تذر من عاد أحدًا. وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلاّ قدر هذه الحلقة يعني حلقة الخاتم ثم قرأ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ٤١ مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ٤٢.

رواه أحمد ٣/٤٨١، ٤٨٢، والترمذي في التفسير ٣٠٥٨ وسنده صحيح.

قوله: على الخبير سقطت، أي على العليم بقصته. قوله: أقحطت بضم الهمزة، أي تأخر عنهم نزول المطر. وقوله: قبلاً بفتح القاف وسكون الياء اسم وافدهم. وقوله: الجرادتان: مغنيتان كانتا بمكة. وقوله: رمادًا بفتح الراء، وقوله: رميدًا بكسر الراء والذال الأولى بينهما ميم ساكنة، أريد به المبالغة في الاحتراق. وقوله تعالى: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ٤١، هي التي لا خير فيها بل شر محض. وفي الحديث عبر لا تخفى كالأية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك».

رواه أحمد ٣٥٨/٢، والترمذي في صفة القيامة، رقم ٢٢٨٧ بتهذيبي، وابن ماجه ٤١٠٧، وابن حبان ٢٤٧٧ بالموارد، والحاكم في التفسير ٤٤٣/٢، وصححه ووافقه الذهبي، بل سنده حسن في الشواهد وهو صحيح لشاهد له عن معقل بن يسار. رواه الحاكم ٣٢٦/٤، وصححه ووافقه الذهبي.

في الحديث الشريف دليل على أن من انقطع إلى الله عز وجل تعبداً أو دعوة إليه وشغلاً بالعلوم الدينية كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر الرزق وملأ قلبه غنى به عز وجل، ومن غفل عن الله تعالى صرفه إلى مشاغل الحياة وملأ قلبه بها ولم يسد فقره، بل يبقى طوال حياته فقير القلب حريصاً على الدنيا.

وقد جاءت أحاديث في معنى هذا الحديث كحديث: «من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأتها من الدنيا إلا ما قُدّر له».

رواه الترمذي في صفة القيامة ٢٢٨٦، وهو صحيح لشواهد عن زيد بن ثابت عند ابن ماجه ٤١٠٥ بسند صحيح، وآخر عن ابن عمر رواه الحاكم ٣٢٨/٤، ٣٢٩، وصححه، وثالث عن ابن مسعود رواه ابن ماجه ٤١٠٦.

وقوله: راغمة، أي أتته ذليلة منقادة.

ويؤخذ من الحديث أن أسباب الرزق الانقطاع إلى الله تعالى علماً وعملاً، وأن ذلك يعتبر سبباً روحياً، ولذا كان يقول بعض كبار الصالحين: للناس أسباب وسببنا تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وفي الحديث الصحيح: «لو توكلتم على الله حقَّ توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

رواه أحمد ١/ ٣٠، والترمذي ٢١٦٤، وصحَّحه من حديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

وقوله: خماصًا، أي جياعًا. وبطانًا، أي عظيمة البطن. يعني: تروح شباعًا.

وفي حديث آخر: «من نزلت به فاقة، فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل».

رواه أبو داود في الزكاة ١٦٤٥، والترمذي في الزهد ٢١٤٦، وحسنه وصحَّحه، وهو عنده صحيح على شرط مسلم.

لم تسد فاقته، أي لم تقض له مهمته من الرزق.

وبهذا تمت سورة الذاريات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿ سُورَةُ الطُّورِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ لِي اللَّهُ وَرَحْمَةً وَابْرَأَ عَلَيَّ سَيِّئَاتِي مَا كُنْتُ
وَأَلَّهُ وَهَمَّ لِي وَرَحْمَةً وَابْرَأَ عَلَيَّ سَيِّئَاتِي مَا كُنْتُ
وَأَلَّهُ وَهَمَّ لِي وَرَحْمَةً وَابْرَأَ عَلَيَّ سَيِّئَاتِي مَا كُنْتُ

السورة الكريمة كسابقتها تتحدّث عن العقيدة: التوحيد، الرسالة، البعث والنشور، القيامة والجنة والنار، وبيان مآل السعداء والأشقياء، وهي تسع وأربعون آية.

من خصائص هذه السورة

- ١ — القَسَمُ بالبيت المعمور، وهو بيت في السماء السابعة مقابل الكعبة، وهو للملائكة كالكعبة لأهل الأرض، تطوف به الملائكة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، آية ٤ .
- ٢ — بيان أن الله تعالى سيلحق الأبناء المؤمنين بأبائهم يوم القيامة لتقر أعينهم بذلك، آية ٢١ .
- ٣ — ذكر عظمة القدرة وإقامة الحجّة على الكفار وقطع مزاعمهم وأن الله عزّ وجل هو الخالق، ولم يخلقوا صدفة بدون خالق، أو كانوا هم الخالقين، آيتان ٣٥، ٣٦ .
- ٤ — أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على ما قضاه عليه من أعباء الرسالة، وإخباره إيّاه بأنه بمراى منه تعالى يحفظه ويرعاه، آية ٤٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾.

٤

عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ ذكر البيت المعمور في السماء السابعة: «وإذا إبراهيم عليه السلام مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبداً».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما ضمن حديث الإسراء مطوّلاً، وقد تقدّم في سورة سبحان، ورواه أحمد ١٥٣/٣، والنسائي في الكبرى ٤٧٠/٦، والحاكم ٤٦٨/٢ مختصراً كما ذكرنا، وصحّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

الحديث مبين للبيت المعمور وأنه في السماء السابعة، وكان خليل الرحمن مسنداً ظهره إليه ويدخله من الملائكة ما لا يحصيهم إلا الله عزّ وجل، وذلك يدل على كثرة الملائكة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنْبَعَثُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آخِثِينَ فِي أَرْبَابِهِمْ وَمَا أَنتَهُمُ

٥

مِّنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله ليرفع ذرّيّة المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنْبَعَثُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ...﴾ الآية، ثم قال: وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين».

رواه البزار، قال النور في المجمع ١١٤/٧ فيه قيس بن الربيع وثقّ شعبة، والثوري وفيه ضعف... فالحديث حسن مؤيد بالآية الكريمة.

الآية والحديث كلاهما يدلان على أن الله عزّ وجل سيكرم المؤمن بجمع ولده إليه في درجته لتقرّ عينه بذلك زيادة في إكرامه، وهذا من فضل الله عزّ وجل على المؤمن الصالح.

قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ .

عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ . . . الآية، كاد قلبي أن يطير.

رواه البخاري في التفسير ٢٢٦/١٠، وفي الصلاة وفي المغازي، ومسلم في الصلاة ٤٦٣، وأبو داود ٨١١، والنسائي، وابن ماجه ٨٣٢.

قال الحافظ على هذه الآية نقلاً عن الخطابي: وقيل: المعنى: أم خلقوا من غير خالق، وذلك لا يجوز فلا بدّ لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق، أفهم الخالقون لأنفسهم؟ وذلك في الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً، ثم قال: ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . . .﴾ الآية، أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السموات والأرض، وذلك لا يمكنهم؛ فقامت الحجة . . . ومن هذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير ودخل الإسلام قلبه.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ .

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: رب اغفر لي — أو قال: ثم دعا — استجيب له»، وفي رواية: «وإن قام فتوضأ وصلّى قبلت صلّاته».

رواه أحمد ٣١٣/٥، والبخاري في التهجد ١١٥٤، والترمذي في الدعوات ٣١٩٢ بتهذيب، والنسائي في الكبرى ٢١٥/٦، وابن ماجه ٣٨٧٨، والبيهقي ٥/٣ وغيرهم.

تعار معناه استيقظ من النوم، وأصل التعار، السهر والتقلب على الفراش. وفي الحديث فضل من استيقظ في الليل وذكر الله بما في الحديث، وأن من فعل ذلك غفر له واستجيب دعاؤه وقبلت صلاته.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك».

رواه الترمذي ٣٢٠٧، وأحمد ٤٩٤/٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى ١٠٥/٦، وابن حبان ٢٣٦٦، بالموارد والحاكم ٥٣٦/١، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم. وللحديث شواهد عن عائشة وابن عمر عند النسائي في الكبرى ١٠٦/٦، وعن أبي برزة الأسلمي عند أبي داود ٤٨٥٩، والدارمي والحاكم ٥٣٧/١، وعن جبير بن مطعم عند الطبراني في الكبير ٥٨٦، والحاكم ٥٣٧/١، وصححه ووافقه الذهبي، وعن رافع بن خديج عند الطبراني في معجمه الثلاثة. قال النور ١٤١/١: ورجاله ثقات، وزاد بعضهم في أوله: «سبحان الله وبحمده».

قوله: لغطه، بفتحيتين، هو كثرة الكلام الذي لا طائل تحته.

وهذا الاستغفار يقال له كفارة المجلس، وهذا فضل عظيم ولطف من الله ورحمة بعباده المؤمنين. والحديث كسابقه موافق للآية الكريمة في معناها من مشروعية التسبيح عند القيام سواء قيام الليل أو غيره.

وبهذا تمت سورة الطور، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه أمهات المؤمنين وصحابته البررة الأكرمين، وعلى حزيه ومن تبعهم بإحسان أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ النَّجْمِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَالسَّمَاءِ وَإِلَى عِزِّ رَبِّنا مُحَمَّد
وَاللَّهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعِزِّهِ

وهي كباقي السور المكية، غير أنها امتازت بذكر مشاهد من المعراج بالنبى ﷺ، وآياتها، اثنتان وستون.

من خصائص هذه السورة

- ١ - قَسَمَهُ تَعَالَى بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى عَلَى أَنْ رَسُولَهُ الْكَرِيمِ ﷺ لَمْ يَضِلْ وَلَمْ يَغْوِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ عَنِ هَوَاهُ، بَلْ مَا أَتَى بِهِ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، آيَات ١ - ٤ .
- ٢ - كَلَامُهُ تَعَالَى عَلَى حَادِثِ الْمِعْرَاجِ وَبَيَانِ بَعْضِ مَشَاهِدِهِ الَّتِي قَطَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلَهَا، آيَات ٨ - ١٨ .
- ٣ - التَّنْصِيفُ عَلَى أَنَّهُ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَى صَوْرَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهَذَا نَصٌّ فِي وَقُوعِ الْمِعْرَاجِ يَرِدُ عَلَى الَّذِينَ يَنْكُرُونَهُ مَعَ رَدِّهِمْ لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ، وَزَعَمَهُمْ أَنَّهَا أَخْبَارٌ أَحَادٍ . . وَكُلُّ ذَلِكَ جَاءَ مِنْ جَهْلِهِمُ الْمَرْكَبِ، آيَة ١٣ - ١٧ .

- ٤ — رؤيته ﷺ ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى، آية ١٨ .
- ٥ — ذكر اللات والعزى ومناة.. وهي أسماء لأصنام كانت للعرب، آيات ١٩، ٢٠ .
- ٦ — الإنكار على الكفار في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، آية ٢٧ .
- ٧ — ذكر اللمم، وهي صغار الذنوب وأنها مغفورة مع اجتناب كبائر الإثم والفواحش، آية ٣٢ .
- ٨ — التنصيص على أن علم الله تعالى محيط بأطوار الإنسان من يوم أنشئ من الأرض وحيث كان جنينًا في بطن أمه، آية ٣٢ .
- ٩ — النهي عن تزكية النفوس ومدحها — يعني: إعجابًا وتفاحرًا — ، آية ٣٢ .
- ١٠ — بيان أنه ليس للإنسان يوم القيامة إلا ما سعى، إلا ما استثنى، آيات ٣٩، ٤٠ .
- ١١ — ذكر آيات ودلائل القدرة لم تذكر بأسمائها إلا هنا، وهي الإضحاك والابكاء والإغناء والإفقار، آيات ٤٣، ٤٨ .
- ١٢ — ذكر الشعري، اسم كوكب مضيء كانت تعبده خزاعة، وهما شعريان، موقعهما تحت برج الجوزاء، أحدهما عن يمين البرج، والآخر عن يساره، آية ٤٩ .
- ١٣ — توبيخ الكفار على ضحكهم عند سماعهم القرآن وهم غافلون غير باكين، آيات ٥٩ — ٦١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ .



عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل

شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب: فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق».

رواه أحمد ١٦٢/٢، ١٩٢، وأبو داود ٣٦٤٦، والدارمي ٤٩٠، والحاكم ١٠٦/١، وسنده صحيح.

الحديث ينص على أنه ﷺ لا يقول إلا الحق في جميع أحيانه وهو الوحي الإلهي الذي نص الله عز وجل عليه في الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿١﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١١﴾﴾.

﴿١﴾

عن زر بن حبيش رحمه الله تعالى أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ...﴾ الآية، فقال: أخبرني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

رواه البخاري في التفسير ٢٣٣/١٠، ٢٣٤، وفي بدء الخلق، ومسلم في الإيمان رقم ١٧٤، والترمذي ٣٠٦١، والنسائي ٤٧٢/٦، كلاهما في التفسير.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٥﴾﴾، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿١﴾﴾.

قال ابن عباس: قد رآه النبي ﷺ.

رواه الترمذي ٣٠٦٤ بسند صحيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾.

﴿١١﴾

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه: «ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رأى رسول الله ﷺ جبرائيل عليه السلام في حلّة من رفرِفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض».

رواه أحمد رقم ٣٧٤٠، والترمذي ٣٠٦٧ بسند صحيح على شرط مسلم، وحسنه الترمذي وصححه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رآه بقلبه مرتين.

رواه أحمد ١٩٥٦، ومسلم ١٧٦ بنحوه، والترمذي ٣٠٦٥، والنسائي في الكبرى ٤٧٢/٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ ﴿١٥﴾ النَّوَىٰ ﴿١٦﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٧﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٨﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾، قال: رأى جبريل عليه السلام قد سد الأفق لم يره إلا في هذين المكانين.

رواه النسائي في الكبرى ٤٧٣/٦، وابن خزيمة في التوحيد ١٣٣، ١٣٤ بسند صحيح. وفي رواية: رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق، رواه البخاري في التفسير ٢٣٤/١٠، والنسائي ٤٧٣/٦.

وعنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى قال: انتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من فوق، فأعطاه الله عندها ثلاثاً لم يُعْطَ نبيّاً كان قبله: فرضت عليه الصلاة خمساً وأعطيت خواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لأمته المقحّمات ما لم يشركوا بالله شيئاً، قال ابن مسعود: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾، قال: السدرة في السماء السادسة، قال سفيان: فراش من ذهب، وفي رواية: «إليها ينتهي علم الخلق لا علم لهم بما فوق ذلك».

رواه مسلم في الإيمان ١/٣، ٢، والترمذي ٣٠٦٠ تهذيبي، وحسنه وصححه والسياق له.

قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، أي قدرهما، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، أي أقل منهما.
وقوله: ﴿نَزَّلَهُ أُخْرَىٰ﴾، أي مرة أخرى، وقوله: ﴿سِدْرَةَ الْمُنْهَىٰ﴾ هي بكسر السين: شجرة في أقصى الجنة إليها ينتهي علم الخلائق، وقوله: في حلة من رفر، بفتح الراءين بينهما فاء ساكنة، أصله ما كان من الديباج رقيقاً حسن الصنعة، ولعل المراد به هنا صفة ريشه. وقوله: وغفر لأمته المقححات، بضم الميم وكسر الحاء هي الذنوب العظام التي تدخل أصحابها النار.

في هذه الآيات الإحدى والعشرين مع ما ذكرنا تحتها من الأحاديث أمور:

أولاً: ثبوت عروج النبي ﷺ نصاً كتاباً وسنة، بل وإجماعاً ولم يخالف في ذلك إلا بعض من طمس الله بصيرته من العقلانيين المنحرفين.

ثانياً: وصول النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة عن يمين العرش وعندها جنة المأوى التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين، وما جاء من أنها في السادسة شاذ. وهذه السدرة شجرة لها ثمار الواحدة منها مثل قلال هَجْر كما جاء في حديث الإسراء، وقد غشيتها أنوار حتى ما يستطيع أحد نعتها كما جاء في مسلم.

ثالثاً: إن النبي ﷺ لم يَمِلْ بصره في ذلك المقام لا يميناً ولا شمالاً، وما جاوز الحد الذي رأى تأدباً منه ﷺ في تلك الحضرة.

رابعاً: إن الله تعالى أراه في تلك الليلة أكبر آياته، فرأى عجائب الملكوت رأى الأنبياء والملائكة في الجنة والنار والبيت المعمور وسدرة المنتهى وجبريل على صورته الأصلية إلى غير ذلك من الآيات.

خامسًا: اختلفت الروايات عن ابن مسعود وابن عباس في رؤية النبي ﷺ ربه تعالى، فالأول فسّر الآية: ولقد رآه... إلخ برؤية جبريل، بينما الثاني فسرها برؤية الله، لكنه في الرواية الأولى أطلق، وفي الثانية قيدها بقوله: رآه بقلبه مرتين.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى بداية من الصحابة فمن بعدهم في هذه القضية، فذهب ابن مسعود وأبو هريرة وعائشة وجماعة من المحدثين والمتكلمين إلى عدم الرؤية، وذهب آخرون إلى الرؤية، ومن هؤلاء ابن عباس وأبو ذر وكعب والحسن البصري وأبو هريرة في رواية عنه وهو قول الإمام أحمد وأبي الحسن الأشعري في آخرين.

قال النووي في شرح مسلم: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلاّ بالسمع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يشكك فيه... إلخ.

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾.

﴿١٩﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف منكم فقال في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلاّ الله، ومن قال: تعال أقامرك فليتصدق».

رواه البخاري في التفسير ٢٣٥/١٠، وفي الأدب وفي الاستذنان... ومسلم في الأيمان والنذور ١٦٤٧، وأبو داود ٣٢٤٧، والترمذي في النذور ١٤١٢، والنسائي في الكبرى ٤٧٤/٦، وابن ماجه ٢٠٩٦.

اللات والعزى صنمان كانا في الجاهلية يُعبدان من دون الله.

وفي الحديث مشروعية ذكر كلمة التوحيد عند الحلف بغير الله مما يعظمه الكفار من الطواغيت والأوثان، وأن من حلف بذلك غلطاً لا يحكم بكفره، ويؤخذ منه أن من حلف بذلك معتقداً تعظيمها يكفر. وفيه أن الدعوة إلى المعصية توجب لصاحبها التصديق ليكفر الله تعالى عنه ما دعا إليه لأنه دعوة إلى الإثم.

وعن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً»، فرجع خالد فلما أبصرت به السدنة وهم حجبها أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عَزَى، فأتاها خالد فإذا هي امرأة عُريانة ناشرة شعرها تحتفن التراب على رأسها فعَمَّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى».

رواه النسائي في الكبرى ٤٧٤/٦، وأبو يعلى ٩٠٢٤١ بسند حسن.

في الحديث أن الشياطين هم المضللون لعبدة الأصنام، وأنهم يتظاهرون لهم في أصنامهم ويتراءون لهم عند عبادتهم إياها فيغرونهم على عبادتها والاستغاثة بها فيزدادون إغراقاً في الكفر والضلال، ولا أدل على ذلك من العزى التي كانت تمثلها امرأة من الشياطين.

وبمناسبة ذكر اللات والعزى... إلخ، نشير إلى ما هو شائع بين كثير من المفسرين وغيرهم من ذكر قصة الغرائق، وأنها باطلة من وضع الزنادقة، ولا يصح شيء فيها لا من طريق النقل ولا من جهة المعنى، وقد ذكرت خلاصة الموضوع في التعاليق على تهذيب الشفا ٤١٣، ٤١٤.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِللَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ﴿٢٥﴾﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته». رواه أحمد ٣٥٧/٢، ٣٧٨، بسند صحيح.

الأمور كلها تابعة لقضاء الله عز وجل وقدره، فليس كل ما يتمناه الإنسان ويود الحصول عليه يدركه، فقد تأتي الرياح بما لا تهوى السفن، ولذلك ينبغي للمسلم أن لا يتمنى إلا ما فيه خير وصلاح ومنفعة له عاجلاً أو آجلاً مما لا يتنافى وقواعد الدين، فإذا تمنى شراً فليبادر بالإجابة والرجوع إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٦﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾، قال: أكبر الكبائر الإِشْرَاقَ بالله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٧٢].

والياس من روح الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿لا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمَ الْكافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

والأمن من مكر الله عز وجل، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ومنها عقوق الوالدين، لأن الله تبارك وتعالى جعل العاق جباراً شقيماً. وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَجَزَأَوْهُ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ٩٣].

وقذف المحصنة لأن الله عز وجل يقول: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وأكل مال اليتيم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

والفرار من الزحف لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَنِسْءٌ الْمَاصِرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

وأكل الربا لأن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

والسحر لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والزنا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية [آل عمران: ٧٧].

والغلول لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ومنع الزكاة المفروضة لأن الله تعالى يقول: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

وشهادة الزور لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وشرب الخمر لأن الله عزَّ وجل عدل بها الأوثان .

وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله، لأن الرسول ﷺ يقول:
«من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ» .

ونقض العهد، وقطيعة الرحم . . .

رواه الطبراني في الكبير ١٣٠٢٣، قال النور في المجمع ١١٥/٧، ١١٧: وإسناده

حسن .

هذا الأثر يبين بعض كبائر الإثم المذكورة في الآية، وأن ما ذكر فيه هي أعظم الفواحش وأكبرها ولا شك في ذلك، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها تنص على كبائر الذنوب، وقد ذكر ابن عباس من هذه الكبائر تسعة عشر كبيرة وهناك عدد كبير لها قد أرى على الأربعمئة، كما ذكر ذلك ابن حجر الهيثمي في الزواجر مفصلاً، فليراجع .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان التُّطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه». وفي رواية: «وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، وزنا الفم القبل» .

رواه أحمد ٢٧٦/٣، ٣١٧، ٣٧٢، ٥٣٦، والبخاري في القدر ٦٦١٢، وفي الاستئذان ٦٢٤٣، ومسلم في القدر ٢٦٥٧، وأبو داود ٢١٥٢، والنسائي في الكبرى ٤٧٣/٦ .

وعنه: ﴿وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ . . .﴾ الآية، قال: قال النبي ﷺ:
«إن تغفر اللّهُمَّ تغفر جَمًّا، وأي عبد لك ما ألما» .

رواه الترمذي ٣٠٦٨، والحاكم ٤٦٩/٢، وسنده صحيح على شرط مسلم،

وحسّنه الترمذي وصحّحه، وكذا صحّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وأورده النور في المجمع ١٥/٧ برواية البزار وقال: رجاله رجال الصحيح.

وقوله: وأي عبد لك ما ألمّا، ألمّ بالذنب إذا فعله. واللّم صغار الذنوب وهي المفسرة في حديث أبي هريرة من النظر والنطق والتقبيل والتمني لفعل الزنا والمشى... .

وسُمّيت هذه المعاصي زنا مجازاً لأن ذلك كله يدعو إلى الزنا الحقيقي مع ما في ذلك من الالتذاذ والتمتع، ولكن الذي يصدق هذه المقدمات أو يكذبها هو الفرج، وإن لم يفعل غفرت له تلك المقدمات بالوضوء والصلاة والصدقة والصيام والتلاوة والذكر والتوبة والاستغفار... . ولذلك عقب سبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةَ...﴾ الآية، فيا واسع المغفرة اغفر لنا وتجاوز عنا.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾

عن محمد بن عمرو بن عطاء رحمه الله تعالى قال: سُمّيت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمّيت برة فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم»، فقالوا: بم نسميها؟ قال: «سموها زينب».

رواه مسلم في الأدب ١٢٠/١٤ من طرق.

في الآية والحديث ذم تزكية النفوس، لأن الله تعالى هو أعلم بالقلوب التي هي مصادر التقوى ومحل الإيمان والشعب اليقينية، نعم للإنسان أن يذكر ما فيه من مكارم الأخلاق وما هو متصف به من خصال الخير ونحو ذلك تحدّثاً بنعمة الله تعالى عليه أو لأجل مصلحة دينية... .

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ

﴿٤٠﴾

يُرَىٰ ﴿٤١﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

رواه أحمد ٣١٦/٢، ٣٧٢، ومسلم في الذكر والدعاء ٢٦٨٢، وأبو داود ٣٨٨٠، والترمذي في الأحكام ١٢٤٧، والنسائي في الكبرى ١٠٩/٤، والبخاري في الأدب المفرد ٣٨ وغيرهم.

اختلف المفسرون في الآية الكريمة فقال بعضهم: إنها في الكفار، وقال آخرون: إنها في المسلمين، وهؤلاء اختلفوا هل يلحق الميت عمل الغير أم لا، فالجمهور على اللحق كالصدقة والصيام والحج والاستغفار. والحديث نص في انقطاع عمل الميت إلا من هذه الثلاث المذكورة، وقالوا: إن هذه الثلاث هي أيضاً من عمله، والمسألة مستوفاة في موضعها فلا نظيل بإيراد متشعباتها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا﴾

﴿٦٢﴾

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾، قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف، وفي رواية: وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

رواه البخاري في التفسير ٢٣٧/١٠، ٢٣٨، وفي سجود القرآن، وفي مناقب الأنصار، وفي المغازي، ومسلم في سجود التلاوة رقم ١٥٧٦، وأبو داود ١٤٠٦، والنسائي في الكبرى ٤٧٥/٦، وفي المجتبى.

في الحديث مشروعية السجود في هذا الموضوع وهو مذهب الأكثر،

وخالف الإمام مالك فلم ير السجود في المفصل . وسجود المشركين مع النبي ﷺ يقال سببه قضية الغرائق التي تكلم بها الشيطان عند قراءة النبي ﷺ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَتْ وَالْعُرْيَىٰ ﴾ ، فظن الكفار أن النبي ﷺ نطق بذلك ، وحاشاه من ذلك بأن يسلط عليه الشيطان حتى يتكلم على لسانه . وانظر إبطال هذه القصة والخلاف فيها في : الشفا لعياض .

وبهذا تمّت سورة النجم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،
وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه
وأتباعه أبد الأبدین .



﴿سُورَةُ الْقَمَرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا سَأَلَ اللَّهُ وَرَبَّهُ عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ

وَأَلَّهِ وَهَيْبُهُ وَرُؤُوسُهُ وَعَرْبُهُ

هي مكية أيضاً كالسورتين بعدها الرحمن والواقعة، وهي خمس وخمسون آية. وأهدافها ذكر التوحيد والبعث والنشر والقيامة وأهوالها، وامتازت بالإعذار والإنذار والعنف.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر انشقاق القمر، تلك المعجزة العظيمة التي أعطاها الله لرسوله ﷺ وخصه بها دون سائر الأنبياء، آية ١.
- ٢ - بيان تيسير وتسهيل القرآن لمن يريد أن يتذكر أو يحفظه، آية ١٧.
- ٣ - ذكر انهزام جَمْع الكَفَّار وتوليتهم الدبر يوم بدر، تلك المعجزة القرآنية التي أخبر بها قبل وقوعها فكانت كما أخبر القرآن، آية ٤٥.
- ٤ - بيان أن الكفار سيسحبون يوم القيامة في النار على وجوههم ويقال لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٤٨﴾، آية ٤٨.

٥ — ذكر آية القدر التي طالما استدللّ بها أهل السنّة لأسبعية كتابة المقادير وأسبعية علم الله عزّ وجلّ بها، آية ٤٩ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .



عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه، أن عمر رضي الله تعالى عنه سأله: ما كان يقرأ رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ قال: «كان يقرأ ﴿ قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴾، و ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

رواه مسلم ١٨١/٦، ١٨٣، وأبو داود ١١٥٤، والترمذي ٤٨١، والنسائي في الكبرى ٤٧٥/٦، وفي المجتبى .

في الحديث مشروعية قراءة هذه السورة مع ﴿ قَ ﴾ في صلاة العيدين .

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى .

رواه البخاري في تفسير النزاعات ٣١٨/١٠، وفي الطلاق، وفي الرقاق رقم ٦٥٠٣، ومسلم في الفتن رقم ٢٩٥٠، وغيرهما. ونحوه عن أبي هريرة رواه البخاري في الرقاق ٦٥٠٥، وغيره. وعن جابر بن سمرة ووهب السوائي عند أحمد .

الحديث مبين لاقتراب الساعة كآلية، وأنّ النبي ﷺ بعث في آخر الدنيا ولم يبق منها أيام حياته إلّا مثل ما بين الوسطى والسبابة، وهو شيء ضئيل جدًّا، وإذا كانت الساعة أيام النبوة من القرب كما ذكر فكيف بها اليوم، فلا شكّ أنها على وشك الوقوع .

وعن عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصِرْمٍ، وَوَلَّتْ حِذَاءَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَّصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَأَنْكُمْ مُتَنَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، مَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهُ لَتُمْلَأَنَّ أَفْعَجِبْتُمْ؟ وَاللَّهُ لَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ كَظِيظِ الزَّحَامِ...» الحديث.

رواه أحمد ٤/١٧٤، ح ٦١/٥، ومسلم في الزهد ١٨/١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

قوله: آذنت بصيرم، أي: أعلمت بانقطاع. وقوله: وولت حذاء، أي: سائرة. وقوله: إلا صُبابَةٌ... إلخ، بضم الصاد، أي: بقية يسيرة.

الحديث يتحدث عن الدنيا وأنها قد مضت وذهبت ولم يبق منها إلا أيام قلائل، فالساعة على الأبواب، فالواجب التزوُّد والاستعداد للدار التي لا تبنى والتي لا زوال لها. وفي الحديث بيان خطورة جهنم وعظمتها، نعوذ بالله تعالى منها ومن أهلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۗ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمَ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا، فَنَزَلَتْ: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۗ﴾... الآية.

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٤١، وفي السيرة النبوية ٨/١٨١، ومسلم في صفة القيامة ١٧/١٤٥، والترمذي في التفسير ٣٠٧٠ وغيرهم.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، فانشق القمر فلقتين، فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال

لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»، يعني: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾.

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٤٠، ٢٤١، وفي أوائل السيرة ٨/١٨١، وأحمد رقم ٣٥٨٣، والترمذي ٣٠٦٩، والحاكم ٢/٤٧١، ونحوه عن ابن عمر عند مسلم ١٧/١٤٤، ١٤٥، والترمذي ٣٠٧١.

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سَحَرْنَا مُحَمَّدًا، فقال بعضهم: لئن كان سَحَرْنَا فما يستطيع أن يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ.

رواه أحمد ٤/٨١، ٨٢، والترمذي ٣٠٧٢، والحاكم ٢/٤٧٢، وغيرهم. وسنده عند الترمذي صحيح على شرط مسلم.

معجزة انشقاق القمر من أمّهات معجزات نبينا ﷺ وأبهرها وأروعها، لا مثيل لها ولا يعادلها شيء من آيات الأنبياء، ومع كونها ورد الخبر بها في القرآن والسنة الصحيحة أنكرها طوائف من المبتدعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ ﴿١١﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالذَّبُورِ».

رواه الشيخان وتقدّم.

الريّج الصرصر: هي الريح الباردة ذات الصوت. والصرير: العظيم.

قوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ﴾ ﴿١٥﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِن تَشَأْ لَا تُعْبِدَ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله،

أَلْحَحْتُ عَلَى رَبِّكَ . وَهُوَ يُثَبِّتُ فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ ﴾ .

رواه البخاري في الجهاد وفي المغازي وفي التفسير ٢٤٢/١٠ ، ٢٤٣ ، والنسائي في الكبرى ٣٧٧/٦ ، وروى بعضه مسلم عن ابن عباس ، عن عمر رضي الله تعالى عنهم . والحديث تقدّم عن سيّدنا عمر مطوّلاً وبيّض اختلاف في سورة الأنفال عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَلَمْ نُؤْتِكُمْ بِالْفِئَةِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّدِينَ ﴾ .

في الآية الكريمة معجزة ظاهرة ، حيث أخبر تعالى بانهزام جمع الكفار وفرارهم قبل الواقعة بزمان ، فكان الأمر كما أخبر سبحانه وتعالى ، وكان النبي ﷺ على علم بذلك ويقين ، وإنما ألحّ في الدعاء تعبّداً لله عزّ وجلّ وقياماً بأمانة الرسالة والتشريع لأنه أسوة لأمته .

قوله تعالى : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ .

﴿٤٦﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لقد أنزل على رسول الله ﷺ بمكة ، وإني لجارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ .

رواه البخاري في التفسير ٢٤٣/١٠ ، وفي فضائل القرآن ، والنسائي في الكبرى ٤٧٧/٦ .

قوله : والساعة أدهى وأمر ، أي عذاب الساعة والآخرة أشد وأمر من يوم بدر .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ .

﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر ، فنزلت : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ .

رواه مسلم رقم ٢٦٥٦، ج ١٦/٢٠٤، ٢٠٥، والترمذي ١٩٨٨، كلاهما في القدر، ورواه الثاني في التفسير أيضًا ٣٠٧٣، وابن ماجه في المقدمة ٨٣.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ثلاثة: رجل استشهد فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال: فلان جريء، قد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكن تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكن فعلت كي يقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار».

رواه مسلم في الإمارة رقم ١٩٠٥، والنسائي في الكبرى ٤٧٧/٦، ٤٧٨، وكذا أحمد ٣٢٢/٢.

يسحبون، أي: يجزون.

الحديث الأول مع الآية الكريمة يدلان على ثبوت القدر، ومعناه أسبقية علم الله تعالى بما سيكون ويقع من الكائنات خيرها وشرها وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

أما الحديث الثاني ففيه تهديد شديد، ووعيد عظيم أكيد هائل للمرائين بأعمالهم وخاصة المقاتلين المجاهدين والعلماء وحفظة القرآن والمتصدقين من الأغنياء.

فما ذكره الحديث في هؤلاء الثلاثة تقشعرّ منه الجلود عيادًا بالله تعالى، فنسأله تعالى وهو الكريم الرحيم أن يتفضّل علينا بالإخلاص في جميع أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا الظاهرة والباطنة آمين.

وبهذا تمّت سورة القمر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الأبدین.



﴿ سُورَةُ الرَّحْمَنِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَكَرَّمًا بَارِكًا عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعِزِّهِ

آيات هذه السورة ثمان وسبعون، وهي تُعنى بتعداد النعم العظيمة على عباده، وذكر آيات القدرة المنبثة في هذا الكون المنظور، ثم بيان مآل الأشقياء وما أعدَّ الله تعالى للأتقياء من نعيم ومتع.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر النعمة العظمى، وهي تعليمه تعالى عباده القرآن الذي هو أصل حياة القلوب، ولولا تعليم الله عزَّ وجلَّ وإلهامه لما استطاع أحد منَّا أن يتعلَّمه، وهو كلامه القديم الأسنى، آية ١.
- ٢ - من ضروريات نعمه تعالى على الإنسان أن علَّمه البيان، وألهمه لغاته التي بها يخاطب غيره، وفي ذلك من دلائل التوحيد ما لا يخفى على ذي عقل وتفكير، آية ٤.
- ٣ - أن هذه الأرض وما فيها من ثمار وحبوب وزروع وفواكه ونبات... ما خلقت إلاَّ للأنام من إنس وجان وطير وحيوان وهام... آية ١٠.

- ٤ — ذكر آية: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ وتكرارها ثلاثين مرّة، ولا توجد في غير هذه السورة لا مفردة ولا مكررة.
- ٥ — بيان أصل الإنس والجن، وأنّ الأول خلق من صلصال كالفخار، والثاني خلق من مارج من نار، آيتان ١٤، ١٥.
- ٦ — إخراجة تعالى اللؤلؤ والمرجان من البحرين الحلو والمالح، آية ٢٢.
- ٧ — إنّ الله عزّ وجلّ كل يوم هو في شأن، يحيي ويميت، ويغني ويقتقر، ويُعزّز ويُذلّ، آية ٢٩.
- ٨ — ذكر الجنان الأربع وصفاتها الرائقة المعدات لمن خاف مقام ربّه، آيات ٤٦ — ٧٨.
- ٩ — ذكر بعض صفات نساء الجنة أنّهنّ كالياقوت والمرجان وخيرات حسان مقصورات في الخيام لم يقربهن إنس ولا جان، آيات ٥٦، ٥٨، ٧٢، ٧٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

﴿١٣﴾

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرّحمن، من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنتُ كلّمًا أتيتُ على قوله: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾، قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد».

رواه الترمذي ٣٠٧٤، والحاكم ٤٧٣/١٢، وصحّحه على شرطهما ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد عن ابن عمر رواه البزار ٢٢٦٩ بسند حسن في الشواهد.

في الحديث فضل الصحابة من الجن وحسن أدبهم مع القرآن الكريم وجوابهم الجميل . . وقوله تعالى: ﴿ فَيَأْتِيءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (١٣)، معناه: فبأي نعم ربكما تكذبان يا معشر الإنس والجن، ولذلك أجاب الجن بقولهم: لا بشيء من نعمك يا ربنا نكذب، فلك الحمد، أي: على ما أسديت إلينا وأنعمت وتفضلت .

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الملائكةُ من نور، وخلق الجنُّ من مارجٍ من نار، وخلق آدم مِمَّا وُصِفَ لكم» .

رواه أحمد ٦/١٥٣، ١٦٨، ومسلم ١٨/١٢٣ .

المارج: اللهب المختلط بسواد النار .

وفي الحديث تفصيل للآية الكريمة وبيان لأصل خلقة الأصناف الثلاثة المكلفين، وهم: الملائكة وأصلهم من النور، والجن وأنهم خلقوا من لهب النار، وآدم عليه السلام وأنه مخلوق من أصناف الأرض كما وصف لنا ذلك القرآن ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾، ﴿ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٢٦)، ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ (١١)، ﴿ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (١٤) . . . فسبحان القادر الفعّال لما يشاء، لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٢٦) .

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٢٦)، قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا ويُفَرِّجَ كَرْبًا، ويرفع قومًا، ويخفص آخرين» .

رواه ابن ماجه ٢٠٢، والبخاري ٢٢٦٧، قال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن. وللحديث شاهدان: عن عبد الله الأزدي، رواه ابن جرير ١٣٥/٢٧، والبخاري ٢٢٦٦، وعن ابن عمر رواه البخاري أيضًا.

وبما في الحديث قال كل المفسرين للآية الكريمة، فهو تعالى كل يوم في شأن عباده يُحيي ويُميت، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقر، ويعزّ ويذلّ، ويبتلي ويفرّج، ويبسط ويضيق، ويخفض ويرفع. . ومع ذلك فلا يشغله شأن عن شأن.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَنْسَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُحاسبُ يومَ القيامة أحدٌ فيغفر له، يرى المسلم عمله في قبره، ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَنْسَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾».

رواه أحمد ١٥٣/٦ بسند جيّد.

ومعنى الآية الكريمة: ففي ذلك اليوم الرهيب عندما تشقق السماء وتصير وردة كالدهان، لا يُسأل أحد من المذنبين من الإنس والجن عن ذنبه، لأنّ للمذنب علامات تدل على ذنبه كاسوداد الوجوه وزرقة العيون، فلا يقال لأحد: أنت المذنب؟ أو غيرك؟ أو: مَنْ المذنب منكم؟ بل يُعرفون بسماهم، وقيل: هذا في بعض مشاهد القيامة، لأنّ لها مشاهد، فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَاطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِعْلَهُمْ (٣٦)، وفي مشهد آخر يسأل الكل كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦).

وانظر: ابن جرير ١٤٢/٢٧، ١٤٣، وابن كثير ٤٩٤/٦.

أما الحديث، فالظاهر منه: أنّ من حوسب يوم القيامة بمعنى المناقشة هلك ولم يغفر له كما قدمنا في حديث السيّدتها نفسها: «من نوقش الحساب

هلك». أما المؤمن فقد يحاسب في قبره ليكون أهون عليه في الموقف، فيمحص في البرزخ فيخرج يوم القيامة من قبره وقد اقتصر منه. عفوك وغفرانك يا ربنا.

قوله تعالى: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقص على المنبر يقول: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، فقلت: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟! فقال رسول الله ﷺ الثانية: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، فقلت الثانية: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟! فقال رسول الله ﷺ في الثالثة: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، فقلت الثالثة: وإن زنا وإن سرق يا رسول الله؟! قال: «وإن رَغِمَ أنف أبي الدرداء».

رواه أحمد ٣٥٧/٢، والنسائي في الكبرى ٤٧٨/٦، والبغوي في شرح السنة ٤١٨٩ وسنده صحيح، وعزاه النور لأحمد والطبراني وقال: رجال أحمد رجال الصحيح. وفي الصحيح نحوه عن أبي ذر، لكن بدون ذكر الآية.

وفي الآية الكريمة فضل الخوف من الله عز وجل وأنه يوجب الجنتين رحمة من الله. والحديث يزيد الآية بشارة على أن المؤمن الذي يخاف الله عز وجل سيدخله الجنة وإن ارتكب الفواحش كالزنا والسرقة مثلاً، غير أن هذا لا يدل على أنه يدخل الجنة بدون سابقة عذاب، بل لا بد من التفصيل كما هو معلوم، فإن من مات وله كبائر وموبقات فهذا في مشيئة الله فقد يعفو الله تعالى عنه وقد يعدبه، ثم يكون مآله الجنة لإيمانه وخوفه من الله تعالى ولو مرة من عمره. أما من مات تائباً لا ذنوب له فهذا لا يعدب، بل هو من السابقين إلى الجنة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.

عن أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت

رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال: «يسير الرَّاكِب في ظلِّ الفَنَنِ منها مائة سنة، أو قال: يَسْتَطِلُّ بِظِلِّهَا مائة رَاكِب، فيها فراش الذهب كأنَّ ثَمَرَهَا القِلالِ».

رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٣٥٨ وحسنه وصحَّحه، وفي الصحيح: «إنَّ في الجنة شجرةٌ يسير الراكب تحت ظلها مائة عام لا يقطعها»، وسيأتي في الواقعة.

قوله: أفنان، أي: أغصان، وفي ذلك إكرام للمؤمن داخل الجنة وكم له من متع هنالك.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾.



عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال: إما تفاخروا أو تذاكروا: الرجال أكثرُ في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرَةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر... ولكل واحد منهم زوجتان يُرى سوقُها من وراء اللحم من الحُسن».

رواه البخاري في بدء الخلق وغيره، ومسلم في الجنة، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٥٤. ورواه الترمذي ٢٣٥١ عن ابن مسعود بلفظ: «إنَّ المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حُلَّة، حتى ليرى مُخَّها، وذلك بأنَّ الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، فأما الياقوت: فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيتَه لأوريتَه من ورائه، وهو عند ابن حبان بالموارد ٢٦٣٢، وابن جرير ١٥٢/٢٧، والطبراني في الكبير ٨٨٦٤، والبزار ٣٥٣٦. وذكره في المجمع ٤١١/١٠، ٤١٢ من حديث أبي سعيد، و ٢٤٢ عن ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناد ابن مسعود صحيح.

وفي الآية والحديث بعض صفات نساء أهل الجنة وأنهنَّ في الصفاء كالياقوت، وفي البياض كالمرجان، ولذلك كان مخ سوق إحداهن ليرى من الخارج لصفاء الأجسام. لا أحرمنا الله من التمتع بهن.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ﴿٦٢﴾ .

٦٢

عن عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن» .

رواه أحمد ٤/٤١١، والبخاري في التفسير ١٠/٢٤٨، وفي التوحيد في الرؤية، ومسلم في الجنة، والترمذي كذلك ٢٣٤٥، وابن ماجه ١٨٦، وقد تقدّم .

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾، يعني: في المنزلة والفضل، فالأوليان للمقربين السابقين، والأخريان لأهل اليمين، كما قال بعض السلف من المفسرين، وعلى كل فبينهما بؤن وفضل وكلها من النعم العظيمة التي سيمتّع بها المؤمنون .

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ﴿٧٢﴾ .

٧٢

عن عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يروّن الآخريّن، يطوف عليهم المؤمنون . . .» الحديث .

رواه البخاري ١٠/٢٤٨، ومسلم في الجنة، والترمذي ٢٣٤٦، والدارمي ٢٨٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/٤٧٩، مطوّلاً ومختصراً .

الزاوية: هي الناحية من البيت، والخيمة عند العرب بيت من الوبر وعبر بها هنا عن البيت أو القصر . وقوله: عرضها ستون ميلاً، وإذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها، وهذه خيمة واحدة، وكم لولي الله من خيام وقصور .

والحديث يدلّ على أنّ المؤمن سيعطى من الحور والنساء ما لا عدّ له،

فما تقدّم من أنّ كلّ واحد له زوجتان ممّا لا مفهوم له . وقوله تعالى : ﴿ حُرِّزَ مَقْصُورَاتٌ ﴾ ، أي : محبوسات في الخيام ، أي : لا ينظرن إلى غير أزواجهن ، فهنّ في بيوتهن قد قصرن أطرافهن على أزواجهن ، فلا تشوف لهن إلى الغير فضلاً عن النظر إليهم . وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئَنَّا بِإِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا بِنَآءٍ ﴾ ، أي : تلك الحور لم يقربهن أحد قبل أزواجهن ، فهنّ عذارى أبكار .

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

﴿ ٧٨ ﴾

عن ربيعة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «الظُّوَا بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» .

رواه أحمد ٤/١٧٧ ، والنسائي في الكبرى ٦/٤٧٩ ، والحاكم ١/٤٩٨ ، ٤٩٩ ، وصحّحه ووافقه الذهبي . ورواه الترمذي في الدعوات ٣٢٩٧ عن أنس ، والحاكم ١/٤٩٩ عن أبي هريرة .

قوله : الظُّوَا ، أي : الزموه وأكثروا من التلقُّظ والإلحاح به في دعواتكم .

ففيه الحض على دعائه تعالى بهذا الاسم الشريف ، فإنه عزّ وجلّ صاحب الجلالة ونهاية العظمة والإكرام الذي لا أكرم منه .

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات ثم قال : «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ ، تَبَارَكَتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» .

رواه أحمد ٥/٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ومسلم ٥/٨٩ ، وأبو داود ١٥١٣ ، والترمذي ٢٦٩ ، وغيرهم . ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها عند مسلم والترمذي أيضاً ، والطيالسي ٤٨٢ بلفظ : «كان إذا سلّم لا يقعد - يعني بعد الصلاة - إلّا بقدر ما يقول : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ . . . إلخ» .

وهذا كان يفعله أحياناً وأحياناً كان يقعد حتى يخرج المعقبات ،

وأحياناً يجلس يتحدث مع أصحابه، وحضاً على الجلوس بعد صلاة الصبح للذكر حتى تطلع الشمس وتصلّى صلاة الشروق، وأخيراً بأن ذلك يقوم مقام حجة وعمرة تامّتين . . .

وبهذا تمّت سورة الرَّحْمَنِ، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلّى اللّهُمَّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْبِيَاؤُهُ
وَأُولُو الْأَرْحَامِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ

آياتها ست وتسعون، وأهدافها الكلام على القيامة وأهوالها، وانقسام الناس في ذلك اليوم الرهيب إلى ثلاثة أقسام: مقرَّبون، وأهل اليمين، وأهل الشمال، ثم بيان دلائل التوحيد والقدرة في الإنسان، والسحاب والمطر، والزرع والحراث والنار... ثم بيان عظمة القرآن وأنه ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ من ملائكة الرحمن.

من خصائص هذه السورة

- ١ - إذا قامت القيامة فإنها ستخفض أقوامًا لكفرهم وانحرافهم... وترفع آخرين لإيمانهم وطاعتهم لربهم، آية ٣.
- ٢ - بيان أصناف الناس يوم القيامة، وهم ثلاثة: مقرَّبون، وأهل اليمين، وأصحاب الشمال، آيات ٧ - ١١.
- ٣ - ذكر فاكهة الموز وهو الطلح، آية ٢٩.
- ٤ - إنَّ فاكهة الجَنَّةِ غير مقطوعة حسب الفصول، ولا ممنوعة إلا بالأثمنة كالدنيا، آيتان ٣٢، ٣٣.

- ٥ — إِنَّ نَسَاءَ الْجَنَّةِ سَيُنشِئُهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِشَاءً وَيُبَدِعُهُنَّ إِبْدَاعًا فِي غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ أَبْكَارًا عُرْبًا أْتْرَابًا، آيَات ٣٥ — ٣٧ .
- ٦ — ذَكَرَ الْحِرَاثَةَ وَالزَّرَاعَةَ بِلَفْظَيْهِمَا، آيَاتَانِ ٦٣ ، ٦٤ .
- ٧ — الْإِقْسَامُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ عَلَى عِظْمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَنَّهُ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، آيَات ٧٥ — ٨٠ .
- ٨ — ذَكَرَ مَشْهَدَ الْمَوْتِ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ، آيَات ٨٣ — ٨٥ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، قد سُبِّتَ، قال: «سَبَّيْتَنِي هُوْدُ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٨٠ تهذيبي، وفي الشمائل ٤٠، وأبو يعلى ٦٥/١، والحاكم ٣٤٣/٢، ٣٧٦، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي وعزاه في المجمع ٣٧/٧، ١١٨ لأوسط الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. وله شاهد عن أبي جحيفة رواه الترمذي في الشمائل رقم ٤١، وأبو يعلى ٣٦٣/١.

إنَّما خَصَّ هَذِهِ السُّورَ بِالذِّكْرِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْقَوَارِعِ، وَذَكَرَ أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَغْيِيرَ هَذَا الْعَالَمِ وَاضْمِحْلَالَهِ وَفَنَائِهِ وَقِيَامِ النَّاسِ لِلْبَعْثِ وَانْقِسَامِهِمْ إِلَى أَهْلِ سَعَادَةٍ وَأَهْلِ شَقَاوَةٍ، أَمَا هُوْدُ فَفِيهَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ خُطَابًا لَهُ ﷺ: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ».

وعن أبي ظبية رحمه الله تعالى قال: مرض عبد الله — ابن مسعود — في مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعتاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إنِّي

أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تُصِبْهُ فاقَةٌ أبداً».

رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٦٧٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٩١/٢، ٤٩٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهم، والحديث متفق على ضعفه، وبعض طرقه موضوعة، لكنني أوردته لحسن سياقة قصته وليكون القارئ على علم منه بضعفه، فإن كثيراً من الناس يعتمدون عليه فيحافظون على قراءة السورة قصد ذهاب الفقر والفاقة، وسيأتي في سورة الطلاق بيان ما يجلب الرزق ويذهب الفاقة.

قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.



عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاءت امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأني دخلت الجنة فسمعت وجبة ارتجّت لها الجنة، فنظرت فإذا قد جيء بفلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، حتى عدت اثني عشر رجلاً - وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك -، قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر السدخ، أو قال: إلى نهر البيدخ، قال: فغمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال: ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدها عليها، وأتوا بصحفة فيها بُسرة فأكلوا منها فما يقبلونها لشق إلا أكلوا منه فاكهة ما أرادوا وأكلت معهم. قال: فجاء البشير من تلك السرية فقال: يا رسول الله، كان من أمرنا كذا وكذا وأصيب فلان وفلان حتى عدت اثني عشر الذين عدتهم المرأة، قال رسول الله ﷺ: «عليّ بالمرأة»، فجاءت، فقال: «قُصَّ على هذا رؤياك»، فقصت، قال: هو كما قالت لرسول الله ﷺ.

رواه أحمد ١٣٥/٣، ٢٥٧ من طريقين، وكلاهما صحيح.

قوله: وجبة، بفتح الواو وسكون الجيم، أي: سمعت صوت الشيء الساقط. وقوله: ارتجّت، أي: تحركت لتلك الوجبة الجنة. وقوله: تشخب - بضم الخاء - أوداجهم، أي: تسيل عروقهم.

وفي هذا الحديث المشتمل على هذه الرؤيا بشارة أي بشارة للشهداء، وفيه ما دلّت عليه الآية الكريمة من أنّ أهل الجنة يتخيرون من فواكهها ويأكلون منها ما شاءوا... وتقدم في حديث الإسراء في سدرة المنتهى: فإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا نبقها مثل قلال هجر. رويها، أي البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في صلاة الكسوف. قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك كفت، فقال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا...» الحديث.

رواه مسلم ٢١٣/٦، ٢١٤، وغيره.

فواكه الجنة كثيرة ومتنوعة وأولياء الله من سكانها يتخيرون منها ما أرادوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَحِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾

٦١

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ طير الجنة كأمثال البُخت يرعى من شجر الجنة»، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنّ هذه لطيّرٌ ناعمةٌ، فقال: «أكلتها أنعمُ منها» قالها ثلاثاً، و «إني لأرجو أن تكون ممّن يأكل منها يا أبا بكر».

رواه أحمد ٢٢١/٣، بسند قد يحسن لشواهد.

وفي حديث أنس في الكوثر: «فيه طير أعناقها كأعناق الجُرّ».

رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٣٥٩ بسند صحيح على شرط مسلم.

البخت، بضم الباء وسكون الخاء: نوع من الإبل عظيمة الجثث. والجزر، بضم الجيم والزاي، جمع جزور: وهو الجمل.

وفي الحديث بيان بعض صفات طير الجنة التي سيأكل منها أولياء الله

فيها وأنها ناعمة، وأن آكلها أنعم منها لما سيكون عليهم، ويعلوهم من نضرة النعيم والبهجة والجمال، جعلنا الله تعالى بمنه وكرمه منهم بلا حساب ولا عتاب ولا سابقة عذاب آمين.

والاختلاف في التعبير في الآيتين ٢٠، ٢١، حيث عبّر في الفاكهة بقوله: ﴿مِمَّا يَخْتَارُونَ﴾، وفي الطير بقوله: ﴿وَمِمَّا يَشْتَهُونَ﴾، لا بدّ وأن يكون فيه سرّ وحكمة، وقد يقال: يتخيرون في الفواكه لكثرتها وتنوعها واختلاف أذواقها، أما الطير فيشتهون منها المقلي أو المشوي أو المطبوخ أو المُبَخَّر مع اختلاف ما يطبخ معه ممّا تشتهيهِ نفوسهم، واللحم لحم وإن اختلفت الطيور، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾.

﴿٢٢﴾

عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنة لمُجمَعًا للحوَرِ العِينِ يَرَفَعْنَ أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها قال: يَقُلْنَ: نحن الخالداتُ فلا نبيدُ، ونحن الناعماتُ فلا نبأسُ، ونحن الراضياتُ فلا نَسْخَطُ، طوبى لمن كان لنا وكُنّا له».

رواه الترمذي ٢٣٨٣، والحديث وإن كان فيه ضعف فإنّ له شاهدًا عن ابن عمر رواه الطبراني في الأوسط ٤٩١٤، وفي الصغير ٢٥٩/١، ٢٦٠، وسنده صحيح. انظر: المجمع ٤١٩/١٠.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أولُّ زُمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على صورة أشد كوكب دُرِّيّ في السماء، لا يبُولون ولا يتغَوّطون ولا يَنفِلُون ولا يَمْتَخِطُونَ، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين، وأخلاقهم على خَلْق رجل واحد على صورة أبيهم سِتُون ذراعًا».

رواه أحمد ٢/٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٣، والبخاري في الأنبياء ٣٣٢٧، وفي بدء الخلق ٣٢٤٥، ومسلم في الجنة ٢٨٣٤ وغيرهم.

قوله: ورشحهم، أي: عرقهم. وقوله: الألوّة، بفتح اللام الأولى وضم الثانية ثم واو مفتوحة مشدودة: هو العود القُمّاري الذي يُتَبَخَّرُ به. وقوله: على خلق رجل... إلخ: ورد بفتح الخاء وسكون اللام وبضمهما ولكل وجه ومستند، وإن كان السياق يدل على الأول.

والحديثان كآلية أن نساء الجنة يسمّين الحور العين، وسمّين بذلك لاشتداد بياض عيونهن وسواد سوادها مع غاية الجمال والبهاء، ولذلك قال في الآية: ﴿كَأَنَّهُنَّ اللَّوْلُؤُ﴾ في الصفاء والنقاء، وتقدّم وصفهن في سورة الرحمن بـ ﴿أَلْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، وبـ ﴿خَيْرَتٌ حِسَانٌ﴾. وجاء في صحيح البخاري وغيره عنه ﷺ في حديث: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلّعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». النصيف: الخمار.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، و ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾. ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، و ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾، فقبض بيده قبضتين، فقال: «هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي». رواه أحمد ٢٣٩/٥، وسنده لا بأس به.

والحديث صحيح بلا ذكر الآيتين، فله شواهد صحّ منها أربعة: عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق اللّه آدم عليه السلام حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذريةً بيضاء كأنهم الدرّ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذريةً سوداء كأنهم الحُمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي».

رواه أحمد ٤٤١/٥ وسنده صحيح.

وعن عبد الرحمن بن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي»، قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ».

رواه أحمد ٤/١٨٦، وابن حبان ٢/٥٠ بالإحسان، والحاكم ١/٣١، وصححه ووافقه الذهبي، وقال النور في المجمع ٧/١٧٦: ورجاله ثقات.

وعن أبي نضرة قال: مرض رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فبكى، فقيل له: ما يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ ثُمَّ أَقْرِرْهُ حَتَّى تَلْقَانِي»، قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبَضَ قَبْضَةَ بِيَمِينِهِ فَقَالَ هَذِهِ لِهَذِهِ وَلَا أَبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةَ أُخْرَى - يَعْنِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى - فَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ وَلَا أَبَالِي»، فَلَا أُدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا؟.

رواه أحمد ٥/٦٨ بسند صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ»، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْقَدَرِ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ ١/١٣٠ بسند صحيح.

فهذه الأحاديث كلها شواهد صحيحة لحديث الباب في الجملة، وهي تدلّ على أمور:

أولاً: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْرَجَ مِنْ كَتَفَيْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعَ ذُرِّيَّتِهِ وَكَانُوا فِي الصَّغَرِ كَالذَّرِّ.

ثانياً: فِيهَا ثُبُوتُ قَدْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْخَلْقِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْأُمُورِ سَبَقَ بِهَا عِلْمُ اللَّهِ وَكُتِبَتْ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَاللُّوحِ الْمَحْفُوظِ وَلَيْسَتْ مُسْتَأْنَفَةً كَمَا يَقُولُهُ الْقَدْرِيَّةُ الْمُبْتَدَعَةُ.

ثالثًا: أن الله عزَّ وجلَّ ميَّزَ بين أهل السَّعادة فجعلهم بيضًا، وبين أهل الشقاوة فجعلهم سودًا كالفحم عياذًا بالله تعالى منهم.

رابعًا: جعل لكل من الصنفين علامة يُعرفان بها، وهي الإيمان والعمل بمقتضاه أو ترك ذلك، ولذلك قال للسائل فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على مواقع القدر»، يعني كُلاًّ سَيِّسَرٍ لِمَا سَبَقَ لَهُ، كما جاء في الحديث الوارد من طرق عن جماعة من الصحابة: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وسيأتي إيراده في سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾.

خامسًا: أن الله عزَّ وجلَّ قضى وحكم وحكَّمهُ عدل بالجنة لأقوام، وبالنار لآخرين، بدون مبالاة بأحد ولا اكتراث، لأنَّ الملك ملكه والخلق خلقه، فلا معقب لحكمه ولا رادُّ لقضائه ولا يُسأل عمَّا يفعل. فنسأله تعالى أن يمنَّ علينا بالموت على السعادة.

سادسًا: ما ذكر في هذه الأحاديث من القبضتين واليمين . . . هي من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها وإمرارها كما جاءت مع التنزيه ونفي التشبيه.

قوله تعالى: ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٍ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنة شجرةً يسيرُ الرَّاكِبُ في ظلِّها مائة عام لا يقطعُها»، وقرأوا إن شئتم: ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٍ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٢٥١/١٠، ومسلم في الجنة ٢٨٢٦، والترمذي في التفسير ٣٠٧٥، وفي صفة الجنة ٢٣٤١، والنسائي في الكبرى ٤٧٩/٦ وغيرهم، ومثله عن أنس رواه الشيخان والترمذي ٣٠٧٦.

في الحديث بيان الظل الممدود في الآية، وأنَّ الرَّاكِبَ المُجِدِّ

لا يقطعه في مدّة مائة عام، والظل هنا لا نعرفه لأنه ليس هنالك شمس ولا قمر ينشأ عن ضوءهما ظل الأشجار. . . وإنما هو ظل ينشئه الله تعالى من أنوار لا ندركها الآن. وقوله: ﴿مَمْدُورٌ ﴿٢٠﴾﴾، قال المفسّرون: أي لا زوال له فهو دائم.

قوله تعالى: ﴿وَفَلَكَهٖ كَثِيرٌ ﴿٢١﴾﴾.

فيها حديث أنس المتقدم في رؤيا تلك المرأة وغيره.

وإذا كنا في الدنيا نرى الفواكه المختلفة الكثيرة المتنوعة، والدنيا بالنسبة للآخرة كالتراب مع الذهب. . . فكيف بفاكهة الآخرة التي ما رأت عين مثلها ولا سمعت أذن شبهها ولا خطرت على قلب بشر، إن وصفها بالكثرة من جانب الحضرة الإلهية يؤذن بما لا ندركه من كثرتها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ ﴿٣٨﴾ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يا رسول الله، هل نصلُ إلى نسائنا في الجنّة؟ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ».

رواه الطبراني في الأوسط ٧٢٢، والصغير ٧٩٥، والبزار ٣٥٢٥، قال النور ٤١٩/١٠: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثواب، وهو ثقة.

وعنه عن رسول الله ﷺ، أنه قيل له: أَنْطَأُ فِي الْجَنَّةِ؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دَحْمًا دَحْمًا، فإذا قام عنها رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بَكْرًا».

رواه ابن حبان ٤١٥/١٦، والبزار ٣٥٢٤ وغيرهما بسند حسن صحيح. وفي الباب أحاديث أشار إليها محقق الإحسان.

قوله: عذراء، أي: بكرة. وقوله: دَحْمًا دَحْمًا: في «النهاية» هو النكاح والوطء بدفع وإزعاج.

والحديثان يدلّان على أنّ نساء الجنة ليس فيهنّ نبيّةٌ، بل كلهنّ أبكارٌ كما نطقت بذلك الآية الكريمة، وحتى من جُمِعَت عادت بكرًا مطهّرة كما في الحديث الثاني. وفي الحديث الأوّل أنّ المؤمن ليوافق في اليوم مائة بكرًا، وذلك لما سيعطاه من القوة في ذلك.

وجاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يُعطى المؤمن في الجنة قوّة كذا وكذا من الجماع»، قيل: يا رسول الله، أويطيق ذلك؟ قال: «يُعطى قوّة مائة».

رواه الترمذي ٢٣٥٣ وصحّحه، وابن حبان ٢٦٣٥ بالموارد، وله شاهد عن زيد بن أرقم رواه الدارمي ٢٨٢٨ بسند صحيح.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَمْتُمَا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنّ ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وضربت بالبحر مرّتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد». وفي رواية: «نارُ بني آدم التي يُوقدون جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم»، فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافيةً فقال: «إنّها قد فضّلت عليها بتسعة وستّين جزءاً».

رواه أحمد ٢/٢٤٤، ٣١٣، ٤٦٧، والبخاري في بدء الخلق ٣٢٦٥، ومسلم في صفة الجنة ٢٨٤٣، ١٧٩/١٧، والترمذي ٢٤٠٨، وابن حبان ١٦/٥٠٣، ٥٠٤، بالإحسان.

في الحديث عظمة نار جهنّم، وأنها تعادل من نارنا تسعاً وستين مرة، ولذا قال الصحابة: إن كانت — يعنون نار الدنيا — لكافيةً للتعذيب. ولكن الله عزّ وجلّ وهو أحكم الحاكمين جعلها كذلك ليعذب بها من كفر به وعبد غيره وطغى في هذه الحياة وعتا وتجبّر، فهم فيها كما قال تعالى في

سورة النساء: ٥٦: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ،
وكما قال في سورة الإسراء: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٧٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَهَذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أَمْ نَأْتِي لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٧٨﴾ .
فلأمثال هؤلاء أُعِدَّتْ تلك النار عيادًا بالله تعالى منها ومن أهلها .

والآية الكريمة جيء بها كأخواتها مبدوءة بـ : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ لإقامة
الحجّة على الكفار، والدلالة على وحدانيته تعالى، وعلى عظمة القدرة
الإلهية، وأنه تعالى الذي يخلق الإنسان من المني الذي يمنونه هو الذي
ينبت الزروع من البذر الذي يُلقونه في المزارع، وأنه الذي ينزل الماء العذب
من السحاب ولو شاء لجعله مالحًا شديد الملوحة، ثم جاء دور النار وأنه
تعالى الذي أنشأ شجرتها وجعلها تذكرة للنار الكبرى إذا رآها الناس تذكروا
بها جهنّم فيخافون عقابه ويطيعونه ويتقونه .

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعَلَمُونَ
عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٤﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٣﴾
تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ
تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُطِرَ النَّاسُ على عهد
رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ،
قَالُوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدقَ نوءُ كذا وكذا»، قال:
فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجْمَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ .

رواه مسلم في الإيمان رقم ٧٣ ج ٢/ ٦١، ٦٢، ونحوه في الصحيحين عن زيد بن
خالد الجهني .

مواقع النجوم، أي: منازلها وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها.
وقيل: مساقط غروبها ونزولها.

وإنما قال تعالى في شأن القسم: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦)؛
لما في المقسم به، وهي مواقع النجوم من عظيم دلائل القدرة لو كنا نعلم
حقيقة الأمر وما أودع تعالى في هذه الكواكب وبروجها وأفلاكها وما ينشأ
عنها في هذا العالم من تغيرات.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨): هذا الكتاب الصحيح أنه اللوح
المحفوظ. وقوله في الحديث: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ»، أي: مؤمن وهو
الذي يقول: هذه رحمة الله تعالى. وقوله: نوء كذا: النوء هو النجم؛
والمطر والغيم، وكان أهل الجاهلية يعتقدون التأثير للنجوم، فكانوا ينسبون
المطر إليها. تعالى الله عما يقول الظالمون.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٦).

﴿٧٦﴾

عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رحمهم الله تعالى
قال: إنَّ في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم: «أن لا يمسَّ
القرآن إلا طاهر».

رواه مالك في الموطأ، باب الأمر بالوضوء لمن مسَّ القرآن، وهو مرسل صحيح.
ورواه ابن حبان ٧٩٣ بالموارد، والحاكم ٣٩٥/١ متصلاً، وصححه الحاكم وغير واحد
من الحفاظ. ورواه أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة
عبد الله بن أبي بكر... إلخ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذه وجادة جيِّدة قرأها
الزهري وغيره، قال: ومثل هذا ينبغي الأخذ به... وانظر ما سبق أول سورة المائدة.

في الآية الكريمة إخبار عن القرآن الكريم بأنه في اللوح المحفوظ،
وأنه لا يمسُّه إلا المطهَّرون وهم ملائكة الله عزَّ وجلَّ. هذا قول المفسرين،

ولم يذكر ابن جرير سواه عن مفسري السلف . فاستدلال بعض الفقهاء بالآية على تحريم مس القرآن لغير الطاهر وحملهم الآية على أنها نهى غير سديد بل هو خبر . .

والدليل على ما ذهبوا إليه هو حديث عمرو بن حزم المذكور مع حديث الإمام علي رضي الله تعالى عنه : « كان رسول الله ﷺ يُقرئنا القرآن ما لم يكن جُبْنًا » .

رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وصححه الترمذي خلافاً لمن طعن فيه .

قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿٨٢﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا، وقال : وتجعلون شكركم أنكم تُكذِّبون » .

رواه ابن جرير ٢٧/٢٠٨، قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وما فسر به ابن عباس جاء مثله عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه، رواه الترمذي ٣٠٧٨، وابن جرير ٢٧/٢٠٨، وابن أبي حاتم ١٠/٣٣٣٤ .

قال ابن جرير في معنى الآية : وتجعلون شكر الله على رزقه إيتاكم التكذيب . يعني بدل أن يشكروا الله على ما أنزل عليهم من مطر ورحمة فيؤمنوا به ويطيعوه، قابلو ذلك بالتكذيب والكفران بنسبة ذلك إلى الأنواء .

قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿١٦﴾

﴿١٦﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » .

رواه البخاري في الدعوات ٦٤٠٦، وآخر كتابه وهو ختم مسكه، ومسلم في الذكر ٢٦٩٤، والترمذي في الدعوات ٣٢٤٠ بتهذيبي، وابن ماجه ٣٨٠٦ .

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

رواه البخاري في الأدعية ١٣/٤٦٢، ٤٦٣، والترمذي ٣٠٣٩، وابن ماجه ٣٨١٢.

في الحديثين فضل تسييح الله تعالى وتحميده وتعظيمه، وأن ذلك من موجبات الجنة ومكفّرات الذنوب، وأن ذلك ممّا يحبه الله عزّ وجلّ.

وقد جاء عن عُبّة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: لمّا نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولمّا نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قال: «اجعلوها في سجودكم».

رواه أبو داود ٨٦٩، وابن ماجه ٨٨٧، وكذا أحمد ٤/١٥٥، وابن خزيمة ٦٠٠، ٦٧٠، والحاكم ١/٢٥٥، ج ٢/٤٧٧، وصحّحه ووافقه الذهبي في الموضع الثاني. وصحّ ذلك من فعله ﷺ، رواه أحمد ٥/٣٨٤، ومسلم ٧٧٢، وأهل السنن عن حذيفة.

وبه تمّت سورة الواقعة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْحَدِيدِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّلَى اللّٰهَ وَكَلَّمَ بَارِكًا عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللّٰهَ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَمُزَبِّ

وهنا جاء دور السور المدنية أيضًا، وهي عشر سور متواليات، وهي الآتية: الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم.

وهذه السورة تسع وعشرون آية، وأهدافها التربية الإسلامية والتشريع الحكيم، والتوجيه والتزهد في هذه الحياة، ولم تخل من ذكر أسماء الله وصفاته ودلائل توحيده.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر أربعة أسماء لله عزَّ وجلَّ الدالَّة على أوَّلِيته بلا بداية، وآخريته بلا نهاية، وظهوره للعقول بدلائل قدرته، وباطنيته بحيث لا تدركه الأبصار، ولا تتصوَّره العقول، آية ٣.
- ٢ — معيَّته تعالى مع خلقه أينما حلُّوا وارتحلوا، فهو رقيب عليهم لا تخفى عليه خافية منهم، آية ٤.

- ٣ - بيان أنه لا يستوي المهاجرون والأنصار الأولون ممن آمن وأنفق وقاتل، مع من جاء بعد الفتح فآمن وأنفق وقاتل، علمًا بأن جميعهم وعدهم الله الحسنَى، آية ١٠ .
- ٤ - ذكر مشهد رهيب للمنافقين يوم القيامة حيث سيحال بينهم وبين المؤمنين بسور باطنه لجهة المؤمنين رحمة وظاهره عذاب للمنافقين، آية ١٣ .
- ٥ - لفت أنظار المؤمنين إلى الاتِّصاف بالتخشُّع ولين القلوب وأن لا يكونوا كأهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد ففَسَّت قلوبهم، آية ١٦ .
- ٦ - من آمن بالله ورسوله إيمانًا خالصًا صادقًا كان من الصَّديقين، آية ١٩ .
- ٧ - التزهيد في هذه الحياة ووصفها بخمس صفات ساقطة هابطة: لعب، لهو، زينة، تفاخر، تكاثر، آية ٢٠ .
- ٨ - ذكر آية تدلُّ على أن كل ما يقع في هذه الحياة ويحدث من مصيبة سواء كانت في هذا الكون أو فيمن عليه من الخلق هي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن يوجدها الله ويخلقها. وهي تسلية لكل مبتلى في هذه الحياة، فمن تفكَّر فيها هانت عليه المصائب والأحداث أيًا كانت إذا كان مصحوبًا بالإيمان بالله ورسوله ﷺ، آيتان ٢٢، ٢٣ .
- ٩ - ذكر الحديد وما فيه من بأس شديد ومنافع للناس، وهو من باب الإعجاز العلمي، آية ٢٥ .
- ١٠ - جعل الله عزَّ وجلَّ في بني نوح وإبراهيم النبوة والكتاب، آية ٢٦ .
- ١١ - ذكر الرهبانية التي ابتدعها النصارى ولم يراعوها حق رعايتها، آية ٢٧ .

١٢ — من اتقى الله وآمن برسوله ﷺ كافأه الله عزَّ وجلَّ بثلاث كرامات: يجعل له كفلين من رحمته، ويعطيه نورًا في هذه الحياة، ويغفر له ما فرط من ذنبه، آية ٢٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، إِقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» .

رواه أحمد ٣٨١/٢، ٤٠٤، ٥٣٦، ومسلم في الذكر ١٧/٢٥، ٣٧، وأبو داود في الأدب ٥٠٥٠، والترمذي في الدعوات ٣١٨٠، ٣٢٥٣، وابن ماجه ٣٨٧٣.

قوله: فالق الحب... إلخ، أي: يا من فلقهما فأخرج منهما الزرع والنخيل... وقوله: من شر كل ذي شر، يدخل فيه كل شرير من الإنس والجن والحيوان، فهو من الجوامع.

والحديث مفسر للآية الكريمة وأنه تعالى أول لم يكن قبله أحد، وآخر لا يبقى بعده أحد، وأنه الظاهر ظهورًا ليس فوق ظهوره أحد، وأنه باطن بحيث لا يُدركه أحد. وهذا التفسير أولى مما نقله البخاري رحمه الله تعالى عن يحيى بن زياد الفراء، حيث قال: الظاهر على كل شيء علمًا، والباطن على كل شيء علمًا فهو وإن كان محتملاً فما فسره به

النبي ﷺ مقدم عليه، «وإذا ظهرت شمس الله بطلت شمس معقل»، أو كما قالوا.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما كلامٌ، فقال خالدٌ لعبد الرحمن: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّامِ سَبَقْتُمُونَا بِهَا؟! فبلغنا أَنَّ ذَلِكَ ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبًا ما بلغتكم أعمالهم».

رواه أحمد ٢٦٦/٣ وسنده صحيح على شرط البخاري. وهو في صحيح مسلم ٩٢/١٦، ٩٣ عن أبي سعيد الخدري بهذه القصة. وجاء عن أبي هريرة في صحيح مسلم أيضًا ٩٢/١٦ بلفظ: لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدًّا أحدهم ولا نصيفه».

الآية وما ذكر من الأحاديث تدلُّ على أنَّه لا يستوي السابقون من الصحابة مع اللاحقين منهم وإن كانوا جميعًا تشملهم البشارة بدخول الجنة.

وقوله ﷺ: «دعوا لي أصحابي»، هذا كان خطابًا للصحابة اللاحقين، وإذا كان هذا فيما بينهم رضي الله تعالى عنهم فكيف بمن جاء بعدهم. ومن هنا يعرف خطر من ينتقد الصحابة فأحرى من يسبهم ويلعنهم كما هو شأن الشيعة الروافض من الإمامية الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ...﴾ إلخ، معناه: لا يستوي في الفضل من آمن وأنفق ماله وقاتل الأعداء مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من آمن وأنفق ماله وقاتل بعد فتح مكة، أولئك – يعني الأولين – أعظم أجرًا، وأرفع منزلة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلًّا مَنَّ آمَنَ

وأنفق وقاتل قبل الفتح وبعده وعده الله الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات .

قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . » وفي رواية : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ . . . » ، إلخ قال : « وكان عرشه على الماء » .

رواه أحمد ١٦٩/٢ ، ومسلم ٢٠٣/١٦ ، والترمذي ١٩٨٧ كلاهما في القدر .

قال العلماء رحمهم الله : المراد بكتابة مقادير الخلائق تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ ، لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له .

وفي الآية والحديث دليل على أن الله تعالى فرغ من كل شيء ، وأن كل ما يقع في هذا العالم من خير أو شر ، طاعة أو معصية . . . هو مكتوب ومسطور ومقدَّر في اللوح المحفوظ ، وهذا من كليات الإيمان الست ومن تحقق بهذا المقام هانت عليه البلايا واستراح من تعب طلب الدنيا والسعي وراء الرزق بتلهُّف . . . وقوله تعالى : ﴿ نَبْرَأَهَا ﴾ ، أي : نخلقها .

قوله تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كانت مُلُوكٌ بعد عيسى عليه السلام بدَّلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل ، قيل لملوكهم : ما نجد شتمًا أشدَّ من شتم يشتمونا هؤلاء إنهم يقرؤون : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، مع ما يعيونا به في

أعمالنا في قراءتهم فاذعهم فليقرؤوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنّا، فدعاهم فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلّا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطواناتاً، ثم ارفعونا إليها ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم، وقال طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحفر الآبار ونحترث البقول، ولا نردّ عليكم ولا نمزّ بكم. وليس أحد من القبائل إلّا وله حميمٌ فيهم. قال: ففعلوا ذلك فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، والآخرون قالوا: نتعبّد كما تعبّد فلان، ونسيح كما ساح فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بُعث النبي ﷺ لم يبقَ منهم إلّا قليل انحطّ رجلٌ من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحبُ الدّير من ديره، فآمنوا به وصدّقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ أجرين، بإيمانهم بعيسى عليه السلام وبالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ قال: ﴿لَيْسَ لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِلَهٌ يَخْشَوْنَ﴾ الذين يتشبّهون بكم ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

أخرجه النسائي في الكبرى ٦/٤٨٠، ٤٨١، وفي أدب القضاة من المجتبى ٥٤٠٠، وسنده صحيح، وعطاء بن السائب ثقة، وسفيان الثوري سمع منه قبل الاختلاط.

هذا الحديث يصرّ لنا ذلك المجتمع المسيحي الجاهلي وما فعله ملوكهم المنحرفون من تبديل الإنجيل حسب أهوائهم وما صار إليه أمرهم

من مضايقة المؤمنين الملتزمين بتعاليم التوراة والإنجيل وهمهم بقتلهم فكان ذلك سبباً في مهاجرتهم ذلك المجتمع الكافر وسياحتهم في الأرض واتخاذهم الصوامع والديرات وابتداعهم الرهبانية والانقطاع للعبادة والزهد في التزوّج، وكان قصدهم في ذلك طلب مرضاة الله عزّ وجلّ لكنهم لم يقوموا بما التزموه ولم يراعوه حقّ رعايته . . كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فلما جاء الإسلام أبطل الرهبانية وجاء بالقصد والاعتدال، فأمر بالتزوّج وحذّر من الرغبة عنه، وجعل رهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله .

وقد ورد عنه ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ رَهْبَانِيَّةٌ، وَرَهْبَانِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» .

رواه أحمد ٢٦٦/٣ من حديث أنس بن مالك، وهو وإن كان في سنده زيد العمي، وهو ضعيف، فإنّ له شاهداً رواه أحمد ٨٢/٣ عن أبي سعيد الخدري عنه ﷺ: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام»، وسنده لا بأس به . وجاء في حديث آخر عنه ﷺ: «لا ضرورة في الإسلام»، رواه أحمد برقم ٢٨٤٥، وأبو داود ١٧١٣، والحاكم ٤٤٨/١، وصحّحه وأقرّه الذهبي، وهو من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

والضرورة هو التبتّل والرغبة عن التزوّج لأنّ ذلك من فعل الرهبان وليس من أخلاق أهل الإسلام . وهذا بلا شك ممنوع إذا حرم الإنسان علمه نفسه النساء وترك ذلك رغبة عن السنة، أما من لم تكن له رغبة فيهن وخاف على نفسه من فتن الحياة وانقطع للعبادة فلا لوم عليه في ذلك، وقد كان على هذا كثير من سلف هذه الأمة، والله تعالى أعلم .

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة

يؤتون أجرهم مرتّين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بي فله أجران. . . . الحديث.

رواه الشيخان، وتقدّم في القصص، آية رقم ٥٤.

والآية الكريمة حملها ابن عباس على أهل الكتاب كما في الحديث المذكور، وهو اختيار ابن جرير في تفسيره، وقال آخرون: إنها في هذه الأمة، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ﴾، أي: ضعفين.

وبهذا تمّت سورة الحديد، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.



﴿سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَرَكَّعًا وَعَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَاللَّهِ وَهَجْبٍ وَزَوْجٍ وَعَرْبٍ

آياتها ثنتان وعشرون، وموضوعها بيان حكم الظهار، والمناجاة الأثيمة، وأدب المجالس، وذكر بعض صفات اليهود السافلة، ثم بيان عوار المنافقين وبعض صفاتهم الخاصة بهم، ثم ذكر وجوب معاداة أعداء الله عزَّ وجلَّ.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر الظهار وأحكامه وبيان أنه كذب وزور، وأن الأمهات هنَّ الوالدات، آية ٢.
- ٢ - إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ أَهْلِ النَّجْوَى قَلَّوْا أَمْ كَثُرُوا ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾، آية ٧.
- ٣ - ذكر تحية اليهود لنبي الله بغير ما حيَّاه الله لغزاً منهم وسباً وشتماً له ﷺ، آية ٨.
- ٤ - النهي عن النجوى الأثيمة والتحذير منها، آية ٩.
- ٥ - بعض آداب المجالس وهو التوشع والتفشح للقادم، آية ١١.
- ٦ - رفع درجات ذوي العلم العاملين، آية ١١.

- ٧ - تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول عليه الصلاة والسلام وقد نسخت، آية ١٢ .
- ٨ - ذكر بعض صفات المنافقين التي لم تذكر في غير هذه السورة وبيان أنهم حزب الشيطان الخاسرون، آيات ١٤ إلى ١٩ .
- ٩ - ذكر وصف خاص بالمؤمنين حقاً، وأنهم لا يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا أحبَّ النَّاسِ إلى الإنسان وأقربهم إليه، وأنَّ هؤلاء المؤمنين هم حزب الله المفلحون، آية ٢٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .»

رواه أحمد ٤١/٦، والنسائي في الكبرى ٤٨٢/٦، وفي الظهار من المجتبي رقم ٣٤٦٠، والحاكم ٤٨١/٢، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، وذكره البخاري في التوحيد معلقاً رقم ٧٣٨. ورواه ابن ماجه ٢٠٦٣ بلفظ: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء»، وهو عند الحاكم أيضاً ٤٨١/٢، وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، ورواه أحمد ٤١٠/٦ عن خولة نفسها، ويأتي قريباً.

الظهار: هو أن يقول الإنسان لزوجته أنت عليّ كظهر أمي، وكان هذا سائداً بين أهل الجاهلية، فكان أوس بن الصامت أول من ظاهر من امرأته خولة بنت ثعلبة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيها قرآناً، وسمَّى الظهار كذباً وزوراً، وأمره بالكفارة المذكورة في صدر السورة.

وفي الآية والحديث عظمة الله عز وجل وكبرياؤه، فالسيِّدة رضي الله تعالى عنها لم تسمع كلام خولة وهي معها في البيت، والله تعالى سمعها سبحانه فجلَّ ربنا ما أعظم شانك وأرفع مكانك وأعز سلطانك، لا إله إلا أنت ربنا وإلهنا، لا إله لنا سواك، ولا رب لنا غيرك، تعاليت عن الممثل والشبيه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

عن خولة بنت ثعلبة رضي الله تعالى عنها قالت: والله فيّ وفي أوس بن صامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلاً والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

قالت: فواثني وامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقبته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه».

قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سرّني عنه فقال لي: «يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك»، ثم قرأ علي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا . . .﴾ إلى

قوله: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فقال لي رسول الله ﷺ: «مُرِيهِ فليعتق رقبة»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين»، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «فَلْيُطْعِمَ سِتِّينَ مَسْكِينًا وَسَقَا مِنْ تَمْرٍ»، قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإِنَّا سَنَعِينَهُ بِعَرَقِ مَنْ تَمْرٍ»، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، قال: قد أصببت وأحسنيت، فاذهبي فتصدّقي عنه ثم استوصي بآبن عمك خيرًا»، قالت: ففعلتُ . . .

رواه أحمد ٦/٤١٠، ٤١١، وأبو داود ٢٢١٤، ٢٢١٥، وابن حبان ١٠٧/١٠، ١٠٨، والبيهقي ٧/٣٩١، ٣٩٢، وابن الجارود ٧٤٦ وغيرهم، وهو صحيح، وابن إسحاق صرّح بالتحديث، ومعمّر بن عبد الله بن حنظلة حديثه حسن في الشواهد.

وللحديث شواهد ومنها الآتي:

عن سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كنت رجلاً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان تظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرّقاً من أن أصيب منها في ليل فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشّفت لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري فقلت: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمرى، فقالوا: لا والله لا نفعل، نتخوّف أن ينزل فينا قرآن، أو يقول رسول الله ﷺ فينا مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك. قال: فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبري فقال: «أنت بذاك؟»، قلت: أنا بذاك، قال: «أنت بذاك؟»، قلت: أنا بذاك، قال: «أنت بذاك؟»، قلت: أنا بذاك، فأمض في حكم الله تعالى فإني

صابر لذلك، قال: «اعتق رقبة»، قال: فضربت صفحة عُتْقِي بيدي فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «فصم شهرين»، قلتُ: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام، قال: «فأطعم ستين مسكينًا»، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشاء ما لنا عشاء، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق، فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقًا ستين ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك»، قال: فرجعتُ إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيقَ وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله ﷺ السَّعة والبركة؛ أمر لي بِصَدَقَتِكُمْ فادفعوها إليَّ. فادفعوها إليَّ . . .

رواه أحمد ٣٧/٤، وأبو داود ٢٢١٣، والترمذي ١٠٨٠، ٣٠٨٢ تهذيبي، وابن الجارود ٧٤٤، وابن ماجه ٢٠٦٣، والحاكم ٢/٢٠٣، ورجاله ثقات، وفيه عننة ابن إسحاق مع انقطاع فيه، لكنه رواه الترمذي في الظهار ١٠٨٢، والحاكم ٢/٢٠٤، والبيهقي ٣٨٦/٧، ٣٩٠ من طريق آخر مرسلًا بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وله شاهد آخر أيضًا عن ابن عباس رواه أبو داود ٢٢٢٣، والترمذي ١٠٨١، وابن ماجه ٢٠٦٥، والحاكم ٢/٢٠٤، والبيهقي ٣٨٦/٧، وسنده حسن في الشواهد. أما الترمذي فقال فيه: حسن غريب صحيح. وحسنه الحافظ في الفتح.

ظاهر حديث سلمة بن صخر أن نزول آية الظهار كانت بسببه، والصحيح أن سببها هو أوس بن الصامت و بنت عمّه خولة بنت ثعلبة كما في حديثي عائشة وخولة المتقدمين، وفي الآية وما ذكرنا من الأحاديث وجوب كفارة الظهار، وأنها تجب قبل المماسه، وهي إما عتق رقبة، فإن فقدت وجب صيام شهرين متواليين، فمن لم يستطع ذلك لكبر أو ضعف أو مرض فعليه أن يطعم ستين مسكينًا. وهذا الحكم لا خلاف فيه.

ملاحظة: الظهار من الأمور التي كانت سائدة في الجاهلية، فجاء الإسلام واعتبرها، وأوجب فيها كفارة، كما أقرّ النكاح والقسامة وغير ذلك مع إدخال تعديلات عليها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل يهودي على النبي ﷺ فقال: السام عليك، فقال النبي ﷺ: «وعليك»، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: وعليك السامُ وغضبُ الله. قالت: فخرج اليهودي فقال النبي ﷺ: «يا عائشة، إنَّ الله تبارك وتعالى لا يُحبُّ الفاحش والمتفحش»، قالت: يا رسول الله، أما تدري ما قال؟ قال: «وما قال؟»، قالت: قال السامُ عليك، فهو قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، قال: فخرج اليهودي وهو يقول بينه وبين نفسه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾.

وفي رواية: ... فقلت: بل عليكم السامُ واللعنة، قال النبي ﷺ: «يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في الأمرِ كلِّه»، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قلت: عليكم».

رواه البخاري ٦٩٢٧ في استتابة المرتدين، ومسلم في السلام ١٤٦/١٤، ١٤٧، ١٤٨، والنسائي في الكبرى ٤٨٢/٦، وابن ماجه ٣٦٩٨. ورواه البخاري ومسلم أيضاً عن أنس وابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

في الآية الكريمة والحديث الشريف بيان ما كان عليه اليهود الملاعين من المكر والدهاء والتخلُّق بالأخلاق الهابطة ونفاقهم... فيها هم يحيون سيّد الخلق ﷺ والمسلمين بما ظاهره تحيةً وسلام، وباطنه سبٌ وشتم فيفضحهم الله عزَّ وجلَّ ويكشف عوارهم وبوارهم، عليهم لعائن الله

المتوالية أبدأ الآبدین . وفی الحدیث الأمر بالرفق والمعاملة بالتي هي أحسن حتى مع الكفار، وخاصة بالنسبة إلى الدعاة إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلَنَجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجُوا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١).

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما حتى يختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه».

رواه أحمد ١/٤٦٠، ٤٦٢، وفي مواضع، والبخاري في الاستذنان ٦٢٩٠، ومسلم في السلام ٢١٨٤، وأبو داود في الأدب ٤٨٥١، والترمذي ٢٦٣٦، وابن ماجه ٢٧٧٥، وغيرهم.

التناجي هو كلام رجلين أو ثلاثة سرًا فيما بينهم دون باقي الناس، وهذا هو الذي جاءت فيه الآية الكريمة ناهية عنه، فإذا كان مصحوبًا بالإثم فهو محرم، وإن كان سوى ذلك فلا بأس به إن كان الناس مختلطين، فإن كانوا ثلاثة وتناجى اثنان دون صاحبهما فيحرم؛ لأن ذلك يحزنه ويوقعه في سوء الظن بالمتناجين.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١).

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا».

رواه أحمد ٢/٨٩، ١٢٦، والبخاري في الجمعة في الاستذنان ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧، وأبو داود ٤٨٢٨، والترمذي في الاستذنان ٢٥٦٣، تهذيبي، وغيرهم.

الآية والحديث يدلان على أن الجالس لا يقام من مجلسه ليجلس فيه غيره؛ لأن ذلك ينافي الأدب ويمس بحرمة المؤمن ويحرجه، والواجب في الأدب الإسلامي أن يتوسَّعوا، وهو التفسُّح في الآية، وفيها إشارة إلى فضل التوسُّع وأن ذلك يوجب التفسُّح في رحمة الله تعالى وجنته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ اُنشُرُوا فَاُنشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ اَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ اٰتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه، أن نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعُسفان، وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أْبْرَى، قال: ومن ابن أْبْرَى؟ قال: رجل من الموالي، قال عمر: استخلفت عليهم مولى، فقال له: إنه قارىء لكتاب الله تعالى وإنه عالم بالفرائض، فقال: أما إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله ليرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»، وفي رواية: «بهذا الكتاب».

رواه أحمد ١/٣٥، ومسلم في فضائل القرآن ٦/٩٨، والدارمي ٣٣١٨، وابن ماجه ٢١٨، وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿اُنشُرُوا﴾، أي: ارتفعوا وتنحوا عن المجلس وانفضوا ليقع التوسُّع. فالآية الكريمة تدل على أن من وسَّع لأخيه في المجلس وقام حتى يقع التفسُّح، وتواضع له رفعه الله درجة، هذا في مطلق المؤمنين، أما إذا كان من أهل العلم بالله وبأحكامه، فتواضع في هذا المشهد فسيرفعه الله درجات لا يعلم عددها إلا الله... وهذا الذي دلَّ عليه الحديث المذكور، فإن من حفظ القرآن وتعلَّم أحكامه.. رفعه الله عزَّ وجلَّ في الدنيا والآخرة ولو كان في الدنيا من بيت وضيع ونسب غير حسيب ولا شريف.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفرٌ من المسلمين قد كاد يقلصُ عنهم الظل قال: فقال: «إنَّه سيأتيكم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تُكلموه»، قال: فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلَّمه، فقال: علامَ تشتمني أنت وفلان، وفلان، نفرٌ دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

رواه أحمد ١/٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠، والحاكم ٢/٤٨٢، وصحَّحه وقد جاء من طرق صحيحة.

في الآية الكريمة بيان بعض صفات المنافقين وهو حلفهم على الكذب والبهتان، حتى في الآخرة سينافقون الله ويحلفون له بأنهم كانوا مسلمين ولم يكونوا مشركين كما كانوا يحلفون للنبي ﷺ في غير ما مشهد، من ذلك ما في هذا الحديث، فهذا المنافق قد شتم النبي ﷺ مع أصحابه في خفاء، ولما واجهه النبي ﷺ بذلك وفضحه بوحي من الله عزَّ وجلَّ جعل يحلف له مع أصحابه ويعتذرون إليه، فنزلت الآية الكريمة تخبر بكذبهم ومآلهم يوم القيامة.

وبهذا تمَّت سورة المجادلة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْحُشْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّ وَهَجَبَ وَزَوَّجَ وَعَزَبَ

هي أربع وعشرون آية، وأهدافها التشريع الإسلامي من أحكام الجهاد والغنائم وبالأخص ما يتعلق بغزوة بني النضير، وما وقع فيها ونزل باليهود، وما أخذه المسلمون من غنيمة وفيء، وبيان أصحابه الذين يستحقونه، ثم التعرُّض للمنافقين الذين تعاهدوا مع يهود بني النضير ضد المسلمين، وخُتمت السورة بذكر أسماء الله الحسنى، كما فُتحت بتسبيح كل ما في السموات والأرض لله عزَّ وجلَّ.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر غزوة بني النضير وعليها مدار السورة الكريمة، ولذا سمَّها بعض الصحابة سورة بني النضير.
- ٢ - ذكر آية طالما استدلَّ بها جمهور الأصوليين على اعتبار القياس من أدلة الفقه الإسلامي: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأْتُوا لِيَأْبَسُوا﴾، آية ٢.
- ٣ - مشروعية قطع أشجار الكفار المحاربين، وليس ذلك من الإفساد المنهَى عنه؛ لأنَّ في هذا نكاية للعدو وإغاظة لهم، آية ٥.

- ٤ - بيان الفيء وحكمه ومصارفه وحكمة قسمته، آيات ٦ - ٨ .
- ٥ - تلك الآية العظيمة التي تعدّ أصلاً أصيلاً لاتباع الرسول ﷺ في الأمر والنهي، آية ٧ .
- ٦ - مدح الفقراء المهاجرين والأنصار بخصال خاصة راقية، آيتان ٨ ، ٩ .
- ٧ - من صفات المسلم المتأخّر مع إخوانه السابقين الاستغفار لهم والدعاء معهم بخير، آية ١٠ .
- ٨ - موقف فاشل كاذب للمنافقين مع اليهود في تعاهدهم ضد الإسلام وبيان عاقبة أمرهم، آيات ١١ - ١٥ .
- ٩ - ضرب مثل للكافر مع الشيطان إذ قال له: اكْفُرْ، فلمّا كفر قال: إِنِّي بريءٌ منك، آيتان ١٦ ، ١٧ .
- ١٠ - ختام السورة الكريمة بذكر أسماء الله الحسنی وصفاته العلی، وذكر من ذلك نحوًا من ثلاثة عشر اسمًا، آيات ٢٢ - ٢٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُسُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفٰسِقِينَ ﴾ .

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطعها، وهي البؤيرة، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُسُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفٰسِقِينَ ﴾ .

رواه أحمد ٦٠٥٤ ، ٦٢٥١ ، والبخاري في المغازي وفي التفسير ٢٥٤ / ١٠ ، ومسلم في الجهاد ١٧٤٦ ، والترمذي في السير ١٤١٩ ، وفي التفسير ٣٠٨٥ تهذيبي ، وأبو داود ٢٦١٥ ، والنسائي في الكبرى ٤٨٣ / ٦ ، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٤٤ .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ ... ﴾ الآية، قال: اللينة: النخلة. ﴿ وَلِيُخْرِىَ الْفٰسِقِينَ ﴾ :

قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحَزِي الْأَفْسَقِينَ ﴿٥﴾ ۝ .

رواه الترمذي في التفسير ٣٠٨٦، والنسائي في الكبرى ٤٨٣/٦، وسنده صحيح على شرط البخاري في طريق عند الترمذي.

اللين: هي النخلة كما فسرها ابن عباس. والبؤيرة، بالتصغير: أرض لليهود ببني النضير.

وفي الآية والحديث مشروعية تحريق أشجار أهل الحرب وقطعها عند قتالهم، ولا يعد ذلك من الإفساد وتبذير الأموال بل في ذلك أجر وثواب، فإن كل ما يغيظ الكفار ويسيء إليهم ويحزنهم فيه أجر... وفي هذه الغزوة عبرة لمن يعتبر من الكفار الذين يخفرون العهود ضد المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِن خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ۝ .

عن مالك بن أوس بن الحدَّان، عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كانت أموال بني النضير ممَّا أفاء الله على رسوله ممَّا لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عُدَّة في سبيل الله.

رواه البخاري في التفسير ٢٥٤/١٠، وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد والسَّير

١٧٥٧، وأبو داود في الخراج ٢٩٦٥، والترمذي في الجهاد ١٥٧٧، والنسائي في الكبرى ٤٨٤/٦، وفي المجتبى .

وعنه أيضًا: أن عمر رضي الله تعالى عنه قال: سأخبركم بهذا الفيء، إن الله تعالى خصَّ نبيه ﷺ بشيء لم يعطه غيره فقال: ﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ . فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة، فوالله ما اختارها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، وكان رسول الله ﷺ ينفق منه على أهله سنتهم ثم يجعل ما بقي في مال الله عزَّ وجلَّ .

رواه البخاري في فرض الخمس ٣٠٩٤، وفي المغازي ٤٠٣٣، وفي الاعتصام ٧٣٠٥ وفي مواضع، ومسلم في الجهاد ١٧٥٧، وأبو داود في الخراج ٢٩٦٣، والترمذي في السير ١١٧٦، والنسائي في المجتبى ٤١٤٨، وفي الكبرى ٤٨٣/٦، ٤٨٤، مطوَّلًا ومختصرًا .

الإيجاف: سرعة السير . والفيء: ما أخذ من الكفار بدون حرب ولا قتال، وكانت أموال بني النضير من هذا القبيل ففرَّقها النبي ﷺ كما أمره الله عزَّ وجلَّ وخمَّسها على خمسة أسهم: سهم لله ولرسوله ﷺ، ثم ذوي القربى، ثم اليتامى، ثم المساكين، ثم ابن السبيل، وهي مصاريف الغنائم والأنفال . وكان الخليفان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قاما بذلك أحسن قيام بعد النبي ﷺ، هذا حكم الفيء الذي يؤخذ بدون قتال .

أما ما يؤخذ بقتال فله حكم آخر وهو تخميس الغنيمة، فأربعة أخماس للمقاتلين، والخمس الباقي يوزَّع على الأصناف المذكورين في هذه الآية، وفي آية الأنفال: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . وهذا باب واسع يحتاج إلى كلام .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

عن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن، فأنته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت المرأة: لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته، قال: والله إن كنت قرأته لقد وجدته، ثم قال: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ .

قال: قالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا الآن على امرأتك، قال: فاذهبي فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها. وفي رواية: لو رأيت شيئاً من ذلك ما صحبتني.

رواه أحمد ١/٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٣، والبخاري في التفسير ١٠/٢٥٤، ٢٥٥، وفي اللباس ٥٩٤٣، ٥٩٤٨، ومسلم في اللباس ٢١٢٥، والترمذي في الأدب ٢٥٩٣، والنسائي في الكبرى ٩/٤٨٥، وفي المجتبى في الزينة.

وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه «نهى عن الدباء، والحتم، والنقير، والمزقت، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

رواه مسلم في الأشربة رقم ١٩٩٧، وأبو داود ٣٦٩٠، والنسائي في الكبرى ٦/٤٨٤، وفي المجتبى.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ذروني

ما تركتكم، وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، ما نهيتكم عنه فانتهوا، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

رواه أحمد ٢/٢٤٧، ٢٥٨، ٤٢٨، ٥١٧، والبخاري في الاعتصام ٧٢٨٨، ومسلم في الحج ١٣٣٧، وفي الفضائل ١٥/١٠٩، ١١٠، والترمذي في العلم ٢٤٩٣، وابن ماجه رقم ١، ٢.

في الآية الكريمة وما في الباب من أحاديث دليل على وجوب اتباع ما جاء به رسول الله ﷺ من أقواله وأمرًا ونهيًا وخبرًا، وأفعاله، كانت مستأنفة أو بيانًا للقول، وتقريراته؛ فإنه لا يقر على منكر أبدًا، وكل هذا لا خلاف فيه بين علماء الإسلام، واختلفوا فيما تركه وسكت عنه، والصحيح أنه من المعفوات لحديث: «وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها».

ومن الجهل الفاضح قصر بعض المحاضرين والكتّاب الآية الكريمة على سببها من قضية الفيء، وهذا جهل سافر يستحق صاحبه التصفيح على قفاه، فإننا لو قصرنا القرآن على خصوص الأسباب لما بقي معنا من الدين إلاّ النزر منه، فالعبرة بالعموم.

والواشحات: اللاتي يتعاطين الوشم. والمتنّمصات: اللاتي ينتفن شعر حواجبهن. والمتفلجات: اللاتي يبردن أسنانهن ليجعلن فلجة بين السنين، وكل ذلك تغيير لخلق الله. وقوله: الدباء... إلخ: هذه أوعية كانوا يبنذون فيها فنهى عنها، ثم نسخ ذلك وقال: «انبدوا ما بدا لكم غير أن لا تشربوا مسكرًا».

وحديث أبي هريرة يدل على أن جانب النهي لا رخصة فيه وأنه يجب الانتهاء عن كل المنهيات مطلقًا، وهذا بخلاف جانب الأوامر فإنها مقيدة بالاستطاعة، والموضوع طويل الذيل يحتاج إلى كلام أكثر من هذا.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ



﴿١﴾ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، وإنَّ أبا بكر وعمر، وإنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من المهاجرين لأنهم هجروا المشركين، وكان من الأنصار مهاجرون؛ لأنَّ المدينة كانت دار شرك فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ.

رواه النسائي في الكبرى ٤٨٥/٦، وفي المناقب وفي السير، وهو في المجتبى رقم ٤١٦٦، وكذا أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٩/١٢، وسنده صحيح.

وعن عمرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال: أوصى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال: «أوصى الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى، وأوصيه بالمهاجرين الأولين ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾ الآية، أن يعرف لهم هجرتهم، ويعرف لهم فضلهم، وأوصيه بالأنصار الذين ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية، أن يعرف لهم فضلهم، وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم، وأوصيه بأهل ذمَّة محمد ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن لا يحمل عليهم فوق طاقتهم، وأن يقاتل عدوهم من ورائهم.

رواه البخاري في الجنازات ١٣٩٢، وفي الجهاد ٣٠٥٢، وفي المناقب ٣٧٠٠، وفي التفسير ٤٨٨٨/١٠، والنسائي في الكبرى ٤٨٥/٦.

في الآية الكريمة فضل عظيم للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم وحرّم الله يطلبون بذلك فضل الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله وأنهم هم الصادقون في إيمانهم، وكذا الأنصار الذين كانوا بالمدينة فآمنوا بالله ورسوله وأووه إليهم ونصروه وقاتلوا أعداءه دونه وكانوا يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة، أي حزاة وغيظًا وحسدًا مما أوتيه

المهاجرون من الغنيمة دونهم، فكل من الصنفين يجب احترامهم وتعظيمهم ومحبتهم والوصاية بهم خيراً للأسبقية التي لهم ولصحتهم لأشرف الخلق . . . فلا يوازئهم أحد ممن جاء بعدهم أبداً رضي الله تعالى عنهم.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحَاجُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «أما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة». وفي رواية لأبي هريرة: قالت الأنصار: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قالوا: لا، فقالوا: أتكفونا المؤونة ونشرككم في التمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

رواه أحمد ١١١/٣، ١٨٢، ١٨٣، ٢٢٤، والبخاري في المساقاة ٢٣٧٦، وفي المناقب ٣٧٩٤، والحميدي ١١٩٥، والطيالسي ١٩٦٩، والبيهقي ١٤٣/٦، ١٤٤، وغيرهم، كلهم من حديث أنس. ورواه البخاري في المزارعة ٤٠٥/٥، وفي المناقب ١١٤/٨ من حديث أبي هريرة.

هكذا كان المسلمون أيام النبوة، فهؤلاء الأنصار رغم أن النبي ﷺ أراد أن يخصهم بأراض يقطعها لهم بالبحرين امتنعوا حتى يشرك معهم إخوانهم المهاجرين، كما أن المهاجرين أبوا أن يأخذوا النخيل من الأنصار بدون مقابل، بل اشترطوا عليهم أن يعملوا لهم في النخيل ويصلحوا من شأن الحوائط في مقابل ما يأخذونه من التمر، ولذلك مدح الله تعالى الأنصار بقوله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقوله: سيصيبكم أثرة، بفتحتين، أي: سيأتي عليكم وقت يستأثر الناس

فيه بالدنيا وبالسلطة دونكم، ولذلك أمرهم بالصبر حتى يلقوه يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

١

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً من الأنصار بات به ضَيْفٌ فلم يكن عنده إلا قوتٌ صَبِيانِه، فقال لامرأته: نَوْمِي الصَّبِيَّة، وأطْفِئِي السَّرَاجَ، وقَرَّبِي للضيف ما عندك، فنزلت: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

رواه البخاري في التفسير ٢٥٦/١٠، ٢٥٧، وفي مناقب الأنصار، ومسلم في الأشربة ٢٠٥٤، والترمذي في التفسير ٣٠٨٧، والنسائي في الكبرى ٤٨٦/٦، هكذا مختصراً. وهو مطول عند البخاري وغيره، ولفظه: قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجلٌ يُضَيِّفُه هذه الليلة يرحمه الله»، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضَيْفٌ رسول الله ﷺ لا تَدَّخِرِيه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوتٌ الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فتؤميهن وتعالني فأطفئي السراج وتطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: لقد عجب اللئى عزَّ وجلَّ أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وتفضيله عليه. والخصاصة: الفقر والحاجة. والعجب أو الضحك في الحديث: صفة لله تعالى، ومنَّ أوَّلَ جعل ذلك بمعنى الرضاء، والله أعلم.

وما فعله هذا الصحابي الذي نزلت بسببه الآية هو غاية في الإيثار ونهاية في كرم النفس وحسن الضيافة، إذ بات طاوياً هو وزوجه وأطفاله ليشبع ضيفه، وهذا الإيثار كان شائعاً بين الصحابة. ومن أروع مشاهد الإيثار ما وقع في غزوة اليرموك حيث كان جماعة من الصحابة نحو الثلاثة أو أكثر، كل واحد أثر صاحبه على نفسه في شرب الماء حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشرب واحد منهم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا» .

رواه أحمد ٢/١٥٩، ١٦٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، وأبو داود ١٦٩٨، والنسائي في الكبرى ٦/٤٨٦، وابن حبان ١٥٨٠ بالموارد، والحاكم ١١/١، ٤١٥، وصححه ووافقه الذهبي وسنده حسن، وهو صحيح لطرقه وشواهد، منها عن أبي هريرة عند أحمد ٢/٤٣١، والبخاري في الأدب المفرد ٤٨٧، وابن حبان ٥٦٦، والحاكم ١١/١١، ١٢، بنحو حديث ابن عمرو، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ومنها عن جابر رواه أحمد ٣/٣٢٣، ومسلم ٢٥٧٨ بلفظ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»، ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر مختصراً.

الفحش: هو الكلام الساقط الهابط المنافي للأدب. والشح: أبلغ من البخل في المنع، فالشحيح قد يمتنع من أداء حقوق الله تعالى وحقوق عباده بخلاف البخيل. والفجور: يُطلق على الزنا وعلى الكذب وغيرهما من الانحرافات الفاحشة.

وفي هذه الأحاديث ذم الشح والتحذير منه وأنه سبب هلاك من قبلنا وأنه يتسبب في الفجور وقطيعة الأرحام واستحلال المحارم وسفك الدماء. وفي الآية دليل على أن من وقى الشح واتَّصف بالجدود والكرم والسخاء كان من الفائزين.

قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ

في صدر النهار قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتأبي النمار والعباء، متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلّى ثم خطب فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾، والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره، حتى قال: «ولو بشق تمره».

قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومتين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهب، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرٌ مِنْ عَمَلِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ».

رواه الطيالسي ٦٧٠، وأحمد ٤/٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ومسلم في الزكاة ١٠٢/٧، ١٠٣، ١٠٤، والترمذي في العلم ٢٤٨٩، وابن ماجه في المقدمة ٢٠٣، وغيرهم، واللفظ لمسلم.

مجتأبي النمار: أي لابسي النمار، والنمار: جمع نمر، وهي: العباءة. فتمعر، بتشديد العين المفتوحة، أي: تغير. كومتين: تثنية كوم، بالضم والفتح، وهو: الصبرة العظيمة. يتهلل، أي: يستنير كاللهال فرحاً وسروراً. مذهب، بضم الميم ثم ذال معجمة ساكنة ثم هاء مفتوحة: كأنه فضة مذهب في حسن الوجه وإشراقه. وقيل غير ذلك.

والآية الكريمة تدلّ على وجوب محاسبة العبد نفسه ولينظر في هذه الحياة ماذا قدّم من عمل لآخرته وماذا أدخر لنفسه من الأعمال الصالحة وأنواع القربات .

وجاء الحديث الشريف يتحدث على الصدقة ومواساة الفقراء والمحتاجين ؛ لأنّ الصدقة من أفضل ما يقدمه المسلم لآخرته .

وقد جاء في الحديث الصحيح : « كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس » .

رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم ٤١٦/١ وصحّحه على شرط مسلم .

وقوله : مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً . . . إلخ : فيه الحثّ على الابتداء بالخيرات وسنّ السنن الحسنات ، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات . قال النووي في شرح مسلم : وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ، وأنّ المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة .

انظر : كتاب الجمعة وكتاب الزكاة ١٠٤/٧ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾ .

عن نعيم بن نمحة قال : كان من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : (أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله عزّ وجلّ فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عزّ وجلّ ، إنّ قوما جعلوا لغيرهم ، فنهاكم الله عزّ وجلّ أن تكونوا أمثالهم ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدّموا على ما قدّموا في أيام سلفهم ، وخلوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأوّلون الذين بنوا المدائن وحصّنها بالحوائط؟ قد صاروا تحت

الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١٥﴾﴾.

لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم).

رواه الطبراني. قال ابن كثير بعد أن أورده بسنده في تفسيره: هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات. وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه.

هذه خطبة هامة بليغة فيها وصايا ومواعظ رقيقة ولأجلها أوردتها وإن كانت ليست على شرطي. ومعنى الآية الكريمة: لا تكونوا يا معشر المؤمنين، كالذين تركوا ذكر الله عزَّ وجلَّ ومراقبته وطاعته فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها بما يصلحها؛ لأنَّ الذنب يجرُّ إلى الذنب، فإنهم لما تركوا عبادة الله وامتنال أوامره عوقبوا على ذلك بأن أنساهم حظ أنفسهم فاحذروا أن تكونوا مثلهم فإنهم كفرة فاسقون.

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ تِسْعَةَ

وتسعين اسمًا، مائةً إلا واحدًا، مَنْ أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».

رواه البخاري ومسلم، وقد تقدّم آخر سورة الأعراف، آية رقم ١٨٠، ورواه الترمذي في الدعوات ٣٢٧٧، ٣٢٧٨، بتهذيبي، وابن ماجه ٣٨٦١، وابن حبان ٢٣٨٤ بالموارد، والحاكم ١٦/١، ١٧ بذكر الأسماء مطوّلًا. وسياقه عند الترمذي: «هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباريء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العذل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعال، البرّ، التوّاب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المُقسط، الجامع، الغني، المُغني، المانع، الصّار، النَّافع، الثّور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرّشيد، الصّبور». وسنده صحيح، والوليد بن مسلم وإن كان مدلّسًا فقد صرّح بالتحديث، ولذلك صحّحه الحاكم ١٦/١، ١٧. غير أنّ جمهور المحدّثين قالوا: إنّ ذكر الأسماء مدرج، والله تعالى أعلم.

في الآية الكريمة والحديث الشريف ذكر أسماء الله الحسنی وقد شرحها علماؤنا رحمهم الله تعالى كالإمام القشيري، والغزالي، والقرطبي، والبيهقي في الأسماء والصفات، وهو أجمعها.

وعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، - ثمّ قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر - ، وكَلَّ الله به سبعين ألف ملك يُصلُّون عليه حتى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها

حين يمسي كان بتلك المنزلة» .

رواه أحمد ٢٦/٥ ، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٢٩ بتهذيبي، والدارمي ٣٤٢٨ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٧٨ ، ورجاله ثقات، غير أن خالد بن طهمان كان قد اختلط وهو في نفسه ثقة صدوق .

في الحديث مشروعية قراءة هذه الآيات من أواخر هذه السورة مع الاستعاذة ثلاث مرّات صباحًا ومساءً وأنّ قارئ ذلك إن مات من يومه أو ليلته كان شهيدًا، وهذا بالإضافة إلى توكلّ عشرات الألوف من ملائكة الله يستغفرون له نهاره وليله، وفي ذلك من الفضل ما لا يخفى، فينبغي للمؤمن أن يحرص على هذا الخير ويهتم به، والحديث وإن كان ضعيفًا فإنّ ضعفه ليس بشديد لا سيّما وهو في فضائل الأعمال، وقد رخصوا في ذلك .

وهذه الآيات جاءت خاتمة سورة الحشر التي هي إحدى المسبّحات السبع التي فيها آية خيرٌ من ألف آية، وقد قيل إنها في هذه الآيات، وحق لهذه الآيات أن تتخذ وظيفة ووردًا لما احتوت عليه من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى .

وبهذا تمّت سورة الحشر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين .

* * *

﴿سُورَةُ الْمُتَّحِنَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَاسِعٌ وَبَارِكْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُزُوقٌ وَعَزِيزٌ

هي ثلاث عشرة آية، وأهدافها الرئيسية: النهي عن اتِّخاذ أعداء الله أولياء تلقى إليهم المودَّة... ثم امتحان النساء المهاجرات، ثم مبايعتهن على الشرائع.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر خليل الله إبراهيم عليه السلام وكونه أسوة لنا في براءته من الكفار ومعبوداتهم، آية ٤.
- ٢ - جواز البرور بمن لم يقاتلنا ولم يعاديننا من الكفار، آية ٨.
- ٣ - ذكر امتحان النساء المهاجرات... وأن لا يُرجعن للكفار، آية ١٠.
- ٤ - ذكر مبايعة النبي ﷺ للنساء على شرائع الدين أمراً ونهياً، آية ١٢.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْتُمْ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ



خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ .

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنَّ بها طعينة معها كتاب فخذوه منها»، فذهبنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالطعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجنَّ الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ.

فقال النبي ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟»، قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إنِّي كنت امرءًا من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النبي ﷺ: «إنه قد صدقكم»، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: دعني يا رسول الله، فأضرب عنقه، فقال: «إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٥٨، ٢٥٩، وفي الجهاد رقم ٣٠٠٧، وفي المغازي ٤٢٧٤، ومسلم في الفضائل ٢٤٩٤، وأبو داود في الجهاد ٢٦٥٠، والترمذي في التفسير ٣٠٨٨ بتهذيبي، والنسائي في الكبرى ٦/٤٨٧، وغيرهم.

الطعينة: تُطلق على المرأة في اليهودج، ويقال أيضًا لليهودج وحده أو للمرأة نفسها. وقوله: عقاصها، أي: ضفيرتها.

وفي الحديث فضل أهل بدر وأن الله تعالى غفر لهم ما قدّموا وما

أخروا من كبار الذنوب وصغارها، وأن من سبقت له العناية لا تضره الجناية، ومن رضي الله عنه لا يسخط عليه أبداً، وما فعله حاطب لو فعله غيره للزم قتله؛ لأن ذلك يعتبر ردة كما هو مقرر في كتب الردة، ولذلك استأذن سيدنا عمر رسول الله ﷺ في قتله لأنه فهم من فعله هذا مخالفته للذين يوجب قتله؛ لأن فيه مسيئاً بسراً النبي ﷺ، لكنه عليه السلام بين له عدم موجب القتل بأنه من المغفور لهم. وفي الحديث جواز تفتيش المرأة ولو أدى إلى نزع ثيابها والاطلاع على عورتها إن كان لذلك موجب شرعي مقطوع به.

وفي الآية الكريمة النهي عن اتخاذ الكفار أولياء، والتحذير من إلقاء أسرار المسلمين إليهم.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٨.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك».

رواه أحمد ٦/٣٤٤، ٣٤٧، والبخاري في الأدب ١٣/١٧، ومسلم في الزكاة ٨٩/٧، وغيرهم، وعند البخاري: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

في الآية والحديث مشروعية الإحسان إلى المشركين المودعين للمسلمين والبرور بهم والعدل بينهم، وقيل ذلك خاص بالنساء والأطفال، وفيه البرور بالوالدين وإن كانوا مشركين، وإنه لا بأس بدخولهم لبيت المسلم. كما فيه جواز قبول هداياهم المباحة لنا.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْكُمْ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾.

تقدّم في حديث المسور أنّ رسول الله ﷺ لمّا عاهد كفّار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات بعد أن رجع إلى المدينة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية. وكان في المعاهدة بين النبي ﷺ وبين قريش أنّ من جاءهم من المؤمنين ردوهم إليهم. فجاءه نساء، فأنزل الله الآية واستثنى النساء ونهاهم أن يردوهم إلى الكفّار لأنّهن لم يكنّ في العهد. وأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يمتحن كل امرأة جاءته مهاجرة أنها ما خرجت إلّا رغبة في الله وفي رسوله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

عن أميمة بنت رقيقة رضي الله تعالى عنهما قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء نبايعه على الإسلام، فقلت: يا رسول الله، هلّم نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزن ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، فقال: «فيما استطعتن وأطقتن»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا ممّا بأنفسنا، هلّم نبايعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة».

رواه أحمد ٣٥٧/٦، والترمذي في السّير ١٤٦٦، والنسائي في الكبرى ٤٨٨/٦ واللفظ له، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٧٤ وسنده صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنّ رسول الله ﷺ كان يمتحن من يهاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا

الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتكم» كلامًا، لا والله ما مَسَّتْ يدهُ يدَ امرأةٍ قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتكم على ذلك».

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٦١، ومسلم في الإمارة، باب بيعة النساء ١٣/١٠، والنسائي في الكبرى ٦/٤٨٨، وابن ماجه في الجهاد ٢٨٧٥، وغيرهم.

وعن أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرا علينا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾، ونهانا عن النِّياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت: أَسْعَدْتَنِي فَلَانَةٌ، أريد أن أَجْزِيَهَا، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً فانطلقت ورجعت فبايعها. وفي رواية: فقلت: إلا آل فلان، فإنهم قد كانوا أَسْعَدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أَسْعِدَهُمْ، قال: «إِلَّا آلَ فُلَانٍ».

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٦٢ وغيره، ومسلم في الجنائز ٩٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/٤٨٨. ونحوه عن أم سلمة رواه الترمذي ٣٠٩٠، وفيه: ما هو المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه، قال: «لَا تُتَّخَنَ...» الحديث، وسنده عنده صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي ﷺ فكانني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفَّنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «أُنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟»، فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله...

رواه البخاري في التفسير ١٠/٢٦٥، ومسلم في العيدين ٦/١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

وعن عبادة بن الصّامت رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا»، وقرأ آية النساء قال: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب

من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فبايعناه على ذلك» .

رواه البخاري في الإيمان ١/٧٠، ٧٤، وفي المناقب وفي المغازي وفي التفسير ١٠/٢٦٤ وفي غير ذلك، ومسلم في الحدود ١٧٠٩، والترمذي في الحدود أيضاً ١٣٠٩، والنسائي في البيعة وفي الإيمان من المجتبى رقم ٥٠٠٢، وفي الكبرى ٦/٤٨٨، وابن ماجه في الجهاد وفي الحدود.

في هذه الأحاديث بيان للمبايعة التي بايع فيها النبي ﷺ النساء، وهي التي نزلت فيها الآية، وبايعهن على ترك الشرك والسرقه والزنا وقتل الأولاد والإتيان بالبهتان، وهو اللقيط، وأن لا يعصوه في معروف. وعلى هذه الخصال بايع ﷺ الرجال؛ لأن أصلها نزلت في النساء.

وفي حديث عائشة وأميمة دليل على أن النبي ﷺ لم يبايع النساء بالمصافحة كما بايع الرجال وأنه لم تمسّ يده يد امرأة قط. وفيه رد على بعض من يقول بأنه صافحهن . . .

وفي حديث عبادة دليل على أن من أصاب شيئاً من الجنائيات . . . فأقيم عليه حد ذلك كان كفارة له، ومن ستره الله فهو إلى الله يفعل به ما يشاء. وقال الشافعي رحمه الله: واجب لمن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستر على نفسه ويتوب فيما بينه وبين ربه. وكذلك روي عن أبي بكر وعمر أنهما أمرا رجلاً أن يستر على نفسه . . . ذكره الترمذي في الجامع.

وبهذا تمّت سورة الممتحنة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلّى اللّهُمّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه، كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وكلّما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ الصَّفِّ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَكَلَّمَ بَارِكًا عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا
وَأَلَّهُ وَهَجَبًا وَزَوْجًا وَهَرَبًا

هي أربع عشرة آية، وموضوعها ذكر الجهاد في سبيل الله والتضحية بالنفس في سبيل ذلك، ونصر دين الله عزَّ وجلَّ، وبيان التجارة الرباحة . . .

من خصائص هذه السورة

- ١ — الإنكار على من يقول ولا يفعل وأنَّ ذلك يَمقت الله عليه تعالى، آيتان ٢، ٣.
- ٢ — ثبوت محبة الله عزَّ وجلَّ لمن يقاتلون في سبيل الله مصطفىين كالبنين المرصوص، آية ٤.
- ٣ — إنكار كلِّيم الله موسى عليه السلام على بني إسرائيل في إذابتهم إياه، آية ٥.
- ٤ — الإخبار ببشارة روح الله عيسى عليه السلام لقومه بنبيِّنا وتسميته إِيَّاهُ أحمد ﷺ، آية ٦.
- ٥ — بيان التجارة الرباحة وهي الإيمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيل الله تعالى بالأموال والأنفس وأنَّ ذلك يوجب غفران الذنوب ودخول الجنان والنصر القريب، آيات ١٠ — ١٣.

٦ — بيان انقسام بني إسرائيل في شأن عيسى عليه السلام قسمين: أنصار ومعارضين، آية ١٤.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إلخ السورة].

عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: قعدنا نقرأ مع أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله عز وجل: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

رواه أحمد ٤٥٢/٥، والترمذي ٣٠٩١، والحاكم ٢/٢٢٨، ٢٢٩، ٤٨٧ وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرطيهما ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في الإتحاف بعد أن عزاه لأبي يعلى: رواه ثقات. وكذا صححه الحافظ. وهذا الحديث من المسلسلات الصحيحة التي قل نظيرها.

في الحديث ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من تمنّي الخير والعمل بالأفضل، لكن الله تعال أنكر عليهم ما تمنّوه لتقصيرهم في القيام بما يجب القيام به.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

عن عبد الله بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي، فذهبت لأخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تُعطيني؟»، قالت: تمرًا، فقال: «أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة».

رواه أحمد ٤٤٧/٣، وأبو داود في الأدب ٤٩٩١، والبيهقي في السنن

١٠/١٩٨، ١٩٩، ورجاله ثقات غير مولى عبد الله مجهول. لكن الحديث حسن لشواهده من أصحها حديث أبي هريرة: «مَنْ قَالَ لَصَبِي تَعَالَى، هَاكِ، ثُمَّ لَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا فَهِيَ كَذْبَةٌ». رواه أحمد ٤٥٢/٢ بسند صحيح، وانقطاعه لا يضر هنا.

الحديث موافق للآية الكريمة، فَإِنَّ الْوَعْدَ مَعَ عَدَمِ الْوَفَاءِ يَعِدُّ كَذْبًا، وهو قول بلا عمل، وفي ذلك تعرض لمقت الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، أي:

عظم فعلكم هذا بغضاً عند ربكم. قال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال: إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره، فنزلت الآية.

أخرجه ابن جرير ٨٣/٢٨، ٨٤ عنه وعن مجاهد، واختاره فقال: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عَنَىٰ بِهَا الَّذِينَ قَالُوا: لَوْ عَرَفْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَمَلْنَا بِهِ، ثُمَّ قَصَرُوا فِي الْعَمَلِ بَعْدَمَا عَرَفُوا، وهذا القول موافق لحديث عبد الله بن سلام الذي صدرنا به السورة، فلا يعدل عنه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بُنِينَ مَرْضُوضًا﴾.

عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: نجد مكتوباً محمداً رسول الله ﷺ لا فظ ولا غليظ ولا صحاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، وأمتة الحمّادون، ويكبرون الله عز وجل على كل نجد، ويحمدونه في كل منزلة، ويأتزون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، لهم بالليل دوي كدوي النحل، ومولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام.

رواه الدارمي في أول سننه رقم ٥ بسند صحيح، ورواه من طريقين آخرين ٨،٧ بنحوه، والثاني منهما سنده حسن.

كلام كعب هذا منقول من كتاب الله التوراة، وكعب ثقة صادق خلافاً لمن طعن فيه ظلمًا. وفيه صفات النبي ﷺ وصفات أمته التي منها أنهم يصفون في القتال كما يصفون في الصلاة، وهو موافق لمضمون الآية الكريمة وهي تدل على أن الله عز وجل يرضى من عباده اصطفاف المؤمنين أمام العدو عند القتال ملتصقين إلى بعضهم كأنهم البنيان الثابت قد رُصَّ بعضه ببعض وألصق وأحكم حتى صار شيئاً واحداً فلا يفرون ولا يجبنون ولا يضعفون، وأنَّ صانعي ذلك محبوبون عنده تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسمةً، فقال رجل من الأنصار: والله ما أَرَادَ مُحَمَّدٌ بهذا وجه الله، فأُتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتمعر وجهه وقال: «رحم الله موسى لقد أُوذِيَ أكثر من هذا فصبر».

رواه البخاري في مواضع في المغازي وفي الأدب ١٣/٨٦، ١٢٦، وفي الاستئذان، والحميدي ١١٠، وأحمد ١/٣٨٠، ٤٣٥، ٤٥٣، وغيرهم.

في الآية الكريمة لفت أنظار المؤمنين من هذه الأمة من أن ينالوا من النبي ﷺ نوعاً من أنواع الإذابة، وقد آذاه المنافقون فصبر وصفح عنهم، ولا أدل على ذلك من حديث الباب، فإن نسبته ﷺ إلى الظلم في القسمة من إذاباته بمكان، ولكنه ذكر أخاه موسى وما لاقى من قومه فاقتدى به في صبره، وإعراضه عن الجاهلين وضعفاء الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا رَسُولًا يُأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ .

عن العرياض بن سارية رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمُنْجَدِلٌ في طينته، وسأخبركم عن ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأيت، وكذلك أمهات النبيين يرَيْنَ، وأن أم رسول الله ﷺ رأيت حين وَضَعَتْهُ نورًا أضاءت له قصور الشام» .

رواه أحمد ٤/١٢٧، وابن جرير ٢٨/٨٧، وابن حبان ٦٤٠٤، والحاكم ٢/٦٠٠، والبخاري في التاريخ ٦/٦٨، والبيهقي في دلائل النبوة ١/٨٠، ٨٣، و٢/١٣٠، وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأورده النور في المجمع ٨/٢٢٣، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان.

والحديث صحيح له شواهد عن أبي هريرة، وميسرة الفجر، وعن جماعة من الصحابة من طريق خالد بن معدان: أن نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورًا أضاءت له قصور الشام». رواه ابن إسحاق في السيرة ١/١٧٥، ومن طريقه الحاكم ٢/٢٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/٨٣، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وجوّده ابن كثير في البداية ٢/٢٧٥.

في الآية الكريمة بشارة روح الله عيسى عليه السلام لقومه بنبينا ﷺ، وجاء الحديث مؤيدًا لذلك، وفي الآية إشارة إلى أن اسم نبينا ﷺ في الإنجيل أحمد.

وقد جاء في الصحيحين عن جبير بن مطعم، وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبي ﷺ سمى لهم نفسه فقال: «أنا محمد وأنا أحمد...» إلخ.

وباقى مضاف من الحديث ذكرته في حواشي تهذيب الخصائص والشفاء.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١).

تقدّم ما يتعلّق بالآية في براءة بما أغنى عن إعادته هنا، وهذه هي الآية الثالثة في هذا الموضوع لفظاً ومعنى، فالأولى في براءة آية رقم ٣٣، والثانية في سورة الفتح رقم ٢٨، وهذه الثالثة.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (١٤).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج على أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً ورأسه يقطر ماء، فقال: أيكم يُلقي شَبْهِي عليه فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنّاً فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم، أنت، فألقي عليه شبه عيسى عليه السلام، ثم رفع عيسى من رَوْزَنَةٍ^(١) كانت في البيت إلى السماء وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشاب للشبه فقتلوه ثمّ صلبوه. فتفرّقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان فينا الله عزّ وجلّ ما شاء الله ثمّ صعد إلى السماء، وهؤلاء هم اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثمّ رفعه الله إليه، وهؤلاء هم النسطورية. وقالت طائفة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثمّ رفعه، فهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوا، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمّداً ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ﴾، يعني الطائفة التي كفرت في زمان عيسى عليه السلام والطائفة التي آمنت في زمان عيسى، ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾،

(١) رَوْزَنَةٌ، هي على وزن رَوْزَنَةٌ: هي خرق في سقف البيت.

بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ .

رواه النسائي في الكبرى ٤٨٩/٦ ، ٤٩٠ ، وابن جرير ٩٢/٢٨ ، ورجاله ثقات غير المنهال بن عمرو ، وهو صدوق ربما وهم ، لكنه أخرج له البخاري ، فقد جاوز القنطرة كما قالوا ، وعلى كل فاقل أحوال الحديث أن يكون حسناً .

رفع سيّدنا عيسى مقطوع به ، وكذا نزوله آخر الزمان ، وقد دنا وقته إن شاء الله تعالى ، وكونه شُبّه على اليهود الذين أرادوا قتله هو نص القرآن أيضاً ، وهذا الأثر المذكور يرفع النزاع الذي طالما حصل بين المفسّرين في الذي ألقى عليه الشبه ، فهو ينصّ على أن الذي شُبّه به وصُلب هو أحد أصحابه من الحواريين .

وهذا الأثر يحتمل أن يكون من الإسرائيليات ، ويحتمل أن يكون مرفوعاً بدليل قول ابن عباس ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ .

وفيه أن أصول فرق النصارى هم ثلاثة ، اليعقوبية : القائلون بأن الله هو عيسى عليه السلام ؛ والنسطورية : الذين يقولون أن عيسى ابن الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ثم تشعبت فرقتهم ؛ أما الفرقة الثالثة : فهم المؤمنون القائلون بأنّه عبد الله ورسوله وليس بآله ولا بابن إله ولا بآله ثالث ، فالله لا إله إلاّ هو لا صاحبة له ولا ولد ، ولا شبيهه ولا نظير ولا شريك ، ولم يحل في شيء من خلقه ولا اتّحد معه . . .

وبهذا تمّت سورة الصف ، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات ، وصلّى اللّهُمّ وسلّم وبارك على حبيبك المصطفى وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين .

* * *

﴿سُورَةُ الْجُمُعَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ وَتَمَّ وَبَارَكُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهُ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعَرْبِهِ

هي إحدى عشرة آية، وأهمُّ ما ذُكر فيها ذمُّ حاملي الكتاب المعرضين عن العمل بما فيه وتشبيهم بالحمار الذي يحمل الأسفار ولا يدري ما فيها، ثم الكلام على الجمعة والسعي إليها.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر تلك المعجزة العظمى القرآنية الغيبية وهي الإخبار بمجيء أقوام بعد الصدر الأول يؤمنون بهذا النبي العظيم إيماناً غيبياً، آية ٣.
- ٢ — تشبيه اليهود الذين أعطوا التوراة ولم يعملوا بمقتضاها بالحمار الذي يحمل أسفاراً من الكتب والعلم النافع ولا يناله منها إلا التعب والعناء بثقل الحمل، وهذا المثل لا يختص باليهود، بل يجزّ ذيله على علمائنا وقرآئنا ممن لا يلتزمون بشرع الله تعالى، آية ٥.
- ٣ — ذكر الجمعة والأمر بالسعي إلى حضور خطبتها وصلاتها وترك ما يشغل عنها، آية ٩.
- ٤ — إباحة التجارة والعمل بعد صلاة الجمعة وأنه لا مانع من الاشتغال يوم الجمعة، آية ١٠.

٥ — ذكر تلك الحادثة الخطيرة التي صدرت من الصحابة حيث كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانصرفوا إليها وتركوه، آية ١١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ .



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قلت: من هم يا رسول الله، فلم يراجعه حتى سألت ثلاثاً — وفيها سلمان الفارسي — ، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لنالته رجال أو رجل من هؤلاء»، وفي رواية: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان . . . إلخ، وفي أخرى: «لو كان عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه» .

رواه أحمد ٤١٧/٢، والبخاري في التفسير ٢٦٧/١٠، ٢٦٨، ومسلم في الفضائل ٢٥٤٦، والترمذي في التفسير ٣٠٩٧، وفي الفضائل ٣٦٩٧، والنسائي في الكبرى ٧٦/٥، وابن حبان ٢٥٨/١٦ .

أما الحديث الوارد: «لو كان العلم بالثريا . . . إلخ، فضعيف رواه ابن حبان وغيره .

في الآية والحديث معجزة غيبية ظاهرة، حيث أخبر تعالى بقوم يأتون بعد الصحابة يؤمنون بالنبي ﷺ وقد عيّنهم الحديث الشريف وأنهم ناس من أبناء فارس ورجال العجم أو كل من صدّق النبي ﷺ من غير العرب الأميين .

وفي الحديث فضل مؤمني العجم وحِرْصهم على الإيمان والعمل

بمقتضاه، والحديث صدّقه الواقع، فإنَّ للعجم أيادي في خدمة دين الإسلام وعلومه ويكفي أن يكون أكثر حفاظ الحديث وأصحاب الأمّهات المشهورة من العجم. فالبخاري عجمي، ومسلم عجمي، وأبو داود عجمي، والترمذي عجمي، وابن ماجه عجمي، والنسائي عجمي... وغيرهم كثير، وهكذا شأنهم في التفسير والعلوم العربية واللغة والأدب والتصوّف، فالعجم لهم شأن عظيم في خدمة الإسلام والتمسك به، وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، أي: لم يأتوا بعد أو لم يلحقوهم في الفضل والسابقة، و ﴿ذَلِكَ﴾ - كله - ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْإِسْلَامَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾...

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تكلّم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت ليست له جمعة».

رواه أحمد ١/٢٣٠، وابن أبي شيبة ٥٣٠٥/١، ٤٥٨/١، والبخاري ٦٤٤ مع الأستار، والطبراني في الكبير، وفي سننه مجالد بن سعيد مختلف فيه، وقد حسّن له غير واحد. وقال البوصيري في الإتحاف: لكن المتن له شواهد كثيرة. وقال الحافظ: لا بأس بإسناده. وانظر: مجمع الزوائد ٢/١٨٤.

الآية الكريمة جاءت في صفة اليهود في عدم انتفاعهم بما في التوراة وهم يحملونها، فكان مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل أسفار الكتب العلمية ويتعب بسببها وهو لا يدري ما فيها، وهكذا جعل النبي ﷺ المتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب مثله في عدم انتفاعه بخطبة الجمعة وحضوره المسجد لصلاتها كالحمار... فلا جمعة له.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ولو أن اليهود تمَنَّوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار» .

رواه أحمد ١/٢٤٨، ٣٦٨، والإسماعيلي في مستخرجه كما في الفتح، وسنده صحيح، والحديث تقدّم مطوّلاً في سورة البقرة، آية ٩٥، وآل عمران، آية ٦١، ويأتي في سورة العلق إن شاء الله تعالى .

كان اليهود الملاعين يدعون أن الدار الآخرة خاصة بهم دون سائر الأمم الأخرى فأكذبهم الله كما تقدّم في سورة البقرة . . . وقالوا في جملة مزاعمهم إنهم أولياء الله من دون الناس، فأكذبهم الله تعالى هنا وطلب منهم أن يتمنوا الموت ويشتاقوا إليه ليصلوا إلى الجنة، فأخبر تعالى عنهم بأنهم لا يتمنونه وذلك لعلمهم بما كسبت أيديهم من الجرائم .

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧﴾﴾ .

عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء .

رواه البخاري ٣/٤٤، وأبو داود ١٠٨٧، ١٠٨٨، والترمذي ٤٦٤ تهذيبي، والنسائي ٣/٨١، ٨٢، وابن ماجه ١١٣٥، وغيرهم، كلهم في الجمعة .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا كان

يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الأوّل فالأوّل، فإذا خرج الإمام طُوِيَتْ الصُّحُفُ واستمعوا الخطبة. والمُهَجَّر إلى الصلاة كالمُهْدِي بَدَنَة، ثم الذي يليه كالمُهْدِي بقرة، ثم الذي يليه كالمُهْدِي كَبْشًا حتى ذكر الدَّجاجة والبيضة، وفي رواية: وكرجل قدم طائرًا أو عُصْفورًا».

رواه البخاري ١٧/٣، ١٨، ومسلم ١٤٥/٦، والنسائي ٧٩/٣، ٨٠، وأبو داود والترمذي ٤٤٨، والرواية الثانية رواها أحمد ٢/٢٧٢، والنسائي ٨٠/٣ بسند صحيح.

قوله في حديث السائب: زاد النداء الثالث يعني باعتبار الإقامة وإلّا فعثمان رضي الله تعالى عنه إنما زاد أذانًا واحدًا قبل الزوال ليأتي الناس المسجد.

والكلام على الجمعة طويل، ولا شك أن حضور صلاتها من فروض الأعيان على كل ذكر بالغ عاقل، ولحضورها فضل عظيم وخاصة المبكر إليها، ويومها سيّد أيّام الأسبوع، وفي هذا اليوم خلق آدم عليه السلام، وفيه تاب الله عليه، وفيه أنزل من الجنة، وفيه تكون نفخة الصعقة، وفيه تقوم الساعة كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة.

ويؤخذ من الآية الكريمة أن السعي إلى الجمعة لا يجب إلّا عند سماع النداء، لأنّه تعالى ربّب الأمر بالسّعي على النداء، وفي الآية وجوب ترك البيع بعد النداء، وكذا غيره من الأعمال والأشغال بالإجماع حتى قال العلماء: إن كل عقد وقع بعد نداء الجمعة كان باطلاً لا يصحّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة،

فمَرَّتْ عَيْرٌ تَحْمِلُ الطَّعَامَ، فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. وفي رواية: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائمًا إذ قدمت عير المدينة، فابتدراها أصحاب النبي ﷺ حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلًا فيهم أبو بكر وعمر.

رواه البخاري في الجُمعة ٩٣٦، وفي البيوع وفي التفسير ٢٦٨/١٠، ومسلم في الجمعة ٨٦٣، والترمذي في التفسير ٣٠٩٣، والنسائي في الجمعة وفي الكبرى في التفسير ٤٠٩/٦ وغيرهم.

العير، بكسر العين: هي الإبل التي تحمل التجارة والميرة. واللهو في الآية هو الضرب في الطبل الذي كانوا يضربون فيه عند قدوم تجارة إعلامًا للناس بذلك.

وهذه الحادثة كانت خطيرة على من انفضَّ عن النبي ﷺ وهو يخطب لولا أن الله عزَّ وجلَّ عفا عنهم وغفر لهم لكونهم لم يكونوا يعلمون أن ذلك محرم، وقد جاء في رواية عند البيهقي: «لو انفضتكم جميعًا لسال بكم الوادي نازًا». ولعلَّ أولئك الأصحاب الذين انفضَّوا ظنوا أن استماع الخطبة ليس بواجب، لا سيَّما وأنهم كانوا قد صلَّوا الجمعة لأنها كانت تصلَّى قبل الخطبة كالعيدين، وبعد هذه الحادثة قدمت الخطبة على الصلاة.

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر النَّاسَ . . .

رواه مسلم في الجمعة ١٤٩/٦، ١٥٣، وروى نحوه البخاري ٥٢/٣، ومسلم أيضًا ١٤٩/٦، وأبو داود ١٠٩٢، والترمذي ٤٥٤، وباقي الجماعة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما.

في الحديثين أن خطبة الجمعة كانت من قيام لا من جلوس، ولقوله

تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، وهو إجماع لا خلاف فيه، وأوّل من خطب قاعدًا معاوية بن أبي سفيان أيام إمارته.

وعن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

رواه مسلم ١٦٦/٦، وأبو داود ١١٢٤، والترمذي ٤٦٧، وابن ماجه ١١١٨.

فيه مشروعية قراءة هاتين السورتين في صلاة الجمعة.

وبهذا تمّ الكلام على سورة الجمعة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.



﴿ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعَرْبِهِ

السورة كسابقتها إحدى عشرة آية، وهي تُعنى بذكر المنافقين وصفاتهم وفضحهم والكشف عن كذبهم وبيان مقالاتهم حول الرسول ﷺ والمؤمنين وكلامهم السفيه، ولذلك سُميت السورة باسمهم إخلادًا لذكرهم السيء الهابط.

من خصائص هذه السورة

- وللسورة خصائص أكثرها تحوم حول المنافقين، وهي:
- ١ - اتُّخاذهم أيمانهم ظاهرًا جُتَّةً ووقاية وحقنًا لدمائهم، آية ٢ .
 - ٢ - من صفاتهم أنهم إذا رُؤوا أعجب الناس بهيئاتهم لحسنهم وفضامتهم، وإن تكلموا استمعوا لكلامهم لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، آية ٤ .
 - ٣ - أنهم هم الأعداء الكاملون لله ولرسوله وللمؤمنين، آية ٤ .
 - ٤ - كانوا إذا قيل لهم هلموا إلى الرسول ليستغفر لكم لووا رؤوسهم ساخرين متكبرين . . . فلن يغفر الله لهم أبدًا، آية ٥ .

٥ - ذكر مقالة ذلك الخاسر عدو الله ابن أبي ابن سلول، في رسول الله ﷺ: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا»، و«لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، آيتان ٧، ٨.

٦ - النهي عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله من صلاة وتحميد وتسبيح وتهليل وتكبير... وأن من فعل ذلك كان من الخاسرين في الآخرة، آية ٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) أَخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَمَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَأَهُرَّ لَا يَقْفَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا لِلَّهِ حَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لِيْن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨).

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾، و﴿لِيْن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾، فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ، فدعاني النبي ﷺ فحدثته،

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني شيء لم يصبني شيء قط مثله، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾، فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: «إن الله قد صدقك».

رواه البخاري في التفسير ٢٦٩/١٠، ٢٧٣ من طرق، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ١٧/١٢٠، والترمذي في التفسير ٣٠٩٤، ٣٠٩٦، والنسائي في الكبرى ٤٩١/٦، ٤٩٢، ورواه الترمذي ٣٠٩٥، والحاكم ٤٨٨/٢، ٤٨٩، بسياق آخر مطوَّلاً وحسنه وصحَّحه، وكذا الحاكم والذهبي.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟»، قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مَتَهَا الْأَذَلَّ ﴾، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». وفي رواية: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل.

رواه البخاري في التفسير ٢٧٤/١٠، ٢٧٥، ومسلم في البر والصلة رقم ٢٥٨٤، والترمذي في التفسير ٣٠٩٧ تهذيبي.

قوله: فكسع، أي: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه. وقوله: دعوها، أي: دعوى الجاهلية، وهي الاستغاثة لأجل الانتصار.

وهي قولهم هنا: يا للمهاجرين.. يا للأنصار. وقوله: متنته، أي: هذه الكلمة قدرة خبيثة.

وفي الحديثين بيان لسبب نزول السورة. وفيها بيان فضائح المنافقين وما كانوا عليه من الكذب والمكر والكيد للمسلمين قاتلهم الله وأخزاهم. وبهذا تمّت هذه السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ التَّغَابُنِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَرَأَى بَارئًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجَهُ وَزَوَّجَهُ وَهَزَبَهُ

السورة الكريمة آياتها ثمان عشرة، وهي وإن كانت مدنية فطابعها طبع السور المكية في الكلام على العقيدة وآثار القدرة في هذا الكون والإنسان، ولفت الأنظار إلى الأمم السابقة وما حلَّ بها من النعمة والإبادة عندما طغوا وكفروا.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر الأمر الإلهي لنبيه ﷺ بالقسم للكفار تأكيداً لهم على وقوع البعث والجزاء الذي طالما أنكروه وجادلوا فيه، وهذا هو القسم الثالث في الموضوع . . . ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ آية ٧.
- وتقدّم الأول في يونس، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٥٣﴾، والثاني في سورة سبأ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، آية ٣.
- ٢ - لا يصاب الإنسان بأيّ مصيبة إلا بإذن من الله عزّ وجلّ، آية ١١.
- ٣ - قد يكون للإنسان أعداء من الأولاد والأزواج فليحذرهم، آية ١٤.
- ٤ - إن تقوى الله عزّ وجلّ المأمور بها في عدّة آيات هي مقيدة هنا بالاستطاعة والطاقة والوسع، آية ١٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ



خَيْرٌ ﴿٨﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجلٌ قد كان يُذكر منه جرأةٌ فقال: أتبعك لأصيب معك، فقال رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله؟»، قال: لا، قال: «فإنًا لا نستعين بمشرك»، قال: فقال له في المرة الثانية: «تؤمن بالله ورسوله؟»، قال: نعم، فانطلق فتبعه.

رواه أحمد ٦/٦٧، ٦٨، ١٤٩، ومسلم ١٨١٧، وأبو داود ٢٧٣٢، والترمذي في السير ١٤٢٦، وابن ماجه ٢٨٣٢، كلهم في الجهاد، والدارمي ٢٤٩٩، ٢٥٠٠، وابن الجارود ١٠٤٨.

الإيمان بالله وبرسوله ﷺ شرط صحة في كل طاعة، ومنها: الجهاد، ومعاونة المسلمين. ولذلك ردّ رسول الله ﷺ هذا الرجل حالة كفره، فلم يقبله للاستعانة به حتى أشهر إسلامه وآمن بالله ورسوله ﷺ. وقد اتفق العلماء رحمهم الله على تحريم الاستعانة بالمشرك على المسلم، وأجازها البعض إن كانت بالمشرك على المشرك ومنعها آخرون، وهو ظاهر هذا الحديث.

ويؤيد هذا حديث خبيب بن يساف بلفظ: «لا نستعين بالمشركين على المشركين».

رواه أحمد ٣/٤٥٤، والحاكم ٢/١٢١، ١٢٢، وصحّحه.

وهناك ما يدلّ على الرخصة في الاستعانة بالكفار على الكفار لأجل الحاجة والضرورة كما هو مذكور في محلّه.

وانظر: جواهر البحار لكاتبه، رقم ٥٣٦.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ...﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين همّوا يعاقبهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ...﴾ الخ.

رواه الترمذي ٣٠٩٩، وابن جرير ١٢٤/٢٨، ١٢٥، وابن أبي حاتم ٣٣٥٨/١٠، والحاكم ٤٩٠/٢، وحسنه الترمذي وصحّحه، وكذا صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو عند الترمذي صحيح على شرط مسلم.

الأزواج والأولاد كثيراً ما يكونون سبباً في خسارة الإنسان وشقاوته عياداً بالله تعالى، إذا هو أطاعهم فيما يهون، فإنهم بالطبع لا يحبون منه الجهاد في سبيل الله ولا يرضون منه أن يتصدّق ويواسي المحتاجين ولا يتركونه يخرج للدعوة إلى الله عزّ وجلّ أو الهجرة إلى بلد يقيم فيها دينه، وبذلك يكونون له أعداء، وقد يعادونه لأسباب تافهة دنيوية محضة، فيجب عليه أن يكون على حذر كبير منهم. ألهمنا الله وإيّاهم رشدنا، وحفظنا وإيّاهم من شرور أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاءه الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صَدَقَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ، نظرتُ إلى هذين الصَّيِّبَيْنِ
يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي فرفعتهما» .

رواه أحمد ٥/٣٥٤ ، وأبو داود ١١٠٩ ، والترمذي في المناقب ٣٥٤٦ ، والنسائي
في الجمعة ٣/١٠٨ ، وفي الكبرى ١/٥٣٥ ، ٥٥١ ، وابن ماجه ٣٦٠٠ ، وابن خزيمة
١٠٨٢ ، وابن حبان ٢٢٣٠ بالموارد ، والحاكم ١/٢٨٧ ، وهو حسن صحيح ، وصحَّحه
الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

الآية والحديث يدلان على أن ما ابتلي به الإنسان في هذه الحياة من
الفتنة العظيمة والمحنة الشديدة فبالأموال والأولاد .

قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا
أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

رواه البخاري ومسلم ، وانظر ما تقدّم آية ٧ من سورة الحشر ، فهناك
تخريجه . . .

الآية الكريمة والحديث الشريف مقيّدان لإطلاقات القرآن والسنة في
الأمر بالتّقوى بالاستطاعة ، وما في طوق الإنسان .

والحمد لله على رحمته ولطفه بنا وإحسانه إلينا .

وبهذا تمّت سورة التغابن ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات ،
وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه
أبد الأبدين .

* * *

﴿سُورَةُ الطَّلَاقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَرَكَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَزَبَهُ

هي اثنتا عشرة آية ، وأهدافها بيان أحكام الزوجين من الطلاق والرجعة والعدَّة والنفقة .

من خصائص هذه السورة

للسورة خصائص تسع كلها تتعلَّق بالأسرة، إلا اثنتين، وهذه الخصائص هي :

- ١ — الأمر الإلهي للمؤمنين بالطلاق السنِّي، وهو في أول طهر المرأة لم يتقدَّم فيه ميسس وجماع لها، آيتان ١، ٢ .
- ٢ — النهي عن إخراج المطلقة من بيتها ما دامت في العدَّة، آية ١ .
- ٣ — الأمر بإشهاد ذوي عدل عند الطلاق وعند الإرجاع، آية ٢ .
- ٤ — بشارة المتقين بالتفريج عنهم عند كل ضيق وحصولهم على الرزق من حيث لا يحتسبون، آيتان ٢، ٣ .
- ٥ — بيان عدَّة اليائسة من الحيض والصغيرة التي لم تحض بعد أو الكبيرة التي لم يتقدَّم لها حيض في حياتها، آية ٤ .

- ٦ - عِدَّةُ الحَامِلِ مَطْلَقًا سِوَاءَ كَانَتْ مَطْلُوقَةً أَوْ مَتَوَفَى عَنْهَا زَوْجُهَا، آيَةٌ ٤ .
- ٧ - وجوب النفقة والسكن للمطلقة والحامل والمرضعة، آية ٦ .
- ٨ - إنفاق الزوج يكون حسب وضعيته من سعة وضيق، آية ٧ .
- ٩ - بيان أَنَّ الأَرْضِينَ سَبْعٌ مِثْلَ السَّمَوَاتِ، وَلَا نَدْرِي أَيْنَ هَذِهِ السَّبْعُ، هَلْ هِيَ طَبَاقٌ تَحْتَ هَذِهِ الأَرْضِ، أَمْ هِيَ عَلَى هَذِهِ الكُرَةِ الَّتِي نَعِيشُ عَلَيْهَا؟.. قَدْ قِيلَ بِكُلِّ ذَلِكَ، آيَةٌ ١٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ .



عن سالم، أَنَّ عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم أخبره أنه طَلَّقَ امرأة له وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيَّظ رسول الله ﷺ ثم قال: «لِيُرَاجِعَهَا ثُمَّ يَمْسُكُهَا حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرَ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسُهَا، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُطْلَقَ لَهَا النِّسَاءُ». وفي رواية: قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: «﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ - فِي قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ -»، وفي رواية: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا» .

رواه أحمد ٢/٢٦، ٤٣، ٥٤، والبخاري ١١/٢٦١، ٢٦٦، ومسلم ١٠/٥٩، ٦٩، وأبو داود ٢١٨٥، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى ٦/٤٩٣، وابن ماجه ٢٠١٩، وغيرهم بألفاظ مطوَّلًا ومختصرًا .

قوله: قبل عدتهن، بضم القاف والباء، أي: مستقبلات عدتهن، وهذه القراءة من القراءات الشاذة بالاتفاق، وهي محمولة على التفسير كما قال النووي وأبو حيان وغيرهما، وهي تؤدي معنى الحديث والآية، وهو أن يكون الطلاق في طهر لم تمس المرأة فيه بجماع، فقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾

لِعِدَّتَيْهِ ﴿١﴾، أي: في طهر من غير جماع، فقبل عدَّتَيْنِ، أي: إقبال طهرهن وأوله وابتداؤه.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾.



عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: جعل النبي ﷺ يتلو هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾، ثم قال: «يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم»^(١).

رواه أحمد ١٧٨/٥، والنسائي في الكبرى ٤٩٤/٦، وابن ماجه ٤٢٢٠، وابن حبان ٥٣/١٥ بالإحسان وسنده صحيح لولا انقطاعه، لكن له طريق آخر رواه أحمد ١٤٤/٥، و ٤٥٧/٦ مطوّلًا، وشهر بن حوشب تكلم فيه بلا حجة كما قال النووي وغيره، فالحديث قويّ بطريقه.

وعن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

رواه أحمد ٢٤٨/١، والنسائي في الكبرى ١١٨/٦، وابن السني في عمل اليوم ٣٥٨، والطبراني في الصغير ٧٧/٢، والحاكم ٢٦٢/٤، ورجاله ثقات إلّا الحكم بن مصعب فجهله البعض وذكره البخاري في التاريخ ولم يذكر فيه جرحًا، وبناءً على هذا صحّحه الحاكم وأحمد شاكر في شرح المسند رقم ٢٢٣٤.

الحديثان يفسّران الآية الكريمة وأنها كافية لمن تحقق بها وعمل بمقتضاها فاتقَى الله عزَّ وجلَّ وتوكَّل عليه. فمن كان كذلك كفاه الله ما أهمه

(١) وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إنَّ أكبر آية في كتاب الله تفويضًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾. رواه الطبراني بأسانيد، أحدها رجالها رجال الصحيح إلّا عاصم بن بهدلة، وهو حسن الحديث. وانظر: المجمع ١٢٥/٧.

وجعل له من كل كرب وغم وهم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً منه، وآتاه برزقه من حيث لا يدري ولا يخطر بباله .

والاستغفار هو من كمال التقوى، فالإكثار منه فيه خير كبير، ففي الحديثين دليل واضح على أن تقوى الله وكثرة الاستغفار من أسباب تيسير الأمور والخروج من المضايق وتفريج الكرب وحصول الرزق من حيث لا يدري الإنسان، فيكون هذا من الأسباب الروحية، وقد قدمنا ص ٨٢٥ بعض ما يتعلّق بهذا الموضوع، فليراجع، فإنه مهم .

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ .



عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ سورة النساء - يعني الطلاق - القصرى نزلت بعد البقرة: ﴿ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ .

رواه أبو داود ٢٣٠٧، والنسائي في الطلاق في المجتبى وفي التفسير من الكبرى ٤٩٤/٦، وابن ماجه ٢٠٣٠، والبيهقي ٤٣٠/٧، وسنده صحيح .

وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن رحمه الله تعالى أنه قال: قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما في امرأة وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة، أيصلح لها أن تتزوج، قال: لا، إلا آخر الأجلين، قال: قلت: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾، قال: إنما ذلك في الطلاق، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة، فأرسل غلامه كريباً فقال: ائت أم سلمة رضي الله تعالى عنها فسلها هل كان هذا سنة من رسول الله ﷺ، فجاءه فقال: قالت: نعم، سبيعة الأسلمية وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة فأمرها رسول الله ﷺ أن تزوج، وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

رواه البخاري رقم ٤٩٠٩، ٥٣١٨، ومسلم ١٤٨٥، والترمذي ١٠٧٦،

والنسائي؛ كلهم في الصلاة، ورواه النسائي أيضًا في الكبرى ٤٩٤/٦.

وعن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه، أن سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ نَفِسَتْ بعد وفاة زوجها بليال، فجاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت.

رواه البخاري في الطلاق ٥٣٢٠، وفي الباب غير ما ذكرنا.

سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق، لأنها ذكرت أحكام النساء، ومراد ابن مسعود أنها جاءت بعد سورة البقرة التي فيها عدّة الوفاة أربعة أشهر وعشر، وعدّة الطلاق ثلاثة قروء، فجاءت هذه السورة تخبر بأن عدّة الحامل هي وضعها ونفاسها، فتكون مخصصة لما في البقرة، فالحامل عدتها نفاسها سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها، فإذا وضعت ولو من يومها خرجت من العدّة وحلّ لها أن تتزوّج. ويزيد هذا وضوحًا حديث سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ رضي الله تعالى عنها التي أمرها النبي ﷺ أن تتزوّج فور وضعها بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة، وخفي هذا الحكم على ابن عباس وأفتى بما في البقرة حتى علم بقصّة سُبَيْعَةَ فرجع.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْثَرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١١﴾.

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى، أنه كان بينه وبين أناس خُصُومَةٌ فذكر لعائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت له: يا أبا سلمة، اجتنب الأرض فإنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ...».

رواه أحمد ٦/٦٤، ٧٩، ٢٥٢، ٢٥٩، والبخاري في المظالم ٦/٣٠، وفي بدء الخلق ٧/١٠٣، ومسلم في البيوع في تحريم الظلم ١١/٥٠.

وعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن أروى خاصمته في بعض

داره، فقال: دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض بغير حقه طُوقَه في سبع أرضين يوم القيامة». اللّهُمَّ إن كانت كاذبة فاعم بصرها واجعل قبرها في دارها، قال: فرأيتها عمياء تلتمس الجُدْر تقول: أصابتنى دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها.

رواه البخاري ٢٨/٦، ومسلم ٤٨/١١، ٤٩، كلاهما في المظالم، واللفظ لمسلم، ورواه البخاري أيضًا في بدء الخلق ١٠٤/٧.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

رواه أحمد ٩٩/٢، والبخاري في المظالم ٣٠/٦، وفي بدء الخلق ١٠٣/٧، وغيره. وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد ٣٨٧/٢، ومسلم ١٦١١ في المساقاة، وعن يعلى بن مرة عند أحمد ١٧٣/٤، وابن حبان وغيرهما بسند صحيح، ولفظ هذا: «من أخذ أرضًا بغير حقه كُفِّ أن يحمل ترابها إلى المحشر».

قوله: قيد شبر، بكسر القاف، أي: قدر، يقال: قيد وقاد، وقيس وقاس، بمعنى واحد. وقوله: طُوقَه، بضم الطاء وكسر الواو المشددة مبني للمجهول، أي: جعل ذلك في عنقه كالطوق كما قال تعالى في مانعي الزكاة: ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُوبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وقيل: يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقة ذلك. ويؤيد هذا الرواية الأخيرة ليعلى بن مرة، فإن فيه: «كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر»، والله أعلم.

والآية الكريمة صريحة كالأحاديث في أن الأرضين سبعٌ كالسموات، وجاء صريح القرآن بأن السموات طباقًا، وهكذا جاء في السُنَّة الصحيحة في أحاديث الإسراء والمعراج، وأن النبي ﷺ قطع السموات السبع ووجد في كل سماء نبيًا من الأنبياء، وهكذا جاء في حديث أبي هريرة الذي رواه

الترمذي وغيره في أنها طبقات وأن ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام... وكذا حديث الأوعال الآتي في الحاقة، كلها دالة على ذلك، يبقى الأمر في الأرضين، فصريح القرآن أنها مثل السموات طباق بعضها فوق بعض، وبهذا قال علماء الإسلام خلافاً لمن قال أنها أقاليم سبع، فإن ذلك يخالف صريح القرآن والأحاديث التي ذكرناها.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم تحت حديث سعيد بن زيد: قال العلماء: هذا تصريح بأن الأرضين سبع طبقات، وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. وأما تأويل المماثلة على الهيئة والشكل فخلاف الظاهر، وكذا قول من قال: المراد بالحديث سبع أرضين من سبع أقاليم؛ لأن الأرضين سبع طباق، وهذا تأويل باطل أبطله العلماء بأنه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من هذه الأقاليم شيئاً من إقليم آخر بخلاف طباق الأرض فإنها تابعة لهذا الشبر في الملك، فمن ملك شيئاً من هذه الأرض ملكه وما تحته من الطباق» ٤٨/١١. وذكر الحافظ نحوه مختصراً في بدء الخلق ٧/١٠٢ فقال: ونقل عن بعض المتكلمين أن المثلية في العدد خاصة، وأن السبع متجاورة - يعني أقاليم - قال: وحكى ابن التين عن بعضهم أن الأرض واحدة، قال: وهو مردود بالقرآن والسنة. قال الحافظ: لعل القول بالتجاور وإلا فيصير صريحاً في المخالفة، قال: ويدل للقول الظاهر ما رواه ابن جرير ٢٨/١٥٣، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في هذه الآية «ومن الأرض مثلهن»، قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق»، هكذا أخرجه مختصراً وإسناده صحيح^(١).

(١) وكذا أخرجه الحاكم كالأتي في التفسير من المستدرک ٢/٤٩٣، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

قال: وأخرجه الحاكم ٤٩٣/٢، والبيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبي الضحى مطوّلاً: «سبع أرضين، في كل أرض نبي كنيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى». قال البيهقي: وإسناده صحيح إلا أنه شاذ بمرة، بل هو منكر وإن صح سنده.

قلت: وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعلى كلِّ فالأرضون سبع كالسّموات ولا فارق، غير أنّ الظاهر أنّ الأرضين مرتوقات متلاصقات لما اكتشف الآن من أنّ هذه الأرض التي نعيش عليها هي كوكب في الفضاء كجملة الكواكب، والله تعالى أعلم بأسرار كتابه وكونه.

وبهذا تمّت سورة الطلاق، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ التَّحْرِيمِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَكَلَّمَ وَبَارِكْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَهَجْبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَزَبَهُ

هذه السورة الكريمة هي خاتمة السور العشر المدنيات المتواليات، وهي اثنتا عشرة آية، وهدفها البارز هو الكلام على بيت النبي ﷺ وزوجاته الطاهرات وما صدر منهن حوله ﷺ من التنافس والغيرة.

من خصائص هذه السورة

- ١ - تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه أو بعض سراريه طلباً لرضاء بعض أزواجه، فعاتبه الله عزَّ وجلَّ على ذلك بلطف ورفق، آية ١.
- ٢ - حكم من فعل مثل ذلك أن يكفر كفارة اليمين، آية ٢.
- ٣ - ذكر إفشاء بعض نسائه ما أسره إليها وإطلاع الله إياه على ذلك، آية ٣.
- ٤ - حملة شديدة عنيفة من الله جلَّ علاه على أمهات المؤمنين لما صدر منهن من التنافس والغيرة ضدَّ النبي ﷺ، وما توعدهن به بإبداله تعالى لرسوله نساء خيراً منهن... كل ذلك جاء انتصاراً له ﷺ، آيتان ٤، ٥.

- ٥ - الأمر الإلهي للمؤمنين بحفظهم أنفسهم وأهلهم من النار التي وقودها الناس والحجارة، آية ٦ .
- ٦ - بيان أن خزنة جهنم ليست فيهم رحمة وإنما هم غلاظ شداد، آية ٦ .
- ٧ - الأمر بالتوبة النصوح، وهي الندم على الذنب والإقلاع عنه ونية عدم الرجوع إليه، آية ٨ .
- ٨ - ضرب مثلين رائعين، أحدهما للكافرين، والثاني للمؤمنين .
 فالأول: ضُربَ بامرأتي نوح ولوط حيث كانتا تحت عصمة رجلين من أفضل الخلائق فلم ينفعهما ذلك يوم القيامة لكفرهما، آية ١٠ .
 أما الثاني: فضُربَ بامرأتين كانتا تمثلان أفضل النساء في زمانهما، ألا وهما: آسية بنت مزاحم التي كانت تحت فرعون الطاغية، ومريم البتول التي أحصنت فرجها وعاشت مع بني إسرائيل الذين تنكروا لها ورموها بالعظائم فلم يضرّها ذلك بل أصبحت كسابقتها مضرب الأمثال في العفة والفضيلة النسوية، آيتان ١١، ١٢ .
- ٩ - ذكر امرأة فرعون ولم يتقدّم لها ذكر في غير هذه السورة، آية ١١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَمْحَرِمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيُّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ

١

رَحِيمٌ ﴿١﴾

عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة - رضي الله تعالى عنهما - حتى حرّمها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَمْحَرِمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآيات .

رواه النسائي في عشرة النساء من الصغرى والكبرى، وأخرجه في التفسير من الكبرى ٤٩٥/٦، والحاكم ٤٩٣/٢، وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصحّحه الحافظ في الفتح. وله شاهد عن ابن عمر رواه الهيثم بن كليب في مسنده، قال ابن كثير في التفسير: وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة .

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ بِهِ وَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ تَبَانِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُنُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ، أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ وحفصة أيتنا ما دخل النبي ﷺ عليها فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «بل شربتُ عسلاً عند زينب»، وقال لي: «لن أعود له»، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾، ﴿إِنْ نُنُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾، ﴿وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ بِهِ وَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ تَبَانِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٣﴾﴾؛ لقوله: «بل شربت عسلاً»، وفي رواية: «فلن أعود له وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً».

رواه البخاري في التفسير ٢٨٢/١٠، وفي الطلاق ٢٩٣/١١، ٢٩٤، ٢٩٥، وفي الأيمان والنذور في ٦٦٩١، ومسلم في الطلاق ٧٣/١٠، وأبو داود ٣٧١٤، والنسائي في الكبرى ٤٩٥/٦، وفي عشرة النساء، وفي النذور من المجتبى.

قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: إذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿٢١﴾﴾ .

وفي رواية قال: في الحرام يُكْفَرُ، ثم قرأ الآية. وفي رواية ثالثة قال: إذا حرم امرأته ليس بشيء.

رواه مسلم ٧٢/٢٠، ٧٣، في الطلاق بالرواية الأولى، ورواه البخاري في التفسير ٢٨٢/١٠، بالرواية الثانية وفي الطلاق ٢٩١/١١ بالرواية الثالثة.

مراد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن من حرم زوجته على نفسه عليه أن يكفر كفارة اليمين، ولا يلزمه طلاق، واستدل بالآية، إشارة منه إلى أن النبي ﷺ حرم مارية عليه، وهو قول للعلماء، وجاء به حديث أنس الذي صدرنا به أوّل السورة، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس في آخرين. لكن الصحيح أن النبي ﷺ إنما حرم شرب العسل وقال: «لن أعود وقد حلفت»، فجاءت الآية الكريمة تبين أنه تعالى قد شرع للمؤمنين ما يتحللون به من أيمانهم وذلك بالكفارة، والله تعالى أعلم.

يبقى الكلام في حكم من حرم زوجته، فذهب ابن عباس كما رأينا أن عليه الكفارة، وقال بذلك جماعة من أهل العلم، وقال آخرون: تحرم عليه البتة حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا مذهب مالك وآخرين، وقال البعض: لا شيء في ذلك، وبه قال ابن حزم في جماعة، والله تعالى أعلم.

وانظر: شرح النووي لمسلم ٧٣/١١، ٧٤، فقد ذكر المذاهب في ذلك مفصلة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ نُؤبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدِ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه سأل عمر رضي الله تعالى عنه عن اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ، فقال: عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما.

رواه البخاري في التفسير ٢٨٣/١٠، ومسلم في الطلاق ٨٥/١٠، والترمذي في

التفسير ٣١٠٠، كلهم روه مطوّلًا، ورواه النسائي في الكبرى ٤٩٥/٦، مختصرًا كما ذكرناه.

اختلفت الأحاديث في سبب نزول هذه الآيات وماذا حرم رسول الله ﷺ عليه؟ هل الأمة أم العسل؟ وعلى الثاني: من الساقية؟ هل زينب أم حفصة؟ ومن المتظاهرتان عليه ﷺ؟ هل عائشة وحفصة، أم عائشة وسودة وصفية. . والأحاديث بذلك كلها صحيحة. والصحيح أنّ التحريم كان للعسل وهو سبب النزول للآيات، والمتظاهرتان هما عائشة وحفصة، والساقية هي زينب، وما جاء في البخاري من كتاب الصلاة ٢٩٥/١١، ٢٩٧، ومسلم فيه أيضًا ٧٥/١٠، ٧٦، ٧٧، من أنّ المتظاهرات هن عائشة وسودة وصفية، وأنّ الساقية كانت حفصة: هو غلط وانقلاب الأسماء على بعض الرواة، وهو مخالف لصريح القرآن. ﴿إِنْ تُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. فهما في الآية ثنتان لا ثلاث رضي الله تعالى عنهن جميعًا.

أما من قال بتعدّد القصّتين في الأمة والعسل فهو وإن كان محتملًا لصحة الرواية بهما جميعًا، فالظاهر أنه بعيد كما قال ابن كثير وغيره.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَدْ تَابَ اللَّهُ بَعْضَهُنَّ لِزَوَاجِهِمْ مَا اتَّخَذُوا عَلَيْهِنَّ مَبْرَأً﴾. ﴿فَإِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَدْ تَابَ اللَّهُ بَعْضَهُنَّ لِزَوَاجِهِمْ مَا اتَّخَذُوا عَلَيْهِنَّ مَبْرَأً﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة عليه، فقلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَدْ تَابَ اللَّهُ بَعْضَهُنَّ لِزَوَاجِهِمْ مَا اتَّخَذُوا عَلَيْهِنَّ مَبْرَأً﴾، فنزلت مثل ذلك.

رواه أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم، وتقدّم تخريجه في البقرة: آية رقم ١٢٥، وفي الأحزاب: آية رقم ٥٣، وذكرت في كل موضع قطعة منه مما يناسب الموضوع.

هذا من موافقات عمر رضي الله تعالى عنه ، وقد ذكرت موافقاته لنزول القرآن الكريم في فضائل الصحابة ، وهي ست موافقات جاءت بأسانيد صحيحة .
انظر : صحيفة ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ من الكتاب المذكور .

أما الآية الكريمة ، فقال القرطبي : هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه نساءً خيراً منهن والله عالم بأنه لا يطلقهن ، ولكن أخبر عن قدرته على أن رسوله لو طلقهن لأبدله خيراً منهن تخويفاً لهن . . . إلخ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَانفِرْنَا لِنَاكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

عن الأغر المزني رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس ، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة» . وفي رواية : «إنه ليُغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» .

رواه أحمد ٢١١/٤ ، ٢٦٠ ، ومسلم في الدعوات ٢٣/١٧ ، ٢٤ ، وأبو داود ١٥١٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ٦٢١ ، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة ١١٦/٦ ، وغيرهم . والروايتان لمسلم وغيره . وفي الباب عن أبي هريرة رواه النسائي ١١٤/٦ ، وابن ماجه ٣٨١٥ بسند صحيح بنحوه ، وعن أنس رواه النسائي ١١٤/٦ بلفظ : «إني أستغفر الله في اليوم وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة» .

لِيُغَانُ : الغين يكون للمقربين ، وهو بمنزلة الغيم للأبرار والغفلة للعامة ، والرین لقلوب الكفار وأشباههم . واستغفار النبي ﷺ وتوبته إنما هو تعبد لله عز وجل وتشریح لأمته ، ومن باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فكان يستغفر من خلاف الأولى ومن فعل بعض المباحات . . .

والتوبة النصوح: هي الخالصة الصادقة، وهي التي تتوفر فيها ثلاثة شروط: الندم وتألم القلب على فعل الجريمة، ثم الإقلاع عن الذنب، ثم نية عدم الرجوع إليه، ثم سؤال المغفرة، فإذا كان هناك حق لمخلوق استرضى صاحبه، ومن كمال التوبة صلاة ركعتين، فإذا حصلت بهذه الشروط قبلت قطعاً خلافاً لمن قال غير ذلك، وكان جزاء التائب ما وعد الله به في تتمّة الآية وهو: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾.

وعن رجل من بني كنانة قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عام الفتح، فسمعتة يقول: «اللَّهُمَّ لَا تَخْزِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه أحمد ١٣٤/٤ بسند صحيح، وأورده في المجمع ١٢٢/١٠ وقال: رجاله ثقات.

وعن أبي ذرّ وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»، وفيه: «وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم».

أورده ابن كثير في التفسير من رواية محمد بن نصر المروزي بسند حسن صحيح، وابن لهيعة روى عنه هنا ابن المبارك، وروايته عنه كانت قبل احتراق كتبه.

في الآية الكريمة والحديث الثاني بشارة لمؤمني هذه الأمة وأنها ستكون مع نبيها ﷺ والنور يتلأأ ويضيء عليهم بين أيديهم وبأيمانهم داعين الله عزّ وجلّ: يَا رَبَّنَا أْتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا...

قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ. وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾.

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران،

وخديجة بنت خُوَيْلِدٍ وَإِنَّ فُضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفُضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» .

رواه أحمد ٤/٣٩٤، ٤٠٩، والبخاري في الأنبياء ٣٤١١، وفي فضائل الصحابة ٣٧٧٩، وفي الأطعمة ٥٤١٨، ومسلم في الفضائل ٢٤٣١، ١٩٨/١٥، ١٩٩، والنسائي في الكبرى ٩٣/٥، وفي المجتبى في عشرة النساء وغيرهم .

فيه فضل هؤلاء النسوة وأنهنَّ أفضل نساء العالمين قد بلغن نهاية الكمال البشري وجميع الفضائل وخصال البرِّ والتقوى، ويضاف إليهن مولاتنا فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة رضوان الله تعالى عليهنَّ جميعاً .

وقد اختلف في نبوة آسية ومريم كغيرهما من النسوة، فنقل القول بنبوتهما عن أبي الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم وجماعة، وذهب الجمهور إلى أنه لم تكن نبوة في النساء .

وبهذا تمَّت سورة التحريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ وَحُزْبِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ .



﴿سُورَةُ الْمَلِكِ﴾

«تبارك»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ إِلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ وَيَرْزُقُ عَلَى سِدْرٍ نَاجِحٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرَزَّاقٌ وَحَسْبُ

من هنا استؤنف ذكر السور المكِّيَّات إلى آخر القرآن، وهي نحو من خمس وأربعين سورة كلها مكِّيَّات وليس يتخلَّلها من المدنيات إلا ثلاث سور، وهي: البيئَة، والزَّلْزَلَة، والنصر. فسبحان العليم الخبير الحكيم... وهي ثلاثون آية، وأهدافها بيان أصول الدِّين ودلائل التَّوْحِيد...

من خصائص هذه السورة

- ١ — بيان سرِّ هذه الحياة، وأنَّ المقصود بجعل الموت والحياة هو ابتلاء العباد، وليعلم من يكون الأحسن عملاً منهم من غيره، آية ٢.
- ٢ — بيان ما ذكر في سورة الطلاق من أنَّ السموات سبعا، وتقييدها هنا بأنها طباق بعضها فوق بعض، آية ٣.
- ٣ — من حكم خلق النجوم في السماء كونها جعلت ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، يعني يؤخذ منها قطع وشهب فيضربون بها كما في آية أخرى: ﴿شِهَابٌ مُّقَابٌ﴾، ومن حكمها أنها يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر وكونها زينة للسماء الدنيا، آية ٥.

- ٤ — امتنانه تعالى علينا بتذليل الأرض وإرشاده إيانا بالمشي في أطرافها ونواحيها ونأكل من رزقه الذي قدره لنا، آية ١٥ .
- ٥ — توعدنا إيانا بما إذا غار الماء وذهب في تخوم الأرض من الذي يخرجها لنا ويرده علينا لولاه سبحانه جلّ علاه؟! آية ٣٠ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . . . ﴿١﴾

السورة بتمامها .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجلٍ حتى غفر له، وهي سورة: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾» .

رواه أحمد ٢/٢٩٩، ٣٢١، وأبو داود ١٤٠٠، والترمذي ٢٦٩٩، والنسائي في الكبرى ٦/٤٩٦، وابن ماجه ٣٧٨٩، وابن حبان ١٧٦٦ بالموارد، والحاكم ١/٥٩٥، وصححه ووافقه الذهبي .

ونحوه عن أنس بلفظ: «سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي سورة: ﴿ تَبَرَّكَ ﴾» .

أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٦٦٧، والصغير ٤٩٠، قال في المجمع ٧/١٢٧: ورجاله رجال الصحيح .

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: كنا نُسَمِّيها في عهد رسول الله ﷺ المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب .

عزاه في المجمع لكبير الطبراني ١٠٢٥٤ وأوسطه، وقال: رجاله ثقات . وفي رواية عنه عند كبير الطبراني ٨٦٥٢، ٨٦٥٣: «مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فجلسوا عند رأسه، فقال: لا سبيل لكم عليه، قد كان يقرأ سورة الملك» . وفي رواية: -

«تَوَتَّى رِجْلَاهُ وَجُوفُهُ وَرَأْسُهُ وَكُلُّ يَقُولٍ: لَيْسَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِي سَبِيلٌ، قَدْ كَانَ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَهِيَ الْمَانِعَةُ، تَمْنَعُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَةِ هَذِهِ سُورَةُ الْمَلِكِ مِنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ. وَسَنَدُهُ حَسَنٌ، وَانظُرْ: الْمَجْمَعُ ٧/١٢٧، ١٢٨.

هذه السورة الكريمة سورة عظيمة الشأن، فيها فضيلة وخير كبير وبركة لمن قرأها عند نومه، فهي شافعة ومانعة لصاحبها من العذاب بإذن الله عزَّ وجلَّ، ولذا «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَهَا مَعَ سُورَةِ (أَلَمْ) السَّجْدَةِ»، كَمَا تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُحَافِظِينَ عَلَى قِرَاءَتِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ حَضْرًا وَسَفْرًا، صِحَّةً وَمَرْضًا.

وهذا آخر الكلام على السورة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.



﴿سُورَةُ الْقَلَمِ﴾

« ن »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ نَسَى اللَّهُ وُكُوفَهُ
وَاللَّهُ وَصِيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَعَرْبُهُ

هي ثنتان وخمسون آية، وأهدافها الكلام على التوحيد والرسالة والبعث والقيامة وأهوالها.

من خصائص هذه السورة

وتختص بالآتي:

١ — افتتاحها بالقسم بالقلم والمسطورات التي تدل على عظم هذه النعمة، وهي نعمة القلم والكتابة التي هي طريق تحصيل العلوم المختلفة المتنوعة، آية ١.

٢ — ذكر خلق نبيتنا العظيم الذي لم يتقدم له ولا يأتي بعده مثل، آية ٤.

٣ — بيان خصال ذلك الشقي الخاسر ووصفه بعشر صفات سافلة هابطة:

﴿وَلَا يُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١١﴾ هَمَّازٍ مَشَامٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾، آيات ١٠ - ١٣.

- ٤ - ذكر مثل ضُرب للبخلاء بأصحاب الجنة (البستان) الذين بخلوا على الفقراء فأباد الله جنَّتهم وأحرقها ليلاً، آيات ١٧ - ٣٢ .
- ٥ - ذكر الكشف عن الساق يوم القيامة وهو من آيات الصفات، آية ٤٢ .
- ٦ - الأمر الإلهي لنبيِّنا ﷺ بالصبر على الدعوة وأن لا يقتفي أثر نبي الله يونس عليه السلام بأن يتضجَّر ويفرَّ من قومه، آية ٤٨ .
- ٧ - ذكر العين وأنَّ إصابتها حقٌّ بإذن الله عزَّ وجلَّ، آية ٥١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾ .



عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ أوَّل ما خلق اللهُ القلم، فقال له: أكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد.

رواه أحمد ٣١٧/٥ بسند صحيح، وأبو داود ٤٧٠٠، والترمذي في القدر ١٩٨٦، وفي التفسير ٣٠٩٨ بتهذيبي، والطيالسي ٥٣، وغيرهم، وهو مطول عندهم.

﴿تَ﴾: من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه. والقلم: يشمل كل الأقلام بدءاً من قلم الله عزَّ وجلَّ الذي أمره بكتابة المقدورات والمكوّنات. وهو نعمة من النعم العظيمة على الإنسانية، فهو من أعظم أسباب المعارف والعلوم، فلولا له لما حُفِظَ علينا القرآن الكريم، ولما حُفِظت علينا السُنَّة المحمّدية ولا دُوّنت العلوم ووصلت إلينا عسلاً مصفًى، فالقلم وما يكتب ويسطر به لهما شأن عظيم، ولهذا أقسم الله عزَّ وجلَّ بهما هنا لما لهما من منافع ومصالح دينية ودنيوية، وسيأتي ما امتنَّ به تعالى علينا في العلق بقوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ .

والحديث المذكور يدلّ على أنّ القلم من أوّل ما خلق، وأنه كتب كل ما هو كائن ممّا شاء الله عزّ وجلّ أن يكون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾.

﴿٤﴾

عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: «كان خُلُقُه القرآن».

رواه أحمد ٩١/٦، ١٦٣، ومسلم في صلاة الليل ٢٥/٦، ٢٦.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين فما قال لي أفٌ قطُّ، ولا قال لشيءٍ فعلته لم فعلته، ولا لشيءٍ لم أفعله ألا فعلته، وكان ﷺ «أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا».

رواه أحمد ٢٢٢/٣، ٢٢٨، ٢٧٠، والبخاري في المناقب ٣٨٦/٧، ٣٨٧، ومسلم في الفضائل ٨٥/١٥، ٨٦.

كان خلقه القرآن، بضم الخاء واللام: تعني عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ صار امتثال القرآن — أمرًا ونهيًا وخبرًا — سجية وصفة له تطبّعه، وترك طبعه الجبليّ فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَثَلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ﴾ ﴿١١﴾.

﴿١١﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة».

رواه البخاري في الطهارة ٢١٨، ج ١/٣٣٤، وفي الجنائز ١٣٦١، ١٣٧٨، وفي الأدب ٦٠٥٢، ومسلم في الطهارة ٢٩٢، ٣/٢٠٠، وياقي الجماعة والنسائي في الكبرى ٤٩٦/٦.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه مرَّ عليه رجلٌ فقيل له: إنَّ هذا يرفعُ الحديثَ إلى الأمراءِ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «لا يدخُل الجنةَ قَتَاتٌ».

رواه أحمد ٣٩٧/٥، ٤٠٢، والحميدي ٤٤٣، والبخاري في الأدب ٦٠٥٦، ومسلم ١٠٥، ١٧٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٧١، والنسائي في الكبرى ٤٩٦/٦، وغيرهم.

الهَمَّاز: المغتاب الطعَّان في أعراض الناس الآكل لحومهم، وقد جاء في الغيبة قوارع وزواجر معروفة. والقَتَات: هو النَّمَام الذي يَسْعَى بالكلام للإفساد بين الناس والأحِبَّة، كما جاء في المسند وسنن ابن ماجه وغيرهما من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها أنَّ النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخياركم؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ»، ثم قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بشراركم، المَشَاوُونَ بالثَّمِيمَةِ المُفْسِدُونَ بين الأحِبَّةِ الباغون للبراء العَنَت»، وقد تقدَّم في سورة يونس: آية ٦٣.

وقوله في حديث ابن عباس: وما يعدُّبان في كبير، يعني عندهم، فإنهم قد يستهينون بمثل ذلك وهما عند الله عظيم لأنهما من موجبات عذاب القبر عيادًا بالله تعالى. وفي حديث حذيفة وعيد شديد وتهديد أكيد للوشاة والجواسيس ورجال المخابرات فإنهم إن لم يتوبوا ويرعوا عمَّا هم فيه دخلوا النار، كما أنهم في حالتهم الراهنة شرار خلق الله لأنهم يسعون بالإفساد بين الحاكمين والمحكومين.

قوله تعالى: ﴿عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبٌ﴾.

عن حارثة بن وهب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كلُّ عُتْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ»، وفي رواية: «كل جَوَّازٍ جَعَطِرِي مُسْتَكْبِرٍ».

رواه أحمد ٣٠٦/٤، والبخاري في التفسير ٢٨٩/١٠، وفي الأدب ١٠١/١٣، وفي الأيمان والنذور ٣٥٠/١٤، ومسلم في الجنة ١٨٦/١٧، ١٨٧، والترمذي في صفة جهنم ٢٤٢٤، والنسائي في الكبرى ٤٩٧/٦، وابن ماجه في الزهد ٤١١٦.

متضعف، بضم الميم وفتحات مع تشديد العين وكسرهما، فعلى الأول وهو المشهور معناه: الذي يضعفه النَّاسُ ويحتقرونه، وعلى الثاني: المتواضع في نفسه أو الرقيق القلب المُخْبِتُ. وقوله: لو أقسم... إلخ، معناه: لو حلف على شيء إيجاباً أو سلباً لأبرَّ تعالى حلفه إكراماً له. وقوله: عتل، بضم العين والتاء: هو الجافي عن سماع الموعظة، الغليظ في أخلاقه اللفظ. والجَوَّازُ: الجموع للمال المنوع، أو المختال في مشيته اللحيم، والمستكبر صاحب الكبر المتعاطم الذي يبطر الحق ولا يقبله ويحتقر الناس ويستصغروهم.

وفي الحديث بيان أهل الجنة من أهل النار بصفاتهم في هذه الحياة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَيَتَّقِي مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا».

رواه أحمد ١٦/٣، ١٧، والبخاري في التفسير ٢٩٠/١٠ وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان رقم ١٨٣، وغيرهم.

هذا قطعة من حديث طويل، واختلف في معنى الساق اختلافاً كثيراً، فذهب جماعة إلى تأويله، وقالوا معناه: يكشف فيه عن أمر عظيم فظيع في غاية الهول والشدة، قالوا: والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة. ولا داعي إلى هذا مع بيان الحديث للآية الكريمة، فالآية كالحديث من باب صفات الله تعالى، فتؤمن بذلك ولا تعطل، مع تنزيه الله تعالى عن الجارحة وتشبيهه بخلقه.

والحديث مطابق للآية في عدم استطاعة الكفار والمنافقين السجود يوم القيامة عندما يدعون إلى ذلك فيسجد المؤمنون ويمتنع الكفار، وتصير ظهورهم طبقاً واحداً.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾.

٤٨

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يونس بن متى»، وفي رواية: «لا يقولن إني خير... إلخ».

رواه البخاري في الأنبياء ٧/٢٦٢، وفي تفسير الصافات ١٠/١٦٣. ورواه أحمد ٢/٤٠٥، ٥٣٩، والبخاري في تفسير سورة الأنعام ٩/٣٦٣، وفي الصافات ١٠/١٦٣، وفي الأنبياء ٧/٢٤٠، ومسلم في الفضائل ١٥/١٣٣، ١٣٤، عن أبي هريرة وابن عباس بالفاظ.

صاحب الحوت هو نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام، وسُمِّي بذلك لأنَّ الحوت التقمه وابتلعه، وسُمِّي في آية أخرى بذئ النون.

وإنما نهى عن تفضيل أحد على يونس لثلاثي يؤدي إلى احتقاره

واستصغاره لما صدر منه من الفرار من قومه، وليس معناه أنه أفضل من نبينا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمُوتِ﴾، معناه: لا تكن يا رسولي محمدًا في الضجر والعجلة كيونس عليه السلام حيث غضب على قومه وتركهم فركب البحر فالتقمه الحوت... إلخ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْتَلُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْتُونٌ﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا».

رواه مسلم في السلام ١٧١/١٤، والأحاديث بهذا كثيرة، ويأتي بعضها في الطب.

قوله: ليزلقونك، أي: يصرعونك بأعينهم ويهلكونك. والآية تدل على أن إصابة العين وتأثيرها حق بإذن الله تعالى، وفيها جاءت تلك الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي تخبر بوقوع العين وأنها قد تدخل الرجل القبر والجمال القدر، وهذا شيء محسوس مشاهد لا يُنكر. وإنما اختلفوا في طريق تأثير العين.

وقوله في الحديث: وإذا استغسلتم... إلخ، معناه: أن العائن إذا عرّف وجب عليه أن يغسل رجليه ويديه وبعض أطرافه ويصّب ذلك الماء على المعيون فيكون علاجه.

والخلاصة: أن هذه خاصية جعلها الله عزّ وجلّ في عين العائن الحاسد أو المعجب، إمّا بسّم يصل من عينه في الهواء إلى بدن المعيون أو بجواهر... وهذا كبعض الأفاعي إذا وقع بصرها على الإنسان هلك من

حينه أو عمي، والصحيح يخالط المريض فيصابُ بمرضه، وقد يتشاءب شخصٌ بحضرة آخر فيتشاءب الآخر، وهذا شيء كثير، فالأجسام والأرواح والمعادن والأشجار والنبات وأنواع الحيوان والطير، الكل له خواص يختص بها. وقد ذكر الأطباء وعلماء الحيوان والروحانيون وغيرهم خواص الأشياء، وقد اكتشف العلم الحديث العجائب من ذلك، ولا معنى لإنكار العين وقد أخبر بها الصادق المصدوق عليه السلام بها عن الله عزَّ وجلَّ الذي خلق الأشياء وخواصها، والذي يعلم النافع والضارَّ منها على الإجمال والتفصيل.

وبهذا تَمَّت سورة القلم، والحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصَّالِحَات،
 وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيِّدنا مُحَمَّد وآله وذُرِّيَّته وزوجه وصحبه وحزبه
 أبد الأبدِين.

* * *

﴿سُورَةُ الْحَاقَّةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ لِي اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَارَكْ عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُؤُوفٌ وَرَحِيمٌ

هي ثنتان وخمسون آية، وأهدافها ذكر القيامة وأهوالها، والكلام على الطغاة المكذابين أمثال قوم عاد وثمود ولوط وفرعون... ثم بيان صدق القرآن وبراءة الرسول ﷺ مما نسب إليه واتَّهمه به المشركون الملاحين.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر الحاقة مكررة مرتين وهي من أسامي يوم القيامة، سُمِّيت بذلك لحقية وقوعها، آيتان ١، ٢.
- ٢ — بيان الأيام والليالي التي أهلك الله فيها قوم عاد وهي سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، آية ٧.
- ٣ — بيان ما يقوله كل من يؤتى كتابه بيمينه أو شماله، آيات ١٩ — ٢٩.
- ٤ — بيان مقدار السلسلة التي يسلك فيها الكافر صاحب الشمال، آية ٣٢.
- ٥ — قسم الله عزَّ وجلَّ بكل الكائنات: ما نشاهد وما هو غائب عنَّا، آيتان ٣٨، ٣٩.

٦ — تنزيه القرآن الكريم عن كونه قول ساحر أو كاهن بل هو تنزيل من ربِّ العالمين، آيات ٤٠ — ٤٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ﴾ ﴿٦﴾ .

﴿٦﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالذَّبُورِ» .

رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وقد تقدّم تخريجه في سورة فُصِّلَتْ: آية ١٦ .

والصبا، بفتح الصاد: الريح الشرقية، وبها كان هلاك الأحزاب في غزوة الخندق. والذَّبُور: الريح الغربية، وهي التي أَهْلَكَ بها الله عزَّ وجلَّ قوم عاد.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۖ﴾ ﴿٧﴾ .

﴿٧﴾

عن جابر رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ» .

رواه أبو داود في السُّنَّة ٤٧٢٧ بسند صحيح، والطبراني في الأوسط ١٧٣٠، ٤٤١٨، قال الهيثمي في المجمع ١/ ٨٠: ورجاله رجال الصحيح .

العرش: هو أعظم خلق خلقه الله، وهو سقف هذا العالم، وله حَمَلَةٌ مكلَّفون به من قِبَلِ الله تعالى يحملونه، لهم من الخلق والعظمة ما لا يعلمه إلاَّ الله، فإذا كان الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه سبعمائة عام وهو شيء مدهش لا تتحمَّله عقولنا، فكيف يا ترى بجثته؟ ولا ندري الباقين، وكل ذلك يدل على عظمة خالقنا وإلهنا والمدبر لشؤوننا .

والحديث فيه بيان حملة العرش الآن، وأنهم ثمانية على هيئة الأوعال

— جمع وعل، وهو: التيس المتوحش^(١) — وأن جثتهم عظيمة بحيث مسافة ما بين ركبهن وأظلاف أقدامهن كما بين السماء والسماء، والله تعالى أعلم.

والآية الكريمة تدل على أن حملة العرش يوم القيامة سيكونون ثمانية أملاك وكذلك هم الآن؛ يدل لذلك الحديث التالي إن صحَّ، وهو:

عن العباس رضي الله تعالى عنه، أنه كان جالسًا في البطحاء في عصابة ورسول الله ﷺ جالس فيهم، إذ مرّت عليهم سحابة فنظروا إليها، فقال رسول الله ﷺ: «هل تدرون ما اسمُ هذه؟»، قالوا: نعم، هذا السحاب، فقال رسول الله ﷺ: «والعنان؟»، قالوا: والعنان، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض؟»، قالوا: لا والله ما ندري، قال: «فإن بعد ما بينهما إمّا واحدة وإما اثنان أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، والسماء فوقها كذلك»، حتّى عدّهن سبع سموات كذلك، ثم قال: «فوق السماء السابعة بحرٌ بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء وفوق ذلك ثمانية أوعالٍ بين أظلافهنّ ورُكبهنّ مثل ما بين السماء إلى السماء، والله فوق ذلك».

رواه أبو داود في كتاب السنّة ٤٧٢٤، ٤٧٢٥، والترمذي في التفسير ٣١٠٢ من طرق صحيحة، ورواه أحمد رقم ١٧٧٠، ١٧٧١، وأبو داود ٤٧٢٣، وغيرهما بسندين ضعيفين، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريقين أحدهما صحيح، ورواه الحاكم ٥٠٠/٢، ٥٠١، مرفوعًا وموقوفًا، وصحّح الموقوف على شرط مسلم. والحديث مع صحّة سند بعض طرقه هو حديث فيه نكارة، ومع ذلك فقد جزم بصحّته من المعاصرين: الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند، وأستاذنا السيّد أحمد الصديق في جؤنة العطار، وخالفهما السيّد عبد الله الصديق.. رحم الله الجميع.

(١) هذا من نكارة الحديث، فإنّ وُصِفَ الملائكة بالأوعال فيه تنقيص لهم وخط من قدرهم، وهم المكرمون المطهّرون الذين يجب تزيههم عمّا فيه غضاضة...

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ حَافِيَةٌ﴾ ﴿١٨﴾ .

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ الناس يوم القيامة ثلاثَ عَرْضَاتٍ، فأَمَّا عَرْضَتَانِ فجدالٌ ومعاذيرٌ، وأما الثالثة فعند ذلك تطيرُ الصُّحُفُ في الأيدي فأخذُ بيمينه وأخذُ بشماله» .

رواه أحمد ٤/٤١٤، وابن ماجه ٢٧٧ في الزُّهد ورجاله ثقات مع انقطاع فيه، وهو عند ابن أبي حاتم ٣٣٧١/١٠. وله شاهد عن أبي هريرة مثله، رواه الترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٥ بسند حسن، لولا ما قيل في عدم سماع الحسن من أبي هريرة، وفيه خلاف. وله شاهد آخر موقوف على ابن مسعود رواه البيهقي، قال الحافظ: بسند حسن .

في الحديث بيان عرض الناس يوم القيامة على الله عز وجل، وأنه سيكون ثلاث عرضات، ففي العرضة الأولى: كل واحد يدافع فيها عن نفسه، أما الثانية: فيعترفون ويعتذرون فيها، أما في الثالثة: فيمكن كل من كتابه فتظهر النتيجة، فأخذ كتابه بيمينه وأخذ بشماله .

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُمُ أَقْرَبُ وَإِ كِتَابِيَّةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُؤُومٌ وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةٌ ﴿٢٥﴾ وَلَرَّ أَدْرَ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ تَرَى الْجَحِيمَ صَلْوَهُ ﴿٣١﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»، قلت: يا رسول الله، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ . . .»، قال: «ذلك العَرْضُ». وفي رواية: «ليس أحدٌ يحاسبُ إلا هلك»، قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ

كَتَبُوا بِيَمِينِهِ ۖ... إِيخ، قال: «ذاك العرض يُعْرَضُونَ، ومن نوقش الحساب هلك».

رواه البخاري في العلم ١٠٣، وفي التفسير في الانشقاق ٤٩٣٩، وفي الرقاق ٦٥٣٦، ومسلم في الجنة ٢٨٧٦، والترمذي في صفة القيامة وفي الانشقاق من التفسير، ويأتي.

الحديث الشريف يُبَيِّنُ أَنَّ من نوقش الحساب يوم القيامة كان من الهالكين، والمناقشة أن يقال له عملت وعملت ولم فعلت؟ ألم يأتك كتابي؟ وهذا سيأخذ كتابه بشماله فيكون ذلك علامة على شقاوته فيتمنى أن لم يحاسب ولم يؤت كتابه ويودّ الموت وينادي: ما أغنى عني ما كنت أملك من المال والسلطة شيئاً في هذا اليوم. أما الصنف الثاني من أهل الحساب فيحاسب حساباً سيراً بأن يعرض عليه عمله ثم يقال له اذهب فقد غفرت لك، فيعطى كتابه بيمينه فينادي من شدّة الفرح: خذوا واقرأوا كتابي فقد أخذته بيميني وكنت أظن أنني سألقى حسابي. فهو في عيش رغد وحياة مرضية في الجنان العالية قطفوها وثمارها قريبة المأخذ ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً لكم بما أمضيتم في أيام الدنيا من الإيمان وطاعة الرحمن. وهناك صنف ثالث لم يذكر هنا وهم الذين يدخلون الجنة بدون حساب لا بمناقشة ولا بعرض، جعلنا الله تعالى بفضله وكرمه منهم آمين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصةً مثل هذه، وأشار إلى مثل جُمُجْمَةٍ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ لَبَلِغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، ولو أنها أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا وَقَعْرَهَا».

رواه أحمد ١٩٧/٢، والترمذي في صفة جهنم رقم ٢٤٠٧، وحسنه وصحّحه.

والحديث الشريف يدل على أمرين، أولاً: أنّ المسافة بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يردّ على من أنكر ذلك. ثانياً: عظم السلسلة التي يشدّ بها الكافر ويسلك فيها وأنّ طولها مسافة أربعين سنة، والظاهر أنّ هذا العدد لا مفهوم له وإنما المقصود به هو التكثير فقط، والله تعالى أعلم.

وقد جاء في صحيح مسلم ما يفيد أنّ الصخرة العظيمة لتلقّى من سفير جهنّم فتَهْوِي فيها سبعين عامًا ما تُفْضِي إلى قرارها، والسلسلة بالنسبة لجهنّم شيء ضئيل جدًّا.

وبهذا تمّت سورة الحاقة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.



﴿سُورَةُ الْمَعَارِجِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَسَّيَ اللَّهُ وَكَمَّ وَبَارَكُ عَلَىٰ سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ

وَأَلَّهِ وَهَجَبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَرْبَهُ

آياتها أربع وأربعون، وأهدافها الكلام على كفّار قريش وإنكارهم البعث، ثم الكلام على القيامة وأهوالها، والآخرة ومواقفها وشدائدها، وحساب الناس، وبيان السعداء من الأشقياء، وأحوال المؤمنين والمجرمين.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر عروج الملائكة إلى الله عزّ وجلّ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، آية ٤.
- ٢ - تمني الكافر المجرم فداء نفسه يوم القيامة بينه وصاحبه وأخيه وفصيلته، أي: قبيلته، وعشيرته ومن في الأرض جميعاً كي ينجو، آيات ١١ - ١٤.
- ٣ - من صفات الإنسان الهلع والجزع إذا أصيب بشر، والبخل والمنع إذا أصيب بخير، آيات ١٩ - ٢١.
- ٤ - القسم برب المشارق والمغارب، آية ٤٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾ (١).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ﴾ (١)، قال: النضر بن الحارث بن كلدة.

رواه النسائي في الكبرى ٤٩٨/٦، والحاكم ٥٠٢/٢، وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي، وسنده عند النسائي صحيح على شرط البخاري.

يريد ابن عباس أن السائل بنزل العذاب والداعي به هو هذا الشقي، وهو القائل أيضاً: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٣) [الأنفال].

وقد أهلكه الله عزَّ وجلَّ يوم بدر فصار إلى أمه الهاوية.

فمعنى الآية الكريمة: دعا داع من كفار مكة لنفسه ولقومه بنزل عذاب واقع لا محالة للكافرين ليس له دافع، أي: لا رادُّ له إذا أراد الله وقوعه وهو نازل بهم من الله العظيم ذي المعارج، أي: صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة.

قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ

سَنَةٍ﴾ (٤).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنزٍ لا يؤدِّي زكاته إلاَّ أُحْمِيَ عليه في نار جهنم فيجعلُ صفائحَ فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة...» الحديث.

رواه مسلم في الزكاة ٦٤/٧، ٦٨، ورواه البخاري مطوَّلاً، والنسائي في المجتبى ٢٤٨٢، وفي الكبرى ٤٩٨/٦، والسياق لمسلم مختصراً.

اليوم المذكور هو يوم القيامة كما قال ابن عباس وعامة المفسرين، وهو ظاهر هذا الحديث، وجمعوا بين هذا وبين الآية الأخرى التي فيها ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، بأنَّ القيامة فيها مواقف ومشاهد، فيكون اليوم على البعض خمسين ألف سنة، وعلى البعض الآخر ألف سنة، وعلى آخرين، وهم المؤمنون مقدار صلاة مكتوبة. لطف الله بنا وسامحنا وعاملنا بفضله آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ ما في الرَّجُلِ شُحُّ هَالِعٌ، وَجُبْنُ خَالِعٌ».

رواه أحمد ٣٠٢/٢، ٣٢٠، وأبو داود في الجهاد ٢٥١١، وابن حبان ٨٠٨ بالموارد، والبخاري في التاريخ ٨/٦، ٩، والبيهقي ١٧٠/٩، بسند صحيح.

الشح الهالع: هو الذي يحمل صاحبه على الحرص على المال والجزع على ذهابه، فالهلع أفحش الجزع. أما الجبن الخالع: فهو الخوف الذي ينشؤ عنه ضعف القلب وأنواع الأفكار، فكأن الجبن يخلع القوة والنجدة من القلب. فهاتان الصفتان شرّ ما في الإنسان من حيث هو. وجاءت الآية الكريمة تصوّر ما في بني آدم غير المهذب من أنه: هلوع جزوع إذا مسّه الشر، شحيح منوع إذا مسّه الخير، إلّا المؤمنين الصالحين المهذبين فليسوا كذلك، ثم ذكر صفاتهم السّامية.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ مَهْطَعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال: «ما لي أراكم عزين، ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربّها».

رواه أحمد ٩٢/٥، ٩٣، ١٠١، ١٠٧، ومسلم في الصلاة رقم ٤٣٠، وأبو داود في الأدب ٤٨٢٣، ٤٨٢٤، والنسائي في الكبرى ٤٩٨/٦، وغيرهم، ورواه ابن جرير عن أبي هريرة بنحوه بسند جيد.

عزّين، جمع عزة: وهي الحلقة المجتمعة من الناس، فعزّين معناه متفرّقين.

والآية الكريمة جاءت تنكر على المشركين الذين كانوا يشاهدون النبي ﷺ وما أتى به من الآيات، ومع ذلك كانوا مهطعين، أي: مسرعين فارّين متفرّقين يجتمعون حوله ﷺ حلقاً حلقاً عن يمينه وشماله يسمعون كلامه ويتحدّثون ويتعجّبون ويستهنّون به وبأصحابه.

وفي الحديث الشريف الإنكار على تفرّق الصحابة حلقاً حلقاً، ففيه ذم ذلك والإرشاد إلى الاجتماع بدل التفرّق، وفيه استحباب التشبّه بالملائكة الكرام في أفعالهم.

وبهذا تمّت سورة المعارج، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ نُوحٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْبِيَائُهُ
وَأُولُو عُرْسِهِ وَعِزِّهِ

هي ثمان وعشرون آية، وكلها تدور حول دعوة سيّدنا نوح عليه الصّلاة والسلام قومه وما سلك معهم من الأساليب في الدعوة ترغيبًا وترهيبًا، ثم في النهاية لمّا أيس منهم دعا عليهم دعوة شاملة لا تبقي ولا تذر.

من خصائص هذه السورة

- ١ - تنويع نوح عليه الصّلاة والسلام لقومه الدعوة ترغيبًا وترهيبًا ودعوتهم إلى الله عزّ وجلّ ليلاً ونهارًا وسرًّا وعلانية فلم يزدحم ذلك إلّا نفورًا وإعراضًا، آيات ٥ إلى ١٦ .
- ٢ - إنّ الله عزّ وجلّ أنبت الإنسان من الأرض نباتًا، وذكر العلماء لذلك معنيين، الأول: الإنبات الأول، وهو خلقه من الأرض وأنواعها .
ثانيًا: إنباته بإمداده تعالى إيّاه بالأغذية طوال حياته، فهو دائمًا يعيش من الأرض زرعًا وثمارًا وبقولات وفواكه وأنعامًا، وهي تأكل من الأرض فكانه دائم النبات من الأرض، والله الحمد، آية ١٧ .

- ٣ - بيان الأصنام التي عبدها قوم نوح وذكر أسمائها وهي وُدٌّ وسُواع ويَعُوثُ وَيَعُوقُ ونَسْرُ، آية ٢٣ .
- ٤ - دعاء نوح على قومه عليه السلام دعوة شاملة عامة على الكبير والصغير، آية ٢٦ .
- ٥ - دعاؤه عليه الصلاة والسلام بالمغفرة لنفسه ووالديه ولكل من دخل بيته من المؤمنين والمؤمنات، آية ٢٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ .



عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لو رحِمَ اللّهُ أحدًا من قوم نوح لرحِمَ أمّ الصّبيّ»، قال رسول الله ﷺ: «كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم، حتى كان آخر زمانه غرسَ شجرة فَعَظُمَتْ وذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة . . . ويمرّون فيسألونه فيقول: أعمَلُها سفينة. فيسخرّون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر؟ وكيف تجري؟ قال: سوف تعلمون. فلما فرغ منها وفار الثّور وكثر الماء في السّككِ خَشِيَتْ أُمُّ الصّبيّ عليه وكانت تُحِبُّه حُبًّا شديدًا، فخرجت إلى الجبل حتى بَلَغَتْ ثلثه، فلَمَّا بلغها الماء خرجت به حتى استوت به على الجبل، فلما بلغ الماء فَمَها رفَعته بيديها حتّى ذهب به الماء، فلو رحم الله منهم أحدًا لرحِمَ أمّ الصّبي» .

رواه الحاكم في التفسير من المستدرک ٣٤٢/٢، وصحّحه والطبراني في الأوسط، وأورده النور في المجمع ٢٠٠/١ بروايته، وقال فيه موسى بن يعقوب الزمعي: وثقّه ابن معين وغيره، وضعّفه ابن المديني، وبقية رجاله ثقات. وله شاهد عن ابن عباس رواه الحاكم ٣٤٣/٢، ٣٤٧، وابن أبي حاتم ٣٣٧٦/١٠ بسند رجاله ثقات غير أن رواية ابن وهب عن شبيب بن سعيد فيها كلام، فالحديث بطريقه حسن إن شاء الله .

كان دعاء سيّدنا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه موافقاً ومناسباً لهم في المساواة والشمول، فعمم دعاءه على الكبير والصغير وعلى كل الديار، والحديث المذكور يدلّ على أنّ العذاب إذا نزل بقوم حصد جميعهم حتى الأبرياء تبعاً لعشائرتهم المجرمين، وهو عدل من الله تعالى لا ندرى سرّه بالتدقيق، وقد جاء في الصحيح: **أَنْهَلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟** قال: «نعم، إذا كَثُرَ الْخَبْثُ»، وأيُّ خبث أعظم من الكفر وعبادة غير الله ومحاربة أنبيائه والدعاة إليه، فلا عجب في إغراق ذلك الصبي البريء مع أمه المجرمة فيكون مصيره الجنة ومصير أمه النَّار. وهذا غاية العدالة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ ﴿٢٨﴾.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»**.

رواه أحمد ٣/٣٨، وأبو داود ٤٨٣٢، والترمذي في الزهد ٢٢١٤، وابن حبان بالموارد ٢٠٤٩، ٣٠٥٠، ٢٥٢٢، والحاكم ٤/١٢٨، وصحّحه ووافقه الذهبي، وقال النووي في رياضته: إسناده لا بأس به.

في الآية الكريمة مشروعية الدعاء بالمغفرة للنفس والوالدين وكل المؤمنين، وخاصة من دخل منهم بيت الإنسان الداعي.

أما الحديث الشريف فجاء يحذّر من صحبة غير المؤمن؛ لأنّ صحبة قرناء السوء كالكفّار والفسّاق والسّفهاء وذوي الأخلاق المنحرفة تؤثر على الإنسان ولو كان مؤمناً... فإنّه مع توالي الأيام ينساق معهم في فجورهم وانحرافاتهم.

كما أنّه ينبغي للمؤمن أن لا يطعم إلاّ الأتقياء؛ لأنّ غيرهم سيستعينون بذلك الطعام على معاصي الله وربّما كان مشاركاً ومساعدًا لهم، ثمّ إنّ

المطاعمة توجب الألفة وتؤدّي إلى التّوَادد، وذلك ينافي الحب في الله
والبغض في الله.

قال أبو حامد رحمه الله تعالى في الإحياء: الإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك
فلا تراعى فيه إلا الدين، وأخ لدنياك فلا تراعى فيه إلا الخُلُقَ، وأخ لتستأنس به
فلا تراعى فيه إلا السلامة من شرّه وخبثه وفتنته.

وبه تمّ الكلام على سورة نوح، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ
الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه
وصحبه وحزبه أبد الأبدين.



﴿ سُورَةُ الْجِنِّ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَالْأَلِّهِ وَهَجِبْهُ وَزَوْجَهُ وَهَزْبَهُ

آياتها كسابقتها ثمان وعشرون، وهي تتحدّث عن الجن الذين استمعوا لقراءة النبي ﷺ وآمنوا به وذهبوا إلى قومهم منذرين، وإخبارهم بما كانوا عليه من قبل وما نزل بهم، وانقسامهم إلى راشدين وقاسطين ظالمين، وإنّ القاسطين حطب جهنّم.

من خصائص هذه السورة

- ١ - تناولت بالكلام فريقاً من الجن وهم الذين استمعوا إلى قراءة النبي ﷺ فأمنوا، وكيف أنهم دعوا قومهم للإيمان... إلخ، آيات ١ - ١٩.
- ٢ - ذكر أن من الجن صالحين وغير ذلك، آية ١١.
- ٣ - ذكر أن المساجد لله فلا يدعى فيها إلا الله، آية ١٨.
- ٤ - ذكر أن الغيب علمه عند الله فقط إلا من ارتضاه الله من الرسل، آيتان ٢٦، ٢٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا

عَجَبًا ﴿١﴾

عَجَبًا ﴿١﴾... ﴿الآيات﴾.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم. . انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظٍ وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرْسِلَ عليهم الشُّهُبُ فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرْسِلَتْ علينا الشُّهُبُ قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حَدَثَ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟

فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجَّهوا نحو تِهامة إلى رسول الله ﷺ بِنُخْلة وهو عامد إلى سوق عُكَاظٍ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمَّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾، وأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وإنما أوحى الله قول الجن».

رواه البخاري في صفة الصلاة رقم ٧٧٣، وفي التفسير ٢٩٦/١، ٣٠١، ومسلم في الصلاة ٤٤٩، والترمذي ٣١٠٥، والنسائي في الكبرى ٤٩٩/٦، والحاكم ٥٠٣/٢، ثلاثهم في التفسير.

وعنه قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فأما الكلمة فتكون حقًا، وأما ما زادوه فيكون باطلاً، فلما بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُنِعُوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم

تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين، - أراه قال: بمكة - ، فلقوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

رواه أحمد ١/٢٢٤، والترمذي ٣١٠٧، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٠، كلاهما في التفسير، وحسنه الترمذي وصححه.

وعن علقمة رحمه الله تعالى قال: قلنا لعبد الله: هل صحب النبي ﷺ منكم أحد ليلة الجن؟ قال: لم يصحبه منّا أحد ولكنّا كنّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتّمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير واغتيل، قال: فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلمّا أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال: قلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزّاد فقال: «لكم كلُّ عظم ذُكر اسمُ اللّهِ عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علفٌ لدوابكم»، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم».

رواه أحمد ١/٤٣٦، والطيالسي ١٤٣، ومسلم في الجهر بالقراءة في الصحيح ٤/١٦٩، وأبو داود رقم ٣٩، والنسائي في الكبرى ٦/٤٩٩، والترمذي في التفسير ٣٠٤٤، وغيرهم.

حديث ابن عباس فيه بيان سبب نزول ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾، وفي هذه القصة لم يرههم النبي ﷺ ولا قصد القراءة عليهم، وإنما كانوا طوافين في الأرض ليتعرفوا على سبب ما حدث لهم، فمروا بالنبي ﷺ وهو يصلي صلاة الصبح بأصحابه بنخلة فاستمعوا إلى قراءته فأمّنوا به ثم علم بهم بواسطة شجرة كما قدمنا في سورة الأحقاف: آية ٢٩، ٣٣.

أمّا حديث ابن مسعود فهي قصة أخرى كانت الدعوة فيها من الجن فأجابهم وقرأ عليهم القرآن وعلمهم بعض شؤون الدّين . . . وكل ذلك كان بمكة المكرمة، وانظر ما سبق في الأحقاف .

وأخذ العلماء من حديث ابن عباس كالقرآن أنّ العبرة بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ؛ لأنّ هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشرّ ما اختارهم للتوجّه إلى الجهة التي ظهر له أنّ الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك غلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو هذا قصّة سحرّة فرعون، بل وكبار الصحابة الذين كانوا يعبدون الأصنام قبل إسلامهم .

وفي الحديث أيضًا أنّ الشياطين والجن اسم لمسّمى واحد، وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم إنه شيطان . . أفاده الحافظ رحمه الله تعالى .

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ ﴾ ﴿١٩﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قول الجن لقومهم: ﴿ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ ﴾ ، قال: لما رأوه يصلّي وأصحابه يصلّون بصلاته ويسجدون بسجوده قال: تعجبوا من طواعية أصحابه له، فقالوا لقومهم: ﴿ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ ﴾ .

رواه أحمد ٢٧٠/١، والترمذي ٣١٠٦، والحاكم ٥٠٤/٢، كلاهما في التفسير وصحّاحه ووافقهما الذهبي وهو عند ابن جرير ١١٨/٣ .

﴿ عَبْدُ اللَّهِ ﴾، في الآية: هو رسولنا الكريم ﷺ . وقوله تعالى: ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ ﴾، معناه: كاد الجن يركب بعضهم بعضًا من شدّة

الازدحام حرصًا على سماع القرآن... ووصف تعالى هنا نبيّه ﷺ باسم
العبودية تشريفًا وتكريمًا له كما وصفه بها في الإسراء وفي سورة الفرقان،
وكان هذا الوصف أحب إليه، ولذلك قال كما في البخاري من حديث عمر:
«إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ اللّهِ ورسوله» ﷺ.

وبهذا تمّت سورة الجن، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات،
وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه
أبد الأبدین.



﴿سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَكَلَّمَ بَارِكًا عَلِيمًا
وَاللَّهُ وَصَّيْبُهُ وَزُجْرُهُ وَعَرْبُهُ

هي عشرون آية، والسورة الكريمة محورها الكلام على جانب من جوانب حياة النبي ﷺ الشريفة العطرة وعبادته وتبئله ونزول الوحي الثقيل عليه ﷺ...

من خصائص هذه السورة

- ١ - نداء النبي ﷺ من الله تعالى بصفة المُزَّمِّل، أي: المتلفف في ثيابه، آية ١.
- ٢ - الأمر الإلهي بقيامه ﷺ الليل نصفه أو قليلاً منه، آيات ٢، ٣، ٤.
- ٣ - إخباره تعالى نبيه ﷺ بأنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً، آية ٥.
- ٤ - ساعات الليل وقيامه أثقل شيء على الإنسان وأقوم قيلاً، أي: أبين قولاً، آية ٦.
- ٥ - أمره تعالى نبيه ﷺ بالتبئل والانقطاع إلى عبادته، آية ٨.
- ٦ - أمره تعالى رسوله الكريم ﷺ بالهجر الجميل وهو الذي لا عتاب فيه، وكان هذا بالنسبة للكفار قبل الأمر بقتالهم، آية ١٠.

٧ - التخفيف على المسلمين في صلاة الليل ونسخ فرضيتها عليهم وبيان أسباب ذلك، آية ٢٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَلُّ ۝١ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ ۝٣ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٤...﴾ الآيات.

عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى قال: انطلقنا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فاستأذنا عليها فدخلنا، قلت: أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ، قالت: «ألست تقرأ هذه السورة: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَلُّ ۝١﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام النبي ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله عز وجل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة».

رواه النسائي في الكبرى ٥٠٠/٦، وفي السهو من المجتبى، وابن ماجه ١١٩١ بسند صحيح، وأخرجه مطولاً أحمد ٥٣/٦، ٥٤، ومسلم ٧٤٦، وأبو داود ١٣٤٢، والنسائي في المجتبى.

وعنها: كانت إذا عركت قال لها رسول الله ﷺ: «يا بنت أبي بكر، اتزري على وسطك»، وكان يُبَاشِرُهَا من الليل ما شاء الله حتى يقوم لصلاته وقل ما كان ينام من الليل؛ لما قال الله عز وجل له: ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾.

رواه النسائي في الكبرى ٥٠٠/٦، وأبو يعلى رقم ٤٩٣٩، والبيهقي ٣١٢/١، بسند صحيح، وقسم المباشرة مع الأتزار في الصحيحين عنها وعن ميمونة رضي الله تعالى عنهما.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ...﴾ الآية نسختها الآية التي فيها قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ تُحْصَوْهُ فَنَابَ عَلَيْكَ...﴾ الآية.

وفي رواية: لما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان، حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة.

رواه أبو داود ١٣٠٤، ١٣٠٥ من طريقين وكلاهما حسن.

قولها: عركت، بفتحات، أي: حاضت. وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ تَخْضُوهُ...﴾، أي: لن تطيقوا قيامه..

وما في الباب يدلّ على أنّ قيام الليل كان واجبًا على المسلمين كالرسول ﷺ وبقي ذلك سنة كاملة، ثمّ خفف الله تعالى عنهم فنسخ ذلك ورفع عنهم وبقي فرضًا على رسول الله ﷺ كما هو قول جمهور العلماء، وفضيلة مرغبا فيه بالنسبة لسائر الأمة. والحكمة في نسخ ذلك هي ما ذكره تعالى في قوله: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

فأسباب التخفيف: المرض، والتجارة، والجهاد في سبيل الله تعالى، فأصحاب هذه الخصال لا يتيسر لهم قيام الليل في الغالب، والله عزّ وجلّ حكيم عليم برّ رحيم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.

عن أنس رضي الله تعالى عنه، أنّه سُئِلَ عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «كانت مدًا ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمدُّ بسم الله، ويمدُّ الرحمن، ويمدُّ الرحيم».

رواه البخاري في فضائل القرآن ١٠/٤٦٨، ٤٦٩، والإسماعيلي وأبو نعيم في مُسْتَخْرَجَيْهِمَا.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، أنها سُئِلَتْ عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾.

رواه أحمد ٣٠٢/٦، وأبو داود ٤٠٠١، والترمذي في التفسير ٢٧٣٤، وابن خزيمة ١٤٨/١، والحاكم ٢٣٢/٢، والبيهقي ٤٤/٢، بسند صحيح وصححه النووي في شرح المهذب، وابن الجزري في النشر.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عنه ﷺ: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وازق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

رواه أحمد ١٩٢/٢، وأبو داود ١٤٦٤، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧٢٢، وابن حبان ٧٦٦ بالإحسان، والحاكم ٥٥٢/١، ٥٥٣، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي. في هذه الأحاديث بيان للترتيل المأمور به في القرآن الكريم، والمراد به الترتيل والتبيين وإعطاء الحروف حقوقها عند التلقظ بها وإخراجها من مد وإدغام وإظهار وغنة... وفي هذا الموضوع أنشئ علم التجويد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً.

رواه البخاري في بدء الوحي ٢٠/١، ومسلم في الفضائل ٨٨/١٥، والترمذي في المناقب ٣٤٠٩، وقد تقدّم ص ٧٤٠.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هل تحسّ بالوحي؟ فقال

رسول الله ﷺ: «أَسْمَعُ صَلَاحِ لِّ نَمَّ أَسْكُتَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُؤْحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي سَتُقْبَضُ».

رواه أحمد ٢٢٢/٢ ورجاله ثقات، وابن لهيعة حسن الحديث وخاصة في الشواهد، وقال النور في المجمع ٢٥٦/٨: رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن، أما الشيخ أحمد شاكر فصححه على عادته في التصحيح لابن لهيعة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن كان لِيُوحَى إِلَى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا.

رواه أحمد ١١٨/٦، قال النور في المجمع ٢٥٧/٨: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت تُرَضُّ فخذي.

رواه البخاري في الصلاة، وفي الجهاد ٣٨٥/٦، وفي التفسير ٣٢٩/٩، والترمذي ٢٨٣٧، والنسائي في المجتبى ٩/٦.

قوله: فيفصم، أي: يقلع عني. وقوله: صلصلة الجرس: صوته. والجرس، بفتحيتين: هو الناقوس. ليتفصد، أي: ليسيل. صلاصل، أي: أصواتاً. وقولها: بجرانها، بكسر الجيم: وهو مقدم عنقها. وقوله: ترض، أي: تدق أو تكسر.

وفي هذه الأحاديث بيان عظم الوحي وشدته وثقل نزوله، وأن النبي ﷺ كان يعاني ويلاقي متاعب ومشاقاً عند نزول الوحي، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَوْلًا ثَقِيلًا﴾، يحتمل الثقل المذكور، ويحتمل ثقل التكاليف التي فيه، أو ثقله في الآخرة لمن عمل به، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه وإحسانه أمين.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (٧).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْرَجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ - لَا أُدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنَ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكُّثُ النَّاسَ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّيْلُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلْتَهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». قال: «فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِيفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُونَ مَنْكَرًا، فَيَتِمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: لَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقَهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضِ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ: يَنْزِلُ اللَّهُ - مَطْرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادَ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقَفُّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرَجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوَالِدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يَكْشِفُ عَن سَاقٍ».

رواه مسلم في الفتن، باب ذكر الدجال ١٨/٧٥، ٧٦، ٧٧، والنسائي في الكبرى

٥٠١/٦.

قوله: كبد جبل، أي: وسطه. وقوله: في خفة وأحلام السباع، أي: يكون الناس وقتئذ في سرعتهم إلى الشر والفساد وغشيان الشهوات كسرعة الطير في طيرانها، وفي الظلم والعدوان وتسلط بعضهم على بعض كالسباع العادية. وقوله: أصغى لیتًا... إلخ، بكسر اللام، ومعناه: آمال جهة

صفحة عنقه ورفع الأخرى. وقوله: يلوط حوض، أي: يصلحه. وقوله: الطل، بالطاء، وهو الصحيح، أي: كمني الرجال كما جاء في حديث آخر.

هذا حديث عظيم في فتن آخر الزمان، وفيه ذكر الدجال، وعيسى، ولبثه في الأرض، وقبض أرواح المؤمنين بالريح الطيبة، وفشو الجهل، وعبادة الأوثان، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة القيام لرب العالمين، ثم بعث أهل النار، ثم الشاهد من الحديث الموافق للآية الكريمة الإخبار بأن ذلك اليوم لشدة أهواله وشدائده ومواقفه الحرجة ومشاهدته الخطيرة ستشيب فيه الولدان وتتغير فيه الطبائع، نعوذ بالله عز وجل من هوله بمنه وكرمه.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾.



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث المسيء صلاته أنه ﷺ قال له: «... ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن».

رواه البخاري في الصلاة ٢/٣٨٣، وفي الاستئذان، ومسلم في الصلاة ٤/١٠٦، ١٠٧، وباقي الجماعة كلهم في الصلاة مطوّلًا. وقد ذكرته في بداية الوصول وفي إتمام المنة كاملاً.

الآية الكريمة جاءت في التخفيف في قيام الليل، وأن المسلم المتجهد له أن يأتي ويقرأ بما تيسر وأمكن في صلاة الليل بعشر آيات، أو مائة أو أكثر حسب الاستطاعة والنشاط والزمان والفراغ وهدوء الليل، فالأمر في ذلك واسع والحمد لله، علمًا بأن لقيام الليل فضلاً كبيراً وله تأثير في تنوير القلوب لمن تدبّر وتخشّع...

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا



اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «أياكم ماله أحبُّ

إليه من مال وارثه»، قالوا: يا رسول الله، ما منّا من أحد إلّا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلّا ذاك يا رسول الله، قال: «ما منكم رجل إلّا مال وارثه أحب إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدّم، ومال وارثه ما أّخر».

رواه أحمد ٣٨٢/١، والبخاري في الرقاق رقم ٦٤٤٢، ج ٣٦/١٤، والنسائي في الوصايا من المجتبى، والبيهقي ٣٦٨/٣، وغيرهم.

الآية والحديث يدلّان على أنّ ما قدّمه الإنسان في الدنيا من خير صدقة كانت أم غيرها من أنواع الخير سيجد ثوابه عند الله عزّ وجلّ أوفر ما يكون، وفي ذلك حضّ على ما يمكن تقديمه من أنواع القربات وخاصة ما يتعدّى نفعه كالإنفاق في أبواب الخير.

وبهذا تمّت سورة المزمّل، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْمَدَّثَرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِي لَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ الْبُرْجِ
وَأَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالِدٌ فَتُكْفَرُ
عَنْهُ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ هُنَا
مِنْ قَبْلُ وَإِنَّكُمْ تُرْجَعُونَ
إِلَيْهِ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ قَبْلُ
لَمِنْهُرٍ مُّسْتَقِيمٍ

هي ست وخمسون آية، وأهدافها الكلام على بعض أحوال النبي ﷺ وأمر الله تعالى إيّاه بإنذار الناس، ثم بيان بعض صفات الكفرة الطُغاة... والكلام على أهل الجنة وأهل النار وما يتحاوران فيه.

من خصائص هذه السورة

- ١ — خطاب الله تعالى نبيه ﷺ بالمدثر، وهو كالمزمل وزناً ومعنى، وأصله المتدثر، أي: المتلفف والمتغطي بالدفار، وهو الغطاء الذي يكون فوق... آية ١.
- ٢ — هذه السورة الكريمة هي أول سورة نزلت تأمر بالتبليغ والإنذار بعد فتور الوحي، آية ٢.
- ٣ — ذكر ذلك الطاغية الجبار الشقي الخاسر الوليد بن المغيرة، وبيان بعض صفاته العفنة، وما قاله في القرآن الكريم المقدس، وذكر ما أعد الله له من عظيم عقابه وأليم عذابه، آيات ١١ إلى ٣٠.

- ٤ - بيان الملائكة المكلفين بالنار، وهم الزبانية، وذكر عددهم وحكمة ذلك، آية ٣٠.
- ٥ - جنود الله كثيرة ولا يعلم عددها إلا هو سبحانه وتعالى، آية ٣١.
- ٦ - كل نفس ستكون يوم القيامة رهينة بما كسبت وقدمت يداها إلا أصحاب اليمين، آيتان ٣٨، ٣٩.
- ٧ - تساؤل المؤمنين في الجنة عن الكفار وسبب دخولهم النار وجواب الكفار عن ذلك ﴿ قَالُوا لَرَنُكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾، فلم يكونوا يصلون كالمسلمين ولا كانوا يؤدون حقوق الله... في أموالهم، وكانوا يتحدّثون بالباطيل وما لا خير فيه، وكانوا مع كل ذلك يكذبون بالبعث ويوم القيامة، آيات ٤٠ إلى ٤٦.
- ٨ - ضرب المثل للكفار المعرضين عن سماع القرآن وفرارهم من ذلك بالحرر الوحشية التي تفرّ إذا عاينت الأسد وهو القسورة، آيتان ٥٠، ٥١.
- ٩ - ختم السورة بأن الله عزّ وجلّ هو أهل التقوى وأهل المغفرة، آية ٥٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه، أنّه سمع رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: «بينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض فرُعبتُ منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾ قرأ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾، فحمي الوحي وتواتر.

رواه البخاري في بدء الوحي ٣١/١، وفي بدء الخلق، وفي الأدب، وفي التفسير

٣٠٥/١٠، ٣٠٦، ومسلم في الإيمان ١٦١، ٢٥٥، ٢٥٦، والترمذي في التفسير ٣١٠٨، والنسائي في الكبرى ٥٠٢/٦، ٥٠٣.

وفي رواية عن يحيى بن كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾ ①، فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ①، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾ ①، فقلت: نبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ①، فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء بارداً، وأنزل علي: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ﴾ ① ﴿فَرَأَيْتَ مَا كُنَّا نَفْعَلُ بِالْإِنسَانِ﴾ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ ③.

هذا رواه البخاري في التفسير.

والحديث بالرواية الأولى يخبر أن هذه السورة نزلت بعد فترة الوحي، بينما الرواية الثانية ظاهرها يدل على أنها أول ما نزلت، والصحيح أن أول ما نزل إطلاقاً: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ①، ثم فتر الوحي مدة، ثم جاءت رؤيته ﷺ للملك وهو جالس على كرسي بين السماء والأرض فجاءه بهذه السورة ثم تابع الوحي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ④.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي ﷺ هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، غلبت أصحابك اليوم، قال: «وبما غلبوا؟»، قال: سألهم يهود هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة

جهنم؟ قال: «فما قالوا؟»، قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبيتنا.

قال: «أفغلب قوم سئلوا عما لا يعملون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبيتنا؟! لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة، فقال: عليّ بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرّمك»، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خزنة جهنم؟ قال: هكذا وهكذا، في مرة عشرة، وفي مرة تسعة، قالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: «ما تربة الجنة؟»، قال: فسكتوا هنيهة ثم قالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال النبي ﷺ: «الخبز من الدرّمك».

رواه الترمذي في التفسير ٣١١٠، ورجاله رجال مسلم، غير أن مجالد بن سعيد مختلف فيه، وروى له مسلم مقارنة وحسن له الذهبي.

الدرّمك: كجعفر، التراب الناعم أو دقيق الحواري.

في الآية الكريمة أنّ المكلفين بأصحاب النار هم ملائكة الله المكرمون خلقهم لذلك، وهم تسعة عشر ملكًا كل ملك لا يعلم عظمته وخلقته إلاّ الله عزّ وجلّ، وليس في قلوبهم مقدار ذرّة من الرحمة... بل هم متناسبون مع محل نقمة الله وغضبه وعذابه، أجارنا الله من ذلك.

وبهذا تمّت سورة المدثر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْقِيَامَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ إِلَى اللَّهِ وَاوْدَاقٌ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ

وهي أربعون آية، وتُعنى بالكلام على البعث والجزاء والقيامة وأحوالها وبيان مشهد من مشاهد الاحتضار.

من خصائص هذه السورة

- ١ - القسم بيوم القيامة والنفس اللوامة، آيتان ١، ٢.
- ٢ - ذكر النفس اللوامة في هذا الموطن بالذات، وقد ذكرت في موضعين آخرين، الأوّل: باسم الأمانة في يوسف، والثاني: باسم المطمئنة، وستأتي. والنفس اللوامة هي نفس المؤمن التقي الذي يلوم نفسه دائماً على ما فعل أو قصر، آية ٢.
- ٣ - التنصيص على ذكر البنان في تسوية الإنسان وإنشائه من جديد للبعث، وهذا يعدّ من الإعجاز العلمي لما علم اليوم في العلوم التجريبية من أنّ أصعب ما في تركيب الإنسان هو البنان، ولذلك كانت هذه الآية من أسباب إشهار مستشرق إسلامه، آيتان ٣، ٤.

٤ - ذكر حالة النبي ﷺ عند الوحي بأسلوب آخر غير ما في سورة طه، آيات ١٦، ١٧، ١٨.

٥ - ذكر آية كريمة فيها ذكر رؤية المؤمنين الله عز وجل يوم القيامة في الجنان وهي الآية العظيمة التي اعتمدها أهل السنة في ذلك، آيات ٢٢، ٢٣.

٦ - ذكر مشهد من مشاهد احتضار الأشقياء الخاسرين، آيات ٢٦ إلى ٣٠.

٧ - الإنكار على الإنسان الذي يظن أنه خلق ويترك هملاً بلا تكليف ولا بعث ولا حساب ولا جزاء، آية ٣٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحُ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩).

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦)، قال: كان رسول الله ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يَحْرُكُ شَفْتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أَحْرَكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْرُكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَحْرَكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَحْرُكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)، قال: جمعه له في صدرك وتقرؤه: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحُ قُرْآنَهُ﴾ (١٨)، قال: فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَاهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جَبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.

رواه البخاري في بدء الوحي ١/٣٢، ٣٣، وفي التفسير ١٠/٣٠٩، ٣١٠، وفي فضائل القرآن، ومسلم في الصلاة ٤٤٨، والترمذي في التفسير ٣١١٢، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٣.

«كان يعالج»، أي: يحاول حفظه بمشقة. كان النبي ﷺ في ابتداء الوحي إذا جاءه جبريل وألقى عليه القرآن تعجّل فجعل يحفظه مباشرة عند التلقّي فأرشدته الله عزّ وجلّ إلى ما هو أسهل وأولى به فأمره أن يستمع له أوّلاً، وتكفل له أن يجمعه له في صدره، وثانياً بعد إلقائه أن يقرأه، ثم ثالثاً على الله تعالى بيانه وإيضاحه.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)، أي: علينا أن نقرأه عليك ونجمعه في صدرك بدون معاناة ولا معالجة. وقوله: ﴿قُرْآنَهُ﴾ (١٨)، أي: قراءته. وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)، أي: علينا أن نبينه ونوضّحه لك، وهذا من لطفه تعالى ورفقه بنبية ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٢٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٣).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «هل تضارّون في رؤية الشمس ليس دونها سحبٌ، وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟» قالوا: لا، قال: «فكذلك تروّنه عزّ وجلّ»، وفي رواية: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك».

رواه أحمد ٢/٢٧٥، ٢٩٣، ٥٣٤، والبخاري في الرقاق ١٤/٢٤١، ٢٤٢، في التوحيد رقم ٧٤٣٧، في قول الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٢٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٣)، ومسلم في الإيمان ١٨٢، ٢٩٩، والنسائي في الكبرى ٦/٤٥٧، ٥٠٤، والترمذي في صفة الجنة ٢٣٧١، وغيرهم.

وتقدّم حديث صهيب في سورة يونس، في آية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وفيه: «فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه»، وهو عند مسلم في الإيمان، والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه. كما تقدّم حديث جرير البجلي في سورة ق، آية ٣٩،

وفيه: «أما إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر لا تضامون في رؤيته»، وهو في الصحيحين. والأحاديث في رؤية الرب يوم القيامة متواترة عن النبي ﷺ.

قوله: «هل تضارون»، أي: هل يضرّ بعضكم بعضاً. ورؤية المؤمنين لله يوم القيامة متفق عليها بين أهل السنة من السلف والخلف، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة والشيعة، وحق لهم أن يمتنعوا ويحرموا منها لما هم عليه من الانحرافات.

وقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ نُاصِرَةٌ﴾ (٧٧) بالضاد المعجمة، المراد بها: البهجة المشرقة المضيئة البهية المسرورة، والنصرة: النعمة وجمال البشارة والإشراق الجميلة؛ وفي سورة التطفيف: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) .. جعلنا الله عزّ وجلّ بمنّه وكرمه من أشرف أهلها.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾ (٣٤) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ ﴿٣٥﴾.

عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾ (٣٤)، قاله رسول الله ﷺ وأنزله الله عزّ وجلّ؟ قال: قاله رسول الله ﷺ ثم أنزله الله عزّ وجلّ.

رواه النسائي في الكبرى ٥٠٤/٦، والطبراني في الكبير ج ٤٥٨/١١، والحاكم ٥١٠/٢، بسند صحيح، وصحّحه الحاكم وأقرّه الذهبي.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ﴾ (٣٤) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَ ﴿٣٥﴾، أصلها عند العرب أنها أفعل تفضيل من وليه الشيء إذا دنا منه وقاربه، أي: وليك الشرُّ وأوشك أن يُصيّبك فأحذر وانتبه لأمره، فالكلمة ذهبت مذهب المثل في التخويف والتحذير والتهديد، فكانه قيل له: ويل لك يا أيها الشقي، ثم ويل لك. هكذا قال المفسرون.

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

عن موسى بن أبي عائشة رحمه الله تعالى قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾، قال: سبحانك اللّهُمَّ فبلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

رواه أبو داود ٨٨٤، وابن أبي حاتم ٣٣٨٩/١٠، والبيهقي ٣١٠/٢، وسنده صحيح. واحتمال عدم سماع موسى بن أبي عائشة من الصحابي يَضَعُفُ بشاهده عن أبي هريرة بلفظ: «من قرأ منكم: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالنَّوْثِيِّ ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ مِنَ الْمُحْكِمِينَ ﴾، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿ لَا أَقِيمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾، فليقل: بلى. ومن قرأ: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ فبلغ: ﴿ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُوتُ ﴾، فليقل: آمناً بالله». رواه أحمد ٩٤٩/٢، وأبو داود ٨٨٧، والترمذي ٣١٢٩، والبيهقي ٣١٠/٢. وهو وإن كان فيه رجل مجهول فإنه يتأيد أيضاً بحديث قتادة رواه ابن جرير ٢٠١/٢٩، ٢٥٠/٣٠، وهو مرسل صحيح، وله شاهد آخر عن ابن عباس رواه ابن جرير ٢٥٠/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٣٨٩/١٠ موقوفاً عليه. وعلى أي حال فالحديث حسن يعمل به.

الاستفهام في الآية تقريرية، وأحاديث الباب تدلّ على مشروعية الجواب بما فيها. فآية الباب يجاب عنها بسبحانك اللّهُمَّ فبلى، أي: أنت قادر يا ربنا على إحياء الموتى. والباقي ستأتي في مواضعها وبهذا تمّت سورة القيامة، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْإِنْسَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْبِيَائُهُ
وَأُولُو عِلْمِهِ وَعَبِيدُهُ وَهُوَ
ذُو الْعَرْشِ الْمُبِيبِ ذِي الْجَنَابِ
الْمُنْتَهَى الَّذِي فِي يَدَيْهِ
أَسْمَانُ سَبْعُ سَمَاوَاتٍ مَبْنُوعَاتٍ
إِنَّ عِلْمَ الْبَاطِنِ أَتَمُّ وَحُكْمُهُ
أَكْبَرُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
الَّذِي يُدْرِكُ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ
أُولَئِكَ أَصْنَافٌ أَلْفٌ مِنْ
أَلْفِ أَلْفٍ مَنْ لَمْ يَرْحَمْهُ رَبُّهُ
وَلَمْ يُرْحَمْ أَفْ يَرِثْ عَذَابَ
عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ وَأَنْتُمْ
عِنْدَ اللَّهِ بِأَعْيُنِنَ إِنْ لَمْ
تُؤْمِرُوا بِمَا يُؤْمَرُ الْإِنْسَانُ
أَلَّا يُدْرِكَهُ الْإِلَهَاجُ الْفَاسِقِينَ

السورة إحدى وثلاثون آية، وهي تتحدث بإسهاب عن شؤون الآخرة ونعيم المتقين الأبرار، وما جباهم الله وأعطاهم من متعة مع ذكر أوصافهم ونعيمهم بما لم يتقدم له ذكر في غير هذه السورة.

من خصائص هذه السورة

- ١ - بيان أنه قد مضى على هذا الإنسان دهر طويل لم يكن معروفاً، ولا له ذكر عند أحد غير الله، آية ١.
- ٢ - بيان صفات الأبرار ونعيمهم بإسهاب، آيات ٥ إلى ٢٤.
- ٣ - ذكر النذر وأنّ الوفاء به من صفات الأبرار، آية ٧.
- ٤ - وصف يوم القيامة بالعبوس والقمطير، أي: الشديد العصيب، آية ١٠.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿١﴾.



عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أَنَّ النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾.

رواه مسلم ١٦٨/٦ في الجمعة، ورواه عن أبي هريرة وتقدّم في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ﴾، آية ٢.

وفيه مشروعية قراءة هاتين السورتين في صبح يوم الجمعة، وذلك لما فيهما من الكلام على الآخرة. وقلّ من يقرأ بهما اليوم، والله الموقِّع الهادي.

أما الآية الكريمة فمعناها أنه قد مرّ وقت طويل من الزمان لا يعلم عدده إلاّ الله كان الإنسان فيه مجهولاً لا يعرف ولا يذكر رغم أنه تقدّم في هذا الكون خلّق غيره من الملائكة والجن . . .

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مولود يُولدُ على الفِطْرَةِ حتى يُعْرَبَ عنه لسانه، فإذا أعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً».

رواه أحمد ٣/٣٥٣. الحديث أورده الهيثمي في المجمع ٧/٢٢١، وقال: وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة، وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات، فالحديث من هذا الطريق حسن، وأوّل صحيح أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وقد تقدّم في سورة الروم.

وقوله: «حتى يعرب . . .» إلخ، يعني: حتى يتكلّم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ . . .﴾ إلخ، أي: بيّنا له طريق الخير وطريق الشرّ ببعثة الرسل وإنزال الكتب، فهو إما أن يكون موقِّفاً فيختار الإيمان وشكر الله عزّ وجلّ، وإما أن يضلّ فيختار الكفر بالله وعبادة غيره.

وفي صحيح مسلم: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعَ نَفْسِهِ فَمُوبِقُهَا أَوْ مُعْتِقُهَا»، فمن وجد خيراً فليحمد الله عزَّ وجلَّ كثيراً طوال حياته .

قوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾ .

﴿٧﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فَلْيَطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيهَ فَلَا يَعْصِه» .

رواه أحمد ٣٦/٦، ٤١، والبخاري في الأيمان والنذور ٦٦٩٦، ج ٣٩٢/١٤، ٣٩٨، وأبو داود ٣٢٨٩، والترمذي في الأيمان والنذور ١٣٩٤، والنسائي في المجتبى ١٦/٧، وفي الكبرى ٣/١٣٤، وابن ماجه ٢١٢٦ .

النذر: إيجاب ما ليس بواجب، كأن يُلْزِمَ الإنسان على نفسه شيئاً ما كصيام أو صدقة أو صلاة أو نحو ذلك، فإن كان نذر طاعة وجب الوفاء به، وإن كان معصية حرم الوفاء به، وكان عليه كفارة يمين على القول الصحيح كالحائث فيه مطلقاً .

والآية الكريمة جاءت صفة للأبرار وأن من شِيمَهُم الوفاء بما أوجبوه على أنفسهم من أنواع الخير والقربات . وللنذر أحكام مستوفاة في كتب السُنَّة والفقهِ الإسلامي .

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شمسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ .

﴿١٣﴾

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «اشْتَكَّتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكُلْ بَعْضِي بَعْضًا فَنَفْسُنِي، فَأَذِنَ لَهَا كُلَّ عَامٍ بِنَفْسَيْنِ، قَالَ: أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، وفي رواية: «نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ...» إلخ .

رواه البخاري في الصلاة ٥٣٧، وفي بدء الخلق ٣٢٦٠، ومسلم في الصلاة

١٦١٧، والترمذي في صفة جهنم ٢٤١١، وابن ماجه في الزهد ٤٣١٩، وكذا أحمد ٥٠٣/٢، وغيرهم.

الزمهير: شدّة البرد ونهايته المفرطة، وفي الآية الكريمة بشارة لأهل الجنة وأنهم إذا دخلوها لا يذوقون ولا يرون فيها حرارة شمس ولا شدّة برد وهذا بخلاف أهل النار. وفي الحديث دليل على أنّ الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافاً للمعتزلة، وفيه تكلم الجمادات والله عزّ وجلّ يفعل ما يريد ولا يعجزه شيء.

وبهذا تمّت سورة الإنسان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ نَسَى اللَّهُ وُكُوفَهُ وَمَا يَأْتِيهِمْ سَاعِدًا
وَأَلَّهُمْ وَصَحْبُهُمْ وَزُجُجُهُمْ وَغَزَبُهُمْ

هي خمسون آية، وحديثها يدور حول الآخرة وبيان أهل السعادة والشقاوة وذكر الغيبات وآثار القدرة في هذه الكائنات.

من خصائص هذه السورة

١ - افتتاحها بالقسم بخمسة أشياء لم يتقدم لها مثل بهذا الأسلوب، وهي تشمل الرياح المتتابعة العاصفة الشديدة الهبوب التي تدمر ديار الظالمين والمجرمين، كما تشمل الملائكة الموكلة بالسحاب والمفرقة بين الحق والباطل، والتي تنزل بالوحي وتلقي كتب الله تعالى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وهذا القسم جاء مؤكداً لصحة وقوع الموعود به وهو القيامة والبعث والحساب، آيات ١ إلى ٧.

٢ - امتازت بتكرار جملة: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، وفي كل جملة وردت إخباراً عن أشياء من أحوال

الآخرة وتذكيرًا بأحوال الدنيا، وفي ذلك من العبرة ما لا يخفى،
آيات ١٥ إلى ٤٩ .

٣ - بيان ظل الكفار في جهنم وأنه سيكون من دخانها، وسيتفرع ثلاث
شعب فيؤمرون بالانطلاق إلى التظليل به تهكمًا بهم واستهزاءً
وسخرية، آيات ٢٩ إلى ٣١ .

٤ - تشبيهه تعالى الشرر المتطاير من جهنم في عظمته بالقصر العظيم وفي
اللون بالجمالات الصفر لسرعتها أو الجمالات بمعنى حبال السفن
تجمع بعضها لبعض - قاله ابن عباس - ، وهذا التشبيه لا وجود له
في غير هذه السورة الكريمة، آيتان ٣٢، ٣٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَأَلْمَسَتْ عُرْفًا﴾ .



عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار
وأنزلت عليه ﴿وَأَلْمَسَتْ﴾ ، فَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِن فِيهِ إِذْ خَرَجْتَ عَلَيْنَا حِيَّةً
فابتدرناها فدخلت جحرها، فقال رسول الله ﷺ: «وَقَيْتُ شَرِّكُمْ وَوَقَيْتُمْ
شَرَّهَا...» ، وفي رواية: كنا مع رسول الله ﷺ في سفح جبل وهو قائم
يصلِّي وهم نيام قال: إِذْ مَرَّتْ حِيَّةٌ فَاسْتَيْقَظْنَا وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْعَهَا مِنْكُمْ الَّذِي
مَنْعَكُمْ مِنْهَا» ، وَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿وَأَلْمَسَتْ﴾ .

رواه البخاري في بدء الخلق رقم ٣٣١٧ ، وفي التفسير ٣١٣/١٠ ، ٣١٦ ، ومسلم
في السلام ٢٢٣٤ ، والنسائي في المناسك من المجتبى ، وفي التفسير من الكبرى
٥٠٥/٦ ، والرواية الثانية رواها أحمد ٤٥٣/١ بسند حسن لوجود عاصم بن بهدلة
المقرئ .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا
عَنْهَا سَمِعَتْهُ يَقْرَأُ: ﴿وَأَلْمَسَتْ عُرْفًا﴾ ، فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّ، ذَكَرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ

هذه السورة أنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب .

رواه البخاري في القراءة في المغرب ٧٦٣، وفي المغازي، ومسلم في القراءة في الصبح ٤٦٢، وأبو داود ٨١٠، والترمذي ٢٧٦، والنسائي في المجتبى، وفي الكبرى ٥٠٥/٦، وابن ماجه ٨٣١ .

الحديث الأول فيه بيان سبب نزول السورة وفيه مشروعية قتال الحيات، وقد جاء الأمر بقتلها في رواية عند البخاري، وفيه: «إِنَّ الْحَيَّاتَ شَرٌّ لَنَا وَأَنْهَا إِذَا اخْتَفَتْ وَجِبَ تَرْكُهَا». أما الحديث الثاني ففيه مشروعية قراءة المرسلات في صلاة المغرب، وبه قال جمهور الأئمة، ومن قال بخلاف ذلك ردَّ عليه هذا الحديث .

وبه تمَّت سورة المرسلات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ النَّبَاِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَرَأْسُكُمْ وَبَارِكُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَاللَّهُ وَهَّجَهُ وَزَوَّجَهُ وَحَزَبَهُ

هي أربعون آية، والمحور التي تدور عليه هو الكلام على القيامة والبعث والنشور ودلائل التوحيد وآثار القدرة وبيان مصير أهل النار ومصير أهل الجنة.

من خصائص هذه السورة

- ١ - الإنكار على الكفار الذين طالما تساءلوا عن القيامة والبعث وتشككوا في ذلك واختلافهم في وقوعه، آيات ١ إلى ٤ .
- ٢ - فيها من أشد الآيات على أهل النار: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، آية ٣٠ .
- ٣ - ذكر بعض صفات نساء أهل الجنة بأنهن كَوَاعِبُ، أي: نَوَاهِدُ قد بَرَزَتْ أُنْدَاؤُهُنَّ ولم تَتَدَلَّ، لأنهن أباكارٌ عَذَارَى، وهذا الوصف لم يأت في غير هذه السورة، آية ٣٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ .



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يُقْلُ أحدكم الكَرْمَ، وإنما الكرم الرجل المسلم، ولكن قولوا: حَدَائِقُ الْأَعْنَابِ» .

رواه أبو داود ٤٩٧٤ في الأدب، والنسائي في الكبرى ٥٠٦/٦ بسند صحيح، وأصله في البخاري رقم ٦١٨٣، ومسلم ٢٢٤٧ بلفظ: «لا تقولوا كرم فإن الكرم قلبُ المؤمن»، لفظ البخاري.

الآية الكريمة بشارة للأتقياء وأنَّ لهم موضع ظفر وفوز بجَنَّاتِ النَّعِيمِ، وبساتين ناضرة فيها حدائق الأعناب الطيبة المتنوعة، ونساء عذارى أباكار قد ظهرت ثديهن. وفي الحديث النهي عن تسمية شجرة العنب بالكرم بل يقال: العنب والله تعالى أعلم.

وبه تمَّ الكلام على سورة النبأ، والحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصَّالِحَاتِ، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ وَحُزْبِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ .

* * *

﴿سُورَةُ النَّازِعَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ عَلَى اللَّهِ وَعْدٌ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرَزَّاقٌ وَعَزِيزٌ

هي ست وأربعون آية، وهي تتحدّث عن القيامة وأحوالها ومآل المتّقين والفاجرين .

من خصائص هذه السورة

- ١ - القسم بملائكة خاصين من المكلفين بقبض أرواح الكافرين والمؤمنين وتدير شؤون هذا الكون بإذن الله عزّ وجلّ، آيات ١ إلى ٥ .
- ٢ - تسميته تعالى النفختين بالراجفة والرادفة، لأنه بالأولى يرتجف ويتزلزل كل شيء ولا يبقى أحد إلا رجف ومات، وبالثانية التي تأتي بعد الأولى يحيى الناس ويقومون لربّ العالمين، آيتان ٦ ، ٧ .
- ٣ - ذكر مقالة ذلك الطاغية العاتي فرعون الخاسر: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ، آية ٢٤ .
- ٤ - تفصيل بعض ما يتعلّق بخلق الأرض والسماء وهو من تتمّة ما تقدّم في فُصِّلَتْ: ﴿قُلْ أَيِّنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ، آيات ٢٧ إلى ٣٣ .

- ٥ — تسميته تعالى القيامة بالطامة الكبرى، أي: الداهية العظمى، كما سماها بالواقعة والحاقة والقارعة كما تقدّم، ويأتي، آية ٣٤.
- ٦ — بيان مآل الطاغى الذي يؤثر الدنيا على الآخرة، ومآل الخائف التقى الذي ينهى نفسه عن هواها، آيات ٣٧ إلى ٤١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾.



عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيُّها النَّاسُ، اذكروا الله، جاءت الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه»، قال أُبَيُّ: فقلت: يا رسول الله، إنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربيع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعلُ لك صلاتي كلّها، قال: «إذا تكفى همّك ويغفر لك ذنبك».

رواه أحمد ١٣٦/٥، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٧٨ بهتديبي، والحاكم ٤٢١/٢ وصحّحه. الحديث سنده حسن وهو صحيح لطريق له، قال المنذري: بسند جيّد.

الراجفة: هي النفخة الأولى التي ترجف فيها الأرض والجبال، وأما الرادفة: فهي نفخة القيامة التي تُدكُّ فيها الأرض والجبال دكًّا.

وفي الحديث تنبيه من النبي ﷺ وإرشاد لنا وتيقظ وتذكير... وفيه أن من جعل صلواته على النبي ﷺ كلها له كفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته وغفر ذنبه. جعلنا الله عزّ وجلّ منهم بمثّه وكرمه آمين.

قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسُنَهَا﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميداً، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالوا: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، فقالوا: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالوا: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالوا: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالوا: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم تصدق بصدقة يمينه يخفيها عن شماله» .

رواه أحمد ٣/١٢٤، والترمذي آخر التفسير ٣١٤٩ بتهذيبي، ورجاله ثقات؛ غير أن سليمان بن أبي سليمان الهاشمي لا يعرف حاله وهو تابعي مستور روى عنه ثقة من رجال الصحيحين، وهو العوام بن حوشب، فالحديث حسن على مذهب بعض أهل الحديث أو صحيح .

جعل الجبال راسيات للأرض من حكمة الله عز وجل ولطفه بعباده، فهي آية باهرة وبالتالي نعمة أي نعمة للعباد، ولولاها لتحركت الأرض بنا ومادت وغرقت في المحيطات التي هي أكثر بكثير من اليابس .

والحديث يدل على تفاضل الخلق في العظمة والشدة، وأن أعظمها وأشدّها قهر النفس ومحاربتها وحملها على التصدق سراً من دون أن يطلع عليه أحد .

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٢﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَى ﴿٤٣﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما زال رسول الله ﷺ يسأل عن

الساعة حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿١٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْهِنَهَا ﴿١٤﴾﴾، فكف عنها.

رواه ابن جرير ٤٩/٣، والبزار ٢٢٧٩ بكشف الأستار، والحاكم ٥١٣/٢ بسند صحيح، وصححه الحاكم والذهبي، وقال الهيثمي ١٣٣/٧: رجاله رجال الصحيح.

وعن طارق بن شهاب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كان لا يزال يَذْكُرُ مِنْ شَأْنِ السَّاعَةِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿١٧﴾﴾... الخ.

رواه النسائي ٥٠٦/٦، وابن جرير ٤٩/٣، والطبراني في الكبير ٨٢١٠، وسنده صحيح إلى طارق وهو لم يسمع من النبي ﷺ.

كانوا يسألون النبي ﷺ كثيراً عن السَّاعَةِ ووقت قيامها، فقال الله تعالى له: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿١٣﴾﴾، أي: ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم، فلماذا يُلْحِقُونَ عَلَيْكَ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا، ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْهِنَهَا ﴿١٤﴾﴾، أي: مردّها ومرجعها، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، والواجب عليك إنذار من يخافها.

وبه انتهت سورة النازعات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَاتِ، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ وَحُزْبِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ.

* * *

﴿سُورَةُ عَبَسَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِيَ إِذْ دَعَاكُمْ وَارْتَمَى عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ رَزِيبٌ وَعَزِيبٌ

هي ثنتان وأربعون آية، وهي تتحدّث عن ترسيخ العقيدة وبيان دلائل التوحيد والقدرة في الإنسان، والنبات، والطعام، ولفت الأنظار، إلى ما في ذلك من نعم سوايغ، ثم الكلام على القيامة وأهوالها.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر تلك القصة العظيمة الحاصلة بين نبينا ﷺ وبين ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله تعالى عنه ونزول السورة بسببه، آيات ١ إلى ١٠ .
- ٢ - لعنُ الإنسان من حيث هو لشدة كفره وتمردّه على الله عزّ وجلّ مع كثرة الإحسان إليه وإمداده بالنعم السوايغ طوال حياته، آية ١٧ .
- ٣ - التنصيص على تيسير الطريق على الإنسان وتسهيل خروجه من بطن أمه حتى خرج من قبّلها من مجرى البول بسهولة، آية ٢٠ .
- ٤ - لفت الأنظار إلى التفكّر في تكوين رزق الإنسان من أين يأتيه، آيات ٢٤ إلى ٣٢ .

٥ - بيان شدة هول يوم القيامة حتى إن الإنسان ليفرّ من أحبّ الناس إليه وأقربهم لديه: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرَّةُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣١﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾، آيات ٣٤ إلى ٣٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾.

﴿١﴾ ﴿٢﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله، أرشدني. وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرضُ عنه ويُقبلُ على الآخر ويقول: «أترى بما أقولُ بأساً؟»، فيقول: لا. ففي هذا أنزل.

رواه الترمذي في التفسير ٣١١٤، وابن جرير ٥٠/٣، وابن حبان ١٧٦٩ بالموارد، والحاكم ٥١٤/٢، وسنده صحيح على شرط الشيخين.

قوله: ﴿عَبَسَ﴾، أي: كلع وجهه. ﴿وَتَوَلَّى﴾، أي: أعرض عنه، ولم يكن ذلك منه ﷺ احتقاراً له، وإنما كان ذلك حرصاً منه ﷺ على إسلام ذلك الكافر، فجاءت الآيات الكريمات ترشد نبينا ﷺ إلى ما كان ينبغي له أن يفعله، وهو تذكير الأعمى رضي الله تعالى عنه وإرشاده لعلّه يزكّي. وقد ضلّ هنا أقوام وأساءوا الأدب مع حضرة النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾

عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، والذي يقرأ القرآن وهو يتتبعُ عليه له أجران». وفي رواية: «وهو عليه شديد».

رواه أحمد ٩٨/٦، ١٧٠، ٢٣٩، والبخاري في سورة عبس ٣٢٠/١٠، ومسلم

في فضائل القرآن ٦/٨٤، وأبو داود ١٤٥٤، والترمذي في التفسير ٢٧١٣.

الماهر: هو الحاذق فيه الحافظ له عن ظهر قلب بإتقان. يتتبع، التتبع: هو التردد في القول، والمراد به يشق عليه. والسفرة: هم الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم.

وفي الحديث بشارة لحملة القرآن الماهرين فيه قراءة ورسماً وأنهم سيكونون مع هؤلاء السفرة الكرام البررة، كما أن القارئ الذي يشق عليه القرآن لا يخلو من خير، فإن له أجرين: أجر القراءة، وأجر التعب والشدة التي يعانيتها في قراءته. جعلنا الله تعالى من القسم الأول بمنه وكرمه أمين.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾.

﴿٣٧﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»، فقالت امرأة: أَيْبَصِرُ أَوْ يَرَى بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قال: «يا فلانة، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾».

رواه الترمذي في التفسير ٣١١٥، والنسائي في الكبرى ٥٠٧/٦، وابن أبي حاتم ٣٤٠٠/١٠، وحسنه الترمذي وصححه وهو عنده صحيح على شرط الشيخين. وله شاهد عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»، فقالت له عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعورات؟ قال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾. رواه النسائي في الكبرى ٥٠٧/٦، والحاكم ٥٦٤/٤، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وهو عند مسلم في الجنة ١٧/١٩٢، ١٩٣، بدون ذكر الآية، وفيه: قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض». وحديث ابن عباس أصله عند البخاري في التفسير ٣٥٥/٩، ومسلم في الجنة ١٧/١٩٤، وغيرهما مطوّلاً بلا ذكر آية.

الحشر: هو الجمع. والغرل، جمع أغرل، والغرلة: هي الجلدة التي تكون على حشفة الذكر فتقطع في الختان. وفي الآية والحديثين إخبار عن

مشاهد يوم القيامة، وأنَّ الناس سيخرجون من قبورهم كما خلقهم الله وأنَّ كل امرئ منهم له ما يشغله ويغنيه عن النظر إلى غيره، فهم عراة نساءً ورجالاً ورغم ذلك لا ينظر أحد إلى سوا تي الآخرين، وذلك لما دهمهم من الأهوال والشدائد والدواهي التي يشيب لها الولدان، ولذلك قال النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنهما: «الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»، وهذا مشهد خطير وخطير أعادنا الله تعالى منه بمنه وكرمه أمين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّرِي مَتَهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ، أي: لكل إنسان منهم في ذلك اليوم العصيب أمر يشغله عن شأن غيره، فلا يفكر إلا في نفسه، حتى إنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليقول كل واحد منهم نفسي نفسي.

وبه انتهى الكلام على سورة عبس، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سورة التكويد﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وہم علی اللہ وکرم وبارک علی سیدنا محمد
والآلہ وصحبہ وزوجہ وعزبہ

ہی تسع وعشرون آية، وحديثها جاء بالذات عن القيامة وتغير هذا الكون واطمحلالة مع بيان حقيقة القرآن والرسالة . . .

من خصائص هذه السورة

- ١ - امتازت بذكر مشهد القيامة بأسلوب فذٍ مُخيف، يهزُّ القلوب هزًّا مع بيان ما يحدث من التغيرات في كل الكائنات، في الشمس، والنجوم، والجبال، والحيوان، والوحوش، والنفوس، والسماء، والأرض، والبحار . . . آيات ١ إلى ١٤ .
- ٢ - ذكر الموءودة بهذه الصفة التي طالما أُقْبِرَتْ حَيَّةً على الأيدي الآئمة وأنها ستسأل يوم القيامة عن سبب قتلها، آية ٨ .
- ٣ - القسم بالكواكب والليل والصبح بأسلوب لم يعهد له ذكر من قبل، آيات ١٥ إلى ١٨ .
- ٤ - ذكر صفات عدَّة لجبريل عليه السلام امتاز بها عن غيره لم تُذكر له في غير هذه السورة، حتَّى اغترَّ بها الزمخشري في كشفه، فضله على

نبينا ﷺ، وهو شدوذ منه، كما شدذ ابن حزم بتفضيل الملائكة على الأنبياء مطلقاً. والكمال لله تعالى وحده، آيات ١٩ إلى ٢١.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾.

١

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فليقرأ: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾.»

رواه أحمد رقم ٤٨٠٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١، والترمذي ٣١١٦، والحاكم ١٥٠/٢ وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وعزاه في المجمع ٣١٨/٧ لأحمد بإسنادين وقال: رجالهما ثقات.

إنما كانت القيامة متجلية في هذه السور الثلاث لأنها وصفتها بأوصاف دقيقة مخيفة وحق لها ذلك. نسأل الله السلامة والعافية.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه البخاري في بدء الخلق ١٠٨/٧، والإسماعيلي في مستخرجه كما في الفتح. وأخرجه البزار وزاد فيه: «مُكْوَرَانِ فِي النَّارِ»، فقال الحسن — يعني البصري — وما ذنبهما؟ فقال أبو سلمة: أَحَدُكُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَمَا ذَنْبُهُمَا؟ وَوَرَدَ عَنْ أَنَسٍ بِلَفْظٍ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ»، رواه الطيالسي ٢٢٨٨، وأبو يعلى ٤٠١/٣، وابن حبان في المجروحين وهو ضعيف جداً. وانظر: اللآلئ المصنوعة ٨٢/١.

قوله: مُكْوَرَانِ، أي: مُلْفَانِ مَعَ طَمَسٍ نورهما ثم يُلْقِيَانِ فِي النَّارِ زيادة في عذاب أهلها، وليس معناه أَنَّهُمَا سَيَعْدَبَانِ، كلا، إنهما خلق لله تعالى جُعِلَا فِي النَّارِ تَبْكِيتًا لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُهُمَا، وليعلموا أَنَّ عبادتهم كانت باطلة ولا

يلزم من إلقائهما في النار تعذيبهما، فإنَّ الله تعالى خزنة في جهنم من الملائكة كُلُّوا بها وبأهلها ولا يحشون بعذابها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧.

٧

عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو على المنبر يقول: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧، قال: تزويجهم أن يؤلف كل قوم إلى شبههم.

أورده الحافظ في المطالب رقم ٣٨٠٢، والبوصيري في الإتحاف ٦٦٠٢، وعزياه لأحمد بن منيع في سنده. قال البوصيري: بسند صحيح.

هذا التفسير من قبيل المرفوع، لأنه من عالم الغيب لا مجال فيه للنظر، والله تعالى أعلم. ومعناه كآلية أنه في القيامة يقرن كل صنف بما يشبهه، فالصالح مع الصالح والفاجر مع الفاجر، وقيل: غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ٨.

٨

عن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله تعالى عنه قال: ذهبتُ أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ أُمَّنا كانت في الجاهلية تُقْرِى الضيف وتَصِلُ الرَّحْمَ، هل ينفعها عملُها ذلك شيئاً؟ قال: «لا»، قال: فإنها وَاَدَّتْ أَخْتًا لها في الجاهلية لم تبلغ الحنث، فقال رسول الله ﷺ: «الْمَوْءُودَةُ وَالْوَائِدَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ».

رواه أحمد ٤٧٨/٣، والنسائي في الكبرى ٥٠٧/٦ بسند صحيح، وهو في المجمع ١١٩/١، وقال فيه: رجاله رجال الصحيح. وله شاهد عن ابن مسعود بلفظ: «الوائدة والموءودة في النار». رواه أبو داود ٤٧١٧، وابن حبان بالموارد ٦٧، وبالإحسان ٥٢١/١٦، ٥٢٢، ورجالُه ثقات، ولا يضرّ هنا أبو إسحاق السبيعي.

الموءودة: هي البنت التي كانت تُوَارَى في التراب حيّة قبل البلوغ، والوائدة: هي فاعلة ذلك. وكان هذا من عادات الجاهلية القذرة.

والحكم في هذين الحديتين على الموءودة بدخول النار مشكل، ولا سيّما إذا لم تكن محتلمة فإنها غير مكلفة.

وقد جاء في السنّة الصحيحة ما يخالف هذا. ففي التعبير من صحيح البخاري ٧٠٤٧ من حديث سمرة الطويل في رؤيا النبي ﷺ، وفيه: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان اللذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين».

وأخرج أحمد ٥٨/٥ عن حسناء بنت معاوية بن صريم، عن عمّها قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنّة؟ قال: «النبي في الجنة، والشّهد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءودة في الجنة». وحسنه الحافظ.

وأخرج ابن أبي حاتم ٣٤٠٦/١٠ عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة.

فما ذكرناه يدلّ على أنّ الموءودة في الجنة، فيكون حديث الباب مؤوّلًا ولا بدّ، وإذا كان من لم تبلغه الدعوة غير مكلف ولا معدّب يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾، فكيف بالصغير وخاصة المظلوم المدفون في التراب حيًّا.

وفي الآية الكريمة أنّ الله عزّ وجلّ سيسأل يوم القيامة الموءودة عن سبب قتلها، فيقال لها: بأيّ ذنب استحقت القتل، فيقتص لها من وائدها الظالم القاسي، اللّهمّ إلاّ إذا تاب وأسلم فإنّ الإسلام يهدم ما قبله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِاللَّخْلِيسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾﴾.

عن عمرو بن حريث رضي الله تعالى عنه قال: صَلَّى خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ
 الصُّبْحَ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿ فَلَا أُقِيمُ بِالْحُنَيْنِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ ، وفي رواية:
 ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

رواه أحمد ٤/٤٠٧ ، ومسلم ٤/١٧٨ ، وأبو داود ٨١٧ ، والنسائي في الكبرى
 ٥٠٧/٦ .

الْحُنَّسُ ، جمع خانس : هي الكواكب التي تخنس نهارًا وتختفي عن
 الأبصار . وَالْكُنَّسُ : هي النجوم التي تغيب وتستتر عند غروبها . وقوله:
 والليل إذا عسعس ، أي : أقبل بظلامه أو أدبر .

وبهذا تَمَّتْ سورة التكوير ، والحمد لله الذي بنعمته تَمَّ الصَّالِحَاتِ ،
 وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ وَحُزْبِهِ
 أَبَدَ الْأَبَدِينَ .

* * *

﴿ سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْ إِلَى اللَّهِ دَرَجَاتٌ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرَزِيقٌ وَجُزْءٌ

هي تسع عشرة آية، وهي كسابقتها في الكلام على الانقلاب الكوني
وذهاب هذا العالم وقيام الساعة وما يظهر عندها من أهوال ودواهي.

من خصائص هذه السورة

- ١ - بَعَثَهُ الْقُبُورَ وَقَلْبُهَا وَنَبَشُ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، آية ٤ .
- ٢ - توبيخ الإنسان الغافل الجاهل المغرور بكرم الله وحلمه وكثرة نعمه،
آية ٦ .
- ٣ - وصفه تعالى الحَفَظَةَ الكَتَبَةَ عليهم السلام بالكَرَمِ وبالْعِلْمِ بما نفعه،
آيتان ١١، ١٢ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ .

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قام معاذ فصلّى العشاء الآخرة،

فَطَوَّلَ، فقال النبي ﷺ: «أَفْتَانُ أَنْتَ يَا مَعَادُ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿وَالضُّحَى﴾، و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾».

رواه النسائي في الكبرى ٥٠٨/٦ بهذا اللفظ بذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ① وسنده صحيح على شرط مسلم. والحديث أخرجه البخاري ومسلم وباقي الجماعة بألفاظ واختلاف في الزيادة والنقصان.

وفيه مشروعية الوسط في القراءة وكرهية التطويل وأن ذلك يؤدي إلى فتنة المصلين، ولذلك جاء في بعض روايات الحديث: «إِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فليطول ما شاء».

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾.

عن بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بصق يوماً في كفه ووضع عليها إصبعه ثم قال: يقول الله تعالى: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بَرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ نَفْسُكَ هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي - قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوْأَنُ التَّصَدُّقُ».

رواه أحمد ٢١٠/٤، وابن ماجه ٢٧٠٧، وابن سعد في الطبقات ٤٢٧/٧، قال البوصيري في الزوائد: وإسناده صحيح رجاله ثقات.

قوله: أَنَّى تُعْجِزُنِي، بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، أي: كيف يتسنى لك أن تجعلني أو تعتقدي عاجزاً عن إعادتك وإحيائك وأنا الذي أوجدتك من مثل هذه - يعني النطفة - . وقوله: وللأرض منك وئيد، أي: ثقل.

وفي الآية الكريمة امتنان من الله تعالى على ابن آدم وتعداد نعمه عليه في خلقه وتسويته وتعديله . . . أما الحديث الشريف فجاء يوبخ الكافر الظلوم الأثيم المنكر للبعث والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون ممّا ضحكْتُ»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبدِ ربّه يقول: يا ربِّ ألم تُجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: إنِّي لا أُجيز على نفسي إلاّ شاهدًا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيُختمُ على فيه ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله ثم يُخلَى بينه وبين الكلام فيقول: بعدًا لكنّ وسُحقًا فعنكنّ كنت أناضلُ» .

رواه مسلم في الزُّهد ٢٩٦٩، والنسائي في الكبرى ٥٠٨/٦، وقد تقدّم .

الكرام... إلخ: هم الحفظة الذين يكتبون حسناتنا وسيئاتنا ولا يفارقوننا ليل نهار طوال حياتنا، ولكل شخص منّا معه ملك عن يمينه وملك عن يساره، يحصون علينا ما نأتيه في هذه الرحلة من حياتنا، فإذا كان يوم القيامة شهدوا على من أنكر شيئًا ممّا عمله، وهم الأمناء المصدّقون صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا أبد الآبدين .

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١١﴾﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا...»، وهكذا نادى بني عبد مناف وعمّه العباس وعمّته صفية وابنته فاطمة وفي كل يقول: لا أغني عنكم أو عنك من الله شيئًا... الحديث .

رواه الشيخان، وتقدّم في سورة الشعراء: آية ٤١٤ .

في الآية والحديث التنصيص على أنه لا يملك أحد لأحد شيئاً يوم القيامة بإذنه؛ لأنَّ الملك يومئذ لله وحده. نعم، من أذن الله تعالى لأحد من أصفياه أن يشفع لمن أراد تعالى رحمته فعل ونفعه بإذنه عزَّ وجلَّ. أما أن يملك أحد لآخر بإذنه شيئاً كإدخاله الجنة أو إبعاده من النار أو ما إلى ذلك، فهذا ليس لأحد غير الله، فالأمر والحكم والتصرف لله وحده في الدنيا والآخرة.

وبهذا تمَّت سورة الانفطار، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِيَ آلِ اللَّهِ وَآلِ مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِمْ وَوَجْهَهُمْ وَعَرْبَهُ

هي ست وثلاثون آية، وجاءت حرباً سافراً عنيفاً على المطففين الذين يحبون الأموال ويبخسون الناس أشياءهم ويغشون ويخدعون الآخرين في الكيل والميزان.

من خصائص هذه السورة

- ١ - ذكر التطفيف، وهو النقص أو الزيادة في الكيل والميزان، وهو من أكل أموال الناس بالباطل غشاً وسرقة واختلاساً وخديعة، ويعدّ من كبار الذنوب، وقد أهلك الله تعالى أمة برمتها على هذه الجريمة، وهم قوم شعيب، آيات ١ إلى ٣.
- ٢ - ذكر كتابي الفجار والأبرار، فالأول: في سجّين، وهو أسفل سافلين، بينما الثاني: في أعلى عليّين، وبينهما بون شاسع، آيات ٧ - ٢٢.
- ٣ - ذكر آية ثانية في القرآن تدلّ بمفهومها على صحّة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنان عندما يحجب الكفّار وأشباههم عنها من الفجّار، آية ١٥.

٤ — ذكر الرّين، وهو تغشية القلب بآثار الإِجرام والذنوب والفواحش،
آية ١٤ .

٥ — بيان ما كان يفعله المجرمون مع المؤمنين في الدنيا من الاستهزاء بهم
والتغامز عليهم وتفكهم بذلك وحكمهم عليهم بالضلال، وأنّ الأمر
سينقلب عليهم حيث سيكون المؤمنون متكئين في الجنان على
الأرائك يضحكون على الكفّار وينظرون هل أئيب أولئك الأعداء
وجوزوا على ما كانوا يصنعون، آيات ٢٩ — ٣٦ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة
كانوا من أحبب الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ ،
فحسنوا الكيل بعد ذلك .

رواه النسائي في الكبرى ٥٠٨/٦، وابن ماجه في التجارات ٢٢٢٣، وابن حبان
١٧٧٠ مع الموارد، والحاكم ٣٣/٢، وصحّحه ووافقه الذهبي وهو عند ابن جرير
٩١/٣٠ .

التطفيف: البخس والنقص في الكيل والميزان ونحوهما إما بالازدياد
إن اکتال من الغير لنفسه، وإما بالنقص إن كال لهم من عنده، ولهذا فسره الله
تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ ، أي: من الناس، ﴿يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ ،
أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ ،
أي: ينقصون ويبخسون. وحسب المطففين أن الله افتتح الكلام معهم
بالويل، وهو الهلاك والخسارة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ استعمل سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ على المدينة فقراً: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ١، فقلت: هلك فلان؛ له صاعان: صاع يُعْطِي به، وصاع يأخذ به.

رواه البزار، وقال النور في المجمع ١٣٥/٧: ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن مسعود الجحدري، وهو ثقة.

الحديث كسابقه، وظاهر الحديثين أن السورة أو أولها مدنية ولذلك اختلف فيها المفسرون، فمن قائل إنها مكية، ومن قائل إنها مدنية، وقيل: نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة، وقيل: إنها مدنية إلا ثمان آيات فمكية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٢١ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ ٢٢ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ٢٣ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٢٤ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ ٢٥ فَأَلَيْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ٢٦ عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يُنظُرُونَ﴾ ٢٧ هَلْ نُؤِوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٨.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٦.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٦، يقوم أحدُهم في رُشْحِه إلى أنصاف أُذُنَيْهِ، وفي رواية: «يَغِيبُ أَحَدُهُمْ فِي رُشْحِه».

رواه أحمد ٤٦١٣، ٤٦٩٧، والبخاري في التفسير ٣٢٤/١٠، وفي الرقاق رقم ٦٥٣١، ومسلم في الجنة ٢٨٦٢، ١٧/١٩٥، ١٩٦، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤٢، وفي التفسير ٣١١٨، والنسائي في الكبرى ٥٠٩/٦، وابن ماجه ٤٤٧٨، وغيرهم.

وعن المقداد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أُذُنَيْتِ الشَّمْسُ من العباد حتى تكونَ قِيدَ مِيلٍ أو اثنين فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فيكونون في الغرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى

عقبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يُلجمه إجمامًا، فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه، أي: يلجمه إجمامًا.

رواه أحمد ٣/٦، ٤، ومسلم في صفة النار ١٧/١٩٦، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٤١.

الرشح: هو العرق. أدنيت الشمس، أي: قربت. قيد، بكسر القاف، أي: قدر. وقوله: فتصهرهم، بفتح الهاء، أي: تذيبهم. وقوله: حقويه، بفتح الحاء: هو موضع الإزار وتكة السروال. وقوله: يلجمه، بضم الياء وكسر الجيم، أي: يصل عرقه إلى فمه حتى يمنعه من الكلام.

وما في الآية والحديثين موقف خطير هائل ويكون ذلك عقب خروج الناس من القبور وقبل الشفاعة العظمى التي سيحظى بها نبينا ﷺ فيكون النَّاسُ في هذا الموقف تحت حرارة الشمس حسب أعمالهم، ولذلك فمن الناس من يصل عرقه إلى عقبه، ومنهم إلى ركبته، ومنهم إلى نصفه، ومنهم من يلجمه وهذا سيكون لعامة الناس، أما الأفراد الوارد فيهم التظليل فأولئك خارجون عن هذا العذاب عيادًا بالله تعالى منه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نَكِثَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْثَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلَوْ قَلْبَهُ فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

رواه أحمد ٢/٢٩٧، والترمذي ٣١١٧، والنسائي ٥٠٩/٦ كلاهما في التفسير، وابن ماجه في الزهد ٤٢٤٤، وحسنه وصححه الترمذي وابن حبان ١٧٧١ بالموارد، والحاكم ٥١٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي.

نكتت، النكت: هو الأثر القليل كالنقطة، مثل أثر الوسخ في المرأة. والران: ويقال: الرين من ران هو التغطية والصدأ على القلب يعترى الكفار والمسرفين في الإجرام والفواحش، فالذنوب إذا تابعت على القلب ولم يتب صاحبها أغلقتة وأصبح أسود مظلمًا، فإن تاب ورجع إلى الله تعالى صقل وانجلى.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾.



عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ قال: «أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة ماءٍ على ظمإٍ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا ثوبًا على عُرِّي كساه الله من خضر الجنة».

رواه أحمد ١٣/٣، ١٤، وأبو داود في الزكاة ١٦٨٢، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٧٠ من طريقين هو لهما حسن، وقد حسنه المنذري والسيوطي والمناوي.

في الآية والحديث بشارة للأبرار والمحسنين الذين يطعمون الجائعين ويسقون العطشى ويكسون العراة والعرايا، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ سيجازيهم يوم القيامة من جنس أعمالهم. حقَّقنا الله بذلك بمنَّه وكرمه ووفَّقنا أمين.

وبهذا تمَّت سورة التطفيف، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، وصلى الله وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَالسَّمَاءِ وَإِلَى اللَّهِ عَازِلًا
وَاللَّهُ وَصِيْبُهُ وَزَوْجُهُ وَعِزُّهُ

هي خمس وعشرون آية، وموضوعها كسوابقها من الكلام على الانقلاب الكوني وأحوال القيامة وبيان أهل السعادة والشقاوة مع توبيخ الكفار على عدم إيمانهم . . .

من خصائص هذه السورة

اختصت بالقسم بالشفق وما يطراً للخلائق من ركوبهم الشدائد والأحوال طبقاً عن طبق بداية من الموت، فالقبر، فالبعث، فالموقف، فالحساب، فالمرور على الصراط، ثم الجنة أو النار . . نسأل الله البر الكريم الرفق والسلامة من كل ذلك .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۖ﴾ . . . ﴿الآيات .

﴿١﴾

تقدم حديث: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنَ، فَلْيَقْرَأْ

﴿إِذَا السَّمَاءُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ .

رواه حم ت كم .

فليعتبر المؤمن بهذه السور وليقرأها بتدبر وتمعن جيّداً؛ لأنّ هذه السور الثلاث قد جمعت مشاهد القيامة بكل أهواله ومخاويله وتقلباته بأهله .

عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه، أنّ النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾، و ﴿ وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ ﴾، ونحوهما .

رواه أحمد ١٠٣/٥، ١٠٦، ١٠٨، وأبو داود ٨٠٥، والترمذي ٢٧٥، والنسائي ١٢٩/٣، وابن حبان ٤٦٥ وغيرهم بسند صحيح وحسنه الترمذي وصحّحه .

الحديث فيه مشروعية قراءة الانشقاق والطارق في الظهرين ولا خلاف في ذلك .

قوله تعالى: ﴿ وَالْقَتَمَ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُلْقِي الأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ القَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتِلْتُ، وَيَجِيءُ القَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً...» .

رواه مسلم في الزكاة ٩٧/٧، ٩٨، والترمذي في الفتن ٢٠٣٩ بتهذيبي، وابن حبان ٩٠/١٥ .

أفلاذ، جمع فلذ، بكسر الفاء وسكون اللام: وهي القطعة من اللحم . والأسطوانة: هي السارية . ومعنى الحديث أنّ الأرض ستلقي ما في بطنها من المعادن كالذهب والفضة، وهو مبين لبعض ما في الآية الكريمة، فإنّ الآية أعم منها فإنها تشمل ما في جوفها من الأموات والمعادن وغيرها فستلقي الجميع وتتخلّى عنهم . قال القرطبي: أخرجت أمواتها وتخلّت عنهم، وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن كما تلقي الحامل ما في بطنها من الحمل، وذلك يؤذّن بعظم الهول .

قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ .

تقدّم حديث: من نوقش الحساب هلك، وهو في الصحيحين. انظر آية ١٩ من الحاقة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا»، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مِنْ نَوْقِشِ الْحِسَابِ يَا عَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ هَلْكَ، زاد في رواية: «وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يَكْفُرُ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ حَتَّى الشُّوكَةَ تَشُوكُهُ».

رواه أحمد ٤٨/٦، ٨٥، وابن جرير ١١٥/٣٠، وابن حبان ٣٧٢/١٦، والحاكم ٥٧/١، ٢٥٥، ج ٤/٢٤٩، ٥٧٩، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وابن إسحاق صرح بالتحديث عن أحمد.

في الحديث بيان الحساب اليسير. والعرض هو أن ينظر في كتابه ويرى ما فيه من سيئات فيتجاوز الله تعالى عنه ولا يناقشه، وللحساب اليسير أسباب كثيرة وموجبات عدّة، والنبى ﷺ مع غفران ما تقدّم له وما تأخّر يسأل الله عزّ وجلّ الحساب اليسير، وذلك يدلّ على شدّة خوفه من الله وعدم أمنه من عذابه تعالى.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا أَسْمُ بِالشَّفَقِ ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَقْتُ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ».

رواه مسلم في المواقيت ١١٢/٥، ١١٣ مطوّلًا.

الشفق، بفتحتين: هو الحمرة التي تبقى على الأفق بعد غيوبة الشمس، هكذا فسره جمهور أهل اللغة والغريب، وهو الظاهر من الحديث

وعمل النبي ﷺ. فوقت المغرب يمتد إلى ذهابه فإذا غاب دخل وقت العشاء، وهذا طبعاً في الأقاليم المعتدلة التي يغيب فيها الشفق، وهي وسط الكرة الأرضية التي علم الله أن الإسلام سيكون فيها. . .

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

عن أبي رافع قال: صليتُ مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما العتمة، فقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له: فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

رواه البخاري ٢/٢١٤، ومسلم ٥٧٨، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٥١٠/٦ وغيرهم.

الحديث يدل على جواز سجود التلاوة في الفريضة، وبه قال جمهور الأئمة، ولم ير ذلك مالك رحمه الله تعالى.

وبهذا تمت سورة الانشقاق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْبُرُوجِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَهَجِبَهُ

هي ثنتان وعشرون آية وهدفها الغالب عليها هو الكلام على أصحاب الأخدود وما يتبعه .

من خصائص هذه السورة

- ١ — امتازت بالقسم باليوم الموعود والشاهد والمشهود، آيتان ٢، ٣ .
- ٢ — ذكر قصة أولئك الطغاة العتاة أصحاب الأخدود الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بالتحريق بالنار، آيات ٤ — ٧ .
- ٣ — فاتنوا المؤمنين والمؤمنات إن لم يتوبوا لهم عذاب جهنم، آية ١٠ .
- ٤ — تعبيره تعالى بانتقامه من الكفار بالبطش وأنه شديد في ذلك، آية ١٢ .
- ٥ — ذكر خمس صفات وأسماء لله عز وجل لم تذكر على هذا الأسلوب في غير هذه السورة: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١١﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾، آيات ١٤ — ١٦ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ . . . ﴿الآيات﴾.

①

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، و ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾.
رواه أحمد ٣٢٧/٢، وغيره.

لا خلاف في هذا، وقد تقدّم في الانفطار حديث جابر في الموضوع.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ② و﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ ③.

② ③

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليومُ الْمَوْعُودُ يومُ القيامة، واليومُ المشهودُ يومُ عَرَفة، والشَّاهدُ يومُ الجمعة قال: وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه».

رواه أحمد ٢٩٨/٢، والترمذي ٣١٢١، والحاكم ٥١٩/٢ بسند حسن أو صحيح، وصحّحه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. وله شاهد عن أبي مالك، رواه الطبراني. انظر: المجمع ١٣٥/١.

في الحديث ما أبهم في الآيتين، فاليوم الموعود: هو يوم القيامة الذي وعد الله به عباده في كثير من سور القرآن وآياته. والمشهود: هو يوم عرفة الذي تشهده الخلائق المؤمنة ويؤمنونه من كل أقطار الأرض وأرجائها. أما الشاهد: فهو يوم الجمعة الذي هو أفضل أيام الأسبوع إطلاقاً، وهو الذي تقع فيه النفخة والساعة . . .

قوله تعالى: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَعْدُوِّ﴾ ④ ﴿أَنَارِ ذَاتِ الْوُجُوْدِ﴾ ⑤ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا

④ ⑤ ⑥

مُعْوَدٌ ⑥.

عن صهيب رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني كبرت فابعث

إليّ غلامًا علّمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرًّا بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللّهُمَّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنيّ، أنت اليوم أفضل منّي، قد بلغ من أمرك ما أرى وأنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل عليّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع به جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقبل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعى بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقبل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام، فقبل له:

ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللّهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرُور فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به، فقال: اللّهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمناً برّب الغلام، آمناً برّب الغلام، آمناً برّب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرايت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فحُدَّت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيه، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري فإنك على الحق.

رواه أحمد ١٦/٦، ١٨، ومسلم آخر صحيحه ١٨/١٣٠، ١٣٣، والترمذي ٣١٢٢ بتهذيبه، والنسائي ٦/٥١٠، ٥١١، ٥١٢ في الكبرى، زاد الترمذي قال:

يقول الله تعالى: ﴿ قِيلَ اصْنُبْ الْأَخْدُودَ ۚ ۱ التَّارِ ذَاتِ الْوُودِ ۚ ۲ إِذْ هَرَّ عَلَيَّهَا قَعُودٌ ۚ ۳ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۚ ۴ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ ۵ ﴾ ، قال: فأما الغلام فإنه ذُفِّنَ . قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل .

مفرق رأسه، أي: وسطه . ذروته، بكسر الذال وضمها: أعلاه . فرجف، أي: اضطرب . قُرُقُورٌ، بضم القافين: الزورق والسفينة الصغيرة . الأخدود: شق مستطيل في الأرض . فتقاعست، أي: تأخرت .

هذا حديث عظيم فيه فوائد وعبر، وهو مبين للآية الكريمة، فكان أولئك الكفرة مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ إِذْ هَرَّ عَلَيَّهَا قَعُودٌ ۚ ۳ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۚ ۴ ﴾ ، وما كان ذنبهم عندهم إلا إيمانهم بالله عزَّ وجلَّ وحده، ولذا قال تعالى عنهم: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ ۵ ﴾ . . . الخ، وقد ذكرت فوائد هذا الحديث وعبره مفصلة في عجائب الأقدمين ص ١٣٨، ١٣٩، إلى ص ١٤٥ .

قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۚ ۲۱ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۚ ۲۲ ﴾ .

﴿ ٢٢ ﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءَ صَفْحَاتِهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةَ لِحْظَةٍ، يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ، وَيُحْيِي، وَيُعْزِّزُ، وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

رواه الطبراني في الكبير ٧٢/١٢، وسنده لا بأس به في المتابعات والشواهد، فزياد بن عبد الله البكائي مختلف فيه وهو من رجال الشيخين، وليث بن أبي سليم روى له مسلم مقارنة، وما قيل فيه لا يضر هنا .

جاءت الآية الكريمة تخبر بأن هذا الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ هو قرآن عظيم ممجَّد ومقدَّس ومكتوب ومستودع في لوح الله عزَّ وجلَّ

محفوظ عنده من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان . وهذا اللوح جاء ذكره في القرآن في عدّة سور جاء في بعضها معبر عنه بأَم الكتاب وفي أخرى بالذكر . . .

وجاء في هذا الحديث بعض صفاته وأنه من درّة وصفحاته من الياقوت وقلمه نور . وقوله : «لحظة» هي من صفات الله تعالى تناسب ذاته التي ليس كمثله شيء وليست كالحظات خلقه ، تعالى وتقدس أن تشبه ذاته الذوات أو صفاته الصفات ، وكل ما يخطر ببالك فربنا مخالف لذلك .

وبهذا تَمَّت سورة البروج ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات ، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين .



﴿سُورَةُ الطَّارِقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَى اللَّهُ وَرَبِّي وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَرِزْقُهُ وَرِزْبُ

هي سبع عشرة آية، وموضوعها الكلام على خلق الإنسان وأصله بالتدقيق، ثم الكلام على القرآن الكريم وأنه كلام فصل بين الحق والباطل وليس فيه هزل . . .

من خصائص هذه السورة

- ١ — القَسَمَ بالسماء والطارق الذي هو النجم الثاقب على أن كل نفس عليها حافظ يحفظ عليها ما عملت من خير وشر، آيات ١ إلى ٤ .
- ٢ — لفت الأنظار إلى أصل خلقة الإنسان وتناسله وأنه يخرج من الماء المتدفق الذي ينحدر من صلب الرجل، ومن بين ترائب المرأة بإذن من الله تعالى وقدرته وإرادته، وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار، آيات ٥ إلى ٧ .
- ٣ — إنَّ يوم القيامة هو يوم تكشف فيه السرائر وتختبر فيه النوايا وتمتحن فيه القلوب، آية ٩ .
- ٤ — بيان أن القرآن هو كلام فصل يفصل بين الحق والباطل وليس فيه هزل ولا لهو ولا باطل، آيتان ١٣، ١٤ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾... الآية.

①

تقدّم حديث جابر أنّ النبي ﷺ قال لمعاذ: «ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها»، هكذا جاء في بعض روايات الحديث.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

①

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادرٍ لواء، فقيل: هذه غَدْرَةٌ فلان بن فلان».

وفي رواية لأبي سعيد الخدري: «لكل غادر لواء عند أسته يوم القيامة»، وفي رواية أخرى له: «لكل غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غَدْرِهِ، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة».

رواه عنهما مسلم في الجهاد ١٢/٤٢، ٤٤.

الغدر محرّم، من كبار الذنوب، ولا سيّما من ذوي السلطة والقوّة، فمن غدر في الدنيا فضحه الله عزّ وجلّ يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وكشف سرائره أمام الخلائق ووضع له عند أسته - أي: دبره - لواء يعرف به، نعوذ بالله من كشف السرائر ومن خزي الدنيا والآخرة.

وبهذا تمّت سورة الطارق، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الْأَعْلَى﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِي أَدْعُو اللَّهَ وَارْتَمِ بِرَأْسِي عَلَى سِدْرٍ مَّحْمُودٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

هي تسع عشرة آية، وموضوعها: تذكير الإنسان بتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك، وأمره ﷺ بالدعوة إلى الله، ووصف للإنسان في إشارته الدنيا على الآخرة، مع أن الآخرة خير وأبقى.

من خصائص هذه السورة

- ١ - الأمر بتنزيه الله عز وجل لكونه خلق الأشياء فسواها وقدّر الأمور فهدى العباد إليها، وكونه أخرج المرعى والنبات والحشائش للأنعام ثم صيرها بعد الخضرة مهشمة سوداء، آيات ١ إلى ٥.
- ٢ - إخباره نبيه ﷺ بأنه سيقرئه القرآن ويحفظه عليه فلا ينساه أبدًا إلا ما سيرفعه وينسخه ممّا يشاء سبحانه وتعالى، آيتان ٦، ٧.
- ٣ - تيسيره وتوفيقه نبيه ﷺ للشريعة السهلة السمحة التي هي أيسر وأسهل الشرائع وهي دين الإسلام، آية ٨.
- ٤ - الإخبار عن الإنسان بأنه من شأنه إيثار الدنيا على الآخرة رغم أن الثانية خير من الأولى وأبقى، وأن كل ذلك موجود في صحف إبراهيم وموسى، آيات ١٦ إلى ١٩.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ . . . ﴿الآيات﴾.



عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيَّةِ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما.

رواه مسلم ١٦٧/٦، وأبو داود ١١٢٢، والترمذي ٤٨٠، والنسائي في المجتبى ٩٢/٣، وفي الكبرى ٥١٣/٦، وابن ماجه ١٢٨١.

فيه مشروعية قراءة هاتين السورتين في الجمعة والعيدين، وهي السنَّة العملية المتَّبعة.

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كان أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُضْعَب بن عُمَيْر، وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عَمَارُ وسَعْدُ وبلال، ثم قدم عُمر في عشرين، ثم قدم رسول الله ﷺ فما رأينا أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، فما قدم حتى نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وسورة من المفصل. وفي رواية: فما قدم حتى قرأت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور من المفصل.

رواه البخاري في المناقب رقم ٣٩٢٤، ٣٩٢٥، وفي فضائل القرآن ٤٩٩٥، وفي التفسير ٣٢٧/١٠، والنسائي في الكبرى ٥١٣/٦.

في الحديث فضيلة للأَنْصَار، بل فضائل. وفيه قَدَمُ هَجْرَةِ مصعب وابن أم مكتوم. وفيه الفرح برسول الله ﷺ ومحبة الأنصار له، ولقدومه عليهم. وفيه حرصهم على تعلُّم سور المفصل . . .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: صلَّى معاذ بن جبل لأصحابه العشاء فطَوَّل عليهم فانصرف رجل منا فصلَّى، فأخبر معاذ عنه فقال: إنه

منافق، فلمَّا بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبي ﷺ: «أترِيدُ أن تكونَ فتانًا يا معاذُ، إذا أممتَ بالناسِ فأقرأ بالشمسِ وضحاها، و ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، و ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾» .

رواه مسلم في القراءة في العشاء رقم ٤٦٥، ج ٤/١٨٢، ١٨٣، والنسائي في الصغرى وفي الكبرى ٥١٣/٦، وابن حبان في صحيحه بالإحسان ١٥٩/٦، ١٦٠، وأصله عند الجماعة بألفاظ كما تقدّم.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه صلّى مع النبي ﷺ فكان يقول في سجوده: «سبحان ربّي الأعلى» .

رواه مسلم ٦١/٦، وأبو داود ٨٧١، والترمذي ٢٣٥، والنسائي ١٤١/٢ .

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ .

٣

وقد تقدّم حديث ابن عمرو: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ المقاديرَ قبل أن يخلق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ عامٍ وكان عرشه على الماء» . وهو في مسلم وغيره .

فقوله تعالى: قَدَّرَ فهدى، أي: قَدَّرَ الأشياءَ قبل كونها وجعل لكل شيءٍ خواصّه ومزاياه، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيها كما هدى الأنعام إلى مراعيها والحيوانات والهوام . . . إلى ما يصلحها ويحفظ عليها حياتها، فسبحان الحكيم العليم القدير القيّوم . فلو فكّر الإنسان في هذه الجملة لأخذته الدهشة ممّا احتوت عليه من عجائب هذا الكون وما سخر فيه للإنسان وهدى إليه .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآيَسُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ .

١٣

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهلُ النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون» . . . رواه أحمد ومسلم وغيرهما وقد تقدّم .

في الآية والحديث أن الأشقي الذي سيصلى النار الكبرى آيس ميؤوس من الموت، وخروج روحه من جسده، كما أنه آيس من الحياة العادية ومن الأمان من النكال والعذاب.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ .

﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضرَّ بآخِرته، ومن أحبَّ آخِرته أضرَّ بدُنياه، فأثروا ما يبقى على ما يَفنى» .

رواه أحمد ٤/٤١٢، وابن حبان ٢/٤٨٦، والحاكم ٤/٣٠٨، ٣١٩، والبغوي في شرح السنَّة رقم ٤٠٣٨، والقضاعي في مسند الشهاب رقم ٤١٨ وسنده صحيح ورجاله ثقات، وصحَّحه الحاكم وعزاه في المجمع إلى أحمد والبخاري والطبراني وقال: رجالهم ثقات ١٠/٢٤٩، لكنه منقطع كما قالوا.

الآية الكريمة تخبر بأن الناس من شأنهم إيثار الدنيا وتفضيلها وتقديمها على الآخرة؛ لأنهم يشاهدون زخارفها ونضارتها وشهواتها فيفتنون بها، ولذلك فإنَّهم يقدمونها على الآخرة إلا من رحم الله رغم أن الآخرة أشرف وأفضل وأحسن وأدوم من الدنيا، فينبغي للمؤمن أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى كما جاء في الحديث، فإنَّ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له.

رواه أحمد ٦/٧١ عن عائشة بسند فيه ضعف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾ .

﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾ قال النبي ﷺ: كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى فلما نزلت: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾﴾، قال: ﴿وَفَى ﴿٣٨﴾ وَالْآخِرَةُ وَزَرَأُهَا﴾ .

رواه النسائي في الكبرى ٥١٣/٦، والبزار ٢٢٨٥، والحاكم ٤٧٠/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي ١٣٧/٧ برواية البزار وقال: رجاله رجال الصحيح، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقيه رجاله رجال الصحيح.

الحديث موافق للآية الكريمة وإنَّ ما هو مذكور في هذه السورة من المواعظ هو مثبت في الكتب القديمة المنزلة على خليل الله وكليمه عليهما الصلاة والسلام، فهي ممَّا توافقت عليه الشرائع.

وبه تمَّت سورة الأعلى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.



﴿سُورَةُ الْغَاشِيَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَسَلَّمَ اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعِزِّهِ

هي ست وعشرون آية، وحديثها عن القيامة وبيان أهل الشقاء وأهل السعادة، ثم الكلام على دلائل التوحيد والقدرة في الحيوان والسماء والأرض والجبال.

من خصائص هذه السورة

- ١ — ذكر النمارق والزرابي في صفة الجنة، آيتان ١٥، ١٦.
- ٢ — لفت الأنظار إلى التفكّر في كيفية خلق الإبل وذكرها وحدها هنا دون بقية المواشي من بقر وغنم ومعز، لما في خلقتها من العظمة والدلالة على الله عزّ وجلّ، ولو كان الفيل عند العرب لذكره لهم، سبحانه ما أعظم شأنه وأعزّ سلطانه، آية ١٧.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنَشِيَةِ﴾ ①... ﴿الآيات.

عن النعمان بن بشير أنه سئل: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ به في الجمعة



على إثر سورة الجمعة قال: كان يقرأ ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ .

رواه مسلم ٨٧٨، وأبو داود ١١٢٣، والنسائي في المجتبى وفي الكبرى ٥ / رقم ١١١٩، ففيه مشروعية قراءة الغاشية مع سورة الجمعة في صلاتها .

والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة لأنها تغشى كل الخلائق .

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع، فأتاه رجل منهم فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال؟ قال: «الله»، قال: فمن جعل فيها هذه المنافع؟ قال: «الله» .

قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع آله أرسلك؟ قال: «نعم»، قال: زعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، ثم ذكر الصدقة والحج . . . ثم قال في الأخير: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهم ولا أنقص منهم شيئاً، فلما قفى قال رسول الله ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة» .

رواه مسلم في الإيمان رقم ١٢، ١٦٩/١، ١٧١، والترمذي في الزكاة ٥٥١، والنسائي في الصوم من المجتبى، وفي الكبرى ٦٢/٢، ج ٤٣٨/٣، والبغوي في شرح السنة رقم ٥/٤، وغيرهم، ورواه البخاري في العلم ١٥٨/١، ١٦١ بمعناه .

هذا السائل هو ضمام بن ثعلبة، وجاء حديثه هذا من طرق، وجاء مثل هذا السؤال من حديث طلحة بن عبيد الله وهو في الصحيحين وغيرهما .

وهذا الرجل كان عاقلاً وعارفاً بطريق الاستدلال، ولذلك كان أوّل ما سأل عليه النبي ﷺ: من خلق هذه الأجرام المشاهدة وما فيها من منافع للخلق، ثم بعد ذلك لما أجابه النبي ﷺ بأنّ كل ذلك خلق الله جعل يسأله بالله ألله أرسله ألله فرض كذا وكذا . . .

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ﴿٧﴾ إشارة إلى علم الحيوان، وفي قوله: ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ ﴿١٨﴾ إشارة إلى علم الفلك، وفي قوله: ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ ﴿١١﴾ إشارة إلى علم الجغرافيا، وفي قوله: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ﴿٢٠﴾ إشارة إلى علم طبقات الأرض. فانظر كيف جمع سبحانه وتعالى في هذه الجمل بين عدّة علوم من العلوم الكونية وقد مرّ في القرآن الكثير منها مفرقاً.

قوله تعالى: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ .

﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ .»

رواه أحمد ٤٩٤/٣، ومسلم في الإيمان ٢١١/١، رقم ٢١، ٤٥، والترمذي ٣١٢٣ في التفسير وفي الإيمان، والنسائي في الكبرى ٥١٤/٦، والحاكم ٥٢٢/٢، وليس عند أحمد الآية.

المصيّر: هو المسلّط، أي: لست عليهم بمسلّط، ولا قهّار تجبرهم على الإيمان.

فآية والحديث يدلّان على أنّ مهمة الرسول ﷺ هي التبليغ والتذكير ثمّ القتال لمن أبى الإسلام وشرائعه وامتنع من أداء الجزية . . . وليس من مهمّته ﷺ إجبارهم على الإسلام، فإنّ الهداية والتوفيق بيد الله.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكُفِّرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» .

رواه أحمد ٣٦١/٢، والبخاري في الاعتصام رقم ٧٢٨٠، والحاكم ٥٥/١ .
وعنه في رواية قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَّدَ عَلَى اللَّهِ كَشْرَادِ الْبَعِيرِ» .

رواه الحاكم ٥٥/١، ٢٤٧/٤ بسند صحيح على شرط الشيخين، وله شاهد عن أبي أمامة عند أحمد ٥٨/٥، والحاكم ٥٥/١، ٢٤٧/٤، وأورده النور في المجمع ٧٠/١٠، ٧١، وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير علي بن خالد وهو ثقة، وله شاهد آخر عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَّدَ عَلَى اللَّهِ كَشْرَادِ الْبَعِيرِ» الحديث، رواه ابن حبان ١٩٦/١، ١٩٧، وعزاه النور ٧٠/١٠ إلى أوسط الطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح .

أَبَى، أي: امتنع. وقوله: شرّد، بفتححتين، أي: نفر.

لا يدخل النار إلا من شرّد وفر عن الله وأعرض عنه وعن دينه كلية، أما من آمن به وبرسوله وبما جاء به وأتبع هديه واقتفى أثره ﷺ حسب طاقته دخل الجنة إن شاء الله رحمةً منه وفضلاً .

وبه تمّ الكلام على سورة الغاشية، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین .

* * *

﴿سُورَةُ الْفَجْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلْكَ أَكْبَرُ مِنْ دَرَجَاتِهِ
وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلِيمٌ

هي ثلاثون آية، وتتحدّث عن بعض قصص الأقدمين كعاد وثمرود وفرعون، الطغاة المفسدين العتاة، وما نزل بهم من أليم عقاب الله عزّ وجلّ. ثمّ الكلام على بعض أخلاق العباد عند الابتلاء، ثمّ الإشارة إلى يوم القيامة وذكر بعض مشاهدتها . . .

من خصائص هذه السورة

- ١ - القَسَم بالليالي العشر من ذي الحجة، والشَّفَع والوتر من كل شيء، آيات ١ - ٣.
- ٢ - ذكر عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، آيات ٦ - ٨.
- ٣ - بيان حالة الإنسان عند الابتلاء بالخير والشر وما يقوله ويعتقده عندئذ، آيتان ١٥، ١٦.
- ٤ - ندامة الكافر والمقصر يوم القيامة وتمتئها تقديم العمل الصالح ليومهما ذلك، وأنتى لهما ذلك؟ فقد فات الوقت والأوان!!، آيتان ٢٣، ٢٤.

٥ - التنصيص على أنه لا يعذب عذاب الله أحدٌ ولا يوثق وثاقه أحد، آيتان
٢٥، ٢٦.

٦ - ذكر النفس المطمئنة الزكية الطاهرة التقية وما سَتُنَادَى به عند
الاحتضار . . ﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (٢٨) ﴿ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴾ (٢٩) ، آيات
٢٧ إلى ٣٠ . اللّهُمَّ اجعلنا من أهل هذه النفس الطاهرة آمين .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ (١) . . . ﴿ الآيات .

﴿ ١ ﴾

في حديث جابر رضي الله تعالى عنه في قصة صلاة معاذ . . . « فأين
أنت من ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ و ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ و ﴿ وَأَتْلُ إِذَا
يَغْشَى ﴾ . »

تقدّم تخريجه في الانفطار وغيرها، وهو بهذا السياق رواه النسائي في الكبرى

٥١٥/٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَا أَيُّهَا الْعَشْرُ ﴾ (٦) ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ (٣) .

﴿ ٢ ﴾ ﴿ ٣ ﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال : « ما من أيام
العمل فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر »، قالوا : ولا الجهاد في
سبيل الله؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله إلاّ رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم
يرجع من ذلك بشيء » .

رواه أحمد ٢/٢٢٤، ٣٣٨، والبخاري في العيدين رقم ٩٦٩، وأبو داود ٢٤٣٨،

والترمذي ٦٦٩، وابن ماجه ١٧٢٧ كلهم في الصوم .

في الحديث فضل أيام العشر من ذي الحجّة، وأنّ العمل فيها لا يوازيه
إلاّ عمل رجل خرج لجهاد العدو بماله ونفسه فاستشهد وقتل ولم يرجع
بشيء من ذلك، وهذا فضل فائق .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمَ النُّحْرِ».

رواه أحمد ٣/٣٢٧، والنسائي ٦/٥١٤، والبزار ٢٢٨٦ كشف الأستار، والحاكم ٤/٢٢٠، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وسنده صحيح لولا عنعنة أبي الزبير.

الحديث مفسَّر للعشر والشفع والوتر. واختلفت في ذلك أقوال المفسِّرين كما يعلم من ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَأَتَّكِرُمُنَّ الْيَتِيمَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿١٧﴾

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرق بينهما قليلاً».

رواه أحمد ٥/٣٣٣، والبخاري في الأدب من صحيحه ١٣/٤٣، وفي الأدب المفرد ١٣٥، وأبو داود في الأدب ٥١٥٠، والترمذي في البر والصلة ١٧٦٤ بتهذيبي.

ونحوه عن أبي هريرة بلفظ: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتقى الله».

رواه مسلم في الزهد ١٨/١١٣.

ونحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وفيه زيادة: «والساعي على اليتيم والأرْمَلَةَ والمسكين كالمجاهد في سبيل الله والصائم القائم لا يفتر».

رواه أبو يعلى ٤/٢٦٣، والطبراني في الأوسط ٤٧٣٩، وفيه ليث بن أبي سليم، ولا يضر، فإنَّ له شاهدًا عن أبي هريرة مثله غير أنَّه قال: «كالصَّائم لا يفطر وكالقائم لا ينام» رواه النسائي في الكبرى ٢/٤٦، وابن حبان في صحيحه ١٠/٥٥، ومالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن، وسنده صحيح على شرطهما بل هو في صحيح البخاري ومسلم. انظر ما سبق في الكلام على آية ٣٦ من سورة النساء.

وقوله: كافل اليتيم، أي: القائم بنفقته وتربيته والإحسان إليه .
وفيه فضل عظيم لمن وفقه الله للإحسان إلى اليتيم ومن معه . والآية
الكريمة جاءت منكرة على من يهملون اليتامى فلا يطعمونهم ولا يحسنون
إليهم ، كما لا يحثون على إطعام المحتاج والمسكين .

قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ﴿٢٢﴾ .

﴿٢٢﴾

في حديث الشفاعة الطويل . . . « فيجيء الله تعالى لفصل الخطاب » .
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الصراط والرؤية . .
« فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ، فيقول: أنا ربكم ، فيقولون: أنت
ربنا . . » الحديث .

رواه البخاري في الرقاق ٢٤٦/١٤ مطوًلاً .

هذا المجيء مما يجب الإيمان به على ما أراد الله عز وجل ، قال ابن
كثير: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ، يعني: « لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما
يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه
عليه وعلى آله ، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد فكلهم
يقول: لست بصاحب ذاكم ، حتى تنتهي النوبة إلى سيدنا محمد ﷺ فيقول:
أنا لها أنا لها ، فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء
فيشفعه الله تعالى في ذلك ، وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما
تقدّم بيانه في سورة سبحان ، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما
يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا . . . » .

فيجب علينا أن نؤمن بمجيئه تعالى يوم القيامة ليفصل بين العباد
ويكلمهم ويحاسبهم بدون ترجمان ، ومجيء الملائكة كذلك صفوفًا
متتابعة ، وذلك لا بد أن يقع كما أخبر القرآن الكريم ونطقت به الشئنة النبوية

مع اعتقادنا أن الله عزَّ وجلَّ ليس كمثله شيء، وما يقع في الآخرة هي أمور خارجة عن مستوى عقولنا ومن عالم الغيب.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ أَنْ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ .

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجَهَنَّمَ يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها» .

رواه مسلم في الجنة ١٧/١٧٩، والترمذي في صفة جهنم ٢٣٩٠ .

الآية والحديث متَّحَدان في أنه يؤتى بجَهَنَّمَ يوم القيامة، وذلك بموقف الناس لترعب الكفار وترهبهم وتزعجهم . وهذا أيضاً من عالم الغيب ممَّا لا نعلم كيفيته فيجب الإيمان به وكفى .

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ .

عن محمد بن عَمْرَةَ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لو أن عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَحَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ دَأَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَّادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ» .

رواه أحمد ٤/١٨٥ بسند صحيح، وهو من قبيل المرفوع؛ لأنَّه لا مجال فيه للنظر .

والآية والحديث يدلَّان على أنَّ الإنسان من حيث هو سيتمنى يوم القيامة أن لو قدَّم لحياته تلك، أمَّا الكافر والمقصر فأمرهما واضح . وأمَّا الطائع التقي والمقتصد فلَمَّا يريان من عظم الجزاء، نسأل الله البرَّ الرحيم أن يعاملنا بفضله وكرمه .

وبه تمَّ الكلام على سورة الفجر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین .

* * *

﴿ سُورَةُ الْبَلَدِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِي لَأَلَّهِ وَسَلَّمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِّهِ وَوَجِبْهُ وَزَوْجِهِ وَعَزْبِهِ

هي عشرون آية، وهي من السور التي بدأها الله عزَّ وجل بصيغة القسم المنفي، للفت السمع إلى أهمية الموضوع، وتحدثت السورة عن الإنسان المعاند الذي يظن أنه لن يقدر الله عليه، وعن الأعمال التي يقتحم بها العبد العقبة، ثم تصف حال المؤمنين وحال الكافرين في الآخرة.

من خصائص هذه السورة

١ — قَسَمَهُ تَعَالَى بِالْبَلَدِ الْأَمِينِ وَرَسُولِ اللَّهِ بِهِ، وَبِالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ الصَّالِحِينَ؛ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي كِبَدٍ وَشِدَّةٍ يُقَاسَى الْمَتَاعِبَ وَالشَّدَائِدَ طَوَالَ وُجُودِهِ بِدَايَةِ مِنْ حَمَلِهِ فَوَلَادَتِهِ فَرَضَاعِهِ فَفِطَامَهُ فِطْفُولَتِهِ فَشِبَابَهُ فَكَهُولَتِهِ فَشَيْخُوخَتَهُ، فَهُوَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْمَرَاهِلِ فِي تَعَبٍ وَشِدَّةٍ ثُمَّ تَكُونُ خَاتِمَتَهُ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، آيَاتُ ١ إِلَى ٤ .

٢ — إِنْكَارَهُ تَعَالَى عَلَى بَعْضِ الْعَتَاةِ أَهْلِ الْغُرُورِ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ لِقَوَّتِهِ وَأَنَّ أَمْرَهُ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، آيَاتُ ٥ — ٧ .

٣ - امتنان الله عزَّ وجلَّ على عباده بنعمه العظام السوابغ التي جعلها للإنسان كالعينين مثلاً واللسان والشفيتين، وكونه بيِّن له طريقي الخير والشرّ، آيات ٨ - ١٠ .

٤ - بيان العقبة الكؤود التي ينبغي للإنسان أن يجتازها، وهي العمل الصالح الشاقّ كفك الرقبة وإطعام اليتامى والمساكين والأقارب أيام الحاجة والجوع مع التواصي بالصبر والرحمة والشفقة، آيات ١١ إلى ١٧ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ ﴿١١﴾ .

﴿١٢﴾

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علّمني عملاً يدخلني الجنة، قال: لئن كنت أقصرت الخُطبة لقد أعرضت المسألة، اعتق النّسمة، وفكّ الرّقبة، فقال: يا رسول الله، أوليسَ بواحدة؟ قال: «لا، إن عتق النّسمة أن تُفردَ بعِتقها، وفكّ الرقبة أن تُعينَ في عِتقها. والمنحةُ الوكوفُ، والفيءُ على ذي الرّحم الظالم، فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائعَ واسقِ الظّمآن، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، فإن لم تُطق ذلك فكفّ لسانك إلا من الخير» .

رواه أحمد ٢٩٩/٤، والبخاري في الأدب المفرد ٦٩، والطيلسي ٧٣٩، وابن حبان في صحيحه ٩٧/٢، ٩٨، والحاكم ٢/٢١٧، والبيهقي ١٠/٢٧٢، ٢٧٣، والبخاري في شرح الشّئ ٩/٣٥٤، وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده النور في المجمع برواية أحمد وقال: رجاله ثقات ٤/٢٤٣ .

لقد أقصرت الخطبة، أي: جئت بها قصيرة. لقد أعرضت... إلخ، أي: جئت بها عريضة واسعة. والنسمة: ذات الروح. والمنحة الوكوف، أي: غزيرة اللبن.

وفي الحديث فضل فك الرقاب وعتقها إن وجدت مملوكة، وذلك بعض اقتحام العقبة المذكورة في الآية. والعقبة: هي عقبة في الدنيا تمنع دخول الجنة، فإذا اقتحمها العبد سهل الوصول إلى الجنة، وقد وضحت السورة كيف تقتحم هذه العقبة.

وفيه مع ذلك مكارم ينبغي للمسلم الاتصاف بها، وهي منحة الماشية والصدقة على القريب المنحرف المعتدي، وإطعام الجائع، وسقي العطشان والأمر بالخير والنهي عن الشر، فمن لم يطق ذلك فلا أقل أن يكون سلبياً لاله ولا عليه بأن يكف لسانه عن الآخرين إلا من خير، فالحديث من جوامع الأخلاق.

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ﴿١٤﴾ بَيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

عن سلمان بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة». رواه أحمد ٤/١٧، ١٨، ٢١٤، والحميدي ٨٢٣، والترمذي ٥٨٢، والنسائي ٦٩/٥، كلاهما في الزكاة، ورواه النسائي في الكبرى أيضاً ٤٩/٢، وابن ماجه ١٨٤٤، وابن خزيمة ٢٣٨٥، وابن حبان ٨/١٣٣، وبالموارد ٨٩٢، ٨٩٣، والحاكم ١/٤٣١، ٤٣٢، والبيهقي ٤/٢٣٨، ٢٣٩، والحديث صحيح لشواهده.

في الحديث بيان أن الصدقة على المسكين، وخاصة القريب، فيها خير كبير وهي من اقتحام العقبة، وما ذكر هنا هم أصحاب الميمنة.

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ﴿١٤﴾﴾، أي: ذي مجاعة.

وبه تمت سورة البلد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ الشَّمْسِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّى اللَّهُ وَاسْمَ بَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَجِبْهُ وَزَوْجَهُ وَعَرْبَهُ

هي خمس عشرة آية، أقسم الله فيها بعدة مخلوقات له إظهاراً لعظمته، ثم ذكر جواب القسم بمن أفلح وبمن خاب، وذكر شيئاً من أخبار ثمود قوم صالح، مع الناقه.

من خصائص هذه السورة

- ١ - وهي قَسَمَهُ تعالى بسبع آيات من الكائنات العظام، وهي الشمس وضياؤها، والقمر إذا أعقبها، والنهار إذا جلا ظلمة الليل بضياؤه، وبالليل إذا غطى الكائنات بظلامه، وبالسماء والذي بناها بلا عمد، وبالأرض والذي بسطها على ماء ممتدة ممهدة قارة، وبالنفس الإنسانية التي كلفها الله عزَّ وجلَّ وزينها بالفضائل والكمالات والذي سوَّى خلقتها، آيات ١ إلى ٨.
- ٢ - أَقَسَمَ تعالى بهذه الكائنات السبع إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية، وإشارة إلى ما فيها من مصالح وعظم نفعها وأنها لا بدَّ لها من صانع ومدبِّرٍ لحركاتها وسكناتها، وكان المقسم عليه بهذه الأشياء

هو فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله وزكى نفسه، أو خيبته وشقاوته
وخسرانه إذا دساها وحقرها بالكفر والذنوب وأوردها موارد الهلكة
آيتان ٩، ١٠ .

ألهمنا الله رشدنا ووفقنا لما فيه صلاحنا وسعادتنا آمين .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ ١ . . . ﴿الآيات .



فيه حديث أنس في قصة معاذ في صلاته العشاء، وقوله ﷺ له: «اقرأ
بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، ونحوهما» .

رواه أحمد ٣/١٢٤، والنسائي في الكبرى ٦/٥١٥ بسند صحيح على شرطهما،
وتقدم عن جابر بنحوه في صحيح مسلم وغيره . انظر: «الأعلى» .

قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَالهَمَّهَا هُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ



زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ١٠ .

عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَمِّ وَعَذَابِ
الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا
وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ
قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» .

رواه أحمد ٤/٣٧١، ومسلم في الأدعية ١٧/٤١، والنسائي في الاستعاذة من
الكبرى ٤/٤٤٣، ٤/٤٤٤، والترمذي في الدعوات ٣٣٤٠، واللفظ لغير الترمذي .

ونحوه عن عائشة رواه أحمد ٦/٢٠٩ بسند صحيح، وانظر: المجمع ٢/١٢٧،
١٢٨، وج ١٠/١١٠ .

ونحوه أيضاً عن ابن عباس أورده في المجمع ٧/١٣٨ برواية الطبراني

رقم ١١١٩١ من كبيره قال: وإسناده حسن، وله شاهد آخر عن أبي هريرة في السنة لابن أبي عاصم ٣١٩.

وزكَّها، أي: طهرها.

وفي أحاديث الباب مشروعية سؤال الله عزَّ وجلَّ التقوى وتزكية النفس؛ لأنه ولي كل شيء ومولاه وييده قلوب عباده يقبلها كيف يشاء سبحانه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾.

١٢

عن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يخطب وذَكَرَ الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: «إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا: أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيْعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ».

رواه أحمد ١٧/٤، والبخاري في التفسير ١٠/٣٣٣، ٣٣٤، وفي أحاديث الأنبياء، ومسلم في الجنة ٢٨٥٥، والنسائي في الكبرى ٥١٥/٦.

قوله: إذ انبعث، أي: انطلق أشقى القوم بسرعة ونشاط. وعاقِرِ الناقة اسمه قُدَارٌ، على وزن غُرَاب، لعنه الله وأخزاه. وقوله: عارم، أي: صعب كثير الشهامة والشر. وقوله: منيع، أي: قوي ذو منعة، أي: له رهط يمنعونه من كل ضيم.

وبه تَمَّت سورة الشمس، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ اللَّيْلِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَرَأَى بَارئًا عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجَهُ وَزَوَّجَهُ وَرَزَقَهُ

هي إحدى وعشرون آية، افتتحها تعالى بالقسم ببعض الكائنات على أن الناس مختلفون في سعيهم وأعمالهم، منهم المؤمن الذي يعمل الصالحات ويتقرب إلى الله بأنواع القربات ويسعى جاداً لعتق مهجته من عذاب الله تعالى. ومنهم الكافر والمتمرد على الله تعالى الذي لا يألو جهداً في التمرد والإعراض عن دين الله عز وجل واتباع هواه، ثم يبين أن من أنفق ماله واتقى الله عز وجل فإنه سيهياً للعمل المؤدي به إلى الجنة ونعيمها، بينما الذي كذب بالجنة وما أعد الله فيها لأوليائه سيهياً لطريق الشر والحياة السيئة المؤدية إلى دار العذاب.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾.

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾

عن علقمة رحمه الله تعالى قال: قدمنا الشام فدخلنا مسجد دمشق على أبي الدرداء فقال: كيف يقرأ عبد الله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾... فقرأت عليه:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ «والذكر والأنثى»، قال: واللَّهِ لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلى في .

رواه البخاري في مواضع في الفضائل ٣٧٤٢، ٣٧٦١، وفي الاستئذان ٦٢٧٨، ومسلم في الصلاة ٨٢٤، والترمذي في القراءات ٢٧٤٥، والنسائي في الكبرى ٥١٦/٦ .

قراءة ابن مسعود هذه التي كان يقرأها أبو الدرداء ليست بمتواترة وهي مخالفة للمصحف الإمام الذي بين أيدي المسلمين، ولعلها من القراءات المنسوخة التي لم يبلغ نسخها ابن مسعود وأبا الدرداء رضي الله تعالى عنهما .

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ .

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: كنا في جنازة ببقيع الغرقد فاتانا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله ويده مِخْصَرَةٌ، فجعل يَنْكُتُ بها الأرض ثم قال: «ما منكم من أحدٍ إلَّا وقد كُتِبَ مَقْعَدُهُ من النار ومقعه من الجنة»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: «اعْمَلُوا فِكُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أما من كان من أهل السعادة فَسَيَسِّرُ إِلَىٰ عَمَلِ السَّعَادَةِ، وأما من كان من أهل الشقاء فَسَيَسِّرُ إِلَىٰ عَمَلِ الشَّقَاءِ ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ .

رواه أحمد رقم ٦٢١، ١٦٧، ١٦٨، ١١١٠، والبخاري في القدر، وفي التوحيد ٣٠٥/١٧، ومسلم في القدر ١٦/١٩٥، ١٩٦، وأبو داود في القدر رقم ٤٦٩٤، والترمذي فيه ١٩٦٨ وفي التفسير ٣٢١٦، والنسائي ٥١٧/٦، وابن ماجه ٧٨، والطيالسي ٦١ .

مِخْصَرَةٌ، بكسر الميم: كالسوط والعصا. ينكت، أي: يضرب. أفلا

نتكل، أي: نعتد على القدر وما كتب علينا وندع العمل. اعملوا، أي: لا بدّ من العمل فإنه الذي يصدق ما كتب في الأزل، فالسعيد سَيِّئاً للإيمان والعمل الصالح وَيُسِّرُهُ اللَّهُ لما خلق لأجله، والشقي بعكس ذلك، فمن اعتمد على ما كتب عليه وترك العمل كان ذلك علامة على شقاوته.

وفي الموضوع أحاديث عن أنس في الصحيحين، وعن عمران بن الحصين فيهما أيضاً، وعن ابن عمر عند أحمد والترمذي.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، أي: أنفق ماله ابتغاء وجه الله ﴿وَأَنْفَقَ﴾ ربه فآمن وكفّ عن محارمه، وآمن بالحسنى، أي: الجنة، فسنيّه لعمل الخير ونسهل عليه فعل الطاعات وترك المحرمات. والعكس بالعكس، فمن بخل بإنفاق ماله واستغنى عن ربه وعن عبادته وكذب بالجنة فسنيّه للخصلة المؤدّية للعسر، وهي طريق الشر المؤدّي إلى النار.

وبهذا تمّت سورة الليل، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.



﴿سُورَةُ الضُّحَى﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كُنَّا لِلَّهِ وَاكِلِينَ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرَزَّاقٌ وَعَزِيزٌ

هي إحدى عشرة آية، وحديثها عن شخصية حضرة رسول الله ﷺ.

من خصائص هذه السورة

واختصت بأمور تتعلق بجانب رسول الله ﷺ، وهي كالاتي:

- ١ - أن الله عز وجل ما تركه منذ أدناه، وما أبغضه منذ أحبه، آية ٣.
- ٢ - أن الآخرة خير له من الأولى، آية ٤.
- ٣ - أنه سيعطيه ربه حتى يرضى، آية ٥.
- ٤ - امتنانه تعالى عليه حيث كان يتيمًا فأواه، وضالًّا لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان فهداه إلى معرفة ذلك وعلمه، وعائلًا محتاجًا فأغناه بما هيأ له من أسباب التجارة في مال مولاتنا المحبوبة خديجة رضي الله تعالى عنها، آيات ٦ - ٨.
- ٥ - الوصية له ﷺ بثلاث خصال مقابل ما كان عليه في أوائله:
أولاً: عدم قهر اليتيم واحتقاره، فقد كان يتيمًا فأواه الله تعالى إلى عمه فأحسن إليه، آية ٩.

ثانياً: عدم زجر السائل والإغلاظ له، فقد كان عائلاً فسَهَّلَ اللهُ له طريق العيش فأغناه، آية ١٠ .

ثالثاً: التحدُّثُ بنعمة الله تعالى عليه بإبلاغ الرسالة وتعليم الجاهل وإرشاد الحائر، فقد كان تائهاً عن معرفة الكتاب وفروع الشريعة وتفصيلها، فعلمه الله ما لم يكن يعلم ﷺ وشرف وعظم، آية ١١ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَأَيْلِيلٍ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ .

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾

عن جندب البجلي رضي الله تعالى عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يرق ليلة أو ليلتين، وفي رواية: ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنِّي لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَأَيْلِيلٍ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ . وفي رواية: قالت امرأة: يا رسول الله، ما أرى صاحبك إلاَّ أبطأك، فنزلت: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ . وفي رواية: كنت مع النبي ﷺ في غار فدميت إصبعه، فقال النبي ﷺ: «هل أنت إلاَّ إصبعٌ دميت، وفي سبيل الله ما لقيت، قال: فأبطأ عليه جبريل عليه السلام، فقال المشركون: قد ودَّعَ مُحَمَّدٌ فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ .

رواه البخاري في التهجد ١١٢٤، ١١٢٥، وفي التفسير ٣٣٩/١٠، ٣٤٠ رقم ٤٩٥١، ٤٩٥٠، وفي فضائل القرآن ٤٩٨٣، ج ١٠/٣٨٢، ومسلم في الجهاد ٧٩٧، ج ١٣/١٥٦، والترمذي ٢١٢٧، والنسائي ٥١٧/٦، ٥١٨، كلاهما في التفسير، وحسنه الترمذي وصحَّحه، والروايات كلها عند البخاري إلاَّ دمي الإصبع فهي عند مسلم ١٥٥/١٢، والترمذي، لكن الأول لم يذكرها متصلة بسبب النزول.

قوله: ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾، أي: ما تركك. ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾، أي: ما أبغضك.

وقوله: أبطأ، أي: تأخر. وفي الآية الكريمة ردّ لما قاله المشركون وتلك المرأة المقيتة من أن الله تعالى تركه وقلاه، قاتلهم الله وأخزاهم. والمرأة المبهمه هي امرأة أبي لهب، أم جميل بنت حرب.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾.



عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسحُ جنبه وقلت: يا رسول الله، ألا أذنتنا حتى ننسُطَ لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ ظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

رواه أحمد ١/٣٩١، ٤٤١، والترمذي في الزهد ٢١٩٥ بتهذيبي، وابن ماجه ٤١٠٩، والحاكم ٤/٣١٠، وحسنه الترمذي وصححه، يعني لشواهد. وقد أشرت إليها في تهذيب الجامع.

هذا بعض مشاهد حياة رسولنا وعيشه ﷺ، فلقد كان على حالة عظيمة من الزهد في هذه الحياة وترك التنعم والترف رغبة فيما ادخره الله له في الدار الأخرى التي قال له فيها هنا: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾، أي: هي أشرف لك وأبقى من هذه الحياة الفانية الزائلة المنغصة.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.



عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: عرضَ على رسول الله ﷺ ما هو مفتوحٌ على أمته كَفَرًا كَفَرًا فَسَرَّ بِذَلِكَ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، فأعطاه في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم.

رواه ابن جرير ٢٣٢/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٤٤٣/١٠، وزاد في الدر المنثور: عبد بن حميد، والطبراني والحاكم والبيهقي وابن مردويه وأبا نعيم... وسنده صحيح.

ما ذكره ابن عباس جميعه مرفوع لأنه لا مجال فيه للنظر والرأي. وفيه ما أعطاه الله تعالى نبيه ﷺ في الآخرة إضافة إلى ما شرفه به على سائر الخلائق من الخصائص التي خصَّ بها ممَّا لا يلحقه فيها لاحق أبدًا.

وهذه الآية الكريمة يقول فيها أهل البيت: إنها أرجى آية في القرآن الكريم، وقوله في الحديث: كَفَرًا كَفْرًا، بفتح الكاف وسكون الفاء، أي قَرِيَةً قَرِيَةً.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾



عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

رواه أحمد ٢/٢٤٣، ٣٨٩، ٣٩٠، والبخاري في الرقاق ٦٤٤٦، ومسلم في الزكاة ١٠٥١، والترمذي في الزهد ٢١٩١، وابن ماجه فيه ٤١٣٧ وغيرهم.

العرض، بفتح الحين: كل ما ينتفع به من المتاع.

وعن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا أَعْطَاهُ»، وفي رواية: «فَصَبَرَ عليه».

رواه أحمد ٢/١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ومسلم في الزكاة ١٠٥٤، والترمذي في الزهد ٢١٦٩، وابن ماجه كذلك ٤١٣٨ وغيرهم، ونحوه عن فضالة بن عبيد رواه أحمد ١٩/٦، والترمذي ٢١٧٠، وابن حبان ٢٥٤١ بالموارد، والحاكم في الإيمان ٣٤/١، ٣٥، وصححه الترمذي والحاكم والذهبي.

العائل: هو الفقير المحتاج. وقوله: فأغنى: يشمل الغنى المادي

بمال خديجة رضي الله تعالى عنها وهذا في الظاهر، ويشمل الغنى القلبي، ولا شك في هذا أيضاً، فإنه كان أغنى الناس قلباً، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي يقول: ولكن الغنى غنى القلب، وهو الذي يحدثنا بأن من كان رزقه كفافاً وهو قوت اليوم وقنع ورضي به كان من المفلحين، ولا توجد هذه الصفة إلا فيمن كان غني القلب.

وبهذا تمت سورة الضحى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبد.

* * *

﴿ سُورَةُ الْإِنشِرَاحِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَلَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَعَزْبِهِ

هي ثمان آيات، وحديثها أيضاً عن شخصية رسولنا الكريم ﷺ وامتتانه تعالى عليه بما أولاه من نعم وفضائل وخصائص .

من خصائص هذه السورة

يتجلى ذلك في الآتي :

- ١ - شرح صدره ﷺ بالهدى والإيمان ونور القرآن والعلوم والمعارف الإلهية وجعله رحيباً واسعاً، آية ١ .
- ٢ - حط عنه الحمل الثقيل، وهي الأمور التي فعلها عن اجتهاد مثلاً أو فعلها أيام الجاهلية قبل الإسلام، وليست الذنوب فإن الأنبياء معصومون من الذنوب قبل التنبؤ وبعده على القول الصحيح، آيتان . ٣، ٢ .
- ٣ - رفع ذكره وإعلاء مقامه في الدنيا والآخرة في الأذان والصلاة والخطب، آية ٤ .

٤ — تبشيره بالفرج والخروج من الشدة التي كان فيها، وأن مع ذلك العسر يسراً، آيتان ٥، ٦.

٥ — إرشاده إلى الاجتهاد في العبادة وإتباعه نفسه في طلب الآخرة بعد فراغه من دعوة الخلق، وأن يجعل همته ورغبته فيما عند الله تعالى، آيتان ٧، ٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نَزَّحُوا لَكَ صَدْرَكَ﴾.



عن أنس بن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه، أن نبي الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدٌ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ. فَأْتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مَاءٌ زَمَزَمٌ فَشَرِحْتُ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا»، قال قتادة: قلت لأنس: ما يعني؟ قال: «إلى أسفل بطني»، قال: «فَأَسْتُخْرِجُ قَلْبِي فغسل قلبي بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حُشِيَ إيماناً وحكمة».

رواه البخاري ومسلم مطوَّلاً في قصة الإسراء، وقد تقدّم.

وقع له هذا الحادث — أعني شقَّ الصدر — مراراً، وأوله كان وهو رضيع في بني سعد. وظاهر قوله: وشرح صدري إلى كذا وكذا، أنه كان محسوساً وهو ممّا لا ينبغي الخلاف فيه لما ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك أن أثر ذلك كان ببطنه الشريف.

وأوردت هذا الحديث عند هذه الآية تبعاً لأبي عيسى الترمذي.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.



عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟» قال: الله أعلم، قال: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي».

رواه ابن جرير ٢٣٥/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٤٤٥/١٠، وأبو يعلى ٥٧٦/١، وابن حبان ١٧٥/٨ بالإحسان، وبالموارد ١٧٧٢، وسنده حسن لولا رواية دراج عن أبي الهيثم، فإن فيها ضعفاً عندهم، علماً بأن الترمذي يحسن له كثيراً، وعزاه في المجمع ٣٥٤/٨ وقال: إسناده حسن، والحديث معناه صحيح.

إنه ﷺ مرفوع الذكر في الدنيا والآخرة بأبي هو وأمي، فلا يؤذَن مؤذَن ولا يصلِّي مصلِّ ولا يذكر ذاكر إلا ذكر النبي ﷺ، وكيف لا وذكره مقرون بالله في عدَّة سور من القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.



عن الحسن رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾، قال: خرج النبي ﷺ مسرورًا فرحًا وهو يضحك وهو يقول: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

رواه عبد الرزاق في تفسيره ٣٨٠/٢٥، وابن جرير ٢٣٦/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٤٤٦/١٠، والحاكم ٥٢٨/٢، وهو مرسل صحيح، ونحوه عن قتادة أيضًا مرفوعًا رواه ابن جرير ٢٣٦/٣٠، بسند صحيح أيضًا، وعن ابن مسعود ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بالآية: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»، رواه عبد بن حميد من طريق قتادة به، ذكره الحافظ في الفتح وقال: سنده جيد.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ جالسًا وحياته جحرًا، فقال: «لو جاء العُسْرُ فدخَلَ هذا الجُحْرَ لجاء اليُسْرُ حتى يدخُلَ عليه فيُخْرِجَهُ»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

رواه ابن أبي حاتم ٣٤٤٦/١٠، والبزار ٢٢٨٨، والطبراني في الأوسط ١٥٤٨، وفي سنده عائذ بن شريح وهو ضعيف، هكذا في المجمع ١٣٩/٧. وقال الحاكم ٥٢٨/٢ صحَّ ذلك عن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما، وذكره البخاري في ترجمة في التفسير ٣٤١/١٠، فقال: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ». وبالجملة، فالحديث ثابت بما أوردناه.

ففي الآية وهذه الأحاديث بشارة للمكرويين، وأنه لا بدّ من حصول الفرج بعد الشدّة. ومعنى قوله ﷺ: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»: أنّ العرب جرت عاداتهم في كلامهم أنّ المعرفة إذا تكرّرت كانت الثانية هي الأولى، فالعسر الثاني في الآية هو الأول، فهو عسر واحد، والنكرة إذا تكرّرت كانت الثانية غير الأولى، وعليه فاليسر الثاني غير الأول فيكون يسران في مقابلة عسر واحد، وهذا من دقيق فهم النبي ﷺ وعظيم استنباطه. وقد كتب الناس في الفرج بعد الشدّة واليسر بعد العسر.

وبهذا تمّت سورة الانشراح، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.



﴿سُورَةُ التِّينِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كُنَّا لِلَّهِ وَاكِلِينَ
وَاللَّهُ وَجِبْهُ وَزُوجِبُهُ وَعَزْبُهُ

هي كسابقتها بدأت بصيغة قسم للدلالة على أن الله هو الخالق، وأنه خلق الإنسان في أحسن خَلْقَةٍ، وأن يوم الدين حق لمحاسبة الناس على أعمالهم، وهي ثمان آيات. وقد اختصت بالآتي:

من خصائص هذه السورة

- ١ - القسم بالتين والزيتون لما فيهما من منافع للعباد، آية ١ .
- ٢ - القَسَمُ أيضًا بأراضي الرسائل الإلهية، وهي طور سيناء من بلاد فلسطين، والبلد الأمين مكة المكرمة، آيتان ٢، ٣ .
- ٣ - أن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وحيث إنه لم يشكر نعمة الله عليه بهذا الخَلْقِ العظيم العجيب ردَّه وأنزله إلى أسفل دركات جهنم يوم القيامة، هذا هو ظاهر السِّياق، وقيل: ردَّه إلى العمر الأَرْذَلِ الأَخْسَرَ الأَضْعَفِ، وهو أيام الهَرَمِ والخَرَفِ، وذلك بعد أن

كان قويًا ناضرًا شابًا، حفظنا الله تعالى من ذلك، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم ناجون بفضل الله ورحمته من جهنم ومن الخرف والهرم إن شاء الله تعالى، جعلنا الله تعالى منهم بمئه وكرمه آمين، آيات ٤ - ٦.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾... الآيات.



عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: صلّيتُ مع رسول الله ﷺ العشاء فقرأ بـ ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾.

رواه البخاري ٧٦٧، ٧٦٩، ومسلم ٤٦٤، وأبو داود ١٢٢١، والترمذي ٢٧٨، والنسائي في المجتبى ٣١٠، ج ٢/١٣٥، كلهم في الصلاة، ورواه البخاري في التفسير ٣٤٢/١٠ وفي التوحيد، والنسائي في الكبرى أيضًا ٥١٨/٦، وابن ماجه ٨٣٤، ٨٣٥.

فيه مشروعية القراءة في صلاة العشاء بهذه السورة، وتقدّم ما يفيد القراءة فيها بأوسط سور المفصل، فانظر ما سبق في الانفطار والأعلى... والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْعَلَقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كُنَّا لِلَّهِ وَاكِلِينَ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

هي تسع عشرة آية، وتحدث عن أعظم نعمة، وأشمل رحمة، وأعم خير حظيت به الأمة الإسلامية تبعاً لنبيها العظيم ﷺ، ألا وهي بداية نزول القرآن الكريم والوحي الإلهي على نبيه الكريم ﷺ، ثم فيها إنكار على الذي ينهى عن عبادة الله، ويكذب ويعرض عن ذكر الله، ثم تحذير له ولأمثاله، بأنه سيؤخذ بناصيته فيقذف في العذاب هو ومن معه.

من خصائص هذه السورة

- ١ - نزول أول خطاب من المولى العلي الأعلى إلى نبيه المختار ﷺ وهو بداية الوحي: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾...﴾ آيات ١ - ٥.
- ٢ - فيها تذكير من الله تعالى لنا بنعمة التعلم بالقلم.. وقد تقدّم في سورة القلم، آية ٤.
- ٣ - إخباره عزّ وجلّ بأنّه علّم الإنسان ما لم يعلم ممّا كان يجهله، وهذا من جملة إعجاز القرآن، فإنّ الإنسان الحالي علّمه الله وأطلعه على كثير

من الخفايا الكونية وهداه إلى استخدامها وما يجهره أكثر بكثير ممَّا علَّمه، آية ٥ .

٤ — بيان طبيعة الإنسان إذا رأى نفسه أنه استغنى وهو طغيانه وتمرُّده، آيتان ٦، ٧ .

٥ — الإخبار عن ذلك الأشقى الخائب الخاسر أبي جهل لعنه الله الذي كان ينهى النبي ﷺ عن الصلاة وأغلظ له في القول وهدَّده، فأخبر الله تعالى عنه أنه إن لم ينته عن تمرُّده ليأخذنه بناصيته وليدعون زبانية جهنم الغلاظ الشداد فتأخذه إن دعا هو الآخر أهل ناديه كما زعم، آيات ٩ إلى ١٨ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ⑤ ﴾ .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها قالت: «أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنَّثُ فيه — وهو التَّعبُدُ — اللَّيالي ذواتِ العَدَدِ قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّدُ لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجة فيتزوَّدُ لمثلها حتى جاءه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: ﴿ أَقْرَأْ ﴾، قال: ما أنا بقارىء، قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ أَقْرَأْ ﴾، قلتُ: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ أَقْرَأْ ﴾، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ ﴾»

فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فقال: زَمَّلُونِي زَمَّلُونِي، فزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمِكَ. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْمُخْرَجِي هُمْ؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي . . .

رواه أحمد ٢٣٢/٦، ٢٣٣، والبخاري في بدء الوحي ٢٥/١، ٣٠، وفي التفسير ٣٤٤/١٠، ٣٥٠، وفي التعبير وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان ١٩٧/٢، ٢٠٥، وغيرهم.

قوله: الرؤيا الصالحة — في رواية: الصادقة، ومعناها واحد — .
وقوله: كفلق الصبح، أي: يظهر صدقها في اليقظة كضياء الصبح. قوله: ما أنا بقارىء، أي: لا أحسن القراءة، فلما قال ذلك ثلاثًا قال له: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ...﴾ إلخ، وقيل: هي استفهامية، أي: ماذا أقرأ، أو كيف أقرأ؟ والله أعلم. وقوله: فغطني، أي ضممني وعصرني. وقوله: الجهد، بفتح الجيم وضمها: وهو الغاية والمشقة. وقوله: يرجف، أي: يرتعد ويضطرب.

وقوله: الروح، بفتح الراء: الفزع. وقوله: لا يخزيك الله... إلخ، أي: لا يهينك ولا يفضحك. وقوله: وتحمل الكلّ، بفتح الكاف، ومعناه: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال... وقوله: وتكسب المعدوم، أي تكسب غيرك المال المعدوم وتعطيه إياه، وقوله: جدّعا، بفتح الحين، أي: شابًا قويًا. وقوله: نصرًا مؤزرًا، أي: قويًا بالغًا...

وفي هذا الحديث الشريف فوائد كثيرة هامة، فهو يدلّ على أنّ أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا، ومكث كذلك ستّة أشهر على الصحيح، وفيه أنّ أوّل ما نزل من القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وهو قول الجمهور للأدلة المتضاربة على ذلك، وفيه فضل مولانا خديجة رضي الله تعالى عنها وتأبيدها للنبي ﷺ. ويؤخذ من هذا أنها أوّل من آمن به إطلاقًا، وفيه أنّ النبي ﷺ كان متّصفًا بالأخلاق الكريمة قبل نبوّته، وقد عرفت ذلك خديجة منه، فلذلك لما قال لها لقد خشيت على نفسي، يعني من الشيطان... ثبتته وعرفت أنه لا يسلط عليه الشيطان لما هو متخلق ومتّصف به من الأخلاق الحسنة، وفيه الفزع إلى أهل العلم بالدين عند نزول المهمات... وفيه فضل ورقة بن نوفل وأنه آمن بالنبي ﷺ وتمنّى نصره عندما يدعو قومه ويخرجونه من بلده. وقد جاء في رؤيا له ﷺ ما يدلّ على أنّه من أهل الجنة، وفي الحديث غير ذلك من الفوائد.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى على أول هذه السورة في تفسيره: فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمة المباركات، وهنّ أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأنّ من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البريّة آدم على الملائكة، والعلّم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في

الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس.. وقال القرطبي على قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۗ...﴾ إلخ، نبه تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إنسان، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كُتِبَ الله المنزلة إلاً بالكتابة، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين ١١٩/١٩.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۗ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۗ﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُه وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴿١١﴾ .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بهأ ناد أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۗ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۗ﴾، قال ابن عباس: والله لو دعأ ناديه لأخذته زبانية الله.

رواه أحمد ١/٢٥٦، ٣٢٩، ٣٦٨، والترمذي في التفسير ٣١٣١، والنسائي في الكبرى ٦/٥١٨ بسند صحيح على شرط مسلم، وهو عند ابن جرير ٣٠/٢٥٦.

وعنه قال: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۗ﴾ قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه، فقال النبي ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عيانا».

رواه عبد الرزاق ٢/٣٨٤، وأحمد رقم ٣٤٨٣، والبخاري ١٠/٣٥٣، ٣٥٤، والترمذي ٣١٣٠، والنسائي في الكبرى ٦/٥١٨، وابن جرير ٣/٢٥٦، ٢٥٧.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يعقر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، قال: فقال: واللآت والعزى لئن رأيت يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعقرن وجهه في الثراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو

ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأختطفته الملائكة عُضْوًا عُضْوًا»، قال: وأنزل الله — لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا —: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْفِرَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾﴾، يعني: أبا جهل... ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلَيَدْعُنَا دَاعِيَةً ﴿١٧﴾﴾ يدعو قومه، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ الملائكة، ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴿١٩﴾﴾.

رواه مسلم ١٣٩/١٧، ١٤٠ في صفة المنافقين، والنسائي في الكبرى ٥١٨/٦، وابن جرير ٢٥٦/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٤٥٠/١٠ من طريقه.

قوله: فزبره، أي: نهه وأغلظ عليه. وقوله: لأخذته زبانية الله: الزبانية هم ملائكة النار المكلفون بها وبأهلها. وقوله: لأعفرن، أي: لألصقن وجهه بالتراب وأمرغه. وقوله: ينكص، أي: يرجع إلى الوراء.

وفي هذه الأحاديث حماية الله عز وجل لنبيه ﷺ وعصمته وحفظه من أعدائه، وأنه لو شاء لبعث عليهم بعض ملائكته الشداد الغلاظ العظام ولأخذوهم بدون كبير تعب، ولكنه تعالى كان يسلك به كغيره من الأنبياء والمقربين سبيل سنته في خلقه وهو طريق الأسباب.

وبهذا تمت سورة العلق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.

* * *

﴿ سُورَةُ الْقَدْرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّلَى اللَّهُ وَكَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهِ وَهَجَبَهُ وَزَوَّجَهُ وَعَزَبَهُ

وهي خمس آيات، وتمتاز بالحديث عن بيان الليلة المباركة المذكورة في سورة حم الدخان مبهمة، وأنها ليلة القدر، تلك الليلة ذات الفضل العظيم المفضلة على سائر الشهور والأيام، وذلك لما يكون فيها من التجليات الإلهية، والأنوار والنفحات الربانية التي يفيضها الباري جلَّ علاه على عباده المؤمنين تكريمًا لنزول القرآن المُبين فيها وفي أفضل شهر وهو رمضان المعظم. كما يأتي عقبه.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ ﴾... الآية.

①

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ ﴾، قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، وكان الله عزَّ وجلَّ ينزل على رسول الله ﷺ بعضه في إثر بعض، قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان]، وفي

رواية: أنزل القرآن جملةً واحدةً في ليلة القدر إلى السماء الدنيا.

رواه النسائي في الكبرى ٥١٩/٦، وابن جرير ٢٥٩/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٤٥٢/١٠، والحاكم ٢٢٢/٢، وصححه ووافقه الذهبي وأورده النور في المجمع ٤٠/٧ برواية الطبراني في الكبير ٢٣٨٢، والبخاري ٢٢٩٠ وقال: رجال البزار رجال الصحيح.

الحديث بيّن أن نزول القرآن في رمضان، ومعناه نزوله من اللوح المحفوظ جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا، ثم جعل ينزله الله تعالى منجّماً حسب الأسباب، حتى تمّ في ثلاث وعشرين سنة، وهذا معلوم لا شكّ فيه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ 》

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال: «تَحَرَّوْهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ». رواه البخاري ٢٠١٥، ومسلم ٥٨/٨، ٥٩، (١١٦٥)، كلاهما في الصيام.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

رواه البخاري ٢٠١٤، ومسلم في صلاة التراويح ٤٠/٦، ٤١، وغيرهما.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول؟ قال: «تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».

رواه أحمد ١٧١/٦، ١٨٣، ٢٥٨، والترمذي في الدعوات ٣٢٨٣، والنسائي في الكبرى ٥١٩/٦، وابن ماجه ٣٨٥٠، والحاكم ٥٣٠/١، وصححه على شرطهما ووافقه

الذهبي، وسنده عند الترمذي على شرط مسلم، ولذلك حسَّنه وصحَّحه.

فضل ليلة القدر والكلام على وقتها يطول الكلام بنا فيه لكثرة ما جاء في ذلك من الأحاديث، فالليلة في رمضان وبالأخص في العشر الأواخر وخاصة في أفرادها وأوتارها، خلافاً لمن قال: إنها تنتقل في السنة أو رفعت، فإن ذلك يخالف الأحاديث المتضافرة في كونها في رمضان في العشر البواقي، وإرشاد النبي ﷺ أصحابه إلى طلبها في تلك الليالي.

وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها مشروعية ما يقال من الدعاء في ليلتها، وهو أجمع دعاء وأوعاه؛ لأن من عفا الله تعالى عنه فقد فاز وسعد.

قوله تعالى: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ١ ﴾ .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

رواه مسلم في الصلاة (٤٨٧)، ٣٠٤/٤، وأبو داود ٨٧٣، والنسائي في الكبرى ٥١٩/٦، وفي المجتبى ١٤٩/٢٦، (١٠٤٨).

اختلف في الروح المذكور في هذه السورة وفي الحديث، فقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: هو ملك خاص.

وبهذا تمَّت سورة القدر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿ سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَكَرَّمِ وَبَارِكِ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجِبَهُ وَزَوَّجَهُ وَعَزَبَهُ

هذه هي أول سورة مدنية تتخلل خمسًا وأربعين سورة مكية كما تقدّم في أول ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ ، وهي ثمان آيات ، وأهدافها الكلام على أهل الكتاب والمشركين وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ وتفرّقهم بعد قيام الحجّة عليهم ثم الكلام على إخلاص العبادة لله عزّ وجلّ وحده وبيان مآل السعداء والأشقياء .

وامتازت بذكر شر البرية وخيرها ، حيث ذكر أنّ شرّها هم الكفّار من اليهود والنصارى وسائر المشركين أيًا كانوا ، أما خيرها فهم المؤمنون الصالحون أهل الاستقامة مع الله عزّ وجلّ ، وهم الذين رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ ﴾ . . . ﴿ الآيات .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب حين نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾: «إِنَّ الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾»، قال: وسَمَّاني لك، قال: «نعم»، فبكى.

رواه البخاري في التفسير ٣٥٥/١٠، ٣٥٦، وفي المناقب، ومسلم ٢٠/١٦، والترمذي ٣٥٦٤ كلاهما في فضائل الصحابة، ورواه مسلم في الصلاة ٧٩٩، والنسائي في الكبرى ٥٢٠/٦.

فيه فضيلة لأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، وكان أقرأ الصحابة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره».

رواه أحمد ١٣١/٥، ١٣٢، وسنده حسن صحيح.

الحنيفية: هي الدين الحق ودين الإسلام الذي ارتضاه الله لهذه الأمة، فمن ابتغى ديناً غيره كان من الخاسرين.

وعن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي فيحدثنا، قال لنا ذات يوم: «إِنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ولو كان لابن آدم وإدٍ لأحبَّ أن يكون له ثَانٍ، ولو كان له ثَانٍ لأحبَّ أن يكونَ إليهما ثالثٌ، ولا يملأ جَوْفَ ابنِ آدمِ إِلَّا التُّرَابُ، ثم يتوبُّ الله على من تاب».

رواه أحمد ٢١٨/٥، ٢١٩، والطبراني في الكبير ٣٣٠٠، قال في المجمع ١٤٠/٧: ورجال أحمد رجال الصحيح.

وقوله: لو كان لابن آدم... إلخ: في الصحيح: وكانت آية من القرآن، فنسخ لفظها منه.

في الحديث أن إيجاد المال جعل لتقام الصلاة وتؤتى الزكاة قيامًا بأداء حق الله عز وجلّ وحق عباده، وأن الإنسان من حيث هو جُبل على حب المال وزيادته، وأنه لا يشبع منه ولو كان عنده القناطير المقنطرة، إلا من رحم الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.



عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية، قال: «ذاك إبراهيم».

رواه مسلم في الفضائل ١٥/١٢١، وأبو داود ٤٦٧٢، والترمذي ٣١٣٤، والنسائي ٦/٥٢٠، كلاهما في التفسير.

خير البرية، أي: أفضل المخلوقات، وما قاله ﷺ هو من تواضعه مع أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإلا فهو أشرف البرية وسيدهم وأفضلهم إطلاقًا، ثم كل المؤمنين الصالحين خير البرية كما في الآية الكريمة.

وبهذا تمت سورة البينة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿ سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَرَأَى بَارِكًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَّجَهُ وَزَوَّجَهُ وَهَزَبَهُ

هذه السورة الثانية من المدنيات، وهي ثمان آيات كسابقتها، وموضوعها يخالف السور المدنيات، حيث إنها تتحدّث بالذات عن القيامة وأحوالها، وما يحصل من الزلزال الشديد. . . وإخراج ما في بطن الأرض من الأموات والكنوز، وتحدث الأرض بما وقع عليها، ثم انصراف الناس وصدورهم فرقا فرقا.

وقد امتازت بتلك الآية الجامعة الفأدة: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قاعد فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: « ما يبكيك يا أبا بكر؟ »، فقال: أبكتني هذه

السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم لا تُخَطِّثُونَ ولا تُذَنِّبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ تعالى أُمَّةً مِنْ بَعْدِكُمْ يُخَطِّثُونَ وَيُذَنِّبُونَ فيَغْفِرُ لَهُمْ».

رواه الطبراني، قال في المجمع ١٤١/٧: وفيه حيي بن عبد الله المعافري وثقه ابن معين وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقيه رجاله رجال الصحيح. فالحديث حسن إن شاء الله ولاخبره شاهد في مسلم.

الزلزال: هو التحرُّك الشديد العنيف.

وفي الحديث فضل الصديق رضي الله تعالى عنه، وفيه سعة رحمة الله عزَّ وجلَّ وشمول مغفرته لمن تاب إليه واستغفر. وفيه أنَّ العباد لا ينفكُّون عن ذنوب يأتونها، نسأل الله تعالى العفو.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «أتدرون ما أخبارها؟»، قال: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا، فهذه أخبارها».

رواه أحمد ٢٧٤/٢، والترمذي ٢٢٤٩، ٣١٣٥، والنسائي في الكبرى ٥٢٠/٦، وابن حبان ٢٥٨٦ بالموارد، والحاكم ٢٥١/٢، ٥٣٢، وحسنه الترمذي وصحَّحه، وكذا صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي في موضع وتعبه في الثاني، وهو وإن كان في سنده يحيى بن أبي سليمان وهو لين الحديث، فإنَّ للحديث شاهداً عند الطبراني. قال النور في المجمع ٢٤١/٧: فيه ابن لهيعة. ولهذا حسَّنه الترمذي وصحَّحه.

في الحديث بيان أخبار الأرض يوم القيامة، حيث إنها تشهد على كل من عمل فوقها شيئاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.

عن صعصعة عمِّ الفرزدق رضي الله تعالى عنه قال: قدمتُ على

النبي ﷺ فسمعته يقول: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾، قال: حَسْبِي لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ غَيْرَهَا.

رواه أحمد ٥/٥٩، والنسائي في الكبرى ٦/٥٢٠، ٥٢١، والحاكم ٣/٦١٣، والطبراني في الكبير ٧٤١١، قال النور ٧/١٤١: مرسلًا ومتصلاً، ورجال الجميع رجال الصحيح، وصححه البوصيري في الإتحاف ٨/٤٤٥.

المثقال: هو الوزن. والذرة: أقل شيء. والآية الكريمة كافية لمن اعتبر كهذا الرجل الذي لم يزد أن سمع غيرها لما علم منها أن العبرة بالخير والشر، فمن أكثر من الخير كان مفلحاً، ومن ازداد من الشر كان خاسراً، والله حكم عدل لا يظلم أحداً.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الْحُمْرِ فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَائِذَةُ الْجَامِعَةُ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾». رواه البخاري في التفسير ١٠/٣٥٦، ومسلم في الزكاة ٧/٦٧ مطوَّلاً.

معنى قوله: الفائزة، أي: قليلة النظير. وقوله: الجامعة، أي: العامة الشاملة. وسؤال الصحابة رسول الله ﷺ عن الحمر كان على زكاتها، فأخبرهم ﷺ على أن الله تعالى لم يوجبها فيها كالخيل والبغال إلا ما كان من استعمالها في الخير كإعارتها مثلاً، وحمل الغير عليها ونحو ذلك.

وبهذا تَمَّتْ سورة الزلزلة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿ سُورَةُ التَّكَاثُرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا لِيَ أَدْرَأَهُ اللَّهُ بِرَأْسِهِ
وَأَلَّهُمْ وَرُؤُوسَهُمْ
وَأَلَّهُمْ وَرُؤُوسَهُمْ

هي ثمان آيات كسابقتها، وفيها إخبار عن لهو بني آدم، وتحذير للإنسان اللاهية برؤية الجحيم، وأنه سيسأل عن النعيم الذي أعطاه إياه الله في الدنيا.

من خصائص هذه السورة

امتازت السورة بالآتي:

- ١ - الإخبار عن بني آدم بأنهم مغرمون ولاهون بالتفاخر بكثرة الأموال والأولاد والعشائر والأصحاب حتى الموت، آيتان ١، ٢.
- ٢ - التهديد الشديد والزجر والتخويف الأكيد للإنسان، وأنه سيعلم ما أنذر به علم اليقين، وسيرى الجحيم ويشاهدها عين اليقين بعد أن كان متشككاً فيها، آيات ٣ - ٧.
- ٣ - سؤال الإنسان يوم القيامة عن كل نعيم تنعم به في هذه الحياة حتى الظل والماء، آية ٨.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② .

① ②

عن أنس، عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنهما قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، يعني: «لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

رواه البخاري في الرقاق ٣٢/١٤، ٣٣، باب ما يتقى من فتنة المال.

نرى، بضم النون، أي: نظنّ، ويجوز فتحها، بمعنى: نعتقد. وقوله: كنا نرى هذا من القرآن... إلخ: الجمهور على أنه - أعني لو كان لابن آدم... إلخ - مما نسخ لفظه من القرآن وبقي حكمه ومعناه، وقد ورد هذا عن جماعة من الصحابة، عن النبي ﷺ، منهم: ابن عباس وابن الزبير عند البخاري في الرقاق، وعن ابن عباس عند البخاري ومسلم، وعن جابر عند أحمد وابن حبان، وغيرهم. وقوله: ويتوب الله... إلخ، معناه: أن من ترك الاستكثار والحِرْصَ فقد تاب فيتوب الله عليه.

في الحديث بيان ما جبل عليه ابن آدم من حب المال والشغف به والتهافت عليه والاستكثار منه، وأنه لا يملأ قلبه أو فاه إلا التراب، وهو كناية عن الموت؛ لأنه إذا دفن صبَّ عليه التراب فامتلاً به جوفه وفاه... ولم يبق منه موضع يحتاج إلى تراب غيره.

عن عبد الله بن الشخير رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② ، قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

رواه أحمد ٢٤/٤، ٢٦، ومسلم ٢٩٥٨، والترمذي ٢١٦١، كلاهما في الزهد،
ورواه أيضًا في التفسير ٣١٣٦، والنسائي في الكبرى ٥٢١/٦.

الحديث يفيد أنّ مال الإنسان الذي يجول ويصول به في حياته ليس له
منه إلا ما قدّمه بين يديه من صدقة ومعروف وما عدا ذلك فسيتركه وراءه
يقتسمه الورثة بينهم، ومعنى الآية الكريمة شغلكم التفاخر بكثرة الأموال
والأولاد عن طاعة الله تعالى وعن الاستعداد للأخرة حتى أدرككم الموت
ودُفنتم في المقابر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «هذا والذي
نفسى بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة الظلّ البارد والرطب البارد
عليه الماء البارد».

رواه مسلم ٢٠٣٨ مطوّلًا، وأبو داود ٥١٢٨ في الأدب، والترمذي في الاستذنان،
وفي الزهد ٢١٨٨، والنسائي في الكبرى ٥٢١/٦، وابن ماجه ٣٧٤٥، وغيرهم، وهو
مختصر من قصة أبي الهيثم ابن التيهان مع رسول الله ﷺ، وهو في الشمائل للترمذي
مطوّلًا في باب ما جاء في عيش رسول الله ﷺ. وله شواهد عن جابر عند أحمد،
وأبي مسعود عند ابن ماجه، وعن أبي عسيب عند أحمد.

وعن الزبير رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ
النَّعِيمِ﴾. قال الزبير: يا رسول الله، وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما
الأسودان: التمر والماء، قال: «أما إنّه سيكون».

رواه أحمد رقم ١٤٠٥، والترمذي في التفسير ٣١٣٨، وابن ماجه في الزهد
٤١٥٨، وحسنه الترمذي وهو حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه، وفيه: وإنما هما
الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا، قال: «إن ذلك سيكون».

رواه الترمذي في التفسير ٣١٣٩ بسند حسن صحيح، وله شاهد بمثله أيضًا عن محمود بن لبيد رواه أحمد ٤٢٩/٥ بسند حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ - مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنَزَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ».

رواه الترمذي في التفسير ٣١٤٠، وابن حبان ٢٥٨٥ بالموارد، وبالإحسان ٣٦٥، ٣٦٤/١٦، والحاكم ١٣٨/٤، وغيرهم بسند صحيح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذه الأحاديث المذكورة كلها تدل على أَنَّ الإنسان سيسأل عن كل ما تمتع به من نعيم، في هذه الحياة بداية من الظل والماء البارد والتمر الطيب وصحَّة الجسم فضلاً عمَّا هنالك من نعم سواها ظاهرة وباطنة، والإنسان يتنعم ويتمتع بها ويستغلها طوال حياته ليل نهار، والصحابة رضي الله تعالى عنهم احتقروا ما كان لديهم من نعيم ضئيل في نظرهم وهو الماء والتمر فأخبرهم النبي ﷺ بأنه سيكون ذلك في مستقبل الزمان وسيفتح الله على الناس زهرة الدنيا ويصبحون في رغد العيش والنعيم والترف والرفاهية كما هو واقع الأمة منذ أجيال، وبالأخص في عصرنا هذا فإنه ظهر فيه من النعيم ما لم يتقدَّم له مثيل في تاريخ الأمة، فلنعدَّ جوابًا عمَّا نتمتع به نسأل الله البر الرحيم أن يتجاوز عنَّا.

وبهذا تمَّت سورة التكاثر، والحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصَّالِحَات، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَزَوْجِهِ وَصَحْبِهِ وَحُزْبِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ.

* * *

﴿ سُورَةُ الْفِيلِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا كُنَّا لِلَّهِ وَاوَدًا
وَمَا كُنَّا لِلَّهِ وَاوَدًا
وَمَا كُنَّا لِلَّهِ وَاوَدًا

هي مكية، وآياتها خمس.

من خصائص هذه السورة

امتازت هذه السورة بالحديث عن قصّة أصحاب الفيل الذين قدموا مكة المكرمة من اليمن قاصدين هدم بيت الله الحرام برئاسة أبرهة الأشرم ملك اليمن من طرف النجاشي الحبشي وجاءوا في جيش عظيم ومعهم فيلة كثيرة يقدمها فيل عظيم، ولما دخلوا مكة المكرمة وحاولوا استباحة البيت وتهديمه أرسل الله تعالى عليهم طيرًا أبابيل، أي: جماعات متتابعة، كل طير يحمل معه ثلاثة أحجار (قنابل)، واحدة في منقره وثنان في رجليه، فأهلكهم الله جميعًا وأبادهم بقذف تلك الطيور ولم يُبقِ منهم أحدًا.

كل ذلك فعله الله عزّ وجلّ إكرامًا لنبيه ﷺ الذي كان حملًا في بطن أمه إذ ذاك، وحمايةً لحرم الله الذي سبق في علمه أنه سيكون في مستقبل الزمان وطنًا لحبيبه سيّدنا رسول الله ﷺ وقبلة لكل الأقطار والأصقاع، وأنه سيصبح

عاصمة الإسلام الدينية عبر الأجيال والعصور في أيام الأُمَّة المحمّدية، فللّه الحمد والشكر على ذلك وله الشاء اللائق به سبحانه جلّ علاه .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۗ...﴾ الآيات .



قد تقدّم في سورة الفتح حديث قصّة الحديدية، وفيه: عندما بركت القصواء قال ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابسُ الفيل»، وهو في البخاري مطوّلاً في مواضع .

وقوله: حبسها حابس الفيل، أي: حبسها الله عزّ وجلّ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

وتقدّم أيضاً حديث: «إنّ الله حبس عن مكة الفيل وسلّط عليها رسوله والمؤمنين...» إلخ .

وهو عند البخاري في العلم ٢١٦/١، ٢١٧، وفي اللقطة ١٢/٦، وغيرها، ومسلم في الحج ١٣٠/٩ عن أبي هريرة .

ومعنى ذلك أنّ الله حبس الفيل عن استباحة الحرم الشريف وأباح ذلك لنبية ﷺ ساعة من نهار عند فتحها .

وبهذا تمّت سورة الفيل، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين .

* * *

﴿سُورَةُ الْمَاعُونِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْبِيَائُهُ
وَأُولُو عِزِّهِمْ وَأُولُو عِزِّهِمْ

هي سبع آيات .

من خصائص هذه السورة

حديثها الذي امتازت به هو ذكر الويل للساھين عن صلاتهم فلا يصلّونها بحال أو يضيعونها في أوقاتها فلا يصلّونها حتى يخرج وقتها المحدد. وليس المراد بالساھين الساھين فيها؛ فإن هذا واقع ومغفوء عنه، بل الساھون والغافلون عنها.

كما امتازت السورة بذكر مانعي الماعون وأن لهم الويل كالساھين عن الصلاة والمرائين بأعمالهم، نسأل الله اللطف والعفو آمين.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ^١ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ^٢.



عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

رواه أحمد ٣/٣٧٠، ٣٨٩، ومسلم في الإيمان ٢/٧٠، ٧١.

ومعناه: أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل، بل دخل فيه، كذا في شرح مسلم للنووي.
وفي حديث بريدة: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

رواه أحمد ٥/٣٤٦ والأربعة، وحسنه الترمذي وصححه.

ولا شك أن تارك الصلاة هو من الساهين عنها، فله الويل... عياداً بالله تعالى من ذلك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّئِئِيهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّئِئِيهِ».

رواه مسلم في الزهد ٢٩٨٦، والنسائي في الكبرى ٥٢٢/٦، وابن حبان في صحيحه ١٣٥/٢، وهو في خ ٦٤٩٩ في الرقاق، وفي الزهد ٢٩٨٧ من حديث جندب رضي الله تعالى عنه. وفي الباب عن ابن عمرو عند أحمد، وعن أبي سعيد الخدري عند الترمذي، وعن أبي بكره عند أحمد.

قوله: سمع، بتشديد الميم، أي: ذكر أعماله الصالحة ليسمعه الناس ويثنون عليه، وقوله: رأى، أي: عمل عملاً أراه للناس ليحترموه ويعظموه ويعتقدوا فضله. وهذا كله شرك في العمل إذا كان قصده ذلك، فإن كانت نيته الاقتداء به ونحو ذلك ممّا لا علة فيه فليس بمذموم ولا فيه شائبة شرك إن شاء الله تعالى، بل قد يكون من باب التحدث بالنعمة...

قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كل معروف صدقة، كنا نعدّ

الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر. وفي رواية: والفأس والميزان وما تتعاطون بينكم.

رواه أبو داود ١٦٥٧، والنسائي في الكبرى ٥٢٢/٦، وابن جرير ٣١٧/٣٠، وابن أبي حاتم ٣٤٦٩/١٠، والطبراني في الكبير ٩٠١٣، والأوسط ١٤٩٥، والبزار ٢٢٩٢ بالأستار، والبيهقي ١٨٣/٤ وسنده حسن وهو صحيح لطرقه وشواهده، بل قال النور في المجمع ١٤٣/٧: رجال الطبراني رجال الصحيح.

في هذه الآية كسابقتها وعيد شديد لمن اتَّصف بهذه الصفات الثلاث: السهو عن الصلاة، والمراعاة بالأعمال، ومنع الناس العارية التي يتعارف الناس على إعارتها، وذلك مثل الدلو والفأس والنار والملح والإبرة وأشباه ذلك من الأمور التَّوَّافِه.

ويؤخذ من نصوص الشرع أنَّ هذه الخصال الثلاث لا تجتمع إلا في منافق أو رقيق الدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات، وصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.



﴿ سُورَةُ الْكُوثَرِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلَى اللَّهُ لِيَدِي وَأَرْحَمَ عَلَيَّ يَدِيَ إِذْ مَحَدَّ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُؤُوفٌ

هي ثلاث آيات، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم.

من خصائص هذه السورة

امتازت بالآتي :

- ١ - ذكر الكوثر الذي أعطاه الله تعالى نبينا ﷺ في الجنة وامتثانه تعالى عليه بذلك، آية ١ .
- ٢ - أمره تعالى إياه ﷺ بإدامة الصلاة ونحر البدن شكرًا لله عزَّ وجلَّ، آية ٢ .
- ٣ - إخباره تعالى إياه ﷺ بأنَّ مبعضه هو الأبر الأقطع، وهو دفاع من الباري جلَّ علاه عن حبيبه عليه الصلاة والسلام، آية ٣ .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ۝١ ﴾... ﴿ الآيات .



عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في

المسجد إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه مُتَبَسِّمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت عليّ أنفًا سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾»، قال: «أتدرون ما الكوثر؟»، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهرٌ وعدنيه ربِّي عزَّ وجلَّ عليه خير كثيرٌ، هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آيته عدد النجوم فيُختلجُ العبدُ منهم، فأقول: رب إنه من أمّتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك».

رواه أحمد ٣/١٠٢، ١٦٤، ٢٣٦، ومسلم ٤/١١٢، وأبو داود ٧٨٤، كلاهما في الصلاة، والنسائي في التفسير ٦/٥٢٣.

وعنه قال: لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهرٍ حافّته قبابُ اللؤلؤِ مُجَوَّفٌ فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»، وفي رواية: «بيننا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافّته قباب اللؤلؤ المجوف، فقال الملك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك».

رواه أحمد ٣/١٦٤، ١٩١، ٢٠٧، ٢٣١، ٢٨٩، والبخاري ١٠/٣٦٢، والترمذي ٣١٤١، كلاهما في التفسير، ورواه البخاري أيضًا في الرقاق ١٤/٢٧٠، وأبو داود في السنّة ٤٧٤٨، والنسائي في الكبرى ٦/٥٢٣، وابن جرير ٣٠/٣٢٣، ٣٢٤.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها سُئِلت عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾، قالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطأه عليه دُرٌّ مُجَوَّفٌ آيته كعدد النجوم.

رواه البخاري في التفسير ١٠/٣٦٢ وهو من أفراده، ورواه النسائي في الكبرى ٦/٥٢٣ وفيه: «في بطنان الجنة، قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها».

وقد كان المشركون يلمزون النبي ﷺ بذلك عندما مات له ولده إبراهيم فدافع الله تعالى عنه وأخبره بأنَّ شأنه هو الأبر الأذل الأخرى الأقل، أما هو ﷺ فقد أعلى الله ذكره على الرغم من أنوفهم، وأعزّه وأظهر دينه، وأوجب شرعه على جميع العباد عبر الأجيال إلى يوم القيامة. . . وآمن به وأتبعه مليارات من البشر والجن، ولا يزال الناس يدخلون في دينه من سائر الأجناس في كل عصر من العصور. . . وكل ذلك يعتبر عزّاً له وتشريعاً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الآبدين.

* * *

﴿سُورَةُ الْكَافِرُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهَلَىٰ لِلَّهِ وَرَأْسِهِ
وَاللَّهُ وَهَّابٌ
وَزَوَّابٌ

هي ست آيات .

من خصائص هذه السورة

اختصت بالبراءة من الكفر والشرك وقطع أطماع الكافرين فيما طلبوه من النبي ﷺ والمسلمين في التسامح بينهم وتبادل العبادة بين الله وبين الأصنام، وصرحت بأن لكل دينه، فللكفار دينهم وهو عبادة الأوثان والأحجار والأشجار، ولنبي الله والمؤمنين دينهم، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والبراءة من غيره أيًا كان.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قراءتها في صلاة الطواف والفجر وبين العشاءين :

عن جابر رضي الله تعالى عنه في حديث حجة النبي ﷺ أنه عليه

الصلاة والسلام لما فرغ من الطواف ذهب إلى المقام وقرأ: ﴿وَأَنذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ثم صَلَّى ركعتين خلفه، قرأ في الأولى:
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثانية ب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

رواه أحمد ٣/٣٢٠، ومسلم ٨/١٧٥، ١٧٦ وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي
الفجر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

رواه مسلم ٥/٦، وأبو داود ١٢٥٦، والنسائي في الكبرى ٥٢٥/٦، وابن ماجه

١١٤٨.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا
وعشرين مرّةً يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب ب: ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

رواه الترمذي ٣٧٤، وابن ماجه ١١٤٩، وابن حبان ٦٠٩ بالموارد، وسنده

صحيح.

كان ﷺ يختار هاتين السورتين في هذه الصلوات لما امتازتا به من
التوحيد ونفي الشريك والبراءة من عبادة غير الله عزَّ وجلَّ . . .

قراءتها عند النوم:

عن فرّوة بن نوفل، عن أبيه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ
قال: «فمجيء ما جاء بك؟»، قلت: جئت يا رسول الله لَتَعَلَّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ
عِنْدَ مَنْامِي، قال: «إذا أخذت مضجعتك فاقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾»،
ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشُّرك.

رواه أبو داود في الأدب ٥٠٥٥، والترمذي في الدعوات ٣١٨٣، والنسائي في

الكبرى ٥٢٤/٦، وابن حبان ٢٣٦٣، ٢٣٦٤ بالموارد، والحاكم ٥٦٥/١، وصححه ووافقه الذهبي.

فيه أن قراءة هذه السورة عند النوم تبرىء صاحبها من الشرك، وحق لها ذلك، فينبغي لكل مؤمن تعاهدها عند منامه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

* * *

﴿سُورَةُ النَّصْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهَلْ إِلَى اللَّهِ وَاوْدَاقٌ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ
وَاللَّهُ وَرِثَةُ الْعَالَمِينَ

هي مدنية، وهي الثالثة من نيف وأربعين سورة مكية، وآياتها ثلاث كالكوثر، لكن هذه أطول من تلك.

من خصائص هذه السورة

تمتاز هذه السورة، بأنها تتحدث عن مجيء نصر الله للإسلام وأهله، وفتح مكة المكرمة، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وإعلام النبي ﷺ بدنو أجله.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عمر رضي الله تعالى عنه يسألني مع أصحاب النبي ﷺ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: أتسأله ولنا بنتون مثله؟ قال: فقال له عمر: إنه من حيث تعلم فسأله عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فقلت: إنما هو

أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ، وَقَرَأَ السُّورَةَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعَلَّمُ.

رواه البخاري في التفسير ٣٦٥/١٠، ٣٦٧، وفي مواضع، والترمذي ٣١٤٣، والنسائي ٥٢٥/٦، كلاهما في التفسير.

وعنه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ قال: نُعِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسُهُ حِينَ أُنزِلَتْ فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ... الحديث.

رواه النسائي ٥٢٥/٦، وابن جرير، والطبراني في الكبير ١١٩٠٣، ١١٩٠٤، وابن حبان ٢٢٩٩ بالموارد بسند صحيح، وانظر: مجمع الزوائد ٢٣/٩ و ١٤٤/٧.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يتأول القرآن.

رواه البخاري في الصلاة رقم ٧٩٤، ٨٠٧، وفي المغازي، وفي التفسير ٣٦٤/١٠، ومسلم في الصلاة ٤٨٤، وأبو داود ٨٧٧، والنسائي في المجتبى، وابن ماجه ٨٨٩.

وقولها: يتأول القرآن، أي: يفعل ما أمره به في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾...

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال لعبيد الله بن عتبة: يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قال: صدقت.

رواه مسلم آخر الكتاب ١٨/١٦٠، ١٦١، والنسائي في الكبرى ٥٢٥/٦.

هذه الآخريه نسييه وإلأ فقد قيل : إنَّ آخر ما نزل المائدة أو التوبه أو آيه ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة]، وراجع ما تقدّم في المائدة والتوبه .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات ، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين .

* * *

﴿ سُورَةُ الْمَسَدِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ عَلَى اللَّهِ وَكَلَّمَ وَيَا رَأَى عَلَى سَيْدِنَا مُحَمَّدٍ
وَأَلَّهُ وَهَجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَرْبَهُ

هي خمس آيات .

من خصائص هذه السورة

حديثها يدور بالخصوص حول الخائبيين الخاسرين العدوين أبي لهب وزوجه الغادرة أم جميل ، اللذين كانا شديدي العداوة لرسول الله ﷺ ، وقد سجل الله عز وجل عليهما الخيبة والهلاك والتباب في قرآن يُتلى مدى الدهر .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ . . . ﴿ الآيات .



عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذات يوم على الصَّفا، فنَادَى : « يَا صَبَاحَاهُ » ، فاجتمعت إليه قريشٌ . . . فقال أبو لهب : ألهذا جَمَعْتَنَا؟ تَبَّا لَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ .

رواه البخاري في التفسير ٣٦٨/١٠، ومسلم في الإيمان رقم ٢٠٨، والترمذي ٣١٤٤، والنسائي في الكبرى ٥٢٦/٦، وغيرهم، وقد تقدّم كاملاً في سورة الشعراء عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، أي: خسرت. والتباب: الهلاك والخسارة، وعبرّ تعالى باليدين عن الذات وهو شائع في الأساليب العربية. وقوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي: صاحبة إشعال وتلهّب. والجيد: العنق. والمسد: الليف.

وعن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجَازِ وهو يقول: «يا أيُّها الناس، قولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهَ تَفْلِحُوا»، ويَدْخُلُ في فِجَاجِهَا والناس مُتَقَصِّفُونَ عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: «أيُّها الناس، قولوا: لا إلهَ إلاَّ اللهَ تَفْلِحُوا»، إلاَّ أن وراءه رجلاً أحول وَضِيءَ الوجه ذا غَدِيرَتَيْنِ يقول: إِنَّهُ صَابِيءٌ كَاذِبٌ، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذِّبُه؟ قالوا: عمّه أبو لهب.

رواه أحمد وابن عبد الله في المسند ٤٩٢/٣، ٤٩٣، ٤٤١/٤، من طرق، والطبراني في الكبير ٦١/٥، وأورده الهيثمي ٢٢/٦ وقال: بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال. وله شاهد عن طارق بن عبد الله، وعن رجل من بني مالك بن كنانة، وعن منيب الأزدي وعن مدرك. أوردها كلها الهيثمي ٢١/٦، ٢٢، وفيها ما رجالها رجال الصحيح أو رجالها ثقات غير أن بعضها فيها بدل «أبي لهب»: «أبو جهل».

وفي هذا الحديث وما معه ما كان عليه النبي ﷺ من تحمُّل المشاق والشدائد في تبليغ رسالة ربّه مع غربته وهو صابر حامد لا يتصعّب ولا يتأخّر حتى أظهره الله عزّ وجلّ ونصره، وفيه ما كان عليه ذلك الخاسر الخائب أبو لهب من خذلان ابن أخيه الكريم ﷺ وخبثه وسقوطه وسفاهته، فبدل أن

ينصره ويتبع دينه أو على الأقل يعتزله ويبكت عنه، كان يؤذيه ويشتمه
ويسفهه ويحذر منه ويخذه، فأذله الله في نار جهنم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك
على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبد، وجزاه
عنا وعن الإسلام أفضل وأعظم وأجزل ما جزى رسولا عن أمته ونبيا عن
قومه.

* * *

﴿سُورَةُ الْإِخْلَاصِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَمَّ لِي اللَّهُ وَكَلَّمَ بَارِكًا عَلَيَّ سَيِّدًا مَحْمَدًا
وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَزُجَّاجٌ

هي أربع آيات .

من خصائص هذه السورة

من خصائصها أنها تتحدّث عن التوحيد، وصفات الألوهية نفيًا وإثباتًا، فأثبتت لله الوجدانية والصدمية، ونفت عنه الولادة والولد والكفو والمماثل، وفي ذلك ردّ على المشركين القائلين بالذرية له والبنين، وعلى النصارى القائلين بالتثليث، وبذلك كانت جامعة لتوحيد الله تعالى؛ لأنّ التوحيد مركّب من الإثبات والنفي: إثبات ذات لا تشبه الذوات غير معطلة عن الصفات، منزّهة عن الشبه والمماثلة للمحدثات. ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾... ﴿الآيات﴾.

تقدّم حديث أبي هريرة: «يقول الله تعالى: كذّبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك...» إلخ في سورة الروم، آية ٢٧.

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، أن المشركين قالوا
لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾
اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾...﴾.

والصمد: الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت،
وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث. ولم
يكن له كفواً أحد. قال: لم يكن له شبيهة ولا عدل ولا كمثلته شيء.

رواه الترمذي في التفسير ٣١٤٥، وابن جرير ٣٤٢/٣٠، وابن أبي حاتم
٣٤٧٤/١٠، والحاكم ٥٤٠/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وللحديث طرق يحسن
أو يصح بها.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ
فسمعت رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾...﴾، فقال رسول الله ﷺ:
«وجبت»، قلت: ما وجبت؟ قال: «الجنة».

رواه الترمذي في فضائل القرآن ٢٧٠٥، والنسائي في الكبرى ٥٢٦/٦، وكذا
أحمد ٣٠٢/٢، والحاكم ٥٦٦/١، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم
ووافقه الذهبي.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه، أنه دخل على رسول الله ﷺ المسجد
فإذا رجل يصلّي يدعو يقول: اللّهُمَّ إِنِّي أسألك بأنّي أشهد أن لا إله إلا أنت
الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: «والذي
نفسِي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعِيَ به
أجاب».

رواه أبو داود ١٤٩٣، ٣٤٤٥، وابن ماجه ٣٨٥٧، وغيرهما بسند صحيح.

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً
يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾...﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى

رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له وكان الرجل يتَقَالُهَا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدلُ ثلثَ القرآن».

رواه البخاري في فضائل القرآن ٤٣٥/١٠، وفي الأيمان والنذور، وفي التوحيد، ومسلم ٨١١، ٨١٢، وجاءت أحاديث كثيرة بهذا حتى عُدت في المتواتر. وانظر: تهذيب جامع الترمذي آخر التفسير، كما جاءت أحاديث في فضلها غير ما ذكرنا، وقد أوردت خلاصتها في بداية الوصول.

وفي هذه الأحاديث جملة من الفضائل والخصائص لهذه السورة ككونها فيها اسم الله الأعظم، وكون قراءتها توجب الجنة وكونها تعدل ثلث القرآن إلى غيرها من المزايا.

وبهذا تَمَّت سورة الإخلاص، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين.



﴿سُورَةُ الْفَلَقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَيَّا لِلَّهِ وَسَمَّ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَاللَّهُ وَهَجِبَهُ وَزَوْجَهُ وَعَزَبَهُ

هي خمس آيات .

من خصائص هذه السورة

من خصائصها ومقاصدها: طلب التحصن برب الفلق والصبح من الشرور العارضة من المخلوقات، ومن شر الليل إذا أظلم، ومن شر الساحرات النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد. وهي رقية من كل ذلك .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾



عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فإذا القمر حين يطلع، فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ هذا، فإنَّ هذا هو الغاسق إذا وَقَبَ» .

رواه أحمد ٦/٦١، ٢٠٦، ٦١٥، ٢٣٧، والترمذي في التفسير ٣١٤٦، والنسائي

في اليوم والليلة، والحاكم ٢/ ٥٤٠، ٥٤١، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم والذهبي وحسنه الحافظ وضعفه النووي واهمًا.

ظاهر الحديث أن الغاسق هو القمر إذا غاب، ويقال أيضًا لليل إذا أظلم . . . وقوله: وقب، أي: دخل بظلامه

وبهذا تمت سورة الفلق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وذريّته وزوجه وصحبه وحزبه
أبد الأبدين.



﴿سُورَةُ النَّاسِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَاللَّهُ وَهَّابٌ وَرُؤُوفٌ وَعَزِيزٌ

هي ست آيات .

من خصائص هذه السورة

من خصائصها أنها هي تتحدث عن الاحتماء بالله عزَّ وجلَّ والاستجارة به من الأعداء الألداء، ألا وهم شياطين الإنس والجن . وهي رقية من كل ذلك .

الأحاديث الصحيحة الواردة في تفسير هذه السورة

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلستُ، فقال: «يا أبا ذر، هل صليتِ؟»، قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال: فقمت فصليتُ ثم جلست، فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شرِّ شياطين الإنس والجنِّ»، قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم»، الحديث .

رواه أحمد ١٧٨/٥، وهو وإن كان فيه المسعودي، فإن له شاهدًا عن أبي هريرة

رواه الطبراني في الأوسط ٢٤٥، وعن أبي أمامة عند أحمد فيحسن لذلك، وانظر ما سبق في الأنعام آية ١١٢.

والاستعاذة من الشياطين وردت بها أحاديث كثيرة متواترة معروفة في كتب الأذكار والدعوات حفظنا الله عز وجل من شرهم.

وبهذا تمت سورة الناس، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وذريته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدین.

الأحاديث الصحيحة الواردة في المعوذات

عن عقبه بن عامر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «قد أنزل الله علي آيات لم ير مثلهن»: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

رواه أحمد ١٤٤/٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ومسلم في فضائل القرآن ٩٦/٦، والنسائي في الاستعاذة، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧١١، وآخر التفسير ٣١٤٧ بهذيبي.

وعنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين في دُبر كل صلاة.

رواه أحمد ١٥٥/٤ وفي مواضع، والترمذي في فضائل القرآن ٢٧١٢، والنسائي ٥٨/٣، وسنده صحيح عند أحمد.

وعنه قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ راحلته في غزوة إذ قال: «قل»، فاستمعت، ثم قال: «يا عقبه، قل»، فاستمعت، فقالها الثالثة، فقلت: «ما أقول؟ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقرأ السورة حتى ختمها. ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فقرأت معه حتى ختمها، ثم قال: «ما تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ».

رواه النسائي في المجتبى ٥٠١٨، وفي الكبرى ٤٤١/٤ بسند صحيح.

وعن عبد الله بن خبيب رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا ليلة مَطِيرَةً وظُلْمَةً شديدة نطلبُ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قال: فأذركته فقال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، قال: «قل»، فقلت: ما أقول؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذَيْنِ حِينَ تُمَسِّي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تكفيك من كلِّ شيءٍ».

رواه أبو داود في الأدب ٥٠٨٢، والنسائي في المجتبى ٣٨٢٨، وفي الكبرى ٤٤٢/٤، ٤٤٣ وسنده صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنَّ النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ جَمَعَ كَفَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم يمسحُ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ.

رواه البخاري في فضائل القرآن رقم ٥٠١٧، وفي الطب ٥٧٤٨، وفي الدعوات ٦٣١٩، ومسلم ٣٧/١٧، وأبو داود في الأدب ٥٠٥٦، والترمذي في الدعوات ٣١٨٢، وابن ماجه ٣٨٧٤.

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتدَّ وجعُه كنتُ أقرأ عليه وأمسحُ بيده رجاءَ بركتها.

رواه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٧، وفي الطب ٥٧٤٨، وفي الدعوات ٦٣١٩، ومسلم في كتاب السلام ٢١٩٢، وأبو داود ٣٩٠٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى، وغيرهم.

في هذه الأحاديث فضل هذه السور الثلاث وقراءتها مجموعة، وأنها أفضل ما تعوَّذَ بها المسلم، وأنها تسن قراءتها صباحاً ومساءً وخاصة عند

النوم، وأنَّ من قرأها كذلك كفته من كل شيء يسوءه، وأنها يرقى بها عند المرض.. فينبغي للمؤمن المحافظة على قراءتها حسب ما جاء في هذه الأحاديث.

وفَقَّنا الله عزَّ وجلَّ للعمل بما في الكتاب والسُّنَّة من أوامر وإرشادات آمين، وجنَّبنا الزلل والهفوات وحفظنا من كل ما فيه سخطه وغضبه آمين، وختم لنا بالسعادة عند الأجل وجمعنا وحشرنا مع نبيِّنا ﷺ في جملة النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وبه تمَّ الكتاب،
والحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصَّالحات،
وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وآله
وذريَّته وزوجه وصحبه وحزبه أبد الأبدين،
كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

* * *

وكان الفراغ منه

ضحوة يوم الثلاثاء، السادس عشر من محرَّم الحرام،
بداية عام اثنين وعشرين وأربعمائة وألف ١٤٢٢هـ،
بمنزلي بطنجة مرشان طريق القرية، دار القرآن والعلوم الدينية،
على يد أفقر الورى وأحوجهم إلى رحمة الله ومغفرته
أبي الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي،
عفا الله تعالى عنه وغفر له وسامحه، آمين.

الفهارس

- ١ - فهرس أطراف الأحاديث والآثار.
- ٢ - فهرس أسباب النزول.
- ٣ - فهرس الموضوعات.

١ - فهرس

أطراف الأحاديث والآثار

| الصفحة | طرف الحديث | الصفحة | طرف الحديث |
|----------|-----------------------------------|--------|-----------------------------------|
| ٩٧٧ | أتاني داعي الجن فذهبت . . . | ٣٨٩ | أخى رسول الله بين . . . |
| ٧١٠ | أتاني الليلة ربي في أحسن . . . | ١٣٩ | آخر شيء نزل من القرآن . . . |
| | أتت أم عمارة النبي ﷺ | ١٣٣ | آخر ما نزل . . . آية الربا . . . |
| ٦٦٢ | فقلت . . . | ٤٠ | آية المنافق ثلاث . . . |
| ٥٥٦ | أتدرون أي يوم ذلك . . . | ٣٦ | الآيتان من آخر البقرة . . . |
| ١٠٨٧ | أتدرون ما أخبرها . . . | ٤١٤ | أبالله وآياته . . . تستهزون . . . |
| ٨٠٩ | أتدرون ما الغيبة . . . | ٣٥ | أبا المنذر، أي آية . . . |
| ١٠٩٩ | أتدرون ما الكوثر . . . | ٦٩ | ابدأ بما بدأ الله به . . . |
| ٧٤٠ | أتدرون ما هذان الكتابان . . . | ١٠٠ | ابدأ بنفسك فتصدق . . . |
| ٦٩٥، ٥٩٥ | أتدرون مم أضحك . . . | ٤٢٤ | أبشر بخير يوم مر عليك . . . |
| ٢٢٨ | أتدري ما حق الله على العباد . . . | ٥٨٤ | أبصروها فإن جاءت به أكحل . . . |
| ١٠١١ | أتري بما أقول بأسًا . . . | ٩٧ | أبغض الرجال إلى الله . . . |
| ١١١ | أتريدين إليه حديقته . . . | ٤٨٧ | أتاني جبريل فأمرني أن أضع . . . |
| ١٠٤٢ | أتريد أن تكون فتانًا . . . | | أتاني جبريل (في رفع ذكره |
| ١٤٦ | أتريدون أن تقولوا كما . . . | ١٠٦٩ | ﷺ) . . . |

| | | | |
|----------|---------------------------------------|-------------|----------------------------------|
| ٤١٧ | أخّر عني يا عمر . . . | ١١٢ | أتريدين أن ترجعي إلى رفاة . . . |
| ٣٦١ | أخذ الله الميثاق من ظهر آدم . . . | ١١٠ | اتقوا الله في النساء . . . |
| ٧٥٦ | إخسأ فلن تعدو قدرك . . . | ٩٠٠ | اتقوا الظلم فإن الظلم . . . |
| ٢٣٥، ١٤٥ | أذّ الأمانة إلى . . . | ٤٧٥ | اتقوا فراسة المؤمن . . . |
| ٦٨٠ | ادع القوم فمن أسلم . . . | ٣٥٦ | أتقولون هذا أضل أم بعيره . . . |
| ٦١٩ | ادعوا الله الذي إذا . . . | ٤٩١ | أتي بالبراق ليلة أسري . . . |
| ٥٣٤ | إذا أحب الله عبداً نادى . . . | ٤٩٥ | أتي بلحم فرفع إليه الذراع . . . |
| ١١٠٣ | إذا أخذت مضجعتك فاقرأ . . . | ١٣٤ | أتيت ليلة أسري بي . . . |
| ٢٧٢ | إذا أرسلت كلبك المعلم . . . | ١٠٩٩ | أتيت على نهر حافته اللؤلؤ . . . |
| ٥٩٦ | إذا استأذن أحدكم ثلاثاً . . . | ٣٧٢، ٢١٠ | اجتنبوا السبع الموبقات . . . |
| ٨٣٨ | إذا تمنى أحدكم فلينظر . . . | ٥٩٥ | |
| ٢٧٧ | إذا جلس بين شعبها الأربع . . . | ١٦٩ | اجعلها في قرابتك . . . |
| ١٠٣٩ | إذا جمع الله الأولين . . . | | اجمعوا لي من كان من |
| ٥٢٤ | إذا جمع الله الناس ليوم القيامة . . . | ٥٧٧، ٥١ | يهود . . . |
| ٩٤٤ | إذا حرم الرجل امرأته . . . | ٨٧٣ | اجعلوها في ركوعكم . . . |
| ٧٧١ | إذا خلص المؤمنون من النار . . . | ٨٧٣ | اجعلوها في سجودكم . . . |
| | إذا دخل أهل الجنة . . . نادى | ٧٧٢ | أجيبوه، قولوا: الله مولانا . . . |
| ٤٣٠ | منادٍ . . . | ٢٥٨، ٥٨، ٤٤ | احتج آدم وموسى . . . |
| ٥٢٨ | إذا دخل أهل النار النار جحيء . . . | ٢٢٠ | أحسنت فإذا تعافت فاجلدها . . . |
| ٧٥٢، ٣٢٣ | إذا رأيت الله يعطي العبد . . . | | أحصر رسول الله فخلق |
| | إذا رأيت الذين يتبعون ما | ٨٧ | وجامع . . . |
| ١٥٣ | تشابه . . . | ٢٦٨ | أحلت لنا ميتتان ودمان . . . |
| ٣٩٩ | إذا رأيت الرجل يعتاد المسجد . . . | ١٨٦ | احموا ظهورنا فإن رأيتمونا . . . |
| ٢٢٠ | إذا زنت أمة أحدكم . . . | | أحياناً يا أيّني مثل |
| ٦٤٣ | إذا سمعتم صياح الديكة . . . | ٩٨٣، ٧٤٠ | صلصلة . . . |
| ٢٣٣ | إذا قام أحدكم من الليل . . . | ٥٣ | أخبرني بهن جبيل . . . |
| ٤٣ | إذا قرأ ابن آدم السجدة . . . | ٦٦٧ | أخبرني عن صفة رسول الله . . . |

| | | |
|-----------------------------------|----------|--------------------------------------|
| أسري بالنبي إلى بيت | ٦٨٢ | إذا قضى الله الأمر . . . |
| المقدس . . . | ٤٩٤ | ٩٢٢ إذا كان يوم الجمعة كان . . . |
| اسق يا زبير وأرسل الماء . . . | ٢٣٧ | ١٠٢٥ إذا كان يوم القيامة أدنيت . . . |
| اسقه عسلاً . . . صدق الله . . . | ٤٨٤ | ٨٨٨ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى . . . |
| اسم الله الأعظم في هاتين . . . | ١٥٣ | إذا لم تصطبحوا ولم |
| أسمع صلصل ثم أسكت . . . | ٩٨٤ | تغتبقوا . . . |
| استوصوا بالنساء خيراً . . . | ٢١٨ | ٨٤٢ إذا مات الإنسان انقطع . . . |
| أشبهت خلقي وخلقي . . . | ٧٩٦ | ٢٣٢ إذا نمس أحدكم وهو يصلي . . . |
| اشتكى رسول الله فلم يقم . . . | ١٠٦٤ | ٩٦٢ أذن لي أن أحدث عن ملك . . . |
| اشتكت النار إلى ربها . . . | ٩٩٩ | ٨٨٦ اذهب إلى صدقة بني زريق . . . |
| أشد ما صنع المشركون . . . | ٧٢٧ | ٤٦٢ اذهب فادعه (لبعض العتاة) . . . |
| أشد الناس عذاباً . . . | ٥٠ | ٦٦٨ اذهب فاطلب ولو خاتماً . . . |
| اشفعوا تؤجروا . . . | ٢٤١ | ١٨١ أرأيت الليل إذا جاء . . . |
| اشهدوا (عند انشقاق القمر) . . . | ٨٤٧ | ٦١٣ أرأيت لو أخبرتكم أن خيلاً . . . |
| أشيروا أيها الناس (في | | ٤٨٣ أربع قبل الظهر بعد الزوال . . . |
| الحديدية) . . . | ٧٨٦ | ٤٩٦ أربعة يوم القيامة يدلون . . . |
| أصبح من الناس شاكراً . . . | ٨٧٠ | ٧٦ أربعوا على أنفسكم . . . |
| أصدق كلمة قالها الشاعر . . . | ٦٢٦ | ٢٧٧ ارجع فأحسن وضوءك . . . |
| أصرف بصرك (عن نظر | | ٨٣٧ ارجع فإنك لم تصنع شيئاً . . . |
| الفتاة) . . . | ٥٩٨ | ٧٩٥ أرني مكانه حتى أمحوه . . . |
| اصنعوا كل شيء إلا النكاح . . . | ١٠١ | أرواحهم في جوف طير |
| أعتق النسمة وفك الرقبة . . . | ٤١٢ | خضر . . . |
| أعذر الله إلى امرئ آخر عمره . . . | ٦٩٠ | ٢٧٤ أريد أن أصلي فأتوضأ . . . |
| أعط ابنتي سعد الثلاثين . . . | ٢١٢ | ٧٠٥ أريد منهم كلمة تدين لهم . . . |
| أعطيت خمساً لم يعطهن . . . | ٦٨٣، ٣٥٩ | أسبغوا الوضوء، ويل |
| أعطيت خواتيم سورة البقرة . . . | ١٤٨ | للأعقاب . . . |
| أعطيت ما لم يعط أحد . . . | ١٧٦ | ٣٤٨ استعيذوا بالله من عذاب . . . |

| | |
|---------------------------------------|---|
| اعملوا فكل ميسر لما خلق له ... ١٠٦١ | الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل ... ٣٥٣ |
| أعوذ بكلمات الله التامة ... ٥٧٥ | اللَّهُمَّ اجعل صلواتك ورحمتك ... ٥٩٧ |
| أعوذ بوجهك ... هذا أهون ... ٣٢٥ | اللَّهُمَّ ارحم المحلقين ... ٧٩٦ |
| أعوذ بنور وجهك ... ٦٠١ | اللَّهُمَّ أعني عليهم بسبع ... ٦٣٤ |
| اغزوا في سبيل الله ... ٨٤ | اللَّهُمَّ اغفر ذنبه وطهر قلبه ... ٤٩٨ |
| أفتان أنت يا معاذ ... ١٠١٩ | اللَّهُمَّ أمّتي أمّتي ... ٤٦٧، ٣١٨ |
| أفتحبه لأملك ... أفتحبه لبنتك ... ٤٩٧ | اللَّهُمَّ إن تهلك هذه الفئحة ... ٣٧١ |
| أفرغت يا أبا الوليد ... ٧٣٢ | اللَّهُمَّ أنت السلام ... ٨٥٨ |
| أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر ... ٤٠٧ | اللَّهُمَّ أنجز لي ... ٣٨٥، ٣٧٠ |
| أفلا أكون عبدًا شكورًا ... ٧٨١ | اللَّهُمَّ إني أول من أحيا أمرك ... ٢٩٠ |
| أفي شك أنت يا ابن الخطاب ... ٧٥١ | اللَّهُمَّ إني أنشدك عهدك ... ٨٤٧ |
| أفيغلب قوم سئلوا عمالا يعلمون ... ٩٩١ | اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز ... ١٠٥٨ |
| أقبل وأدبر واتق الدبر ... ١٠٣ | اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو ... ١٠٨١ |
| أقبل اليهود إلى النبي ... ٥٣ | اللَّهُمَّ أيده بروح القدس ... ٦١٥ |
| اقرأ الآيتين من آخر البقرة ... ١٤٨ | اللَّهُمَّ أين ما وعدتني ... ٣٨٥ |
| اقرأ عليّ .. فإني أحب ... ٢٣١ | اللَّهُمَّ بارك لنا في ثمرنا ... ٥٩، ٥٨ |
| أقرأنا أبي ... ٥٤ | اللَّهُمَّ حاسبني حسابًا يسيرًا ... ١٠٣٠ |
| اقرأوا القرآن فإنه يأتي شافعًا ... ٣٤ | اللَّهُمَّ رب السموات السبع ... ٨٧٦ |
| أقرب ما يكون الرب من العبد ... ٨٢٣ | اللَّهُمَّ صلّ على آل أبي أوفى ... ٥٩٧، ٤٢١ |
| اكتب ... فالذي نفسي بيده ... ٨٣٣ | اللَّهُمَّ صلّ على محمد ... ٦٧٤ |
| أكرمهم عند الله أتقاهم ... ٤٥٤ | اللَّهُمَّ فقهه في الدين ... ١٥ |
| إلى معاذ: إلى مكة ... ٦٢٦ | اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور ... ٦٠٠ |
| ألست تنتجها وافية أعيانها ... ٣١٤ | اللَّهُمَّ منزل الكتاب ... ٦٥٦ |
| ألظوا بذى الجلال والإكرام ... ٨٥٨ | اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي ... ٦٦١ |
| الله. (قاله لغورث) ... ٢٨٠ | |

- اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي ... ١٦٠
- اللَّهُمَّ هذا قسمي فيما أملك ... ٢٥٥
- اللَّهُمَّ لا تخزني يوم القيامة ... ٩٤٨
- الذين إذا رؤوا ذكر الله ... ٤٣٠
- ألم تري أن قومك ... ٥٩
- أليس الذي أمشاه على الرجلين ... ٥٠٨
- أما إنك لو لم تفعلني كتبت ... ٩١٣
- أما إنكم تنظرون إلى ربكم ... ٨١٩
- أما إنه سيكون (يعني النعيم) ... ١٠٩١
- أما إنه ليس من أهل هذه الأديان ... ١٧٧
- أما إنهم سيغلبون (الروم) ... ٦٣٣
- أما إنهم لم يكونوا يعدونهم ... ٤٠٣
- أما إنني خيرت فاخترت ... ٤١٧
- أما تستحي المرأة أن تهب ... ٦٦٩
- أما علمت يا عمرو أن الإسلام ... ٣٧٨
- أما والله إنني لأتقاكم الله ... ٧٨٢
- أما والله إنني لأخشاكم الله ... ٣٠٢
- أمر أن يأخذ العفو ... ٣٦٤
- أمر بالجلوس مع ضعفاء المؤمنين بخلاف الكافرين المتكبرين ... ٥١٤
- أمر من كل جاد عشرة أوسق ... ٣٣٣
- أمر يوم بدر بأربعة وعشرين ... ٦٣٨
- أمرت أن أقاتل الناس حتى ... ١٠٤٧، ٣٩٧، ١٢٦، ٨٤
- أمرت بقرية تأكل القرى ... ٦٥٧
- أمرت أن أصرف بصري ... ٥٩٨
- أمرت أن أقرأ بالمعوذات ... ١١١٧
- امكثي في بيتك حتى يبلغ ... ١١٦
- إما أن تركب أو تنصرف ... ٥٩٧
- أما أهل النار الذين هم أهلها ... ٥٣٨، ٦٨٩، ١٠٤٢
- أما بعد فإن الدنيا قد آذنت ... ٨٤٦
- أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني ... ٥٨٨
- أما صاحبكم هذا فقد غامر ... ٣٥٨
- أمتي أمتي ...
- سنرضيك ... ٤٦٧، ٣١٨
- أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ... ٦٠٩، ٤٠
- أن تطعمها إذا طعمت ... ١١٠
- إن تغفر اللهم تغفر جمًا ... ٨٤٠
- إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا ... ١٨٦
- إن شاء محببة ... ١٠٣
- أن لا يمسه القرآن إلا طاهر ... ٨٧١
- أن ينظر في كتابه فيتجاوز ... ١٠٣٠
- أنا أول من يؤذن له في الخروج ... ٩٤٨
- أنا أول من يجثو بين يدي ... ٥٦٠
- أنا أولى الناس بعيسى ... ٧٤٢، ٢٨٣
- أنا بين الخيرتين: أستغفر لهم ... ٤١٧
- أنا دعوة أبي إبراهيم ... ٩١٦
- أنا سيد ولد آدم ... ٥٠٢، ٤٩٥
- أنا محمد وأنا أحمد ... ٩١٦

| | | | |
|----------|-------------------------------------|-----------|-----------------------------------|
| ٣٣٢ | الإِنابة إلى دار الخلود . . . | ٤٠٢ | أنا النبي لا كذب |
| ٢٨٣ | الأنبياء إخوة من علات . . . | ١٠٥١، ٢٢٩ | أنا وكافل اليتيم كهاتين . . . |
| ٦٩٣ | إن آثاركم تكتب . . . | ٣٧ | أنبئوني بأفضل أهل الإيمان . . . |
| ٥٨ | إن إبراهيم حرم مكة . . . | | أنبعث أشقاها: انبعث لها |
| ٨٠٦ | إن ابني هذا سيد وسيصلح . . . | ١٠٥٩ | رجل . . . |
| ٨١٧ | إن أحدكم ليتكلم بالكلمة . . . | ٧٩٦ | أنت أخونا ومولانا . . . |
| ٥٥٨ | إن أحدكم ليجمع خلقه . . . | ٨٨٥ | أنت بذاك (قاله للمظاهر) . . . |
| ٧٢٨ | إن أحدكم إذا مات عرض . . . | ٣٠٩ | أنت منهم (قاله لابن مسعود) . . . |
| ٦٤١ | إن الله إذا استودع شيئاً حفظه . . . | ٧٩٦ | أنت مني وأنا منك . . . |
| | إن الله إذا تجلى لشيء يخشع | ٤٨ | أنتم أعلم بديناكم . . . |
| ٣٥٤ | له . . . | | أنتم الذين قلتم . . لكني |
| ٣٦٠ | إن الله إذا خلق العبد للجنة . . . | ٣٠٢ | أصوم . . . |
| ٣٨٧ | إن الله أطعمنا الغنائم رحمة . . . | ٧٨٣ | أنتم اليوم خير أهل الأرض . . . |
| ١٠٨٤ | إن الله أمرني أن أقرأ عليك . . . | | انتهى إليها ما يعرج من |
| ٦٠٨ | إن الله بسط يده بالليل ليتوب . . . | ٨٣٤ | الأرض . . . |
| ١٤٧ | إن الله تجاوز عن أمتي . . . | ٩٨٤ | أنزل على رسول الله وفخذه . . . |
| ٨١٦ | إن الله تجاوز لأمتي عما . . . | ١٨٩ | أنشدك بالله أهكذا تجدون . . . |
| ٣٣٨ | إن الله جعل بالغرب باباً . . . | | أنشدك بالذي أنزل عليك |
| ١٠٩٤ | إن الله حبس عن مكة . . . | ٣٥٨ | التوراة . . . |
| ٨٦٦ | إن الله خلق آدم ثم أخذ . . . | ١٦٩ | أنشدكم بالذي أنزل التوراة . . . |
| ٣٦٠ | إن الله خلق آدم فمسح . . . | | انشق القمر على عهد رسول |
| ٥٧١، ٤١ | إن الله خلق آدم من قبضة . . . | ٨٤٧ | الله . . . |
| ٦٣٥ | إن الله خلق خلقه في | ٢٦٨ | انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . . . |
| | ظلمة . . . | ٩٠٧ | انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ . . . |
| ٦٠١، ٣٤٦ | ظلمة . . . | | انظر فإنك لست بخير من |
| ١٠٣٦ | إن الله خلق لوحاً محفوظاً . . . | ٨١١ | أحمر . . . |
| ٣٥٦ | إن الله خلق مائة رحمة . . . | ٤٠٢ | انهزموا ورب محمد . . . |

| | | | |
|----------|---|----------|---|
| ٥٢٤ | ... إن الله يقول: أنا أغنى الشركاء... | ٣٥٦ | ... إن الله خلق يوم خلق... |
| ٦٩٧ | ... إن الله يقول: يا عبادي كلكم مذنب... | ٤٠٤ | ... إن الله زوى لي الأرض فرأيت... |
| ٦٠٨، ٥٠٧ | ... إن الذي أمشاهم على أقدامهم... | ٥٤٦ | ... إن الله سيخلص رجلاً من أمتي... |
| ٣٨ | ... إن أمر محمد كان بيئاً لمن رآه... | ٥٧٢، ٧١ | ... إن الله طيب لا يقبل... |
| ٧١٤ | ... إن أهل الجنة يتراءون... | ١٠٨٤ | ... إن الله قال: إنا أنزلنا المال... |
| ١٧٤ | ... إن أهل الكتابين افترقوا... | ٧١٦ | ... إن الله قبض أرواحكم... |
| ٦٢٠ | ... إن أول الآيات خروجا... | ٨٦٦ | ... إن الله قبض قبضة يمينه فقال... |
| ٨٥٦ | ... إن أول زمرة تدخل الجنة... | ٧٣ | ... إن الله قد أعطى كل ذي حق... |
| ٩٥٤ | ... إن أول ما خلق الله القلم... | ١٧١ | ... إن الله قد فرض عليكم الحج... |
| ١٠٩٢ | ... إن أول ما يسأل عنه من النعيم... | ٨٧٨ | ... إن الله قدر المقادير قبل أن... |
| ١٤١ | ... إن أول من جحد آدم... | ٨٤٠ | ... إن الله كتب على ابن آدم... |
| ٤١٨ | ... إن بالمدينة أقواما... | ١٤٨ | ... إن الله كتب كتابا أنزل منه... |
| | ... إن الحميم ليصب على رؤوسهم... | ٤٠٦ | ... إن الله لم يفرض الزكاة إلا... |
| ٥٦١ | ... إن الدنيا حلوة خضرة... | ٢٩٦ | ... إن الله لم يهلك قوماً فيجعل... |
| ٤٢٨ | ... إن الدين عند الله الحنيفية... | ٣٢٢ | ... إن الله لما خلق الخلق كتب... |
| ١٠٨٤ | ... إن الدين يسر... | ٨٨٩ | ... إن الله ليرفع بهذا القرآن أقواما... |
| ٧٥ | ... إن الربا وإن كثر فإن... | ٨٢٨ | ... إن الله ليرفع ذرية المؤمن... |
| ١٣٦ | ... إن ربك ليعجب من عبده... | ٤٤٢ | ... إن الله ليملي للظالم فإذا... |
| ٧٤٩ | ... إن ربي عز وجل أمرني... | ٣٣٥ | ... إن الله ورسوله حرم الخمر... |
| ٦٣٦ | ... إن رجلاً أذنب ذنباً... | ٢٣٠، ٤٨٢ | ... إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة... |
| ٢١٣ | ... إن روح القدس نفث في روعي... | ٤٨٢ | ... إن الله لا ينام ولا ينبغي... |
| ٧٤٦ | ... إن الزمان قد استدار... | ٦١٨، ١٢٣ | ... إن الله يبسط يده بالليل... |
| ٤٠٨ | | ٣٣٩ | ... إن الله يرضى لكم ثلاثاً... |
| | | ١٧٣ | ... إن الله يقبل توبة العبد... |
| | | ٧٤٣، ٢١٥ | ... إن الله يقبل الصدقة ويأخذها... |

| | | | |
|--------------|---|----------|---|
| ٢٠٧ | ... إن المرأة خلقت من ضلع ... | ٩٣٨ | ... أن سبيعة الأسلمية نفست ... |
| ٤٦٦ | ... إن المسلم إذا سئل في القبر ... | ٩٥١ | ... إن سورة من القرآن ثلاثون آية ... |
| ٨٢ | ... إن مكة حرمها الله ... | ٧٣٦ | ... إن الشمس والقمر آيتان ... |
| ٤٦٥ | ... إن من الشجر شجرة ... | ١٠٨ | ... إن الشهر تسع وعشرون ... |
| ٦١٤ | ... إن الملائكة تحدث في العنان ... | ٨٦٣ | ... إن طير الجنة كأمثال البخت ... |
| ٦٩٧، ٦١٦ | ... إن من الشعر لحكمًا ... | ٨٢٢ | ... إن عبد الله رجل صالح لو ... |
| ٤١١ | ... إن من ضئضئ هذا قومًا ... | ١٠٢٦ | ... إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكتت ... |
| ٧٣ | ... إن من عباد الله من لو أقسم ... | ٣٤٨ | ... إن العبد إذا كان في انقطاع ... |
| ٤٣١ | ... إن من العباد عبادًا يغطهم ... | ٦٣٨ | ... إن العبد إذا وضع في قبره ... |
| | ... إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل ... | ١٠٥١ | ... إن العشر عشر الأضحى ... |
| ٥١٨ | ... إن موسى كان رجلًا حييًّا ... | ٧٠٧ | ... إن عفريتًا تفلت علي البارحة ... |
| ٦٧٧ | ... إن موضع سوط أحدكم ... | ٣٣٦ | ... إن في الأنعام آيات محكمة ... |
| ١٩٤ | ... إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ... | ٨٥٧ | ... إن في الجنة خيمة من لؤلؤة ... |
| ٦١٥ | ... إن الميت تحضره الملائكة ... | ٨٢٢ | ... إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها ... |
| ٧٠٩ | ... إن ناركم هذه جزء من سبعين ... | ٨٦٧ | ... إن في الجنة لشجرة يسير ... |
| ٨٦٩ | ... إن ناسًا من أمتي يعذبون ... | ٨٦٤ | ... إن في الجنة لمجتمعًا للحور ... |
| ٤٧٢ | ... إن الناس إذا رأوا الظالم ... | ٧٧٥، ٥٧٠ | ... إن في الجنة مائة درجة ... |
| ٣١٥ | ... إن الناس يصيرون ... جئى ... | ٥٤٧ | ... إن في المعارض لمندوحة ... |
| ٥٠٣ | ... إن الناس يقولون أكثر أبوهريرة ... | ٣٢٩ | ... إن قلوب بني آدم بين أصبعين ... |
| ٦٩ | ... إن النبي سجد في ص وقال ... | | ... إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ... |
| ٧٠٦ | ... إن هذا البلد حرمه الله ... | ٤٥٦ | ... إن لقمان كان يقول ... |
| ٨٢، ٦٢٦، ٦٢١ | ... إن سادك لعريض ... | ٦٤١ | ... إن لكل نبي حوريات ... |
| ٧٨ | ... إننا إذا نزلنا بساحة قوم ... | ١٥٩ | ... إن لكل نبي ولاية من النبيين ... |
| ٧٠٢ | | ١٦٤ | ... إن لله تسعة وتسعين اسمًا ... |
| | | ٣٦٣، ٩٠٣ | ... إن للشهيد عند الله ست خصال ... |

| | | | |
|---------|--|----------|---|
| ٢٨٦ | إِنهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً، الْقَاعِدُ . . . | ٣١١ | إِنَّا لَمْ نَرِدْهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ . . . |
| ٦٣٧ | إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ . . . | ٩٣١ | إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمَشْرُكٍ . . . |
| ٩٥٥ | إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ . . . | ٧٨ | إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا . . . |
| ٧١٦ | إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا . . . | ١٧٦ | إِنَّكُمْ تَتَمَوَّنُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً . . . |
| ٢٣٩ | إِنِّي أَمَرْتُ بِالْعَفْوِ فَلَا تَقَاتِلُوا . . . | ٢٥٠، ٨٠ | إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ . . . |
| ٨٦٣ | إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَّاوَلْتُ . . . | | إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدِّمًا عَلَى |
| ٩١٦، ٦٠ | إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ . . . | ٧٣٤ | أَفْوَاهِكُمْ . . . |
| ٥٥٣ | إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا . . . | ٥٤١ | إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ . . . |
| ٩٠٩ | إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ . . . | | إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا |
| ٦١٥ | أَهْجَهُمْ وَجَبْرِيلَ مَعَكَ . . . | ٥٠٧ | وَرِكْبَانًا . . . |
| ٤٩٢ | أَوْتَيْتُ بِالْبِرَاقِ وَهِيَ دَابَّةٌ . . . | ٢٧٤ | إِنَّمَا أَمَرْتُ بِالْوَضُوءِ إِذَا قُمْتَ . . . |
| ٣٦٣ | أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ . . . | ٥٥٣ | إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مَهْدَاةٌ . . . |
| ٨٦٤ | أَوَّلُ زَمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ . . . | ٥٦٣ | إِنَّمَا سَمِيَّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . . . |
| ١٠٧٥ | أَوَّلُ مَا بَدِئْتُ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ . . . | ٥٢١ | إِنَّمَا سَمِيَّ الْخَضِرِ لِأَنَّهُ . . . |
| ١٧١ | أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَضَعْتُ . . . | ٤٧٧ | إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ مَا بَعَثَنِي . . . |
| ٨٤٩ | أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . | ٣٢٦ | إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ . . . |
| ١٤٣ | أَوَّلِيْسَ قَدْ ابْتَعْتَهُ مِنْكَ . . . | ٢٨٠ | إِنَّمَا يَكْفِيكَ هَكَذَا . . . |
| ٢٩٨ | أَوَّلِيْسَ الْيَهُودُ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ . . . | ٤٢٠ | إِنَّهُ أَتَانِي آتِيَانِ اللَّيْلَةِ . . . |
| | أَوْ مُسْلِمٍ (لَمَنْ مَنَعَ مِنْهُ | ٦٩٣ | إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْكُمْ تَرِيدُونَ . . . |
| ٨١٢ | الْصَّدَقَةَ) . . . | ٣٥١ | إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ . . . |
| ٧٤٧ | أَلَا أَبْشُرُكَ بِمَا لَقِيَ أَبَاكَ . . . | ٦٧٥ | إِنَّهُ قَدْ أَدْنَىٰ لَكُنْ أَنْ تَخْرُجَنَّ . . . |
| ٥٢٨ | أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَوْنَ . . . | ٧٤٥ | إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلِكٌ يَرِدُ عِنْدَكَ . . . |
| ٤٠٦ | أَلَا أَخْبَرْتُكَ بِخَيْرٍ مَا يَكْتُمُ الْمَرْءُ . . . | | إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ . . . لَا |
| ٧٤٤ | أَلَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَفْضَلِ آيَةٍ . . . | ٥٢٤، ٥٢٣ | يَزْنَ . . . |
| ٢٥١ | أَلَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنَ الصِّيَامِ . . . | ٦٤٢ | إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ . . . |
| | أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو | ٩٤٧ | إِنَّهُ لِيَغَانِ عَلَىٰ قَلْبِي وَإِنِّي . . . |
| ٢٠١ | الْخَطَايَا . . . | ٢٤٢ | إِنَّهَا تَنْفِي الْخَبْثَ . . . |

| | | | |
|-----------|----------------------------------|------|-------------------------------------|
| ١٦٨ | بخ ذلك مال رايح . . . | ٩٥٧ | ألا أنبئكم بأهل الجنة . . . |
| | بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم من | ٣٧٨ | ألا إنّ آل أبي فلان ليسوا لي . . . |
| ١٦١ | محمد رسول الله . . . | ٧٢٨ | ألا إنّ أحدكم إذا مات . . . |
| ٣٩٥ | بُعِثَ ﷺ ببراءة . . . | ٧٠ | ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم . . . |
| ٣٥٩ | بعثت إلى كل أحمر وأسود . . . | ٣٨٢ | ألا إنّ القوة الرمي . . . |
| ٣٥٩ | بعثت إلى الناس كافة . . . | | ألا إنّما هي أربع : أن لا |
| ٨٤٥ | بعثت أنا والساعة كهاتين . . . | ٦٠٩ | تشركوا . . . |
| ٧٥ | بعثت بالحنيفية السمحة . . . | | ألا تجيبوه؟ قولوا الله مولانا . . . |
| ٤٩٩ | بل أستأني بهم (كفار قريش) . . . | ٧٣٤ | ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم . . . |
| ٩٤٤ | بل شربت عسلاً عند زينب . . . | | ألا تصفون كما تصف |
| ٤٤٣ | بل على شيء قد فرغ منه . . . | ٧٠١ | الملائكة . . . |
| | بل للناس عامة (للذي قبل | | ألا تصلون؟ (قاله للإمام علي |
| ٤٤٥ | المرأة) . . . | ٥١٧ | ومولاتنا فاطمة) . . . |
| ٤٤٤ | بل للناس كافة . . . | ٨٩٩ | ألا رجل يضيفه . . . |
| ٨٠١ | بل هو من أهل الجنة . . . | ٧ | ألا واني أوتيت القرآن ومثله . . . |
| ٧٢٧ | بيننا رسول الله يصلي بفناء . . . | ٤٢٣ | أي عم قل لا إله إلا الله . . . |
| ٩٨٩ | بينما أنا أمشي إذ سمعت . . . | ٣٥٠ | أيسركم أنكم أطعتم الله . . . |
| ١٠٦٩ | بينما أنا عند البيت . . . | ٦٥٨ | أين السائل عن من قضى نحبه . . . |
| ١٠٩٥ | بين الرجل وبين الشرك . . . | ١٠٦ | أين المتألي على الله . . . |
| ٧٢٣ | بين النفختين أربعون . . . | ٥٩٨ | إياكم والجلوس على الطرقات . . . |
| ٥٨٣ | البينة وإلّا حد في ظهره . . . | ٨٠٩ | إياكم والظن . . . |
| ٩١٠ | تبايعوني على أن لا تشركوا . . . | ١٣٨ | أي يوم أحرم . . . |
| ٥٦١ | تبلغ الحلية من المؤمن حيث . . . | ٩٨٦ | أيكم ماله أحب إليه من مال . . . |
| ١٦٦ | تجيء الأعمال يوم القيامة . . . | ١٠٢٧ | أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة . . . |
| ١٠١٢، ٥١٦ | تحشرون حفاة عراة . . . | ٤٣٢ | أيها الناس إنه لم يبق مبشرات . . . |
| ١٠٨١ | تحروها في السبع الأواخر . . . | | أيها الناس قد فرض عليكم |
| ٤٩٧ | تخرج الزكاة من مالك . . . | ١٧١ | الحج . . . |

| | | | |
|-----|----------------------------------|----------|---|
| ٩٩٠ | جاورت بحراء فلما قضيت . . . | ٥٧٧ | تشويه النار فتقلص شفته . . . |
| ٨٠ | جعل الله الأهله . . . | ٤١٣ | تصدقوا عليه . . . |
| ٤١٤ | جتتان من ذهب آنيتهما . . . | ٢٢٧ | تطعمها إذا طعمت . . . |
| ٨٥٧ | جتتان من فضة آنيتهما . . . | ٧٧٢ | تعس عبد الدينار والدرهم . . . |
| ٥٣٩ | حاج آدم موسى عليهما السلام . . . | ١٠٨١ | تقولين: اللّٰهُمَّ إنك عفو . . . |
| ١٥٦ | حبب إلي من دنياكم . . . | ٥٥٠ | تفتح يأجوج ومأجوج . . . |
| ٩٦ | الحج عرفات . . . | | تلا رسول الله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ |
| ٩٣ | الحج عرفة . . . | ٤٦٧ | كثيْرًا﴾ . . . |
| ٨٧ | حجي واشترطي . . . | ٢٨٦ | تلزم بيتك (قاله لأبي ذر) . . . |
| ٨١٢ | الحسب المال والكرم التقوى . . . | ١٠٢٩ | تلقي الأرض أفلاذ كبدها . . . |
| ٦٧٣ | حَسَّ، لو أطاع فيكُنَّ . . . | ١٢٧ | تلك الروضة الإسلام . . . |
| ٤٧٦ | الحمد لله، أم القرآن . . . | | تلك السكينة نزلت |
| | الحمد لله الذي أخرجه من | ٨٨٠، ٧٨٣ | للقرآن . . . |
| ١٥٧ | النار | ٢٥٥ | تلك صلاة المنافق . . . |
| | الحمد الذي جعل في أمتي من | ٨٣٧ | تلك العزى . . . |
| ٥١٤ | أمرني . . . | ١٤٤ | توفي ودرعه مرهونة . . . |
| ٦١٥ | خذوا الشيطان، (في شاعر) . . . | ٢٩٨ | ثكلتك أمك يا ابن لبيد . . . |
| | خذوا عني، فقد جعل الله | ٣٣٩ | ثلاث إذا خرجن لم ينفع . . . |
| ٢١٤ | لهن سبيلاً . . . | ١١٣ | ثلاث جدهن جد . . . |
| ٤١٣ | خذوا ما وجدتم، وليس لكم . . . | ٤٠٠ | ثلاث من كن فيه وجد بهن . . . |
| ٦٧٥ | خرج نساء الأنصار كأن . . . | ١٢٨ | ثلاثة لا يكلمهم الله . . . |
| ٥١٥ | خرج يلتمس فوجد قومًا . . . | ٦٢٤ | ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . . . |
| ٦٧٥ | خرجت سودة بعدما ضرب . . . | | جاء الأقرع بن حابس، وعيينة |
| ٧٦٢ | الخط (أثارة من العلم) . . . | | ابن حصن، فوجدوا |
| ٦٦٣ | خطب ﷺ زينب لزيد . . . | ٥١٤ | النبي ﷺ . . . |
| ٦٦٤ | خطب ﷺ على جلييب امرأة . . . | ١٦٠ | جاء العاقب والسيد . . . |
| ٤٩٨ | خفف على داود القرآن . . . | ١٣١ | الجاهر بالقرآن كالجاهر . . . |

| | | | |
|------|----------------------------------|----------|--------------------------------|
| ٦٨٧ | رأى جبريلَ وله ستمائة جناح . . . | ٦١٠ | خمس قد مضين: الدخان . . . |
| ٨٣٤ | راه بقلبه مرتين . . . | ٨٦٥ | خلق الله آدم: فضرب كتفه . . . |
| ٢٩٩ | رأيت جبريل ينزل من الأفق . . . | ٧٧٧ | خلق الله الخلق فلما فرغ . . . |
| ٣١٤ | رأيت عمرو بن لحي الخزاعي . . . | ٨٥٣ | خلقت الملائكة من نور . . . |
| ١٣٣ | رأيت الليلة رجلين أتيا . . . | ٧٥ | خير دينكم أيسره . . . |
| ١٣٥ | الربا ثلاث وسبعون بابًا . . . | ٢١٧ | خيركم خيركم لأهله . . . |
| ٢٠١ | رباط يوم وليلة خير . . . | ٥٦٣ | خير ما ركبت إليه الرواحل . . . |
| | رحم الله موسى لقد أوذى | ١٥٨ | خير نساها مريم . . . |
| ٩١٥ | بأكثر . . . | | خير النساء التي إذا نظرت |
| ١٧٢ | الزاد والراحلة . . . | ٢٢٧ | إليها . . . |
| ٢٢٩ | الساعي على الأرملة . . . | ٤٥ | خير يوم طلعت عليه الشمس . . . |
| ٦٤٩ | سأل موسى ربه . . . | ٣٨٢ | الخيل لثلاثة: لرجل أجر . . . |
| ٦٢٣ | سألت جبريل أي الأجلين . . . | ٦٥٦ | دعا على الأحزاب . . . |
| ٧٠٠ | سام أبو العرب . . . | ٧٥٦ | دعا على قريش بالسنين . . . |
| ٩٠ | سباب المسلم فسوق . . . | ١٠٨٥ | الدعاء هو العبادة . . . |
| ١١٠٦ | سبحانك اللهم وبحمدك . . . | ٦٥٩ | دخل أبو بكر يستأذن . . . |
| ١٠٨٢ | سبوح قدوس . . . | ٤٥٩ | الدقل والفراسي . . . |
| ٨٤٢ | سجد النبي في النجم . . . | ٥٤٨ | دعوة ذي النون إذ دعا . . . |
| ١٠٣١ | سجدت خلف أبي القاسم . . . | ٨٧٧ | دعوا لي أصحابي فوالذي . . . |
| ٧٠٦ | السجدة في ص ليست . . . | ٧٤٦ | دعوها فإنها منتنة . . . |
| ٧٠٦ | سجدها داود توبة . . . | ٢٢٧ | الدنيا متاع وخير متاعها . . . |
| ٧٤١ | سدودوا وقاربوا فإن صاحب . . . | ٧٢٨ | دونك فانتصري، (لعائشة) . . . |
| ٦٣٩ | السلام عليكم دار قوم . . . | ٥٤٩ | ذاك إبراهيم (خير البرية) . . . |
| ٥٩٧ | السلام عليكم ورحمة الله . . . | ٨٩٦، ٨٩٥ | ذروني ما تركتكم . . . |
| ٢٢٤ | سلوا الله من فضله . . . | ٥٤٩ | ذكر رسول الله الدجال . . . |
| ٨٢٩ | سمعت النبي يقرأ بالطور . . . | ٨٣٣ | رأى جبريلَ في حلة قد سد . . . |
| ٨٤١ | سموها زينب . . . | ٦٨٧ | رأى جبريلَ في صورته . . . |

| | | | |
|------|------------------------------------|----------|---------------------------------|
| ٥٤٠ | عذاب القبر (يعني ضنكاً) . . . | ٤٤٣ | سيكون بعدي أمراء |
| | عرض على رسول الله ﷺ ما هو | ٦٣٠ | سينهاه ما تقول (أي صلاته) . . . |
| ١٠٦٥ | مفتوح . . . | ٣٧٣ | شاهت الوجوه . . . |
| ٣١٣ | عرضت عليّ الجنة والنار . . . | ٤٠٢ | شاهت الوجوه . . . |
| | عشر، عشرون، ثلاثون (لمن | ١٧٥ | شر قتلى تحت أديم السماء . . . |
| ٢٤٢ | سلم) . . . | ٩٦٩ | شر ما في الرجل شح هالع . . . |
| | على جسر جهنم (عندما تبدل | ٢٢٣ | الشرك بالله وقتل النفس . . . |
| ٧٢٢ | الأرض) . . . | ١١٩ | شغلونا عن الصلاة الوسطى . . . |
| ١٤٥ | على اليد ما أخذت حتى . . . | ٤٨٤ | الشفاء في ثلاثة: في شرطة . . . |
| ٨٩٠ | علام تشتمني أنت وفلان . . . | ١٠١٥ | الشمس والقمر مكوران . . . |
| ٨٨٠ | عليك بالجهاد فإنه رهبانية . . . | ٨٦١ | شيبتي هود والواقعة . . . |
| ٢٧٩ | عليك بالصعيد فإنه يكفيك . . . | | صدق الله ورسوله إنما |
| ٤٨٤ | عليكم بالشفاءين: العسل . . . | ٩٣٢ | أموالكم . . . |
| | العهد الذي بيننا وبينهم | ٢٤٨ | صدقة تصدق الله بها عليكم . . . |
| ١٠٩٦ | الصلاة . . . | | الصدقة على المسكين |
| ٩٥٩ | العين حق ولو كان شيء سابق . . . | ١٠٥٦ | صدقة . . . |
| ٥٢٠ | الغلام الذي قتله الخضر . . . | | صدقت، (قاله للعباس في |
| ٦٨٨ | فأما الذين سبقوا بالخيرات . . . | ٣٦٩ | بدر) . . . |
| ٤٨٨ | فإن عادوا فعد . . . | ٢٧٩ | الصعيد وضوء المسلم . . . |
| ٦٦٤ | فإني قد رضيته (يعني جليبيبا) . . . | ٢٠٠ | صلوا عليه (يعني النجاشي) . . . |
| ٧٤١ | فرغ ربكم من العباد . . . | ٨٨ | صم ثلاثة أيام أو أطعم . . . |
| ٥٠١ | فضل صلاة الجميع . . . | | ضرب الله مثلاً صراطاً |
| ٧٠١ | فضلنا على الناس بثلاث . . . | ٤٢٩ | مستقيماً . . . |
| ٣٣٣ | فلم لا أخذتم مسكها . . . | ٤٩ | الطاعون وخز أعدائكم . . . |
| ٧٧٤ | في الجنة بحر اللبن . . . | ٢١٩ | طلق أيتهما شئت . . . |
| ٥٤٤ | في الدنيا (عن الغفلة) . . . | ٣٧ | طوبى لمن رآني وآمن بي . . . |
| ٢٥٢ | قاربوا وسددوا . . . | ٦٨٢، ٦٨١ | عجباً لأمر المؤمن . . . |

- قال الله : إذا هم عبدي بحسنة . . . ٣٤٠
قال الله : أعددت لعبادي . . . ٦٤٩
قال الله : ثم أورثنا الكتاب . . . ٦٨٨
قال الله : كذبني ابن آدم . . . ٥٧، ٥٦
قال الله : ومن أظلم ممن . . . ٥٦٦
قال الله : يا ابن آدم أنسى تعجزني . . . ٦٩٧
قال الله : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي . . . ٨٢٥
قال سليمان بن داود : لأطوفن . . . ٥١٣
قام موسى يوماً في قومه . . . ٤٦٤
قام نبي الله يصلي ، فخطر . . . ٦٥٤
قام النبي حتى أصبح بآية . . . ٣١٩
قد أفلح من أسلم . . . ١٠٦٦، ٤٨٢
قد أنزل الله القرآن فيك وفي . . . ٥٨٤
قد خبأت لك خبيئاً . . . ٧٥٦
قد كان قبلكم نبي يخط . . . ٧٦٢
قد كان لي منكم إخوة . . . ٢٥٢
قدر الله مقادير . . . ٤٣٨
قرن ينفخ فيه . . . ٦٢١، ٥٢٢
قصّ على هذا رؤياك . . . ٨٦٢
قصة الروم مع الفرس . . . ٦٣٤
قصة سعد بن أبي وقاص وأمه . . . ٦٢٩
قطع سوقها وأعناقها . . . ٧٠٧
قل : آمنت بالله ثم استقم . . . ٧٣٦
قل : اللّٰهُم فاطر السماوات . . . ٧١٧
قل : ربي الله ثم استقم . . . ٧٣٦
قل : قل هو الله أحد . . . ١١١٧
قل : لا إله إلا الله أشهد لك . . . ٦٢٥
القلوب أربعة : قلب أجرد . . . ٣٩
القنطار اثنا عشر ألفاً . . . ١٥٦
قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . . . ٧٢٤
قوموا إلى جنة عرضها . . . ١٨١
قوموا فانحروا ثم احلقوا . . . ٧٩١
قيل لبني إسرائيل ادخلوا . . . ٤٨
كافل اليتيم له أو لغيره . . . ١٠٥١
كان آخر كلام إبراهيم . . . ١٩٢
كان أحدهم يعبد الحجر . . . ٧٥٨
كان أحسن الناس خلقاً . . . ٩٥٥
كان إذا آوى إلى فراشه . . . ١١١٨
كان إذا أراد أن يخرج أقرع . . . ٥٨٥
كان إذا أراد أن يدعو . . . ١٨٠
كان إذا أراد أن ينصرف من صلواته . . . ٨٥٨
كان إذا استوى على بغيره خارجاً . . . ٧٥٠
كان إذا اشتكى يقرأ بالمعوذات . . . ١١١٨
كان إذا اغتسل من الجنابة . . . ٢٧٨
كان إذا حزبه أمر صلى . . . ٥٤٢
كان إذا ذهب ثلثا الليل قال . . . ١٠٠٧
كان إذا سلم لا يقعد إلا بقدر . . . ٨٥٨
كان إذا قام أمر بالوضوء . . . ٢٧٤

| | | | |
|----------|----------------------------------|-------------|--------------------------------|
| ٥٠١ | كان يصلي الظهر إذا زالت ... | ٧١٦، ٩٨، ٩٧ | كان إذا قام من الليل ... |
| ٥٥ | كان يصلي على راحلته ... | | كان إذا نزل بأهله الضيق |
| ٦٤ | كان يصلي نحو بيت المقدس ... | ٥٤٢ | أمرهم ... |
| ٧١٩ | كان يصوم حتى نقول لا يفطر ... | ٩٥ | كان أكثر دعوة يدعو بها ... |
| | كان يعالج من التنزيل | ٤٣٧ | كان الله ولم يكن شيء معه ... |
| ٩٩٣، ٥٣٩ | شدة ... | ٦٣ | كان الذي مات على القبلة ... |
| ٧٩ | كان يعتكف العشر ... | | كان أول من قدم المدينة |
| ٥٧٥ | كان يعلمنا كلمات عند النوم ... | ١٠٤١ | مصعب ... |
| ٨٤٥ | كان يقرأ في الأضحى والفطر ... | ٢٩١ | كان بنو النضير إذا اقتتلوا ... |
| ١٠٤٥ | كان يقرأ في الجمعة ... | ٢٣٠ | كانت عامة وصية رسول الله ... |
| | كان يقرأ في الصبح يوم | ٩٥٥، ٥٦٩ | كان خلقه القرآن ... |
| ٩٩٨ | الجمعة ... | ٧٢ | كان القصاص في بني إسرائيل ... |
| ٩٢٥ | كان يقرأ في صلاة الجمعة ... | ٩٢٤ | كان للنبي خطبتان يجلس ... |
| ١٠٢٩ | كان يقرأ في الظهر والعصر ... | | كان ملك (قصة الغلام |
| ١٠٣٣ | كان يقرأ في العشاء الآخرة ... | ١٠٣٣ | والملك) ... |
| ١٠٤١ | كان يقرأ في العيدين ... | ٧٧ | كان الناس في رمضان إذا ... |
| ٦٤٧ | كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة ... | ٩٢٢ | كان النداء يوم الجمعة ... |
| | كان يقرئنا القرآن ما لم يكن | | كان لا ينام حتى يقرأ: ألم |
| ٨٧٢ | جنبًا ... | ٦٤٨ | تنزيل ... |
| ٩٨٢ | كان يقطع قراءته ... | ٧٠٣ | كان يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا ... |
| | كان يقول: اللهم إني أعوذ | ٤٤١ | كان يأوي إلى ركن شديد ... |
| ١٠٥٨ | بك ... | ٦٩٦ | كان يتمثل بشعر ابن رواحة ... |
| ٧٢٧ | كان يقول دبر كل صلاة ... | ٢٧٤ | كان يتوضأ لكل صلاة ... |
| ١٠٨٢ | كان يقول في ركوعه وسجوده ... | ٦٤ | كان يحب أن يوجه ... |
| ٤٢٠ | كان يقول لأصحابه: هل رأى ... | ٢٩٩ | كان يحرس حتى نزل ... |
| | كان يقول: لا إله إلا الله | ٤٨٥ | كان يدعو: اللهم أعوذ ... |
| ٦٥٥ | وحده ... | ٨٧٦ | كان يدعو عند النوم ... |

| | | | |
|------|--|------|------------------------------------|
| ٩٤٨ | كامل من الرجال كثير . . . | ١١٠٦ | كان يكثر أن يقول في ركوعه . . . |
| | كنت نهيتكم عن لحوم | ٣٢٩ | كان يكثر أن يقول: يا مقلب . . . |
| ٥٦٣ | الأضاحي . . . | ٧٤ | كان يوم عاشوراء . . . |
| ٥٥ | كنا مع النبي في سفر . . . | ٨٩٣ | كانت أموال بني النضير مما . . . |
| ١٢١ | كنا نتحدث أن أصحاب بدر . . . | ٤٧٣ | كانت امرأة تصلي خلف . . . |
| ١١٩ | كنا نتكلم في الصلاة . . . | ٥٤٧ | كانت امرأتان معهما ابناهما . . . |
| ٧٨٣ | كنا يوم الحديدية ألفاً وأربعمائة . . . | ٢٣٠ | كانت عامة وصية رسول الله . . . |
| ١١٠٠ | الكوثر نهر في الجنة . . . | ٩٨٢ | كانت قراءته مذكراً . . . |
| ٢٨٦ | كيف أنت إذا أصاب الناس . . . | ٦٣٠ | كانوا يخدفون أهل الأرض . . . |
| ٧٢٤ | كيف أنعم وقد التقتم صاحب . . . | ٤٥٤ | الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . . |
| ١٩٢ | كيف أنعم وصاحب الصور . . . | ٢٤١ | كفى بالمرء كذباً أن يحدث . . . |
| ٤٨٨ | كيف تجد قلبك؟ . . . | ٤٨٩ | كفوا عن القوم إلا أربعة . . . |
| ٧١٣ | كيف تجدك (لرجل مريض) . . . | ١٧٥ | كلاب النار شر قتلى . . . |
| ١٧٠ | كيف تفعلون بمن زنى منكم . . . | ١٠٤٨ | كلّ أمّتي يدخلون الجنة إلا . . . |
| | كيف يفلح قوم فعلوا هذا | ٧٩٦ | كلّ أهل الجنة يقول: لولا . . . |
| ١٨٠ | بنيهم . . . | ٢٣٤ | كلّ ذنب عسى الله أن يغفره . . . |
| ٧٣٥ | كيف يقدر الله قومًا . . . | ٣٠٦ | كلّ شراب أسكر فهو حرام . . . |
| ٤٢٣ | لأستغفرن لك الله ما لم أنه . . . | ٩٣ | كلّ عرفات موقف . . . |
| ٣٧٤ | لأعلمنك أعظم سورة . . . | ١٢٨ | كلّ عمل ابن آدم يضاعف . . . |
| ١٠٤٦ | لئن صدق ليدخلن الجنة . . . | ٣٠٦ | كلّ مسكر حرام . . . |
| ١٠٥٥ | لئن كنت أقصرت الخطبة لقد . . . | ٣٠٥ | كلّ مسكر خمر . . . |
| | لأن يمتلىء جوف أحدكم | ٢٥١ | كلّ معروف صدقة . . . |
| ٦٩٦ | قبحًا . . . | ٩٩٨ | كلّ مولود يولد على الفطرة . . . |
| ٣٠٦ | لعن الله الخمر وشاربها . . . | ٨٧٢ | كلمتان خفيفتان على اللسان . . . |
| ١١٣ | لعن الله المحلل والمحلل له . . . | ٥٧١ | كلوا الزيت وادهنوا . . . |
| ٣٣٥ | لعن الله اليهود حرمت . . . | ٣٤٧ | كلوا واشربوا وصدقوا . . . |
| ١٣٤ | لعن رسول الله آكل الربا . . . | ٤٨ | الكمة من المن وهي شفاء . . . |

| | | | |
|------|--|----------|---|
| ٤٣٣ | لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ . . . | ٧٩ | لَعَنَ رَسُولُ اللهِ الرَّاشِيَّ . . . |
| | لَمَّا أَهْدَيْتَ زَيْنَبَ إِلَى رَسُولِ | ٨٩٥ | لَعَنَ رَسُولُ اللهِ الْوَاشِمَاتِ . . . |
| ٦٧٢ | الله . . . | | لَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ آتِفًا |
| ٣٦٠ | لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسْحَ ظَهْرِهِ . . . | ١٠٩٩ | (الكوثر) . . . |
| ١٠٠٨ | لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَعَلْتَ . . . | ٧٨٠، ٧٧٩ | لَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ سُورَةَ . . . |
| ٥٦٩ | لَمَّا خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ . . . | ٣٥٥ | لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسْعًا . . . |
| ٥٣٠ | لَمَّا عَرَجَ بِي رَأَيْتَ . . . | | لَقَدْ سَأَلْتَ عَن عَظِيمٍ وَإِنَّهُ |
| ٦٨٧ | لَمَّا فَتَرَ عَنهُ الْوَحْيَ كَانَ يَجَاوِرُ . . . | ٦٤٨ | لَيْسِيرٍ . . . |
| | لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللهِ الْمَدِينَةَ | ٨٥٢ | لَقَدْ قَرَأْتَهَا عَلَى الْجِنِّ فَكَانُوا . . . |
| ٦٤ | صَلَّيْتُ . . . | ٨١٠ | لَقَدْ قَلَّتْ كَلِمَةٌ لَوْ مَزَجْتَ بِمَاءٍ . . . |
| ٤٩٢ | لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي . . . | ١٩٨ | لَقَدْ نَزَلَتْ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا . . . |
| | لَمَّا وَقَعْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي | ٥٢٩ | لَقِيَ آدَمَ مُوسَى فَقَالَ . . . |
| ٣٠٠ | الْمَعَاصِي . . . | ٣٥٥ | لَقِيَ مُوسَى آدَمَ فَقَالَ . . . |
| ٧١٣ | لَنْ يَجْتَمِعَا فِي قَلْبِ رَجُلٍ . . . | ١٢٨ | لَكَ بِهَا سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ . . . |
| ١٠٧٠ | لَنْ يَغْلِبَ عَسْرَ يَسْرِينَ . . . | ١٠٣٩ | لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . |
| ٢٢٦ | لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ لَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ . . . | ٨٨٠ | لِكُلِّ نَبِيٍّ رَهْبَانِيَّةٍ وَرَهْبَانِيَّةٍ . . . |
| ٧٧٥ | لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . | ٣٧٩ | لِلَّهِ خَمْسُهَا، وَأَرْبَعَةٌ . . . |
| ٥٧ | لَوْ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ . . . | | لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى |
| ٥٠ | لَوْ أَخَذُوا أَدْنَى بَقْرَةٍ لَأَكْتَفَوْا . . . | ٨٢٣ | فَرَسٍ . . . |
| ٥٦٢ | لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ فِيهِ بِالْحَادِ . . . | ٧٢٢ | لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ . . . |
| | لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ | ٣٨٦ | لِمَ تَحُلُّ الْغَنَائِمَ لِأَحَدٍ . . . |
| ٩٦٥ | أُرْسِلَتْ . . . | ٤٦٤ | لِمَ يَبْعَثُ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا بِلِسَانٍ . . . |
| ١٠٥٣ | لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ . . . | ١٥٩ | لِمَ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عِيسَى . . . |
| ١٧٣ | لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ . . . | | لِمَ يَكْذِبُ إِبْرَاهِيمُ فِي |
| ٥٢ | لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ . . . | ٧٠١، ٥٤٦ | شَيْءٍ . . . |
| ١٠٨٧ | لَوْ أَنْكُمْ لَا تَخْطِئُونَ لِخَلْقِ اللهِ . . . | ٨٥ | لِمَ يَكُنْ يَغْزَوُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . . . |
| ٨٢٦ | لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ . . . | ١٤٧ | لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ أَنْتَهَى . . . |

- ١٠٨٨ ... ما أنزل الله فيها (زكاة الحمر) ...
 ٢٦٩ ... ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه ...
 ٩٢٨ ... ما بال دعوى الجاهلية ...
 ما بعث الله من نبي ... إلا
 ١٧٨ ... كانت له بطانتان ...
 ٧٠٨ ... ما بين القوم وبين أن ينظروا ...
 ٧٥٩ ... ما تحت ظل السماء ...
 ١٥٦ ... ما تركت بعدي فتنة أضر ...
 ١١١٧ ... ما تعوذ بمثلهن أحد ...
 ١٠٩٤ ... ما خلأت القصواء ...
 ما خلق الله وما ذرأ ... أكرم عليه
 ٤٧٤ ... من محمد ...
 ٤٠٩ ... ما الدنيا في الآخرة إلا كما ...
 ٢٣٠ ... ما زال جبريل يوصيني بالجار ...
 ٧٥٣، ٩٧ ... ما ضل قوم بعد هدى ...
 ٤١٠ ... ما ظنك باثنين الله ثالثهما ...
 ١٢٢ ... ما فعل أسيرك يا أبا هريرة ...
 ٩٧٦ ... ما قرأ على الجن ولا رآهم ...
 ما كان فارس يوم بدر غير
 ٣٧١ ... المقداد ...
 ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ ... ٨٨
 ما كنتم تقولون إذا كان
 ٦٨٣، ٤٧٢ ... مثل هذا ...
 ٦٥٤ ... ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا ...
 ٩٦٩ ... مالي أراكم عزين: ألا تصفون ...
 ١٠٦٥ ... مالي وللدنيا: إنما مثلي ...
 ما مات حتى أحل الله له النساء ... ٦٧١
- ١٠٧٠ ... لو جاء العسر فدخل هذا الحج ...
 ١٦١ ... لو خرج الذين يباهلون ...
 ٢٣٧ ... لو دخلتموها ما خرجتم منها ...
 ١٠٧٩ ... لو دنا مني لاختطفته الملائكة ...
 ٩٧٢ ... لو رحم الله أحدًا من قوم نوح ...
 ١٠٧٨ ... لو فعل لأخذته الزبانية ...
 ١٦١ ... لو فعل لأخذته الملائكة ...
 ٩٢٠ ... لو كان الإيمان بالثريا ...
 ٦٦٥ ... لو كان كاتمًا شيئًا ...
 ١٠٩٠ ... لو كان لابن آدم واد من ذهب ...
 ٥٨٤ ... لولا ما مضى من كتاب الله لكان ...
 ٣٥٧ ... لو يعلم المؤمن ما عند الله ...
 ١٣٢ ... ليس المسكين الذي ترده ...
 ٦٨٠ ... ليس بأرض ولا امرأة (سبأ) ...
 ١٠٦٦ ... ليس الغنى عن كثرة العرض ...
 ٣٢٦ ... ليس هو كما تظنون ...
 ٦٦٨ ... ليس لي في النساء حاجة ...
 ٨١١ ... ليتتهين أقوام يفتخرون بأبائهم ...
 ٢٥٧ ... لي الواجد يُحل عرضه ...
 ما أحل الله في كتابه فهو حلال ... ٥٣١
 ما أسكر كثيره فقليله حرام ... ٣٠٦
 ما أصاب أحدًا قط هم ... ٣٦٤
 ما أصابكم من مرض أو عقوبة ... ٧٤٤
 ما أصر من استغفر وإن عاد ... ١٨٤
 ما أنا حملتكم بل الله حملكم ... ٤١٩
 ما أنزل الله في التوراة
 والإنجيل ... ٤٧٦

| | | | |
|----------|--|----------|---------------------------------------|
| ١١٢ | المختلعات هن المنافقات . . . | ٦٣٩ | ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم . . . |
| ٤٧ | مررت ليلة أسري بي . . . | ١٠٥٠ | ما من أيام العمل فيهن أحب . . . |
| ٧٠٥ | مرض أبو طالب فجاءته قریش . . . | ٢٩٣ | ما من رجل يخرج فيصدق . . . |
| ٢٥٦ | المستبان ما قالا فعلى البادي . . . | ١٨٣ | ما من رجل يذنب ذنبًا . . . |
| ١٨٨ | المستشار مؤتمن . . . | ٤٠٧ | ما من صاحب ذهب ولا فضة . . . |
| ٨٠٨ | المسلم أخو المسلم لا يظلمه . . . | ٩٦٨ | ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته . . . |
| ٧٤١ | معك من سور القرآن شيء . . . | ٦٧ | ما من عبد تصيبه مصيبة . . . |
| ٢٦ | المغضوب عليهم اليهود . . . | ٧٤٥ | ما من عبد ظلم مظلمة فيغضي . . . |
| ٤٦٠، ٣٢٤ | مفاتيح الغيب خمس . . . | ٢٥٠ | ما من مسلم يذنب ذنبًا . . . |
| ٦٤٣ | | ٢٩٣ | ما من مسلم يصاب بشيء . . . |
| ١٠٤ | مقبلات ومدبرات . . . | ١٥٧ | ما من مولود إلا والشيطان . . . |
| | المقسطون عند الله يوم القيامة . . . | | ما من مولود إلا يولد على الفطرة . . . |
| ٨٠٧ | | ٦٣٦ | ما من مؤمن إلا وأنا أولى به . . . |
| ٤٦١ | ملك موكل بالسحاب . . . | ٦٥٥ | ما من نبي يمرض إلا خير . . . |
| ١٩٣ | من آتاه الله مالاً فلم يؤد . . . | ٢٣٨ | ما من يوم يصبح فيه . . . |
| ١٤ | من أتى ساحراً أو عرافاً . . . | ٦٨٤، ٦٨٣ | ما منكم من أحد إلا وقد . . . |
| ١٩٤ | من أحب أن يزحزح عن النار . . . | ٧٠٦ | ما هذا يا عائشة . . . فرس . . . |
| ١٠٤٣ | من أحب ديناه أضر بأخرته . . . | ٤٣٣ | ما هذا اليوم . . . نحن أحق . . . |
| ٩٣٩ | من أخذ شبراً من الأرض بغير . . . | ٥٣٠ | ما يمنعك أن تزورنا أكثر . . . |
| ٧٤٤ | من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب . . . | ١٠١١ | الماهر بالقرآن مع الكرام . . . |
| ١٩٠ | من استعملناه منكم على عمل . . . | ٢٥٦ | مثل المنافق كمثل الشاة . . . |
| ٦٦٣ | من استيقظ من الليل . . . | ٤٨٣ | مثل المؤمن مثل النحلة . . . |
| ١٤١ | من أسلف فليسلف في كيل . . . | | مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل . . . |
| ٢٤٠ | من أطاعني فقد أطاع الله . . . | | |
| | من أكثر من الاستغفار جعل الله له . . . | | |
| ٩٣٦ | | | |
| ١٣٩ | من أنظر معسراً أو وضع . . . | ٦٦٧ | |

- ٩٣ من شهد صلاتنا هذه . . .
 ١٠٨١ من صام رمضان إيماناً . . .
 ٥٤٢ من صلّى البرّدين دخل الجنة . . .
 ٢٥ من صلّى صلاة لم يقرأ فيها . . .
 ٨١٩ من صلّى قبل طلوع الشمس . . .
 ٩٣٨ من ظلم قيد شبر من الأرض . . .
 ٦٣٤ من علم فليقل . . .
 ٥٠٣ من قال حين يسمع النداء . . .
 من قال حين يصبح ثلاث
 مرات . . . ٩٠٤
 ٨٧٣ من قال سبحان الله وبحمده . . .
 ٣٠٩ من قال لصاحبه تعالى أقامرك . . .
 ٣٥ من قرأ آية الكرسي دبر كل . . .
 ٩٩٦ من قرأ: أليس الله بأحكم . . .
 ١٨٢ من قرأ سورة الكهف . . .
 ٨٦٢ من قرأ سورة الواقعة . . .
 ٦٩١ من قرأ يس في ليلة أصبح . . .
 ٨٢٥ من كانت الآخرة همه جعل الله . . .
 ١٨٢ من كظم غيظاً وهو يقدر . . .
 ٣٤٥ من لبس ثوباً جديداً . . .
 ٥٦٢ من لبسه في الدنيا لم يلبسه . . .
 ٦٣١ من لم تأمره صلّاته بالمعروف . . .
 من لم تنهه صلّاته عن
 الفحشاء . . . ٦٣١
 ٧٢٩ من لم يسأل الله يغضب عليه . . .
 ٧٠ من مات وهو يدعو لله ندّاً . . .
 ١٦٣ من محمد رسول الله إلى هرقل . . .
- ١٣٩ من أنظر معسراً فله بكل . . .
 ٣٣٩ من تاب قبل أن تطلع الشمس . . .
 ٨٤٠ من ترك الصلاة متعمداً . . .
 ١٣٦ من تصدق بعدل تمرة . . .
 ٨٢٩ من تعار من الليل فقال . . .
 ٩٢١ من تكلم يوم الجمعة والإمام . . .
 من جلس مجلساً فكثر فيه
 لغطه . . . ٨٣٠
 ٩٠ من حج هذا البيت فلم يرفث . . .
 ٥١٢ من حفظ ثلاث آيات
 من حفظ عشر آيات
 من حلف على يمين صبر . . . ١٦٤
 من حلف فقال: باللات
 والعزى . . . ٨٣٦
 ٤٧٨ من خير معاش الناس رجل . . .
 ٥٦٦ من دعا بدعاء الجاهلية . . .
 ١٧٤ من رأى منكم منكراً فليغيره . . .
 ٣٠٢ من رغب عن سنّتي فليس مني . . .
 ٧٠ من سئل عن علم فكتمه . . .
 ٦٨٧ من سره أن يبسط له في رزقه . . .
 ٣٣٦ من سره أن ينظر إلى الصحيفة . . .
 من سره أن ينظر إلى يوم
 القيامة . . . ١٠٢٨، ١٠١٥
 ١٠٩٦ من سمع سمع الله به . . .
 ٩٠١ من سنّ سنّة حسنة فله أجرها . . .
 ٨٥٣ من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج . . .
 ٢٦٠ من شهد أن لا إله إلا الله . . .

| | | | |
|------|------------------------------------|----------|-----------------------------------|
| ٨٩٥ | نهى عن الدباء والحتتم . . . | ٩٩٩ | من نذر أن يطيع الله فليطعه . . . |
| | نهى عن الشرب في آية | | من نزلت به فاقه فأنزلها |
| ٧٥١ | الذهب . . . | ٨٢٦ | بالناس . . . |
| ٣٠٣ | نهانا عن الخصاء . . . | ٥٣٧ | من نسي صلاة أو نام عنها . . . |
| ٦٧١ | نُهِيَ عن أصناف النساء . . . | | من وجدتموه يعمل عمل قوم |
| ٣٤٩ | نودوا أن صحوا فلا تسقموا . . . | ٣٥٢ | لوط |
| ٦٢٤ | نودي أن يا أمة محمد أعطيكم . . . | ٣٣٦ | من يبايعني على هؤلاء الآيات . . . |
| ٣٣٢ | نور يقذف به في القلب . . . | ٢٨٠ | من يمنحك مني (قاله لغورث) . . . |
| ٨٦٦ | هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه . . . | ٣٨٨ | المهاجرون والأنصار بعضهم . . . |
| ١٢٣ | هاتين الآيتين فيهما اسم الله . . . | ٧٧٣ | المؤمن يأكل في مَعَى واحد . . . |
| ٣٣٨ | هَذَا سبيل الله . . . | ٢٩١ | المؤمنون تتكافأ دماءهم . . . |
| ٢٦٧ | هَذَا كتاب من الله ورسوله . . . | ٤٦٩ | الناس يومئذ على الصراط . . . |
| ٣٦٧ | هَذَا ليس لي ولا لك . . . | ٨٧ | نحر قبل أن يخلق . . . |
| ٦٦٤ | هذا مني وأنا منه (جليب) . . . | ٩٧ | نحن الآخرون الأولون . . . |
| | هذا والذي نفسي بيده من | ١٢٧ | نحن أحق بالشك من . . . |
| ١٠٩١ | النعمة . . . | ١٥٤ | نزل القرآن على سبعة أحرف . . . |
| ٧٧٨ | هذا وقومه (يعني سلمان) . . . | ٥١٥ | نزلت هذه الآية ﴿واصبر نفسك﴾ |
| ١١٨ | هبي نفسك لك . . . | ١٨٥ | نصرت بالرعب مسيرة . . . |
| ١٠٦٤ | هل أنت إلا أصبع دमित . . . | ٨٢٤، ٧٣٣ | نصرت بالصبا . . . |
| ٣٥٨ | هل أنتم تاركوا لي صاحبي . . . | ٩٦٢، ٨٤٧ | |
| | هل تدرون كم بُعد ما بين | ٧١٥ | نعم، (في تكرار الخصومة) . . . |
| ٩٦٣ | السماء . . . | ٩٠٨ | نعم، صلي أمك . . . |
| | هل تدرون ما اسم هذه | ٢٥٢ | نعم، يجزى به المؤمنون . . . |
| ٩٦٣ | (العنان) . . . | ٦٩٧ | نعم، يميئك الله ثم يحييك . . . |
| ١٠٢١ | هل تدرون مم ضحكك؟ . . . | ١٠٠٨ | نعم ابن آدم تصدق بصدقة . . . |
| ٤٦ | هل تعلمون أن إسرائيل . . . | ٣٧ | نعم قوم يكونون من بعدكم . . . |
| ٦٦٤ | هل تفقدون . . . أفقد جليبيبا . . . | ٣٣٤ | نهى عن الحمر الأهلية . . . |

| | | | |
|------|---------------------------------------|----------|-----------------------------------|
| ١٠٧ | والله لأن يَلَجَّ أحدكم بيمينه . . . | ٧٨٥ | هل جئتم في عهد أحد . . . |
| ١٠٧٨ | والله لو دعى ناديه لأخذته . . . | ٢٧١ | هل عندك غنى يغنيك عنها . . . |
| ٧٦٣ | والله ما أدري ما يفعل . . . | ٣٧٨ | هل فيكم من غيركم . . . |
| | والذي نفس محمد بيده ما أنتم | ٣١١ | هل منكم أحد أمره أو أشار . . . |
| ٦٣٨ | بأسمع . . . | | هل وجدتم ما وعد ربكم |
| ١١١٣ | والذي نفسي بيده إنها لتعدل . . . | ٦٣٧، ٣٥٠ | حقًا . . . |
| ٥٨١ | والذي نفسي بيده لأقضين . . . | ٢٩٥ | هم قوم هذا (أبو موسى) . . . |
| ١٧٤ | والذي نفسي بيده لتأمرن . . . | ٦٤٣ | هم القوم لا يشقى جليسهم . . . |
| ١١١٢ | والذي نفسي بيده لقد سأله . . . | ٣٨٣ | هم المتحابون في الله . . . |
| | والذي نفسي بيده لو كان | ٦٦٠ | هن حولي كما ترى . . . |
| ٩٢٠ | الإيمان . . . | ٣١٠ | هو رزق أخرجه الله إليكم . . . |
| ٢٥٧ | والذي نفسي بيده ليوشكن . . . | ٤٢٢ | هو مسجدي هذا . . . |
| | والذي نفس محمد بيده، لا يسمع | ٤٦٥ | هي الحنظلة (الشجرة الخبيثة) . . . |
| ٤٣٨ | بي أحد . . . | ٥٠٠ | هي رؤيا عين أريها . . . |
| | والذي نفسي بيده لا يعطوني | ٤٣٢ | هي الرؤيا الصالحة . . . |
| ٧٨٧ | خطة . . . | ٥٠٢ | هي الشفاعة (المقام) . . . |
| ٢٨٢ | ولا الله يلقي حبيبه في النار . . . | ٧٥١ | هي لهم في الدنيا . . . |
| ٧٦٣ | وما يدريك أن الله أكرمه . . . | ٤٦٥ | هي النخلة (الشجرة الطيبة) . . . |
| ٧٩٢ | ويل أمه مسعر حرب . . . | ٨٥٥ | وإن رغم أنف أبي الدرداء . . . |
| ٥٢١ | ويل للعرب من شر قد اقترب . . . | ٧٨٢ | وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب . . . |
| ٤١١ | ويلك فمن يعدل إن لم أعدل . . . | | وجبت (الجنة لمن قرأ قل |
| ٥٣٤ | لا أحد أصبر على أذى . . . | ١١١٢ | هو الله أحد) . . . |
| ٣٣٧ | لا أحد أغير من الله . . . | | وقت المغرب ما لم يغيب |
| ٧٢٦ | لا إله إلا الله وحده . . . | ١٠٣٠ | الشفق . . . |
| ٥٢١ | لا إله إلا الله . . . ويل للعرب . . . | ١٠٠٢ | وقيت شركم ووقيتم شرها . . . |
| ١٨٩ | لا ألفين أحدكم يجيء يوم . . . | ٧٧٤ | والله إنك لخير أرض الله . . . |
| ٦٤١ | لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن . . . | ٧٨٢ | والله إنني لأرجو أن أكون . . . |

| | | | |
|------|-----------------------------------|----------|-----------------------------------|
| ٣٨٩ | لا يتوارث أهل ملتين ... | ٥٩٨ | لا تتبع النظرة النظرة ... |
| ٨٥٤ | لا يحاسب يوم القيامة أحد ... | ٣٨٠، ١٨٤ | لا تتمنوا لقاء العدو ... |
| ٦٦٦ | لا يحقر أحدكم نفسه ... | ٣٣ | لا تجعلوا بيوتكم مقابر ... |
| ١١٧ | لا يحل لامرأة ... أن تحدد ... | ٤١٢ | لا تحل الصدقة لغني ... |
| ٣٧٩ | لا يحل لي من غنائمكم مثل ... | ٤٦٨ | لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا ... |
| ٩٥٦ | لا يدخل الجنة قتات ... | ٤٢٨ | لا تدعوا على أنفسكم ولا ... |
| ٧٨٣ | لا يدخل النار أحد بايع ... | ٨١٨ | لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول ... |
| | لا يدخل النار أحد من أصحاب | ٧٧٠ | لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... |
| ٥٣٢ | الشجرة ... | ٨٤١ | لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم ... |
| ٤٠٤ | لا يذهب الليل ... حتى تعبد ... | ٣٥١ | لا تسألوا الآيات فقد سألتها ... |
| ٦٠٢ | لا يزال أمر الناس ماضيًا ... | ٨٧٧ | لا تسبوا أصحابي فوالذي ... |
| ٧٤٥ | لا يزال البلاء بالعبد في نفسه ... | ٧٥٩ | لا تسبوا الدهر فإن الله هو ... |
| ٦٠٢ | لا يزال هذا الدين عزيزًا ... | ٩٧٣ | لا تصحب إلا مؤمنًا ولا يأكل ... |
| ٢١٧ | لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره ... | | لا تصدقوا أهل الكتاب |
| ١٠٠٥ | لا يقل أحدكم الكرم ... | ٦٣١، ٦١ | ولا ... |
| | لا يقسم الرجل الرجل من | ٧٤٤ | لا تصيب عبدًا نكبة ... |
| ٨٨٨ | مجلسه ... | ٢٥٩ | لا تطروني كما أطرت ... |
| | لا يموت لأحد من المسلمين | ٨١١ | لا تفخروا بأبائكم في الجاهلية ... |
| ٥٣١ | ثلاثة ... | ٧٢٢ | لا تفضلوا بين أنبياء الله ... |
| | لا يموتن أحدكم إلا وهو | ٢٨٥ | لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان ... |
| ٥٣٥ | يحسن ... | ٦٢٠ | لا تقوم الساعة حتى تروا عشر ... |
| ٨٩ | لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج ... | ٣٣٨ | لا تقوم الساعة حتى تطلع ... |
| | لا ينبغي لأحد أن يكون خيرًا | ١٣٠ | لا حسد إلا في اثنتين ... |
| ٩٥٨ | من يونس ... | ٢٢٦، ٢٢٥ | لا حلف في الإسلام ... |
| | لا يؤمن أحدكم حتى أكون | ٨٨٠ | لا ضرورة في الإسلام ... |
| ٤٠١ | أحب . | | لا يا ابنة الصديق ولكنهم |
| ١١٨ | يا أبا أسيد أكسها ... | ٥٧٣ | الذين ... |

| | | | |
|-----------|------------------------------------|-----------|---|
| ٩٨١ | يا بنت أبي بكر اتزري ... | ٦٩٤ | يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس ... |
| ٦٩٣ | يا بني سلمة ألا تحتسبون ... | ١١١٦، ٣٣٠ | يا أبا ذر تعوذ بالله من شر ... |
| ٦٩٣ | يا بني سلمة دياركم تكتب ... | ٩٣٦ | يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا ... |
| ٧٤٧ | يا جابر مالي أراك منكسراً ... | ٣٣٠ | يا أبا ذر هل صليت ... |
| | يا خويلة ابن عمك شيخ كبير ... | ٥١٥ | يا أبا موسى، ألا أدلك على كثر ... |
| ٨٨٤ | يا رسول الله ما الإيمان؟ ... | ١٠٠ | يا ابن آدم إنك إن تبذل ... |
| ٦٤٤ | يا سعد ألم تسمع ما قال ... | ٧٥١ | يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لهم ... |
| ١٩٥ | يا صباحاه ... | ٥٧٠ | يا أم حارثة إنها جنان ... |
| ١١٠٨ | يا عائشة استعيني بالله ... | ٧٣ | يا أنس كتاب الله القصاص ... |
| ١١١٤ | يا عائشة الأمر أشد ... | | يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ... |
| ١١١٢ | يا عائشة أما الله فقد برأك ... | ٦٨٤، ٧٦ | يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ... |
| ٥٨٩ | يا عائشة إن الله لا يحب الفاحش ... | ٢٩٩ | يا أيها الناس أقيموا الحد ... |
| ٨٨٧ | يا عائشة إنسي ذاكر لك أمراً ... | ٢٢٠ | يا أيها الناس إن الله قد أذهب ... |
| ٦٦٠، ٦٥٩ | يا عائشة ذريني أتعبد ... | ٨١١ | يا أيها الناس إنكم محشورون ... |
| ١٩٨ | يا عائشة ما يؤمنني أن يكون ... | ٥٥٢، ٣١٧ | يا أيها الناس توبوا إلى الله ... |
| ٧٦٦ | يا عقبة قل: قل هو الله أحد ... | ٩٤٧ | يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ... |
| ١١١٧ | يا عم قل لا إله إلا الله ... | ١١٠٩ | يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء ... |
| ٦٢٥ | يا عم قولوا لا إله إلا الله ... | ٣٨٠ | يا أيها الناس لا تسألوا عن ... |
| ٧٠٥ | يا عمرو صليت بأصحابك ... | ٤٤١ | |
| ٢٢٢ | يا قبيصة إن المسألة لا تحل ... | | |
| ٤١٣ | يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا ... | | |
| ٥٨٢ | يا معشر الأنصار إن الله أثنى ... | | |
| ٤٢٢ | يا معشر قريش اشتروا ... | | |
| ١٠٢١، ٦١٣ | يا معشر قريش إنه ليس ... | | |

| | | |
|---|---------|------------------------------------|
| يرحم الله لوطًا لقد كان | ١٤٢ | يا معشر النساء تصدقن . . . |
| ٤٥٦ . . . يأوي . . . | ٧٦٤ | يا معشر اليهود أروني . . . |
| ٥٣٢ . . . يرد الناس النار ثم يصدرون . . . | ١٥٥ | يا معشر يهود أسلموا . . . |
| ٥٠٦ . . . يسري على كتاب الله . . . | ٦٦٢ | يا نبي الله، مالي أسمع . . . |
| ٧٥ . . . يسروا ولا تعسروا . . . | ١٠٥٣ | يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون . . . |
| ٨٥٦ . . . يسير الراكب في ظل . . . | ٣٤ | يؤتى يوم القيامة بالقرآن . . . |
| يطوي الله السماوات يوم | ٥٠٢ | يبعث الناس فأكون أنا وأمتي . . . |
| ٧٢٠ . . . القيامة . . . | ١٠١٢ | يبعث الناس يوم القيامة حفاة . . . |
| يعرض الناس يوم القيامة | ٤٦٠ | يتعاقبون فيكم ملائكة . . . |
| ٩٦٤ . . . ثلاث . . . | ١٢٠ | يتقدم الإمام وطائفة . . . |
| يعض أحدكم أخاه كما يعض . . . | ٤٧ | يجاء بالرجل يوم القيامة . . . |
| ١٠٣ . . . يعني صمامًا واحدًا . . . | ٢٨٨ | يجاء بالكافر يوم القيامة . . . |
| ٣١٢ . . . يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا . . . | ٤٤٠، ٤٢ | يجتمع المؤمنون . . . |
| ٧٥٧ . . . يقال لأهل الجنة: إن لكم . . . | ٢٤٤ | يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل . . . |
| ١٦٨ . . . يقال للرجل من أهل النار . . . | ٢١٩ | يحرم من الرضاة ما يحرم . . . |
| ٥٧١ . . . يقال لصاحب القرآن: اقرأ . . . | ٥٤٥ | يحسب ما خانوك وعصوك . . . |
| يقال لقارئ القرآن: اقرأ | ٤٦٩ | يحشر الناس يوم القيامة على . . . |
| ٩٨٣ . . . وارق . . . | ٥٥٠ | يحفرون كل يوم (يأجوج) . . . |
| ٧٢٠ . . . يقبض الله الأرض ويطوي . . . | ٣١٢ | يخرب الكعبة ذو السويقتين . . . |
| ٢١٢ . . . يقضي الله في ذلك المواريث . . . | ٩٨٥ | يخرج الدجال في أمتي . . . |
| يقول ابن آدم: مالي مالي . . . | ٣٢٧، | يخرج عنق من النار يوم |
| ١٠٩٠ . . . يقول العبد: مالي مالي . . . | ٨١٨ | القيامة . . . |
| ٣٢٧ . . . يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي . . . | ٥٦٥ | يدخل الفقراء الجنة . . . |
| ٦٦ . . . يقول الله: العظمة إزاري . . . | ٥٠٦ | يدرس الإسلام كما يدرس . . . |
| ٧٦٠ . . . يقول الله: كذبنى ابن | ٦٢ | يدعى نوح يوم القيامة . . . |
| ١١١١، ٦٣٥ . . . آدم . . . | ٤٣٩ | يدنى المؤمن من ربه حتى |
| | | يضع . . . |

| | | |
|--------------------------------------|------|-------------------------------------|
| يقول الله : من أذهب | ٦٠٢ | يكون من بعدي اثنا عشر أميراً . . . |
| كريمته . . . | ٧١٤ | يكون الناس في الظلة دون . . . |
| يقول الله : يا ابن آدم أنى | ١٠٢٠ | يلقى إبراهيم آزر يوم القيامة . . . |
| تعجزني . . . | ١٢٧ | يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة . . . |
| يقول الله : يؤذيني ابن آدم . . . | ٢٩٧ | يمين الله ملأى سحاء . . . |
| يقول الله يوم القيامة : يا آدم . . . | ٣٤٩ | ينادي مناد إن لكم أن تحيوا . . . |
| يقوم أحدهم في رشحه . . . | ١٠٢٥ | ينزل ربنا إلى السماء الدنيا . . . |
| يكشف ربنا عن ساقه . . . | ٩٥٧ | ينقطع يوم القيامة كل سبب . . . |
| يكون كنز أحدكم شجاعاً . . . | ٤٠٥ | اليوم الموعود يوم القيامة . . . |

انتهى والحمد لله

٢ - فهرس أسباب النزول

الصفحة

الآية ورقمها

الجزء الأول

□ سورة البقرة

- ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكَيْبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... ﴾ ٧٩ ﴿ ٥١
- ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ... ﴾ ٩٧ ﴿ ٥٣
- ﴿ فَاعْبُدُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ... ﴾ ١٠٩ ﴿ ٥٥
- ﴿ فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ... ﴾ ١١٥ ﴿ ٥٥
- ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ رَبِّهِمْ مَعْشَرًا... ﴾ ١٢٥ ﴿ ٥٧
- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ... ﴾ ١٤٣ ﴿ ٦٣
- ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ... ﴾ ١٤٤ ﴿ ٦٤
- ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ... ﴾ ١٥٨ ﴿ ٦٧
- ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ... ﴾ ١٨٣ ﴿ ٧٤
- ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ... ﴾ ١٨٤ ﴿ ٧٤
- ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ... ﴾ ١٨٧ ﴿ ٧٧
- ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ... ﴾ ١٨٧ ﴿ ٧٧
- ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ... ﴾ ١٨٧ ﴿ ٧٨
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ... ﴾ ١٨٩ ﴿ ٨١
- ﴿ وَلَيْسَ الذِّبْءُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا... ﴾ ١٨٩ ﴿ ٨١
- ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... ﴾ ١٩٥ ﴿ ٨٦

- ٨٨ ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَذِيئَةٌ... ﴾ ١٩٦
- ٩١ ﴿ وَتَزَوَّدُوا وَأَقْرَبَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى... ﴾ ١٩٧
- ٩١ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا... ﴾ ١٩٨
- ٩٨ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾ ٢١٩
- ١٠٠ ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ... ﴾ ٢٢٠
- ١٠١ ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى... ﴾ ٢٢٢
- ١٠٣ ﴿ نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ... ﴾ ٢٢٣
- ١٠٧ ﴿ لَا يَوَاجِدْكُمْ اللَّهُ بِالْفُجُورِ أَيْمَانِكُمْ... ﴾ ٢٢٥
- ١١٠ ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ... ﴾ ٢٢٩
- ١١٣ ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا... ﴾ ٢٣١
- ١١٤ ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ... ﴾ ٢٣٢
- ١٢٥ ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... ﴾ ٢٥٦
- ١٢٩ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ... ﴾ ٢٦٧
- ١٣١ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ... ﴾ ٢٧٢
- ١٣٣ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ... ﴾ ٢٧٥
- ١٣٩ ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْعَلُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... ﴾ ٢٨١
- ١٤٦ ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ... ﴾ ٢٨٤
- ١٤٦ ﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا... ﴾ ٢٨٦

□ سورة آل عمران

- ١٥٥ ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَابَاتٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ... ﴾ ١٢
- ١٦٠ ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَإِبْنَاءَ كُرْ... ﴾ ٦١
- ١٦٤ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا... ﴾ ٧٧
- ١٦٧ ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ... ﴾ ٨٦
- ١٦٧ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ... ﴾ ٩٠
- ١٦٨ ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ... ﴾ ٩٢

- ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ... ﴾ ١١٣ ﴿ ١٧٧
- ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ... ﴾ ١٢٨ ﴿ ١٧٩
- ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ... ﴾ ١٦٥ ﴿ ٣٨٦
- ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ... ﴾ ١٧٢ ﴿ ١٩١
- ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا... ﴾ ١٨٨ ﴿ ١٩٦
- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ... ﴾ ١٩٠ ﴿ ١٩٨
- ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ... ﴾ ١٩٥ ﴿ ٢٠٠
- ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ... ﴾ ١٩٩ ﴿ ٢٠٠

□ سورة النساء

- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى... ﴾ ٣ ﴿ ٢٠٨
- ﴿ وَمَنْ كَانَ غَدِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ... ﴾ ٦ ﴿ ٢٠٩
- ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ... ﴾ ١١ ﴿ ٢١١
- ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ... ﴾ ١١ ﴿ ٢١٢
- ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ... ﴾ ١٥ ﴿ ٢١٤
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا... ﴾ ١٩ ﴿ ٢١٦
- ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ... ﴾ ٢٤ ﴿ ٢٢٠
- ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ... ﴾ ٣٢ ﴿ ٢٢٣
- ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ... ﴾ ٣٣ ﴿ ٢٢٤
- ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... ﴾ ٣٤ ﴿ ٢٢٦
- ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى... ﴾ ٤٣ ﴿ ٢٣٢
- ﴿ فَلَمَّ يَجِدْ وَأَمَاءَ فَتَيَّمَمُوا... ﴾ ٤٣ ﴿ ٢٣٣
- ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... ﴾ ٥٩ ﴿ ٢٣٦
- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ... ﴾ ٦٥ ﴿ ٢٣٧
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ... ﴾ ٧٧ ﴿ ٢٣٩
- ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ... ﴾ ٨٣ ﴿ ٢٤٠

- ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَفِقِينَ فِتْنَتِينَ ﴾ ٨٨ ﴿ ٢٤٢
- ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ ٩٤ ﴿ ٢٤٥
- ﴿ عِبْرٌ أُولَى الصَّرِيرِ ﴾ ٩٥ ﴿ ٢٤٦
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ ٩٧ ﴿ ٢٤٦
- ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾ ١٠٠ ﴿ ٢٤٧
- ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ﴾ ١٠٢ ﴿ ٢٤٩
- ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوًءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ١٢٣ ﴿ ٢٥٢
- ﴿ وَتَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ ١٢٧ ﴿ ٢٥٣ ، ٢٠٨
- ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ﴾ ١٢٨ ﴿ ٢٥٤
- ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ ﴾ ١٧٦ ﴿ ٢٦٠

□ سورة المائدة

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ ٦ ﴿ ٢٧٣
- ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ٣٣ ﴿ ٢٨٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ ٤١ ﴿ ٢٨٩
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ ٥١ ﴿ ٢٩٤
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَغْلُوبَةً ﴾ ٦٤ ﴿ ٢٩٦
- ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ٦٧ ﴿ ٢٩٩
- ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ ﴾ ٨٣ ﴿ ٣٠١
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ﴾ ٨٧ ﴿ ٣٠٢
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ ٩٠ ﴿ ٣٠٣
- ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ﴾ ٩٣ ﴿ ٣٠٩
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَسْيَاءِ ﴾ ١٠١ ﴿ ٣١٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ ١٠٦ ﴿ ٣١٦

□ سورة الأنعام

- ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَكَ ﴾ ٣٣ ﴿ ٣٢٢

- ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ... ﴾ ٥٢
 ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا... ﴾ ٦٥
 ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... ﴾ ٨٢
 ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي بَدَّلْتُمْ بِهَا أَمْوَالُ اللَّهِ عَلَيْهِ... ﴾ ١٢١

□ سورة الأعراف

- ﴿ وَأَقْبَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا... ﴾ ١٧٥
 ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ... ﴾ ١٩٩

□ سورة الأنفال

- ﴿ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ... ﴾ ١
 ﴿ إِذْ تَسْتَخِيضُونَ رِبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ... ﴾ ٩
 ﴿ يَبْأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ... ﴾ ١٥
 ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ... ﴾ ١٧
 ﴿ إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدْرَبُوا فَجَاءَ كُمْ الْفَتْحُ... ﴾ ١٩
 ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا... ﴾ ٣٢
 ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا آَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ... ﴾ ٦٣
 ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِقِينَ... ﴾ ٦٥
 ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنْبَغَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنَجِّحَ فِي الْأَرْضِ... ﴾ ٦٧
 ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ... ﴾ ٧٥

□ سورة براءة

- ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ ١
 ﴿ أَجْمَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ... ﴾ ١٩
 ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ... ﴾ ٣٤
 ﴿ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ... ﴾ ٦٥
 ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا... ﴾ ٧٤

- ﴿ وَلَا تَقْصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا... ﴾ ٨٤
 ٤١٥
 ﴿ سَيَطْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ... ﴾ ٩٥
 ٤٢٥ ، ٤١٩
 ﴿ مَا كَانَتِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴾ ١١٣
 ٤٢٣
 ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ... ﴾ ١١٧
 ٤٢٤

□ سورة هود

- ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ... ﴾ ٥
 ٤٣٦
 ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾... ﴾ ١٠٥
 ٤٤٣
 ﴿ وَأَقْبِرِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ... ﴾ ١١٤
 ٤٤٤

□ سورة يوسف

- ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... ﴾ ٣
 ٤٥٣

□ سورة الرعد

- ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا... ﴾ ١٣
 ٤٦١

□ سورة الحجر

- ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ... ﴾ ٢٤
 ٤٧٣

□ سورة النحل

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... ﴾ ٩٠
 ٤٨٦
 ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا... ﴾ ١٢٦
 ٤٨٩

□ سورة الإسراء

- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ... ﴾ ٥٧
 ٤٩٩
 ﴿ وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ... ﴾ ٨٠
 ٥٠٤
 ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ... ﴾ ٨٥
 ٥٠٥
 ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ... ﴾ ١١٠
 ٥٠٨

□ سورة الكهف

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ... ﴾ ٢٨

٥١٣ - ٥١٥

الجزء الثاني

□ سورة مريم

﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... ﴾ ٦٤

٥٣٠

﴿ أقرءت الذي كفر بيائتنا وقال لأوثيك... ﴾ ٧٧

٥٣٣

□ سورة الأنبياء

﴿ إِنَّا نَكُفِّرُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ... ﴾ ٩٨

٥٥١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ... ﴾ ١٠١

٥٥١

□ سورة الحج

﴿ وَرَبَّ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ... ﴾ ١١

٥٥٩

﴿ هَذَانِ حَصَمَانٍ أَحْضَمُوا فِي رَبِّهِمْ... ﴾ ١٩

٥٦٠

﴿ أُذُنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا... ﴾ ٣٩

٥٦٤

□ سورة المؤمنون

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا... ﴾ ٧٦

٥٧٤

□ سورة النور

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً... ﴾ ٣

٥٨٢

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ... ﴾ ٦

٥٨٣

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ

٥٨٥ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١

لَكُمْ... ﴾ الآيات ١١ - ٢٦

﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِنَتِكُمْ عَلَىٰ الْإِغْيَاءِ... ﴾ ٣٣

٥٩٩

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴾ ٥٥

٦٠٢ - ٦٠٤

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ... ﴾ ٦١

٦٠٤ - ٦٠٥

- سورة الفرقان
- ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ... ﴾ ٦٨ ٦٠٩
- سورة القصص
- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ... ﴾ ٥٦ ٦٢٥
- سورة العنكبوت
- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا... ﴾ ٨ ٦٢٩
- سورة لقمان
- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ... ﴾ ٦ ٦٤١
- سورة ألم السجدة
- ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ... ﴾ ١٦ ٦٥٠ ، ٦٤٨
- سورة الأحزاب
- ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ... ﴾ ٤ ٦٥٣
- ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ... ﴾ ٥ ٦٥٤
- ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا... ﴾ ٢٣ ٦٥٧
- ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلْ لَأَزُونِكُ إِن كُنْتَن تَرِدُنَّ... ﴾ ٢٨ ٦٥٩
- ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ... ﴾ ٣٥ ٦٦٢
- ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ... ﴾ ٣٦ ٦٦٣
- ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا... ﴾ ٣٧ ٦٦٤
- ﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنهُنَّ وَتَوَيْتِ إِلَيْكَ... ﴾ ٥١ ٦٦٩
- ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَغَاءُ مِنْ بَعْدُ... ﴾ ٥٢ ٦٧١
- ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَدَخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ... ﴾ ٥٣ ٦٧٢
- ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلْ لَأَزُونِكُ وَبِنَائِكَ... ﴾ ٥٩ ٦٧٥

- سورة يس
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۗ ﴾ ١٢ ٦٩٣
- ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا... ﴾ ٧٧ ٦٩٧
- سورة ص
- ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ... ﴾ ١ ٧٠٥
- سورة الزمر
- ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا... ﴾ ٢٣ ٤٥٣
- ﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ... ﴾ ٥٣ ٧١٨ - ٧١٧
- سورة فصلت
- ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ... ﴾ ٢٢ ٧٣٤ - ٧٣٣
- سورة الزخرف
- ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا... ﴾ ٥٧ ٧٥٤ - ٧٥٣
- سورة الدخان
- ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾... ﴾ ١٠ ٧٥٦
- سورة الأحقاف
- ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾ ١٠ ٧٦٤
- ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ... ﴾ ٢٩ ٧٦٧
- سورة الفتح
- ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي... ﴾ ٥ ٧٨١
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ... ﴾ ٢٤ ٧٩٢ ، ٧٨٤
- ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ... ﴾ ٢٥ ٧٨٥
- سورة الحجرات
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾ ١ الآيات ٨٠٠

- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَأَسْقُوا بِأَيْدِيهِمْ... ﴾ ٦
 ٨٠٢
 ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... ﴾ ٩
 ٨٠٤
 ﴿ وَلَا تَنَابَرُوا بِلِأَلْقَابِكُمْ... ﴾ ١١
 ٨٠٨
 ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا... ﴾ ١٧
 ٨١٣

□ سورة القمر

- ﴿ اقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ... ﴾ ١
 ٨٤٦
 ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ... ﴾ ٤٨
 ٨٤٨

□ سورة الحديد

- ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ... ﴾ ١٦
 ٤٥٣
 ﴿ فَمَارِعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا... ﴾ ٢٧
 ٨٧٨

□ سورة المجادلة

- ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا... ﴾ ١ الآيات
 ٨٨٣
 ﴿ وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ... ﴾ ٣
 ٨٨٤

□ سورة الحشر

- ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا... ﴾ ٥
 ٨٩٢
 ﴿ وَيُؤْمَرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ... ﴾ ٩
 ٨٩٩

□ سورة الممتحنة

- ﴿ لَا يَنْهَىكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ... ﴾ ٨
 ٩٠٨
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ... ﴾ ١٠
 ٩٠٩، ٩٠٨، ٧٩٤، ٧٩١

□ سورة الصف

- ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ... ﴾ ١ الآيات
 ٩١٣
 ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرٰءِيلَ وَكَفَرَتَ... ﴾ ١٤
 ٩١٧

- سورة الجمعة
﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ ١١ ﴿ ٩٢٣
- سورة المنافقون
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنتَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ١ الآيات ٩٢٧
- سورة التغابن
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ ﴾ ١٤ ﴿ ٩٣٢
- سورة التحريم
﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ١ الآيات ٩٤٣
- سورة الجن
﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ ١ الآيات ٩٧٦
- سورة المزمل
﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ ﴾ ١ الآيات ٩٨١
﴿ عَلِمَ أَنَّ مَخْصُوهَ قَنَابَ عَلَيْكَ ﴾ ٢٠ ﴿ ٩٨٢
- سورة المدثر
﴿ يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ ١ الآيات ٩٨٩
- سورة القيامة
﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجَلَّ بِهِ ﴾ ١٦ ﴿ ٩٩٣
- سورة المرسلات
﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ ﴾ ١ الآيات ١٠٠٢
- سورة عبس
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ ﴾ ١ الآيات ١٠١١

- سورة التطفیف
﴿وَيَلِّمُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١٠٢٤
- سورة الضحى
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١٠٦٣
- سورة العلق
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١٠٧٨
- سورة الزلزلة
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١٠٨٦
- سورة الكوثر
﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١٠٩٩
- سورة المسد
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١١٠٨
- سورة الإخلاص
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ... ﴿الآيات﴾ ١١١٢

انتهى والحمد لله

٣ - فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| الجزء الأول | |
| □ المقدمة | ٥ |
| بيان رسول الله ﷺ للقرآن الكريم | ٦ |
| التفسير عند العلماء، لغة واصطلاحًا | ٨ |
| الحاجة ماسة إلى تفسير القرآن الكريم | ٨ |
| للتفسير أربعة أوجه | ٩ |
| أمور لا يجوز الكلام فيها إلاً بدليل نقلي صحيح | ١١ |
| مصادر التفسير الثلاثة: القرآن والسنة وأقوال الصحابة | ١١ |
| حكم أقوال الصحابة في التفسير والمذاهب في ذلك | ١٣ |
| التفسير عبر الأجيال | ١٦ |
| أحسن التفاسير التي تكفي لفهم كلام الله تعالى | ١٧ |
| ما يكفي من العلوم لمن يريد فهم القرآن الكريم فهمًا كاملاً | ١٨ |
| منهج المؤلف في الكتاب | ٢١ |
| □ فاتحة الكتاب | ٢٣ |
| مقاصد القرآن الكريم | ٢٣ |
| من خصائص الفاتحة | ٢٤ |
| من فضائل الفاتحة | ٢٥ |

| | |
|----|--|
| ٢٦ | بيان المغضوب عليهم والضالين |
| ٢٧ | □ سورة البقرة |
| ٢٧ | خلاصة ما جاء فيها من مقاصد |
| ٢٨ | من خصائصها، وهي سبع وسبعون خصيصة |
| ٣٣ | من فضائل سورة البقرة |
| ٣٥ | فضل آية الكرسي |
| ٣٦ | فضل خواتيم سورة البقرة |
| ٣٧ | فضل أهل الإيمان بالغيب |
| ٣٧ | فضل من آمن برسول الله ولم يره |
| ٣٨ | الغيب الأمور بالإيمان به |
| ٣٩ | أقسام الناس بالنسبة للهداية والضلال ثلاثة |
| ٤٠ | أعظم الذنوب |
| ٤١ | خَلَقُ بني آدم وصفاتهم |
| ٤٢ | تكريم الله آدم عليه السلام بالعلم |
| ٤٣ | تكريم الجنس البشري |
| ٤٣ | تكريم الله لآدم عليه السلام ثانيًا بأمره ملائكته بالسجود له، وحسد إبليس له |
| ٤٣ | فضل سجود التلاوة |
| ٤٤ | محااجة آدم موسى |
| ٤٥ | خصائص يوم الجمعة |
| ٤٦ | بيان من هو إسرائيل ومن هم الأسباط |
| ٤٧ | وعيد لعلماء سوء |
| ٤٨ | من نعم الله على بني إسرائيل |
| ٤٨ | من تمرّد اليهود على الله تعالى |
| ٤٩ | الطاعون ضرب من وخز الجن |
| ٥٠ | من أشد الناس عذابًا |

- ٥٠ تشديد الله على اليهود بسبب تعنتهم وتغييرهم للكتاب
- ٥١ زعم اليهود أنهم لن يدخلوا النار وأن الجنة خاصة بهم
- ٥٢ من معجزات القرآن في عدم تمني اليهود الموت
- ٥٣ اليهود كانوا يعادون جبريل، وعداوته كفر
- ٥٤ ثبوت النسخ في الإسلام
- ٥٥ الصلاة على المركوب لأي جهة
- ٥٥ صحة صلاة من صلى غلطاً لغير القبلة
- ٥٦ معنى: (فثم وجه الله)
- ٥٦ من نقص الله فقد شتمه
- ٥٧ من موافقات عمر: الصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام
- ٥٨ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم بالبركة في المدينة ومُدها وصاعها
- ٥٩ بناء البيت على قواعد إبراهيم
- ٦٠ بيان ترك بعض الأعمال الدينية لمصالح اجتماعية دفعا للفتنة
- ٦٠ دعاء إبراهيم بالنبي عليهما الصلاة والسلام
- ٦١ موقف المسلمين من حديث بني إسرائيل فلا يصدق ولا يكذب
- ٦٢ آيتان كان رسول الله يقرأ بهما في الفجر
- ٦٢ فضل الأمة المحمدية وعدالتها
- ٦٣ إطلاق الإيمان على الصلاة
- ٦٤ بحث في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة
- ٦٥ استقبال الكعبة شرط لصحة الصلاة... إما للعين أو للجهة
- ٦٦ من ذكر الله ذكره الله عز وجل
- ٦٧ فضل الصبر على المصيبة وما يقال عند ذلك
- ٦٧ الصفا والمروة والسعي بينهما
- ٦٩ وعيد كاتمي العلم ووجوب التبليغ
- ٦٩ حرص أبي هريرة على العلم

- ٧٠ المؤمنون أشد حُبًا لله من الكفار في حُبهم لأناداهم
امتنان الله على عباده في إحلال ما في الأرض لهم ونهيهم عن اتباع خطوات
- ٧٠ الشيطان
- ٧١ إرشاد الله عباده إلى تناول الطيبات من الرزق وشكره على ذلك
- ٧١ إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبًا
- ٧٢ وجوب القصاص في القتل والجراحات وغيرها من الأطراف
- ٧٣ من كرامات الأولياء
- ٧٣ لا وصية لوارث
- ٧٤ الإجماع على صوم رمضان
- ٧٤ كان الصوم في الأول على التخيير
- ٧٥ دين الإسلام مبني على التخفيف
- ٧٦ قُرْبُ الله عَزَّ وَجَلَّ من عباده وأنه يجيب مَنْ دعاه
بيان ما كان عليه المسلمون من تحريم الأكل وقربان النساء في ليالي رمضان
- ٧٧ إذا ناموا، ونَسَخُ ذلك
- ٧٨ نهاية الأكل والشرب في ليالي رمضان
- ٧٩ بيان الاعتكاف لغةً وشرعًا
- ٧٩ تحريم الرشوة ولعن صاحبها
- ٨٠ حكم الحاكم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالًا
- ٨٠ الحكمة في وجود الأهلة وتغيرها
بيان ما كان عليه الجاهلية من عدم الدخول من الأبواب إذا قدموا من الحج،
- ٨١ وعدم ذلك من البر، ورد الله عليهم في ذلك
- ٨٢ تحريم القتال في الحرم المكي إلا دفاعًا
- ٨٣ قتال الكفار حتى لا تكون فتنة
- ٨٣ فتنة ابن الزبير وتجنُّب ابن عمر الدخول فيها وحواره مع بعض المفتونين
- ٨٥ لم يكن رسول الله يقاتل في الأشهر الحرم إلا من قاتله فيها

| | |
|-----|--|
| ٨٦ | النهي عن إلقاء الإنسان نفسه إلى التهلكة |
| ٨٧ | الإحصار في الحج... وحكم ذلك |
| ٨٨ | مشروعية الفدية في الحج والعمرة |
| ٨٨ | مشروعية التمتع في الحج وبيان ذلك |
| ٨٩ | مواقيت الحج الزمانية وبيان عدم تقدم الإحرام قبلها |
| ٩٠ | تحريم الرفث والفسوق والجدال في الحج |
| ٩١ | بيان التزود والتوكل |
| ٩١ | جواز التجارة في الحج لمن أدى المناسك |
| ٩٣ | الوقوف بعرفة والإفاضة منها مع المبيت بالمزدلفة وحكم ذلك |
| ٩٤ | ما كان عليه نبي الله من مخالفة أهل الجاهلية في المناسك |
| ٩٥ | أجمع دعوة كان يدعو بها نبي الله: ربنا آتانا في الدنيا حسنة |
| ٩٦ | بيان الأيام المعدودات وذكر الله فيها |
| ٩٧ | من أبغض الناس إلى الله المخاصمون |
| ٩٧ | من فضائل الأمة المحمدية |
| ٩٨ | أول آية نزلت في الخمر وذمه |
| ١٠٠ | ما ينبغي للإنسان إنفاقه من ماله |
| ١٠٠ | مخالطة اليتامى والإحسان إليهم |
| ١٠١ | تحريم إتيان الحائض... وإباحة مخالطتها |
| ١٠٢ | الأسئلة السبعة التي جاءت في سورة البقرة |
| ١٠٣ | المرأة حرث الرجل |
| ١٠٤ | حكم إتيان الزوجة من خلفها في غير المأتم المشروع |
| ١٠٦ | منع الحلف على عدم فعل الخير |
| ١٠٧ | يمين اللغو لا كفارة فيها |
| ١٠٨ | الإيلاء وبيانه وحكمه |
| ١٠٨ | بيان عدة الطلاق ومتى يصح إرجاع المرأة |

- ١٠٩ بيان الطلاق الذي يصح معه الإرجاع
- ١١٠ حقوق الزوجين
- ١١٠ خلع المرأة من زوجها وبيان ما يجوز منه وما لا يجوز
- ١١٢ المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها حتى تتزوج بآخر زواجاً صحيحاً
- ١١٣ لا يجوز نكاح التحليل بل هو زنا
- ١١٣ تحريم الاستهزاء بآيات الله ومنه اللعب بالطلاق
- ١١٤ تحريم منع المرأة من التزوج
- ١١٤ وجوب الولي للمرأة
- ١١٥ عدة المتوفى عنها زوجها
- ١١٥ ترتيب القرآن توقيفي
- ١١٦ اعتداد المتوفى عنها في بيتها
- ١١٦ عدة الوفاة للحامل وغيرها
- ١١٧ حداد المرأة على الميت
- ١١٧ لا يجوز خطبة المرأة في عدتها إلا تعريضاً
- ١١٨ جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها
- ١١٩ بيان الصلاة الوسطى وأنها العصر
- ١١٩ تحريم الكلام في الصلاة
- ١٢٠ صلاة الخوف تصح قياماً وركباً راجلين وراكبين أحياناً
- ١٢٠ بعض أنواع صلاة الخوف
- قصة طالوت مع جالوت وبيان أن أهل بدر كانوا على عدد أصحاب
- ١٢١ طالوت
- ١٢٢ آية الكرسي وفضلها وخصائصها
- ١٢٣ بيان وجود اسم الله الأعظم
- ١٢٣ من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها وتنزيه الله عما فيه إيهام
- ١٢٤ فائدة هامة تتعلق بآية الكرسي

توجيه قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وأنها منسوخة، وأنها كانت قبل الأمر

- بقتال الكفار ١٢٥
- من فضائل عبد الله بن سلام ١٢٦
- قصة الخليل في إحياء الطيور ١٢٧
- فضل الصدقة وأنها تضاعف ١٢٨
- تحريم المن في الصدقة ١٢٨
- النهي عن الصدقة بالذي لا يرضاه لنفسه ١٢٩
- من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا ١٣٠
- بيان المراد بالحكمة ١٣٠
- في كل من الجهر والإسرار بالصدقة خير كبير، والإسرار أفضل ١٣١
- جواز التصدق على القريب الكافر ١٣١
- بيان المسكين الذي ينبغي أن يعطى ١٣٢
- الربا وما جاء فيه من الوعيد ١٣٣
- أنواع الربا المحرم ثلاثة ١٣٤
- الربا العام ثلاثة وسبعون بابًا ١٣٥
- الوعيد الشديد للمرابي، وأنه ملعون ومعذب في البرزخ ١٣٥
- ظهور الربا سبب للهلاك ومآل المرابين الإفلاس ١٣٦
- المرابي محارب لله ١٣٧
- معاملة المعسر بالإنظار إلى وقت اليسر ١٣٩
- فضل من أنظر معسرًا ١٣٩
- آخر آية نزلت إطلاقًا ١٤٠
- مشروعية السلف والدين إلى أجل معلوم ١٤١
- بيان الشهود والشهادة ١٤٢
- مشروعية الإشهاد والكتابة عند البيع ١٤٣
- ما تدل عليه آية المدائنة من الأحكام ١٤٤

- ١٤٤ مشروعية الرهن سفرًا وحضرًا
- ١٤٥ جواز عدم الإشهاد والكتابة في الدين، مع وجوب أداء الأمانة لأهلها
- ١٤٦ تجاوز الله عما يحدث به المرء نفسه
- ١٤٦ رفع الحرج والخطأ والنسيان عن الأمة
- ١٤٧ من فضائل خواتيم سورة البقرة وخصائصها
- ١٥٠ □ سورة آل عمران
- ١٥٠ من خصائص السورة وهي أربعون خصيصة
- ١٥٣ بيان اسم الله الأعظم
- ١٥٣ بيان المحكم المتشابه
- ١٥٣ الحذر من أهل البدع
- ١٥٤ ذم المرء والجدال في كتاب الله تعالى
- ١٥٥ غرور اليهود وتكبرهم
- ١٥٥ من معجزات القرآن الكريم
- ١٥٦ عظم فتنة النساء
- ١٥٧ غلام يهودي كان يخدم النبي عليه السّلام فهده الله فمات على الإسلام
- ١٥٧ من خصائص سيدتنا عيسى وأمه سيدتنا مريم عليهما السّلام
- ١٥٨ أفضل نساء العالمين
- ١٥٩ الأطفال المتكلمون في المهد
- ١٥٩ من فضائل الزبير
- ١٦٠ من فضائل أهل البيت عليهم السّلام
- ١٦١ تخوف النصارى من مباهلة نبي الله
- ١٦١ مكاتبة نبي الله إلى هرقل عظيم الروم
- ١٦١ محاوره هرقل لأبي سفيان حول النبي ﷺ
- ١٦٣ نص كتاب رسول الله إلى هرقل
- ١٦٤ أولى الناس بإبراهيم أتباعه

| | |
|-----|--|
| ١٦٤ | الوعيد الشديد للحالفين على الكذب |
| ١٦٦ | لا يقبل الله ديناً غير دين الإسلام |
| ١٦٧ | قبول توبة المرتد إذا صحت توبته |
| ١٦٨ | من مات على الكفر لا يقبل منه شيء |
| ١٦٨ | فضل الإنفاق مما يحبه الإنسان |
| ١٦٨ | منقبة لأبي طلحة الأنصاري |
| ١٦٩ | بيان ما حرمه إسرائيل على نفسه |
| ١٧٠ | وجود الرجم في التوراة كالقرآن |
| ١٧١ | أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله المسجد الحرام |
| ١٧١ | فرضية الحج مرة في العمر وموجب ذلك |
| ١٧٢ | معنى تقوى الله حق تقاته |
| ١٧٣ | أشياء يرضاها الله لنا وأخرى يسخطها |
| ١٧٤ | وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| ١٧٤ | مراتب الإنكار |
| ١٧٤ | ذم التفرق في الدين |
| ١٧٥ | الخوارج والروافض شر خلق الله |
| ١٧٦ | الأمة المحمدية أكرم الأمم على الله |
| ١٧٧ | فضل من أسلم من أهل الكتاب |
| ١٧٨ | النهي عن اتخاذ الأصدقاء من غير المؤمنين |
| ١٧٩ | من فضائل الأنصار |
| ١٧٩ | قنوت النبي على الكفار ولعنهم |
| ١٨١ | بيان عظم عرض الجنة |
| ١٨٢ | فضل كظم الغيظ |
| ١٨٢ | رحمة الله بعباده بقبول توبتهم كلما أذنبوا وتابوا |
| ١٨٤ | النهي عن تمني لقاء العدو للقتال |

| | |
|-----|---|
| ١٨٥ | نصر الله رسوله ﷺ بالرعب مسيرة شهر |
| ١٨٥ | الكلام على غزوة أحد |
| ١٨٨ | مشروعية المشاورة في الأمور |
| ١٨٨ | مشاورات النبي وأصحابه |
| ١٨٩ | تحريم الغلول والوعيد في ذلك |
| ١٩٠ | من فضائل الشهداء |
| ١٩١ | بيان ما حصل في أعقاب غزوة أحد |
| ١٩٢ | من فضل: حسبنا الله ونعم الوكيل |
| ١٩٣ | وعيد مانعي الزكاة |
| ١٩٤ | فوز من زحزح عن النار وأدخل الجنة |
| ١٩٤ | من أسباب دخول الجنة |
| ١٩٤ | إذابة المنافقين لنبي الله عليه السلام وتحمله أذاهم |
| ١٩٦ | ذم الفرح بما لم يعطه الإنسان |
| ١٩٨ | آيات كان رسول الله يقرؤها إذا قام للتهجد... وويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها |
| ٢٠٠ | لا يضيّع الله أجر أي عامل من ذكر أو أنثى |
| ٢٠٠ | من فضل النجاشي |
| ٢٠١ | معنى الرباط وفضله |
| ٢٠٣ | □ سورة النساء |
| ٢٠٤ | من خصائصها وهي خمس وأربعون خصيصة |
| ٢٠٦ | فضيلة آيات خمس يحملن بشارات |
| ٢٠٧ | أصل خلق المرأة من الضلع |
| ٢٠٨ | من أحكام اليتامى مع الأوصياء |
| ٢٠٨ | جواز تعدد الزوجات |
| ٢٠٩ | إعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين من التركة إذا حضروا |
| ٢١٠ | السبع الموبقات ومنها أكل مال اليتيم |

| | |
|-----|---|
| ٢١١ | نزول آية المواريث |
| ٢١١ | الإجماع على أخذ الذكر مثل حظ الأنثيين في الإرث |
| ٢١١ | إخراج الديون من التركة قبل الوصية |
| ٢١٢ | حظ البنتين الثلثان مع العاصب |
| ٢١٢ | بيان الفرائض وأصحابها |
| ٢١٣ | الإخوة الأشقاء يحجبون الإخوة للأب |
| ٢١٣ | تحريم المضارة في الوصية |
| ٢١٤ | حكم الزاني... المحصن |
| ٢١٥ | قبول توبة العبد ما لم يفرغر |
| ٢١٦ | من سفاهة الجاهلية |
| ٢١٧ | معاشرة الأهل بالجميل وأنه ينبغي الإغضاء عما يصدر منهن |
| ٢١٨ | قتل من تزوج امرأة أبيه |
| ٢١٩ | يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب |
| ٢١٩ | تحريم الجمع بين الأختين |
| ٢٢٠ | تحريم تزوج المرأة المتزوجة |
| ٢٢١ | تحريم أكل أموال الناس بغير حق |
| ٢٢٢ | تحريم الانتحار بأي وسيلة |
| ٢٢٣ | أمور من الكبائر |
| ٢٢٣ | ضلال بعض نساء عصرنا بمطالبتهم بأمور الرجال الخاصة بهم |
| ٢٢٤ | إرشاد من ضاقت به الحال إلى سؤال الله تعالى من فضله |
| ٢٢٥ | حكم التحالف والتعاقد والتعاهد |
| ٢٢٦ | قوامية الرجال على النساء بنص القرآن |
| ٢٢٧ | ما ينبغي سلوكه مع المرأة الناشز |
| ٢٢٧ | بيان حقوق العشرة للزوجة |
| ٢٢٨ | بيان حقوق الله |

| | |
|-----|---|
| ٢٢٩ | فضل كافل اليتيم |
| ٢٢٩ | فضل القائم على الأرملة |
| ٢٣٠ | الإحسان إلى الجار |
| ٢٣٠ | جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة |
| ٢٣١ | سماع قراءة القرآن والبكاء عندها |
| ٢٣٢ | تجنب الصلاة عند السكر والنوم |
| ٢٣٣ | سبب نزول آية التيمم |
| ٢٣٤ | بيان أن الشرك لا يغفر |
| ٢٣٥ | الأمر بأداء الأمانات |
| | وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة عند التنازع، ووجوب طاعة الله ورسوله |
| ٢٣٦ | وأولي الأمر |
| ٢٣٧ | نفي الإيمان عن من لم يحكّم رسول الله في كل شأنه |
| ٢٣٨ | بيان موضع المنعم عليهم من النبيين والصالحين |
| ٢٣٩ | وجوب فك الأسارى من المسلمين والقتال لأجلهم |
| ٢٤٠ | إطاعة الرسول ﷺ هي من إطاعة الله تعالى |
| ٢٤٠ | وجوب الثبوت في الأمور وعدم التسرع في إذاعتها |
| ٢٤١ | فضل الشفاعة الحسنة |
| ٢٤٢ | مشروعية تحية الإسلام |
| ٢٤٢ | الكلام على المنافقين الذين خذلوا رسول الله في غزوة أحد |
| ٢٤٣ | وعيد قتل المؤمن عمداً |
| ٢٤٥ | وجوب الثبوت في قتل الكافر المستسلم |
| ٢٤٥ | لا يستوي المجاهدون والمتخلفون |
| ٢٤٦ | تحريم الإقامة مع المشركين في ديارهم وخاصة أهل الحرب منهم |
| ٢٤٧ | مشروعية الهجرة |
| ٢٤٨ | آية قصر الصلاة وما فيها |

| | | |
|-----|-------|--|
| ٢٤٩ | | صفة صلاة الخوف |
| ٢٤٩ | | آية تدل على اجتهاد الرسول ﷺ |
| ٢٥٠ | | قبول توبة العبد المذنب |
| ٢٥١ | | فضل الأمر بالخير والسعي في ذلك |
| ٢٥٢ | | كل ما يصاب به المسلم كان كفارة له |
| ٢٥٢ | | من فضائل الرسول والصديق |
| ٢٥٤ | | مصالحة الزوجين عند نشوز أحدهما |
| ٢٥٥ | | العدل بين النساء وما كان عليه نبي الله في القسم بين نساءه |
| ٢٥٥ | | بعض صفات المنافقين |
| ٢٥٦ | | ذم السبّاب |
| ٢٥٧ | | تحريم مطل الغني الواجد |
| ٢٥٧ | | آية تدل على نزول سيدنا عيسى عليه السلام |
| ٢٥٨ | | تكليم الله سيدنا موسى حقيقة والإجماع على ذلك |
| ٢٥٩ | | تحريم الغلو في الدين |
| | | فضل الإيمان بالله والتصديق برسالة محمد ﷺ والاعتقاد بأن عيسى عبد الله |
| ٢٦٠ | | ورسوله |
| ٢٦٠ | | بيان الكلاله (خاتمة سورة النساء) |
| ٢٦٣ | | □ سورة المائدة |
| ٢٦٣ | | مقاصدها وأهدافها |
| ٢٦٤ | | من خصائصها وهي نحو من خمس وثلاثين خصيصة |
| ٢٦٦ | | السورة من أواخر ما نزل |
| ٢٦٧ | | كتاب رسول الله لعمر وبن حزم |
| ٢٦٨ | | التعاون على البر والتقوى |
| ٢٦٨ | | ما أبيح من الميتة والدم |
| ٢٦٩ | | كل ما أراق الدم مع التسمية تعتبر ذكاة شرعية |

| | | |
|-----|-------|---|
| ٢٧٠ | | امتنان الله على هذه الأمة بإكمال الدين لها |
| ٢٧٠ | | المضطر الذي تحل له الميتة |
| ٢٧٢ | | مشروعية الصيد وأكل ما اصطيد بالجوارح |
| ٢٧٣ | | آية الوضوء والتيمم والغسل |
| ٢٧٤ | | وجوب الوضوء للصلاة إجماع |
| ٢٧٥ | | الصحابة الذي رويوا صفة الوضوء |
| ٢٧٥ | | أوجب وأجمع ما جاء في صفة الوضوء |
| ٢٧٦ | | وجوب غسل الرجلين بالإجماع خلافاً للذين يمسحونهما |
| ٢٧٧ | | من أسباب وجوب الغسل |
| ٢٧٨ | | صفة غسل النبي الكامل |
| ٢٧٩ | | الصعيد الطاهر يقوم مقام الماء والتيمم مقام الوضوء إذا فقد الماء |
| ٢٧٩ | | الصعيد وبيانه في اللغة |
| ٢٨٠ | | صفة التيمم في السنّة |
| ٢٨٠ | | معجزة للنبي مع الأعرابي الذي أراد الفتك به |
| ٢٨١ | | كتم اليهود كثيراً من الكتاب |
| ٢٨٢ | | زعم اليهود أنهم أبناء الله |
| ٢٨٢ | | فضل محبة الله عزّ وجل وأن الله لا يعذب حبيبه |
| ٢٨٣ | | بيان أنه لم يكن نبي بين نبينا وعيسى عليهما السّلام |
| ٢٨٤ | | من فضل الأنصار رضي الله تعالى عنهم |
| ٢٨٥ | | قصة ابني آدم وما حصل بينهما |
| ٢٨٥ | | عظم جرم القاتل الأول |
| ٢٨٦ | | ما ينبغي أن يكون عليه المسلم أيام الفتن وعدم تبيان الحق |
| ٢٨٧ | | آية الحرابة والبغاة |
| ٢٨٨ | | حكم المفسدين في الأرض |
| ٢٨٨ | | لا فداء للكافر يوم القيامة |

- ٢٨٩ بيان بعض مخازي اليهود ووجوب إقامة الحد عليهم
- ٢٩١ وجوب القصاص في الدماء والأطراف
- ٢٩٢ فضل العفو في الجنايات
- ٢٩٣ اختلاف شرائع الأنبياء ودينهم في الأصول واحد
- ٢٩٤ تحريم موالاة الكفار ووجوب البراءة منهم
- ٢٩٥ من فضائل أهل اليمن
- ٢٩٦ لعنة الله وغضبه على اليهود
- ٢٩٦ ثبوت مسخ اليهود قردة وخنازير
- ٢٩٦ من جرائم اليهود نسبتهم البخل لله
- ٢٩٧ من أحاديث وآيات الصفات
- ٢٩٧ وجود الكتب الإلهية مع عدم العمل بها لا يجدي شيئاً
- ٢٩٨ بيان أن الرسول بلغ كل ما أمر بتبليغه، فمن قال غير ذلك كان كافراً
- ٢٩٩ كان رسول الله معصوماً من الناس
- ٣٠٠ شؤم المعاصي وأهلها المصيرين عليها وذم من جالسهم وآكلهم
- ٣٠١ البكاء من خشية الله ومحبته من صفات الصديقين
- ٣٠٢ النهي عن تحريم طيبات ما أحل الله تعالى
- ٣٠٣ آية تحريم الخمر نهائياً
- ٣٠٤ بيان دلائل تحريم الخمر من القرآن
- ٣٠٥ أحاديث نبوية تدل على تحريم الخمر
- ٣٠٧ ما يستفاد من الأحاديث في ذلك
- ٣٠٨ فشو الخمر بيعاً وشراءً وشراباً
- ٣٠٨ تحريم الميسر بجميع أشكاله
- ٣١٠ إباحة صيد البحر وطعامه
- ٣١١ تحريم الصيد على المحرم
- ٣١٢ الكعبة المكرمة وحكمتها وحرمتها

| | |
|-----|---|
| ٣١٣ | ذم السؤال بلا فائدة |
| ٣١٤ | الأنعام التي حرّمها العرب |
| ٣١٤ | بيان البحيرة وما معها |
| ٣١٥ | من اهتدى ولزم نفسه لا يضره من ضل |
| ٣١٦ | شهادة الأجنبي في السفر |
| ٣١٨ | بيان شفقة النبي ورحمته بأمته وبكائه عليها |
| ٣٢٠ | □ سورة الأنعام |
| ٣٢٠ | أهدافها وخصائصها وهي سبع وعشرون خصيصة |
| ٣٢٢ | رحمة الله تغلب غضبه |
| ٣٢٢ | تعنت كفار قريش وعنادهم |
| ٣٢٣ | استدراج الله الناس |
| ٣٢٤ | فضل ضعفاء المؤمنين ووجوب ملازمتهم وعدم طردهم |
| ٣٢٤ | مفاتيح الغيب وبيانها |
| ٣٢٥ | آية تشير إلى الآلات الحربية الحالية المتطورة |
| ٣٢٦ | بيان معاني الظلم |
| ٣٢٧ | اقتداء النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام |
| ٣٢٧ | بيان مال العبد الذي يملكه |
| ٣٢٨ | آية تدل على عدم رؤية الله |
| ٣٢٩ | اختلاف العلماء في رؤية نبينا ربه ليلة الإسراء |
| ٣٢٩ | تقليب الله أفئدة عباده |
| ٣٣٠ | ثبوت شياطين في الإنس كالجن |
| ٣٣١ | بيان البر والإثم |
| ٣٣١ | تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه |
| ٣٣٢ | علامة من شرح الله صدره للإسلام |
| ٣٣٣ | حق المال عند الحصاد |

| | |
|-----|---|
| ٣٣٣ | الانتفاع من الميتة بإهابها |
| ٣٣٤ | تحريم الحمر الأهلية |
| ٣٣٥ | تحريم الخمر والميتة والخنزير والأصنام وتحريم تجميلها ثم بيعها |
| ٣٣٥ | إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمناً |
| ٣٣٦ | الصحيفة التي عليها خاتم رسول الله |
| ٣٣٧ | تحريم الفواحش |
| ٣٣٧ | الله يحب أن يمدح... وغيره الله أشد |
| ٣٣٨ | صراط الله المستقيم |
| ٣٣٨ | أحاديث تدل على طلوع الشمس من مغربها |
| ٣٣٩ | ما يستفاد منها |
| ٣٤٠ | تضاعف حسنات المؤمن وتفضل الله عليه |
| ٣٤٢ | □ سورة الأعراف |
| ٣٤٢ | خصائصها وهي عشرون خصيصة |
| ٣٤٥ | حمد الله عند لبس الثوب الجديد والتصدق بالبالي والفضل في ذلك |
| ٣٤٦ | أصل الهداية والضلال |
| ٣٤٦ | كشف العورات من مظاهر الجاهلية |
| ٣٤٧ | وجوب ستر العورات |
| ٣٤٧ | إباحة الأكل والشرب واللباس... إذا كان ذلك خالياً من الإسراف |
| ٣٤٨ | مشهد الكفار والمؤمنون عند الموت |
| ٣٤٩ | من نعم الله على المؤمن في الجنة |
| ٣٤٩ | لا بدّ لدخول الجنة من عمل |
| ٣٤٩ | كيف نادى رسول الله من قتل من كفار قريش |
| ٣٥٠ | ثبوت سماع الأموات كلام الأحياء |
| ٣٥١ | النهي عن الاعتداء في الدعاء |
| ٣٥١ | النهي عن طلب الآيات المعجزة والإشارة إلى قصة قوم صالح |

| | | |
|-----|-------|--|
| ٣٥٢ | | حكم فاعل عمل قوم لوط |
| ٣٥٣ | | النهي عن التشبه بالكفار |
| ٣٥٤ | | كيف تجلى الله للجبل فجعله دكًا |
| ٣٥٥ | | محاججة آدم وموسى |
| ٣٥٥ | | من هم أهل رحمة الله |
| ٣٥٦ | | رحمة الله رحمتان عامة وخاصة |
| ٣٥٧ | | وجود صفة نبي الله محمد ﷺ في التوراة |
| ٣٥٨ | | من فضائل أبي بكر وعمر |
| ٣٥٩ | | عموم دعوة نبي الله محمد ﷺ |
| ٣٦٠ | | بيان ما أخذه الله من الميثاق على عباده في عالم الأرواح |
| ٣٦٠ | | من أحاديث الصفات |
| ٣٦٢ | | قصة ابن باعوراء إمام علماء السوء |
| ٣٦٣ | | خلقت الجنة وخلق لها أهل |
| ٣٦٣ | | فضل أسماء الله الحسنى ومشروعية الدعاء بها |
| ٣٦٤ | | من الأخلاق الحسنة التي يتأدب بها المسلم الأخذ بالعفو والأمر بالمعروف |
| ٣٦٦ | | □ سورة الأنفال |
| ٣٦٦ | | خصائصها الستة عشر |
| ٣٦٧ | | الأنفال وأحكامها |
| ٣٦٨ | | الكلام على غزوة بدر |
| ٣٧٤ | | شر الدواب عند الله الكفار |
| ٣٧٤ | | وجوب الاستجابة لله وللرسول ﷺ |
| ٣٧٤ | | من فضائل فاتحة الكتاب |
| ٣٧٥ | | وجوب الحذر من الفتنة العامة |
| ٣٧٦ | | مؤامرة الكفار ضد النبي عليه الصلاة والسلام وإرادتهم قتله |
| ٣٧٧ | | ما كان الله ليعذب الكفار ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم |

- ٣٧٨ تبرؤ النبي ﷺ من الكفار إطلاقاً
- ٣٧٨ فضل الإسلام والهجرة والحج وأنها تهدم ما قبلها من الذنوب
- ٣٧٩ حكم الغنيمة وبيان تخميسها
- ٣٨٠ النهي عن تمني لقاء العدو
- ٣٨١ بيان مخادعة إبليس كفار قريش
- ٣٨٢ الاستعداد للكفار وبيان القوة المأمور بها، وفضل الخيل
- ٣٨٣ تأليف الله بين قلوب المؤمنين
- ٣٨٤ بيان حكم آية المصابرة
- ٣٨٥ من تمتة الكلام على غزوة بدر والكلام على فداء الأسارى
- ٣٨٨ المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض
- ٣٩١ □ سورة التوبة
- ٣٩١ أهدافها وخصائصها وهي ثمان وعشرون خصيصة
- ٣٩٤ سبب عدم ذكر البسمللة في السورة
- ٣٩٥ بيان قطع العلاقة بين الله ورسوله وبين المشركين
- ٣٩٥ بيان المدة المضروبة للمعاهدين
- ٣٩٧ وجوب قتال الكفار حتى يسلموا
- ٣٩٨ وجوب قتل من طعن في الدين
- ٣٩٩ عُمّار المساجد هم المؤمنون
- ٣٩٩ الإيمان بالله... لا يساويه شيء
- ٤٠٠ وجوب تقديم محبة الله ورسوله على كل المحبوبات
- ٤٠١ الكلام على غزوة حنين
- ٤٠٢ التذكير بنعم الله تعالى على الصحابة
- ٤٠٣ اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون
- ٤٠٤ وعد من الله بظهور الإسلام على سائر الأديان وانتشاره في الآفاق
- ٤٠٥ وعيد مانعي الزكاة

| | |
|-----|---|
| ٤٠٧ | من وعيد مانعي الزكاة أيضاً |
| ٤٠٨ | الشهور المعتمدة شرعاً عند الله اثنا عشر شهراً |
| ٤٠٩ | التزهيد في الحياة الدنيا |
| ٤١٠ | التذكير بآية الهجرة النبوية |
| ٤١١ | لمز بعض المنافقين ورئيس الخوارج نبي الله في قسم الصدقات |
| ٤١٢ | مصاريف الزكاة |
| ٤١٤ | كفر الطاعن في القرآن ولو لعباً |
| ٤١٥ | من جرائم المنافقين |
| ٤١٦ | النهي عن لمز المتطوعين بالصدقة |
| ٤١٧ | النهي عن الصلاة على المنافقين |
| ٤١٨ | لا حرج على أصحاب الأعداء من التخلف عن الجهاد |
| ٤١٩ | من جرائم المنافقين أيضاً |
| ٤٢٠ | بيان مال من خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً |
| ٤٢١ | مشروعية الدعاء لأهل الصدقة |
| ٤٢١ | فضل الصدقة عند الله تعالى |
| ٤٢٢ | المسجد المؤسس على التقوى |
| ٤٢٣ | النهي عن الاستغفار للمشركين |
| ٤٢٤ | توبة الله على الثلاثة المتخلفين |
| ٤٢٧ | □ سورة يونس |
| ٤٢٧ | مقاصدها وخصائصها |
| ٤٢٨ | النهي عن الدعاء على النفس |
| ٤٢٨ | الاستخلاف في الأرض والابتلاء في ذلك بالدنيا والنساء |
| ٤٢٩ | بيان الصراط المستقيم في ضرب مثل |
| ٤٣٠ | آية تدل على رؤية الله في الجنة ويوضحها حديث نبي شريف |
| ٤٣٠ | بيان أولياء الله وصفاتهم |

| | |
|-----|--|
| ٤٣٢ | بشرى أولياء الله في الدنيا |
| ٤٣٣ | تجديد شكر الله تعالى على نعمه |
| ٤٣٣ | إغراق فرعون وما حصل في ذلك من جبريل |
| ٤٣٥ | □ سورة هود |
| ٤٣٥ | مقاصدها وخصائصها |
| ٤٣٦ | إحاطة الله العلمية |
| ٤٣٧ | آية: (وكان عرشه على الماء) ... وما جاء في خلق العرش |
| ٤٣٨ | كل من سمع بالنبي ولم يؤمن به وبما جاء به كان من أهل النار |
| ٤٣٩ | كيف يناجي الله عبده المؤمن يوم القيامة |
| ٤٤٠ | سيدنا نوح وسؤاله ربه ما ليس له به علم حول ابنه |
| ٤٤١ | سيدنا صالح وقومه وما نزل بهم |
| ٤٤١ | كان لوط يأوي إلى ركن شديد |
| ٤٤٢ | تهديد للظالمين بالعذاب |
| ٤٤٢ | إمهال الظالمين واستدراجهم |
| ٤٤٣ | العمل على ما سبق به القدر |
| ٤٤٣ | وجوب النار لمن ركن إلى الظلمة |
| ٤٤٤ | وعيد أعوان الظلمة ومخالطيهم |
| ٤٤٤ | بشارة للمؤمنين المذنبين التوابين وأن الحسنات يذهبن السيئات |
| ٤٤٧ | □ سورة يوسف |
| ٤٤٨ | خصائص السورة وهي ثلاث وثلاثون خصيصة |
| ٤٥١ | لطيفة هامة في أن للظواهر غايات لا تُعلم حقائقها التي فيها |
| ٤٥٢ | الأعلام وغيرها التي ذكرت في السورة |
| ٤٥٣ | حرص الصحابة على نزول القرآن |
| ٤٥٤ | يوسف كريم ابن الكرماء |

- ٤٥٤ أكرم الناس عند الله
- ٤٥٦ من تواضع نبينا عليه السَّلام
- ٤٥٦ خلاصة ما دار بين يوسف وبين ملك مصر في شأن النساء
- ٤٥٨ □ سورة الرعد
- ٤٥٨ من خصائصها
- ٤٥٩ اختلاف الفواكه بعضها عن بعض في الأكل مع سقيها بماء واحد
- ٤٦٠ دقة علم الله بالكائنات
- ٤٦٠ تعاقب الملائكة على بني آدم
- ٤٦١ بيان أن الرعد اسم ملك وأن صوته زجره للسحاب
- ٤٦٢ إرسال الله الصواعق على من شاء من العتاة
- ٤٦٣ □ سورة إبراهيم
- ٤٦٣ خصائصها
- ٤٦٤ كان الأنبياء يبعثون بلغات أممها
- ٤٦٤ التذكير بنعم الله وأيامه
- ٤٦٥ مثل المؤمن كمثل النخلة
- ٤٦٦ بيان كيف يثبت الله المؤمن
- ٤٦٧ تبديل نعمة الله كفرًا
- ٤٦٧ اهتمام النبي ﷺ بأمته
- ٤٦٨ الابتعاد من ديار المغضوب عليهم والإقامة بها
- ٤٦٩ كيف يبذل الله الأرض والسموات وأين يكون الناس يومئذ
- ٤٧١ □ سورة الحجر
- ٤٧١ خصائصها
- ٤٧٢ متى يتمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين
- ٤٧٤ الإقسام بحياة النبي عليه الصَّلَاة والسَّلام

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| ما هي فراسة المؤمن | ٤٧٥ |
| مرور النبي بأصحاب الحجر | ٤٧٥ |
| السبع المثاني هي الفاتحة | ٤٧٦ |
| كان رسول الله عليه الصّلاة والسّلام النذير العريان | ٤٧٧ |
| من خير معاش الناس مجاهد في سبيل الله أو رجل معتزل يتعبّد | ٤٧٨ |
| □ سورة النحل | ٤٨٠ |
| مقاصدها وخصائصها | ٤٨٠ |
| جزاء المؤمن يعجل له في الدنيا وما في الآخرة أعظم | ٤٨٢ |
| فضل صلاة الزوال قبل صلاة الظهر | ٤٨٣ |
| ما من شيء من الكائنات إلّا وهو يسبح الله عزّ وجل | ٤٨٣ |
| مثل المؤمن كالنحل | ٤٨٣ |
| العسل ومنافعه | ٤٨٤ |
| بيان العمر الأردل | ٤٨٥ |
| أشكال عذاب الكافر | ٤٨٦ |
| أجمع آية في القرآن في الأمر والنهي والحلال والحرام | ٤٨٦ |
| لا حرج على من فعل محرماً عن إكراه كفرًا كان أم غيره | ٤٨٨ |
| جواز مقابلة المسيء على إساءته | ٤٨٨ |
| □ سورة الإسراء | ٤٩٠ |
| خصائصها | ٤٩٠ |
| أحاديث الإسراء والمعراج | ٤٩١ |
| أهمية الشكر لله | ٤٩٥ |
| كيف يمتحن الله يوم القيامة أصمًا وأحمقًا وهرمًا وميتًا في الفترة | ٤٩٦ |
| الإحسان إلى القريبى والمساكين | ٤٩٧ |
| خطورة فاحشة الزنا | ٤٩٧ |

| | |
|-----|---|
| ٤٩٨ | معجزة نبي الله داود عليه السَّلام |
| ٤٩٩ | السر في عدم إجابة الله مقترحات الكفار في طلب الآيات |
| ٥٠٠ | رؤيا النبي التي كانت فتنة للناس وبيان الشجرة الملعونة |
| ٥٠١ | آية تدل على الأمر بالصلوات الخمس |
| ٥٠١ | شهود الملائكة صلاة الفجر |
| ٥٠٢ | المقام المحمود وشفاعة نبي الله العظيمى |
| ٥٠٤ | بيان المدخل الصدق والمخرج |
| ٥٠٤ | طعن رسول الله الأصنام يوم فتح مكة بمخصرة |
| ٥٠٥ | سؤال اليهود عن الروح والجواب عنه بأنه من أمر الله |
| ٥٠٦ | حديث يدل على رفع القرآن |
| ٥٠٧ | بيان كيف يحشر الناس يوم القيامة |
| ٥٠٨ | مشروعية الدعاء بجميع أسماء الله عزَّ وجل |
| ٥٠٨ | سلوك الوسط في القراءة جهراً وسراً |
| ٥١١ | □ سورة الكهف |
| ٥١١ | بيان خصائصها وما فيها من القصص العظيمة |
| ٥١٣ | كل عمل بمشيئة الله يكون |
| ٥١٣ | من فضائل فقراء الصحابة |
| ٥١٥ | من فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله |
| ٥١٦ | حشر الناس كما خلقوا |
| ٥١٧ | الحض على قيام الليل |
| ٥١٨ | قصة موسى والخضر عليهما السلام |
| ٥٢١ | ذو القرنين وسد يأجوج ومأجوج |
| ٥٢٢ | معنى الصُّور |
| ٥٢٣ | أخسر الناس يوم القيامة |
| ٥٢٣ | لا وزن للكافر يوم القيامة |
| ٥٢٤ | بيان خطر الرياء وأنه شرك أصغر |

الجزء الثاني

| | | |
|-----|-------|--|
| ٥٢٧ | | □ سورة مريم |
| ٥٢٧ | | أهدافها وبيان خصائصها |
| ٥٢٨ | | جواز التسمي بأسماء الأنبياء |
| ٥٢٨ | | بيان ذبح الموت يوم القيامة |
| ٥٢٩ | | محاججة آدم وموسى عليهما السلام |
| ٥٣٠ | | تنزل جبريل يكون بأمر الله |
| ٥٣١ | | الحلال والحرام والمسكوت عنه |
| ٥٣٢ | | مراتب الناس في المرور على الصراط |
| ٥٣٢ | | أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة |
| ٥٣٣ | | غرور العاصي بن وائل اللعين |
| ٥٣٤ | | إلقاء محبة المؤمنين الصالحين في قلوب العباد |
| ٥٣٦ | | □ سورة طه |
| ٥٣٦ | | خصائصها |
| ٥٣٧ | | كفارة من نام عن الصلاة أو نسيها |
| ٥٣٨ | | أهل النار لا يموتون فيها |
| ٥٣٩ | | موت عصاة المؤمنين في النار |
| ٥٤٠ | | عصيان سيدنا آدم عليه السلام كان نسياناً |
| ٥٤٠ | | شقاء من أعرض عن ذكر الله وتعبأسته |
| ٥٤١ | | الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وغروبها |
| ٥٤٢ | | أمر أهل الصلاة وخاصة عند الضيق ونزول الشدائد |
| ٥٤٣ | | □ سورة الأنبياء |
| ٥٤٣ | | موضوعها وخصائصها |
| ٥٤٤ | | التحذير من الغفلة مع دنو الحساب |

- ٥٤٥ اعتقاد وقوع الميزان يوم القيامة وأن له كفتين للحسنات والسيئات
- ٥٤٦ قصة الخليل عليه السلام في تحطيم الأصنام
- ٥٤٧ حكومة لداود وسليمان عليهما السلام
- ٥٤٨ دعوة ذي النون عليه السلام
- ٥٤٩ خروج يأجوج ومأجوج على الناس
- ٥٥١ آخر الزمان
- ٥٥٢ بيان أن الكفار ومعبوداتهم في النار
- ٥٥١ بيان أن من سبقت لهم الحسنى ممن عبده الكفار ليسوا في النار
- ٥٥٢ يحشر العباد كما ولدوا حفاة عراة
- ٥٥٢ بعث رسولنا رحمة للعالمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
- ٥٥٤ □ سورة الحج
- ٥٥٤ أهدافها وخصائصها
- ٥٥٦ مظهر من مظاهر القيامة وحالة الناس فيها
- ٥٥٧ الأمة المحمدية مع الأمم الأخرى يوم القيامة وأن الأمة تحتل نصف الجنة
- ٥٥٨ من أظهر دلائل التوحيد خلق الإنسان
- ٥٥٩ بيان أن كل شيء بقدر خير وشر
- ٥٦٠ أول من يجثو للخصومة يوم القيامة
- ٥٦١ من أنواع عذاب الكفار في جهنم
- ٥٦١ حلية المؤمن في الجنة ولباسه
- ٥٦٢ التحذير من الإلحاد بالحرم
- ٥٦٣ تسمية البيت الحرام بالبيت الضيق
- ٥٦٣ الهدايا والأكل والإطعام منها
- ٥٦٤ أول آية نزلت بالأذن في الجهاد
- ٥٦٥ مقدار يوم القيامة
- ٥٦٦ لا يستطيع أحد أن يخلق شيئاً فيه روح أبداً

- الله تعالى هو سمّانا المسلمين ٥٦٦
- سورة المؤمنين ٥٦٨
- موضوعها وخصائصها ٥٦٨
- من صفات المؤمنين سكان الفردوس ٥٦٩
- تكلم الجنة عندما خلقها الله عز وجل ٥٦٩
- درجات الجنة وأعلىها الفردوس ٥٧٠
- خلق الإنسان من طين ٥٧١
- شجرة الزيتون ومنافعها ٥٧١
- إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً ٥٧٢
- إن المؤمن جمع بين العمل الصالح والخوف ٥٧٣
- استعادة تقال عند النوم من الفزع ٥٧٥
- التميمة العجيزة والممنوعة ٥٧٦
- نسب النبي وسببه غير منقطع يوم القيامة ٥٧٦
- بعض صفات أهل النار فيها ٥٧٧
- بعض مواقف اليهود في الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ٥٧٧
- سورة النور ٥٧٩
- موضوعها وخصائصها ٥٧٩
- حكم الزاني والزانية الأعزبين ٥٨١
- تحريم التزوج بالزانية ٥٨٢
- بيان اللعان وحكمه في الإسلام وصفات ذلك ٥٨٣
- حادث الإفك المتعلق بمولاتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها
وتبرئة الله تعالى إياها ٥٨٥
- من قذف مولاتنا عائشة كان كافراً ٥٩٣
- من قال مخلدة في النار كان كافراً ٥٩٣

- ٥٩٤ عدة فضائل لهذه السيدة من القرآن وغيره
- ٥٩٥ خسارة الذين يقولون عنها إنها ماتت كافرة
- ٥٩٥ التحذير من رمي المحصنات بالزنا كذبًا
- ٥٩٥ بيان الموبقات من المعاصي
- ٥٩٦ شهادة الجوارح على الإنسان يوم القيامة
- ٥٩٦ وجوب الاستئذان في الدخول لدار الغير
- ٥٩٨ وجوب غض الأبصار عن المحرمات
- ٥٩٩ وجوب اتخاذ النساء الخمار
- ٥٩٩ النهي عن إكراه الفتيات على البغاء
- ٦٠٠ دعاء عظيم يقال عند قيام الليل
- ٦٠١ معنى: الله نور السماوات والأرض
- ٦٠١ هداية الخلق منوطة بنور الله
- ٦٠٢ وعد من الله لاستخلاف عباده الصالحين في الأرض
- ٦٠٢ حديث الخلفاء والأمراء الاثني عشر
- ٦٠٣ من هم هؤلاء الخلفاء
- ٦٠٣ الخلافة الراشدة كانت ثلاثين سنة يعني متوالية
- ٦٠٤ لا حرج في الإطعام من بيوت الأقارب
- ٦٠٦ □ سورة الفرقان
- ٦٠٦ موضوعها وخصائصها
- ٦٠٨ حشر الكافر يوم القيامة على وجهه
- ٦٠٨ من سر تعاقب الليل والنهار
- ٦٠٩ أعظم الذنوب عند الله تعالى
- ٦١١ □ سورة الشعراء
- ٦١١ موضوعها وخصائصها

- ٦١٢ إنذار النبي عليه السلام أقاربه
- ٦١٤ بيان أن ذكر مولاتنا فاطمة عليها السلام في حديث الإنذار وَهَمَّ من الرواة
- ٦١٤ الشياطين لا تنزل إلا على الكذابين الآثمين
- ٦١٥ قد يكون الشعر جهادًا للكفار
- ٦١٦ بيان الشعر المحمود منه والمذموم
- ٦١٧ □ سورة النمل
- ٦١٧ من خصائصها
- ٦١٨ من صفات الله عز وجل
- ٦١٩ الدعاء لا يكون إلا لله
- ٦٢٠ خروج دابة الأرض من أشراط الساعة
- ٦٢٠ عشر خصال من أشراط الساعة
- ٦٢١ حرمة البلد الأمين مكة المكرمة
- ٦٢٢ □ سورة القصص
- ٦٢٢ من خصائصها
- ٦٢٣ أي الأجلين الذي قضاه موسى
- ٦٢٤ أناس يؤتون أجرهم مرتين
- ٦٢٥ نزول آية في أبي طالب تدل على عدم إيمانه
- ٦٢٦ حرمة البلد الحرام
- ٦٢٦ مكة هي المعاد
- ٦٢٦ كل شيء هالك إلا الله
- ٦٢٨ □ سورة العنكبوت
- ٦٢٨ موضوعها ومن خصائصها
- الوصاية بالوالدين وإن كانا كافرين، وذكر آيات نزلت في سعد بن
- ٦٢٩ أبي وقاص وأمه

- ٦٣٠ بيان بعض ما كان قوم لوط يأتونه
- ٦٣٠ أهمية الصلاة في تهذيب الأخلاق
- ٦٣١ الأمر بالإيمان بما أنزل
- ٦٣٢ □ سورة الروم
- ٦٣٢ من خصائصها
- ٦٣٣ المعجزة الخالدة في تغلب الروم على فارس وإخبار القرآن بذلك قبل الوقوع
- ٦٣٥ تكذيب ابن آدم لله تعالى وشتمه إياه
- ٦٣٦ الخلق مفطورون على الإسلام ما لم يغيروا بواسطة آبائهم
- ٦٣٧ بحث في سماع الأموات كلام الأحياء
- ٦٤٠ □ سورة لقمان
- ٦٤٠ من خصائصها
- ٦٤١ تحريم بيع المغنيات وتعليمهن ذلك
- ٦٤١ ظاهرة الأغاني النسائية الحالية
- ٦٤١ إن الله إذا استودع شيئاً حفظه
- ٦٤٢ بيان بعض ما تعانيه الأم من متاعب في الإنجاب
- ٦٤٣ بركة الديكة وشؤم الحمير
- ٦٤٣ بيان مفاتيح الغيب الخمس:
- ٦٤٤ بحث في معرفة الغيبات
- ٦٤٧ □ سورة السجدة
- ٦٤٧ من خصائصها
- ٦٤٨ - ٦٤٧ مشروعية قراءة سورة السجدة في صلاة صبح الجمعة وعند النوم
- ٦٤٨ حديث معاذ في بيان مقاصد الشريعة وأمهاث الدين وموجبات الجنة
- ٦٤٩ من فضائل قيام الليل للتهجد
- ٦٤٩ حديث يكشف عن سعة رحمة الله تعالى

| | |
|-----|---|
| ٦٥٠ | أهمية انتظار صلاة العشاء |
| ٦٥١ | من مصائب الدنيا |
| ٦٥٢ | □ سورة الأحزاب |
| ٦٥٢ | خصائصها الهامة التي خصت بها |
| ٦٥٤ | نفي وجود قلبية للإنسان |
| ٦٥٤ | بيان آية التبني وأن الواجب من أولاد الغير نسبتهم إلى آبائهم إن كانوا |
| ٦٥٥ | النبي أولى بكل مؤمن من نفسه |
| ٦٥٥ | بيان قصة غزوة الأحزاب وما وقع فيها من الشدائد |
| ٦٥٧ | بيان رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه |
| | أمر الله نبيه عليه السلام بتخيير نسائه بين الله ورسوله والدار الآخرة وبين |
| ٦٥٩ | الدنيا ومتاعها |
| ٦٦١ | آية التطهير وسبب نزولها |
| ٦٦١ | من هم أهل البيت |
| ٦٦٢ | النساء كالرجال في كل خير وفضل |
| ٦٦٣ | فضل من قام من الليل وأيقظ أهله فصليًا معًا |
| ٦٦٣ | لا اختيار للإنسان مع قضاء الله ورسوله |
| ٦٦٤ | فضل جلييب الصحابي |
| ٦٦٤ | آية تبين أن الرسول قد بلغ كل ما أمر به ولم يكتب منه شيئًا |
| ٦٦٥ | قصة طلاق زيد زينب وتزوج النبي بها |
| ٦٦٦ | وجوب قول كلمة الحق وتغيير المنكر |
| ٦٦٧ | بيان أن رسولنا هو خاتم النبيين وأن كل من ادعى النبوة بعده فهو دجال كافر |
| ٦٦٧ | من صفات رسول الله العظيمة وصفته في التوراة |
| | لا غضاضة في عرض المرأة نفسها على من يتزوج بها وخاصة إذا كان |
| ٦٦٨ | الرجل صالحًا |
| ٦٧٢ | آية الثقلاء التي أدب الله بها من أساء الأدب مع رسول الله |

| | |
|-----|--|
| ٦٧٢ | آية حجاب نساء النبي عليه السلام |
| ٦٧٤ | الأمر الإلهي بالصلاة على رسول الله |
| ٦٧٤ | لعن من آذى الله ورسوله |
| ٦٧٥ | آية تدل على وجوب حجاب النساء |
| ٦٧٦ | بحث في وجوب الحجاب |
| ٦٧٧ | نهى المؤمنين عن التشبه باليهود في إذاية نبيهم موسى |
| ٦٧٩ | □ سورة سبأ |
| ٦٧٩ | من خصائصها |
| ٦٨٠ | قصة سبأ وما كان من أمرهم |
| ٦٨١ | شأن المؤمن الموقِّع |
| ٦٨٢ | حالة الملائكة في السماء إذا قضى الله الأمر |
| ٦٨٣ | من خصائصه ﷺ |
| ٦٨٣ | فضل المنفق وخسارة الممسك |
| ٦٨٤ | من صفات الله تعالى السمع والبصر |
| ٦٨٦ | □ سورة فاطر |
| ٦٨٦ | من خصائصها |
| ٦٨٧ | بيان أن للملائكة أجنحة عدة |
| ٦٨٧ | بحث في زيادة العمر والرزق |
| ٦٨٨ | بشارة عظيمة لأهل القرآن وللأمة المحمدية |
| ٦٨٩ | عذاب الكفار مستمر |
| ٦٨٩ | بيان السن التي لا يعذر بعدها الإنسان |
| ٦٩١ | □ سورة يٰسّ |
| ٦٩١ | حديث في فضل يٰسّ |
| ٦٩٢ | من خصائصها |

- ٦٩٢ من خصائصها أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى
- ٦٩٣ كتابة الخطى إلى الصلاة
- ٦٩٤ بيان سجود الشمس ومستقرها
- ٦٩٥ بيان أن الشمس تجري وتسبح في فلکها
- ٦٩٥ من اعتقد وقوف الشمس كان كافراً
- ٦٩٥ مشهد من مشاهد مجادلة العبد ربه يوم القيامة وشهادة جوارحه عليه
- ٦٩٦ تبرئة رسول الله من الشعر وتزييه عنه
- ٦٩٧ ضرب الكافر مثلاً لله تعالى ونسيانه خلقه وأنه خلقه من نطفة
- ٦٩٨ تصرف الله في ملكه وأنه لا يعجزه شيء
- سورة الصافات ٦٩٩
- ٦٩٩ من خصائصها
- ٧٠٠ أصول بني آدم الموجودين حالياً
- ٧٠١ من خصائص هذه الأمة
- ٧٠٣ بيان التخفيف في الصلاة وأنه نسبي
- ٧٠٣ القراءة بالصافات من التخفيف
- سورة ص ٧٠٤
- ٧٠٤ من خصائصها
- ٧٠٥ بيان تعجب الكفار من وحدة الألوهية
- ٧٠٦ سجدة ص: تسجد شكراً لله عز وجل
- ٧٠٦ عائشة تصنع فرساً بجناحين تلعب به
- ٧٠٧ قطع أو مسح سليمان عليه السلام لأعناق الخيل
- ٧٠٧ رسول الله يقبض عفريتاً ثم يطلقه
- ٧٠٨ رؤية المؤمنين ربهم في جنات عدن
- ٧٠٩ تنوع العذاب للكافرين في جهنم

| | |
|-----|---|
| ٧١٠ | رؤية نبي الله ربه في المنام في أحسن صورة |
| ٧١٠ | بيان الكفارات والدرجات |
| ٧١١ | بيان ما يدل على أن النبي علمه الله كل شيء |
| ٧١٢ | □ سورة الزمر |
| ٧١٢ | من خصائصها |
| ٧١٣ | فضل الجمع بين الخوف والرجاء |
| ٧١٤ | فضل من فقد عينيه وأن جزاءه الجنة |
| ٧١٤ | تفاضل أهل الجنة في المنازل والغرف |
| ٧١٥ | كل مخلوق ميت، وتكرر الخصومة يوم القيامة |
| ٧١٦ | بيان الموتين الصغرى والكبرى |
| ٧١٦ | النوم موت أصغر وقبض للروح |
| ٧١٦ | ذكر ودعاء كان رسول الله يفتتح به صلاة الليل |
| ٧١٧ | ذكر يقال صباحًا ومساءً وعند النوم |
| ٧١٧ | من أرجى الآيات في القرآن الكريم |
| ٧١٨ | تمنى الناس يوم القيامة الهداية |
| ٧١٩ | من صفات الله تعالى وعظمته |
| ٧٢٠ | مذهب السلف في آيات وأحاديث الصفات |
| ٧٢١ | إبطال قول بعضهم بأن أحاديث طي السماوات ... شاذة |
| | النهي عن التفاضل بين الأنبياء وبيان أن نبينا أول من يبعث فيجد سيدنا |
| ٧٢٢ | موسى قائمًا |
| ٧٢٣ | بيان النفختين وما بينهما |
| ٧٢٤ | فضل «حسبنا الله ونعم الوكيل» عند الشدائد |
| ٧٢٥ | □ سورة المؤمن |
| ٧٢٥ | من خصائصها |

- ٧٢٦ ذكر يقال عقب الصلاة
- ٧٢٧ أشد ما صنع المشركون برسول الله
- ٧٢٨ عرض النار على الكفار غدوًا وعشيًا
- ٧٢٨ عرض مقاعد أهل النار وأهل الجنة عليهم غدوًا وعشيًا كذلك
- ٧٢٨ الترغيب في الدعاء وأنه هو العبادة
- ٧٣٠ □ سورة فصلت
- ٧٣٠ من خصائصها
- ٧٣١ تعجب عتبة بن ربيعة من القرآن وحلفه أنه ما سمع بمثله قط
- ٧٣٣ ريح الصبا بها نصر النبي عليه السلام في الخندق
- ٧٣٣ شهادة الجوارح على الإنسان يوم القيامة
- ٧٣٥ لا يقدر الله قومًا لا يؤخذ لضعيفهم من قويمهم
- ٧٣٥ مشروعية حسن الظن بالله تعالى
- ٧٣٦ أهل الاستقامة لا يخافون ولا يحزنون
- ٧٣٦ الشمس والقمر آيتان يخوف الله بهما عباده
- ٧٣٨ □ سورة الشورى
- ٧٣٨ من خصائصها
- ٧٤٠ من صفات نزول الوحي على نبي الله عليه السلام
- ٧٤٠ حديث يحتوي على معجزة وآية لله عز وجل
- ٧٤١ ما قدره الله لا يتبدل أبدًا
- ٧٤٢ دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة
- ٧٤٢ وجوب مودة قربي النبي عليه السلام
- ٧٤٣ قبول الله توبة عباده وعفوه عن سيئاتهم
- ٧٤٣ معنى التوبة وشروطها وقبولها
- ٧٤٤ كل ما يصاب به الإنسان فهو السبب فيه غالبًا

- ٧٤٤ كل ما يصاب به الإنسان كفارة لما قد عساه أن يكون فعله
- ٧٤٥ فضل العفو عن المسيء
- ٧٤٥ من ظلم أو سُتِمَ كان معه ملك يرد عنه
- ٧٤٦ جواز الانتصار ممن ظلمه أو أساء إليه
- ٧٤٦ أنواع الوحي الإلهي ثلاثة
- ٧٤٨ □ سورة الزخرف
- ٧٤٨ من خصائصها
- ٧٤٩ الذكر والدعاء المشروعان عند الركوب
- ٧٥٠ ذكر السفر خروجًا ورجوعًا
- ٧٥٠ مشهد من مشاهدٍ عظيمٍ زُهد رسول الله عليه السلام في هذه الحياة
- ٧٥١ إنكاره على عمر في طلبه منه السؤال للتوسع على أمته
- ٧٥٢ علامة الاستدراج من الله للعبد
- ٧٥٣ جدال الكفار لنبي الله و ضربهم له المثل بسيدنا عيسى عليه السلام
- ٧٥٣ نزول سيدنا عيسى عليه السلام من أشراط الساعة
- ٧٥٤ مالك خازن النار يسلم على نبينا عليه السلام
- ٧٥٥ □ سورة الدخان
- ٧٥٥ من خصائصها
- ٧٥٦ دعاء النبي على قريش بالسنين لما استعصوا
يقال لأهل الجنة: لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وتعيشوا فلا تموتوا، وتشبعوا
فلا تياسوا
- ٧٥٧ □ سورة الجاثية
- ٧٥٨ من خصائصها
- ٧٥٨ التحذير من اتباع الهوى

| | |
|-----|---|
| | النهي عن سب الدهر لأنه مخلوق مذلل لا ضرر له ولا نفع، فمن سبه كأنما |
| ٧٥٩ | سب الله |
| ٧٦٠ | عظمة الله عز وجل وكبرياؤه |
| ٧٦٠ | صفات الله تعالى يجب إمرارهما كما جاءت بلا تأويل ولا تشبيه (كالإزار والرداء...) |
| ٧٦١ | □ سورة الأحقاف |
| ٧٦١ | من خصائصها |
| ٧٦٢ | من معاني الأثر من العلم |
| | ما جاء أن النبي ﷺ لا يدري ما يُفعل به قبل أن يخبره الله بأنه مغفور له |
| ٧٦٣ | وغير ذلك |
| ٧٦٣ | من فضائل عبد الله بن سلام |
| ٧٦٥ | بيان الولد الذي قال لوالديه أف لكما |
| ٧٦٦ | عبد الرحمن بن أبي بكر ومروان بن الحكم |
| ٧٦٦ | حالة نبي الله عند هبوب الريح |
| ٧٦٧ | استماع الجن للقرآن وإيمانهم به |
| ٧٦٨ | بيان أن الجن مكلفون كالإنس |
| ٧٦٩ | □ سورة محمد |
| ٧٦٩ | من خصائصها |
| ٧٧٠ | معنى: حتى تضع الحرب أوزارها |
| ٧٧١ | خصال هامة تعطى للشهيد |
| ٧٧١ | أهل الجنة يعرفون منازلهم بلا مرشد |
| ٧٧٢ | بيان عبدة الدينار والدرهم |
| ٧٧٢ | الله مولى المؤمنين |
| ٧٧٣ | الكفار في هذه الحياة يتمتعون كالأنعام |

| | |
|-----------|--|
| ٧٧٤ — ٧٧٣ | مكة أفضل البلاد وأحبها إلى الله |
| ٧٧٤ | بيان أنهار الجنة المعدة للمؤمنين |
| ٧٧٥ | فضل لا إله إلا الله |
| ٧٧٦ | استغفار النبي لنفسه وللمؤمنين |
| ٧٧٧ | تحريم قطيعة الرحم وفضل صلتها |
| ٧٧٨ — ٧٧٧ | فضل مؤمني العجم |
| ٧٧٩ | □ سورة الفتح |
| ٧٧٩ | موضوعها وخصائصها |
| ٧٨٠ | هي من السور المحبوبة عند نبي الله |
| ٧٨١ | بيان وقت نزول سورة الفتح |
| ٧٨١ | مبالغة النبي في العبادة شكرًا لله تعالى |
| ٧٨٢ | رسول الله أتقى الناس وأخشاهم له |
| ٧٨٢ | نزول السكينة لتلاوة القرآن |
| ٧٨٣ | أهل الحديدية كانوا خير أهل الأرض |
| ٧٨٣ | لا يدخل النار أحد من أهل بيعة الرضوان |
| ٧٨٥ | من معجزات نبي الله في استجابة الدعاء |
| ٧٨٦ | حديث صلح الحديدية الطويل |
| ٧٩٢ | شرح غريب حديث صلح الحديدية |
| ٧٩٥ | الفتح المبين هو بيعة الرضوان |
| ٧٩٥ | من أحاديث بيعة الرضوان |
| ٧٩٦ | أفضلية الحلق على التقصير في الحج والعمرة |
| ٧٩٧ | اتخاذ النبي خاتمًا كان يختم به الكتب |
| ٧٩٨ | □ سورة الحجرات |
| ٧٩٨ | من خصائصها |

- ٧٩٩ آيات فيها تأديب للصحابة
- ٨٠٠ النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله
- ٨٠٢ آية التشبث في سماع الأخبار
- ٨٠٤ خصام بين الصحابة مصدره المنافق ابن أبي سلول لعنه الله
- ٨٠٥ قصة في ذلك مطولة
- ٨٠٧ إيجاب الإصلاح بين المتقاتلين المسلمين
- ٨٠٧ فضل المقسطين وما لهم يوم القيامة
- ٨٠٧ الأخوة الإسلامية وما تقتضيه
- ٨٠٨ تحريم التنازب بالألقاب
- ٨٠٩ تحريم ظن السوء والغيبة في أخلاق
- ٨١١ تساوي الناس في أصلهم إلا بالتقوى
- ٨١١ تحريم الافتخار بالآباء وخاصة بالجاهليين
- ٨١٢ التفرقة بين الإسلام والإيمان
- ٨١٣ المنة لله ورسوله لا لغيرهما أيًا كان
- ٨١٤ □ سورة ق
- ٨١٤ أحزاب القرآن عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم
- ٨١٥ مشروعية قراءة هذه السورة في خطبة الجمعة وصلاة الصبح
- ٨١٦ من خصائصها
- ٨١٦ تجاوز الله عن الوسوسة وحديث النفس
- ٨١٧ وجوب مراقبة اللسان عن السقطات
- ٨١٨ خروج عنق من النار بعينين وأذنين ولسان يقول: وكلت بثلاث
- ٨١٨ تكلم جهنم وطلبها المزيد
- ٨١٩ بيان طريقة السلف في قدم الله تعالى
- ٨١٩ من صلى الصبح والعصر لا يدخل النار
- ٨٢٠ رؤية الله تعالى يوم القيامة

| | |
|---|---------|
| □ سورة الذاريات | ٨٢١ |
| من خصائصها | ٨٢١ |
| من صفات المؤمنين قيام الليل وقلة النوم | ٨٢٢ |
| من فضائل قيام الليل | ٨٢٢ |
| نزول الرب إلى السماء الدنيا وبيان المراد بالتزول أنه صفة لله بلا تشبيه | ٨٢٢—٨٢٣ |
| فضل الاستغفار والذكر والدعاء آخر الليل | ٨٢٣ |
| للسائل حق وإن جاء راكبًا | ٨٢٣ |
| بيان قصة عذاب قوم عاد | ٨٢٤ |
| التفرغ للعبادة يوجب الغنى من الله عز وجل وأن ذلك من أسباب الرزق الروحية | ٨٢٥ |
| □ سورة الطور | ٨٢٧ |
| من خصائصها | ٨٢٧ |
| بيان البيت المعمور وموضعه وما يدخله من الملائكة | ٨٢٨ |
| إكرام الله عبده المؤمن وإلحاق ذريته به | ٨٢٨ |
| مشروعية التسبيح والتحميد عند القيام من الليل والمجلس | ٨٢٩ |
| □ سورة النجم | ٨٣١ |
| من خصائصها | ٨٣١ |
| ما كان يقول رسول الله عليه السلام إلا الحق | ٨٣٢ |
| رؤية رسول الله جبريل على صورته الأصلية ليلة الإسراء عند سدره المنتهى | ٨٣٣ |
| رؤيته ﷺ لجبريل على هيئته الأصلية | ٨٣٣ |
| سدره المنتهى عندها ينتهي كل شيء | ٨٣٤ |
| فوائد تؤخذ من آيات المعراج | ٨٣٥ |
| الخلاف في رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ربه ليلة الإسراء | |
| والراجح عند أكثر العلماء أنه رآه | ٨٣٦ |
| من حلف بغير الله من الطواغيت وجب عليه أن يقول: لا إله إلا الله | ٨٣٦ |

- تظاهر الشياطين عند الأصنام والطواغيت ٨٣٧
- الإشارة إلى قصة الغرائق ويطلائها ٨٣٧
- ينبغي للمؤمن أن لا يتمنى إلاّ الخير ٨٣٨
- من أكبر الكبائر عند ابن عباس ٨٣٨
- بيان اللمم وهي صفائر من الذنوب ٨٤٠
- تسمية النظرة والقبلة ... زناً مجازاً ٨٤٠
- تزكية النفوس وبيان المذموم منها من غيره ٨٤١
- إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ ما استثنى ٨٤٢
- مشروعية السجود آخر النجم وبيان سجود المشركين مع النبي فيها وسبب ذلك ٨٤٢
- سورة القمر ٨٤٤
- من خصائصها ٨٤٤
- مشروعية قراءة ق والقمر في صلاة العيدين ٨٤٥
- قرب قيام الساعة ٨٤٥
- معجزة انشقاق القمر بمكة المكرمة ٨٤٦
- معجزة بإخبار انهزام الكفار قبل وقوعه ٨٤٧
- أول الناس يقضى عليهم ثلاثة ٨٤٩
- سورة الرحمن ٨٥١
- من خصائصها ٨٥١
- تأدب الجن وجوابهم عند قراءة النبي: فبأي آلاء ربكما تكذبان ٨٥٢
- أصل خلق الملائكة والإنس والجن ٨٥٣
- من شأن الله أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ٨٥٣
- بعض مشاهد يوم القيامة ٨٥٤
- مآل المؤمن الجنة وإن فعل ما فعل ٨٥٥
- صفة بعض ظلال الجنة وأغصان أشجارها ٨٥٦

- ٨٥٦ صفة أول زمرة تدخل الجنة
- ٨٥٧ بناء الجنة من ذهب وفضة وما أعد الله تعالى لأولياؤه فيها
- ٨٥٧ للمؤمن في الجنة من القصور والحدور العين ما لا يحصى
- ٨٥٨ الأمر بذكر الله تعالى ودعائه بذي الجلال
- ٨٦٠ □ سورة الواقعة
- ٨٦٠ من خصائصها
- ٨٦١ الواقعة من السور التي شبيبت نبي الله
- ٨٦٢ حديث فيه رؤيا تكشف عن فضل الشهداء
- ٨٦٣ بيان أنواع فواكه الجنة ولحومها
- ٨٦٤ الحدور العين وما ينادين به في الجنة
- ٨٦٤ من صفات أهل الجنة
- ٨٦٥ كل من أهل الجنة وأهل النار مقدرون عند الله وأن لكل علامات في الدنيا
- ٨٦٧ بيان الظل الممدود في الجنة
- ٨٦٨ بيان ما يعطاه المؤمن في الجنة من قوة النكاح
- ٨٦٨ نساء الجنة أبكارًا دائمًا
- ٨٦٩ نارنا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم
- ٨٧٠ آيات الله في النار ومني الإنسان والماء والزرع
- ٨٧٠ الناس إما شاكر مؤمن بالله وإما كافر
- ٨٧١ لا يمس القرآن المقدس إلا طاهر
- ٨٧٢ من فضائل تسييح الله وتحميدته وتعظيمه
- ٨٧٤ □ سورة الحديد
- ٨٧٤ من خصائصها
- ٨٧٦ أولية الله وأخريته وظاهريته وباطنيته
- ٨٧٦ دعاء عظيم هام كان يدعو به نبي الله عند النوم

- ٨٧٦ بيان تفسير الأول والآخر والظاهر والباطن
- ٨٧٧ فضل الصحابة الأولين على اللاحقين
- ٨٧٧ النهي عن سب الصحابة وأنه لا يلحقهم أحد
- ٨٧٨ إن الله قدر كل شيء قبل خلق السماوات
- ٨٧٨ بيان سبب تبديل الإنجيل وتحريفه
- ٨٨٠ التبتل بمعنى الرغبة عن التزوج مذموم
- ٨٨٠ بيان من الذي يؤتى أجره مرتين
- ٨٨٢ □ سورة المجادلة
- ٨٨٢ موضوعها ومن خصائصها
- ٨٨٣ سبب نزول حكم الظهار وبيان معناه
- ٨٨٤ تفصيل حكم الظهار وكفارة ذلك
- ٨٨٧ الظهار كان من أمور الجاهلية
- ٧٨٧ اليهود ومعاملتهم السيئة لنبي الله عليه السّلام
- ٨٨٨ ذم التناجي بالإثم
- ٨٨٨ الحض على التفسح في المجالس
- ٨٨٩ من فضل العلماء وحملة القرآن
- ٨٩٠ إخبار النبي بما قاله المنافقون فيه وكذبهم عليه وحلفهم على الكذب
- ٨٩١ □ سورة الحشر
- ٨٩١ من خصائصها
- ٨٩٢ جواز كل ما يغيظ الكفار من تحريق وقطع أشجار وزروع ونحو ذلك
- ٨٩٣ بيان الفياء وحكمه وأصحابه
- ٨٩٥ آية جامعة في الاقتداء برسول الله واتباع أمره وترك نهيه
- ٨٩٦ - ٨٩٥ وجوب اتباع رسول الله في أقواله وأفعاله
- ٨٩٧ فضل المهاجرين والأنصار

- ٨٩٨ من فضائل الأنصار على الخصوص
- ٨٩٩ من مظاهر أروع أنواع الإيثار في الإطعام
- ٩٠٠ ذم الشح والتحذير منه
- ٩٠٠ الحرض على الاستعداد للأخرة بالتقوى والعمل
- ٩٠١ بيان تسنين السنّة الحسنة والسنّة السيئة
- ٩٠٢ خطبة لأبي بكر الصديق بليغة هامة
- بيان أحد عشر اسما لله تعالى لم تذكر مجموعة في غير هذا الموضوع ختمت
- ٩٠٣ بها السورة
- ٩٠٤ سرد أسماء الله التسعة والتسعين
- ٩٠٤ من فضل أواخر سورة الحشر
- ٩٠٦ □ سورة الممتحنة
- ٩٠٦ من خصائصها
- ٩٠٧ النهي عن موالاتة أعداء الله من الكفار
- ٩٠٧ معجزة للنبي عليه السّلام بإخباره بكتاب حاطب
- ٩٠٧ أهل بدر مغفور لهم وإن ارتكبوا الكبائر
- ٩٠٨ إخبار الكفار بأسرار المسلمين يعتبر ردة
- ٩٠٨ جواز الإحسان إلى الكفار المودعين
- ٩٠٩ مبايعة النبي عليه السّلام النساء على الشرائع
- ٩١٠ مبايعة الرجال على ما بايع عليه السّلام
- ٩١١ بيان أن الحدود كفارات لمن أقيمت عليهم
- ٩١٢ □ سورة الصف
- ٩١٢ من خصائصها
- ٩١٣ أصح حديث مسلسل حديث سورة الصف
- ٩١٣ القول إن لم يصدقه الفعل كان كذبا ومقتا

- ٩١٤ بيان صفات النبي ﷺ وأمه كما في التوراة
بيان بعض أنواع ما أودى به نبي الله عليه السلام فصبر كما صبر موسى على
- ٩١٥ إذاية قومه
- ٩١٦ تبشير سيدنا عيسى بنبي الله عليهما السلام وتسميته بأحمد
- ٩١٦ بعض أسماء النبي عليه السّلام التي سمي بها
- ٩١٧ قصة رفع سيدنا عيسى عليه السّلام إلى السماء
- ٩١٨ فرق النصارى ثلاثة
- ٩١٩ □ سورة الجمعة
- ٩١٩ من خصائصها
- ٩٢٠ فضل مؤمني العجم ومن جاء بعد النبي من المؤمنين به وبالغيب
- ٩٢١ ذم حاملي الكتاب الجاهلين بما فيه مع ذم اللاغي يوم الجمعة وقت الخطبة
- ٩٢٢ إكذاب الله اليهود في ادعائهم تخصيص الجنة لهم وأنهم أولياء الله
- ٩٢٢ أذان الجمعة كان أيام النبوة واحدًا
- ٩٢٣ متى يجب السعي إلى الجمعة
- مشهد خطير للصحابة حيث انصرفوا عن النبي عليه السّلام وتركوه
- ٩٢٤ - ٩٢٣ وهو يخطب
- ٩٢٥ مشروعية قراءة سورة الجمعة في صلاتها
- □ سورة المنافقين
- ٩٢٦ من خصائصها
- ٩٢٧ موقف مقيت للمنافقين مع النبي عليه السّلام وأصحابه في غزوة تبوك وغيرها
- ٩٣٠ □ سورة التغابن
- ٩٣٠ من خصائصها
- ٩٣١ الإيمان شرط صحة لكل عمل صالح
- ٩٣٢ إن الأزواج والأولاد قد يكونون أعداء للإنسان

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٩٣٢ | الأموال والأولاد فتنة للإنسان |
| ٩٣٣ | لا يكلف الإنسان إلا بما في استطاعته |
| ٩٣٤ | □ سورة الطلاق |
| ٩٣٤ | من خصائصها المتعلقة بالأسرة |
| ٩٣٥ | الطلاق المشروع وغير المشروع |
| ٩٣٦ | كثرة الاستغفار من أسباب تفريج الكرب |
| ٩٣٧ | عدة الحمل الوضع ولو من وقتها |
| ٩٣٧ | حديث سبيعة في وضعها عقب موت زوجها وتزوجها إثر ذلك |
| ٩٣٨ | بيان أن الأرض سبع كالسماوات |
| ٩٣٩ | بيان خطر ظلم الأرض ولو شبرًا |
| ٩٣٩ | بيان ما قيل في مثلية الأرض للسماء |
| ٩٤٢ | □ سورة التحريم |
| ٩٤٢ | من خصائصها |
| ٩٤٣ | بيان ما فيها من ضربٍ مثلين رائعين في المؤمنين والكافرين |
| ٩٤٣ | بيان سبب نزول سورة التحريم |
| ٩٤٤ | اختلاف الأحاديث في ذلك مع صحتها |
| ٩٤٤ | ماذا تعني الآية: تحلة أيمانكم، والخلاف في ذلك |
| | الصحيح أن التحريم كان من النبي للعسل التي شربها عند زينب والمتظاهرتان |
| ٩٤٥ | هما سيدتنا عائشة وسيدتنا حفصة |
| ٩٤٧ | الأمر بالتوبة وبيان ما كان عليه نبي الله من كثرة الاستغفار والتوبة |
| ٩٤٨ | الكاملات الفاضلات من النساء |
| ٩٥٠ | □ سورة الملك |
| ٩٥٠ | من خصائصها |
| ٩٥١ | سورة تبارك تشفع لقارئها |

- ٩٥٢ كان النبي لا ينام حتى يقرأ هذه الصورة
- ٩٥٣ □ سورة القلم (ن)
- ٩٥٣ من خصائصها
- ٩٥٤ أول ما خلق الله القلم فأمره بالكتابة
- ٩٥٤ من فضل القلم والكتابة ومنافعهما
- ٩٥٥ كان خلق رسول الله القرآن
- ٩٥٥ ذم الغيبة والنميمة
- ٩٥٧ من صفات أهل الجنة وأهل النار
- ٩٥٧ معنى قوله: يكشف عن ساق، وأن الواجب الإيمان به وعدم الخوض فيه
- ٩٥٨ من فضائل سيدنا يونس عليه السلام
- ٩٥٩ آية تدل على حقية العين بحيث لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين
- ٩٥٩ بحث يتعلق بخاصية في العين وغيرها
- ٩٦١ □ سورة الحاقة
- ٩٦١ من خصائصها
- ٩٦٢ عظمة ملائكة حملة العرش
- ٩٦٣ حديث الأوعال والخلاف في ثبوته
- ٩٦٤ للخلائق يوم القيامة ثلاث عرضات
- ٩٦٤ الحساب اليسير والمناقشة
- ٩٦٥ ما بين السماء الأرض خمسمائة عام
- ٩٦٥ طول السلسلة التي يسلك فيها الكافر أطول من مسيرة ألوف السنين
- ٩٦٧ □ سورة المعارج
- ٩٦٧ من خصائصها
- ٩٦٨ السائل الذي سأل نزول العذاب هو النضر
- ٩٦٨ مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة

- ٩٦٩ من صفات الإنسان الهلع والجزع والمنع
- ٩٦٩ ذم التفرق في المسجد حلقًا حلقًا
- ٩٧١ □ سورة نوح
- ٩٧١ من خصائصها
- ٩٧٢ ما رحم الله تعالى أحدًا من قوم نوح
- ٩٧٣ الحضر على مصاحبة المؤمن
- ٩٧٤ الإخوان للإنسان ثلاثة أخ للآخرة وأخ للدنيا وأخ للاستئناس
- ٩٧٥ □ سورة الجن
- ٩٧٥ من خصائصها
- ٩٧٦ بيان استماع الجن لقراءة النبي عليه السّلام وسبب ذلك
- ٩٧٧ استدعاء الجن للنبي وذهابه إليهم وقراءته القرآن عليهم وإرشاده إياهم
- ٩٧٨ من سبقت له السعادة لا تضره الجناية
- ٩٧٨ الشياطين والجن اسم لمسمى واحد
- ٩٨٠ □ سورة المزمل
- ٩٨٠ من خصائصها
- ٩٨١ فرضية قيام الليل والتخفيف فيه
- ٩٨٢ أسباب التخفيف ثلاثة أشياء . . . المرض والتجارة والجهاد في سبيل الله
- ٩٨٢ صفة قراءة النبي كانت مدًا
- ٩٨٣ من فضائل قارئ القرآن
- ٩٨٣ من صفة نزول الوحي وشدته
- ٩٨٥ حديث الدجال ونزول سيدنا عيسى
- ٩٨٥ حشر العباد وسؤالهم
- ٩٨٦ الأمر بقراءة ما تيسر من القرآن
- ٩٨٦ مال الإنسان ما قدمه لآخرفته وأنه سيجد يوم القيامة كل ما قدم من خير

- ٩٨٨ □ سورة المدثر
- ٩٨٨ من خصائصها
- ٩٨٩ أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي المدثر
- ٩٩٠ عدد خزنة جهنم وصفة تربة الجنة
- ٩٩٢ □ سورة القيامة
- ٩٩٢ من خصائصها
- كيف كان يعالج نبي الله الوحي في أول الأمر ثم أمر بالسكوت... حتى يجمعه
الله في قلبه ٩٩٣
- ٩٩٤ بحث في وقوع رؤية الله يوم القيامة وأن أحاديثها متواترة
- ٩٩٥ معنى قول الله تعالى: أولى لك فأولى مشروعية الجواب عند قوله تعالى: أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى... بسبحانك اللهم فبلى ٩٩٦
- ٩٩٧ □ سورة الإنسان
- ٩٩٧ من خصائصها
- ٩٩٨ مشروعية قراءة السورة في صبح الجمعة
- ٩٩٨ كان الإنسان مجهولاً غير معروف
- ٩٩٨ قد بين الله للإنسان السبيل فهو إما شاكراً وإما كفور
- ٩٩٩ بيان النذر وأن الوفاء به من صفات الأبرار
- ٩٩٩ بيان أن للنار نفسين في الصيف والشتاء
- ١٠٠١ □ سورة المرسلات
- ١٠٠١ من خصائصها
- ١٠٠٢ خروج حية عند نزول السورة
- ١٠٠٣ - ١٠٠٢ مشروعية قراءتها في صلاة المغرب

- ١٠٠٤ □ سورة النبأ
- ١٠٠٤ من خصائصها
- ١٠٠٥ بعض ما أعدّه الله للمتقين من نعيم
- ١٠٠٥ النهي عن تسمية شجرة العنب بالكرم
- ١٠٠٦ □ سورة النازعات
- ١٠٠٦ من خصائصها
- ١٠٠٧ بيان الراجفة والرادفة
- ١٠٠٧ فضل الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
- ١٠٠٨ بيان أشد المخلوقات وأعظمها
- ١٠٠٨ السؤال عن الساعة وأن منتهى علمها إلى الله
- ١٠١٠ □ سورة عبس
- ١٠١٠ من خصائصها
- ١٠١١ بيان قصة نبي الله عليه السّلام مع ابن أم مكتوم الأعمى
- ١٠١١ الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة
- ١٠١٢ شدة الهول يوم القيامة وأن الكل له شأن يغنيه
- ١٠١٤ □ سورة التكوير
- ١٠١٤ من خصائصها
- ١٠١٥ سور ثلاث تصور لنا مشاهد يوم القيامة
- ١٠١٥ الشمس والقمر مكوران يوم القيامة في جهنم
- ١٠١٦ تزويج النفوس يوم القيامة بالشبيه إلى شبيهه
- ١٠١٦ بحث في الموءودة وأطفال الكفار
- ١٠١٨ معنى: الخنس والكنس
- ١٠١٩ □ سورة الانفطار
- ١٠١٩ من خصائصها

- مشروعية قراءتها في العشاء ١٠١٩ - ١٠٢٠
- كفران ابن آدم بربه وقد خلقه ولم يك شيئاً ١٠٢٠
- بيان الحفظة الكاتبين وشهودهم على بني آدم يوم القيامة بما علموا ١٠٢١
- يوم القيامة لا تنفع نفس نفساً أخرى شيئاً ١٠٢١
- سورة المطففين ١٠٢٣
- من خصائصها ١٠٢٣
- بيان خسارة المطففين في الكيل والوزن ١٠٢٤
- بيان صفة قيام الناس في موقف يوم القيامة ١٠٢٥
- خطر المعاصي على القلوب وطلوع الران عليها ١٠٢٦
- فضل سقي الماء وإطعام الطعام وكسو الألبسة ١٠٢٧
- سورة الانشقاق ١٠٢٨
- من خصائصها ١٠٢٨
- مشروعية قراءتها في الظهر والعصر ١٠٢٨
- مشروعية السجود فيها ولو في صلاة الفرض ١٠٢٩
- بيان ما تلقيه الأرض من بطنها عند قيام الساعة ١٠٢٩
- بيان الحسابين: اليسير والمناقشة ١٠٣٠
- ذكر الشفق ووقته والمراد منه ١٠٣٠
- حكم السجود في آخرها ١٠٣١
- سورة البروج ١٠٣٢
- من خصائصها ١٠٣٢
- مشروعية قراءتها في العشاء ١٠٣٣
- بيان اليوم الموعود وشاهد مشهود ١٠٣٣
- بيان قصة أصحاب الأخدود مع المؤمنين ١٠٣٣
- قصة الغلام والراهب وهي قصة ممتعة ١٠٣٣

- بيان أن القرآن موجود في اللوح المحفوظ لا يبيد ولا يغير ١٠٣٦
- سورة الطارق ١٠٣٨
- من خصائصها ١٠٣٨
- جلاء السرائر يوم القيامة وكشف الخفايا ١٠٣٩
- سورة الأعلى ١٠٤٠
- من خصائصها ١٠٤٠
- مشروعية قراءتها في العيدين والجمعة ١٠٤١
- أول من قدم المدينة مهاجرًا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ١٠٤١
- النهي عن فعل ما يؤدي إلى فتنة الناس ١٠٤١ - ١٠٤٢
- هداية الله لعباده وبعض أنواع ذلك ١٠٤٢
- ذم إثارة الدنيا على الآخرة رغم أن الآخرة خير من الأولى ١٠٤٣
- سورة الغاشية ١٠٤٥
- من خصائصها ١٠٤٥
- مشروعية قراءتها في الجمعة ١٠٤٥
- حديث ضمام بن ثعلبة وما فيه من العبرة ١٠٤٦
- علوم كونية أشار إليها القرآن الكريم ١٠٤٦
- الأمر بقتال الكفار حتى يؤمنوا ١٠٤٧
- كل الأمة سيدخلون الجنة إلا من عصى نبي الله ١٠٤٨
- سورة الفجر ١٠٤٩
- من خصائصها ١٠٤٩
- من فضائل أيام عشر ذي الحجة ١٠٥٠
- بيان العشر والوتر والشفع ١٠٥٠
- فضل كافل اليتيم ١٠٥١
- مجيء الله تعالى يوم القيامة لفصل القضاء ١٠٥٢

- ١٠٥٢ وجوب الإيمان بمجيء الله يوم القيامة
- ١٠٥٣ الإتيان بجهنم يوم القيامة للموقف بسبعين ألف زمام يجرها ألوف من الملائكة
كل الناس يتحسرون يوم القيامة حتى المؤمن سيحقر ما عمل ويود الرجوع إلى
الدنيا ليزداد خيرًا
- ١٠٥٣ □ سورة البلد
- ١٠٥٤ من خصائصها
- ١٠٥٤ بيان ما يكابده الإنسان من شدائد ومحن
- ١٠٥٥ أشياء توجب دخول الجنة
- ١٠٥٥ فعل المعروف والأمر به وكف اللسان إلّا من خير
- ١٠٥٦ فضل الصدقة على ذي الرحم
- ١٠٥٧ □ سورة الشمس
- ١٠٥٧ من خصائصها
- ١٠٥٨ سؤال التقوى وتزكية النفس
- ١٠٥٩ عاقر ناقة صالح وصفته واسمه
- ١٠٦٠ □ سورة الليل
- ١٠٦٠ من خصائصها
- ١٠٦١ القدر والاتكال عليه والعمل وأن كلاً خلق ميسراً لما خُلق له
- ١٠٦٣ □ سورة الضحى
- ١٠٦٣ من خصائصها
- ١٠٦٤ من فضائل نبينا وأن الله منذ أحبه ما أبغضه ومنذ حباه وقربه ما تركه
- ١٠٦٥ بيان بعض مشاهد نبينا في زهده في هذه الحياة
- ١٠٦٥ مثل الدنيا ومثل نبينا معها
- ١٠٦٥ عرض فتوح الدنيا على نبينا قرية قرية
- ١٠٦٦ الغنى الحقيقي هو غنى القلب

- ١٠٦٨ □ سورة الانشراح
- ١٠٦٨ من خصائصها
- ١٠٦٩ شق صدر النبي وغسله وحشوه إيماناً وحكمة
- ١٠٦٩ كيف رفع الله ذكر نبينا
- ١٠٧٠ العسر يتبعه اليسر والفرج مع الشدة
- ١٠٧٢ □ سورة التين
- ١٠٧٢ من خصائصها
- بيان أن الإنسان خلق في أحسن تقويم ثم رد إلى أسفل سافلين إلا المؤمنين
- ١٠٧٢ الصالحين
- ١٠٧٣ قراءتها في العشاء
- ١٠٧٤ □ سورة العلق
- ١٠٧٤ من خصائصها
- أول نعمة أنعم الله بها على سائر البشرية وهي بداية نزول القرآن الكريم
- ١٠٧٤ والبعثة النبوية
- ١٠٧٥ ذكر حديث سيدتنا عائشة في بداية الوحي
- ١٠٧٨ أبو جهل لعنه الله يهدد النبي عليه السلام فيجيبه الله : سندع الزبانية
- ١٠٧٩ عناية الله برسوله وحفظه إياه
- ١٠٨٠ □ سورة القدر
- ١٠٨٠ ليلة القدر وفضائلها ومزاياها
- ١٠٨١ وقتها في شهر رمضان
- ١٠٨٣ □ سورة البينة
- ١٠٨٣ من خصائصها
- ١٠٨٤ سماع الإمام والشيخ قراءة التلميد
- ١٠٨٤ ما أنزل المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

- المؤمنون الصالحون هم خير البرية ١٠٨٥
- سورة الزلزلة ١٠٨٦
- من خصائصها ١٠٨٦
- سعة رحمة الله تعالى ولطفه بعباده ١٠٨٧
- شهادة الأرض على ما وقع فوقها ١٠٨٧
- رجل يكتفي بسماع سورة الزلزلة ١٠٨٨
- الزلزلة سورة فاذا جامعة ١٠٨٨
- سورة التكاثر ١٠٨٩
- من خصائصها ١٠٨٩
- ابن آدم لا يشبع من المال ولو كانت له أودية من ذهب ١٠٩٠
- مال ابن آدم ما أكل أو لبس أو تصدق ١٠٩٠
- سؤال الله تعالى عباده عن كل نعيم تنعم به الإنسان ١٠٩١
- سورة الفيل ١٠٩٣
- من خصائصها ١٠٩٣
- قصة أصحاب الفيل وكيف أهلكهم الله وانتقم منهم ١٠٩٤
- سورة الماعون ١٠٩٥
- من خصائصها ١٠٩٥
- الغفلة والسهو عن الصلاة يوجب الويل والهلاك ١٠٩٥
- خسارة المرأئين والذين يمنعون الماعون ١٠٩٦
- الماعون الذي لا يجوز منعه ١٠٩٦
- سورة الكوثر ١٠٩٨
- من خصائصها ١٠٩٨
- بيان الكوثر وصفة مائه ومجرأه وحافتيه ١٠٩٨

- ١١٠٠ دفع الله تعالى عن نبيه مقولة الكفار في كونه أبتَر
- ١١٠٢ □ سورة الكافرون
- ١١٠٢ من خصائصها
- ١١٠٢ مشروعية قراءتها في صلاة الفجر وبعد المغرب وفي ركعتي الطواف
- ١١٠٣ قراءتها عند النوم وأنها براءة من الشرك
- ١١٠٥ □ سورة النصر
- ١١٠٥ سورة النصر كانت نعيًا لرسول الله عليه السَّلام بقرب أجله
- ١١٠٦ فعله ﷺ ما يأمره به ربه
- ١١٠٦ هي آخر سورة نزلت من السور القصار
- ١١٠٨ □ سورة المسد
- ١١٠٨ من خصائصها
- ١١٠٨ نداء من نبي الله عليه السَّلام لبطون قريش وإنذاره إياهم وشم أبي لهب إياه
- ١١٠٩ نزول السورة تنذر بخسارة أبي لهب وزوجته
- ١١١١ □ سورة الإخلاص
- ١١١١ من خصائصها
- ١١١٢ قراءة الإخلاص توجب الجنة
- ١١١٣ قراءتها مرة تعدل ثلث القرآن
- ١١١٤ □ سورة الفلق
- ١١١٤ من خصائصها
- ١١١٤ بيان الغسق والاختلاف في معناه
- ١١١٦ □ سورة الناس
- ١١١٦ من خصائصها
- ١١١٦ الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------------------------------------|
| ١١١٧ | المعوذات |
| ١١١٧ | آيات لم ير مثلهن: الفلق والناس |
| ١١١٧ | قراءتها عقب كل صلاة |
| ١١١٧ | ما تعوذ أحد بمثلهن |
| ١١١٨ | قراءة المعوذات الثلاث عند النوم |
| ١١١٨ | قراءتهن صباحًا ومساءً يكفين عن كل شيء |
| ١١٢١ | □ الفهارس |
| ١١٢٣ | — فهرس أطراف الأحاديث والآثار |
| ١١٤٩ | — فهرس أسباب النزول |
| ١١٦١ | — فهرس الموضوعات |
| ١١٦١ | فهرس الجزء الأول |
| ١١٨٥ | فهرس الجزء الثاني |

انتهى والحمد لله